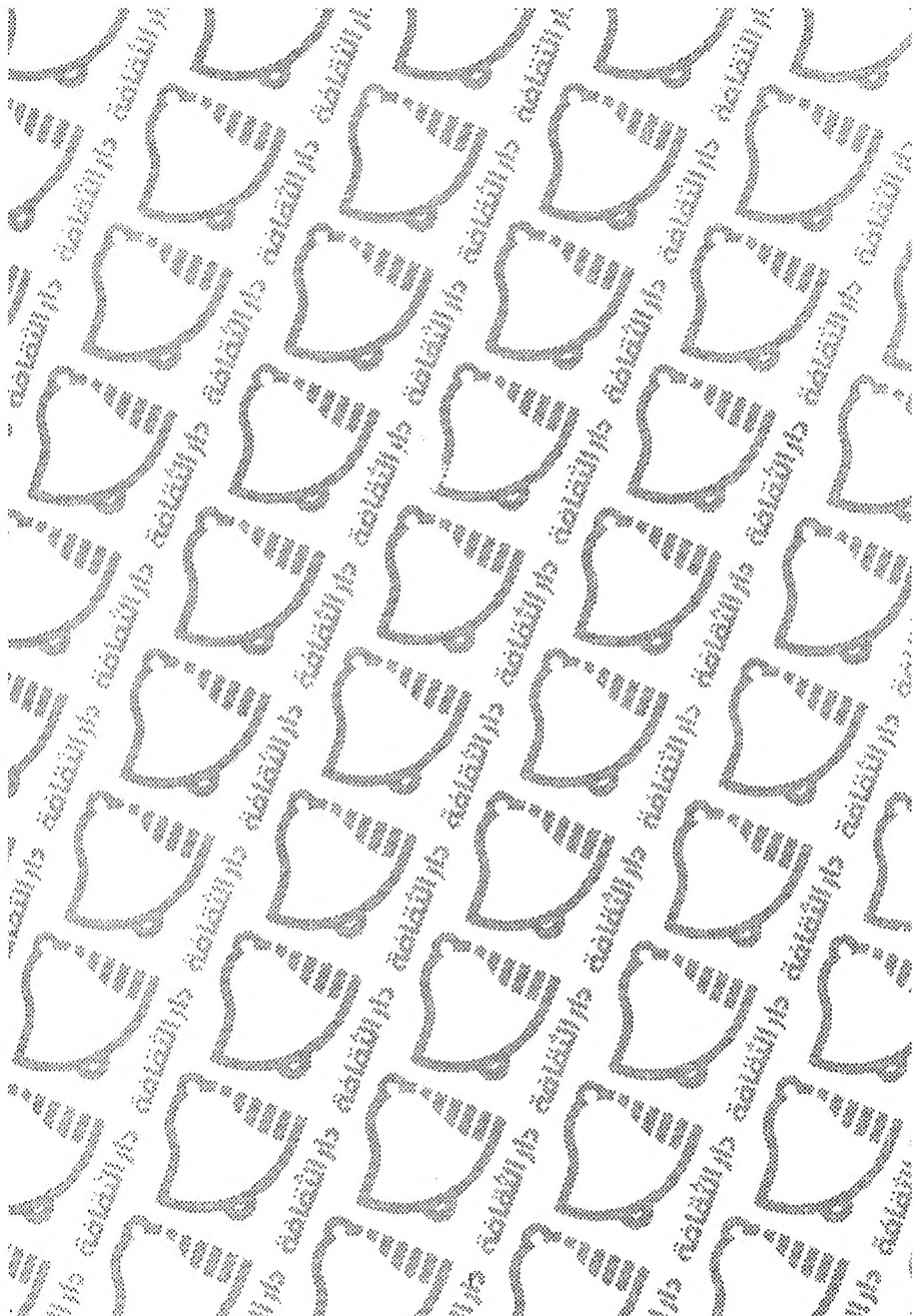
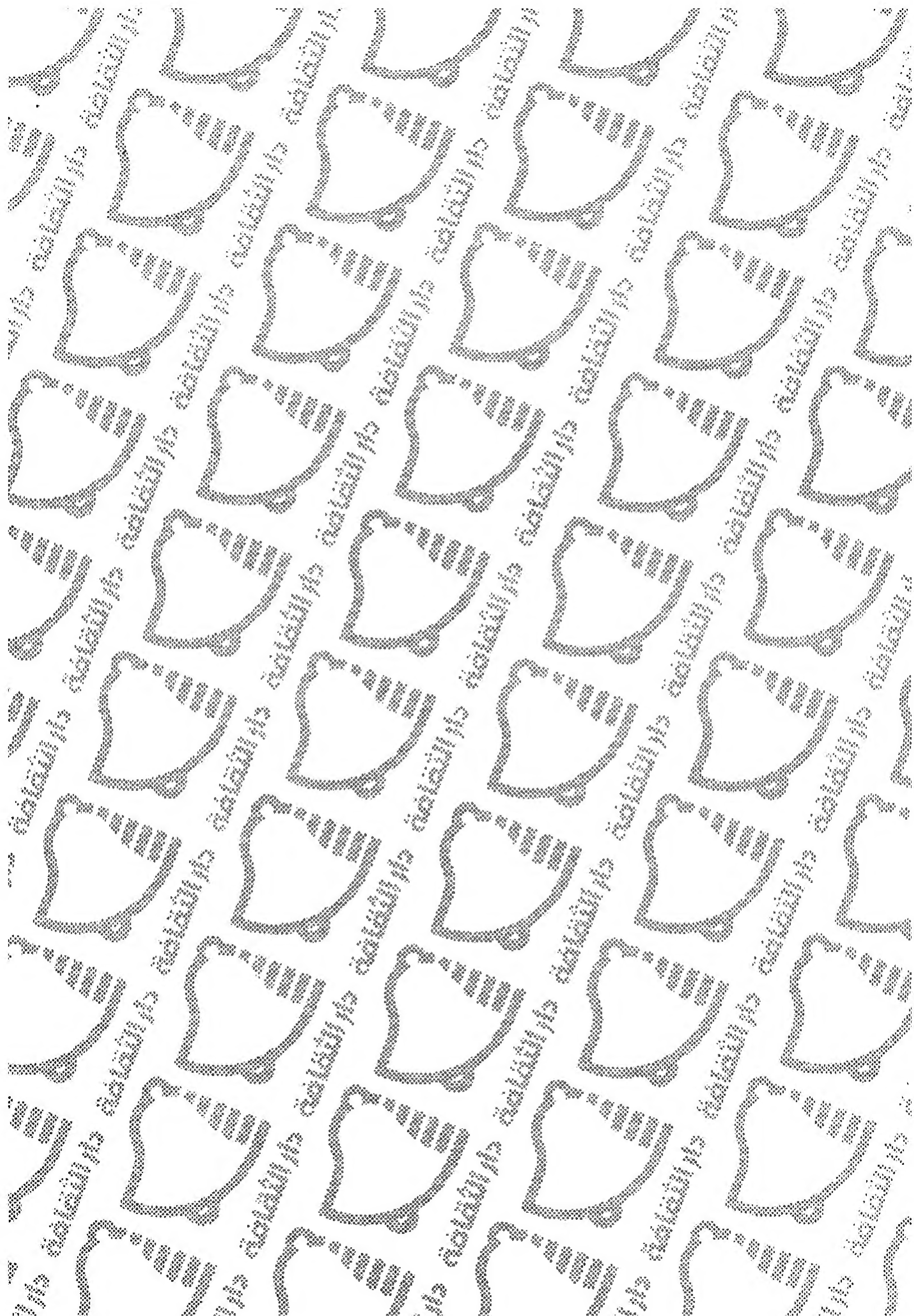
شرح

بشارة يوحنا

الدكتور القس ابراهيم سعيد







شرح بشارة يوحنا

تأليف

الدكتور القس إبراهيم سعيد



طبعة رابعة

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ — القاهرة

١٠ / ١٠٨ ط ٤ (أ) / ٣ – ٩ / ٦٤ – ٧٨ – ٨٨
رقم الايداع بدار الكتب : ٥٧٣٣ / ١٩٨٨
رقم الايداع الدولى : ٨ – ٠٩١ / ١٦٦٠ – ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة – شبرا – القاهرة

مقدمة عامة

بشارة يوحنَّا هي فريدة الفرائد . فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع ، وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة

أهذه البشارة مقالة تاريخيَّة؟ أم هي بحثٌ فلسفيٌ أُفرغَ في قالبٍ تاريخي ؟ أم هي حجةٌ لاهوتيَّة جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة؟ أم هي كل هذه مجتمعة معاً ؟ ؟

بشارة يوحنا هي بشارة الخاصة. لكنها في نفس الوقت، بشارة العالم أجمع . فمع ان كاتبها يهودي مشبَع بالآراء اليهودية ، ومع أنه مسيحيٌ مُلِمٌ بكل ما جاءت به البشائر الثلاث السابقة لبشارته ، ومع انه مرتبط بحدود الزمن الذي نشأ فيه ، ومتأثر بعوامل البيئة اليونانية التي كانت محيطة به ، إلاَّ أن كتابه ليس قاصراً على اليهود، ولا هو كتاب جيلٍ خاص، لكنه كتاب الاجيال، لان وراء يد يوحنا،عاملاً قوياً خفيًّا،هو روح الله العارف قلوب البشر أجمعين

في الاصحاحات الثلاثة الأولى، نرى المسيح « كلمة الله الازلي » ، محاطاً ببيئة يهودية ، واذ نبلغ الاصحاح الرابع ، نرى الفادي وقد تخطى حدود البيئة اليهودية الضيقة ، حتى اتصل بالسامريين فوجدوا فيه مخلصهم المنتظر إذ قالوا «هذا هو بالحقيقة المسيح مخلِّص العالم»

ان كل قارئ ودارس لهذه البشارة ، مهما كانت لغته وجنسيته ، تقابله على صفحاتها كلماتٌ جامعة تقوم أمامه واثبةً لتحييّه بلغته الخاصة ، لانها كلمات عامة تلابس جميع البشر على توالي الأيام — المحبَّة ، الحياة ، النور ، الحق ، الخبز ، الماء — كل هذا يؤكد لنا ان البشارة هي كتاب العالم أجمع

هذا الكتابُ هو قدسُ أقداس الآدابِ المسيحية . فيه نسمع اقدس الاعلانات السماوية ، فلا عجب اذا جادت قرائح القديسين بأمجد الألقاب واقدسها على هذه البشارة. فمن قائل انها «بشارة الابدية» الى قائل انها «تعبير قلب الله» الى قائل انها «بشارة الحب الخالص»

مزايا بشارة يوحنا

من أظهر مزايا هذه البشارة ، انها «بشارة الحق» . فقد وردت فيها كلمة «الحق» ٥٠ مرة . وفي كل مرة منها ذُكِرَت مثنىً «الحقّ . الحقّ» . ولم ترد مكررة على هذه الصورة الا في بشارة يوحنا وعلى لسان المسيح وحده. فهو «الحق» الذي يقول «الحق» . وهذه الكلمة جاءت (أ) متمِّمة لحديث او (ب) لتقرير حقيقة مهمة، او (ج) جواباً على سؤال

هذه هي بشارة «ذات» المسيح ، فيها يحدثنا بنفسه، عن نفسه قائلاً «انا هو» . ولقد وردت هذه العبارة على لسان المسيح ١٤ مرة اي ٧ مرات مضاعفة : والسبعة عدد كامل

(١) «انا هو (المسيح)» ٤:٢٦	(٨) «انا هو الباب» ١٠:٩
(٢) «انا هو لا تخافوا» ٦:٢٠	(٩) «انا هو الراعي الصالح» ١٠:١٤
(٣) «انا هو خبز الحياة» ٦:٣٥	(١٠) «انا هو القيامة والحياة» ١١:٢٤
(٤) «اناهو الخبز الذي نزل من السماء» ٦:٤١	(١١) «اناهو الطريق ، والحق ، والحياة» ١٤:٦
(٥) «انا هو نور العالم» ٨:١٢	(١٢) «انا هو الكرمة» ١٥:١و٥
(٦) «انا هو الشاهد لنفسي» ٨:١٨	(١٣) «ان لم تؤمنوا اني انا هو» ٨:٢٤
(٧) «حينئذٍ تفهمون اني انا هو» ٨:٢٨	(١٤) «انا هو» ١٨:٥

هذه هي بشارة الشهادة المكمّلة اذ نرى فيها شهادة «سباعية» للمسيح :

(١) شهادة يوحنا المعمدان للمسيح ١:٧ ، ٥:٣٥

(٢) شهادة الكتب للمسيح ٥:٣٩—٤٦

(٣) شهادة اعمال المسيح له ١٠:٢٥ ، ٦:٣٦

(٤) شهادة الآب للمسيح ٥:٣٤ ، ١٨:٣٧

(٥) شهادة المسيح لنفسه ٨:١٤ ، ١٨:٣٧

(٦) شهادة الروح القدس للمسيح ١٥:٢٦ ، ١٦:١٤

(٧) شهادة التلاميذ للمسيح ١٥:٢٧ ، ١٩:٣٥

هذه هي بشارة التدرج والتقدم : فلنُلق نظرةً الى الدرجات التي ارتقى عليها :

(أ) ايمان نيقوديموس : في الاصحاح الثالث والعدد الثاني نقرأ عنه انه «جاء الى يسوع ليلاً» . هذه درجةٌ ابتدائية في سلم ايمان هذا الرجل . واذ نتقدم الى الاصحاح السابع والعدد الخمسين وما بعده نجد القول «قال لهم نيقوديموس . . ألعلَّ ناموسنا يدين انساناً لم يسمع منه» هنا نرانا أمام درجةٍ أرقى في ايمان هذا الرجل ، لانه خرج من خبائه تستره وقصد ان يدافع عن سيده وان يكن بشيءٍ من الخوف . واذ نبلغ منتهى البشارة في ١٩:٣٩ ، نجد القول : «وجاء ايضاً نيقوديموس . . . فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب» — هذه هي الدرجة القصوى في ايمان نيقوديموس لأن الخوف طُرِد من قلبه فجاهر بايمانه على رؤوس الاشهاد

(ب) ايمان خادم الملك : نقرأ عنه في ٤:٥٠ انه «آمن بالكلمة التي

قالها له يسوع فذهب » واذ نتقدم في القصة نجد ايمان الرجل وقد ارتقى درجة أعلى: «ففهم الأب في تلك الساعة . . . فآمن هو و بيته» ٤:٥٣

(ج) ايمان الرجل المولود اعمى :

في ٩:١١ قال عن المسيح انه «يسوع».هذه درجة ابتدائية في سلم الايمان

وفي ٩:١٧ قال عنه انه «نبي» — هذه درجة مناسبة في سلم الايمان

وفي٩:٣٣ قال عنه انه «من الله».هذه درجة راقية « « «

وفي ٩:٣٨ آمن انه «ابن الله» . هذه درجة أرقى « « «

(د) ايمان أهل السامرة :

في ٤:٣٩ نجد القول « فآمن به كثيرون بسبب كلام المرأة — «هذه درجة ابتدائية

وفي ٤:٤٢ نجد القول «فقالوا للمرأة اننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لاننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة مخلص العالم» . هذه درجة راقية

ولنلق نظرة أخرى الى الدركات التي هبط اليها عدم الايمان :

(أ) عدم ايمان يهوذا :

في ٦:٦٤ نرى لمحة خفيفة عن خُلُقه «مَنْ هو الذي يسلمه»

وفي ١٣:٢ نجد القول «القى الشيطان في قلب يهوذا — ان يسلمه»

وفي ١٣:٢٧ نجد القول «دخله الشيطان» . في الخطوة السابقة القى الشيطان افكاره في قلب يهوذا. وفي الخطوة النهائية دخل هو بكليَّته في قلبه

(ب) عدم ايمان الامة اليهودية :

في ١:١١ نقرأ القول «وخاصته لم تقبله»

وفي ٢:١٨ نرى ان بغضهم له قد بدأ في النمو فطلبوا منه آية : «وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا»

وفي ١٦:٥ نجد بغضهم له وقد تطور فاضحى انتقاماً: «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون ان يقتلوه»

وفي ١٠:١٢ نجد معارضتهم له برزت ونُظِّمت « فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً» — اي المسيح ولعازر

وفي الاصحاحات الأخيرة نجد معارضتهم له وقد نضجت واستوت فنفِّذت بصلبه على الصليب

هذه هي بشارة التجسُّد:

متّى البشير يقدّم لنا المسيح في رداء «مسيًّا» المنتظر من اليهود

ومرقس العامل النشيط يقدّمه لنا في ثوب العامل لسدّ حاجات البشرية

ولوقا الطبيب المؤرخ يقدّمه لنا في شكل المخلص الذي جاء ليفدي

ويوحنا اللاهوتي الباطني يقدمه لنا في جلال لاهوته المتجسد

ان هذه البشارة الرابعة ترسم أمامنا الهوة السحيقة التي اوجدتها الخطية بين الانسان وبين الله ، ثم ترينا كيف ان المسيح وهو ابن الله قد صار خاضعاً لنواميس الحياة في الجوع ، والعطش ، والتعب ، والدموع ، والابتسام ، ليملأ هذه الثغرة

هذا ما حدا بأوريجانوس الى القول « ان بشارة يوحنا هي تاج البشائر كما ان البشائر هي ختم الكتب المقدسة » . وهــذا ما دفع لوتير الى القول

« ان بشارة يوحنا كتاب رقيق الحواشي ، وانها مع رسالتي رومية و بطرس الاولى تحسب انجيلاً مختصراً »

غير ان المسيح المقدم لنا في بشارة يوحنا ، ليس مسيحاً جديداً ، ولا هو مسيح آخر ، فالمسيح هو هو في كل البشائر . انما ينظر يوحنا الى المسيح من ناحية غير التي نظر اليه منها سائر البشيرين ، وفي بعض النواحي يلتقي معاً جميع البشيرين

لم يرد في يوحنا ذكر الكتبة ، ولا البرص ، ولا العشارين ، ولا المصابين بأرواح نجسة . لان كل المعجزات التي ذُكِرَت في بشارة يوحنا ، كان القصد منها ، ان تكون « علامات لاظهار مجد المسيح » . وفوق ذلك فان كلمات المسيح التي سُجلت في بشارة يوحنا ، لم تُذكر من قبيل الامثال ولا المواعظ ، بل ذكرت على سبيل الاحاديث الخاصة ، الحبيَّة ، العميقة

هذه هي بشارة الرموز والمجازات :

ان كلماتها يونانية ، مصوغة في قالب عبريّ . وترتيب حوادثها يتمشى مع النظام الثلاثي والسباعي كما في الأدب العبريّ :

ذهب المسيح الى الجليل ٣ مرات	وفي الجليل أجرى ٣ معجزات
وذهب الى اليهودية ٣ مرات	وفي اورشليم أجرى ٣ معجزات

وقضى ثلاث ساعات مضاعفة — ٦ ساعات — في النواحي المجاورة لمكان خدمة يوحنا المعمدان

وقصة لعازر — مرضه ، وموته ، وقيامته — استغرقت ٣ أيام

وسجل يوحنا ثلاثاً من كلمات المسيح على الصليب

وفي يوحنا ظهر المسيح ٣ مرات لتلاميذه بعد القيامة

و٧ مرات مضاعفة ـــ ١٤ مرة ـــ قال المسيح عن نفسه «انا هو»

بعض الكلمات المميّزة لبشارة يوحنا

ذُكرت كلمة «نور» ٢٣ مرة	ذُكرت كلمة «ثبوت» ١٨ مرة
« « «مجد» ومشتقاتها ٤٢ مرة	« « «الظهور» ٨ مرات
« « «ظلمة» ٩ مرات	« « «الدينونة» ومشتقاتها ٣٠ مرة
« « «محبة» ومشتقاتها ١٨ مرة	« « «يؤمن» ومشتقاتها ٩٨ مرة
« « «العالم» ٧٨ مرة	و «مرتين» في سائر البشائر
و ١٥ مرة في سائر البشائر	« « «اليوم الأخير» ٧ مرات
« « «جسد» ٨ مرات	« « «شاهد» ومشتقاتها ٣٧ مرة
« « «الحياة الابدية» ١٥ مرة	« « «يعرف» ٥٥ مرة
« « «أعمال» ٢٣ مرة	« « «اسم» ٢٥ مرة

ذُكرت كلمة «علامات» ١٧ مرة

مفتاح هذه «البشارة» متضمن في كلمتين : «الشهادة» ، «الايمان»

واليك البيان :

«الشهادة»	«الايمان»
	بذار الايمان
شهادة يوحنا المعمدان	بذار عدم الايمان
	نمو الايمان
شهادة معجزات المسيح	نمو عدم الايمان

«الشهادة»	«الايمان»
شهادة الآب	سر الايمان سر عدم الايمان
شهادة الكتب المقدسة	ثمار الايمان ثمار عدم الايمان
شهادة المسيح نفسه	اهمية الايمان
شهادة افراد مختلفين	دينونة عدم الايمان
شهادة الروح القدس	وقت الايمان موضوع الايمان

العبارات المتشابهة

في بشارة يوحنا وفي رسائله

بشارة يوحنا		رسائل يوحنا	بشارة يوحنا		رسائل يوحنا
يوحنا ٣:١١	متشابهة مع	١ يو١:١ـ٣	يوحنا ٦:٥٦	متشابهة مع	١ يو ٤:١٥
« ٤:٢٤	« «	١ يو ٥:٢٠	« ٦:٦٩	« «	١ يو ٤:١٦
« ٥:٣٢	« «	١ يو ٥:٩	« ٨:٢٩	« «	١ يو ٣:٢٢
« ٥:٢٤	« «	١يو٣:١٤	« ٨:٤٤	« «	١ يو٣:٨
« ٥:٣٨	« «	١يو٢:١٤	« ٨:٤٦	« «	١ يو٣:٥

بشارة يوحنا	رسائل يوحنا	بشارة يوحنا	رسائل يوحنا
يوحنا ٨:٤٦ متشابهة مع	١ يو ٣:٥	يوحنا ١٥:١٠ متشابهة مع	١ يو ٤:١٦
« ٨:٤٧ « «	١ يو ٤:٦	« ١٥:١٨ « «	١ يو ٣:١٣
« ١٠:١٥ « «	١ يو ٣:١٦	« ١٦:٢٤ « «	١ يو ١:٤ / ٢ يو ١٢
« ١٢:٣٥ « «	١ يو ٢:١١		
« ١٣:٣٤ « «	١ يو ٣:٢٣	« ١٦:٣٣ « «	١ يو ٥:٤

واليك مقابلة بين بعض الكلمات

في بشارة يوحنا		في رسائل يوحنا
«البدء» يوحنا ١:١	=	«البدء» ١ يو ١:١
«كان عند» يوحنا ١:١	=	«كانت عند» ١ يو ١:٢
«كان الكلمة الله» يوحنا ١:١	=	«هذا هو الاله» ١ يو ٥:٢٠
«النور الحقيقي» يو ١:٥	=	«النور الحقيقي» ١ يو ٢:٨
«اعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله» يو :١٢	=	«أعطانا الأب حتى ندعى «اولاد الله» ١ يو ٣:١
«المؤمنون باسمه» يو١:١٣	=	«المؤمنين باسم ابن الله» ١يو٥:١٣
«الذين ولدوا...من الله» يو١:١٣	=	«وُلد من الله» ١ يو ٥:١
«الكلمة صار جسداً» يو ١:١٤	=	«المسيح جاء في الجسد» ١ يو٤:٢
«رأينا مجده» ١ يو ١:١٤	=	«رأيناه» ١ يو ١:١
«فجاء يسوع ايضاً» يو ٤:٤٦	=	«ابن الله قد جاء» ١ يو ٥:٢٠

الآيات المقتبسة من العهد القديم في بشارة يوحنا :

(أ) ما ورد منها في سياق كلام يوحنا البشير :

ما ورد في البشارة	ما جاء في العهد القديم	ما ورد في البشارة	ما جاء في العهد القديم
يوحنا ٢ : ١٧	مقتبسة من مز ٦٩ : ٩	يوحنا ١٩ : ٢٤	مقتبسة من مز ٢٢ : ١٨
« ١٢ : ١٤و١٥	« « زكريا ٩ : ٩	« ١٩ : ٣٦	« « خر ١٢ : ٤٦
« ١٢ : ٣٨	« « اشعياء ٥٣ : ١	« ١٩ : ٣٧	« «زكريا١٢ : ١٠
« ١٢ : ٤٠	« « مزمور٢٢ : ١٨		

(ب) ما جاء منها في سياق كلام المسيح :

يوحنا٦ : ٤٥	مقتبسة من اشعياء٥٤ : ١٣	يوحنا١٣ : ١٨	مقتبسة من مز ٤١ : ٩
« ١٠ : ٣٤	« « مزمور٨٢ : ١٦	« ١٥ : ٢٥	« « مز٣٥ : ١٩

(ج) ما جاء منها في سياق كلام يوحنا المعمدان :

يوحنا ١ : ٢٣ مقتبسة من اشعياء ٤٠ : ٣

(د) ما جاء منها في سياق كلام الجليليين :

يوحنا ٦ : ٣١ مقتبسة من مزمور ٧٨ : ٢٤

من هو كاتب هذه البشارة ؟

اولاً : شهادة البشارة لكاتبها او الأدلة الداخلية :

تحمل هذه البشارة في نفسها برهان صدق نسبتها الى يوحنا كاتبها . فكما انها بشارة «الشهادة» ، فهي كذلك تشهد لكاتبها أنه : —

(١) يهوديّ : — أ — لان اسلوب الكتابة يدل على ذلك . فمع ان

البشارة كتبت باللغة اليونانية، الا ان جلّ تعبيراتها مفرغة في قالب عبريّ. ويقرّنا على قولنا هذا، اثنان من الباحثين الناقدين، وهما « كايم » (Keim) « و إوالد » (Ewald)

قال اولهما: « ان الكاتب يهودي صميم. تشبع بروح لغته الاصلية »

(ب) يؤيد هذا، إلمام الكاتب بالآراء، والعادات اليهوديّة، لدرجة يتعذر على كاتب أممي ان يجاريه فيها. فمنها: ذكره انتظارات اليهود في « مسيّا » ملكهم العتيد (١٩:١—٢٨ و٢٥:٤ و١٤:٦و١٥) وكلامه في « المعموديّة » اليهودية (٢٥:١و٢٢:٣و٢:٤) وكلامه في « التطهير » (٢: ٢٦و٢٥:٣) وكلامه في «السبت» (١٠:٥و١٤:٩) وفي «الختان» (٢٢:٧)، وفي مقام المرأة عند اليهود (٢٧:٤) وفي عادات اليهود في دفن الموتى (١١: ٤٤ و٤٠:١٩)

(ج) يدعم هذا، اهتمامه الخاص بالأعياد اليهوديّة، واتخاذها اساساً تاريخياً لتدوين الحوادث الجارية بالنسبة لها: عيد الفصح (١٣:٢و٢٣و٤:٤ و١:١٣و١٨:٨)، عيد المظال (٢:٧)، عيد التجديد (٢٢:١٠)، عيد اليهود « الفوريم » (١:٥)

لم يكتفِ الكاتب بمجرد ذكر الاعياد، لكنّه أحاطها بتفصيلات دقيقة متخطياً العقليّة الاميّة، « كانتصاف العيد »، « واليوم الاخير العظيم من العيد » (٣٧:٧)، وكون عيد التجديد يأتي في «الشتاء» (٤٢:١٠) «والاستعداد للفصح» (٣١:١٩)

(٢) يهودي فلسطيني: هذا ظاهر من معرفته الدقيقة بتفصيلات الامكنة

الجغرافية المقدّسة : كتعيينه « بيت عبرة » ، في « عبر الأردن » (١:١٨) وتحديده « عين نون » ، « بقرب ساليم » ، (٣:٢٣) . وذكره «الخزانة» ، وقوله « كانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة (١١:١٨) ، وتعيينه مكان الصلْب بالقول «وكان في الموضع الذي صُلِبَ فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد» (١٩:٤١)

قال رينان : « لا يستطيع ان يكتب بشارة يوحنا سوى شخص عرف «وادي قدرون» او وُلد على مقربة منه

(٣) هذا الكاتب اليهودي ، الفلسطيني ، هو شاهد عيان لِما كتب . هذا ظاهر من تدقيقه في ذكر بعض الاشخاص ، والازمنة ، والامكنة ، والأعداد — أمور لا يقوى على الاحاطة بها الا مَن كان شاهد عيان لِماَ حدث

من جهة الاشخاص : ذكر الكاتبُ يوحنا المعمدانَ وتلاميذه ، واندراوس ، وسمعان بُطرس ، وفيلبس ، ونثنائيل . وسجّل قول المسيح لفيلبس «من اين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء» (٦:٥و٧) ، وكلام اليونانيين لفيلبُّس «يا سيّد نريد ان نرى يسوع» ثم ذهاب فيلبس وكلامه مع اندراوس ثم كلام اندراوس وفيلبس ليسوع ، (١٢:٢١و٢٢) . وذكر سؤال توما : «لسنا نعلم اين تذهب . فكيف نقدر ان نعرف الطريق» (١٤:٥) . وسؤال يهوذا ليس الاسخريوطي : « ماذا حدث حتى انك مزمع ان تظهر ذاتك لنا وليس للعالم» (١٤:٢٢) ، واسئلة التلميذ الذي كان يسوع يحبّه : (١٣:٢٣— ٢٥و ٢١:٢٠)

اما تدقيقه في ذكر الازمنة بالتفصيل ، فيظهر من ذكره الاسبوع الاول

في خدمة المسيح على الارض (١:٢٩ و٣٥ و٤٣ و٢:١) والاسبوع الاخير (١:١٢و١٢و١:١٣ و١:١٩و٣١و١:٢٠) واسبوع القيامة (٢٦:٢٠) والتدقيق في حساب الايام المتعلقة بحادثة لعازر (٦:١١و١٧و ٣٩) ، وتدقيقه في ذكر الساعةبالذات (١:٣٩و٣:٢و٤:٥٢و ٦:١٦و١٣: ٣٠و١٨: ٢٨و ١٩: ١٤و٢٠: ١٩ و٢١: ٤)

وتدقيقه في ذكر الاعداد يظهر من :

ذكره تلميذي يوحنا (١: ٣٥)، وقوله « مئتي ذراع» (٢١: ٨)، «مئة وثلاثاً وخمسين سمكة» (٢١: ١١) ، « ستة أجران » (٢: ٦) ، «اربعة جنود» (١٩: ٢٣)

وتظهر دقّة وصفه للحوادث من : قوله عن يهوذا : «لما خرج كان ليلاً» (١٣: ٣٠) وقوله عن رائحة الطيب انها « ملأت البيت » ، ووصفه قميص المسيح انه « كان منسوجاً كله بغير خياطة » (١٩: ٢٣) ، وذكره المنديل الذي وُجِدَ في قبر المسيح (٢٠: ٧)

(٤) هذا الكاتب ، اليهودي ، الفلسطيني ، الشاهد العيان ، هو احد تلاميذ المسيح

لانه مُلمّ الماماً تاماً بدعوة المسيح للتلاميذ الأوّلين ، ولانه ذكر ان القيامة ثبّتت ايمان التلاميذ ، وعمقت الفرح في قلوبهم (٢٠: ٢٢) ، ولانه سجّل الحوار الذي دار بين التلاميذ انفسهم في حادثة سوخار (٤: ٣٣) ، ودوّن ما قالوه بمناسبة خطاب المسيح الوداعي (١٦: ١٧و٢٠: ٢٥و٢١: ٣و٧) ولانه عرف المكان الذي لجأ اليه المسيح وتلاميذه «الى الكورة القريبة من

البريَّة الى مدينة يُقَال لها افرايم» (١١:٥٤)، ولانه عرّف الافكار المغلوطة التي كان يفكّر بها التلاميذ اولاً ثم اصلحها لهم المسيح فيما بعد. مثال ذلك: قول المسيح عن هيكل جسده (٢:٢١و٢٢)، وعن نوم لعازر (١١:١١—١٣)، وعدم فهمهم كلام المسيح ليهوذا الاسخريوطي (١٣:٢٨) وعدم معرفة التلاميذ لشخص المسيح بعد القيامة (٢١:٤). ووصفه الدقيق لتأثرات المسيح مما يدل على انه كان على مقربة منه، فحدّثنا عن «انزعاج المسيح بالروح» (١١:٣٣و١٣:٢١)

(٥) هذا الرسول اليهودي، الفلسطيني، الذي شهد الحوادث هو يوحنا

نقرأ في خاتمة هذه البشارة (٢١:٢٤) ان كاتبها هو التلميذ الذي كان يسوع يحبّه، وقد ورد ذكر هذا التلميذ بهذا اللقب اربع مرات في البشارة (١٣:٢٣و١٩:٢٦و٢١:٧و٢٠). ويظهر من (٢١:٢) ان الكاتب هو احد اثنين: اما انه احد ابني زبدي، او هو احد التلميذين «الآخرين» الغير المعيّنين في تلك الحادثة

واذا رجعنا الى ما كتبه سائر البشيرين في هذه الحادثة، وجدنا ان الثلاثة التلاميذ المقربين من المسيح بنوعٍ خاص هم: بطرس وابنا زبدي يعقوب ويوحنا. وبما ان يعقوب مات قتلاً بسيف هيرودس في وقتٍ مبكّر (اعمال ١٢:٢)، وبما انه لا مجال للقول بكتابة بطرس لهذه البشارة اذ انه مات مصلوباً في وقت مبكّر ايضاً، وهو طبعاً غير «التلميذ الآخر» الذي كان يسوع يحبّه لانهما ذكرا معاً في مكان واحد (٢١:٢)، فلا مناص اذاً من الاقرار بان يوحنا الرسول هو كاتب هذه البشارة

وبما ان يوحنا لم يذكر اسمه بالذات في البشارة ، فمن المعقول ان وداعة « رسول المحبة » قد حملته على اخفاء اسمه الذي هو اشهر من نار على علَم في سائر الأسفار (اعمال ٣:١ و ٤:١٣) «لان المحبّة لا تطلب ما لنفسها» (١ كو ١٣:٥)

من مزايا يوحنّا انه يعرفنا باسماء الاشخاص الذين يحدثنا عنهم، فلم يكتفِ بان ذكر سمعان باسمه العادي الذي يذكره به سائر البشيرين ، بل ذكره باسمه الكامل «سمعان بطرس» او باسمه الجديد « بطرس » . وذكر توما في ثلاث مرات مقروناً بلقبه : «التوأم» (١١:١٦و٢٠:٢٤و٢١:٢). وهو الذي تفرّد بوصف الاسخريوطي بانه «ابن سمعان» (٦:٧١و١٢:٤و١٣:٢و٢٦) .

كذلك لم يسمح يوحنا لنفسه بان يذكر يهوذا الآخر من غير ان يجود عليه بكلمة تميّزه عن الاسخريوطي بل قال عنه «ليس الاسخريوطي» (١٤:٢٢)

وفي الوقت نفسه ، قد استعمل يوحنا الايجاز ، والحذق ، في ذكر اقرب المقربين اليه : فلم يذكر يوحنا المعمدان الا بالقول « يوحنا » . ولم يذكر اسم « سالومة » أمّه حياءً منه . فمن الطبيعي أن يكون قد تحاشى ذكر اسمه هو ، حياءً منه أيضاً

الأدلّة الخارجيّة :

ثانياً : اما الادلّة الخارجيّة فهي قائمة على شهادة :

بوليكاربوس (١٥٠ ميلادية). شهد بان يوحنا كتب الرسائل المنسوبة اليه ، ومن المعلوم ان كاتب الرسائل هو بعينه كاتب البشارة

بابياس الذي استشهد في ايام بوليكاربوس وشهد بان يوحنا كتب

الرسالة الاولى المنسوبة اليه و بالتالي شهد لبشارته. و باسيليوس (١٢٥) ميلادية، اقتبس من البشارة الرابعة. و يوستينوس (١٥٠ ميلادية) ذكر البشارة الرابعة في كتاب وضعه سنة ١٤٦ ميلادية وفيه اقتبس قول يوحنا المعمدان عن المسيح «لست انا المسيح بل اني مرسل امامه .. ينبغي ان ذلك يزيد وأني انا انقص» (يوحنا ٣:٢٨و٣٠) . واقتبس أيضاً كلمات المسيح لنيقوديموس عن الولادة الجديدة ، الواردة في يوحنا ٣:٣ — ٥

و يوستينيانوس نادى بتعليم يوحنّا ان المسيح هو الكلمة

وثاوفيلس الانطاكي (١٧٥ ميلاديّة) اقتبس من البشارة وذكر مؤلفها وكذلك اثيناغوروس (١٧٦ ملادية)

ولا يسعنا ان نغفل الأثر النفيس الذي اكتشفه موراتوري الشهير ونشره ، وهو مكتوب عام ١٧٠ بعد الميلاد . وقد جاء فيه ما يأتي :

«ان مؤلف البشارة الرابعة هو يوحنا ، أحد التلاميذ . لانه اذ تقدّم اليه بعض من رفقائه التلاميذ ، والاساقفة ، طالبين اليه ان يكتب بشارة ، قال لهم لننصرف جميعاً للصوم والصلاة مدة ثلاثة ايام . ثم بعد ذلك نجتمع معاً لنتذاكر ما أعلنه الله لنا . وفي احدى الليالي الثلاث اعلن الروح القدس لاندراوس احد التلاميذ بان يؤلف يوحنا بشارة باسلوبه الخاص . ولما اجتمع التلاميذ معاً ليتذاكروا ما اعلن الله لهم ، سمعوا يوحنا يقول «.. الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ، ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة .. نخبركم بالحياة الأبديّة التي كانت عند الآب وأظهرت لنا . الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا »

من هو يوحنا كاتب هذه البشارة ؟

كلمة « يوحنا » هي مختصر كلمة «ياهو حنان» اي «الرب يتحنّن» . وُلد يوحنا في أيام حكم اول قياصرة الرومان ، وامتدت به الايام حتى بلغ ايام تراجان فلامس حدود القرن الثاني للميلاد . و بذلك اضحى أطول الرسل عُمراً ، وأبقاهم على قيد الحياة

وُلِدفي بلاد فلسطين مهبط الوحي والالهام ، ومهد الرسالة والنبوّة. هذه بلاد شعريّة حسّاً ومعنى ، لذلك يسميها اليهود سا كنوها « كنورت » اي القيثارة كما يدل عليها شكلها

اذا قيس كل بلد بحدوده الجغرافية ، حُسِبت فلسطين من أصغر بلاد العالم . فهي لا تزيد في عرضها عن ٥٠ ميلاً ولا تبلغ سوى ١٨٠ ميلاً في الطول . لكن اذا قيس كل بَلَد ، بما أنجبه من الرجال العظام ، ومن قادة الرأي في البشرية ، فان هـذه البلاد الصغيرة تُحسب في مقدمة بلاد العالم عظمةً وجلالاً . هذه بلاد ترعرع فيها سليمان ، وملك فيها داود ، وتغنّى فيها اشعياء ، بشعره الخالد . فضلاً عن ذلك ، فقد صارت مهبط تجلّي الله في السحاب على الهيكل المقدس ، وفوق الكل قد خرج منها مخلّص البشرية — يسوع المسيح ، الذي هو « بهاء مجد الله ورسم جوهره ، وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته »

في مقاطعة الجليل الواقعة شمالي فلسطين ، وفي مدينة بيت صيدا — مكان الصيد — عاش يوحنا كاتب البشارة المنسوبة اليه . في شبابه كان

نكرة بين صيادي الاسماك ، وفي رجولته وشيخوخته اضحى علماً في مقدمة صيادي الناس !

كان مسقط رأس يوحنا في قرية قريبة من بحر الجليل تكتنفها مروج تابور الخضراء ، وتشرف عليها قمم جبال حرمون الثلجية البيضاء ، فكان من الطبيعي ان ينشأ يوحنا في هذه البيئة الطبيعية الجميلة ، وله عين النسر ، وقلب الشاعر ، وعقل الفيلسوف ، وروح العابد المتصوف

أمّا ابواه فهما زبدي وسالومة . كان والده في الغالب على جانب من نعيم هذه الحياة . لان عدداً من الخدم المأجورين كان في حيازته لمساعدته في اصلاح الشباك (مرقس ١:٢٠) . وكان ايضاً يملك بيتاً . وكان يوحنا نفسه معروفاً لدى قيافا رئيس الكهنة

اما أمّه فقد كانت سيّدة فاضلة تقيّة . وكانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد المسيح

إذاً كان يوحنّا من عائلة شريفة مع انه كان متخذاً مهنة الصيد حرفةً له . لان عادات اليهود كانت تقضي على ابناء الاشراف ان يتعلموا حرفةً ما

ويُستنتج من عدم ورود اسم والد يوحنّا بعد ما صار ولداه تلميذين ليسوع ، انه كان قد مات في ذلك الوقت

ذهب يوحنا عند بُلوغه السادسة من عمره الى المدرسة التي كان يذهب اليه ابناء اليهود الاشراف والاوساط — وهي المعروفة «بالمدراش» . فيها تعلّم مبادئ القراءة واستظهر شيئاً من التوراة والتلمود . لان اليهود يعتقدون «ان

العالم محفوظ ببركة ابناء المدارس» ، « وان المدينة الخالية من مدرسة مآلها الخراب »

تربى يوحنا في تلك المدرسة على التعصّب وكراهية شعب السامرة فلا عجب اذا كان قد دُعِي مع اخيه «ابني الرعد» . . ولا يبعد ان تربيته الاولى عند قدمي يوحنا المعمدان قد زادت طبعه حدّة . . اليس من العجيب ان يخلق المسيح من احد « ابني الرعد » ، «رسول المحبة » ؟

ظلّ هذا التلميذ اميناً لسيّده ، ملازماً له حتى النهاية . وفي ليلة تسليم المسيح ،تبعه الى دار رئيس الكهنة—عن قُرب لا عن بعد كما فعل بطرس— وعند الصليب ظلّ اميناً متفيّئاً بظلّه فأخذ من المسيح اجلّ وديعة ، اذ اوصاه بالعناية بأُمّه

لم يكن يوحنا في كتاباته مُرعداً ولا مبرقاً ، لكنه هادئ كالنسيم ، وراء قلمه السيّال تجري كلماته كالزيت . فهو لا يجادل ولا يحاجّ بل يسرد كلامه كمن يؤدي شهادة تحمل معها برهان صدقها في حياء من غير خوف ، وفي عزةٍ واباء من غير ادعاء

حسناً قال فيه يوحنا «فم الذهب» : «ان صوت يوحنا الرسول قد ملأ جوّ أرضنا بعبير نعمته لا بتعبير نبراته»

كانت الكنيسة الأُولى تلقّبه « بالنسر » الطائر ، لانه ارتفع في سماء الوحي ، فبلغ مرتبةً لم يبلغها سواه. وقال فيه اغسطينوس : « مع أن سائر البشيرين ظلوا على الارض مع يسوع الانسان ، ولم يذكروا سوى القليل

عن لاهوته ، الا ان يوحنا جاءنا محاقاً في الملأ الاعلى ، فسما فوق الملائكة حتى بلغ حضرة الله «الذي منه و به وله كل الاشياء»

لقد اجادت الكنيسة اذ خلعت عليه هذا الوصف لانه كان اسبق التلاميذ الى معرفة المسيح عند بحر طبرية ، فقال « هو الرب » ، فلا غرابة اذا لقبته الاجيال « يوحنا الرائي »

و بقدر علوه كان أيضاً عمقه ، لذلك سمي ايضاً « اللاهوتي »

لقد توفرت في يوحنا كل المعدات اللازمة لكتابة بشارته . ألم ينتفع كثيراً من وجود مريم ام المخلص معه في بيته بعد صلب المسيح ؟

في غلاطية ١:٢٨ يصفه بولس بأنه « أحد أعمدة الكنيسة الأولى» الذين اجتمعوا به ليحكموا في قضية الختان ، بعد مضي خمس عشرة سنة على زيارته الاولى لمجمع اورشليم سنة ٥٠ ميلادية (اعمال١٥ :٢٢ مع غلا ٢ :٩)

و يستفاد من رؤيا١ :٩ان يوحنا نفي في اواخر ايامه في جزيرة بطمس. وكل ما نعرفه عدا ذلك،قد أتانا عن التقليد، وهو يتفق والأوصاف المذكورة فيما سبق

وقد جاء عنه في التقليد — الاحاديث المسيحية : انه رفض البقاء مع كيرنثوس — الذي انكر تجسد المسيح — تحت سقف واحد . فما اشد الغيرة التي تولدها المحبة المقدسة !

و يصوره التقليد لابساً الصدرة المخصصة لرئيس الكهنة

و يقول ايرونيموس انه لما كان يوحنا في افسس ، وتقدم كثيراً في السن ، وكان يحمله تلاميذه الى الكنيسة على أذرعهم ، وصار غير قادر على

اطالة الـكلام، بقي مراراً عديدة،وكل مواعظه منحصرة في قوله: «ايها الاولاد احبوا بعضكم بعضاً». ولما سئمَ بعضهم تكرار هذه الكلمة، وقالوا له: «يامعلمّ لمَ اقتصرتَ على هذه العبارة» اجابهم: «هذه وصية المسيح وكفى. لان من حفظ هذه الوصية، فقد حفظ الكل»

هنالك في تلك الجزيرة النائية — «بطمس» — التي كان يفصلها بحر عظيم، عن أفسس مقر خدمة يوحنا وعمله، هنالك قضى يوحنا ايامه الاخيرة فارتقى برؤياه فوق الابعاد وانتصر على المسافات، وقال: «والبحر لا يوجد فيما بعد»

مكان كتابة البشارة، وزمانها، وغايتها

لقد حدث حادثان مهمان، بعد كتابة البشائر الثلاث الأول. اولهما: خراب اوشليم، والثاني: تأثر بعض المسيحيين بالفلسفة اليونانية المعاصرة. وكلاهما كان يدعو الى كتابة بشارة تُظهر الجانب الروحي من ملكوت الله، بعد انهيار صرح الملكوت الارضي الزمني، الذي كان محط آمال اليهود، وفي الوقت نفسه تظهر الحقائق الروحية الباطنية، التي تسمو فوق الفلسفة اليونانية بمقدار ما يسمو الجوهر على العرَض

وبما ان بشارة يوحنا لا تتضمن اشارة الى خراب اورشليم، فيستدل من هذا انه كان قد مضى وقت كافٍ على هذه الحادثة التاريخية. وبما ان يوحنا لم يبدأ خدمته في افسس الا بعد سنة ٧٠ ميلادية. وبما انه عاش، بشهادة ايريناوس، حتى بلغ حكم تراجان ٩٨—١١٧ م فمن المرجح جداً ان يكون قد كتب بشارته بين ٩٥—٩٨ م

وغرض يوحنا من تأليف بشارته، اثبات كون يسوع الناصري هو المسيح ابن الله . دحضاً للبدع التي كان حينئذٍ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة ، كبدع الدوكينيين ، والاغنستيين ، والكيرنتيين والابيونيّين وتلاميذ يوحنا المعمدان . وكان الدوكينيون والاغستيون يقولون ان جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً . والكرنتيون يجحدون لاهوته . والابيونيُّون يقولون انه لم يكن له وجود قبل مريم أمه . وتلاميذ يوحنا كانوا يفضلون معلمهم عليه . فلما رأى اساقفة اسيًّا هـذه الأضاليل تفشو في كنيسة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف انجيله ، فكتبه وانبأ فيه بميلاد المسيح الازلي ، وصرح بفضله على يوحنا المعمدان ، وذكر ما دعت الحال الى ذكره في تفنيد تلك البدع ، واثبات لاهوت المسيح كما قال في ٢٠:٣١ « وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه»

التفسير

الاصحاح الاول

الديباجة

١:١—١٨

تذكرنا هذه الديباجة بديباجة سفر التكوين. فما اكثر ما بينهما من أوجه الشبه وأوجه التباين. فمن اوجه الشَبَه ان الديباجتين تبدآن بكلمة واحدة: «في البدء». وفي العدد الثالث من كلّ منهما تتجلّى لنا علة الخلق «قال الله» (تك ١:٣): «كل شيءٍ به (بالكلمة) كان» (يو ١:٣). في ديباجة التكوين نجد ذكراً «لروح الحياة، والنور» (تك ١:٢و٣)، وفي ديباجة بشارة يوحنا نجد القول «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو ١:٤)

هذه بعض أوجه الشَبَه، واليك بعض أوجه التباين: ان موسى ويوحنا التقيا معاً عند كلمة «في البدء» (تك ١:١، يو ١:١)، ثم انحدر موسى متمشياً مع التاريخ حتى حدثنا عن المخلوقات، وارتقى يوحنا صاعداً حتى ارانا من هو علة الخلق. مثلهما مثل شخصين التقيا عند نقطة في نهر، ثم انفصلا، فمضى اولهما متتبعاً مجرى النهر حتى بلغ مصبه، وارتقى ثانيهما الى اعالي النهر حتى اكتشف منبعه

على ان التشابه بين الديباجتين لا يخرج عن كونه ظاهرياً لفظياً.

١ في البدء

« فالبدء » الذي تحدث عنه موسى ، غير البدء الذي يُحدثنا عنه يوحنا .
«البدء» في التكوين هو بدء الخليقة ، لكن البدء في يوحنا هو البدء المطلَق
الذي عنده ينتهي الفكر ، او هو البدء السابق للزمن « قبل كون العالم»
(يو ١٧: ٥و٢٤)

من هذا « البدء » ارتفع يوحنا بجناحي النسر ، فرأى المسيح موضوع
بشارته ، وكما رآه حدثنا عنه . في هذا يتميَّز عن متى الذي رأى المسيح لكنه
رجع بتاريخه الى سلسلة نسبه — حتى انتهى الى ابرهيم ، (عن لوقا الذي
رأى الفادي فتتبع سلسلة نسبه راجعاً حتى بلغ آدم ، وعن مرقس الذي رأى
المخلِّص فرجع بتاريخه الى نبوات العهد القديم — لكنَّ يوحنا رجع بنسب
المسيح الى البنوَّة الازلية

تتضمن هذه الديباجة أربعة افكار رئيسيَّة . اولاً : الكلمة في جلاله ١:
١ —٥ ثانياً : الكلمة في ظهوره ١: ٦—٩ ثالثاً : الكلمة المرفوض ١: ١٠و١١
رابعاً : الكلمة المقبول ١: ١٢—١٨

فالعدد الخامس هو نقطة الانتقال بين الفكر الاول والثاني ، كما ان العدد
الثاني عشر يكوّن حلقة الاتصال بين الثاني والثالث

اولاً : الكلمة في جلاله ١: ١—٥ . يحدثنا هذا الفصل الموجز عن :
(أ) الكلمة في جلاله الذاتي ١: ١ (ب) الكلمة في جلاله النسبي ١: ٢
—٥ اما جلاله الذاتي فيتضح لنا من كونه : (١) منشئ الخلق في مشورة الله
ع ٢ (٢) علة الخلق , عدد ٣ .(٣) نبع الخلق , ومصدره ع ٤ و٥

كان الكلمة

عدد ١ . (أ) الكلمة في وجوده الذاتي ١:١ «في البدء كان الكلمة» — هذا هو الكلمة في أزليّته . « والكلمة كان عند الله » — هذا هو الكلمة في ذاتيته . «وكان الكلمة الله» — هذا هو الكلمة في طبيعته . هذا هو الوصف الثلاثي الذي به يصف يوحنا جلال الكلمة الذاتي في العدد الاول من بشارته

الكلمة في ازليّته — «في البدء كان الكلمة» . «الكلمة» ! ما اعمق هذا الوصف العجيب الذي وُصف به المسيح هنا اذ وُصِف بـ « الكلمة » ، وفي اليونانية «لوجوس» !

لقد هيأت العناية افكار البشر ، لفهم هذه اللفظة : « الكلمة » قبل ان نطق بها يوحنا . فالعقلية اليهودية كانت قد ألفتها من كتابات « أنقيلوس » اليهودي الذي ترجم التوراة من العبرية الى الارامية في القرن الثالث قبل الميلاد وفي ترجمته استعاض عن اسم الجلالة بلفظة «ممرا» — وتقابلها في العربية: «الكلمة» — في المواضع الآتية : تك ٣:٨ ؛ ٧:١٦ ؛ ٢١:٢٠ ؛ ٢٨:٢٠ ؛ وخروج ١٩:١٧

اما العقليّة اليونانية فقد كانت مشبّعة بلفظة «لوجوس» من كتابات فيلو الفيلسوف الاسكندري . غير ان المعنى الذي تحملة « الكلمة » في كتابات يوحنا يسمو عن معناها في آداب اليونان . كان اليونان يشيرون بـ«الكلمة» الى الذهن ، والفكر ، لكن يوحنا اراد بها الذات والشخصية . فوصفه المسيح « بكلمة الله » لا يقتصر معناه على ان المسيح هو الكلمة التي نطق بها الله

والـكلمة كان عند الله

بلسان انبيائه، بل يُراد به ان المسيح هو ذات الله المتكلم. فاذا كان الله قد تكلم بواسطة أنبيائه لكنه كلَّمنا في المسيح. مَن سمع المسيح قد سمع الله بالذات ومن رآه فقد رأى الله.ان «الكلمة» في يوحنا هو علة الكون (١:٣)، وهو الذي ظهر قديماً لاشعياء (قابل يو ١٢:٤١ مع اشعياء ٦)، وهو الذي بقبوله يُولد المرء ثانية (يو ١:١٢و١٣)، وهو صاحب السلطان المطلَق على كل ذي جسد (يو ١٧:٢).

ان «كلمة» شخص ما، هي ما يعبّر به عن نفسه، وهي اداة اتصاله بالآخرين، وتفاهمه معهم. بكلمته يُظهر فكره. ويلقي اوامره، و يبلغ ارادته فالكلمة تحمل معها الشخصية بما فيها من ذات وصفات. فهي اذاً ليست مجرد حروف تتصل بعضها بعض، لكنها صورة، من ورائها العقل، ومن وراء العقل الذات، ومن وراء الذات الجوهر

في امكان المستمع ان يعرف المتكلّم من كلامه، ولو كان المستمع ضريراً فكلمة المتكلم هي الرسم الذي أُفرغت فيه الذات. «وكل من رأى المسيح فقد رأى الله» فهو كلمة الله، وهو صورة الله غير المنظور، ورسم جوهره

«وكلمة الله» هو الشخصية المتمثلة فيها قدرة الله. الآمرة والناهية في الكون.لذلك قيل ايضاً فيه «حامل كل الاشياء بكلمة قدرته» (عب ١:١—٣)

ان العبارات الثلاث الواردة في العدد الاول تمشي في ترتيب عكسي مع الثلاث العبارات الواردة في عدد ١٤

وكان الكلمة الله. ٢ هذا كان في البدء

عدد ١	عدد ١٤
«في البدء كان الكلمة» — (في الازل)	«الكلمة صار جسداً» — (في ملء الزمان)
«الكلمة كان عند الله» — (مستقل في كيانه مع الله)	«حلَّ بيننا» — (مع الناس)
«كان الكلمة الله» — (ذو جوهر واحد مع الله)	«صار جسداً» — مشاركا للناس في اللحم والدم

هذا الاعلان المثلث هو أساس بشارة يوحنا، وموضوعها وهو هو برنامج الفداء: «في البدء كان الكلمة» — هذه حجة دامغة ضد القول بان المسيح وُجد مع الزمن عند التجسد

«كان الكلمة عند الله» — هذا برهان قاطع على ان المسيح ذو شخصيةٍ مستقلة في كيانه، وعلى أنَّ له اقنوماً متحداً بالله من غير امتزاج، مستقلاً عنه من غير انفصال

كُررت كلمة «كان» ثلاث مرات على التوالي مع «الكلمة»، وهي لا تفيد الماضي الذي انقضى بل تعيّن الكيان المطلق المستمرّ، المشفوع بالدوام المتواصل — «كان ولم يزل». «كان الكلمة الله» — هذا تعبير يصف المسيح في طبيعته — له طبيعة الله وجوهره

(ب) الكلمة في جلاله النسبي (٢:١ — ٥) :—

عدد ٢. (١) *الكلمة من حيث كونه منشئ الخلق في مشورة الله*: ٢:١ — «هذا كان في البدء عند الله»

يلوح لنا ان «البدء» في العدد الاول، غير «البدء» في العدد الثاني.

عند الله. ٣ كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان

«البدء» في العدد الاول يشير الى الازل المطلَق—قبل كون العالم. «والبدء» في العدد الثاني يشير الى بدء الخليقة—البدء الذي استهلّ به سفر التكوين. كذلك نجد ايضاً فرقاً بين العبارة «عند الله» في كل من العددين. في العدد الاول تشير الى المعيّة المطلقة. وفي العدد الثاني تشير الى المعيّة عند الخلق (امثال ٨ :٢٢—٣١)

عدد ٣. (٢) *الكلمة من حيث كونه علة الخلق* ١ :٣. «كل شيءٍ به كان» —هذا وصف جامع، «وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان» — هذا وصف مانع. ان هذا الوصف الجامع المانع ينفي كون المسيح أحد الخلائق، ويهدم المذهب الافلاطوني القائل بازلية المادة، وينقض مذهب الغنوسيّين المدّعي بأن الملائكة هم علةّ الخلق وأداته

غير ان كلمة «به» لا تنقص من قدر المسيح كخالق، ولا تجعله مجرد أداة للخلق، فان هذه الكلمة عينها: «به» قيلت عن الله الخالق (رومية ١١: ٣٦؛ غلاطية ١ :١؛ عب ٢ :١٠). ألم يقل الله عن ذاته: «بي تملك الملوك» (امثال ٨ :١٥)؟

وقد ذُكر هذا الوصف بجانبيه الايجابي والسلبي من قبيل التوكيد. والتوكيد في الوحي له دلالات عدّة. فالتوكيد في الصلاة يفيد اللجاجة، وفي النبوة يعني اليقين، وفي المواعيد يراد به التشجيع، وفي الوعيد يُقصَد به المفاجأة وفي الاسرار الالهيّة يدعو الى التسليم

٤ فيه كانت الحيوة والحيوة كانت نور الناس . ٥ والنور يضيء في

ع ٤و٥ (٣) *الكلمة من حيث كونه نبع الخلود ومصدره* ١:٤و٥ . «فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس ، والنور يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه»

كما ان عددي ١و٢ مهّدا للكلام عن الخلق في عدد ٣ ، كذلك عدد ٤ يمهّد للكلام في عدد ٥ . وفي هذين العددين ٤ و٥ نجد تدرجاً من الحياة الذاتية الى الحياة المنبعث منها النور للخليقة الساقطة . من « به » الى «فيه» . ما اشبهه بالتدرج الوارد في كولوسي ١:١٦و١٧ «الكل به وله قد خلق . . . وفيه يقوم الكل» — اي ان العالم بعد أن تمّ خلقه بالمسيح ، لا يزال محفوظاً فيه . فالمسيح علة خلق العالم ، ومصدر كيانه و بقائه

يتألف هذا العددان ٤ و٥ من اربعة مقاطع . كل مقطع منها يبتدئ بالكلمة التي بها ينتهي المقطع السابق ، كدرجات سلّم تقوم احداها على الاخرى - «فيه كانت الحياة — والحياة كانت نور — والنور يضيء في الظلمة — والظمة لم تدركه»

الظلمة المقصودة هنا ، هي ظلمة روحية — ظلمة السقوط ، بل هي ظلمة البشرية الساقطة . ألم يقل الله « لانكم كنتم قبلاً ظلمة » (افسس ٥:٢٨) ؟ فالبشر الساقطون ليسوا مظلمين وكفى ، ولا هم مجرّد عميان لا يبصرون ، بل هم الظلمة مجسّمة

غير ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد — حتى في احلك الاوقات « والنور

الظلمة والظلمة لم تدركه. ٦ كان انسان مرسل من الله

يضيء في الظلمة» ليضيء للذين يريدون ان يروا، وليدين الذين اختاروا العمى الروحي لانفسهم

كلمة «لم تدركه» تفيد اربع درجات متتابعة : (أ) عدم الاكتراث لوجود النور (ب) عدم فهم كُنه النور وسره (افس٣:١٨) (ج) عدم البلوغ والوصول الى النور لنواله (رو ٩:٣٠ وفيلبي ٣:١٣) (د) عدم الانتصار على النور، والعجز عن الظفر به (أفسس ٥:٤)

عدد ٦. ثانياً: الكلمة في ظهوره ١:٦—٩

في الاعداد السالفة، رأينا الكلمة في كيانه الازلي، وفي الاعداد التي أمامنا نرى الكلمة في ظهوره، واول من نادى به وشهد له، يوحنا المعمدان حلقة الاتصال بين العهدين

«كان انسان . . . . اسمه . . . . هذا . . . » — هذا اسلوب خاص بيوحنا البشير. ما اشبهه ببدء الاصحاح الثالث : « كان انسان . . اسمه . . هـذا . . » التعبير «كان . . . هذا » شبيه بالتعبير عن المسيح في استهلال هذه البشارة «كان هذا . . . » (١:١و٢)

تصف لنا هذه الاعداد الشخص الذي أعدّته العناية الالهية ليكون اداةً لاظهار «الكلمة» للناس. فهي تصفه في (أ) حقيقته «كان». ما اعظم الفرق بين «كان» المستعملة هنا (ع٦) و بين «كان» التي وردت ثلاثاً في العدد

اسمه يوحنا. ٧ هذا جاء للشهادة ليشهد للنور

الأول عن المسيح. هذه تفيد الوجود الحادث في زمن معين، ومعناها الحرفي «نشأ» اما تلك فانها تفيد الوجود المطلق الازلي. يوحنا « مرسل من الله »، و «الكلمة» هو الله. هذه شهادة صادقة لانها جاءت من شخص كان تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل ان يكون تلميذاً للمسيح، (فهو عارف بحقيقتهما. في هذا يصدق القول: «وشهد شاهد من أهلها» ب) اسمه — «يوحنا» ومعناه «الرب يتحنن» وقد تسمّى يوحنا بهذا الاسم بعناية إلهية خاصة (لو ١: ١٣). ومما يسترعي الالتفات، ان البشير لم يذكر يوحنا المعمدان بلقبه، بخلاف سائر البشيرين الذين احتفظوا في كتاباتهم بلقب «المعمدان» تمييزاً له عن يوحنا البشير، أما البشير، وقد تغاضى عن وجود شخصيته لم يجد داعياً لهذا التمييز، حياء منه واتضاعاً، ورغبة منه في إخفاء نفسه. وربما لان لقب «المعمدان» لم يُخلع على يوحنا الا بعد ان ذاعت شهرته. لكن يوحنا البشير وهو احد تلاميذ المعمدان الاولين، كان قد عرف استاذه مجرداً عن هذا اللقب، فاحتفظ بعذوبة هذا الاسم، خلواً من كل لقب

عدد ٧. (ج) غاية حياته « هذا جاء ليشهد للنور» ١: ٧. اذاً لم تكن حياته مجرد ايام يقضيها على الارض، بل كانت تحمل معها رسالة خاصة لعمل خاص — الشهادة. «الشاهد» لغة هو « اللسان » فيقال «ما لفلان رواء ولا شاهد» ومعناه «ما له منظر ولا لسان». والشهادة هي الخبر القاطع. فالشاهد اذاً هو من يرى رؤيا واضحة، ويقتدر على الافصاح عمّا رأى بكل دقة وامانة، بلسانه

لكي يؤمن الكل بواسطته . ٨ لم يكن هو النور

وبحياته وان لزم الامر بموته ايضاً. لان الشهادة والاستشهاد مشتقان من مصدر واحد . وكذلك شهد يوحنا بلسانه الفصيح ، وحياته النقية الجريئة ، وموته البري ، فاضحى شاهداً وشهيداً

«ليشهد للنور» — وهل من حاجة للنور الى الشهادة ؟ أليس النور خير شاهد لنفسه ؟ بلى . ولكن الناس يحتاجون الى الشهادة عن النور—المسيح ، لان المسيح لم يأتنا في شكل ممجد بل أتانا في « شبه الناس » . فكان من الضروري ان يحتاج الناس الى من يوجه نظرهم اليه ، سيما لان جلّ البشرية عائش في وادي الظلمات

(د) غاية رسالته : « لكي يؤمن الكل بواسطته » والمقصود بهذا ، ان الانجيل العام المقدَّم لجميع الناس، قدمته كرازة يوحنا بالتوبة الممهدة للايمان . «والكل» هنا، هم كلُّ مَنْ يؤمن من جميع الطبقات . والهاء في «بواسطته» تعود على يوحنا المعمدان لا على المسيح . فالمسيح هو موضوع الايمان، ويوحنا المعمدان هو واسطة البشارة . والطريق الذي رسمه الله للخلاص ، قد رسمه لكل الناس سواء بسواء من دون تمييز

عدد ٨ . (هـ) طبيعته : «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور»—يُستنتج من هذه الآية ، ومن سواها مثل ١: ٢٠ ، ٣: ٢٨ ان يوحنا البشير يجابه ضلالةً كانت قد فشت وقتئذٍ . وكان يرمي مروّجوها الى مساواة يوحنا المعمدان بالمسيح ، فقرّر البشير ان المعمدان لم يكن هو النور ، بل لشهد للنور . وكل

بل ليشهد للنور . ٩ كان النورُ الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى
العالم . ١٠ كان في العالم وكوّن العالم به

ما قيل عن المعمدان في هذا الباب هو انه « سراج » (٥:٣٥) وشتان بين السراج والنور

ع ٩ — ١١ . بعد ان وصف البشير خدمة يوحنا المعمدان انها شهادة للنور تقدّم ليوضح لنا في هذه الاعداد، عمل هذا النور، وتأثر الناس به

عدد ٩ . *عمل النور* . « كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم» . إمّا ان نعتبر كلمة «النور» خبر كان، واسمها مستتر جوازاً تقديره هو — اي المسيح ، او ان نعتبرها اسم كان ، وخبرها « آتياً » . فان اخذنا بالرأي الثاني ، كان معنى هذا العدد ان المسيح ، عند شروع يوحنا المعمدان في تأدية شهادته، كان يتهيأ للدخول الى خدمته الجهاريةّ في العالم. وقد تحمل اشارة الى الادوار المتدرّجة في تدبير التجسُّد . ويجوز — كما في الاصل ايضاً — ان نعتبر كلمة «آتياً» صفة لـ « كلّ انسان» ، بذلك يُحمل المعنى على الوجه الآتي : ان جميع الناس الذين يدخلون الى العالم ، يستمدُّون نور بصائرهم من المسيح وحده — سواء في ذلك من كان منهم مسيحياً مؤمناً مستمتعاً بالانارة الخاصة، او من كان غير مسيحي مستنيراً بالانارة العامة ، التي تنير الذهن والضمير لكنها لا تتعداهما الى النفس فتغيرها

عدد ١٠ في العدد الماضي ارانا البشير عمل المسيح كنور مشرق في العالم ، وفي الجانب الاول من هذا العدد يرينا اياه باعتبار كونه علة خلق العالم . فاذا

ولم يعرفه العالم. ١١ الى خاصته جاء

كانت الحياة نور الناس (عدد ٤) فان النور هو حياة العالم (عدد ١٠). إنَّ في هذا العدد استدراكاً لما يمكن ان يتبادر الى الذهن من قوله «آتياً الى العالم» — كأن يُفهَم خطأ ان حياة المسيح بُدئت عند التجسُّد. لذلك قرَّر البشير، بقوله «كان في العالم» ان المسيح كان موجوداً قبل التجسّد، وانما أُظهر للعالم عند التجسُّد، وان العالم كُوِّن به، فهو الذي خلق العالمين، وهو الذي هدى اسرائيل وعالم «جميعهم اكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لانهم كانوا يشربون من صخرة روحيَّة تابعتهم. والصخرة كانت المسيح» (١ كو ١٠:٣و٤) هذا تؤيده شهادة المسيح امام اليهود: «ابوكم (ابرهيم) تهلّل بان يرى يومي فرأى وفرح .. قبل ان يكون ابرهيم انا كائن» (يو ٨:٥٧و ٥٩)

ثالثاً: الكلمة المرفوضة ١:١٠و١١

عدد١٠ (ب) و١١ مبلغ تأثر الناس بهذا النور ١:١٠ (ب) و ١١ «ولم يعرفه العالم. الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله». هنا ينتقل الوصف من التعميم: «العالم» الى التخصيص: «خاصته»، ويتدرَّج من الكلام عن التغافل السلبي الناتج عن الجهالة «لم يعرفه»، الى المقاومة الايجابيَّة الناتجة عن العناد والتعصُّب «لم تقبله». ان تهمة تجاهل المسيح منصبَّة على العالم — اي البشر الذين لم يعرفوا المسيح من الطابع الخاص الذي طبعه المسيح على العالم اي الكون المادّي — . ووجه مسئولية العالم في هذا التجاهل هو ان الله أودع

وخاصته لم تقبله

نوراً طبيعياً في ضمائر جميع الناس «حتى انهم بلا عذر» (رومية ١:١٩—٢٣) اما خطيَّة الرفض فهي موجَّهة الى اليهود — خاصته — الذين لم يعرفوا المسيح من نور اعلانات العهد القديم ولا من نور شهادة يوحنا المعمدان. الكلمة المترجمة «خاصته»، ترجمتها الحرفيَّة «بيته» كما في (١٩:٢٧). وفي العهد القديم استعملت «خاصته» عن الهيكل (ملاخي ٣:١)، وهي ايضاً تفيد الملكيَّة (مزمور ١٣٥:٤ وخر ١٩:٥). اليس من المحزن ان اليهود، وهم اهل بيت الله، رفضوا المسيح، وانتهى بهم هذا الرفض الى صلبه، فأمسى غريباً في بيته، مُهاناً من أهله وعشيرته؟ هذا تاج خطية البشريَّة

يلاحظ ان عددي ١٠و١١ يتمشيان معاً في توازن طباقي، وكل منهما يصف حقيقة مثلثة

عدد ١٠	عدد ١١
(١) حقيقة حاله: «كان في العالم»	«جاء»
(٢) مجال ظهوره: «كون العالم به»	«الى خاصته»
(٣) مآل شهادته: «لم يعرفه العالم»	«خاصته لم تقبله»

رابعاً: «الكلمة» المقبول ١:١٢—١٨

اذا كان اليهود كشعب، قد رفضوا المسيح، إلا ان افراداً من المؤمنين — من اليهود والامم — قد قبلوه. ومحور الكلام في هذا الفصل يستند الى حقيقتين (١) امتياز قبول الكلمة (١:١٢و١٣). (٢) تجسد الكلمة المقبول

١٢ واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله

(١:١٤—١٨) . اما امتياز قبول الكلمة فالكلام يتناوله من حيث (ا) حقيقته عدد ١٢ (ب) خواصة عدد ١٣ . والكلام عن تجسد الكلمة له جانبان — الجانب الاوّل : حقيقة التجسُّد عدد ١٤ (ا) الجانب الثاني : الشهادة المثلَّثة لهذا التجسُّد (١٤ (ب) — ١٨)

عدد ١٢ —ا— **حقيقة امتياز قبول الكلمة** ١:١٢ . « وأما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنين باسمه» — هذا هو الامتياز من حيث حقيقته — هو سلطان البنوّة لله . «وأمَّا» — ذكرت هذه الكلمة استدراكاً لما قبلها، وتحقيقاً لما بعدها. «وكلّ» تفصيليةٌ تعميمية . فهي تعني ما يليها افراداً لا جماعات ، فالكلام عن الرفض في العدد السابق يتناول اليهود كأُمَّة ، والعالم ككتلة ، لكن الكلام عن الايمان مخصّص للمؤمنين افراداً . غير ان كلمة « كل » ليست قاصرة على المؤمنين من اليهود فقط ، بل هي تعميمية تشمل افراد المؤمنين من كل امة وفي كل جيل. «الذين قبلوه» هم الذين رحّبوا به في قلوبهم فصاروا «خاصتَّه» الروحية الحقيقيَّة وبذلك نالوا امتياز البنوّة لله — ذلك الامتياز الذي حُرِم منه اليهود بسبب عدم ايمانهم. فمع ان اليهود يدَّعون باطلاً انهم ابناء ابرهيم الا ان المؤمنين بالمسيح هم ابناء الله بحق وسلطان ، وقد أُعطوا هذا الحق والسلطان من الله رأساً . فما اكرم هذا الضيف السَّخيّ الذي يحلّ في قلب من يؤمن به فيمنحه هبتين — احداهما : نسبة جديدة تربطه بالله — « أبناء الله » . والثانية : حقاً

أي المؤمنون باسمه

جديداً ينال به بركات هذه البنوّة — «سلطاناً» . ومما يدعو الى الالتفات ان يوحنا ألبس هذه النسبة الجديدة ثوباً غير الثوب الذي ألبسها اياه بولس . يوحنَّا يصفها بالقول « أولاد الله » . لكن وصف بولس لها هو « ابناء الله » (غلاطية ٤:٦).ذلك لان يوحنا يصف هذه النسبة في طبيعتها و بولس يصفها في بركاتها . اولها نظر الى جذع الشجرة والثاني نظر الى ثمرها

ليست حقيقة التبنّي قاصرة على معلنات العهد الجديد . فلقد ذكرت في العهد القديم أربع مرّات (مز ١٠٣:١٣ واشعياء ٦٣:١٦ وارميا ٣١:٢٠ وهوشع ١١:١) . لكنها أُطلقت في العهد القديم على الامة كمجموع واما في العهد الجديد فقد استُعملت للفرد ، و يراد بها إيداع بزرة الحياة الروحية في قلب المؤمن

ولكي لا يترك البشير مجالاً للشكّ في تأويل معنى قبول المسيح ، أوضحه بقوله «أي المؤمنون باسمه» . فالايمان بالمسيح هو قبوله في القلب، لان الايمان هو الذي يرى الفادي ، و يثق به ، فيفتح له القلب ، ليحلّ فيه ضيفاً ، حتى يصير فيه مضيفاً ، ثم يضحى ملكاً ، ثم يكون فيه رباً

ان موضوع الايمان هنا هو « اسم المسيح » . « والاسم » هو التعبير الذي يحمل الى الفكر جوهر المسمَّى ، وذاته ، وصفاته . هذا هو موضوع الاعلانات الالهية ، بل هذا هو روح النبوَّة

١٣ الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة
رجل بل من الله. ١٤ والكلمة صار جسداً

عدد ١٣ — ب — خواص امتياز قبول الكلمة — يصف يوحنا طبيعة هذا الامتياز وصفاً مزدوجاً — سلبياً وايجابياً. اما سلبياً فعلى ثلاث درجات متصاعدة. (١) « ليس من دم » اي ليس من دم وراثي، كما كان يفتخر اليهود، عادة، انهم ابناء ابرهيم، فيباهون بسلسلة نسبهم الشريف. وفي الاصل، وردت كلمة « دم » بصيغة الجمع اشارة الى التسلسل الجنسي الذي تجتمع فيه عناصر كثيرة، وكما يقول « ماير » اشارة الى تعدد العناصر التي يتركّب منها الدم (٢) «ولا من مشيئة جسد» — اشارة الى التناسل الطبيعي في درجته السفلى — بالجسد. (٣). «ولا من مشيئة رجل» اشارة الى التناسل الانساني في درجته الراقية — بالارادة[١]. وأما ايجابياً فبكلمة واحدة: «من الله». اي بارادة الله. تدفعها محبته، وترافقها نعمته

عدد ١٤ تجسد الكلمة ١: ١٤ — ١٨. رأينا فيما سبق، حقيقة امتياز الايمان وطبيعته. وها نحن نتقدّم الى معرفة موضوع هذا الايمان: تجسُّد الكلمة، وفي عدد ١٤ نواجه حقيقة التجسُّد في كلمتين — احداهما: التجسُّد كحقيقة مطلقة « والكلمة صار جسداً ». « صار » لا تفيد التحوُّل. فهي ليست من قبيل القول: « صار الطفل رجلاً » — اي انه لم يَعُد بعد

(١) يقول اغسطينوس ان الكلمة « ليس من دم » كلمة اجمالية تعني التناسل الشريف. وان الكلمتين — الثانية والثالثة تفصيليتان، تشير اولاها الى ارادة المرأة والاخرى الى مشيئة الرجل

وحلَّ بيننا ورأينا مجده

طفلاً ، لكنها تفيد الاتحاد — اي ان الكلمة اتخذ جسداً وصار انساناً بدون تغيُّر في لاهوته. فاللاهوت ملازم للناسوت من غير انفصال ولا امتزاج . والكلمة « جسد » مستعملة هنا من باب التغليب ، فهي تعني الانسان كلّه — «جسداً ونفساً» وانما عُبّر بها هنا عن الجانب الضعيف في الانسان (تك ٣:٦) . ان المسيح صار انساناً كاملاً لكي يفتدي الانسان كلَّه (٧:٢٣) . والثانية : التجسّد كحقيقة تاريخية « وحلَّ بيننا » . الترجمة الحرفية لكلمة «حلّ» كما وردت في الاصل هي «خيَّم» او «ضرب فسطاطاً» . وقد وردت عدا هذه المرة اربع مرات في العهد الجديد، وهي من الكلمات التي طُبعت بها كتابات يوحنّا (رؤ ٧:١٥و١٣:٦و١٢:١٢و٢١:٣)

قديماً حلّ الله بين الامَّة اليهوديَّة ، في خيمة الاجتماع ، في البريَّة . الا ان تلك الخيمة كانت ذاهبة زائلة. أمَّا هذه الخيمة الجديدة : «جسد المسيح» فقد تمجَّدت بعد القيامة ، وها هو المسيح بناسوته ولاهوته في السَّماء الآن . فالتجسُّد اذاً،هو جواب الله على أشواق البشر، وهو محطّ آمالهم وانتظاراتهم. فيه وحده تكون للبشر شركة حقيقيَّة مع الله

الجانب الثاني : *الشهادة المثلثة لحقيقة التجسد* ١٤ (ب) — ١٨ . (١) شهادة يوحنا البشير ورفاقه عدد ١٤ (ب) (٢) شهادة يوحنا المعمدان عدد ١٥ . (٣) شهادة الكنيسة المسيحيَّة ع ١٦—١٨

(١) *شهادة يوحنا البشير ورفاقه* ١٤ (ب) «رأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ

مجداً كما لوحيد من الآب

من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» — فما هو هذا المجد الذي رآه يوحنا ورفاقه ؟ أهو مجد المعجزات التي أجراها المسيح «واظهر بها مجده فآمن به تلاميذه» (٢:١١) ؟ ام هو مجد صفاته، الذي كان يحفّ بشخص المسيح مدة خدمته على الارض؟ ام هو المجد الخاص الذي ظهر في تجلّي المسيح على الجبل فشهده يوحنا واثنان من رفاقه ؟ اننا نميل الى الرأي الأخير. وربما تحتمل هذه الكلمات اشارة ضمنيةً الى المجد الممتاز الذي تحدث عنه يوحنا في ديباجة سفر الرؤيا. «مجداً» — كررت كلمة «مجداً» بعد كلمة « مجده » على سبيل التوكيد في الوصف. انها ترجع بذاكرتنا الى « نار الشكينا » في العهد القديم ، التي كانت في الهيكل رمزاً لحضور الله. وهي احدى مميّزات كتابات يوحنا (٢:١١ ؛ ١١:٤٠ ؛ ١٢: ٤١ ؛ ١٧:٥و٢٤ ؛ رؤيا ٢١:١١). «كما» — ليست تشبيهيةً، بل وصفيّةً (هوشع ٤:٤ ومز ١٢٢:٣). «لوحيد من الآب» . كان موسى والانبياء خداماً وعبيداً لله. أما المسيح فهو ابن الله ، بمعنى ممتاز لا يدانيه فيه سواه، و بنسبة رفيعة لا يشاركه فيها انسان. وقد ذُكرت كلمة «وحيد» وصفاً للمسيح ، في كتابات يوحنا وحده (١:١٤ ؛ ٣:١٦و١٨ ؛ ١ يو ٤:٩) — وهي تميّز بنوة المسيح لله عن بنوة المؤمنين له (١:١٢) . « من الآب » — معناها الحرفي «من حضرة الآب» وهي تفيد الارسالية التي من قِبَل الله. «مملوءًا نعمةً وحقاً» — «النعمة» ضد الناموس ، «والحق» — ضد الطقوس . « النعمة » هي الله جواداً محسناً «والحق» هو الله معلناً ذاته. «النعمة» كما استعملت في الاصل، معناها: «كل ما

مملوءًا نعمة وحقًا · ١٥ يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو

يجلب الانشراح». وهي تطلق على (أ) كل ما هو مقبول وجذاب (لو٤:٢٢)، (ب) كل ما هو مسرّ (لو٢:٥٢ ؛ اعمال ٢:٤٧) (جـ) الفضل المجّاني الذي غمر الخطاة. والمعنى الاخير هو الاعمق، وهو المقصود بالذات في هذا العدد.

تختلف النعمة عن المحبة في ان المحبّة قد تتجه الى الاعلى، او الى الادنى او الى الندّ، لكن النعمة لا تعرف الا اتجاهاً واحداً—من الاعلى الى الأدنى

«والحق» هو النور الذي به نرى الله كما هو. وفي نور الله نرى كل شخص وكل شيء في خقيقته

فما اغنى المسيح الذي فيه اجتمع هذان الضدّان— «النعمة والحق» — الرحمة والعدالة — اللطف والشدّة. هذه خلاصة ما أعلنه الله للبشر عن نفسه في العهد القديم (خروج ٣٤:٦ ؛ مزمور ٦١:٧)، بل هي خلاصة ما أعلنه عن ذاته في العهد الجديد (١ يو ١:٥ ؛ ١ يو ٤:١٨). «فالنعمة» هي الله محبة، و «الحق» هو الله نور. هاتان الكلمتان، مجتمعتين معاً، تصفان المسيح باعتبار كونه منجز الفداء، وخاتمة الوحي الالهي

ليس المسيح شخصاً «مُنْعَماً عليه» ولا هو مجرد شخص عارف بالحق، لكنه مملوء نعمة وحقاً. او قُل: هو النعمة مجسَّمَة، وهو الحق متأنساً. العبارة «مملوءاً نعمة وحقاً»، حاليّة تصف الكلمة

ع ١٥. (٢) شهادة يوحنا المعمدان «يوحنا شهد له ونادى قائلاً: «هذا هو الذي قلت عنه ان الذي يأتي بعدي، صار قدامي، لانه كان قبلي»

الذي قلت عنه ان الذي يأتي بعدي صار قدامي لانه كان قبلي

ظلَّت شهادة يوحنّا المعمدان حاضرة في ذهن يوحنا البشير، وصوتها يرن في اذنيه، لذلك استعمل في وصفها كلمة تفيد (في الاصل) الاستمرار المتجدد وقد ذكرت شهادته، ثلاثاً في هذا الفصل (ع ١٥،٢٧،٣٠). كانت شهادة المعمدان، للبشير خير ذكرى، وهي لنا نبراس وهُدَى

في هذا العدد يصف البشير شهادة المعمدان في قوّتها، وفي موضوعها. اما قوتها فظاهرة من قوله «نادى» — هذه كلمة حماسيّة، تفيد ارتفاع الصوت والغيرة الملتهبة لاجل الحقّ (٧:٢٨ و٣٧ ؛ ١٢:٤٤ ؛ اشعياء ٤٠:٣)

واما موضوع شهادة المعمدان فهو: شخص المسيح: «هذا هو الذي قلت عنه»: —(أ) في ظهوره تاريخيّاً: «يأتي بعدي». (ب) في سموّ رتبته «صار قدامي». (ج) في أزليّته: «الذي كان قبلي». الكلمة «قبل» كما وردت في الأصل لا تقتصر على الاسبقية النسبية — كما لو كان المسيح قبل يوحنا فقط، لكنها تعني الاسبقيّة الازليّة المطلَقة

يستفاد من عدد ٣٠ ان يوحنا المعمدان فاه بهذه الشهادة في غد اليوم الذي ارسل فيه اليهود من اورشليم كهنة ليسألوه عن حقيقته. وهي تصف كل خدمة يوحنا وصفاً مجملاً. واذا ما رأينا منها ان يوحنا المعمدان الذي يقلّ عن المسيح في المقام قد صار له سابقاً بالنسبة لزمن ظهوره، فلا عجب، لان كوكب الصبح يسبق الشمس في الظهور. ولان المخبر بقدوم الملك يظهر قبل الموكب الملكي. كذلك كان يوحنا المعمدان بالنسبة للمسيح

١٦ ومن ملئه نحن جميعاً اخذنا. ونعمة فوق نعمة. ١٧ لان الناموس

ع ١٦. (٣) شهادة الكنيسة المسيحية ١:١٦—١٨. «من ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة». ان شهادة المعمدان المذكورة في العدد السابق، تؤيدها اختبارات المؤمنين الذين ينطق بلسانهم يوحنا البشير في قوله «نحن جميعاً». شاهد المعمدان فشهد! والمؤمنون شاهدوا فنالوا. «من ملئه» — الملء هو مجموع الهبات والكمالات الالهية، ولعله يشير الى «النعمة والحق». إن هذا الملء مذخر في المسيح، وقد وُضع في طاقة كل من يؤمن به ان ينال قسطاً من هذا الملء على قدر ايمانه وقابليته (أفسس ١:٣). فهو ملء غير قابل للنفاد. «نعمة فوق نعمة» — الكلمة المترجمة «فوق»، وردت في غير هذا الموضع، اربع مرات في العهد الجديد (أ) بمعنى «عوضاً عن» (مت ٢: ٢٢). (ب) بمعنى «عن او بسبب» (رومية ١٢:١٧). (ج) بمعنى «حسب او بمقتضى» (اعمال ١٣:٢٢). (د) بمعنى «من أجل» (أفسس ٥:٣١). وهي كما وردت هنا تحتمل معنين: (أ) نعمة مزادة على نعمة (ب) نعمة مكافأة على نعمة. فكل نعمة نقبلها بالشكر ونستخدمها، تمهّد الطريق لنعمة أفضل. فنعمة الرجاء تُعطى مكافأة على نعمة الصبر. «كنت أميناً على القليل فأقيمك على الكثير»

ع ١٧. مقابلة مزدوجة «لان الناموس بموسى أعطي: اما النعة والحق فبيسوع المسيح صارا»: الناموس الادبي — تقابله «النعمة». والناموس الطقسي — يقابله «الحق». في ع ١٦ نجد وصفاً للنعمة، وفي ع ١٨ نرى

بموسى أُعطي. اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. ١٨ الله لم
يره احد قط.

وصفاً للحق. وعدد ١٧ يكوّن حلقة الاتصال بين النعمة والحق

بل في عدد ١٧ نجد خلاصة العهدين القديم والجديد: —

«الناموس بموسى أعطي» — هذه خلاصة العهد القديم

«اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» — هذه خلاصة العهد الجديد

«الناموس بموسى أعطي» — اذاً لم يكن موسى سوى أداة تحمل الناموس الى الشعب. ولو لم يكن موسى قد حمل هذا الناموس، لحمله غيره. «اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا»

اذاً فالمسيح هو مبدع النعمة والحق، وهو نبعهما، بل هو حياتهما «النعمة» — هي خلاصة هبات الله لنا: «الحق» هو خلاصة اعلانات الله لنا

ع ١٨. **خاتمة الديباجة** «الله لم يره أحد قط . . . الابن الوحيد . . . هو خبّر». بهذا العدد اختتم يوحنا ديباجة بشارته بكلمة لها جانبان (١) احدهما مانع: «الله لم يره احد قط»، والثاني جامع: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر». ومما يسترعي الالتفات ان يوحنا البشير بعد ان حدثنا في عدد ١٤ عن «الكلمة المتجسد» ع ١٤ صار فيما بعد يحدثنا عنه باعتبار كونه «ابن الله الوحيد»

(أ) **الجانب المانع** «الله لم يره احد قط» — ولا موسى استطاع ان يراه!

الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.

وكل المرات التي اعلن الله فيها نفسه للبشر (خروج ٢٤:١٠ ؛ ٣٣:٢٣ ؛ ١مل ١٩:١٣ واشعياء ٦:١)، لا تخرج عن كونها تجلّيات وقتيةً، رمزيةً، جزئيّة، يصدق فيها القول: «فاننا الآن ننظر في مرآة في لغز» (١كو ١٣:١٢). لكن الرؤية المذكورة هنا، هي الرؤية الحقيقيةً الثابتة التي هي تاج الكمال المسيحيّ (١يو ٤:١٢)

(ب) الجانب الجامع: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر. في هذا الجانب الجامع نجد وصفاً مثلثاً للمسيح (١) في طبيعته: «الابن الوحيد» — الذي له جوهر واحد مع الآب في طبيعته (ع١٤). (٢)في رفعته: «في حضن الآب» هذا تعبير رمزي يُكنى به عن مركز المحبة، والتقرب، والسمو، والاطلاع على الأسرار، والسلطان (١٣:٢٣). ان حضن الآب هو حالة، لامكان. (٣) في سمو رسالته: «هو خبّر» — بما له من الطبيعة الالهية، قد رأى. وبما له من الطبيعة الناسوتية، استطاع ان يخبر البشر بما رأى. المعنى الحرفي لكلمة «خبّر» هو «ترجم عن الارادة»، وهي تستعمل في اللغة اليونانية الفصحى بمعنى «حلّ الألغاز»

١٩ وهذه هي شهادة يوحنا

شهادة يوحنا المعمدان

١:١٩—٣٧

(ا) شهادة يوحنا المعمدان أمام الوفد السنهدريمي ١:١٩—٢٨
(ب) شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ١:٢٩—٣٧

—١— شهادة يوحنا المعمدان امام الوفد السنهدريمي ١:١٩—٢٨

نجح يوحنا المعمدان في خدمته، فذاع صيته وملأ الاسماع. وانجذبت اليه جماهير غفيرة، فاهتز لنجاحه مجمع السنهدريم اليهودي. وكان مؤلفاً من سبعين شيخاً، يرأسهم عظيم الكهنة. وأعضاؤه يؤلَّفون من ثلاث فئات: (١) «رؤساء الكهنة» — من المتقاعدين والقائمين بالخدمة الكهنوتيَّة، من العائلة الكهنوتية العليا (٢) «شيوخ الشعب» — وهم خدام الهيكل من اللاويين (٣) «الكتبة» — وهم العارفون بالشريعة واحكامها والمخصَّصون رسمياً للتعليم بها. وبالاجمال كان هذا المجمع اليهودي صورة منقحة لمجلس الشيوخ القديم (عدد ١١:١٦)

الى الآن كان مجمع السنهدريم متغاضياً عن وجود يوحنا المعمدان وعن عمله، ولكن اذ وجد ان الشعب قد بُهر بخدمة يوحنا، وان بعضاً ظنَّه المسيح المنتظر، اضطر السنهدريم الى ان يتدخل في الامر ليوقف تيار الاقاويل التي يسهل انتشارها سيما في الشرق. وقد جاء في «المشنا» ان محاكمة رئيس سبط

حين ارسل اليهودُ من اورشليم

من الاسباط ، او اي نبي كاذب ، او اي رئيس من رؤساء الكهنة ، من اختصاص مجلس الواحد والسبعين (سنهدريم ١: ٥)

لقد كانت هذه نقطة فاصلة في خدمة يوحنا . بل كانت محكاً صادقاً لاخلاقه . لان الافكار كانت مشبعّة وقتئذٍ بانتظار مسيّا (المسيح) الموعود به في الانبياء . فلو كان المعمدان ممن يستهويهم النجاح ، لاندفع مع التيار واجاب على الفور بانه هو المسيح، فيفوز باعجاب الجماهير. لكن المعمدان كان ارفع وأثبت من ذلك بكثير ، فاجابهم جواباً صريحاً قاطعاً . ولا شك في ان شهادة يوحنا لها قيمة ممتازة ، لانها شهادةٌ رسمية أمام وفد رسمي

عدد ١٩ . *كلمة تاريخية* . «وهذه هي شهادة يوحنا حين ارسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من انت» . يقدم لنا هذا العدد —١— وصفاً للمستجوبين : « كهنة ولاويين » — بخلاف الصدوقيين الذين لم يبالوا بأخبار نجاح يوحنا ، لانهم كانوا يستمدون سلطتهم من رومية السياسية . اما الكهنة واللاويون فكانوا يستمدون سلطتهم من وظيفتهم الدينيةّ. وقد كانت منوطة بهم خدمة الهيكل . وهم الذين حملوا التابوت قديماً (يشوع ٣: ٣) . اليس من العجيب ان اللاويين يتفقون مع الكهنة ضد يوحنا المعمدان وهو لاويّ مثلهم (لوقا ١: ٥) ؟ وكذلك يعمل التعصب في القلوب فيطمس البصائر ويعوّج الضمائر . هذه هي المرة الوحيدة ، التي وردت فيها كلمتا « كهنة ولاويين » متحدتين معاً في العهد الجديد

كهنة ولاويين ليسألوه من انت

كان اللاويون والكهنة موفدين رسمياً من اليهود في اورشليم. والكلمة «يهود» — بحصر اللفظ وبحسب اشتقاقها — تعني الخارجين من سبط يهوذا. لكنها أُطلقت بعد السبي على كل الامة الاسرائيلية، لان الرّاجعين الى بلادهم، بعد السبي، كان جلّهم من سبط يهوذا. وهي في هذه البشارة — الا في موضع واحد ٤:٩ — تعني الكتلة اليهودية المعادية للمسيح، وعلى الغالب تستعمل عن رؤساء الكهنة. وليس من الغريب ان يطلق يوحنا البشير — وهو يهودي — كلمة «يهود» على الفئة المعادية للمسيح، لان هذه الكلمة فقدت قومّيتها المميزة لليهود كجنس، بعد أن خربت أورشليم، فصارت تُطلق على الفئة المتعصّبة التي صلبت المسيح. وقد وردت ٧٠ مرة في هذه البشارة — ب — وقت استجوابهم ليوحنا: «حين». لم يعيّن البشير موعد هذا الاستجواب بالضبط، وفي الغالب قد وقع بعد معمودية المسيح مباشرة. لان شخصية «المسيح» لم تتعيّن لدى يوحنا الا عند المعموديّة — ج — مصدر وفادتهم: «من اورشليم». — د — موضوع استجوابهم: «من أنت»؟ كان استجوابهم يحوم حول شخصيّة المعمدان، ليصلوا منها الى معرفة شخصية مسيّا (المسيح) المنتظر. وسنرى في عدد ٢٥ ان اليهود وضعوا في استجوابهم فخاً أمام يوحنا المعمدان ليوقعوه فيه، فيما اذا رفض ان يعرّفهم بشخصه

تناول يوحنا المعمدان في شهادته امام الوفد اليهودي الرّسمي، أمرين:

أولاً: حقيقة مقامه ١:٢٠—٢٣. سلبياً: ١:٢٠—٢١

وايجابياً ١:٢٢و٢٣

٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقرّ اني لست انا المسيح . ٢١ فسألوه اذاً

ثانياً : حقيقة رسالته ١:٢٤—٢٧

عدد ٢٠ . اولاً : حقيقة مقامه ٢٠—٢٣ . ان شهادة يوحنا المعمدان هي غرّة تاريخ الانجيل . وهي تعيّن اول مرّة سمع فيها رؤساء اليهود كلمة الانجيل مواجهة . فهي اول شاهد يقوم في وجههم يوم الدين

«فاعترف ولم ينكر ، واقرّ اني لست انا المسيح» . «اعترف، ولم ينكر ، واقرّ » — ثلاث كلمات — الكلمتان الواقعتان في الطرفين هما ايجابيتان والكلمة المركزية سلبيةّ . وذكرت الثلاث معاً لتوكيد استعداد يوحنا ، وصراحته ويقين شهادته . باعترافه اظهر استعداده . و بعدم انكاره بيّن صراحته . وفي اقراره قدم برهاناً على ايقانه من شهادته . «اعترف» — هذا قول بلا ابطاء . «ولم ينكر» — هذا اعتراف بلا إخفاء . «هذا أقرّ» — يقين بجرأة و إباء

لشهادة يوحنا جانبان — سلباً : (١) « لست انا المسيح » عدد ٢٠ (٢) « لست انا ايليا » عدد ٢١ (ا) (٣) لست النبي عدد ٢١ (ج) . ايجابياً . «صوت . . » ع ٢٢و٢٣

عدد ٢١ . الجانب السلبي — ١:٢٠ و ٢١ كان الكتبة يعلّمون ان ايليا ينبغي ان يأتي قبل المسيح (مت ١٧:١٠) ولهذا الاعتقاد الخاطىء اسانيد كثيرة في التلمود ، اغلبها ناشيء عن سوء فهم ملاخي ٤:٥ . ولو كان في نيّة يوحنا المعمدان ان يخدع اولئك المستجو بين ، لتمسك باهداب قول المسيح

ماذا . ايليا انت. فقال لست انا . النبي انت .

في مت ١١: ١٤ واجابهم بالايجاب . لـكنه كان يعلم علم اليقين ، ان المسيح تـكلم مجازياً قاصداً «روح» ايليا لا «ذات» ايليا (لو ١: ١٧) . ان المستجوبين كانوا يتـكلمون حرفياً ، قاصدين «شخص ايليا بالذات» . لذلك كان يوحنا جريئاً وصريحاً في قوله «لست أنا» . جاء في التلمود : سوف يظهر ايلياً قبل مسيًّا و يقول لهذا : «انت طاهر» ، ولذاك «انت نجس»

لم يكتف المستجوبون بهذا الجواب.وكيف يسكتون ولم يزل في جعبتهم بعض السهام؟ لذلك سألوه قائلين «ألنبي أنت»؟ لا شك انهم قصدوا «النبي» الذي تنبأ عنه موسى بقوله «يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي . له تسمعون» (تث ١٨: ١٥) . وفي هذه المرة ايضاً كان جواب يوحنا صريحاً قاطعاً « لا »

قد استنتج بعضهم خطأً ، ان «النبي» هو ذاك الذي ظهر في بلاد العرب في اواخر القرن السادس واوائل القرن الســابع بعد الميلاد . و يظهر بطلان هذا الاستنتاج من الاعتبارات الآتية : —

(١) واضح من سؤال هؤلاء الفريسيين انهم كانوا يقصدون نبياً يأتي قبل المسيح ليهيء الطريق له ، واما نبيّ العرب فقد ظهر بعد المسيح بزمان هذا مقداره

(ب) ان الاخوة المقصودين بقوله «من اخوتك» هم الاخوة الاقربون لا البعيدون ، بدليل قوله : « من وسطك » اي من اخوتك العائشين معك من بني اسحق.لا من بني اسماعيل — الاخوة البعيدين. لان اسماعيل لم يكن

فأجاب لا .

اخاً شقيقاً لاسحق ، ولأن نسله كانوا عائشين بعيداً عن الاسرائيليين ، فلا يمكن ان ينطبق عليهم القول «من وسطك»

(ج) تقرر التوراة صراحة انه لن يقوم نبي من اسماعيل لان الله قطع عهده مع اسحق لا مع اسماعيل — (تك ١٧:١٨ — ٢١و٢١:١٠—١٢) . (اطلب سورة العنكبوت آية ٢٧)

(د) مكتوب عن النبي الذي تنبأ عنه موسى انه «مثل» موسى. وموسى كان عالماً لكن ذلك النبي كان أمياً (سورة الاعراف ١٥٦و١٥٨) . وموسى عمل معجزات كثيرة (سورة الاعراف ١٠١—١١٦و١٦٠) والقرآن نفسه يشهد ان نبي العرب لم يعمل معجزات(سورة الاعراف١٢٦-١٢٩والأسرا٥٩)

(ه) من اهم اوصاف النبي الذي تنبأ عنه موسى « إن الرب يقيمه لاسرائيل » وانهم يسمعون له «يقيم لك . . له تسمعون» . وواضح ان نبي العرب ظهر للعرب لا لليهود ، ولم يستمع اليهود لرسالته . لكن المسيح قيل فيه عند المعمودية « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت . . له اسمعوا » (مر ٩:٢ ولوقا ٩:٣٥)

ومما يستدعي الملاحظة ان جواب يوحنا كان في كل مرة يزداد اقتضاباً واختصاراً عن المرة السابقة لها — فمن قوله « اني لست انا المسيح » ، الى قوله « لستُ انا » ، الى قوله « لا » . هل الثلاث الكلمات «اعترف» ، «ولم ينكر» ، «وأقر» تسير بالتتابع مع جواب يوحنا في كل مرة من الثلاث المرات التي اجاب فيها على اسئلة الموفدين من اليهود ؟ ! !

٢٢ فقالوا له من انت لنعطي جواباً للذين ارسلونا . ماذا تقول عن
نفسك . ٢٣ قال انا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما

ع ٢٢و٢٣ الجانب الايجابي «فقالوا له . . قال انا صوت»

استنفذ أولئك الموفدون سهامهم التي كانوا محتفظين بها في جعبتهم ، فلم يبق لديهم الا ان يجعلوا المعمدان نفسه يقرّر حقيقة أمره بطريقة ايجابية : «من أنت لنعطي جواباً للذين ارسلونا . ماذا تقول عن نفسك» ؟ فأجابهم جواباً لم يقلّ في صراحته ومضائه عن اجوبته السابقة، مقتبساً من اشعياء النبي (اش ٤٠ :٣) . بذلك اقام المعمدان حجة دامغة على ان له شخصية مستقلة عن أحد الانبياء السابقين ، وعلى ان مقامه مكين ، يرتكز الى اساس متين في العهد القديم . وان شخصيته لا تستمد وحيها والهامها الا من « الكلمة » — لانه قال عن نفسه: «انا صوت صارخ في البرّية». ترمز «البرية» الى: (أ) الجفاف — معطشة بلا مطر . (ب) الجدوب — تربة بلا ثمر . (ج) التيه — واد بلا ممر . هكذا كانت خدمة المعمدان لشعبٍ في برية حِسّاً ومعنى . العبارة « كما قال اشعياء النبي» — من كلام المعمدان لا من تفسير البشير (مت ٣:٣ ؛ مر ١: ٣) والاقتباس مأخوذ من الترجمة السبعينية. وقد اقتبسه ايضاً يوستنيان الشهيد

في هذا الجواب يتمثل امامنا ملك شرقي ، سائر في موكبه . والمنادي يتقدّم طليعته صارخاً «هوذا الملك قادم ! فأعدّوا الطريق امامه»

بل في هذا الجواب اخفى المعمدان ذاته واظهر حقيقة رسالته. اما اخفاؤه ذاته

قال اشعياء النبي . ٢٤ وكان المرسلون من الفريسيين . ٢٥ فسألوه
وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي

فواضح من قوله « انا صوت » واما اظهاره حقيقة رسالته فمستفاد من اقتباسه كلمات نبيّ قديم له اعتبار عظيم لدى السائلين

ع ٢٤ و٢٥ . ثانياً: شهادة المعمدان بحقيقة رسالته ١:٢٤—٢٧ (أ) الدور الاول من استجوابهم ١:٢٤ و٢٥ (ب) جوابه ١:٢٦ و٢٧

(أ) الدور الاول من استجوابهم ١:٢٤ و٢٥ . « وكان المرسلون من الفريسيين » — تمييزاً لهم عن الصدوقيين الذين كان يتألف منهم ايضاً مجمع السنهدريم . وقد كان هؤلاء المرسلون الفريسيُّون مطبوعين بطابع التعصب الفكري لدرجة انهم خرجوا عن حدود مهمتهم التي انتُدِبوا لها ، فبدلاً من أن يكتفوا بان يستجوبوا المعمدان عن شخصه، شرعوا يستجوبونه عن معموديته. ولا بد ان معموديته جرحت كبرياءهم ، لانهم كانوا يعتقدون ان المعمودية هي الباب الذي منه يدخل الاممي الى الدين اليهودي ولعلهم استنتجوا مما جاء في حزقيال ٣٦:٢٥ ; اشعياء ٥٢:١٥ ; زكريا ١٣:١ ، انه لا بدَّ من معموديَّة ممتازة يقوم بها « مسيّا » او النبيّ الذي يهيئ الطريق له ، لذلك سألوه قائلين « فما بالك تعمد ان كنتَ لست المسيح ، ولا ايلياً ، ولا النبيَّ »؟

يلاحظ لوثر ان نغمة كلام الفريسيّين قد تغيّرت ابتداء من عدد ٢٥ . قبلاً كان كلامهم مشبعاً بروح المسالمة ، والآن أضحوا ينفثون تهدّداً ومقاومة (لو ٧:٣٠)

٢٦ أجابهم يوحنا قائلاً انا اعمد بماء . ولكن في وسطكم قائم الذي

(ب) جواب المعمدان ١:٢٦ و٢٧ « أجابهم يوحنا قائلاً . . » — هذا جواب حكيم في اسلوبه، قويّ بصراحته، جارحٌ بصرامته. بهذا الكلام أجابهم المعمدان عما كان يجب عليهم أن يسألوا عنه، لا عما سالوا عنه بالذات. وكأني به، يقول لهم « تسالونني عن المعمودية، على اعتبار أنها عملٌ خاص بعصر المسيح؟ هوذا المسيح قائم الآن في وسطكم. اذاً لستُ انا نبياً مخبِّراً عن مجيئه العتيد، انما انا مبشر بحضوره الآن. لا تهتموا بمعموديّتي فهي من ماء. بل بمعموديّته هو، فهي من نار. ». اذا كان تعصّب الفريسيين قد انساهم حدود مأموريّتهم، فان حبّ يوحنا المعمدان للمسيح، قد أنساه عظمته الذاتية فانطلق لسانه متدفقاً كالسيل، شاهداً لمقام المسيح الممتاز وسموّ طبيعته

طبيعة معمودية يوحنا ع ٢٦و٢٧. لهذا الجواب، طرفان وقلب. طرفاه يصفان (أ) حقيقة معمودية يوحنا : «انا اعمد بماء» ع ٢٦. فهي اذاً معمودية رمزيّة، تمهيديّة، خارجيّة. (ب) مقام يوحنا : لست بمستحق ان أحلّ سيور حذائه» ع ٢٧ — هذا مقام الخادم الوضيع. جاء في التلمود : يجب على التلميذ ان يقوم لمعلمه بكل الخدمات التي يقوم بها الخادم لسيّده — ما عدا حلّ سيور حذائه. لكن يوحنا تخطى هذا الاستثناء وحسب نفسه غير مستحق ان يحلّ سيور حذاء سيّده. فهو اذاً اقلّ من تلميذ — انه خادم وضيع. اما قلب هذا الجواب فانه يرينا : (أ) المسيح حاضراً : «في وسطكم قائم» ع ٢٦. كلمة «قائم» تفيد الجلال، والثبات، ومقام الامتياز (مر ١١:٢٥ ; ١ تس ٣:٨)

لستم تعرفونه. ٢٧ هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي
لست بمستحق ان احل سيور حذائه ٢٨ هذا كان في بيت عبرة في

(ب) المسيح مستتراً: «لستم تعرفونه» ع ٢٦. لم يأت المسيح بمظهر الملوك، بل جاءنا وضيعاً، «لا صورة له ولا جمال فننظر اليه». اذا كانت هذه العبارة تصف المسيح في بساطة ظهوره، فهي ايضاً تصف الغفلة التي كانت مستولية على أذهان اولئك الفريسيّين الذين تصدروا زعامة الشّعب. وكم كان جارحاً لهم ان يسمعوا من فم المعمدان هذه الكلمة: «لستم تعرفونه»، في وقت كانوا يدّعون فيه انهم «حمَلة مفاتيح المعرفة». وكم من المرات يكون المسيح في وسطنا ونحن لا نعرفه، إما لخطية فينا، أو لغلاظة قلوبنا، او بسبب غشاوة المادة التي على عيوننا (ج) المسيح منتظراً: «يأتي بعدي» ع ٢٧ — باعتبار الزمن، وكان هذا طبيعياً، لان خدمة المعمدان كانت ممهدة لعمل المسيح. (د) المسيح منتصراً ممجداً: «صار قدامي» ع ٢٧ باعتبار الدرجة والمقام. لان المسيح كائن قبل كل الدهور، «وفيه يقوم الكلّ، لكي يكون هو متقدّماً في كل شيءٍ» (كو ١: ١٧ و١٨)

ع ٢٨. **مكان لقاء المرسلين بالمعمدان** — «هذا كان في بيت عبرة في عبر الاردن حيث كان يوحنّا يعمّد». «بيت عبرة» معناها: «بيت العبور» وهي واقعة جنوبي بحر الجليل على بُعد ١٤ ميلاً. ويعتقد بعض الثقات انها هي «بيت عنيا» الثانية الواقعة على الشاطئ الشرقي لنهر الاردن، حيث كان يمكن عبور النهر لقلة عمق مياهه هناك. ولهذا كان ذلك المكان يسمّى ايضاً

عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد . ٢٩ وفي الغد نظر يوحنا يسوعَ

« بيت عبرة » ويميل اوريجانوس المصري الى الرأي الاول . وعلى كلٍّ فانَّ معنى الكلمتين واحد . لان «بيت عنيا» كلمة أرامية — «بيت أُنيَّة» — او « بيت السفينة» —اي « بيت المعَدِّيَّة » او « عبور النهر » . وهذا هو نفس المعنى الذي تحمله كلمة : «بيت عبرة»

(ب) شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ١:٢٩—٣٤

انصرف هذا الوفد اليهودي عن المعمدان ، فانصرف هو أيضاً الى عمله ، وفي غد ذلك اليوم وقد بدأت شمسه ان تميل وراء الافُق ، أقفلت الجماهير المعتمدة من يوحنا ، رجوعاً الى المدن والضياع التي منها أتوا ، فلم يبقَ مع المعمدان سوى تلاميذه وحدهم . وفي تلك الساعة الرهيبة بسكونها ، المهيبة بعزلتها ، أقبلَ المسيح وعلى محيَّاه ترتسم علائم الظفر والفوز ، وهو خارج من بريّة اليهوديَّة حيث ظفر بالشيطان في معركة فاصلة ، وهو على أتمّ استعداد أن يقدّم نفسه حملاً فدائياً ليرفع خطية العالم . ومن غرائب الاتفاق ان تجربة الشيطان للمسيح في البرية ، تمّت في يوم تجربة الفريسيّين ليوحنا المعمدان . ولا فرق بين المجرّب في الحالين : سوى ان ابليس كان شيطاناً سافراً لكنَّ الآخرين كانوا شياطين مقنَّعة

وفيما كان المسيح مقبلاً الى يوحنا — في طريقه من برية اليهوديَّة الى الجليل — استقبله يوحنَّا بشهادة جديدة معلِنةً (أ) كفاية كفّارته «هوذا حمل الله» ع ٢٩ (ب) سمو رفعته «هذا هو .....» ع ٣٠ و٣١ (جـ) حقيقة

مقبلاً اليه فقال هوذا حمل الله

مسيحيَّته « وشهد يوحنا قائلاً . . » ع ٣٢و٣٣ (د) امتياز بنوَّته «وانا قد رأيت وشهدت » ع ٣٤. ويجمل بنا الآن ان نذكر الدرجات التي ارتقت وتدَّرجت عليها شهادة المعمدان عن المسيح: فمن وصفه اياه بكلمات عامة « الذي يأتي بعدي » ع ١٥ ، الى تعيين شخصه بالذات بقوله « في وسطكم قائم» ع ٢٦ ، الى شهادته بكفَّارته ع ٢٩ ، الى اعترافه بمسيحيته ع٣٣ ، حتى بلغ الدرجة القصوى في سلّم شهادته اذ نادى بلغة الواثق المقتنع بامتياز بنوَّة المسيح «وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله» ع ٣٤

ع ٢٩ : (أ) **كفاية كفارة المسيح** : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم »

«هوذا» — تُقال هذه الكلمة لتوجيه الالتفات الى شخص عجيب، او الى ضالة كان ينشدها أحدهم فوجدها ، او للفت النظر الى شخص قريب . وهنا نطق بها المعمدان موجهاً انظار تلاميذه والعالم اجمع – الى اعجب شخصية في التاريخ ، والى الحمل الممتاز التي كانت ترمز اليه ذبائح العهد القديم ، فوجده هو ، اذ كان منه قاب قوسين او أدنى

«حمل الله» — الحَمَل المعيَّن من الله والمقدَّم من الله ، والمقبول من الله .

أكان يوحنا مشيراً الى حَمَل الله الذي رمز اليه الحَمَل الذي قُدّم بدل اسحق (تك ٢٢:١٣) ام الى الذي رمز اليه حَمَل الذبيحة اليومية (خروج ٢٩: ٤٨)؟ ام الى الذي اشار اليه حمل الكفارة، ويوم الفصح كان آنئذ قريباً؟ (٢:

الذي يرفع خطية العالم

١٢و١٣) ؟ ام الى الحمل الذي تنبأ عنه اشعياء (اش ٥٣: ٧) (*) وكان فكر المعمدان مشتغلاً وقتئذٍ بنبوات اشعياء (١: ٢٣) ام الى الحمل العظيم الذي نُسب الى اسم الجلالة ؟ ام الى كل هذه معاً ؟؟؟ ومن الاهمية بمكان ، ان نذكر ان الصفة الممتازة التي يقصدها يوحنا في الحَمَل هي تضحيته. فمع ان الحمل صامت ، ووديع ، وكامل ، لكن وجه الشبه الرئيسي هو الكفارة . ان مركز الدائرة في المسيحية ، هو المسيح . ومركز الدائرة في حياة المسيح هو الصليب . « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» . فالصليب اولاً ، ثم الكمالات الادبية الاخلاقية. ان انشودة المسيحيّة الخالدة هي «مات لاجلي»

« الذي يرفع » — اي الذي يحمل على عاتقه ، ويزيل خطيّة العالم ، ليطرحها في بريّة النسيان (اش ٥٣: ١١) . وهي في اللغة الاصلية تفيد الدوام المتواصل . ان رفع الخطية لا يقف عند احد مغفرتها ، بل يقصد به أيضاً كسر شوكتها وسحق قوتها وابطال سلطتها . «خطيّة العالم» — استُعملت هنا كلمة «خطية» بالمفرد لا بالجمع للدلالة على اصل الخطيّة ، ومبدأها ، ونبعها. فشجرة التين يقال لها «تينة» مع ان ثمارها يقال لها «تين» . كأن كل خطايا الجنس البشري تجمعت على شخص واحد وكل خطايا الشخص الواحد تركزت وتجمعت في خطيةٍ واحدة، كما تتركز اشعة الشمس وتتجمع في نقطة واحدة هي

(*) يقول ابربنئيل وهو احد احبار اليهود : « قال الراب يوناثان من عزئيل ان الاصحاح الثالث والخمسين من اشعياء يشرح آلام «مسيا» المنتظر . ويؤيد هذا ، آراء كبار أحبارنا ، تباركت ذكراهم»

٣٠هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لانه كان
قبلي. ٣١وانا لم اكن اعرفه .

نقطة الاحتراق . « والعالم » هو البشرية البعيدة عن الله ، المتمردة عليه ، والمحبوبة منه ، على رغم كل هذا (١٦:٣) . ومن العجيب ان يوحنا المعمدان، وهو يهودي ، قد ارتفع ببصره فتخطى حدود اليهود وقال «العالم»

ان كفارة المسيح كافية شافية . فهي كافية للجميع ، وشافية للمؤمنين بها فقط

عدد ٣٠ — ب— سمو رفعة المسيح « هذا هو . . » ٣٠و٣١. هذه نغمة المؤمن ، الواثق مما يقول . (انظر عدد ٧و٨و١٥و١٩و٢٤) . « قلت عنه » — في اليوم السابق عدد ١٥ . «رجل» — وفي اليونانية تعني افضل من رجل. استعملها هوميروس بمعنى « الأمير » . وفيما بعد صارت لقباً تقابله كلمة « نبيل » في العربيّة . واستعملت ايضاً بمعنى « البَطل » كما يقال عن رجل شريف مقدام : «هذا رجل». وهي تطلق على الانسان في سموّه ورفعته . «صار قدّامي» — في المقام . «لانه كان قبلي» — منذ الأزل

عدد ٣١ . جهل المعمدان لحقيقة المسيح «وانا لم اكن اعرفه ...» يظهر لاول وهلة من متى ٣: ١٤ ، ان المعمدان كان يعرف المسيح ، فكيف يقول هنا انه «لم يكن يعرفه» ؟ المعرفة المقصودة هنا هي معرفته بان يسوع هو المسيح المنتظر — معرفته من حيث رسالته ومسيحيّته ، لا من حيث شخصه حسب الجسد . لانه من الطبيعي ان يكون المعمدان قد عرف يسوع حسب الجسد

لـكن ليُظهَر لاسرائيل لذلك جئت اعمد بالماء. ٣٢ وشهد يوحنا
قائلاً اني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه.

لما بينهما من صلة القرابة، لـكنه ظل يجهل ان يسوع هو المسيح ابن الله، «حتى رأى الروح نازلاً مثل حمامة من السماء ومستقراً عليه. «لـكن ليُظهَر» — هذا هو الغرض الثاني من خدمة المعمدان، والغرض الأول هو إعداد الطريق امام المسيح الملك. الكلمة «ليُظهَر» كثيرة الورود في كتابات يوحنا البشير (٢: ١١، ٣: ٢١، ٧: ٤، ٩: ٣، ١٧: ٦، ٢١: ١و١٤ و ١ يوحنا ١: ٢و٢: ١٩ و ٢٨، ٣: ٢و٥ و٨ و ٩ ورؤ ٣: ١٨، ١٥: ٤). ولعلّه اخذها عن استاذه يوحنا المعمدان. «اسرائيل» — بحسب استعمالها في هذه البشارة تعني العنصر الروحي الرشيد في الامة اليهودية (١: ٤٩و٣: ١٠و١٢: ١٣)

عدد ٣٢ — ج — حقيقة مسيحية المسيح: «وشهد يوحنا قائلاً ..» ١: ٣٢ و٣٣. هذه شهادة مبنية على ما رأته العينان «قد رأيت»، وما سمعته الاذنان «قال لي»، وعلى فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة. «رأيت» — معناها في الاصل «تفرّستُ». لم يتحقّق من الرؤيا ويميزها سوى المسيح والمعمدان (مت ٣: ١٦و١٧ ومرقس ١: ١٠و١١ ولوقا ٣: ٢١)

ان روح الله الذي به يقترب الناس من الله، قد استقرّ على كلمة الله الذي به يقترب الله من الناس. «حمامة» هذه ترمز الى اللطف، والطهارة، والوداعة، وعدم الاذى.(١) الكلمة «استقرّ» تحمل افكارنا الى يوم الخمسين،

(١) للمزيد من الايضاح انظر شرح بشارة لوقا على صحيفتي ٩٤و٩٥

٣٣ وانا لم اكن اعرفه . لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي
الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمِّد بالروح
القدس . ٣٤ وانا قد رأيت وشهدت

حين استقرّ الروح في الكنيسة التي هي جسد المسيح (اعمال ٢:٣) كما استقرّ هنا على رأس المخلّص. في العهد القديم كان الروح القدس يُعطَى لاجل خدمة خاصة ، لكنه استقرّ الآن على شخص المسيح . «الذي ارسلني» — الله الآب — الاقنوم الاول في اللاهوت . هذا العدد الواحد يحمل اشارة الى عمل الله الواحد، المثلث الاقانيم: «الذي أرسلني» — الله الآب، «الروح» — الله الروح القدس الاقنوم الثالث. «عليه» الله الابن الذي هو الاقنوم الثاني. فالاقنوم الاول ارسل. والاقنوم الثاني مُسح بالروح القدس. والاقنوم الثالث نزل. ولقد تعمّد المسيح بالروح القدس ، لانه هو سيعمّد غيره بالروح القدس. وهنا فضل خدمة المسيح على خدمة المعمدان. خدمة المعمدان بماء — خدمة رمزية، خارجية ، جسدية ، وقتية . لكن خدمة المسيح بنار — خدمة جوهرية ، داخلية ، روحية ، دائمة

عدد ٣٤ . — د— *امتياز بنوة المسيح*: «وأنا قد رأيت وشهدت» ١ :٣٤ هـذا تاج شهادة المعمدان — ان المسيح هو ابن الله بكيفية ممتازة لا يدانيه فيها سواه . ان جميع المؤمنين يحسَبون ابناء الله بالتبنّي فقط لانهم كانوا غرباء عن الحظيرة السماوية فادخلهم الله اليها بفضل نعمته . لكن المسيح هو

ان هذا هو ابن الله . ٣٥ وفى الغد ايضاً كان يوحنا واقفاً هو

ابن الله بالجوهر ، والذات ، والطبيعة . فهو صورة الله غير المنظور . وهو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته

هذه خاتمة شهادة المعمدان التي ادّاهـا للمسيح بلسانه ، وقد أردفها بشهادته التي قدمها بواسطة حياته وخدمته امام تلاميذه ، ثم توَّجها بشهادته التي قدمها بموته واستشهاده

الشهادة الثالثة التي أدَّاها يوحنا المعمدان

شهادته أمام تلميذيه : اندراوس ويوحنا البشير ١: ٣٥—٣٧

ها قد بلغنا الآن ، نقطة الاتصال بين خدمة يوحنا المعمدان وخدمة المسيح . بل هذا ملتقى العهد القديم بالعهد الجديد . لان اثنين من تلاميذ المعمدان صارا تلميذين للفادي. وهذه اكبر مكافأة لخدمة المعمدان : ان اثنين من تلاميذه نُقِلا من القسم الاعدادي الى القسم العالي . بل هذا مظهر من مظاهر الخلق المتين الذي تحلَّى به المعمدان اذ قبل على نفسه ان يخسر اثنين من احبّ تلاميذه اليه — خسارة هي نِعمَ الربح للمعمدان ولتلميذيه . اما للمعمدان فلأنها دليل على تقدير سيّده لخدمته ، واما للتلميذين فانهما صارا فيما بعد رسولين ، بل عمودين في هيكل الكنيسة الابدي ، بل لؤلؤتين لامعتين في تاج الخلود

ان الطابع العام الذي طبعت به هذه البشارة — التدرّج ، قد طُبِعت به ايضاً دعوة التلميذين الى المسيح . كانا تلميذين للمعمدان . ثم وُجّهت انظارهما

واثنان من تلاميذه. ٣٦ فنظر الى يسوع ماشياً فقال

الى المسيح حمل الله عدد ٢٩ و ٣٦ ، ثم دُعيا الى البيت الذي كان المسيح ساكناً فيه عدد ٣٩ ، ثم شاهدا معجزاته فرأيا مجده ٢ : ١١

عدد ٣٥ . *يوحنا واقف مع اثنين من تلاميذه* : « وفي الغد ايضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه . . . » عدد ٣٥—٣٧

هذه الاعداد ترينا المعمدان واقفاً وقفة الحارس الملازم مركزه ، المنتظر ظهور سيّده ليتلقّى عنه الاوامر ، او وقوف الرقيب الذي يتوقع أمراً جللاً ، أو وقوف البوّاب على مدخل الحظيرة ليفتح الباب للراعي متى جاء

عدد ٣٦ . *يوحنا يشهد للمسيح* . وقف هذا البواب ، ومعه اثنان من أتباعه — أحدهما اندراوس عدد ٤٠ ، وثانيهما يوحنا البشير الذي يجد لذّة خاصة في اخفاء اسمه ، ومما يدعم هذا الاعتقاد كون الكاتب يذكر تفصيلات دقيقة عن المكان والزمان — بالساعة — مما يدل على انه كان شاهد عيان ، لم ينس تلك الساعة التاريخية ، وهل مثلها من الساعات يُنسى ! ؟

« فنظر » — تفرّس متأملاً ومعجباً . كان المسيح في هذا الوقت « ماشياً » ومنصرفاً عن المعمدان ، لا مقبلاً اليه كما في عدد ٢٩ ، وكفى المعمدان فخراً ان يُقبل اليه المسيح مرّة واحدة

هذه آخر مرّة اجتمع فيها المعمدان بالمسيح ، و بعدها ذهب يوحنا ليستقبل سيف هيرودس ، ومضى المسيح مرتقياً الى صليب الجلجثة . ولئن فرقتهما الايام ، فقد جمعتهما الآلام

هوذا حمل الله . ٣٧ فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع .

في هذه الآونة اعاد المعمدان شهادته عن المسيح بصورة مقتضبة، لكنها حادَّة كالسهم النافذ «هوذا حمل الله» . انظر شرح عدد ٢٩ . لعلّ المعمدان قصد بهذه الشهادة في هذه الآونة ، ان يقول لتلاميذه « ان مهمتي معكم قد انتهت . . فخدمتي اعدادية لسواي . . هوذا هو »

عدد ٣٧ . *تأثير شهادة يوحنا في تلميذيه* . كان لهذه الثلاث الكلمات اجمل وقع على قلبي التلميذين فأجابا نداء استاذهما ودخلا تحت لواء سيّدهما وفاديهما — هذا تفسير عمليّ لقول المعمدان « ينبغي ان ذاك يزيد واني انا أنقص» (٣:٣٠) . «سمعه التلميذان . . . فتبعاه» كثيرون يسمعون، ولكن بين سمعهم واتباعهم المسيح ابديَّة كاملة . لكن التلميذين سمعا فتبعا. فالاذن سمعت، والعين رأت، والذهن فكر ، والعقل قدَّر ، والضمير حكم، والقلب ودَّع — ثم رَحَّب. هذا هو الخيط الدقيق الذي يربط كنيسة العهد الجديد بهيكل العهد القديم[1].هنا لمست أهداب اللَّيل أطراف النهار. «سمعا فتبعا» هذه خلاصة الاختبارات المسيحية في كلمتين . فالتوبة ، والايمان ، والقبول ، والطَّاعة،والتبرير ، والتبني والتقديس والتمجيد،تنطوي تحت هاتين الكلمتين

(١) حدث هذا قبيل عيد الفصح ، لدى اواخر شهر مارس (٢:١٣و١٣) . ويقول تقليد قديم ان الكنيسة الاولى أسست في وقت الربيع عند تساوى الليل بالنهار

٣٨ فالتفت

شهادة التلاميذ الاوّلين ١:٣٨—٥١

يتضمن هذا الفصل وصفاً دقيقاً لميلاد الايمان المسيحي في قلوب التلاميذ الأولين

ان الشهادة الحيّة تهيئ الطريق للايمان الحي ، ولن يكون الايمان حيّاً الا اذا اتصل بشخصيةٍ حيّة . ولن تكون الشخصية الحية موضوع الايمان الحي الا متى كانت شخصية قوية جامعة — كذلك كانت شخصية المسيح التي حجّت اليها شخصيات كثيرة متباينة الجنسيّات ، والنزعات ، والدرجات. فمن سمعان، و يوحنا، ونثنائيل، الذين يحملون اسماء عبرية[(١)] ، الى اندراوس وفيلبس اللذين يحملان اسمين يونانيين . من بطرس المجازف المقحام ، الى نثنائيل الوادع ، الجالس تحت تينته ، الى يوحنا و يعقوب ابني زبدي

اذا تأملنا شهادات التلاميذ عن المسيح ، رأينا فيها تدرّجاً متمشياً مع روح البشارة كلها . فمن شهادة اندراوس العامة : « قد وجدنا مسيّاً » عدد ٤١ ، الى شهادة فيلبس المخصّصة : « وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء : يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة » عدد ٤٥ ، الى شهادة نثنائيل العميقة : «انت ابن الله . انت ملك اسرائيل» عدد ٤٩

واذا نظرنا الى الوسائل المختلفة التي بها دُعي تلاميذ المسيح،وجدنا أنفسنا أمام غنى الحكمة الالهية المتنوّعة . فالطريقة التي بها اهتدى احد التلاميذ الى

(١) لمعرفة معنى كل اسم بالذات أنظر شرح بشارة لوقا للمؤلف صحيفتي ١٠٥و١٠٦

المسيح ، هي غير الطريقة التي بها اهتدى الآخر . يوحنا واندراوس اتيا اليه نتيجة شهادة استاذهما ، وتوطد ايمانهما به بعد محادثة هادئة تمّت بينه و بينهما في البيت . وسمعان جاء اليه نتيجة شهادة اخيه ، وتعمّق ايمانه به بعد ان سمع منه كلمة فاحصة كشفت له ماضيه وحاضره ومستقبله في لحظة. وفيلبس الرجل العملي استأسرته شخصية المسيح القوية ، فأقبل اليه نتيجة كلمة حاسمة لم تترك امامه مجالاً للشك والتردُّد ، ونثنائيل الوادع وجده نتيجة كلمة هادئة كالنسيم سمعها فملأت قلبه رجاءً وعزاءً . مِن التلاميذ مَنْ جاء الى المسيح بدعوة من سـواه ، ومنهم من طلب المسيح باحثاً ، ومنهم من دعاه المسيح بالذات . منهم من جاءه متسر بلاً برداء الشك ، ومنهم من جاءه مطمئناً واثقاً

طليعة التلاميذ — يوحنا واندراوس ١:٣٨—٤٠ . (أ) سؤال المسيح لهما « .. ماذا تطلبان» . (ب) جوابهما على سؤال المسيح « يا معلم اين تمكث » ع ٣٨ . (ج) دعوة المسيح لهما «تعاليا وانظرا» . (د) تلبيتهما للدعوة «فاتيا ونظرا ..» ع ٣٩ . (ه) اسم احدهما : «كان اندراوس اخو سمعان ..» ع ٤٠

عدد ٣٨ (أ) سؤال المسيح لهما : «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان ؟

سمع هذان التلميذان شهادة معلمهما المعمدان عن المسيح انه حمل الله ، فتركا معلمهما وتبعا فاديهما ، ومنذ تلك اللحظة وهما الى الآن يتبعان « الحمل الذي في وسط العرش وهو يرعاهما و يقتادهما الى ينابيع ماء حية» (رؤ ٧:١٧)

و نظرهما يتبعان . فقال لهما

كان هذان التلميذان يتبعان يسوع في وقت كان قد حول فيه وجهه عنهما ذاهباً في طريقه . إلا انّ قلبه العطوف لم — ولن — يَتَحوّل عنهما، بل كان مراقباً مبادئ الحياة الجديدة وهي تدبُّ في قلبيهما كالنبتة الضعيفة المحتاجة الى اشعة الشمس، لتقويها وتغذيها، وقطرات الندى لتنعشها وترويها . فحوّل المسيح وجهه اليهما وسلّط عليهما شعاعاً شافياً من اشعته النورانية المحيية قاصداً ان يشجّع توجّهات حياتهما الجديدة . «ونظرهما» — هذه الكلمة تفيد التفرس والاعجاب، والاهتمام (٦:٥ ؛ ١يو ١:١)، «وقال لهما ماذا تطلبان» — هذه اول كلمة للمسيح في بشارة يوحنا. ان اولى كلماته في بشارة متى هي : «اسمح الآن . لانه هكذا يليق بنا ان نكمّل كلّ برّ» (مت ٣:١٥) ، وفي بشارة مرقس : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر١:١٥) ، وفي بشارة لوقا : «فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما انه ينبغي ان اكون في ما لأبي» (لو٢:٤٩)

«التفت» . . «ونظرهما» . . «فقال لهما» ، هذه عبارات ثلاث تعيّن لنا الدرجات الثلاث التي بها عالج المسيح ايمان التلميذين في مهده . «التفت» — أراهما وجهه . «نظرهما» — رأى قلبيهما . «فقال لهما» — أراهما حقيقة قلبيهما. «ماذا تطلبان» — كنا ننتظر ان يسألهما المسيح قائلاً «من تطلبان» بدلاً من قوله «ماذا تطلبان» . كأن يسألهما عن الشخص . لا عن الشيء الذي يطلبانه . لكن للأسف كثيرون يقصدون المسيح لأنهم يطلبون عطاياه لا

ماذا تطلبان. فقالا ربي الذي تفسيره يا معلِّم اين تمكث.

شخصه. وكم من كثيرين يطلبون الفادي بغير قصد معيّن. فهم كريشة في مهب الرياح، وكغيوم بغير ماء. ان عارف القلوب تجلّى لهذين التلميذين فرأيا فيه اكثر من «معلم»، وان «حمل الله» تمثل لهما «كاهناً» فاحص الكلى، وان السيّد ظهر لهما ورفشه في يده لينقّي بيدره الجديد

لم يقصد المسيح بسؤاله ان يلقي العثرات امامهما، ولا مجرّد فحص غاياتهما، بل قصد ان يهيئ الطريق امام اشواقهما الجديدة، ليسندها في طفولتها، ويوجّهها اتجاهاً آمناً مطمئناً

(ب) جوابهما على سؤال المسيح: «فقالا ربي. الذي تفسيره يا معلم. اين تمكث». وحسناً اجابا. هل قدّما هذا الجواب لان المسيح فاجأهما بسؤاله فلم يجدا افضل من ان يجيبا على سؤاله بسؤال آخر؟ ام انهما ارادا ان يظهرا له ان قلبيهما محمّلان بالاشواق نحوه، وان حديث الطريق لا يشبعهما لذلك طلبا فرصة خاصة في مكان هادئ؟ ام انهما خافا لئلا يكون هو «عابر سبيل» ينظرانه الآن ثم يمضي عنهما غداً، فقصدا ان يتأكدا من محل اقامته؟ ام انهما بسؤالهما هذا، قصدا ان يقولا له: «نريدك انت. ولا نريد سواك. فقل لنا اين تمكث حتى نتملى برؤياك، ونشبع من سنا سناك»؟؟

الكلمات: — «الذي تفسيره يا معلم» من اقوال البشير. ولعل يوحنا فسّر كلمة «ربي» لانها كانت حديثة الاستعمال وقتئذٍ، فهي لم تستعمل الا منذ ايام هلّيل، قبل المسيح بثلاثين عاماً

٣٩ فقال لهما تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا اين كان يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم. وكان نحو الساعة العاشرة

عدد ٣٩. (ج) رد المسيح: «فقال لهما تعاليا وانظرا». ان سؤال المسيح الفاحص، ودعوته الحبّية، يرمزان الى عمل النعمة الذي يعمله بروحه في قلوب الآتين اليه. والترجمة الحرفية للكلمتين «تعاليا وانظرا» هي: «تعاليا الآن ومن ثمّ تنظران». هذه دعوة مزدوجة: «تعاليا» — دعوة الى اطاعة الايمان. «وانظرا» — دعوة الى التعلّم، والطاعة دائماً تسبق المعرفة. والايمان يسبق العلم ويسايره. هذه دعوة معجّلة. لان المسيح خرج في الغد الى الجليل (١: ٤٣). فلو تأخرا او ترددا في قبول الدعوة لضاعت عليهما الفرصة الى الابد

(د) اجابة الدعوة: «فأتيا ونظرا ومكثا». اطاعا. ونظرا. وانتظرا. وكما كانت الدعوة معجلة كذلك كانت تلبيتها. ان لذة هذه الزيارة بقيت عالقة في ذهن احدهما — يوحنا البشير — الى ما بعدها بستين عاماً لانه ذكر موعدها بالضبط: «وكان نحو الساعة العاشرة» — بالحساب الافرنكي الذي كان الرومان قد اعتمدوه. وهو يتفق والتوقيت المتّبع الآن، اي قبل الظهر بساعتين. ويعتقد «ليتفوت» انها الساعة العاشرة بالحساب اليهودي. اي قبل الغروب بساعتين، ويضيف الى هذا، قوله: ان غد ذلك اليوم كان سبتاً. فلم يكن لديهما متسع من الوقت للسفر لذلك مكثا عنده حتى اليوم التالي. وما اجمل ان يصرف التلميذ اول سبت من حياته الجديدة في حضرة فاديه ومخلصه ان السماء سبت ابدي لانها تُصرف بين يدي الله

٤٠ كان اندراوس اخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين
سمعا يوحنا وتبعاه. ٤١ هذا وجد اولاً اخاه سمعان فقال له

عدد ٤٠ . *اندراوس* «كان اندراوس اخو سمعان بطرس..» واضح من من هذا المدد، ان هذه البشارة كُتبت في وقتٍ كان قد صار فيه بطرس علماً من أعلام الكنيسة واوسع شهرة من اندراوس حتى وصف بانه «اخو بطرس». ومن الاهمية بمكان، ان نذكر ان اندراوس دخل الايمان قبل بُطرس. فمن المحال عندنا ان يكون بطرس اساس الكنيسة

عدد ٤١ . *سمعان بطرس* ١: ٤١و٤٢ «هذا وجد اولاً اخاه سمعان». (أ) ما ظفر به أندراوس: «هذا وجد اولاً»: و يستفاد من كلمة «اولاً»، ان أول عمل قام به اندراوس بعد ان وجد المسيح — أو بالحري بعد ان وجده المسيح — هو انه وجد اخاه سمعان. وايضاً ان كلاً من التلميذين ذهب مفتشاً على اخيه حتى يجده، فكان اندراوس السابق في هذا المضمار فوجد اولاً اخاه. اما التلميذ الآخر—يوحنا—فقد وجد اخاه فيما بعد. هذا برهان على تواضع يوحنا البشير في تسجيله حسنات غيره. « وجد » تنطوي هذه الكلمة على: البحث والسعي والجدّ المتواصل «ومن جدَّ وَجد»

ليست هذه المرة الأولى والاخيرة التي فيها أتى اندراوس بشخص الى المسيح (انظر يو ٦: ٨ ; ١٤: ٢٢). ومِمَّا يلفت انظارنا ان اندراوس وجد المسيح قبل ان يجد اخاه. ان الرابطة الروحية التي تربط الانسان بالمسيح، أقرب، وأسبق، وامتن من أية رابطة جسديَّة. (ب) ما قاله اندراوس:

قد وجدنا مسيًا. الذي تفسيره المسيح. ٤٢ فجاء به الى يسوع.

« قد وجدنا مسيّا » . هذه شهادة النفس المتواضعة التي لم تحتكر امتياز هذا الاكتشاف لذاتها.فبدلاً من ان تقول «قد وجدت» أعطت لغيرها حقاً معها وقالت « قد وجدنا » . هـذه شهادة النفس الظافرة التي وجدت « اللؤلؤة الكثيرة الثمن» . اكتشفت «الكنز المخفى» . ان فرح هذه النفس اعظم من فرح ارشميدس باكتشافه العظيم . بل هـذه شهادة النفس المتيقنة الواثقة مما وجدت لأن « قد » حرف تحقيق . لا بل هذه شهادة النفس الباحثة المستنيرة « وجدنا مسيّا » . ومن العجب ان كلمة «مسيّا» لم ترد على لسان استاذه المعمدان . لكن اندراوس استطاع ان يفهم من الكتب ان «حمل الله » هو « مسيّا المنتظر » . الكلمة « مسيّا » هي الصيغة اليونانية للكلمة الارامية : « مشيحا » ، والعبرية : « مشيح » ، والعربية : « مسيح » اي الملك العظيم الممسوح من الله والمنتظر من الشعب اليهودي ، وفيه تتمّ نبوات العهد القديم. هذا المسيّا كان منتظراً ايضاً من السامريين (٤:٢٥) . جاء في المدراش اليهودي شرحاً لما جاء في خروج٤:٢٢«ان بكر الله هو مسيّاً».وجاء في التلمود «ان اسم مسيّاً هو قبل كون العالم».ولأن يوحنا كان يكتب الى الامم،اضطر ان يفسّر لهم كلمة «مسيّاً» اليهودية بقوله «الذي تفسيره المسيح»

عدد ٤٢ . (ج) ما فعله اندراوس:«فجاء به الى يسوع» — وهذا يكفي. هذا عمل بسيط لكنه كامل. فاذا ما نجحنا في احضار العطشان الى الينبوع الصافي فقد عملنا كل ما يمكن عمله . هذا مثال لما ينبغي ان يعمله كل خادم

فنظر اليه يسوع وقال انت سمعان بن يونا. انت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس

للمسيح. فاذا لم يستطع ان يقدّم المسيح للناس، فعليه ان يتقدَّم بالناس الى المسيح

الى هنا ينتهي عمل اندراوس ويبتدي عمل المسيح. (أ) نظرة: « نظر اليه يسوع » — هذه نظرة مشجّعة. ما اعظم الفرق بين هذه النظرة و بين تلك التي وجهها المسيح الى بطرس بعد خطيته المعهودة (لوقا ٢٢: ٦١)! (ب) اعلان: «انت سمعان بن يونا» — هذا وصف لبطرس في ضعفه الحاضر. لان سمعان تفسيره « المطواع، الضعيف، المستلين ». (ج) نبوة وتشجيع «انت تدعى صفا» — هذا وصف لبطرس في قوته التي يمنحه المسيح اياها فيما بعد. كلمة « صفا » ارامية الاصل تقابلها في العربية: « كهف » وفي اليونانية « بطرس» (*) — اي «حجر». عجيب هذا الفرق بين حال بطرس ومآله. لكن لا يبقى وجه لهذا العجب متى ذكرنا ان حلقة الاتصال بينهما هي نعمة المسيح المجدّدة

هذا برهان جديد على ان المسيح اتخذ لنفسه كل حقوق يهوه في العهد القديم. فكما دعا يهوه يعقوب اسرائيل، كذلك دعا المسيح سمعان بطرساً. على انه لا فائدة من تغيير الاسم الا اذا تغيَّرت الحياة. والمسيح هو المغيّر لهما كليهما

* قد يلذ لنا ان نعرف ان الكلمة التي استعملت لبطرس في الاصل هي « بتروس » ومعناه حجر، لا «بترا» التي معناها صخرة. وليس من المعقول ان الكلمة الثانية هي التي قيلت لبطرس لانها مؤنثة. انا نسوق هذا الحديث للذين يعتقدون ان بطرس هو الصخر الذي بنى عليه المسيح كنيسته. ونؤكد لهم ان الصخر انما هو ايمان بطرس بان المسيح هو ابن الله. واما بطرس، فمعناه «حجر» — لا اقلّ ولا اكثر

٤٣ في الغد اراد يسوع ان يخرج الى الجليل . فوجد فيلبس

عدد ٤٣ . دعوة فيلبس ١ :٤٣ و٤٤ نحن الآن محاطون باكتشافات جديدة . دونها اكتشاف المريخ : اندراوس وجد بطرس ، ويسوع وجد فيلبس ، وفيلبس وجد نثنائيل

«في الغد» — هذا هو اليوم الرابع منذ ارسل الفريسيُّون وفدهم الى يوحنا المعمدان . «اراد يسوع» اي وضع في فكره كما يفيد الاصل . اذاً دعوة المسيح لفيلبّس لم تكن امراً ارتجالياً ، ولا فكرة بنت ساعتها ، بل كانت نتيجة تفكير وتدبير سابقين. هذه الحادثة تصلح لان تُعتبَر رمزاً لدعوة الله للمؤمنين (رومية ٨ :٣٠) . ويعتقد هنستنبرُج ان المسيح وضع في فكره ان يذهب الى الجليل اتماماً للنبوات القديمة القائلة بان الجليل يكون مهبطاً لخدمة مسيًا . ويعتقد آخرون ان المسيح قصد ان يفسح مجالاً لخدمة المعمدان ، ولعله قصد ان يرجع الى الجليل لينتظر هناك ريثما يحين موعد الفصح فيذهب الى اورشليم في العيد. «فوجد فيلبس — فقال له اتبعني» — اذاً يكون فيلبس (*) اول شخص دعاه المسيح بالذات بقوله : «اتبعني» فالثلاثة الأولون — اندراوس ، ويوحنا وبطرس — وجدوا المسيح . لكن فيلبس قد وجده المسيح . في كل هذا

* بملاحظة المواضع الاخرى التي ورد فيها ذكر فيلبس في هذه البشارة ، يتضح لنا ان فيلبس كان رجلاً حكيماً — في ص ٦ :٥ تتكشف لنا حكمته العملية في تقدير حساب النفقة ، وفي ١٢ :٢١ و٢٢ تتجلى لنا حكمته في السياسة والتصرف مع الناس ، وفي ١٤ :٧ تظهر لنا حكمته المنطقية في حسبانه ان رؤية الله تكفي لحل جميع الاسرار والألغاز . ويحدثنا التاريخ ان فيلبس صار احد الانوار المتلألئة في اسيا . وهو غير فيلبس المبشر الذي تنبأت بناته (اعمال ٨ و٢١ :٨)

فقال له اتبعني . ٤٤ وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة اندراوس
وبطرس . ٤٥ فيلبس وجد نثنائيل

يصدق القول «نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» . كلمة واحدة قالها المسيح لفيلبس: وكذلك لمتى ايضاً مت ٩:٩، «اتبعني» (فيها خلاصة الحياة المسيحية فهل فهم فيلبس في الحال كل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من اتباعه الى جثسيماني والى الجلجثة ، والى القبر،والى المجد ؟ ام فهم منها ان المسيح يدعوه ليتبعه في رحلته الى الجليل وكفى ؟

عدد ٤٤ .موطن فيلبس «وكان فيلبس من بيت صيدا..» — ومعناه محل الصّيد — « من مدينة اندراوس و بطرس » يا لها من مدينة عجيبة خرج منها كثيرون من خيرة صيّادي النّاس . لم يذكر البشير شيئاً عن نفسه ولا عن موطنه، تواضعاً منه كعادته . وقد اندثرت مدينته وذهبت معالمها ولم يبق منها سوى اكوام معروفة بـ «تل حوم» . اما مدينة فيلبس فهي « بيت صيدا » الجليل ، الواقعة في الجهة الغربية من نهر الاردن قرب بحيرة طبريّة بقرب «خان منية» . وهي غير «بيت صيدا» الواقعة شرقي الاردن قرب مصبه في بحر طبرية . ويظن طمسون الرحالة ان ليس الا بيت صيدا واحدة وانها عند « ابي زاني » الحالية ، بجانب مصب الأردن في بحر طبرية

عدد ٤٥ . نثنائيل — او ثمرة التين الناضجة ١ :٤٥ — ٥١ ان اول تلميذ وجد المسيح، واول تلميذ وجده المسيح، صارا كلاهما مبشرين ناجحين. فاندراوس وجد سمعان،وفيلبس وجد نثنائيل. كلمة «نثنائيل» — عبريّة تقابلها في اليونانية

وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء

«ثيودور» المعربة بـ «تاوضروس» . ومعناها «عطية الله» . نثنائيل المذكور في بشارة يوحنا هو برثولماوس المذكور في سائر البشائر. لان ذكره في استهلال بشارة يوحنا وفي خاتمتها (١:٤٥ ; ٢١:٢) يدل على انه كان ذا مقام ممتاز بين التلاميذ. ولان سائر البشيرين ذكروا اسم برثولماوس بجانب اسم فيلبس (مت ١٠:٣ ; لو ٦:١٤ ; مر ٣:١٨) وكذلك فعل يوحنا باسم نثنائيل . فمن المرجّح جداً ان نثنائيل هو هو برثولماوس ، سيما وان برثولماوس ليس اسماً بل كنية ومعناه : بن تلماي — اي «ابن الحارث» وربما عُرف في بعض الاوساط باسمه «نثنائيل» وفي البعض الآخر بكنيته : «ابن الحارث»

لقد اتخذت دعوة نثنائيل دورين : احدهما تمهيدي — حدث بينه و بين فيلبس ١:٤٥و٤٦ وثانيهما نهائي حدث بينه و بين المسيح ١:٤٧—٥١ . في الدور الاول نرى نثنائيل متحيّراً في شكه . وفي الدور الثاني نرى نثنائيل باحثاً ، ومتعجباً ، ومعجباً ، ومؤمناً

الدور الاول — نثنائيل متحير في شكه ١:٤٥ و ٤٦ . هنا نرى (١) كلام فيلبس مع نثنائيل : «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس، والانبياء» . يقول البشير : «المسيح وجد فيلبس» عدد ٤٣ — هذا هو الصوت . ويقول فيلبس : «وجدنا المسيح» ع٤٥—هذا هو الصدى . هذه شهادة (أ) المتواضع : «وجدنا» لا «وجدت» (ب) الباحث عن الحقّ : «الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء» (ج) المدقق في بحثه: «يسوع

يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة. ٤٦ فقال له نثنائيل أمن
الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح. قال له فيلبس تعال وانظر
٤٧ ورأى يسوع

بن يوسف» — كما كان يُظن — «الذي من الناصرة» — بذلك قد ربط القديم بالجديد (د) الفرِح باكتشافه

عدد ٤٦ . (٢) رد نثنائيل : «أمن الناصرة . .» هذا جواب المتحيّر في شكّه . مع ان الجليليّين كانوا وقتئذٍ محتقرين لخشونتهم ، وعدم تهذيبهم ، لـكننا نرى هنا جليلياً يحتقر الناصرة . والانجيل نفسه لا يضع الناصريين في مكان يُحسَدون عليه ، فالمسيح تركهم وفضّل ان يعيش بين اهل كفرناحوم (مت ٤ :١٣) ، ولم يقدر ان يعمل معجزات في الناصرة بسبب عدم ايمان اهلها . (مت ١٣ :٥٨) . وفي ذات يوم شرعوا في قتل المسيح الذي هو مفخرة وطنهم (لو ٤ :٢٩) . ولعلّ نثنائيل قصد ان يقول : امن الجليل الحقير — والناصرة جزء منه — يمكن ان يكون شيءٌ صالح ؟ فيكون قد فاه بهذه الـكلمة من قبيل التواضع والتعجب ، لا من قبيل التحقير — لانه هو ايضاً جليليّ

عدد ٤٧ . **الدور الثاني — نثنائيل باحث ١ :٤٧ — ٥١** . في هذا الدور نرى طابع التدرّج المطبوعة به كل البشارة . نلاحظ هذا التدرُّج في اختبارات نثنائيل ، وفي اعلانات المسيح لنثنائيل . في اختبارات نثنائيل نراه مقبلاً عدد ٤٧ ، فمتعجباً عدد ٤٨ ، فمؤمناً مقراً بايمانه عدد ٤٩ . وفي اعلانات المسيح نراه معلناً حقيقة نثنائل للواقفين معه عدد ٤٧ ، ثم مظهراً قوته الفاحصة لنثنائيل عدد ٤٨ ،

نثنائيل مقبلاً اليه

ثم واعداً اياه باعلانات اعمق واتمّ في المستقبل القريب والبعيد عدد ٥٠و٥١

الـكلمة المركزية في هذا الفصل هي : «اسرائيلي» ، وهي عبريّة معناها « يسودُ الله » . انها تصوّر لنا كرتنا يعقوب ابا الاسباط ، الذي أُعطي هذا اللقب المجيد بعد صراع عنيف،فناله بضعفه لا بقوته . ان ما جاء في يو ١:٤٧ عن اسرائيل الجديد ، يقابله ما جاء في تكوين ٣٢ ، عن اسرائيل القديم ، وما جاء في يو ١:٥١ يتمشى مع ما جاء في تك ٢٨ . تمّت مصارعة الاول وهو منفرد في وحدته . كذلك كانت مصارعة الثاني . على ان مصارعة يعقوب تمت في ظلمة الليل . لكن مصارعة نثنائيل تمت في نور النهار ، وهو جالس تحت ظل تينته — والتينة ترمز الى الهدوء والاطمئنان . وتحت تينة ايضاً اهتدى اغسطينوس الى الله . كان يعقوب اسرائيل محاطاً بشكوكه ومخاوفه كذلك كان نثنائيل . نال يعقوب لقب « اسرائيل » من شخص عجيب ، هو الله—الانسان ، او الاله المتأنس اذ قيل له : «جاهدت مع الله والناس»، وكذلك نال نثنائيل لقب «اسرائيلي حقاً» من المسيح الذي هو الله المتجسد (يوحنا ١:١٤)

حوار بين المسيح ونثنائيل . لنتأمل في هـذا الحوار البديع فنلاحظ

— ا — المسيح ناظراً الى نثنائيل في وقت اقبال نثنائيل اليه : « ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً اليه»—هذه نظرة مزدوجة—ظاهرية وباطنية . فالمسيح رأى نثنائيل كما يراه اي انسان ، ورأى أعماق نفسه كما يراه اللهُ وحده .

فقال عنه هوذا اسرائيلي حقاً لا غش فيه. ٤٨ قال له نثنائيل من
اين تعرفني. اجاب يسوع وقال له. قبل ان دعاك فيلبس وانت
تحت التينة رأيتك.

«مقبلاً اليه» — إقبالاً مزدوجاً: بالجسد، و بالروح —ب—المسيح شاهداً عن نثنائيل «هوذا اسرائيلي حقاً لا غشّ فيه» أي هذا هو الاسرائيلي الروحيّ، المخلص، الحقيقي (رو ٢: ٢٩). هل في هذا القول مفاضلة ما، بين اسرائيل الجديد — نثنائيل، و بين اسرائيل القديم — يعقوب، الذي كان معجوناً بالمكر والدهاء؟ ام هذه عبارة تفسيرية لما قيل عن اسرائيل القديم في تك ٢٥: ٢٧، فيكون معناها: «هوذا اسرائيلي بالحق»؟ يغلب على اعتقادنا ان المعنى الثاني هو اقرب الاثنين الى الصواب —ج— نثنائيل متعجباً من علم المسيح الفاحص

عدد ٤٨. **نثنائيل يتعجب** لما ادرك نثنائيل ان المسيح عالم بحقيقة قلبه، ملكه العجب فقال له: «من أين تعرفني؟» هذه — ولا شك — معرفة اعجازية الهية. والاّ لما أثارت تعجّب نثنائيل واندهاشه

—د— جواب المسيح على تعجُّب نثنائيل «قبل أن دعاك فيلبس وانت تحت التينة رأيتك» — من هذا الجواب نرى ان المسيح أجاب على تعجب نثنائيل بما يزيد هذا التعجب لا بما يزيله. لان المسيح اعلمه ان له قوة الهية خارقة تجتاز الأبعاد والمسافات، وتخترق حُجُب أوراق التين الخضراء. فهو يعلم كل شيء لانه يرى كل شيء

٤٩ أجاب نثنائيل وقال له يا معلم انت ابن الله . انت ملك اسرائيل

عدد ٤٩ . —ه— *تعجب نثنائيل يقلب اعجاباً، وايماناً، واقراراً :* « يا معلّم أنت ابن الله . انت ملك اسرائيل » . في هذا الاقرار ثلاث كلمات — كل منها تصف المسيح في ناحية معيَّنة : «معلم» ، « ابن الله » ، «ملك اسرائيل» . « معلم » —هذا هو اللقب الذي كان المسيح معروفاً به عند عامة الناس . واذا كان نثنائيل قد أقرّ بأن المسيح مُعلّم فقد اعترف ضمناً بانه تلميذ لهذا المعلم . « ابن الله » — هذا وصف للمسيح في شخصه الالهي الذي له طبيعة واحدة مع الله . واذا كان نثنائيل قد اقرّ بان المسيح ابن الله فقد اعترف ضمناً بانه متعبد له . « ملك اسرائيل » — هذا وصف للمسيح في وظيفته الالهية . واذا كان نثنائيل قد أقرّ بان المسيح « ملك اسرائيل » فقد اعترف ضمناً بانه عبد له. هذا برهان جديد على ان نثنائيل هو « اسرائيليّ حقاً لا غش فيه » . كأن نثنائيل قصد ان يقول للمسيح : « اذا كنت انا اسرائيلياً، فأنت ملك اسرائيل،بل ملكي انا» . نثنائيل هو آخر التلاميذ الذين اتوا الى المسيح — في هذا الاصحاح — لكنه كان اسبق التلاميذ إلى الاعتراف بلاهوت المسيح، وسموّ ملكوته . اذاً قد صار الآخرون أولين واذا كان كثيرون يقعون في شكّ بعد ايمان ، فان نثنائيل قد ارتقى الى الايمان بعد الشكّ .ومن عجائب الاتفاق ان غرّة هذه البشارة ترينا تلميذاً قد شك ثم آمن ، وان خاتمتها تتوج بتلميذ كان مؤمناً ، فشك ثم عاد الى الايمان — توما. وربما كان اقوى انواع الايمان، ذاك الذي يتوطد بعد شكّ

٥٠ اجاب يسوع وقال له هل آمنت لاني قلت لك اني رأيتك تحت التينة . سوف ترى اعظم من هذا٥١ وقال له الحق الحق

عدد ٥٠ و٥١ — و — **المسيح يعد نثنائيل باعلانات اجل واكمل** ، في المستقبل البعيد عدد ٥٠ ، والقريب ٥١ . ان ما رآه يعقوب اسرائيل في حلم الليل : « سلماً منصوبة على الارض ورأسها يمسّ السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها » سيحققه نثنائيل — الاسرائيلي الروحي — في وضح النهار . وما السلم التي رآها يعقوب سوى رمز ليسوع المسيح المتجسد ، الذي يسمو بلاهوته الى اعلى السماوات ، ويلامس بناسوته أعماق الارض . لقد فتحت الخطية هوّة عميقة بين السماء والارض . وفي العهد القديم ، سمح الله لبعض بني البشر ان يروا شعاعاً ضئيلاً من انوار التجسّد الذي ملأ هذه الهوّة . فرأى يعقوب في حلمه شعاعة من التجسّد ، ولمح أيوب بصيصاً منه ، لـكن الطريق بين السماء والارض كان غير مطروق الى ان جاء « الطريق والحقّ » ، والحياة ، وفي غرّة خدمة المسيح الجهريّة — عند المعموديّة — انفتحت السماء وانفرجت شفتاها عن قبلة للارض ، وفي جثسيماني ظهرت الملائكة خادمة لابن الانسان ، وعند مجيئه ثانية ستنفتح السماء ، ويظهر منها ربّ الاكوان ، حاملاً تعطفات السماء على الارض ، ومبلغاً أشواق الارض الى السماء ، بل مصيّراً الارض سماء

لأول مرة في هذه البشارة نسمع الفادي يقول : «الحق الحق» ، ولأول مرة فيها نسمعه يقول عن نفسه انه « ابن الانسان » . بهذا اللقب تختتم قائمة

اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة

الألقاب التي خُلِعَت على المسيح في هذا الاصحاح : «حمل الله» : (٢٩ و ٣٦)، «ابن الله» : (٣٤ و ٣٩) ، «مسيّا» : (٤١ و ٤٥) ، «ملك اسرائيل» : (٤٩) « ابن الانسان » (٥١) . وقد ورد هذا اللقب ٧٩ مرة في البشائر : ١١ مرّة في يوحنّا ، ١٢ في مرقس ، ٢٦ في لوقا ، و٣٠ في متى . ولم يرد لما ذكر في العهد القديم سوى مرة واحدة في دانيال ٧:١٣ . وممّا يستحقّ الاعتبار ، ان هذا اللقب قد خلعه المسيح على نفسه ولم يجسر احد سواه ان يطلقه عليه(*) . ويغلب على اعتقادنا ان التلاميذ لم يجسروا ان يطلقوا هذا اللقب على المسيح، تحاشياً من نغمة الاتضاع التي تحيط بهذا اللقب.غير انه لقب ممتاز ومجيد. فهو يتميز عن القول : «ابن الله» في كونه ينبّر على الجانب الانساني في المسيح . وعن القول : «ابن داود» في كونه يشير الى سعة شخصيّة المسيح التي تضمّ كل البشريةّ معاً . وعن القول: « ابن آدم » في كونه ينبر على المجد الذي كُلِّل به المسيح المتألّم ، الكامل . وقصارى القول : ان ما قصده المسيح بهذا اللقب هو مشاركته لنا في اللحم والدم ، على كيفية تجعله ممثلاً للبشرية جمعاء، وفيه نرى الصورة الممتازة التي كانت تظل عليها البشرية لو لم تخطىء ، والحالة المجيدة التي ستصير اليها بعد اتمام الفداء في المجد

* الا في المرتين اللتين ورد فيهما هذا اللقب على لساني اسطفانوس (اعمال ٧:٥٦) ، ويوحنا البشير في الرؤيا (رؤ ١:١٣) ، لان ذكرهما لهذا اللقب كان ترديداً لصدى صوت المسيح من قبيل الاقتباس ليس الا ، علاوة على انه لا يحسب مقاماً لندورته

وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان

أليس من الملذ ان نذكر ان المكان الذي رأى فيه يعقوب اسرائيل حلمه ، هو بيت إيل — نفس المكان الذي كان المسيح واقفاً فيه مع نثنائيل ، في طريقه من اليهودية الى الجليل ؟؟!!



الاصحاح الثاني

١ وفي اليوم الثالث

شهادة المعجزة الاولى

٢:١—١١

عرفنا من الاصحاح الأوّل شهادة التلاميذ الاوّلين للمسيح، والآن نرانا امام شهادة نطقت بها اولى معجزات المسيح على الأرض. فيما مضى سمعنا شهادات من افواه البشريّة، وهنا نسمع شهادةً فاهت بها احدى قوات الطبيعة — الماء المتحوّل خمراً. قبلاً رأينا التلاميذ وقد شاهدوا «حمل الله» فشهدوا له بصراحةٍ من غير خفاء، والآن نرى الماء الحسّاس وقد رأى خالقه، فاحمرّ وجهه خجلاً، فشهد له في خفَرٍ وحياء!!

هذه هي المعجزة التي استهلّ بها المسيحُ خدمته الجهريّة. ما أشبهها بالباب «الجميل» الذي كان يؤدي الى الهيكل! ان حدوث هذه المعجزة في بيت، يجعلها حلقة اتصال بين الثلاثين عاماً التي قضاها المسيح في صمته منفرداً، و بين الثلاثة الاعوام التي قضاها وسط المجتمع خادماً ناطقاً. على ان هذه ليست اولى معجزات المسيح على الاطلاق، فقد سبقتها معجزة اخرى— هي معجزة الصمت. ان صمت «الكلمة» عن الكلام، معجزة. وسكوت ربّ القدرة عن اتيان معجزةٍ ما، مدة ثلاثين عاماً، لهو معجزة المعجزات

هذه المعجزة الأولى التي اجراها المسيح، تحمل معها رمزاً لطبيعة خدمته.

كان عرس

ويتبيَّن لنا هذا ، من مقابلة خدمة المسيح، بخدمة اول أنبياء العهد القديم — موسى ، وخاتمتهم — يوحنا المعمدان

فاول معجزة قام بها موسى هي تحويل الماء الى دم — والدم رمز الموت . لكن اول معجزة قام بها المسيح هي تحويل الماء الى خمر — والخمر رمز الحياة . فمن هذا يتضح لنا ان خدمة موسى هي خدمة موت لموت ، وأن خدمة المسيح هي خدمة حياة لحياة . اما يوحنا المعمدان ، فقد كان رجلاً زاهداً عن الناس ، ومعاشرتهم ، لكن المسيح احَبَّ الخطاة وعاشرهم ، وقدّس الصلات البشرية الشريفة ، ورفعها الى أعلى مستوى . اذاً تعتبر هذه المعجزة نقطة انتقال من ماء اليهودية المميتة الى خمر المسيحية المقدسة المبهجة

أليس من العجيب حقاً ان رجل الاحزان يفتتح خدمته بوليمة عرس ؟ لكن العجب يزول متى ذكرنا انه فادينا . فقد صار رجل أحزان ، لكي نصير نحن ابناء البهجة والسرور . نعم كان فادينا رجل الاحزان ، لكنه كان ايضاً رجل الفرح . ان الذي اضطرب بالروح و بكى امام قبر لعازر (يوحنا ١١ : ٣٤ و٣٥) قد تهلّل بالروح أمام رسله (لوقا ١٠ : ٢١) . ان الذين لا يرون على وجه فادي الأنام سوى غضون الهموم والآلام ، لا يرونه كما هو . والذين يفتشون عن المسيح تحت القباب السوداء ، لا حق لهم ان يتعجبوا ان لم يجدوه هناك . ان مسيحنا هو مسيح النور لا مسيح الظلال والظلام . وان الذي كسر شوكة الموت ، أهدانا وردة الحياة

في قانا الجليل

في تحويل الماء الى خمر، أظهر المسيح قدرته الخالقة من غير ان يفوه بكلمة — وما الداعي لأن يفوه بكلمة وهو هو «الكلمة» ؟ بذلك أرانا ان العمل الذي تنجزه النواميس الطبيعيةّ في عام او بعض عام، قد اجراه رب الطبيعة في لحظة — لان الخمرة هي ماء سُقيت به الكرمة، ثم سوّته الشمس في بعض شهور، حتى صار عنباً، ثم اختمر. فكل هذه العملية الطويلة قد اتمّها المسيح في لحظة، من غير كلمة ولا لمسة

في هذه المعجزة تجلّت لنا تضحية المسيح. لان الذي استطاع ان يحوّل الماء الى خمر، كان في امكانه ان يحوّل الحجر الى خبز، لمّا جاع في البريةّ (مت ٤ :٣). لكنه لم يستخدم قوته المعجزيةّ لاشباع مطالب جسده. سيما وان هذا الطلب كان من مقترحات المجرّب

في هذا الفصل ٢ :١ — ١١ نجد (أ) مقدّمة تاريخيةّ ٢ :١ و٢ (ب) الدورين اللّذين اجتازتهما المعجزة ٢ :٣ —٨ (ج) الشهادات اليقينيةّ لصدق المعجزة ٢ :٩و١٠ (د) كلمة ختامية ٢ :١١

ع ١ (أ) مقدمة تاريخية ٢ :١و٢ تحدثنا هذه المقدمة التاريخيةّ عن زمان المعجزة، ومكانها، والمدعوّين اليها

نحن الآن في اليوم الثالث منذ اليوم الذي دُعي فيه فيلبس (١ :٤٣)، وفي قرية «قانا الجليل» — غير قانا الفينيقيةّ القريبة من صور — وتعرف الآن باسم «كفرقنةّ»، قرية ما أصغرها لكن هذه المعجزة قد رفعتها وجعلتها

وكانت امّ يسوع هناك. ٢ ودعي ايضاً يسوع وتلاميذه الى العرس

«أشهر من نار على عَلَم». وهي تبعُد عن الناصرة اربعة او خمسة أميال، وبينها وبين الجليل مسيرة ثلاثة ايام — هذا يفسر القول: «في اليوم الثالث». اذاً نحن الآن في اليوم السابع مذ اليوم الذي فيه شهد يوحنا المعمدان للمسيح أمام الوفد السنهدريمي. اسبوع ما أمجده! فهو غرّة خدمة المسيح الجهرية، يقابله اسبوع الآلام الذي اختُتمت به حياة فادينا على الارض — وكلاهما اسبوع مجد. لان المسيح تمجد بالشهادة له كما انه تمجّد ايضاً بالآلام

بعد ان ارخى الليل سدوله، اجتمع المدعوُّون في بيت والد العروس — أو ولي أمرها — حسب عادة اليهود وقتئذ، وكان العريس يحيّي المدعوين ويحتفي بهم. اما أمّ (١) المخلِّص فكانت قد سبقتهم الى العرس، بدليل القول: «وكانت ام يسوع هناك» ويغلب على اعتقادنا انها كانت تتصل باصحاب العُرس بصلة وثيقة. ولعلهم كانوا يرجعون اليها في تدبير ما يلزمهم في العرس. ويستنتج جلّ المفسرين من عدم ذكر اسم يوسف انه كان وقتئذ قد تُوفّي

عدد ٢. *المسيح وتلاميذه يدعونه الى الوليمة* «ودُعي ايضاً..» كان يسوع، وتلاميذه الحديثون — البالغ عددهم نحو ستة — من المدعوين. وقد حضر المسيح واياهم في وقت متأخر، ربما لانهم دُعوا بعد رجوعهم من السفر (١: ٤٩)

هذه اول مرة في هذه البشارة وُصف فيها أتباع المسيح بكلمة «تلاميذ» — وهي تميّن صلتهم به كمعلّم. (١: ٤٩)

(١) يوحنا هو البشير الوحيد الذي لم يذكر اسم ام المخلص بالذات

٣ ولما فرغت الخمر قالت ام يسوع له ليس لهم خمر. ٤ قال لها يسوع

عدد ٣ — ب — *الدورات اللذان اجتازتهما المعجزة* ٢: ٣ — ٨

الدور الاول : ٢: ٣ — ٥. وهو يحدثنا عن المناسبة التي دعت الى المعجزة، ومن خلاله نرى مجد أمّ المخلص في: (١) ما لاحظته: « ليس لهم خمر» (٢) ما طلبته: « قالت ام يسوع له » عدد ٣ (٣) ما سمعته « قال لها يسوع مالي ولك » عدد ٤ (٤) ما أوصت به: «قالت امه للخدام ..» عدد ٥

(١) *ما لاحظته ام المخلص*. جرت العادة قديماً ان تمتدّ ليالي العُرس حتى تتمّ الاسبوع (تك ٢٩: ٢٢ وقضاة ١٤: ١٢). وكان اصحاب هـذا العُرس من الوسط المستور بالبركة، فمن المحتمل جداً ان مجيء المسيح وتلاميذه أوقع اصحاب العرس في شيء من الارتباك لان الخمر نفدت او كادت فلاحظت ذلك امّ المخلِّص ببصرها الثاقب، وحسن تدبيرها

عدد ٤ (٢) *ما طلبته ام المخلص*: « قالت له ليس لهم خمر » . لقد عملت أمّ المخلِّص كل ما في طاقتها ان تعمل، وهو ان تطلع ابنها القدوس على حقيقة الامر. وقد تضاربت آراء المفسّرين في معرفة قصد مريم بسؤالها. فمن قائل ان ام المخلص أوعزت اليه بطريقة لطيفة ان يغادر العرس هو وتلاميذه لكي لا يوقع اصحاب الوليمة في ورطة الخجل. ويعتقد يوحنا الذهبي الفم ان العذراء ارادته ان يصنع معجزة ليظهر مجدها كأمّ امام المدعوين والتلاميذ. ومن قائل انها قصدت اليه ان يصرف اذهان المدعوين عن الخمر ونفادها، بعظة منه فيسكرهم بسحر كلامه الذي هو اطيب من الخمر. لكن المستفاد من

مالي ولك يا امرأة .

اجابة المسيح على كلامها انها تمنّت اليه ، من طرف خفي ، ان يُظهر قوّته الاعجازية التي طالما احست بها هي ، ولمستها ، اثناء صمته مدة الثلاثين سنة ، وما أعرف الامّ بحقيقة مواهب ابنها . ومن قائل انها طلبت اليه ان يسدّ الحاجة المطلوبة

لقد عبّرت لنا امّ المخلص بقولها : « ليس لهم خمر » عن ماهية الصلاة الحقيقية . التي تقوم برفع اشواق قلوبنا الى الله من غير أن نملي عليه ارادتنا (في ٤:٦) . وعلى هذا المثال عينه ارسلت مريم ومرثا الى يسوع قائلتين : «هوذا الذي تحبه مريض» (٣:١١) فكلاَ الاثنين طلبٌ في صيغة خبر

(٣) ما سمعته ام المخلص : « قال لها يسوع . . . » الكلمة الاصلية المترجمة « امرأة » لا تنطوي على الجفاء المتضمن في الكلمة العربيّة . لان معناها في الاصل هو «يا سيدة» — وهي تقال عادة بنغمة الوقار والاحترام ، والرعاية (٢٦:١٩) . ولكن هل من اللائق ان يقول يسوع لامّه : مالي ولكِ ؟ في الواقع ان مريم ادركت لياقة هذا الجواب لانها فهمت قصده واقتنعت به واوصت الخدام ان يطيعوا المسيح بكل دقة. وفي امكاننا نحن ان نتحقق لياقة هذا الجواب متى ذكرنا ان المسيح قد بدأ الآن خدمته الجهرية كوسيطٍ وفادٍ . فقد خرج اذاً من حدود تلك النسبة الضيقة التي كان فيها تحت نفوذ امه حسب الجسد. واصبح مستمعاً لصوت الآب السماوي ومصغياً الى دقات ساعة الازل (يو ١٩:٥). ومنذ الآن لا نعود نسمع المسيح يخاطب مريم بالقول: «يا أمي». وربما

لم تأتِ ساعتي بعد .

هذه أولى المرات التي احسَّت فيها مريم بذلك السيف يجوز في نفسها(لوقا٢: ٣٥). على انه ليس في هذا الجواب ما يفيد رفض المسيح لطلب امه ، لكنه ينطوي على تأجيل الطلب الى ان تأتي « ساعته » . هذه اولى المرات الثلاث — المذكورة في هذه البشارة — التي فيها أجل المسيحُ طلباً الى ان تحين ساعته. والمرة الثانية في (٧: ٣و٦) لما طلب اليه اخوته ان يذهب الى العيد ، والمرة الثالثة في (١١: ٥) حين ارسلت اليه الاختان ان يأتي الى بيت عنيا ليشفي لعازر المريض. و في كل هذه الثلاث الحالات كانت غاية الطالبين ان يحملوه على اظهار مجده وقدرته قبل مجيء ساعته . ولعله كان يرى في هذه الطلبات او في بعضها تجربة بان يظهر مجده في اية ساعة. كأنه جاء الى الارض ليصنع مشيئته هو لا مشيئة الآب الذي ارسله.ووجه الخطر في هذه التجارب هو انها وُجهت اليه من المقربين . كأن التجربة ارادت ان تسخرّ المحبة لارادتها ومصلحتها . لكن المسيح اجاب الطلب الاول بعد مرور ساعة او بعض ساعة ، والطلبة الثانية ، بعد مرور يوم او بعض يوم ، والطلبة الثالثة بعد مرور يومين. وردت كلمة «ساعة» على لسان المسيح عدة مرات (يو ١٢: ٢٧و١٧: ١ ومت ٢٦: ٤٥) وفي بعض هذه المرات تشير كلمة «ساعتي» الى وقت اظهاره مجده في اعماله وهو في مستهل خدمته الجهرية ، وفي البعض الآخر تشير الى وقت اظهاره مجده في آلامه عند نهاية خدمته على الارض . ويستفاد منها بوجه عام ، ان كل خطوة خطاها المسيح على الارض ، كانت اتماماً لبرنامج

٥ قالت امه للخُدام مهما قال لكم فافعلوه. ٦ وكانت

معيَّن قد دُبّر منذ الازل. لذلك لم يعمل شيئاً قبل اوانه ولا بعد اوانه ، بل كان على الدوام متمماً قصد الآب في وقته الخاص (١٩:٥)

عدد ٥. (٤) ما اوصت به مريم «قالت أمّه للخدام. مهما قال لكم فافعلوه». رأت مريم في جواب المسيح بارقة أمل ، بل شبه وعد بانه سيصنع أمراً عجيباً. ولشدة تقديرها لهذه الشخصية العجيبة تذرّعت بالصبر ، وأوصت الخدّام ، بان يكونوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ كل امر يُطلب منهم. انّ في كلامها صبراً ، وايماناً وثيقاً ، وتسليماً تاماً ، وطاعة من غير قيد ولا شرط « مهما قال لكم فافعلوه » . هذه هي الشروط المستديمة التي يجب ان تتوفر في البشر حتى يتمكّن المسيح من عمل معجزة بينهم

عدد ٦ الدور الثاني ٢: ٦ — ٨ في هـذا الدور نجد عناصر المعجزة : (١) عناصر طبيعيةّ — الاجران عدد ٦ ، والماء عدد ٧ . (٢) العامل الالهي والرئيسي : المسيح الآمر عدد ٧و٨ . (٣) العامل البشري او الثانوي : الخدام المطيعون عدد ٧و٨

(١) العناصر الطبيعية — الأجران والماء عدد٦و٧ . كان في امكان المسيح ان يصنع هذه المعجزة من غير ان يستخدم شيئاً من المواد الأولية. اليس هو الخالق الذي ابدع كل شيء من العدم ؟ لكنه لا يتغاضى عن الموارد الطبيعية لانها ملكه وخادمة له ، وهو الحكيم الذي لا يلجأ الى استخدام قوة خارقة الا بعد نفاد القوات الطبيعية . من أجل هذا لم يشرع المسيح في عمل هذه

ستة اجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع
كل واحد مطرين او ثلاثة. ٧ قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء

المعجزة الا بعد نفاد الخمر الطبيعية. ولئلا يُقال فيما بعد ان الخمر كانت محفوظة في مكان معيّن، ولكي يعدّ قلوبهم لانتظار معجزته. فلما فرغت كؤوس خمرهم، امتلأت كؤوس رجائهم بانتظار عطية الله. اما العناصر الطبيعية التي استعملها المسيح في هذه المعجزة فهي: الأجران، والماء. «وكانت ستة اجران». كانت تلك الاجران موضوعة في دهليز الدار، ليغتسل منها المدعوّون حسب عادة الفريسيين (مت ١٥: ٢ ومر ٧: ١—٤ ولو ١١: ٣٨) وربما كانت موضوعة ايضاً لاجل غسل الاباريق والاواني (مر ٧: ٣و ٤). ولا يبعد ان الكلمة: «حسب تطهير اليهود» تنطوي على اشارة ضمنية الى التطهير المسيحي (٣: ٢٥وعب ١: ٣ و٢بط ١: ٩). ويظهر من عدد ٨ انها كانت موضوعة في مكان لا يراها منه العريس والمدعوّون. وكانت مصنوعة من حجر، لتكون غير قابلة للكسر. «كل واحد منها كان يسع مطرين او ثلاثة» — اي اكثر من مطرين وأقلّ من ثلاثة. والمطر يعادل نحو ٨٠ رطلاً او ٣٥ لتراً

عدد ٧و٨ (٢) *العامل الالهي والرئيسي — المسيح الآمر*: «قال لهم يسوع. املأوا الأجران ماء». لم يفُه المسيح بصلاة لكي يتمّ هذه المعجزة، ولا استخدم فيها قوّة ذراعه، لكنه اجراها بمجرّد كلمة منه القاها الى الخدام على دفعتين — اولاهما «ان يملأوا الاجران ماء» — لكي يختبر

فملأوها إلى فوق. ٨ ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا الى رئيس
المتكإ. فقدموا. ٩ فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحول خمراً ولم
يكن يعلم من اين هي. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء

مقدار طاعتهم عدد٧، والثانية «ان يقدموا الخمر الى رئيس المتكا» لكي يذوق الرئيس فيؤمن ويشهد. ان المسيح لم يغض الطرف عن العوامل البشرية — « الخدّام » ، والطبيعية — « الماء ». فهو لا يعمل لنا ما تقدر نحن ان نعمله لأجل انفسنا

(٣) **الخدام المطيعون** : كما كان امر المسيح على دورين ، كذلك كانت طاعة الخدام: «فملأوها الى فوق» عدد ٧ ،.. «فقدّموا» عدد ٨. كانت طاعة الخدام لازمة لاتمام هذه المعجزة لزوماً جوهرياً ، فهي المجرى الذي فيه سرت قوة المسيح الآمر. لان الطاعة الحقيقيةَّ هي محكّ الايمان الحقيقي. ومع ان طاعة الخدام كانت طاعة تامة ، لكنها لم تكن طاعةً عمياء ، بل كانت غاية في حدة البصيرة، لانها رأت ببصيرتها ما لا يُرَى. فرأت خمراً حين كان امامها مجرد ماء. قدّمتها للمدعوّين. وعند شروعهم في تقديمها تمّت المعجزة (انظر لوقا ١٧: ١٤)

عدد ٩ و١٠ (ج) **الشهادات اليقينية لصدق المعجزة** ٢: ٩ و١٠ يقدم لنا هذان العددان ثلاث شهادات ناطقة بصدق المعجزة — وعلى فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة — أولاها شهادة الخدّام لحقيقة المادة قبل التحول — فانهم كانوا يعلمون انها كانت مجرد ماء — لا اكثر ولا اقلّ. والثانية هي شهادة رئيس المتكا لحقيقة المادة بعد التحوُّل « فلما ذاق » . عدد ٩ ، «انما

علموا . دعا رئيس المتكإِ العريسَ . ١٠ وقال له . كل انسان انما
يضع الخمر الجيدة اولاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدّون . اما انت فقد
ابقيت الخمر الجيدة الى الآن . ١١ هذه بداية الآيات

يضع الخمر الجيّدة» عدد ١٠ ، وفي قوله هذا ، لم يكن واصفاً حقيقة حال ، بل كان متكلماً بمَثَل ، ومقرّراً حقيقة عامة . فلا يستنتج من هذا ان الذين كانوا في العرس «سكروا» . ان في قول رئيس» المتكا : «الخمرة الجيدة » شهادة خالدة لحقيقة بركات المسيح . فهو تقدّم لاتباعه ، صلباناً ، واشواكاً ، وآلاماً ، في هذه الحياة ، لكنه يقدم لهم في النهاية اكليل المجد والحياة . بخلاف الشيطان الذي يعد بالسعادة العاجلة التي تختم بالشقاوة الآجلة

وثالث الشهادات هي شهادة العريس الذي دعاه اليه رئيس المتكا

عدد ١١ (د) *كلمة ختامية* . «هذه بداية الآيات . . » . في هـذا العدد يصف البشير هذه المعجزة بأربعة أوصاف. (١) أولها يصف المعجزة من حيث *ترتيبها* — « هذه بداية الآيات صنعها يسوع » . فهي ليست اولى معجزات قانا الجليل فقط، بل هي اولى معجزات المسيح على الاطلاق . (٢) ثانيها يصف المعجزة من حيث *مظهرها* : « قانا الجليل » . (انظر اش ٨: ٢٠—٩: ٢) . (٣) ثالثها يصف المعجزة من حيث *القصد منها* : « بداية الآيات . . . اظهر فيها مجده » — هذه اول مرة نعثر فيها على كلمة «آية» في هذه البشارة . وهي تصف المعجزة بالنسبة الى القصد منها لتكون برهاناً على صدق رسالة المسيح ، وعلامة لحقيقة لاهوته. وسمّيت أحياناً «عجيبة» اشارة الى تأثيرها على أذهان

فعلها يسوع في قانا الجليل

المشاهدين، وسميت احياناً اخرى: «قوات» اشارة الى انها تفوق قوة البشر. وسميت ايضاً: «معجزة» اشارة الى ما تعجز القوة البشرية عن اتيانه. اذاً لم يكن القصد من هذه المعجزة، اثارة اعجاب الذين في العُرس، بل كانت آية لاظهار مجد المسيح — اي مجد شخصيته السرمدية، و بنوّته الممتازة، وقدرته الفائقة. هذا برهان جديد على الاثبات لاهوت المسيح. لان المعجزات التي اظهرها موسى وغيره، أظهرت مجد «يهوه» (خروج ١٦:٧) لكن معجزات يسوع اظهرت مجد المسيح. فهو اذاً «يهوه»، «ويهوه» هو. ومن المهم ان نلاحظ الفرق بين نظرة يوحنا البشير الى معجزات المسيح و بين نظرات سائر البشيرين اليها. يوحنا ينظر الى المعجزات في صلتها بقدرة المسيح ومجده. و ينظر اليها سائر البشيرين، في صلتها بعطف المسيح على الجماهير. (٤) رابعها يصف المعجزة في تأثيرها على التلاميذ: «فآمن به تلاميذه». هذا ايمان متدرج. اول درجة منه ظهرت في ١:٣٧ والدرجة الثانية في ١:٣٩ وفيما بعد نرى درجات أرقى. لان الايمان الحي يبدو بزرة، ثم ينمو فيصير شجرة، ثم يزهر، ويُنضج ثمراً

مواجهة بعض الاعتراضات

قد اثارت هذه المعجزة اعتراضات كثيرة: فمن قائل إنها معجزة تنعُّم لا معجزة ضرورة كسائر معجزات المسيح التي صنعها ليشفي مريضاً او ليقيم ميتاً، او ليشبع جائعاً. ودفعاً لهذا الاعتراض نقول: انها ليست معجزة تنعُّم

واظهر مجده

بل معجزة محبة مثلثة الجوانب . أحدها يتجه نحو العريس الذي تورّط بسبب كثرة المدعوّين الى الوليمة . وجانبها الثاني نحو الام العذراء التي اراد الابن ان يجيبها الى طلبها قبل ان يغادرها الى عمله الرسمي ، وجانبها الثالث نحو شخصه اذ عمل هذه المعجزة فاظهر بها مجده

ومن قائل ان في إقدام المسيح على تحويل الماء الى خمر ، تشجيعاً للناس على السكر . ورداً على هذا نقول : ان الخمر التي صنعها المسيح لم تكن «مُسكراً» بل كانت منبّهة «ومفوّقة» — بدليل شهادة رئيس المتكإ التي نطق بها بكل صحو بعد ان شرب منها . انها لم تكن خمراً بالمعنى المعروف ، بل كانت كعصير العنب المقطوف حديثاً من الكرمة ، أخذها الناس من عرس قانا الجليل من يد المسيح القادر كما يأخذونها كل يوم من يد الله الباري . لان ما عمله المسيح في هذه المعجزة بتحويله الماء الذي كان في الستة الاجران الى خمر ، هو نفس ما يعمله كل يوم في دائرة الخلق — والعالم خُلق في ستة ايام — بتحويله مياه الأمطار ، والبحار ، الى عصير عنب في قلب الكرمة . انما الشيء الوحيد الذي به سكر المدعوّون هو «جمال مجد المسيح» — هذا هو السكر الحلال

ويلوح لنا ان اعتراض هؤلاء بقولهم ان المسيح عمل هذه المعجزة ليشجّع الناس على السكر ، لهو بمثابة القول ان الله خالق الكروم ليشجّع الناس على السكر . او ان الله خالق النار ليشجّع الناس على الاحتراق بها ، او انه خالق بعض الأدوية السامة ليغري بها الناس على الانتحار

فآمن به تلاميذه. ١٢ وبعد هذا

يُوجَد ما يسمى «بالخمر» التي هي عصير العنب المختمر — كما يختمر عجين الخبز مثلاً — وهذه كان اليهود يتعاطونها، وما يسمَّى بـ «المسكر» الذي يصنع بواسطة عملية التقطير. ويقول يوسيفوس في تاريخه، ان اليهود في وقته كانوا متصفين بالاعتدال في شربهم، وكانوا لا يعرفون الا عصير العنب. ويؤيد هذا القول التاريخي ما نلاحظه في كتابات بولس الرسول. لان الكلمات التي خاطب بها السكيرين انما وردت في رسائله الى الامم لا الى اليهود (رو ١٣: ١٣ و ١ كو ٥: ١١ وغل ٥: ٢١ وافس ٥: ١٨ و ١ تس ٥: ٧). وتدعمه ايضاً كلمات بطرس الرسول (١ بط ٤: ٣)

رب الهيكل في هيكل الرب

٢: ١٢ — ٢٢

أولاً: *الرب يأتي الى هيكله* ٢: ١٢و١٣ ثانياً: *رب الهيكل يطهر هيكل الرب* ٢: ١٤ — ١٦. ثالثاً: *تأثير حادثة تطهير الهيكل* ٢: ١٧ — ٢٢

عدد ١٢و١٣. اولاً: *السيد يأتي الى هيكله* [1] ٢: ١٢ و١٣. ودعنا الآن اول معجزة صنعها المسيح لنرحب بمعجزة لا تقل عنها شأناً — اذا جاز التفاضل بين المعجزات. بمعجزته الأولى اظهر مجده، وبهذه المعجزة بيّن سلطان لاهوته. المعجزة الاولى، تمَّت في قرية — قانا الجليل، وهذه تمَّت في عاصمة اليهود — اورشليم. في الاولى، رأينا رجل الاحزان يسكب ابتسامة بريئة في كأس

(١) لزيادة الايضاح اطلب «شرح بشارة لوقا» صفحة ٤٩٧-٤٩٩ من: مطبعة النيل المسيحية

انحدر الى كفر ناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه واقاموا هناك أياماً
ليست كثيرة. ١٣ وكان فصح اليهود قريباً

العروسين والمدعوّين، والآن نرى رب الهيكل يسكب سائل غضبه في كؤوس مدنّسي هيكله المقدّس

بمعجزته الثانية ابتدأ خدمته الجهرية في اورشليم، وبمعجزة من نوعها اختتم خدمته وبهما اظهر سلطان رسالته باعتبار كونه ربّ الهيكل (ملاخي ٣: ١—٥)، وبيّن طبيعة رسالته — باعتبار كونه المطهِّر والمقدّس (لوقا ١٩: ٤٥ ومت ٢١: ١٢و١٣ ومرقس ١١: ١٥—١٩)

ولقد اختار المسيح لهذه المعجزة اقدس مكان، وانسب زمان—أورشليم في عيد الفصح — حين تكون المدينة مغمورة بسيل من الزائرين، والهيكل مزدحماً بمواكب الحجاج

«وبعد هذا» — بعد عرس قانا الجليل، رجع المسيح الى الناصرة. والظاهر انه منذ دخوله الى ربوع خدمته الجهريّة، ودع وطنه الارضيّ ميمماً كفرناحوم الرابضة على شاطئ بحر الجليل كما «يربض قطيع الجزائز الصادرة من الغسل» (نش٤: ٢).هناك كان يسكن جميع تلاميذه ما عدا نثنائيل.ومن «قرية المعزّي»اتخذ الفادي لنفسه وطناً ارضياً آخر،ومركزاً لدائرة عمله العتيد. اما مريم امه، واخوته وتلاميذه فقد «انحدروا» معه اليها—الانحدار هنا جغرافيّ. «واقاموا هناك أياماً ليست كثيرة» — لان الفصح كان يدنو منهم بخطوات حثيثة، وكان هو ينوي ان يحضر ذلك العيد التاريخيّ في العاصمة

فصعد يسوع الى اورشليم . ١٤ ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون

اليهوديَّة . ومع انه منذ ان بلغ الثانية عشرة ، اعتاد ان يذهب كل سنة الى اورشليم مع الحجَّاج الجليليين ، الا ان ذهابه اليها في هذه المرة كان يمتاز عنه في المرَّات السابقة في انه صعد اليها الآن باعتبار كونه مسيح الرب ، ورب الهيكل — « والصعود » هنا جغرافي أيضاً

عدد ١٤ ثانياً : *رب الهيكل يطهر هيكل الرب* ٢:١٤—١٦ . سرعان ما بلغ المسيح المدينة اورشليم حتى قصد تواً الى الهيكل. وهنالك ، عند مدخل الهيكل — في دار الامم — استوقفه منظر خاص ، اذ « وجد الذين كانوا يبيعون بقراً ، وغنماً ، وحماماً ، والصيارف جلوساً». ومع ان الحاجة كانت تقضي بوجود مثل هـذه الذبائح في مكان قريب من المذبح — فالبقر لذبيحة الشكر ، والغنم لذبيحة الفصح وذبيحة التطهير ، والحمام لذبائح الفقراء . وكان « الصيارف » موجودين ليبدّلوا العملة الاممية « النجسة » بعمله يهودية « طاهرة » ، لتُضمّ الى خزائنهم «المقدّسة» . وقد نسوا ان العملة اليهودية لا تقوى على تقديس الجيوب والخزائن التي دنستها أموال الظلم. فليس من المهمّ ان تكون العملة يهودية او اممية ، بل يجب ان تكون مزكاة نقيَّة

ان وجود هؤلاء الاشخاص وهذه الاشياء في مكان قريب من الهيكل، شيء، ووجودها داخل الهيكل شيء آخر. ولم يُدخلها الى الهيكل سوى جشع رؤساء الكهنة ، الذي كان يختبئ تحت ستار حبهم المصطنَع في اراحة الحجَّاج — وما أقبح الشرّ اذا كان مموَّهاً بطلاء من الصلاح الباطل . هذا

بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً ١٥ فصنع سوطاً من حبال
وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر وكبّ دراهم الصيارف وقلب
موائدهم. ١٦ وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا
بيت ابي بيت تجارة

أشرّ شر ، هذا هو الخطية خاطئةً . على ان قبح هذه الخطية ينكشف لنا متى ذكرنا ان رؤساء الكهنة كانوا يبيعون تلك الحيوانات وهم عالمون انها ستعود اليهم ربحاً حلالاً بعد الذبح . هذا ربح خبيث لانه مركّب — فائدته مئة في المئة — هذا هو الخسران المبين

عدد ١٥و١٦ . **المسيح يطرد الجميع بسوط من حبال** . رأى المسيح هذا المنظر ، وسمع الضوضاء التي تحدثها عادة اصوات الحيوانات المختلفة ، تمازجها اصوات البائعين والمشترين، و يتخللها رنين الفضة والذهب، فهاله ما رأى وما سمع، وانبعثت من عمق قلبه، غيرته المتقدة على هيكله، الذي كان يجب أن يكون مرفأ هادئاً للنفس تلجأ اليه كلما ضج العالم حولها ، « فصنع سوطاً من حبال » — والكلمة الاصلية هي نفس الكلمة العربية الدارجة « فرقلة » التي يستعملها الحارث المصري الى اليوم — وقد كانت في يد المسيح رمزاً للسلطان لا سلاحاً مادياً . « فطرد الجميع من الهيكل : الغنم والبقر وكبّ دراهم الصيارف وقلّب موائدهم » . على ان غضب السيد المقدّس كان مشبّعاً بالحنوّ والرفق ، لانه اشفق على الحمام الوديع الهادئ وا كتفى بان قال للباعة : «ارفعوا هذه من ههنا.لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة».وقد نعجب اذ نرى ان

١٧ فتذكر تلاميذه انه مكتوب غيرة بيتك اكلتني ١٨ فأجاب اليهود

هذا الجمع الحاشد المدفوع بحبّ المادَّة لم يقوَ على الوقوف امام المسيح . لكن تعجبنا يزول متى ذكرنا سلطان المسيح الذي كان يحفّ به ، وجبن مرتكبي الخطايا . ان للحق صولة لا يقوى الباطل على مواجهتها مهما كثر رجاله. وان الضمير يصيّر جميع الخطاة جبناء

عـدد ١٧ . ثالثاً : *تأثير حادثة تطهير الهيكل* ٢: ١٧ — ٢٢ .
(ا) *تأثير الحادثة على التلاميذ* ٢: ١٧ و٢٢ (ب) *تأثيرها على اليهود* ٢: ١٨-٢١

(ا) *تأثير الحادثة على التلاميذ* . « فتذكر تلاميذه » وردت الكلمة «تذكر» في عددي ١٧ و٢٢ . في اولهما ترينا تأثُّر التلاميذ من عمل المسيح . وفي الثاني ترينا تأثُّرهم من كلام المسيح . في الحالة الاولى تذكروا كلمة تنبأ بها نبي قديم عن المسيح، وفي الثانية تذكروا كلمة قالها المسيح عن نفسه فآمنوا. ولا يفوتنا ان نذكر ان ايمان التلاميذ بالمسيح وبكلامه كان يتدرَّج وينمو من حال الى حال أفضل. وقد ارانا يوحنا البشير في مواضع كثيرة ان التلاميذ لم يفهموا اقوال المسيح الا بعد مرور وقت على النطق بها (يو ٧: ٣٩ و١٢: ٣٣ و٢١: ١٩) . على ان تفهم التلاميذ لكلام المسيح كان ينمو ويتزايد كلما ازدادوا تعرفاً بشخصه

عدد ١٨ . (ب) *تأثير حادثة تطهير الهيكل على اليهود* ٢: ١٨ — ٢١ .
تنزل الامطار على الارض المخصبة فتزيدها غنى وخصباً، وعلى الارض المحجرة فتزيدها صلابة وتحجراً . كذلك اعمال المسيح بوجه عام ، وحادثة تطهير

وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا. ١٩ أجاب يسوع وقال لهم
انقضوا هذا الهيكل

الهيكل بنوع خاص. حادثة واحدة شهدها التلاميذ فزادتهم ايماناً بفاديهم، وشهدها اليهود فكانت مثيرة لشكوكهم الكامنة. «فاجاب اليهود وقالوا له. «أية آية ترينا حتى تفعل هذا». يُراد «باليهود» هنا—و في اغلب المواضع في هذه البشارة—اصحاب السلطة الكهنوتية القيّمين على الهيكل وسائر الترتيبات اليهوديّة الطقسيّة، وقد نصبوا انفسهم لمناواة المسيح. رأى اولئك اليهود ان المسيح، بتطهيره الهيكل، قد اتخذ لنفسه حق «مسياً» الذي تنبأ عنه ملاخي (ملا ٣ :١) «و يأتي بغتة السيد الى هيكله» فطلبوا منه آية يثبت بها مسيحيته

عدد ١٩. جواب المسيح: «اجاب يسوع وقال لهم». لم يرفض المسيح طلبهم، بل اجابهم على الفور، جواباً كالبرق الخاطف فبهرت عيونهم عن ان ترى حقيقة مرماه، اذ استعمل في كلامه شيئاً من «التورية» — وهي استعمال كلمة واحدة تحتمل معنيين فاكثر. إذ قال لهم «انقضوا هذا الهيكل. وفي ثلاثة ايام أقيمه»، قاصداً بجوابه هذا ان يريهم ان اقوى آية لمسيحيته هي آية صلبه وقيامته. ومن الغريب ان الكلمتين اللتين استعملهما المسيح «انقضوا»، «وأقيمه» تستعملان عادة للهيكل المبني بالاحجار، ولهيكل الجسد سواء بسواء (٢ كو ٥ :١، رو ٤ :٢٥). وفي الواقع، ليس من السهل ان يفصل المرء بين الاثنين — فكلاهما مرتبط بالآخر تمام الارتباط. لان نقض هيكل اليهود كان نتيجة صلب المسيح ...

وفي ثلاثة ايام أُقيمه . ٢٠ فقال اليهود في ست واربعين سنة بني
هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه . ٢١ وأما هو فكان يقول عن

(دانيال ٩: ٢٤ — ٢٦) كذلك اقامة جسد المسيح مرتبطة تمام الارتباط باقامة هيكل جديد غير الهيكل الذي بناه سليمان ورممه زربابل ، واعاد بناءه هيرودس . فنقض جسد المسيح هو نقض الهيكل ولكن بصورة أخرى ، ولم تتوسط بين الحادثتين سوى مدة يسيرة ، أمست الامة اليهودية في اثنائها جثة تحوم فوقها النسور (مت ٢٤: ٢٨ ولو ١٧: ٣٨)

ان نظرة اجمالية الى جواب المسيح ترينا انه يقع في شطرين — يحمل كل منهما معنى رمزياً : شطره الاول موجه إلى اليهود : «انقضوا» — وفيه رمز الى طبيعة خدمتهم — خدمة هدم ، وقتل. وشطره الثاني عائد على نفسه : «وانا اقيمه» وفيه رمز الى طبيعة خدمته — خدمة بناء ، واحياء

عدد ٢٠ *رد اليهود* : «فقال اليهود . . .» كان اليهود ماديين فلم يفهموا من كلامه سوى معناه المادي — كذلك كانت عادتهم في كل ظرف آخر . فلما حادثهم عن خبز الحياة ظنوه يكلمهم عن الخبز المادي . وقد لازمهم عدم فهمهم لكلام المسيح حتى ساعة صلبه، فحاكوا من كلامه هنا خيوط شكوى وهمية قدموها ضده وقتئذ (مت ٢٦: ٦١ ومر ١٤: ٥٧و ٥٨)

عدد ٢١و٢٢ . *كلمة تفسيرية* . ان عدم فهمهم لكلامه قد أثار فيهم احتجاجاً ينم عن عدم تصديق، يمازجه شيء من السخرية: «في ست واربعين

هيكل جسده . ٢٢ فلما قام من الاموات تذكَّرَ تلاميذه انه قال
هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع
٢٣ ولما كان في اورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه اذ

سنة» . كانوا هم يقصدون الهيكل الذي اعاد بناءه هيرودس . « واما هو فكان يقول عن هيكل جسده »

ومن المؤسف ايضاً ان التلاميذ انفسهم — وقد كانوا الى الآن جسديين وغير ممتلئين من الروح القدس — لم يفهموا قصد المسيح من كلامه هذا الا بعد قيامته من الاموات . « لان الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد لان يسوع لم يكن قد مجّد بعد » . ولان الحقائق لا ترى كما هي الا في نور اتمامها

الايمان الذي لا يؤمن به المسيح ٢ : ٢٣ — ٢٥

« آمن كثيرون باسمه . . . لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه »

كما ان نقطة واحدة من البحر الخضمّ المتسع ، تحوي كل العناصر التي تتكوّن منها كل مياه البحر مجتمعة معاً ، كذلك في هذه الصورة الصغيرة المرسومة أمامنا بكل دقة ، نرى المزايا المتصفة بها كل بشارة يوحنا : من آيات، وشهادة للآيات ، وايمان ناتج عن شهادة الآيات

عدد ٢٣ *كلمة تاريخية* اما الظروف المحيطة بهذه الصورة فهي مثلثة : (ا) المكان : « اورشليم » (ب) الزمان : « في عيد الفصح » . (ج) الحالة النفسية التي كانت عليها الجماهير : «في العيد» — وفي هذا الظرف ، تجتمع عادةً الجماهير الغفيرة ، الملتهبة قلوبهم بالحماس الديني والوطني

رأوا الآيات التي صنع . ٢٤ لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لانه
كان يعرف الجميع . ٢٥ ولانه لم يكن محتاجاً ان يشهد احد عن

اما موضوع هذه الصورة التي امامنا فهو ايمان الكثيرين باسم المسيح ، مقابل عناد رؤساء الكهنة الذي اظهروه تجاه المسيح في الهيكل . على ان هذا الايمان كان ظاهرياً ، سطحياً ، لا شيء فيه من الصلة الروحية النفسية التي تربط النفس بفاديها. اما موضوع ايمانهم فهو اعمال المسيح لا شخصه. فكان اساسه ما رأوه من آيات لا ما خبروه في الفادي من بديع الصفات . كان ايمانهم ابن ساعته ، ولعله ذهب لساعته — كيقطينة يونان

عدد ٢٤ **عدم ايمانه المسيح بايمانهم** . ان قوماً هذا ايمانهم لم يأتمنهم على نفسه . لانهم في ايمانهم لم يأتمنوا المسيح على انفسهم بل كان ايمانهم قاصراً على تصديقهم لِما سمعوا ورأوا . ولان ايمانهم كان نظرياً لا عملياً . فالايمان الحقيقي يتخطى التصديق حتى يبلغ درجة تسليم النفس لله تسليماً تاماً من غير قيد ولا شرط . لذلك لم يأتمنهم المسيح على نفسه او بعبارة اخرى : لم يكن له ايمان بايمانهم . « لانه كان يعرف الجميع » - بحكم لاهوته الذي يحيط علماً بكل شخص وكل شيء

عدد ٢٥ **المسيح العليم** « ولانه لم يكن محتاجاً »—لان فيه كل كنوز الحكمة والعلم— «ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان في الانسان» . — كيف لا وهو خالق الانسان . وهل تخفى على المخترع اية قطعة من آلته ؟ فكم بالحري الخالق ؟!

الانسان لانه علم ما كان في الانسان

ما اجلّ حكمة الفادي التي اظهرها في عدم ائتمان الناس على نفسه ، مع انه هو الذي علمنا ان لا نسيء الظن في الناس. لكن سوء الظن شيء والتمييز شيء آخر



الاصحاح الثالث

١ كان انسان من الفريسيين

ضيف الظلام

او

وليد الناموس يواجه رب النعمة والحياة

٣:١—٢١

اقبل عيد الفصح اليهودي، بلياليه المقمرة المضيئة، فكان كل ما في المدينة اورشليم متشحاً برداء فضيّ بهيّ، منسوج بأشعة قمر العيد، الا قلوب رؤساء اليهود، الذين ملأ التعصب الاعمى نفوسهم، وضرب الليل حولها نطاقاً مظلماً من الجهل والعناد. وقد ازداد ظلامُ قلوبهم سواداً بعد ان وبّخ المسيح اعمالهم المظلمة الظالمة، فظهرت شناعة خطيئتهم الخاطئة امام شعاع وجهه الوضاح. فنسوا العيد وافراحه، وجعلوا عيدهم الحقيقي ان يمسكوا المسيح بشيءٍ

على ان الليلة الظلماء لا تخلو من بعض النجوم التي تلمع في سمائها. كذلك لم يخلُ هذا الجوّ المظلم المقتمّ من اناس آمنوا بالمسيح — وها نحن الآن امام واحد منهم، اسمه نيقوديموس. ويُستفاد من قوله «نعلم» ع ٢، انه ربما كان مرسلاً من الفريسيين ويتكلم باسمهم، لكنه كان على كل حال أفضل منهم — أو على الأقل صار أفضل منهم بعد هذه الليلة التاريخيَّة التي صرف

اسمه نيقوديموس رئيس لليهود

شطراً منها مع المسيح . فلعلّه جاء مفنِداً ، فخرج مؤيداً . وهل يقوى الظلام على الوقوف طويلاً في حضرة النور ؟

في هذا الفصل نرى : اولاً : **وصف هذا الضيف ٣: ١** . ثانياً : **الدرجات الثلاث التي ارتقى عليها الحديث بينه وبين المسيح ٣: ٢—١٣ ثالثاً الاعلانات الممتازة التي افضى بها المسيح الى هذا الضيف ٣: ١٤—٢١**

عدد ١ . اولاً : **وصف هذا الضيف ٣: ٢** . هـذا العدد الاول يصف نيقوديموس وصفاً رباعياً : (أ) طبيعته : « إنسان » . وهي ذات الكلمة التي اختُتم بها الاصحاح السابق.وربما كان واحداً من الذين «آمنوا باسم المسيح اذ رأوا الآيات التي صنع» فصار فيما بعد انساناً مؤمناً ومسلِّماً نفسه للمسيح. (ب) شيعته الدينية : «من الفريسيّين» انظر شرح ١: ٢٤ . (ج) اسمه: « نيقوديموس » — وهي اللهجة اليونانيّة للكلمة الارامية : « نيقوديمون » ومعناها «النقيّ الدمّ» — اي الشريف الحسب ، ويُستنتج من التقدمة التي جاء بها بعد موت المسيح انه كان غنياً (١٩: ٣٩) . وقد جاء في التلمود ان شخصاً بهذا الاسم كان رابع اربعة امتازوا بغناهم في العاصمة اليهودية ، وانه من أتباع المسيح . (د) درجته : «رئيس لليهود» . الكلمة المترجمة رئيس ، هي في الاصل «أرخون» ومنها «الاراخنة» المستعملة في العربية لتصف زعماء الشعب من العلمانيين . وهي غير الكلمة المستعملة للرؤساء الاكليريكيين التي وردت في لوقا ٢٣: ١٣ .ولقد كان نيقوديموس، من اعضاء السنهدريم (٧: ٥٠)

٢ هذا جاء الى يسوع ليلاً

(ثانياً): *الدرجات التي ارتقى عليها حديث نيقوديموس مع المسيح ٣: ٢—١٣. (أ) نيقوديموس المتأدب ٣:٢و٣. (ب) نيقوديموس المتعجب ٣: ٤—٨ (ج) نيقوديموس المتعلم ٣:٩—١٣*

ان هذه الحادثة التي وردت في بشارة يوحنا وحدها، مطبوعة بذات الطابع العام الذي تميزت به البشارة — طابع التقدّم. التدرُّج. وهذا يوافقه ايضاً التدرُّج الذي نراه في الثلاثة المواضع التي ذكر فيها نيقوديموس في البشارة. في الفصل الذي امامنا نرى نيقوديموس مستفهماً، وفي يو ٧: ٥٠—٥٣ نشاهد نيقوديموس مدافعاً عن المسيح — ولو انه دفاع لم يخلُ من ضعف. وفي ١٩:٣٨—٤٠ نجد نيقوديموس مجاهراً بايمانه، ومقدماً علامة ولائه للمسيح. فلئن حُرِم تقديم الولاء للمسيح الحيّ، ففاتته ابتسامة التشجيع الا انه لم يُحرَم امتياز سكب تقدمة طيبة الرائحة على جسد المسيح

عدد ٢ (أ) *نيقوديموس المتأدب ٣:٢و٣*. «هذا جاء الى يسوع ليلاً..» لم يكن نيقوديموس مقحاماً جسوراً، بل كان متحفظاً، حريصاً، في كل حركة يأتيها — وفي الغالب كانت هذه الخلة علة مجيء نيقوديموس الى يسوع «ليلاً». ويظهر ان لهذه الكلمة قيمة خاصة عند البشير حتى جعلها ملحقاً لاسم نيقوديموس أنّى ذكره (٧:٥٠ ؛ ١٩:٣٩). وقد وقع من نصيب نيقوديموس ان ارتبط اسمه باسم يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع «ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود» (١٩:٣٨) كأن الخوف والحياء

وقال له يامعلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لان ليس أحد يقدر أن يعمل هـذه الآيات التي أنت تعمل

جمعا بين قلبيهما في البداية، ثم ربطت الشجاعة ما بين نفسيهما في الختام

لما استقر المقام بنيقوديموس حيّا المسيح بالقول: «يا معلّم» — هذه ترجمة الكلمة الارامية «راب» وصارت تُطلق على معلمي الشريعة اليهودية منذ ايام شمعي وهلّيل. وهي من مصدر معناه: «عظيم او كبير». كما انها على ثلاث درجات متفاوتة — أبسطها كلها كلمة: «راب»، وتليها كلمة: «ربّاي». واعظمهن كلمة «رابّون». تتلخص تحيّة نيقوديموس للمسيح في القول: «نعلم انك قد أتيت من الله معلماً» — هذه تحية تنمّ عن أدب، يمازجه التحفظ. اما الأدب فظاهر من ان نيقوديموس لم يبخل على المسيح بلقب: «معلّم» — مع علمه انه لم ينل هذا اللقب رسمياً من «بيت المدراش». واما التحفظ فواضح من قوله: «من الله». اي ان المسيح لم ينل إجازة التعليم من قبل رؤساء الكهنة بل من الله. كان نيقوديموس حريصاً على الرسميّات. وفي حرصه هذا عظّم المسيح ورفعه فوق كل مقام

ختم نيقوديموس تحيته للمسيح بان ذكر الاساس الذي بنى عليه اعتقاده بان المسيح معلم من الله — وهو اتيان المعجزات. «لان ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ان لم يكن الله معه». اذاً كان نيقوديموس واحداً من «الكثيرين» الذي آمنوا باسم المسيح «اذ رأوا الآيات التي صنع» (٢:٢٣). فلا عجب اذا رأينا ايمانه ناقصاً في ناحيتين: اولاهما انه آمن بالمسيح

ان لم يكن الله معه. ٣ أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك

كمعلم مع ان المسيح اعظم من معلم — انه مخلص. فليس عمله أن يدلنا على النور. بل هو النور، الواهب بصراً للعميان. وثانيتهما هي ان الحدّ الاقصى لايمانه هو ان «الله، مع المسيح»

عدد ٣. *رد المسيح على تحية نيقوديموس*. كان ردّ المسيح على تحيّة نيقوديموس، مفرغاً في صورة جديّة قاطعة اذ واجهه بالقول: «الحقّ. الحقّ» ويلوح لنا ان المسيح لم يجب على تحية نيقوديموس بل اجاب على نيّة نيقوديموس. «لانه كان يعرف الجميع. ولانه لم يكن محتاجاً ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان في الانسان». وكما كان نيقوديموس متدرجاً في موقفه مع المسيح، كذلك كان المسيح متدرجاً في اعلاناته لنيقوديموس— في ع ٣، أراه الضرورة الابتدائية للولادة الثانية. وفي ع ٥، بيّن له الضرورة القصوى لها، وفي ع ١٢و١٣، كشف له عن مصدر رسالته— فكان في هذه الادوار متنقلاً مع محدّثه من التعميم الى التخصيص

هل اجاب المسيحُ بهذا الجواب على نيقوديموس، لانه اراد ان يستعمل معه «اسلوب الحكيم» قاصداً ان يرفع محدّثه فوق مستوى المجاملات الصورية ليواجهه بالحقائق الجوهرية، فأجابه لا على ما قال بل على ما كان ينبغي ان يقول؟ ام لان تحيّة نيقوديموس للمسيح كانت تنطوي على رغبة في معرفة طبيعة الملكوت الجديد، فأراه الفادي ان الملكوت قد دخل فعلاً في عهد جديد فصار ملكوتاً جديداً بكل معنى الكلمة، لدرجة ان الطبائع القديمة لا

ان كان احد لا يولد من فوق

تصلح له ولا يصلح هو لها لذلك «ينبغي ان يولدوا من فوق» ؟ ام لانه رأى ان ايمان نيقوديموس وقف عند حد الاعتقاد بان المسيح «معلِّم» فاظهر له أنه اكثر من معلم — انه مخلِّص، يستطيع ان يهب الانسان طبيعة جديدة ؟ ام قصد ان يتأكد مِمَّا اذا كان المسيح هو مسيّاً المنتظر فاجابه المسيح بصورة خفية انه هو هو ؟ أم كانت كل هذه البواعث مجتمعة معاً ؟

ان «الرؤية» المقصودة بقوله: «لا يقدر ان يرى ملكوت الله» هي التمييز الروحي الذي تقوم به البصيرة الروحية. فكما ان العين المادية لا ترى الا الماديّات المنظورة، كذلك لا يمكن ان ترى الروحيات الغير المنظورة الا العين الروحية الموهوبة للانسان «من فوق». هذه حقيقة طبيعية كما انها روحية ايضاً. فكما ان الشعر لا يميزه الا من وُلِدَت فيه طبيعة شعريَّة، والموسيقى لا يفهمها الا من وُلِدَت فيه الاذن الموسيقيّة، كذلك لن يفهم، ولن يقدر ان يفهم مزايا الملكوت الروحي الا من ولدت فيه هذه البصيرة الروحيَّة الموهوبة له من فوق. وبما ان هذا الملكوت الروحي يتناول كل الانسان، لذلك لا يمكن ان يرى هذا الملكوت الا من وُلد من فوق بكلياته وجزئياته، لدرجة يقال فيها عن كل ملكاته: «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو ٥: ١٧).

ان تمويه الطبيعة القديمة بطلاء جديد، لا يفيد شيئاً، كما ان تغيير الشكل لا يجدي نفعاً. فقد تُصاغ قطعة الرصاص مثلاً — تارة على شكل ملاك وطوراً على شكل حيوان، لكنها تظل في طبيعتها رصاصاً كما هي. فالمهم هو

لا يقدر أن يرى ملكوت الله

تغيير الجوهر، تغيير النبع اولاً ثم المجرى، تغيير الشجرة اولاً ثم الثمرة — هو ترك الحياة القديمة، والانتقال الى حياة جديدة، هو ولادة جديدة. وقد وُصِفت بالقول: «من فوق» تميزاً لها عن الولادة الطبيعيةّ، المادية، الارضية. فكما ان الجسد تراب من الارض، والروح نفخة من القدير من فوق، كذلك الولادة الروحيةّ وُصِفت بالقول: «من فوق» نسبة الى الله الآب مصدرها (يع ١:١٨)، والى الكلمة وسيلتها (١ بط ١:٢٣)، والى الروح القدس العامل فيها (ع ٦)، والى المسيح جوهرها (٢ كو ٥:١٧). فالتجديد لا التهذيب هو الأمر الاساسي. التغيُّر لا التطوُّر هو الغاية المنشودة

وردت كلمة «ملكوت الله» مرتين في هذه البشارة — المرة الاولى في هذا العدد. والثانية في ع ٥. وهي تحمل معنيين: احدهما خارجي وهو نظام العصر المسيحي. والثاني باطني وهو المعلنات الالهيةّ التي أتى بها المسيح على الارض وستُكمل في السماء للمؤمنين

عدد ٣. ثانياً: *نيقوديموس يتعجب* ٣:٣—٨. (أ) تعجُّب نيقوديموس ٣:٣و٤. كان نيقوديموس مادياً وأنى للمادي ان يفهم الروحيات. لذلك لم يجد بُدًّا من اظهار تعجّبه من اقوال المسيح «كيف يمكن الانسان ان يُولد وهو شيخ. العله..» والظاهر ان نيقوديموس لم يفهم من الولادة الا معناها المادي الجسدي — كذلك حال الانسان الطبيعي، لا يفهم ما لروح الله. فهو دائماً متسلّح بسلاحين: احدهما: «كيف»، والثاني «لماذا»! لكنّه لن

٤ قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ . ألعله
يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد. ٥ أجاب يسوع الحق الحق
أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح

يستفيد شيئاً حتى يطرح عنه هذين السلاحين و يستعيض عنهما بكلمة: «ماذا تريد يا رب ان أفعل» ؟

عدد ٤ **سؤال نيقوديموس الساذج** . كان نيقوديموس يفهم معنى ضئيلاً جداً من معاني الولادة الجديدة ، لانه كان يعتقد انه واجب على الاممي ان يُولَد من جديد اذا اراد ان يدخل الى الدين اليهوديّ . ولم يخطر لباله انه يجب على اليهودي ان «يُولَد من فوق ليدخل ملكوت الله». فكل ما كان يفهمه عن الولادة الجديدة التي يختبرها الاممي ، انها انتقال الى بيئة جديدة. اما الولادة الجديدة بمعناها الروحيّ فقد غابت عن «معلّم اسرائيل» . وأنّى يتأتى لوليد الناموس ان يفهم لغة النعمة ؟ لذلك اجاب جواباً صبيانياً مع انه كان شيخاً : «ألعله يقدر ان يدخل بطن امه ثانية ويُولد» ؟ من الصعب على الشيخ الذي طُبع بطابع الناموس ، وصار عبد الاجيال العتيقة ، واسير نظمها البالية، ان يُولد من جديد. على ان الصعب شيء، والمستحيل شيء آخر. «وغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله»

عدد ٥ (ب) **جواب المسيح ٣: ٥—٨** . كان جواب المسيح جلياً بوضوحه مقنعاً بسلطانه : «الحق الحق». وهو يتضمن (١) **وصفاً للولادة الجديدة** — « من الماء والروح » — الكلمة الاولى : « الماء » ترمز الى العلامة الظاهرية :

لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. ٦ المولود من الجسد جسد هو
والمولود من الروح هو روح.

والثانية: «الروح» تشير الى العامل الخفيّ. الاولى رمز، والثانية مرموز اليه(*).
الاولى سلبيةٌ تشير الى غسل الماضي وترك الحياة العتيقة، والثانية ايجابية تشير
الى بناء الحياة الجديدة. و«الواو» هنا عطفيةٌ وصفيةٌ. وهي من قبيل قوله «الروح
القدس ونار». فالنار تفيد التطهير الخارجي، والروح القدس هو العامل في
التطهير الداخلي. كذلك «الماء» يدل على الغسل الخارجي، والروح القدس يفيد
الغسل الداخلي، كما قيل «بغسل الماء بالكلمة» (اف٥: ٢٦) اي بالكلمة المطهّرة
(٢) *الضرورة القصوى للولادة الثانية*: «لا يقدر ان يدخل ملكوت الله»

عدد ٦. (٣) *مبدأ طبيعياً عاماً*: «المولود من الجسد، جسد هو،
والمولود من الروح هو روح»: مفاد هذا المبدأ، ان الشيء يلد نظيره، وان
المياه لا يمكن ان ترتفع فوق منبعها. فالباب الطبيعيّ للدخول في مملكةٍ ما
هو الولادة في تلك المملكة. فالنبات يُحسَب نباتاً لانه وُلد بالطبيعة في مملكة
النّبات. كذلك الحيوان، ثم الانسان. كذلك الامر في النظم السياسية.
فالوطني الصميم، هو الذي يُولد في الوطن، لا من يشتري الرعوية (اعمال
٢٢: ٢٨و٢٩)

---

* ومما يدل على ان قوله «من الماء»، كلام رمزيّ استعاري كون السيح أسقط هذه الاستعارة من كلامه عندما اراد ان يوضح الحقيقة نفسها في ع٦ و٨ لان عند اعلان المرموز اليه يبطل الرمز

٧ لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق. ٨ الريح
تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا
الى اين تذهب. هكذا كل من وُلد من الروح. ٩ أجاب نيقوديموس
وقال له

عدد ٧ . «*لا تتعجب اني قلت لك* ...» أمام المبدأ الجوهري المذكور في العدد السابق ، لا يبقى مَجَال لتعجب نيقوديموس من قول المسيح له «ينبغي ان تولدوا من فوق » . لانه وان كانت الولادة الثانية فوق العقل من حيث فاعليتها وسرّ جوهرها ، الا انها معقولة جداً من حيث حقيقتها وضرورتها. وان تكُ خارقة للطبيعة من حيث ادراك كنهها ، فلا ندري : «من اين» ولا «الى اين» ، لكنها طبيعيّة من حيث تيقننا من وجودها ، وشعورنا بنتائجها

عدد ٨ . *تمثيل من الطبيعة* « الريح تهب . . . » أوضح المسيح قوله لنيقوديموس : «لا تتعجب» بتمثيل طبيعيّ : «الريح تهبّ . . » . ان كلمتي «ريح»، «وروح» من اشتقاق واحد. فمن اوجه الشبَه بينهما . الحرية، والقوّة والانعاش ، وسريّة الاصل والغاية . اذاً لا حاجة لنيقوديموس ان يدخل بطن امه ثانية ليولد الولادة الجديدة، لان الروح القدس يستطيع ان ينشئ في قلب الشيخ، بزرة حياة جديدة فيفنى الشيخ العتيق البالي ، ويُخلق منه انسان جديد مطهر السرائر مقدس الفكر ، يحب الخير ويكره الضرر

عدد ٩ . ان ثالثاً: *نيقوديموس يتعلم* ٣: ٩—١٣ . (أ) سؤال نيقوديموس ٣: ٩ . هذا الرئيس المتأدّب ، الذي بهره نور تعليم المسيح فتعجب ، نراه

كيف يمكن أن يكون هذا . ١٠ أجاب يسوع وقال له أنت معلم
اسرائيل ولست تعلم هذا

الآن طالباً، متعلماً، مستفهماً : « كيف يمكن ان يكون هذا » ؟ اننا وان كنا نمتدح نيقوديموس على هذا التقدُّم، لكن لنا عليه انه للآن لم يُلقِ عنه هذا السلاح القديم : « كيف » ؟ ولعله ألقاه نهائياً بعد ان جابهه المسيح بسلاحٍ من نوعه حين قال له: « ان كنت قلت لكم . . فكيف » ؟ ويظهر من قرينة الكلام ان « كيف» في عدد ٤ هي غير « كيف» في عدد ٩ . « كيف» الاولى تعجبيّة . والثانية استفهامية تعليمية . « كيف » الاولى ، اعتراضية ، والثانية اعدادية تحضيرية . اما الآن وقد وقف « رئيس اليهود » موقف الطالب المتعلم ، فلا مندوحة له من الاستفادة الحقيقيَّة

عدد ١٠ . (ب) جواب المسيح ٣: ١٠—١٣ . استهل المسيح جوابه لنيقوديموس في هذا الدور بـ (١) تعنيف لطيف على عدم علمه ع ١٠ ، في وقت يدَّعي فيه العلم ع ٢ : «انت معلم اسرائيل» . هذه كلمة جارحة لكبرياء نيقوديموس الذي استهل كلامه مع المسيح بالقول: « نحن نعلم » ع ٢ . ولقد كان ضرورياً لنيقوديموس ان يسمع هذه الكلمة الجارحة بلطفها لانه قد غاب عنه ان يدري شيئاً عن الولادة الجديدة مع ان بعض انبياء اليهود الاقدمين سبقوا فتكلموا عنها (ارميا ٣١: ٣٣ ; حزقيال ٣٦: ٢٦—٢٨ ; مزمور ١٤٣: ١٠و١١) لكن أنى للناموسي الذي يتمسك بالحرف ان يفهم ما للروح ؟

١١ الحق الحق اقول لك اننا انما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم
تقبلون شهادتنا. ١٢ ان كنت قلت لكم الارضيات

عدد ١١ (٢) توكيد يقيني عن حقيقة رسالته: «الحق. الحق» وردت هاتان الكلمتان مراراً في هذه البشارة (انظر المقدمة العامة). ويظهر ان المسيح نطق بهما كلّما قصد ان يُوحي الينا باعلان ممتاز مستمَدّ من كنز قلبه، وهما تنمّان عن السلطان المطلَق الذي كان يحفّ بالمسيح كمعلم. بخلاف الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقتصرون في تعاليمهم على ترديد صدى اصوات المعلمين الذين سبقوهم (مت ٧: ٢٨و٢٩). «نتكلم.. نعْلم.. نشهد.. رأينا» هذه اربع كلمات متماسكة في هذا العدد — الاولى والثانية تسيران معاً، والثالثة والرابعة تمشيان معاً. الاولى تتطور الى الثالثة، والثانية ترتقي الى الرابعة. فالتكلم اليقيني يتطور شهادة. والعلم الراسخ يستحيل رؤيا

اختلف المفسرون في تعيين الاشخاص المقصودين بضمير الجمع في: «نتكلم»، «نعلم»، «نشهد»، «رأينا»، فمن قائل ان المسيح يقصد نفسه وانبياء العهد القديم، ومن قائل انه يتكلم عن ذاته وعن الروح القدس، الى قائل انه يعني ذاته والآب، الى قائل انه يشير الى نفسه ويوحنا المعمدان. ونعتقد من جانبنا انه يقصد نفسه وتلاميذه باعتبار كونهم مدرسة جديدة تقابلها المدرسة العتيقة البالية التي تتمثل في نيقوديموس وشيعته

ع ١١و١٢ (٣) تعنيف لطيف لنيقوديموس وشيعته «ان كنت قلت لكم الارضيات» — سبق المسيح فعنَّف نيقوديموس على عدم علمه (ع ١٠)،

ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون ان قلت لكم السمويات .
١٣ وليس أحد صعد

والآن نراه يعنفّه على علم ايمانه «لستم تقبلون» اي لستم تؤمنون . فالايمان الصحيح هو مفتاح العلم الصحيح ، والطاعة العملية هي مفتاح الايمان . يستفاد من قول المسيح: «ان كنت قلت لكم الارضيات... » ان نيقوديموس كان عاقد النيةّ على ان يظفر من المسيح بمُعلَنات من «السمويّات». فبيَّن له المسيح المعلم الاعظم ، ان الطالب لن يتعلم الباء الا بعد ان يكون قد تعلم الألف . وان النور الجديد لا يُعطَى الا لمن يعمل بالنور الموجود

و يُراد بـ«الأرضيات» تلك المعلنات الالهية المتعلقة بالبشر في حياتهم على الارض . وهي خلاصة رسالة المسيح للعالم . «والسمويات» هي الأسرار الالهية الخاصة بارسالية المسيح من حيث نبعها وأصلها، وجوهر صلته بالآب، وما الى هذه من الأسرار المخبوءة طيّ علمه تعالى. «فالارضيات» هي موضوع رسالته: «توبوا وآمنوا بالانجيل» . « والسمويات » هي أصل رسالته « من أين » «والى اين» ؟ فليس لطالب الحق ان يتخذ موقف المستكشف الذي يتساءل عن الينابيع ، إنما عليه ان يشرب من الماء الصافي الزلال. لان اعلانات الله تُعطَى للبشر على اقساط متدرجة متصاعدة ، وطالب الحق يتقدم في معرفتها تدريجياً كمن يرتقي على درجات سلم

عدد ١٣ .(٤) **لغز الاجيال** «وليس احد صعد..» في هذا العدد، اظهر المسيح لنيقوديموس شدة لزوم الايمان لمن يريد ان يتعلم ، ولعله قصد ان يريه

الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء
١٤ وكما رفع موسى

شعاعاً من أنوار « السمويات » اذ واجهه باعلان ابتدائي عن (أ) تجسده : «ليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء» (ب) لاهوته: «ابن الانسان الذي هو في السماء» فهو على الارض وفي السماء في وقتٍ واحد. لانه في السماء مع انه نزل من السماء ، وهو ابن الانسان حال كونه ابن الله. ان فتح السماء وقت معمودية المسيح هو أقوى حجة لتبيان حقيقة هذا الكلام — فهو ساكن في السماء حال كونه يتمشى على الارض. ومن صفات اللاهوت المنسوبة للمسيح في هذه الآية: (١) سبق الوجود لان كلمة «نزل من السماء» تفيد انه كان موجوداً قبل التجسُّد (٢) الوجود في كل مكان في وقت واحد «السماء والارض»

ثالثاً : **المعلنات الممتازة التي افضى بها المسيح الى ضيف الظلام ٣: ١٤ — ٢١** . يضع كثير من المفسرين اهمية خاصة على حرف العطف «و» في بدء عدد ١٤ ، لانهم يرون فيه انتقالاً ظاهراً في كلام المسيح من النظريات الى العمليات — ومن الكلام عن المعلنات الى الكلام عن شخصه — او من التعميم الى التخصيص . وفي الغالب ، حرف الواو يكون حلقة اتصال بين سرّ سابق — سرّ التجسد ، وسرّ لاحق — سرّ الفداء

لقد تحدَّث المسيحُ الى نيقوديموس في هذا الفصل عن حقيقتين مهمتين :

أولاً : **الفداء المعلن — ٣: ١٤ — ١٦** ثانياً : **المسئولية المترتبة على اعلان الفداء ٣: ١٧ — ٢١**

الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الانسان

اولاً : **الفداء المعلن** ٣: ١٤ — ١٦ أعلن المسيح هذا الفداء لنيقوديموس في (ا) **حقيقته** « وكما رفع . . » عدد ١٤ (ب) **غايته** «لكي لا يهلك . .» عدد ١٥ (ج) **نبعه** « لانه هكذ أحب » عدد ١٦

عدد ١٤ . (ا) **حقيقة الفداء المعلن** «وكما رفع موسى . . » أراد المسيحُ أن يُدخل حقيقة الفداء الى قلب نيقوديموس فمثّل له بحادثة معروفة في العهد القديم — حادثة رفع موسى الحية في البريّة (عدد ٢١: ٢٩) ، فانتقل بحدثه من المعلوم — ونيقوديموس من رجال موسى — الى غير المعلوم . وهنا منتهى الحكمة في التعليم . ومن اوجه الشبه بين تلك الحادثة القديمة و بين المسيح المصلوب: (١) ان الحية النحاسية كانت على شبه الحيَّة التي سبَّبت الموت . كذلك قد تجسَّد المسيح في « شبه جسد » الخطية التي سبّبت الموت للعالم . (٢) ان الحيّة التي رُفعت كانت خالية من السمّ — لانها كانت من نحاس . كذلك المسيح الذي صُلب كان معصوماً من كل خطية لانه من السماء . (٣) رفعت الحية على مرأى من الناس ، كذلك صُلب المسيح على الجلجثة — اكمة مرتفعة — لكي يراه كل عليل فيُشفى . ولقد وردت كلمة «رفع» في بشارة يوحنا ٣ مرات . وفي كل منها ، تشير الى الصليب والمجد الذي يليه . وفي هذه الثلاث المرات ، نطق بها المسيح عن نفسه (يو ٣: ١٤ و ٨: ٢٨ و ١٢: ٣٢) . (٤) النظر بالعين المادية كان واسطة الشفاء من لسعة الحية ، والنظر الروحي — الايمان — هو واسطة الشفاء الروحي

١٥ لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية.
١٦ لانه هكذا أحب الله العالم

عدد ١٥ (ب) *غاية الفداء* : ان كلمة : «ينبغي» التي وردت في قوله : «ينبغي ان يُرفع ابن الانسان» ، تفيد الضرورة الحتميّة لتنفيذ تدبير الهي سابق، قَبِلَهُ المسيحُ على نفسه اجابةً لداعٍ ادبي ذاتي في قلب المسيح. لشرح كلمة « ابن الانسان » انظر تفسير ١: ٥١ . « الحياة الابدية » هي حياة غير محدودة في عمق سعادتها ، وفي طول مداها. فهي ابدية في نوعها وفي كميتها. اما كلمة : « مَن» فهي واسعة ضيقة . واسعة لانها تضمّ كل العالم في قلبها وضيقة لأنها لا تُدخل الا فرداً فرداً

عدد ١٦ . *نبع الفداء* : « لانه هكذا أحبّ . . » هذا نبع الفداء ، بل قلبه . هذا سرّ الاسرار الالهية ، ان الله القدوس احبّ العالم النجس المحكوم عليه بالهلاك ، وكان جاداً في محبته حتى بذل ، وكان سخياً في بذله حتى جاد بابنه الوحيد . بهذه الكلمات قد وصل المسيحُ بنيقوديموس الى ذروة الدرجات في سلّم المعلنات الالهيَّة . في عدد ١٤ عرَّفه عن نفسه انه ابن الانسان ، والآن اراه ذاته انه « ابن الله الوحيد » . اذا نظرنا الى هذا العدد نظرتنا الى نهر جارٍ ، رأينا فيه (١) *نبع النهر* : « هكذا احبّ الله » (٢) *مجرى النهر* : «حتى بذل» . (٣) *مصب النهر* : «لكي لا يهلك ..»

في هذا العدد تتجلّى لنا مقاييس المحبّة الالهيّة: (١) **العرض**: «العالم»... « كل من يؤمن به» (٢) **الطول** : حتى بذل ابنه. (٣) **العمق** — من اعلى

حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به

الى اسفل : «لكي لا يهلك كل من يؤمن به» . (٤) **العلو** — من اسفل الى أعلى : « بل تكون له الحياة الابديةً » . (انظر افسس ٣:١٨)

لماذا يُحسب أمراً قابلاً للجَدَل، ان الله قدّم ابنه الوحيد للناس ؟ الم يقدّم ابرهيم فيما مضى، ابنه الوحيد لله (تك ٢٢) ؟ وهل من المعقول ان يسبق الانسانُ الهه في مضمار التضحية والبذل ؟ كلا. ثمَّ كلا . ان وُجد في البشر شيءٌ من الحبّ المقدس ، فما هو الاّ شعاعة من نور حب الله

هـذا وصف جامع لمحبة الله للبشرية الساقطة . ففيه نجد : (١) محبة الله فى **طبيعتها** : «هكذا» . (٢) محبة الله في **مداها وسعتها**: « العالم » . (٣) محبة الله في **برهانها ومجدها** : «حتى بذل» . (٤) محبة الله فى **سخائها**: « . . كل من يؤمن به» . (٥) محبة الله فى **تأثيرها وفاعليتها** : «بل تكون له الحياة الابدية»

الكلمة : «بذل » تستعمل عادة لتفريج الضغط . فكأن عوامل المحبة الالهية تجمعت في قلب الله فاضطرمت احشاؤه ، فوجد منفذاً في البذل . اذاً لم يكن في الامكان ان لا يبذل الله «ابنه الوحيد» ، ولمّا بذل استراح . والكلمة عينها تفيد العطاء السخيّ الذي لا ينتظر جزاء ولا مكافأة! إذاً ليس الفداء اغتصاباً لمحبّة الله ، لكنه تعبير طبيعيّ لها . « ولكن الكلّ من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة» . اي ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه » . (٢ كو ٥:١٨و ١٩)

ثانياً : **المسئولية المترتبة على الفداء المعلن** . (٣:١٧ — ٢١) . استنتج

بل تكون له الحياة الابدية ١٧ لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين

بعضهم من صمت نيقوديموس فيما بعد ، ان حديث المسيح معه انتهى عند عدد ١٦ . مع ان كلام المسيح يمتد حتى نهاية عدد ٢١ . واذا كان قد امتنع نيقوديموس عن الكلام فما ذلك إلا لانه اقتنع . وما عساه ان يقول امام هذه المعلنات الجليلة ؟ وما على الارض الا الصمت حين تتكلم السماء

رأينا في الاعداد السابقة اشعة انوار الفداء الالهي ، والغاية التي قصدها الله منه . على ان اعلان انوار الفداء يترتب عليه أمر من اثنين : إما الدينونة لكل من يرفضه ٣: ١٧ — ٢٠ او الاقتبال الى الله لكل من يقبله ٣: ٢١ . وربما نطق المسيح بهذه الكلمات ليبدّد بها سُحُب الظنون والاوهام التي كانت متلبدة في مخيلة الفريسيين من جهة انتظارهم مسيحاً يأتي خصيصاً ليدين أمم العالم

عدد ١٧ *الغاية الاساسية من رسالة المسيح الى العالم — الخلاص* . من المؤسف ان هذا الفادي الذي ارسله الله نوراً وهدىً للعالمين، قد صيّره بعض الناس دينونة على أنفسهم ، بسبب عدم قبولهم اياه . فاشعة الشمس شافية ، لكن ضربة الشمس قاتلة . وأريج الزهور منعش لكن الحشرات السامة تمتص منه عصارة تحوّلها الى سمّ ناقع . والقصد الاساسي من الماء هو ان تروي لكن الكثيرين يغرقون فيها . والنار خادمة لمن يحسن استعمالها . لكن من يسيء استعمالها يحترق بها . « لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » — الكلمة «يخلص» تفيد القبول الشخصي بالتخصيص .

العالم بل ليخلُص به العالم. ١٨ الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن
قد دين لانه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. ١٩ وهذه هي الدينونة
ان النور قد جاء الى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور

فمع ان الدينونة ليست الغاية الاساسية من رسالة المسيح وتجسده، الا انها نتيجة ملازمة لهما. فهي ليست دينونة يفرضها الله على الناس فرضاً، بل هي دينونة يتطوع لها الناس اختياراً بسبب عدم قبولهم المسيح

عدد ١٨ مقياس الدينونة — الايمان او عدمه. فكأنما المسيح، بدخوله الى العالم قد اوقع الناس تحت مسئولية جديدة — فإما ان يكونوا مؤمنين او غير مؤمنين — هذا هو الميزان الأدبي، والروحي، الذي به يزن الله كل انسان في كفة الدينونة. بل هذا هو التعريف الجديد للخطية — «أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي» ١٦:٩. فالخطية اذاً هي عدم الايمان بالمسيح

ليس الكلام هنا عن دينونة عتيدة ان تحلّ في اليوم الاخير، لكنه يصف دينونة قد وقعت فعلاً، وحلّت على رافضي المسيح .. «.. قد دين». اما المؤمن فلا دينونة عليه منذ الآن (رو ٥:١و٨:١)

عدد ١٩ معنى الدينونة: «النور قد جاء الى العالم. واحبّ الناس الظلمة اكثر من النور». اما علة حبهم للظلمة، فلأن «اعمالهم كانت شرّيرة». فالناس بحكمهم على المسيح يحكمون على انفسهم «أحبّ الناس الظلمة اكثر من النور» — يا للفجور، ويا للخيانة! أيكون هذا صدى صوت محبة الله؟ «هكذا

لان أعمالهم كانت شريرة. ٢٠ لان كل من يعمل السيئات يبغض
النور ولا يأتي الى النور لئلا توبخ أعماله. ٢١ وأما من يفعل الحق
فيقبل الى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة

احب الله العالم حتى بذل...» «هكذا احب الناس الظلمة اكثر من النور»!!

عدد ٢٠ عدو النور: «لان كل من يعمل السيآت يبغض النور..» فالعين الرمداء لا تقوى على مواجهة النور. والمجرم الاثيم لا يستطيع الوقوف امام وجه العدالة. وحشرات الظلام تعجز عن ان تعيش في ضوء الشمس

عدد ٢١ الاقبال الى المسيح: «اما من يفعل الحق..». لم يختم المسيح حديثه مع نيقوديموس بصورة قاتمة مظلمة، بل بشكل مشجّع مفرح. وليس من المستبعد ان المسيح وهو ينطق بهذه الكلمات الاخيرة، كان يلقي على نيقوديموس نظرات مشجعة. كأنه قصد بهذه الكلمات ان يصف نيقوديموس الذي هبطت بزرة الايمان الى قلبه منذ هذه المقابلة، فنمت وترعرعت (٧: ٥٠) ونضجت فأثمرت ثمراً طيّباً، كله طيب (١٩: ٣٩)

وجديرٌ بنا ان نلاحظ ان الكلمة: «يفعل» في ع ٢١، هي غير الكلمة: «يعمل» في ع ٢٠. الاولى تفيد حالة عامة والثانية تعني اختياراً خاصاً. وما «فعل الحق» سوى رفع حياة الانسان الادبية والروحية الى مستوى النور المُعلَن له. فلا فضل للانسان في فعل الحق لان العامل الاساسي في ذلك هو الله، وما الانسان سوى اداة منفذة: «لتظهر اعماله انها بالله معمولة». ولا عذر
[illegible]

٢٢ و بعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ومكث

المسيح في ارض اليهودية

٣:٢٢—٣٦

قضى المسيح ايام الفصح في اورشليم، فلم يقابَل فيها من اليهود الا بالصدّ والجفاء. فكان جو تلك المدينة مظلماً لولا كوكب واحد كان يسطع في سمائه — نعني به نيقوديموس. و بعد هذه الزيارة الموجزة، ترك المسيح عاصمة اليهود، فجاء وتلاميذه الى ريف اليهودية «ومكث معهم هناك وكان يعمد» ليعدّ الطريق لنفسه، وليدّرب تلاميذه على الخدمة

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام رئيسية: أولاً: **صورة تاريخية** (٣:٢٢—٢٦). ثانياً: **خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه** — «صديق العريس» — وموضوعه «أنا» (٣:٢٧—٣٠). ثالثاً: **خطاب يوحنا المعمدان عن شخص المسيح** — «العريس» — وموضوعه «هو» (٣:٣١—٣٦)

عدد ٢٢: أولاً: **صورة تاريخية** ٣:٢٢—٢٦: «و بعد هذا» — هذه كلمة تربط ما يأتي بما مضى. «جاء يسوع وتلاميذه الى ارض اليهودية». اي الى خلاء اليهوديّة في الريف. «و مكث معهم هناك وكان يعمّد» — هذا دليل على انه اقام بعض الوقت هناك. ويُستنتج من مقابلة قوله: «وكان يعمّد» بما جاء في ٤:٢، ان المسيح كان يجري المعمودية بواسطة تلاميذه. اي ان المسئوليّة الادبيّة كانت ملقاة على المسيح لكن الممارسة المادية كان يقوم بها التلاميذ. فالمسيح هو الآمر والراسم، والتلاميذ هم المنفذّون.

معهم هنـاك وكان يعمد. ٢٣ وكان يوحنا ايضاً يعمد في عين نون
بقرب ساليم لانه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون.
٢٤ لانه لم يكن يوحنا قد ألقي بعد في السجن. ٢٥ وحدثت مباحثة

كما في حادثة اشباع الآلاف، كان المسيح العامل الرئيسيّ في المعجزة، مع ان التوزيع تمّ على أيدي التلاميذ (٦:١١)

ع٢٣و٢٤ كلمة تاريخية. «وكان يوحنا» — المعمدان — «أيضاً يعمّد في عين نون» — ومعناها: نبع الحمامة — «بقرب ساليم» وهما غالباً جزء من البقاع القديمة التي وقعت من نصيب سبط يهوذا (يشوع ١٥:٣١ و٣٢). وكانتا معروفتين قديماً بـ«شلحيم وعين جنيّم» فآلتا بالاستعمال اللفظي الى «ساليم وعين نون». اما السبب في اتخاذ يوحنا تلك البقاع مقراً لعمله فهو: «لانه كان هناك مياه كثيرة» — وواضح ان معمودية المعمدان كانت تُمارس بالتغطيس. الى الآن كان يوحنا متمتعاً بحريته. «لانه لم يكن يوحنا قد أُلقي بعد في السجن». هـذه الاشارة التاريخيّة لها قيمتها الخاصة اذا نظرنا اليها في ضوء الكلمات الواردة في (مت ٤:١٢و١٣و١٧؛ مرقس ١:١٤) فهي تعيّن لنا بالضبط وقت ابتداء خدمة المسيح الجهرية. هذه حجة دامغة على اتفاق البشيرين

عدد ٢٥. ثانياً: **خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه** — صديق العريس — وموضوعه «أنا» ٣:٢٥—٣٠ (أ) **الظرف الذي استوحى يوحنا بهذا الخطاب** ٣:٢٥و٢٦. ان وجود المسيح ويوحنا المعمدان — احدهما على مقربةٍ من الآخر، وكلاهما يمارس عملاً واحداً — المعموديّة، قد اثار شيئاً من الجدل

من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير . ٢٦ فجاءوا الى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الاردن الذي أنت قد

والحوار بين تلاميذ يوحنا الحريصين على الدفاع عن كرامة سيدهم وخدمته ، و بين بعض اليهود «من جهة التطهير» . والمراد «بالتطهير» ، تلك الغسلات التي كان ينبغي على اليهود ان يمارسوها استعداداً لدخولهم الى ملكوت المسيح، والمعمودية هي احد عناصر هذا التطهير . ولا يبعد ان هذا البعض من اليهود أظهروا أمام تلاميذ يوحنا تفضيلهم معمودية المسيح على معمودية سيدهم فكان من الطبيعي ان يلجأ تلاميذ المعمدان الى معلمهم ليهدئ روعهم ، ويخبرهم بحقيقة الأمر

عدد ٢٦(ب) استجوابهم للمعمدان. «فجاءوا الى يوحنا وقالوا له . يا معلم» هذه كلمات جارحة تقطر مرارة وسماً — ما اشبهها بالحية ، لسعتها في ذنبها — «هوذا الذي انت شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه» — والنبرات واقعة على الكلمتين : «أنت» ، «وهو» . كأنهم قصدوا ان يقولوا له : «هذا جزاء شهادتك للمسيح يا يوحنا . لقد شهدت له ، فقضيت على نفسك . لقد بنيته فهدمتَ نفسك . لذلك قد زاحمك في خدمتك الفذّة الممتازة ، وزاد عليك باجتذاب الجميع اليه ، ومن بينهم بعض تلاميذك ، وأخصهم يوحنا» . هذه فرصة هيأها عدوّ الخير ليُوقع فيها يوحنا في حبائله ، وليثير في نفسه عوامل التمرّد والانتقاض على المسيح ، بحجة الدفاع عن النفس . لكن يوحنا العظيم اقتنص هذه الفرصة لارادته وافسد على عدو الخير مكيدته ، وفاه بكلمات

شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه. ٢٧ أجاب يوحنا وقال
لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً ان لم

جليلة ، اعتبرتها الأجيال المثل الأعلى للعظمة الحقيقية . لان يوحنا ، في دفاعه عن نفسه نسي نفسه. وأمام الشمس يختفي كل سراج مهما كان «موقداً منيراً» . بهذه الكلمات ، وضع عدوّ الخير امام يوحنا حجر عثرة لكي يصطدم به ، لكن يوحنا انتفع بهذا الحجر فاقام منه تمثالاً خالداً للعظمة الحقيقية

في كلام تلاميذ يوحنا مع معلمهم، برزت كلمتان، وهما : «انت»، «وهو» فأمسك يوحنا المعمدان بهاتين الكلمتين ، وجعل أولاهما : «أنت» — وهي على لسان يوحنا : «انا» — موضوع الجزء الاول من حديثه (٣:٢٧— ٣٠) . والثانية : «هو» — موضوع الجزء الثاني من حديثه ٣:٣١—٣٦

الجزء الاول من حديث يوحنا ٣:٢٧—٣٠ وموضوعه : «انا». تنطوي هذه الكلمات على (أ) مبدأ عام ع ٢٧ (ب) تذكير ع ٢٨ (ج) استعارة ع ٢٩ (د) تطبيق ع ٢٩ (ه) اقرار ع ٣٠

عدد٢٧.(أ) *مبدأ عام* : «لا يقدر انسان ان يأخذ..» مع ان هذا مبدأ عام، الا انه ينطبق على يوحنا بنوع خاص . فهو بهذا المبدأ يقول لتلاميذه : «ان الله مقسم الأنصبة. اما من جهتي فأنا قانع بنصيبي الذي اعطانيه الله. ولن يمكنني ان اسمو فوق رتبتي لأكون معادلاً للمسيح الذي له رتبة ممتازة لا يدانيه فيها سواه. فهو المرسل وانا الرسول. هو العريس وانا صديق العريس :

يكن قد أعطي من السماء. ٢٨ أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت
لست انا المسيح بل اني مرسل أمامه. ٢٩ من له العروس فهو
العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً

فالعروس له. والفرح لي.» ويجوز ان ينطبق هذا المبدأ على المسيح كفادٍ في ناسوته. لان مقامه الممتاز لم يغتصبه لذاته اغتصاباً بل أعطيه من الآب

عدد ٢٨. (ب) تذكير: «انتم انفسكم تشهدون.». في هذا العدد احالهم يوحنا على انفسهم ليكتشفوا لذواتهم حلاً لهذه المشكلة التي وقعوا فيها؛ واستشهدهم على شهادته السابقة: «تشهدون لي اني قلت»، وذكرهم بمضمون هذه الشهادة: «اني لست انا المسيح بل اني مرسل امامه». (انظر شرح ١: ٢٠ و٢٣ صفحة ٥١ و٥٤)

عدد ٢٩. (ج) استعارة: «من له العروس فهو العريس..هذه استعارة استقاها المعمدان من كتابات العهد القديم (هوشع ٢: ١٩؛ اشعياء ٦٢: ٥؛ مزمور ٤٥: ٩و١٤)، للتعبير عن الصلة التي تربط المسيح بكنيسته، وبها قرّر نسبته الى المسيح — فالمسيح عريس والمعمدان صديق العريس، الذي يُعرَف عند اليهود بـ «الشوشبين». ومنها «الاشبين» الذي كان من عمله ان يهيئ العروس للعريس «ويقف» منتظراً اياه، وقفة الاستعداد والانتظار — «فيفرح فرحاً من اجل صوت «العريس» عند قدومه، ويسلمه العروس

(د) تطبيق: «اذاً فرحي هذا قد كمل».عوضاً عن ان يغضب يوحنا ويكتئب لمعرفته بان الجميع يأتون الى المسيح، نراه يفرح فرحاً كاملاً.

من أجل صوت العريس . اذاً فرحي هـذا قد كمل . ٣٠ ينبغي أن ذلك يزيد

لانه وجد في اقتبال الناس الى المسيح ، علامة على ان العروس قد هيئت لعريسها ، . ان عمله كصديق العريس قد كمل بتسليم العروس لعريسها . اذاً فقد تكللت جهوده بالنجاح ، وكمل فرحه ، بتسليمه تلاميذه الى المسيح

عدد ٣٠ . (ه) اقرار : «ينبغي ان ذاك يزيد واني انا انقص» . هنا بلغ يوحنا ذروة التضحية الشريفة . هذا هو الفناء بعينه . بل هذه هي المحبة في اسمى مراتبها — ان يفنى المُحب في شخص مَنْ أحبّ . يستفاد من كلمة «ينبغي» ان يوحنا كان ينظر الى نقصانه هو وازدياد ذاك ، نظرته الى نتيجة حتميةً لناموس طبيعي ثابت . وهو أيضاً يعبّر عن رغبة طبيعيّة تجيش في قلبه ، طوعاً وحباً . ولقد تمّت هذه الحقيقة باكثر مما ظن يوحنا . لانه بعد قليل سُجن ، وقُطِعَت رأسه في السجن ، واضحى نسياً منسياً ، في وقت كان فيه اسم المسيح ، يزداد ذيوعاً ورفعة

لا تنطبق هذه الكلمة على يوحنا وحده ، لكنها تتناول ايضاً نظام العهد القديم الذي كان ممثلاً في يوحنا . ففي ذلك الوقت بدأ ظلّ اليهودية الطقسية يتقلص تدريجاً ويُطوَى ، ليعطي مجالاً لنور المسيحية الذي بدأ ينتشر في الارجاء

هذا اقرار مجيد يجب ان يكون شعار كل خادم ، بل كل مؤمن . فينبغي ان تفنى الذات تدريجياً ، ويمتلئ القلب بالمسيح ، الى ان يصير المسيح الكل

وأني أنا أنقص . ٣١ الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع . والذي من
الارض هو أرضي ومن الارض يتكلم . الذي يأتي من السماء

في الكل . في بدء حياة الانسان يكون شعاره : « انا ، لا المسيح » ، وعند ايمانه يصير شعاره : « انا ، والمسيح » . واذ يتقدم في النعمة يصبح شعاره : «المسيح ، وانا» . واذ يتكمل في النعمة يتجد شعاره فيصير : «المسيح،لا انا»

في هذا العدد جزءان — ما اشبههما بالعينين الباصرتين . باحداهما : «ينبغي ان ذاك يزيد»، ينظر الى ما يأتي من الكلام (٣: ٣١—٣٦)، وبالثانية: «واني انا انقص» ، ينظر الى ما مرّ من الكلام (٣: ٢٧ — ٣٠)

الجزء الثاني من خطاب المعمدان — وموضوعه : «**هو**». ٣: ٣١—٣٦ .
في هذا الجزء يذكر يوحنا سمو العريس في: (أ) **علو اصله** (ع ٣١). (ب) **كمال تعاليمه** (ع ٣٢— ٣٤) . (ج) **رفعة بنوته** (ع ٣٥) . ثم يختتم الحديث بمبدأ عام في ع ٣٦ كما استهله بمبدأ عام في ع ٢٧

عدد ٣١ . (أ) **العريس في علو اصله** : «الذي يأتي من فوق ..» اراد يوحنا بـ «الجميع» كل الانبياء بما فيهم شخصه. والعبارة: «من الارض» ومشتقاتها، وردت ثلاث مرات في هذا العدد. في المرة الاولى، تشير الى اصل الانسان : « من الارض » . وفي الثانية تعني طبيعة الانسان : «أرضي» — اي ترابي . وفي المرة الثالثة تصف مصدر التعليم «من الارض يتكلم» . واما السمويات فقد أعطي للمسيح وحده ان يتكلم بها ع ١٣ . بعد ان تكلم المعمدان عن «الجميع» — الارضيين ، عاد الى الشخص السماوي العجيب الذي هو موضوع

هو فوق الجميع . ٣٢ وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد
يقبلها . ٣٣ ومَن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق . ٣٤ لان
الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله . لانه ليس بكيل يعطي الله الروح .

كلامه : «الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» — في الاصل وفي الرتبة

عدد ٣٢—٣٤ (ب) **العريس في كمال تعليمه ٣: ٣٢ — ٣٥** . ان تعاليم المسيح كاملة ، لانها مستمدة من كنز قلبه . «ما رآه وما سمعه» . ولا شيء أدلّ على ان اليهود من الارض ، اكثر من كونهم لم يقبلوا هـذه الشهادة السماويّة : «وشهادته ليس احد يقبلها» — هذا صدى صوت المسيح في ع ١١ ولئن سلّم يوحنا بان افراداً قبلوا المسيح لكنه يقصد اليهود كمجموع سيا اعضاء مجمع السنهدريم . واما كل «من قبل شهادته فقد ختم بان الله صادق» . لان الايمان هو تصديق كلام الله. ولعل الكلام هنا ينطوي على اشارة ضمنيةً الى ختم الشهادة التي نطق بها الآب عن المسيح عند المعمودية

فما اجلّ المقام الذي رُفع اليه المؤمن اذ يُعطى حق ختم شهادة الله واعتمادها. ومن المحتمل ان يكون معنى هذه الكلمات ، ان الذي يقبل المسيح يجد فيه ختماً لكل النبوات والمواعيد

ان تعاليم المسيح ذات قيمة جليلة ممتازة لان المتكلم بها ممتلئ بروح الله. «ليس بكيل يعطي الله الروح» . ان اولئك الجميع تكلموا بكلام الله ولهم نصيب من روح الله ، لكن المسيح وحده قد «سُرّ ان يحلّ فيه كل الملء .» فان أخذ غيره نصيباً من الروح بكيل، الا ان نصيب المسيح من الروح، نصيب

٣٥ الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. ٣٦ الذي يؤمن
بالابن له حياة ابدية

غير محدود. لان الروح القدس هو روح المسيح نفسه

عدد ٣٥ (ج) *العريس في رفعة بنوته*: «الآب يحب الابن. وقد دفع كل شيءٍ في يده». هذا الكلام يعلل الحقيقة السابقة. فالروح أعطي للمسيح بدون كيل، لانه ابن الله، و بحق بنوته قد دفع ليده كل شيءٍ. والعلة الاساسية لكل هذا هي محبة الآب للابن وهي في الوقت نفسه علة طبيعيةً فلا يمكن للآب الا ان يحب الابن. ولا يمكن لمن يحب الابن الا ان يدفع ليده كل شيءٍ. اذا كان الآب في محبته للعالم حتى بذل ابنه، فليس بعجيب انه اذ احبّ الابن، دفع كل شيءٍ في يده. هذا صدى صوت الاعلان الذي سمعه المعمدان وقت معمودية المسيح: «هذا هو ابني الحبيب»

رأينا في العدد السابق ان الروح أعطي للمسيح، وفي هذا العدد نرى ان كل شيءٍ أعطي للمسيح. بالروح يملك المسيح في قلوب المؤمنين. لكنه ليس ملك المؤمنين فحسب. بل هو ملك على الجميع. «وأخضع كل شي تحت قدميه واياه جعل رأساً فوق كل شيءٍ»

عدد ٣٦ *مبدأ عام*: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» ع ٣٦. ما اشبه هذا العدد باليوم الكامل — نصفه نهار: «الذي يؤمن..» ونصفه الآخر ليل:

والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله

«والذي لا يؤمن..». الجزء الأول منه يذكرنا بخدمة المسيح — حياة في حياة والجزء الثاني هو صدى آخر صوت في العهد القديم. انه يذكرنا بما جاء في ملاخي «لئلا آتي واضرب الارض بلعن» (٤:٦). هذا دليل آخر على ان هذه كلمات المعمدان، آخر انبياء العهد القديم. بل هذه آخر كلمة نسمعها من المعمدان في هذه البشارة

ان القول: «غضب الله» لا يفيد غيظ الله تعالى، وحنقه، بل يعني حجب وجه الله عن الخطاة، وتغاضيه عنهم، فتخلو حياتهم من بركته تعالى

وجدير بنا ان نذكر في خاتمة هذا الاصحاح ان وعد الايمان بالمسيح، وعد حاضر وبركاته حاضرة: «له حياة» — في الحال اولاً ثم في الاستقبال. لكن وعيد عدم الايمان محفوظ الى قتام ذلك اليوم الذي يحلّ بالفجار: «يمكث عليه غضب الله» فالغضب موجود لكنه محفوظ لينصبّ في حينه

هل يقوى الانسان على ان يعيش باستمرار تحت ظل سحابة، فيحرم نفسه من نور الشمس ويقضي ايامه في البؤس والكآبة. فكيف اذاً حال من يعيش تحت غضب الله ! ؟ ان السماء وحدها تعلم مقدار بؤس مثل هذه النفس

ففي اي جانب انتِ يا نفسي ؟؟!!

الموقف: «الذي يؤمن بالابن «الذي لا يؤمن بالابن

الجزاء: «له حياة» «لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»

الاصحاح الرابع

١ فلما علم الرب

المسيح في السامرة ٤: ١—٤٢

هذا اصحاح عجيب، لانه يرينا المسيح العجيب، الجامع لغرائب الصفات. فهو الطالب الواهب، المتعب والقدير، العطشان والمروي. هو مسيح اليهود، ومسيح السامريين، لانه مسيح العالم بل مسيح الله

ينتقل بنا هذا الاصحاح، من بيئةٍ يهودية، الى بيئةٍ سامرية. في البيئة الاولى سمعنا المسيح يتحدث الى رجل فرّيسي. وفي البيئة الثانية نصغي اليه وهو يتحدث الى امرأة سامرية. وشتان بين الشخصيتين: في الحالة الاولى نرى رجلاً يتكلم مع المسيح في ظلمة الليل، وفي الثانية نشاهد امرأة تتكلم مع المسيح في وضح النهار. اما الرجل. فقد أرانا الوحي من هو، وما هو. واما المرأة فقد علمنا الوحي ما هي وأخفى عنا مَنْ هي [1]. كان الرجل طاهراً في سيرته، وكانت تحيط بالمرأة ظلمات الشبهات. كان ضعف الرجل في قوته، وكانت قوة المرأة في ضعفها. كلاهما آمن بالمسيح. لكن ايمان الرجل ظلّ غير ناضج حتى صُلب المسيح. واما ايمان المرأة فقد نما حالاً ونضج، وأتى بثمر كثير في وقت قصير. ولا عجب، فالاشجار التي تنبت في الليل، وتنمو في الظلال، تظل عقيمة— كذلك كان نيقوديموس الذي جاء الى يسوع ليلاً.

---

(١) تقول بعض التقليدات القديمة ان اسم المرأة «فوتينا»

أن الفريسيين

لكن الاشجار التي تنبت في ضوء النهار، وتنمو مشبعة بأشعة الشمس، تجود بكثير من الثمر — كذلك كانت المرأة السامرية التي كانت تكلم المسيح في الساعة السادسة. كان الرجل شريفاً ورئيساً بين قومه، لذلك كانت صعوبته عقلية، فوجه المسيح كلامه الى بصيرته. وكانت المرأة من سقط المتاع، لذلك كانت صعوبتها قلبيةً، فصوَّب المسيح كلامه الى ضميرها. كان الرجل في حاجة الى نور. وكانت المرأة في عوز الى نار التطهير. ومن العجب ان موضوع حديث المسيح مع كليهما يكاد يكون واحداً — «الماء». فكلم نيقوديموس عن الميلاد بالماء والروح، وكلَّم السامرية عن ماء عطية الله

هذا اصحاح مطبوع بطابع التدرّج الذي امتازت به كل البشارة. واليك الدرجات التي ارتقى عليها ايمان السامرية بالمسيح: فمن اعتقادها بانه مجرّد شخص يهودي عدد ٩، الى قولها له «يا سيد» عدد ١١، الى تصريحها له بانه «نبي» عدد١٩، الى ايمانها بانه هو المسيح عدد ٢٩. وها هي الادوار التي تدرّج اليها ايمان السامريين: فمن الايمان السماعي بكلام المرأة عدد ٢٩. الى الايمان الاختباري بكلامه الشخصي عدد ٤٢. وهاك الادوار التي نما اليها ايمان خادم الملك: فمن الايمان السماعي المبني على كلام الغير عدد ٤٧، الى الايمان النظري المؤسس على كلام المسيح نفسه عدد ٥٠، الى الايمان العملي الموطد على قدرة المسيح عدد ٥٣. يقع هذا الفصل في ثلاثة اقسام رئيسية: —

اولاً: **يسوع والمرأة السامرية ٤: ١ — ٢٦** ثانياً: **يسوع والتلاميذ ٤: ٢٧ — ٣٨** ثالثاً: **يسوع والسامريون ٤: ٣٩ — ٤٢**

سمعوا أن يسوع يصيّر ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا.

أولاً: **المسيح والمرأة السامرية ٤: ١—٢٦**. يقع هـذا الفصل في قسمين: (ا) **مقدمة تاريخية ٤: ١—٦** (ب) **الادوار التى اجتازها حديث المسيح مع السامرية ٤: ٧—٢٦**

عدد ١. (ا) **مقدمة تاريخية ٤: ١—٦**. « فلما علم الرب ان الفريسيين سمعوا ان يسوع » — « الرب يسوع » كلمتان متباعدتان تصفان شخصاً واحداً « الرب . . يسوع » ، الأولى تصفه في كمال لاهوته. والثانية تصفه في كمال ناسوته. الاولى تصفه في نظر يوحنا البشير والكنيسة. والثانية تصفه في نظر الفريسيين. «لما علم.. ترك اليهودية» — ان في انتقال الرب، في هذا الظرف، من اليهودية الى الجليل، دلالة على تضحية جليلة وحكمة بالغة. اما التضحية، فلأنه لم يرد ان يطيل المكوث على مقربة من يوحنا المعمدان ليوسع المجال لخدمته، مخافة ان تتضاءل امام خدمة الفادي. واما الحكمة، فلأنه علم ان خدمة المعمدان، لم تكن سوى خدمة اعدادية — فهي اشبه الاشياء بخدمة « القوّاص » الذي يعدّ الطريق امام الملك (اشعياء ٤٠). فترك هذه الخدمة الاعدادية لمن وُضعت له، ووُضع لها، وتقدّم هو ليمارس عمل مسيّا الفدائي، وليمسك بصولجان الملك، الذي كان مقبضه يتلهف الى يمناه. والظاهر انه وُجدت ثلاث درجات في رسم المعمودية — معمودية يوحنا المعمدان. وهي خدمة اعدادية للعصر المسيحي. والمعمودية التي قام بها المسيح في بدء خدمته على ايدي تلاميذه. والمعمودية التي رسمها المسيح بعد قيامته

٢ مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمّد بل تلاميذه. ٣ ترك اليهودية
ومضى أيضاً الى الجليل. ٤ وكان لا بدّ له أن يجتاز السامرة. ٥ فأتى
الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار

عدد٢ . *كلمة تفسيرية* .هنا نجد دفعاً لفرية كانت قد انتشرت وقتئذٍ بان يسوع كان يعمد ، فبيّن البشير ان يسوع نفسه لم يكن يعمد ، بل تلاميذه

عدد٣ . *المسيح يترك اليهود قاصداً الجليل* لاجل الاسباب آنفة الذكر، وربما لاجل غيرها ايضاً ، «ترك المسيح اليهوديّة ، ومضى ايضاً—اي مرة اخرى—الى الجليل» . ولما كانت السامرة واقعة بين اليهوديّة والجليل، «كان لا بد له ان يجتاز السامرة »

عدد ٤ . *ضرورة مروره بالسامرة*. يؤيد هذا قول يوسيفوس في تاريخه — الجزء السادس : جرت عادة الجليليين ان يجتازوا السامرة في طريق حجّهم الى اورشليم في الاعياد. هذه اذاً ضرورة جغرافية ظاهرة وربما كانت تستر وراءها التزاماً ادبياً . روحياً ، لان سوخار كانت مهيأة للحصاد فكان لا بد للمسيح ان يذهب اليها ليجمع «الخراف الأخر التي ليست من حظيرة اليهود» (١٠:١٦) . ولولا هذا الالتزام الأدبي ، لكان في امكان المسيح ان يتفادى هذه الصعوبة فيذهب الى الجليل سالكاً الطريق الواقع على الضفّة الشرقية لنهر الاردن

عدد ٥ *بلوغه سوخار*. اما السكّة السلطانية التي كانت تمرّ فيها القافلة فكانت تمرّ بمدينة من السامرة يقال لها : «سوخار» . ويقول يوسابيوس ،

بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه. ٦ وكانت هناك
بئر يعقوب. فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على

احد الآباء المحققين ان سوخار هذه واقعة تجاه «نيابوليس» — ومعناها المدينة الجديدة — التي هي شكيم، موضع نابلس الحالية. وقد ورد ذكرها مراراً في التلمود. ويُظنّ ان «خربة عسكر» الحالية هي سوخار القديمة. « بقرب الضيعة» — اي شكيم «التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه» (تك ٤٨: ٢٢)

عدد ٦. جلوس عند بئر يعقوب. كان على الطريق السلطاني الذي سلكه المسيح وتلاميذه في الوادي بين جبلي عيبال وجرزيم وجنوبي مدينة شكيم — التي هي نابلس الحالية — بئر يعقوب. وهي ليست منقورة في صخر بل مبنيةً في اديم الارض، يبلغ قطرها نحو ثلاثة أمتار. وكان عمقها سنة ١٦٩٤ نحو ٤٥ متراً، ورُدم منها على ممر السنين جزء ليس بقليل. وفي عام ١٨٤٣ كان عمقها نحو ٢٢ متراً. واليوم موضوع عليها كثير من الاحجار. ويقال ان يعقوب هو الذي حفرها بقرب الضيعة التي وهبها ليوسف ابنه. ليكون له منها مورد للماء مستقلاً عن الينابيع الاخرى التابعة للسامريين. والمعروف ان مياه تلك العين مستمدة رأساً من عين الارض، وهي صافية، منعشة.

كان يسوع قد تعب من السفر فجلس « هكذا » — اي كيفما اتفق، على البناء المحيط بالبئر، المعروف «بخرزة البئر». وكان التلاميذ وقتئذ قد ذهبوا الى سوخار ليبتاعوا طعاماً له ولهم. وكانت الساعة السادسة. غالباً كان يستعمل يوحنا البشير، التوقيت الافرنكي الشائع في اسيا الصغرى وقتئذٍ وبما ان

البئر . وكان نحو الساعة السادسة . ٧ فجاءت امرأة

الساعة السادسة تبتدئ عادة من الساعة ٥ فيكون الوقت نحو الساعة ٥ بعد الظهر (انظر يوحنا ١٤:١٩) ويظن بعض المفسرين انها الساعة السادسة صباحاً . وآخرون ان الوقت كان ظهراً

ما اعجب الحبّ السني الذي أحبنا به المسيح اذ رضي ان يتسربل طبيعتنا ، فتعب وهو رب القوات ، ومع انه اشبع غيره بمعجزة لكنه لم يلتجئ الى معجزة ليشبع نفسه وتلاميذه

(ب) حديث المسيح مع المرأة السامرية ٤:٧ — ٢٦

عدد ٧ . مجيء السامرية الى البئر . اذ كان يسوع قد تعب . . جلس هكذا على البئر . . . فجاءت امرأة . . لتستقي ماء».ما اعظم الدقّة التي رُتّبت بها اعمال العناية ! امامنا الآن حادثتان صغيرتان لا يرى العقل الطبيعي صلة بينهما — شخص تعب من السفر ، فجلس ليستريح . وامرأة ذهبت الى بئر لتستقي ماء . لكن الفكر الالهي قرن هاتين الحادثتين معاً وأوجد منهما حادثاً جليلاً ، فخلص نفساً هالكة وانقذ بلاداً باسرها . فما اثمن فتات الوقت المتساقط عند قدمي المسيح . فمن كل لحظة ذاهبة يقتنص فرصة من ذهب ، لان راحته في خدمته ، وخدمته في راحته

فلنتقدّم الآن لندرس حديث المسيح مع السامريّة. لقد اتخذ هذا الحديث سبعة ادوار متتابعة . ما اشبهها بدرجات سلّم ، صعدت عليها السامريّة من الارض الى السماء . في الدرجة الاولى نرى السامريّة الساقطة ، وفي الدرجة

من السامرة لتستقي ماء.

الاخيرة نراها سيدة شريفة مؤمنة بالمسيح . وفي الدرجة الاولى نرى المسيح في حال اتضاعه متعباً في حاجة الى جرعة ماء . وفي الدرجه الاخيرة نراه معلناً نفسه انه مسيح الله الذي جاء مخلصاً لجميع العالم

(ا) فى الدرجة الاولى (٤:٧ — ٩) ، خاطب المسيح السامرية موجهاً الكلام الى انسانيتها بقوله لها : «أعطيني لأشرب» . (ب) فى الدرجة الثانية (٤:١٠—١٢) وجه المسيح كلامه الى غريزتها المتشوقة الى الاستطلاع بقوله لها : « لو كنت تعلمين » . (ج) فى الدرجة الثالثة (٤:١٣—١٥) صوب الكلام الى حاجتها الطبيعية للارتواء والراحة بقوله لها : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي اعطيه انا فلن يعطش » . (د) فى الدرجة الرابعة (٤:١٦و١٧) (١) خاطب المسيح ضميرها رأساً بقوله لها : « اذهبي وادعي زوجك وتعالي الى هنا » . (ه) فى الدرجة الخامسة (٤:١٧ (ب) — ٢٠) بدأ قلب المرأة يتفتح ويفيض بالاعتراف بخطاياها فكان خطاب المسيح متجهاً الى غريزتها الدينية . (و) فى الدرجة السادسة (٤:٢١ — ٢٤) اعترفت المرأة اعترافاً ايجابياً بان المسيح نبي ، فكان كلامه مثيراً فيها عوامل الرجاء، وموجهاً الكلام الى ارادتها . (ز) فى الدرجة السابعة (٤:٢٥ و ٢٦) كادت المرأة تعترف بان يسوع هو المسيح فصرحت بإيمان نصفي او شبه تصريح ، فكان كلام المسيح موطداً ايمانها . فآمنت وتركت جرتها.وما الداعي لها ان تحمل جرة الماء الذي كل من شرب منه يعطش بعد ان دخل ماء الحياة الى قلبها ؟ !

فقال لها يسوع

(ا) الدرجة الاولى في حديث المسيح مع السامرية (٤:٧—٩). يتضمن هذا الدور من الحديث : (١) كلام المسيح عدد ٧. (٢) جواب السامرية عدد ٩ (ا). وكلمتين تفسيريتين : ذكرت احداهما بعد كلام المسيح ، عدد ٨ ، والثانية بعد كلام المرأة عدد ٩ (ب)

عدد ٧ (١) كلام المسيح « فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء . فقال لها يسوع أعطيني لأشرب» . هذا كلام وجهه المسيح الى انسانية تلك المرأة التي بحكم رقة طبيعتها تعطف على العطشان الذي يطلب الماء. كان المسيح عطشان حقاً . وقد كان في امكانه ان يصنع معجزة ليستغني بها عن الالتجاء الى هذه المرأة الساقطة الغريبة الجنس ، لولا انه كان يرمي الى غرض اشرف واسمى من ارواء عطش جسده ، وهو ارواء عطش نفسه التواقة الى خلاص النفوس (عدد ٣٢و٣٤) ، والى إرواء نفس تلك المرأة العطشى التي لم تجد رياً في تربة الحياة المقفرة . طلب منها ماء ، ليعطيها ماء أفضل . ولفرط اتضاعه اتخذ موقف المحتاج ، ليعلن لها انه المعطي السخيّ . فاتخذ اتضاعه وسيلة لرفعتنا . على ان المسيح ، بطلبه هذا ، لم يقصد ان يثير عطفها عليه ، بقدر ما قصد ان يشعرها بعطفه عليها . اما تاريخ السامريين فانه يرجع الى سنة ٧٢٠ قبل الميلاد ، حينما صعد « شلمناصر ملك اشور الى السامرة وحاصرها وسبى اسرائيل الى اشور ، واتى بقوم من بابل ، وكوث ، وعوا ، وحماة ، وسفروايم ، واسكنهم مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل » . « فكانوا يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم » (٢ مل ١٧) . وهكذا نشأ السامريون خليطاً في

أعطيني لأشرب

جنسيتهم وفي عبادتهم . وفي عام ٥٣٦ قبل الميلاد ، حاولوا ان يتعاونوا مع بني اسرائيل الراجعين من السبي ويشتركوا معهم في اعادة بناء الهيكل ، فرفض الإسرائيليون ان يتعاونوا معهم (عزرا ٤:٣٠) . ومنذ ذلك الوقت ، استحكمت بينهم حلقات العداء . فاقام السامريون لأنفسهم هيكلاً على جبل جرزيم ، مقابل هيكل اليهود في اورشليم . وصاروا يعذبون ويقتلون كثيرين من اليهود الذين يمرون بتخومهم . ويقول يوسيفوس في تاريخه انه اثناء الفصح اليهودي في العام السادس قبل الميلاد ، وكان هيكل اليهود مفتوحاً في الليل ، دخل السامريون الى الهيكل خلسة ودنسوه بان ألقوا فيه عظاماً بشرية . فكانت هذه الحادثة اشبه الاشياء بزيت صُبَّ على نار الحقد القديم . وان عملاً شنيعاً كهذا ، لا يضارعه سوى تحقير اليهود للسامريين . ويقول ابن سيراخ : « امتان لا تطيقهما نفسي والثالثة ليست بأمة . يهود يجلسون على جبل السامرة ، والفلسطينيون ، وذاك الشعب الغبي الساكن في شكيم (السامرة) » . وكان اليهودي الصميم يستنكف من ان ينجس شفتيه بالنطق بكلمة «سامري» . وكان يحسب طعام السامريين نجساً كلحم الخنزير

كان كل هذا العداء مستحكماً على رغم كون السامريين واليهود متفقين في امور كثيرة — فمن حفظ توراة موسى ، الى تقديس السبت ، الى ممارسة الختان كفريضة مقدسة ، الى حفظ الاعياد . وكان كلٌّ منهما يعتقد في نفسه انه نسل يعقوب . فاليهود يسمون انفسهم «اسرائيليين» ، والسامريون يلقبون انفسهم ب «اليعقوبيين» او اليعاقبة — ويعقوب هو هو اسرائيل

٨ لان تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً . ٩ فقالت
له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا
امرأة سامرية . لأن اليهود لا يعاملون السامريين . ١٠ أجاب
يسوع وقال لها

عدد ٨ . *كلمة تاريخية معترضة* : «لان تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً»

عدد ٩ (٢) *جواب السامرية* : « كيف تطلب منّي . . » اجابت المرأة بتعجب يمازجه أمل ضعيف بانتظار شيء جديد ، لا تدري ما هو . ولعلها فاهت بجوابها وهي تقدّم له الماء ليشرب . وفي الغالب عرفته انه يهودي ، من لباسه ، او من لهجة كلامه او من كليهما معاً . لان الكلمة « أشرب » بالارامي هي « شحت » فيلفظ اليهود الحرف الاول منها « شيناً » ، ويلفظه السامريون « سيناً »

هذا كان جوابها وهي في جهلها . ولو علمت لقالت له : « كيف تطلب مني لتشرب وانت خالق البحار ، وما انا سوى ذرة غبار متطايرة على شاطئ بحر الخليقة

(ب) *الدرجة الثانية في الحديث* (٤ : ١٠—١٢) . (١) *كلام المسيح* عدد ١٠ (٢) *جواب المرأة* عدد ١١ و١٢

عدد ١٠ . (١) *كلام المسيح* . في هذا الدور ، تقدّم حديث المسيح مع السامرية خطوة اخرى . اذ قصد الفادي ان يثير فيها عوامل الاهتمام، بقوله لها :

لو كنت تعامين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب
لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حياً. ١١ قالت له المرأة ياسيد لا دلو لك

« لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك » ، وأيقظ فيها غريزة حبّ الاستطلاع ، لتعرف «عطيـة الله ، ومن هو الذي يقول لها : أعطيني لأشرب» . اما عطيّة الله فهي كل بركات الانجيل الموهوبة لنا في المسيح ، ومعه. ويجوز ان تكون العبارة الثانية : «ومن هو الذي يقول لك»، تفسيريةً لقوله: «عطية الله». فيكون المسيح هو نفسه عطية الله (٢ كو٩: ١٥) على انه ليس في امكان المرأة ان تعرف عطيّة الله ، ولا من هو المسيح ، الا اذا عرفت نفسها ، فادركت وشعرت انها عطشى . لذلك اراد المسيح ان يرفع المرأة من المستوى المادي الذي كانت ترى نفسها فيه ومعها جرتها، والمسيح واقف عطشان أمامها، وان ينقلها الى المستوى الروحي الحقيقي الذي ترى فيه نفسها بائسة عطشى وهي واقفة امام المسيح المروي جميع العطاش

«الماء الحيّ» يطلق على مياه الينابيع المتجدّدة ، الفياضة (تك ٢٦: ١٩) ويشير به المسيح الى عطية الروح القدس . فهو حيّ ومحيي . وبمقابلة هـذا القول بما جاء في ٣: ٥ ، يتضح لنا ان ملتقى كلام المسيح مع نيقوديموس بكلامه مع السامريةّ — هو الحياة الروحية الجديدة

عدد ١١و١٢ (٢) جواب السامرية ٤: ١١و١٢ . من العجيب انه لا فرق بين عقليةّ الناموسي المتعلّم وبين عقليةّ السامريةّ الساذجة، امام الحقائق الروحيةّ السامية . فهي جديدة على كليهما . فكما غاب عن نيقوديموس ان يعرف

والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي. ١٢ ألعلك أعظم من أبينا
يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه.

القصدمن كلام المسيح عن الولادة الروحية فظنّ انالمسيح يتكلم عنالولادة الجسدية ، واحتجّ بالقول : « كيف يمكن ؟» ، كذلك فات السامرية ان تفهم مراد المسيح من كلامه عن الماء الحي ، فحسبته يتكلم عن مياه الينابيع (تك ١٩:٢٦) واحتجّت بالقول: «من اين؟». وكما اردف نيقوديموس جوابه بقوله « ألعل » كذلك قالت السامرية ايضاً : «العل» . فأمام المعلم السماوي يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون العلوم الأرضيّة

مسكين الانسان ما اجهله . فلفرط جهل السامريّة ، غاب عنها ان المسيح كان مقدّماً لها ما طلبه منها. فقد تمثلت المسيح واقفاً عطشان أمام البئر ولا دلو معه ، وقد سُهي عليها انها انما تصف نفسها وهي لا تدري . فهي الواقفة عطشى امام نهر الحياة ودلو الايمان ليس معها

ان تعجب السامرية من كلام المسيح، رافقه اعجابها ببئر يعقوب . فهي فخورة بشرف حسبها ونسبها. «العلك اعظم..» — نطقت بهذه الكلمات،وكل الاصوات من حولها تناديها « هوذا اعظم من يعقوب ههنا »

من المؤسف ان تلك المرأة كانت حريصة على شرف جنسها ، وقد فاتها ان تهتم بشرفها الخاص

(ج) الدرجة الثالثة في الحديث (٤:١٣—١٥). (١) كلام المسيح ٤: ١٣ و١٤ (٢) جواب المرأة ٤:١٥

١٣ أجاب يسوع وقال لها. كل من يشرب من هذا الماء يعطش
أيضاً. ١٤ ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش
الى الابد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع الى حيوة
أبدية. ١٥ قالت له المرأة

عدد ١٣. (١) كلام المسيح ٤: ١٣ و ١٤. لم يوضح المسيحُ للمرأة ماهية العطية الالهية بل حدثها عن مزايا الماء الحي بمقابلته بماء بئر يعقوب، فبيّن لها ان مياه بئر يعقوب — ككل مياه أرضية — لا تروي الا لتعطش. لانها ارضيّة وقتيّةً. كذلك تأثيرها ارضي وقتي مثلها. اما الذي يعطيه هو فله ثلاث مزايا: الاولى: انه ماء مُروٍ: «من يشرب من الماء الذي اعطيه انا فلن يعطش الى الابد» عدد ١٤. والثانية: انه ماء فياض. اي ان الذي يشرب منه لا يرتوي وكفى، بل يكون مروياً لغيره. «بل الماء الذي اعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية». الكلمة «ينبع فيه» تصف نبع ماء الحياة الروحيّة، ينبع داخل النفس بخلاف مياه بئر يعقوب المنقورة خارج سوخار، وبعيداً عنها فيضطر الانسان ان ينتقل اليها. والثالثة: انه ماء موسوم بطابع الخلود: «الى حياة ابدية». فالحياة الابدية مبهجة كما انها خالدة. ان خير مفسّر لكلمات المسيح هنا، هو ما فاه به في ٧: ٣٧ و٣٨

عدد ١٥. (٢) جواب المرأة: «قالت له المرأة..» نزلت كلمات المسيح على قلب تلك المرأة، نزول الندى على كؤوس الورود التي لفحتها شمس الصيف، فأنعشتها، وأحيت فيها موات الرجاء. فهتفت من عمق نفسها ببهجة

يا سـيد أعطني هـذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي الى هنا لأستقي .
١٦ قال لها يسوع اذهبي وادعي زوجك

تمازجها هيبة قائلة « يا سيّد » . ان تعجّبها الماضي قد تطوّر الآن تشوّقاً . وبدلاً من تمسكها بموقفها كمعطية، تنازلت،بل تشرّفت ان تتخذ من المسيح موقف السائلة : « أعطني هذا الماء »

كانت تلك السامرية تشكو امرين — اولهما : العطش : « لكي لا أعطش » . وثانيهما : التعب : «ولا آتي الى هنا لأستقي» . كأنها كانت بكلامها هذا معبرة عن اشواق البشرية المتعطشة والمتعبة في بريّة هذا الوجود . لان ما يقدمه العالم للنفس من تمتّع ، انما هو خارج عنها. فالخير كل الخير في اعماق نفوسنا لو كنّا فاهمين

(د) *الدرجة الرابعة* ٤:١٦و١٧ (١) *كلام المسيح* عدد١٦ (٢) *جواب المرأة* عدد ١٧ (١)

عدد ١٦ (١) *كلام المسيح* ٤:١٦ . الى هنا كان كلام المسيح مع السامريّة متخذاً اتجاهاً عاماً . والآن نراه ينتقل من التعميم الى التخصيص . قبلاً رأيناه معلماً ومبشراً ، والآن نراه طبيباً واضعاً اصبعه على موضوع الداء . قبلاً كان يخاطب غرائزها وعقلها،والآن نراه مصوباً الكلام الى ضميرها : «اذهبي وادعي زوجك . وتعالي الى هنا». لم يقصد المسيح ان يحرجها،إذ أن كلماته نتيجة طبيعيّة لجوابها السابق «لكي لا آتي الى هنا لأستقي» ، كأنها

وتعالي الى ههنا . ١٧ أجابت المرأة وقالت ليس لي زوج . قال لها
يسوع حسناً قلت ليس لي زوج .

كانت تستقي لنفسها ولأهل بيتها . واذا كان في كلام المسيح جرح لها ، فهو من الجروح الامينة ، لانه جرح شافٍ

ان العقبة الكؤود التي تحول دون اقتبال الكثيرين الى الله، ليست في عقولهم، بل في قلوبهم. وان علة شكوك الاكثرين ليست عقلية بل اخلاقية. فكان من الضروري ان يخاطب المسيح ضميرها لانه من المحال ان يعلن لها الحق كما هو، الا متى كانت في استعداد لقبوله. ومن المحال ان تقبله ما لم تصلح كل خلل في حياتها. ولا شكّ انها تعجّبت، وفزعت، وانكمشت من هذا الكلام

عدد ١٧ . (٢) **جواب المرأة** : «أجابت وقالت . ليس لي زوج» . من يستطيع ان يحلل العوامل النفسيّة المتباينة والمتنازعة التي كانت تزدحم في قلب السامريّة عند ما اجابت بالقول : «ليس لي زوج»؟ هل شعرت بنخسة في ضميرها اذ رُسم تاريخها امام عينيها في لحظة من الزمان فنطقت بهذه الكلمات بنغمة الحزن والأسى ؟ ام خالجها الشكّ في مقدرة هذا النبي الجديد الذي فاته ان يعرف دقائق حياتها الخفيّة فقصدت ان تصحح خطأه المزعوم في ظنه أنّ لها زوجاً ؟ ام رأت نفسها امام طبيب النفوس والأرواح ، فقصدت ان تكاشفه بعلّة قلبها الدفينة؟ ام كانت كل هذه العوامل مجتمعة معاً ؟ ؟ !

(هـ) الدرجة الخامسة في الحديث — ٤: ١٧ (ب) — ٢٠ . (أ) كلام المسيح ٤: ١٧ (ب) و١٨ . (٢) جواب المرأة ٤: ١٩ و٢٠

١٨ لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك .
هذا قلتِ بالصدق .

عدد ١٨ . (١) كلام المسيح: ٤: ١٧ (ب) و١٨: «قال لها يسوع ..» بهذه الكلمات أُعلِنَت للمرأة قوة المسيح النبويةَّ ، اذ رأته ممسكاً بيده صفحة حياتها السريةّ ، ويتلوها سطراً سطراً وكلمة كلمة ، على مسمع منها ، حتى وصل الى الكلمة التي نزلت على قلبها كالصاعقة : « الذي لك الآن ، ليس هو زوجك» — ولعله زوج غيرها . من تاريخ حياة هذه المرأة كما سرده المسيح ، نستنتج شيئاً عن الخطوات المتتابعة التي يهوي اليها الانسان حتى يصل الى اسفل دركات الشرّ:فمن الزواج الذي رسمه الله،الى الزواج الذي اباحته بعض الشرائع الوضعيةَّ— «خمسة أزواج»،الى الحياة الاباحية : «الذي لك الآن ليس هو زوجك»

يعتقد بعض المفسرين في هذا العصر ، ان هذه السامرية التي كانت زوجة لخمسة ازواج ، ترمز الى الامة السامرية التي كانت مكونة من خمس امم مختلفة (٢ مل ١٧: ٣٠و٣١)،ولكل منها الهها الخاص،فصارت معروفة بـ «امة الخمسة الآلهة » — والاله الذي تدّعي انها تعبده ليس الهها الحقيقي . لان السامريين «يسجدون لما لا يعلمون» ع٢٢ . هذا يؤيده قول يوسيفوس : ان السامريين هم خليط من خمس امم احضرت كل منها الهها معها الى السامرة،فلا اله حقيقي للسامريين

١٩ قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي. ٢٠ آباؤنا سجدوا في

عدد ١٩ . (٢) *جواب المرأة* (أ) *اقرارها بأنه نبي* ٤٠ : ١٩ و٢٠ . كان جواب المرأة على دورين — في الدور الأول أقرّت بان المسيح نبي (ع ١٩) . وفي الدور الثاني قدّمت للمسيح استفتاء (ع ٢٠). كان اقرارها نتيجة المعرفة الحقيقية. التي فاجأها بها المسيح عن تاريخها. فرأت فيه نبياً يعلم بالغيب. فباقرارها تختتم الدرجة الخامسة من حديثها ، و باستفتائها تستهل الدرجة السادسة

(و) *الدور السادس* (ع ٢٠ — ٢٤). (أ) *كلام المرأة* (ع ٢٠)

(ب) *جواب المسيح* (ع ٢٠ — ٢٤)

عدد ٢٠ (١) *كلام المرأة* : يستنتج كثير من المفسرين ، من جوابها المقتضب : «أرى انك نبي . . آباؤنا » ، انها قصدت ان تتهرب من الاطالة في الكلام عن اخلاقها وحياتها ، ففرّت والتجأت الى الكلام عن معضلة كلاميّة، كما يفعل بعض الذين تنخسهم قلوبهم فيهربون من الكلام في الروحيات التي تمس الحياة ، الى التمسك بمماحكات الكلام ، في امور لاهوتية عويصة ، لا حل لها ولا علاج . ويلوح لنا ان المرأة بلغت في حديثها مع المسيح درجة راقية يصعب علينا ان نعتقد فيها ، انها تفرّ من أمامه . وأنّى يتأتّى لها ذلك الآن ، بعد ان أُمسكت بحبال قوته الطاهرة المطهرة ، بل كيف يمكن لمن أُعلن لها مجد السيح ان تبغي من حضرته هروباً ؟ ؟ لذلك يغلب على اعتقادنا ، انها إنما أرادت ان تنتهز فرصة وجودها امام هذا النبي الجديد ، المترجم عن ارادة الله ، لينبئها بالقول الفصل في هذه المشكلة القديمة ، التي ظلّت أجيالاً طوالاً ، قائمةً بين اليهود الذين هو منهم ، والسامريين الذين تنتمي هي اليهم

هـذا الجبل وأنتم تقولون ان في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه .

وليس من المستبعد أنها بعد ان تبكتت على خطاياها ، ورأت حاجتها الى مخلص ، قصدت ان تطمئن على افضل مكان تُقدم فيه عبادتها العتيدة . فقالت له : «آباؤنا» — السامريون — «سجدوا في هذا الجبل» (*) — ولعلها اشارت باصبعها الى الجبل (تث٢٧:٢٤) لان بئر يعقوب واقعة عند سفح ذلك الجبل — «وانتم» — اليهود — «تقولون ان في اورشليم الموضع الذي ينبغي ان يُسجد فيه »

غريب ان هذه المرأة الساذجة لم تكن اجنبية عن الحقائق اللاهوتية ، والمطارحات الكلامية . على ان خطيتها لم تكن ناشئةً عن جهلها ، بل عن ضعف خلقها . لم يكن الظلام في عقلها ، بل في قلبها

عجيبٌ انها كانت ملتهبة حماساً لهيكل امتها المتهدم منذ ايام يوحنا هرقانوس — سنة ١٢٩ ق . م — ولم تبالِ بهيكل حياتها المتهدم ! هذه علامة من علائم التمسك باهداب الدين الاجتماعي ، والتخلي عن اسباب التدين الشخصي . «القلب خدّاع ونجيس» ليس من السهل إذلاله ليتواضع بالحقيقة امام الله

---

* يعتقد السامريون انه على هذا الجبل قدم ابراهيم اسحق ابنه ذبيحة . وقد جاء في التلمود (باب بريشيت ربا) : « ان الراب يوحنان مرَّ بجبل جرزيم في طريقه ليسجد في اورشليم . فابتدره سامري بالقول : « الى اين » ؟ فأجاب يوحنان : « انا ذاهب لاصلي في اورشليم » . فرد عليه السامري بالقول : « كان ينبغي لك ان تصلي في هـذا الجبل المقدس (جرزيم) بدلا من ان تصلي على ذلك الجبل الملعون (عيبال) »

٢١ قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة

عدد٢١. (ب) **جواب المسيح** (ع٢١ — ٢٤). كان موقف المسيح دقيقاً. فمن جهة، لا يريد — ولا يقدر — ان ينكر الحق. ومن الجهة الاخرى لا يريد ان يعثر هذه النفس الحسَّاسة الراغبة في الحق. وفي دقة موقفه هذا قدم جواباً بالغاً حد الكمال، مرتقياً فوق الحزازات الجنسية، والمماحكات الكلامية. كان سؤال المرأة قاصراً على طلب تعيين مكان العبادة. وبكل حكمة، رفع المسيح قلبها من التفكير في العبادة بوجه عام، الى التأمل في حقيقة المعبود، وفي طبيعته: « الآب »

في هذا الدور وجَّه المسيح خطابه الى ارادة المرأة السامرية فأجابها بأسلوب الحكيم، وأراها : —

(١) **طبيعة العبادة الحقيقية** : انها اوسع من ان يحصرها مكان « لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب» (عدد٢١). (٢) **مؤهلات العابدين الحقيقيين** : (عدد ٢٣). (٣) **طبيعة المعبود** : «الله روح» (عدد ٢٤ (أ)). (د) **واجب العابدين** : «فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا» (عدد ٢٤ (ب)).

(أ) **طبيعة العبادة الحقيقية** : عدد ٢١. بهذا الكلام بيّن لها المسيح ان عبادة السامريين ليست فقط عاطلة من حيث المكان الذي تُمارس فيه، بل هي أيضاً منقوضة من اساسها

في قوله لها : « يا امرأة صدقيني . . » ، وجّه الخطاب الى ارادتها لكي تؤمن. «تأتي ساعة» — لقد وصفته هي بانه نبي ، وها هو ينبئها الآن ، عن

لا في هـذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب. ٢٢ أنتم
تسجدون لما لستم تعلمون.

وقتٍ في المستقبل سوف يقبل فيه السامريُّون الى الاله الحي الحقيقي،فيصيرون له ابناء روحيين ، اذ يتحررون من قيود العبادة الخارجية المحصورة في مكان معين — عبادة ما اقربها من العبودية ، وكلتاهما من مصدر واحد

في زمن السامرية، كان يعتقد السامريون ان جبل جرزيم «مقدس»في ذاته دون سواه . فأنبأها المسيح بوقتٍ، سوف يعتبرون فيه كل مكان يحل فيه الله، «مقدساً» . عندئذٍ يعلمون ان المكان لا يقدس العبادة . انما العبادة هي التي تقدس المكان. «لا في هذا الجبل» — جرزيم — «ولا في اورشليم». كما ان المسيح زحزح ايمانها عن قدسية «جرزيم» كذلك لم يكن متحيزاً للجبل الذي أُقيمت عليه اورشليم : «ولا في اورشليم تسجدون للآب» . فلا اليهود يجتذبون السامريين الى جبل اورشليم ، ولا السامريون يرغمون اليهود على الصلاة في جرزيم ، بل ينتقل كل منهما من حيِّزه الضيق ليلتقيا معاً في مكان مشترك ، حيث يلتئم جميع ابناء الله ، في عبادة روحية تضمهما معاً ، ويلتقون في مكان لا يحده مكان

عدد ٢٢ *كلمة توضيحية* : «انتم» — السامريُّون — «تسجدن لما لستم تعلمون» — اي على غير هدى . لان السامريين اكتفوا بجزء مبتسر من الوحي الالهي — أسفار موسى الخمسة — وحسبوه خاتمة الوحي، وحرموا انفسهم أنوار الوحي الذي أراقه الزابور، والانبياء على المعلنات الالهية . مثل

أما نحن فنسجد لما نعلم. لان الخلاص هو من اليهود. ٢٣ ولكن
تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون

اولئك السامريين مثَل قوم ظفروا بسراج منير، فحملوه، ودخلوا به الى غرفة ضيقة محكمة النوافذ حتى اختنق ضوؤه من قلّة الهواء. المقصود من كلمة: «ما» تلك الفكرة التي كانت عندهم من جهة الله. «أما نحن» — اليهود — « فنسجد لما نعلم لان الخلاص هو من اليهود » — الخلاص المقصود هنا، هو الخلاص الذي سبق فأنبأ عنه الله، ان سيأتي به مسياً الذي هو نسل ابرهيم (تك ١٢: ٣؛ ١٨: ١٨؛ ٢٢: ١٨). فشجرة الخلاص نبتت في بستان اليهود، الذين استؤمنوا على أقوال الله (رو٣: ٢) ومنهم جاء المسيح حسب الجسد

هذه هي المرة الوحيدة التي استعملت فيها كلمة «يهود» في الانجيل بمعنىً حسن. وهي تعني اليهود كأمةٍ مختارة من الله، لا رؤساء اليهود الذين حجزوا الحق ولطخوا ايديهم بدماء الانبياء والمرسلين، وتوجوا جرائمهم بقتل مسيح الله

عدد ٢٣. **مؤهلات العابدين الحقيقيين**: «ولكن تأتي ساعة، وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق». ان كلام المسيح، في العدد السابق، الذي تناول فيه السامريين وعبادتهم الحقيقية كان من قبيل النبوة، وهو يرمي الى نقطة في بطن المستقبل. لكن كلامه في هذا العدد، يقرّر حقيقة راهنة بدليل قوله هنا: «وهي الآن». لان الساجدين الحقيقيين موجودون فعلاً في كلّ مكان وزمان. سواء أ كانوا من اليهود أم من السامريين

ان مؤهلات هؤلاء الساجدين تجمعها كلمتان: (١) «بالروح» — ضد

للآب بالروح والحق. لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له.
٢٤ الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا

كل ما هو جسدي، ماديّ، وحرفيّ، ومحليّ. (٢)«وبالحق» — ضد كل ما هو باطل، ووهميّ، وصناعيّ، وجهليّ. فالعبادة التي «بالروح» متفقة وطبيعة الله. والعبادة التي «بالحق» متفقة وارادة الله. «بالروح» — هذه الكلمة تصف العبادة الحقيقية من حيث شعور العابد (رو ١: ٩). «بالحق» — هذه الكلمة تصف العابد من حيث تكوين فكرته عن المعبود. فالعبادة في الديانة اليهودية كانت قائمة على الحرف، والعبادة في الديانة السامرية كانت قائمة على الوهم والضلال: «لما لستم تعلمون». لكن العبادة في المسيحية هي «بالروح» — على عكس ما في اليهودية، و «بالحق» — على عكس ما في السامرية

لا يوجد مشجّع على العبادة اقوى من هذه العبارة: «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» — فاذا كانت الروح تطلُبُ الهها الذي منه أتت، لتلتقي به. فان الله الذي منه خرجت الروح، يطلب هذه الروح ليلتقي بها، هذه رغبة متبادلة بين العابد والمعبود

عدد ٢٤. (٣) طبيعة المعبود: «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا». «الله روح» — هذه الكلمة تصف الله في طبيعته لا في ذاته وأقنوميته وهي أولى الصفات الثلاث التي سجلها يوحنا في كتاباته عن الله: — «الله نور» (١ يو ١: ٥)، «الله محبة» (١ يو ٤: ٨). «الله روح» (يو ٤: ٢٤)

٢٥ قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى

عدد ٢٥ . —ز— الدور السابع ٤:٢٥و٢٦—(١) كلام المرأة(٤: ٢٥) . «انا اعلم ان مسياً — الذي يقال له المسيح — يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء» . من هذا الكلام، يتضح لنا ان شعاعة من النور لاحت أمام عيني المرأة ،وان شخصاً عجيباً تراءى لها في ضوء هذا النور الضئيل ، فلم تستطع ان تحكم في ما اذا كان هو مسياً ، أم سواه . لذلك فاهت بهذه الكلمات وهي بين مؤمنة وغير مؤمنة . ولعلها قصدت ان تلقي دلوها في الدلاء علّها تكون قد ظفرت بهذه اللؤلؤة التي لا تثمن،فنطقت بهذا التصريح — ليس عن غير يقين—آملة ان تستزيد المسيح من هذا النور . أما العبارة: « الذي يقال له المسيح » فهي من كلمات يوحنا البشير

يقول ثقاة المؤرخين : ان السامريين لا يزالون ينتظرون، الى يومنا هذا ، مسيحاً يسمونه «أشيف» اي المثيب، والمرجع، والهاديّ . لكنهم اخطأوا ، كما اخطأ اليهود أيضاً ، في انتظارهم ملكاً ارضياً ، يردّ لهم مجدهم الارضي الضائع . فاذاً فكرة انتظار المسيح ، ليست قاصرةً على اسرائيل ، لان المسيح الحقيقي هو مسيح الجميع . حقاً قال فيه سمعان الشيخ : «نور اعلان للامم ومجداً لشعبك اسرائيل» (لو ٢:٣٢)

مع ان فكرة المرأة السامرية عن المسيح ، كانت فكرة مبتسرةً ناقصة ، الا ان المسيح قبلها على رغم ما فيها من ضعف ، مؤكداً لها انه ليس من الضروري لها ان تنتظر أعواماً ولا شهوراً،ولا ساعات،حتى تنتظر ذلك المسيا،

ء ذاك يخبرنا بكل شيء. ٢٦ قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو

لا ان تذهب هنا وهنالك مفتشة عليه ، فما عليها الا ان تفتح عينيها حيث
ي واقفة ، فتراه : « انا الذي اكلمك هو »

ليس للمرأة من جوابٍ على هذا الاعلان العجيب ، سوى الصمت !
هو صمت ابلغ من كل كلام. فاذا كان كلامها في الماضي من ذهب ، فان
صمتها هنا . لآلئ لا تثمن

عدد ٢٦ (٢) **جواب المسيح — تصريح جليل** (٤: ٢٦). اننا نحتاج الى
ريشة ملائكية ، تغمس في الوان سماوية لترسم العوامل المتباينة التي كانت
تختلج في قلب المرأة ، بعد ان سمعت هذا التصريح الجليل : « انا .... هو »
كانت فرحةً بهذا الاكتشاف العجيب الذي فتش عنه الانبياء قديماً فعزّ
عليهم أن يجدوه ، لكنه وُجد لها هي الضعيفة المحسوبة من سقط المتاع ؟ أم
متلأ قلبها بتأنيبات الضمير ، على الكلمات الساذجة التي خاطبت بها المسيح
في بدء الحديث ؟ أم بكت من فرط سرورها بهذا النور الذي ظهر لها من
غير انتظار ؟ ام كانت كل هذه العوامل مجتمعةً معاً في نفسها ؟؟

ما اسمى المقام الذي بلغته هذه المرأة في هذا الحديث ؟ من امرأة ساقطة
تحمل جرّة تستقي بها ماء من بئر يعقوب ، الى ملكة غير متوّجة قد دخل
الى قلبها نهر الحياة ! فلا عجب اذا كانت قد تركت جرّتها فيما بعد !! جاءت
لتشرب مياهاً ارضيةً ، فصارت تخرج من قلبها انهار ماء حية . جاءت لتستقي
مياهاً ماديةً لاهل بيتها ، فاروت بمياه الحياة اهل مدينتها (٤: ٢٨ — ٣٠)

٢٧ وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة .

ثانياً : *المسيح والتلاميذ* . ٤:٢٧—٣٨.(١) *التلاميذ المتعجبون* (عدد ٢٧) . (٢) *السامرية المبشرة* ٤:٢٨—٣٠ . (٣) *حوار بين المسيح والتلاميذ* ٤:٣١—٣٨

عدد ٢٧ . (١) . *التلاميذ المتعجبون* : في الفترة التي تحدَّث فيها المسيح مع السامرية ، كان التلاميذ قد اتموا مأموريتهم التي ذهبوا الى سوخار لاجلها (عدد ٨) ، فابتاعوا طعاماً ، ورجعوا ، « وكانوا يتعجَّبون » . وردت هذه العبارة الاخيرة ، بصيغة الاستمرار لتفيد ان تعجبهم كان متواصلاً . اما سبب هذا التعجب ، فهو ان سيدهم كان يتكلم مع امرأة

كان من حقهم ان يتعجبوا ، متى رأوا سيدهم يتكلم مع رجل سامريّ . فكيف بهم لا يتعجبون متى كان هذا السامريّ امرأة . منذ ذلك الوقت ، حتى يومنا الحاضر ، والمرأة محتقرة عند اليهود [1] . فما كانت تسمح العوائد ليهوديّ ان يحيي امرأة في الطريق — ولو كانت هذه المرأة أمه ، او اخته ، او زوجته . وفي صلاة اليهود الصباحيَّة ، يقف الرجل مصلياً في الهيكل قائلاً : «أبارك اسمك ايها الرب خالق العالمين ، لانك خلقتني يهودياً ، لا اممياً . وحراً لا عبداً . ورجلاً لا امرأة» . لكن المرأة المسكينة تقف في بيتها — لانه

(١) كان احد الفريسيين معروفاً وقتئذ لدى قومه « بالفريسي الدامي الجبهة » لانه كان مرة سائراً في الشارع ، مغمضاً عينيه ، لئلا يرى امرأة في الطريق ، فاصطدم رأسه

ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب أو لماذا تتكلم معها. ٢٨ فتركت
المرأة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس. ٢٩ هلموا انظروا

غير مسموح لها ان تدخل الهيكل — وتقول بنغمة مؤلمة «احمدك اللهم لانك خلقتني كما اردت.» !!

كان يعتقد اليهود ان حرق الشريعة افضل من تسليمها الى امرأة. فلا عجب اذا كان التلاميذ قد تعجبوا. إلاَّ ان تعجبهم كان صامتاً. فلم يقل احدهم «ماذا تطلب او لماذا تتكلم معها» وربما نشأ صمتهم، عن احترامهم لسيدهم، وعدم حصولهم على الشجاعة الكافية لاستجوابه. الا ان المهم هو ان المرأة لم تعبأ بتعجبهم، بل مضت في سبيلها

ع ٢٨ — ٣٠. (٢) *السامرية المبشرة*: بعد ان شبعت المرأة من نهر الحياة، لم تبق بها حاجة الى استعمال الجرَّة، فتركتها ومضت الى المدينة، وقالت للناس: « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت »

ان السامرية بعملها هذا، قدمت خير دليل على:

(ا) *تضحيتها*: « تركت جرَّتها » — كما ترك التلاميذ شباكهم.

(ب) *غيرتها*: «مضت» — انها جرت بقدمين تسبقان الاجنحة في السرعة.

(ج) *شجاعتها، ووطنيتها*: « الى المدينة ». اننا لا نستطيع ان نقدّر شجاعة هذه المرأة، الا متى ذكرنا تاريخها، وتقدير اهل بيتها لها. لقد شعرت ان لها رسالة، فبلّغتها الى اهل مدينتها اولاً. وان شجاعتها هذه تنم عن وطنيتها الحقيقية. (د) *رسالتها*: «هلموا انظروا انساناً. (ه) *حكمتها*: لم تحاول

إنساناً قال لي كل ما فعلت . ألعل هـذا هو المسيح . ٣٠ فخرجوا
من المدينة وأتوا اليه. ٣١ وفي أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يا معلم
كل. ٣٢ فقال لهم أنا لي طعام لآ كل

السامرية ، ان تكلمهم عن المسيح ، مخافة ان تعجز عن محاجّتهم ، لكنها رأت ان أفضل طريقة هي ان تحضرهم اليه لتواجههم به . لم ترغب في ان تكون هي «جرَّة» تحمل اليهم ماء الحياة بل أرادت ان تحضرهم الى «النهر» ، ليشربوا بأنفسهم ، و يرتووا . (و) باكورة خدمتها : « خرجوا من المدينة » هذا نجاح عظيم ، دونه نجاح بعض الرسل

(٣) حوار بين المسيح والتلاميذ ٤: ٣١—٣٨ . (ا) التلاميذ يقدمون الطعام للمسيح (عدد ٣١)، وهو يدلهم الى الطعام الحقيقي (عدد ٣٢) . (ب) التلاميذ يتساءلون فيما بينهم . (عدد ٣٣) . (ج) المسيح يزيل اسباب تساؤلهم : (٤: ٣٤—٣٨)

عدد ٣١و٣٢ . (ا) التلاميذ يقدمون الطعام للمسيح ، وهو يدلهم الى الطعام الروحي (٤: ٣١و٣٢)

الآن وقد خلا التلاميذ بسيدهم ، بعد ان مضت السامرية لتدعو أهل مدينتها ، قدَّموا له الطعام الذي ابتاعوه من المدينة ، قائلين : «يا معلم كل» . اما المسيح ، فقد وجد اثنـاء غيابهم ، وليمة روحية فاخرةً ، في اقتبال نفس خاطئة اليه ، فأجابهم جواباً عجيباً : «انا لي طعام لآ كل لستم تعرفونه أنتم» . وفي الاصل يوجد توكيد خاص على كلمتي «أنا» ، و « أنتم » . ان طعامه

لستم تعرفونه أنتم. ٣٣ فقال التلاميذ بعضهم لبعض ألعل أحداً
أتاه بشيء ليأكل. ٣٤ قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي

وشرابه الحقيقيين، هما إشباع الجياع و إرواء العطاش المقبلين اليه. لكن عقل الانسان الطبيعي لا يستطيع ان يعرف طبيعة الطعام الروحي ومزاياه وقوّته (انظر ٦: ٢٧)

عدد ٣٣ (ب) *تساؤل التلاميذ فيما بينهم* (٤: ٣٣). من المؤسف ان عقول التلاميذ لم تكن قد ارتقت فوق عقل نيقوديموس وعقل السامرية. فكما ان نيقوديموس اساء فهم معنى الولادة الجديدة فظنها ولادة جسدية، وكما فات السامرية ان تفهم القصد من الماء الحي فظنت المسيح يتكلم عن مياه ارضية، كذلك غاب عن التلاميذ ان يدركوا مراد المسيح من قوله «طعام» فظنوه يتكلم عن طعام جسدي وقال بعضهم لبعض «ألعل احداً اتاه بشيء ليأكل». و بمثل ما اجابت السامرية، اجاب التلاميذ: «ألعلّ»

(د) *المسيح يزيل أسباب تساؤل التلاميذ* ع ٣٤ — ٣٨. علم المسيح، علاّم الغيوب وفاحص القلوب، ما كان يجول في خاطرهم وادرك ما كانوا عنه يتساءلون فاجابهم جواباً مانعاً جامعاً، تناول فيه الكلام عن: (١) *طعامه* (عدد ٣٤). (٢) *الفرصة العظمى التي امامهم* (عدد ٣٥). (٣) *المسئولية العظمى الواقعة عليهم* (عدد ٣٦ — ٣٨)

عدد ٣٤ *طعامه*: قال لهم يسوع: «طعامي أن اعمل مشيئة الذي ارسلني واتمم عمله». من كلامهم جاوبهم. كانوا يتكلمون عن الطعام، فأجابهم

أرسلني واتمم عمله. ٣٥ أما تقولون انه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد. ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا

بالقول: «طعامي ان أعمل مشيئة الذي أرسلني». وكما ان الانسان يتلذّذ بالطعام، و به يتغذى، ويحيا، كذلك كانت مشيئة الآب لذّة — المسيح، وغذاءه، وحياته. اننا نلمس من هذه الكلمات: (١) معرفة المسيح بارادة الآب: «الذي ارسلني». (ب) حب المسيح لارادة الآب السماوي: «ان اعمل». (ج) ملازمة المسيح لهذه المشيئة بكل دقة، الى المنتهى «واتمم عمله». هل كان يفهم التلاميذ وقتئذ، ان اتمام المسيح لارادة الذي ارسله، معناه حمل الصليب؟ يتكلم المسيح هنا عن نفسه في وظيفته الفدائية التي قبلها على نفسه من الآب

عدد ٣٥. (٢) *الفرصة العظيمة التي امامهم*: «اما تقولون .... ارفعوا اعينكم وانظروا». بين بئر يعقوب الرابضة عند قدمي جبل جرزيم، و بين مدينة سوخار الجاثية عند قدمي جبل عيبال. يمتد سهل خصيب، كان وقتئذ منزرعاً حبوباً، فاكتسى وجهه ببساط سندسي اخضر. وكان بين هذا الوقت و بين الحصاد اربعة اشهر. و بما ان الحصاد في فلسطين يكون عادة في اواسط شهر ابريل، اذاً تكون هذه الحادثة قد وقعت في اواسط ديسمبر

رأى التلاميذ بعيونهم الطبيعية — ان الحقل الطبيعي الممتد أمامهم، كان لا يزال اخضر، تعوزه أربعة اشهر حتى يأتي الحصاد، فوجّه المسيحُ بصرهم الروحي الى حقل روحي قد ابيض للحصاد، وهو الآن ينتظر أهل سوخار. ورفع نظر تلاميذه الى هذا الحقل الجديد الناضج، الممتدّ امام بصرهم. والفرق

الحقول انها قد ابيضت للحصاد . ٣٦ والحاصد يأخذ أجرة ويجمع
ثمراً للحياة الابدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً . ٣٧ لانه في هذا
يصدق القول ان واحداً يزرع وآخر يحصد . ٣٨ أنا أرسلتكم

بين الحقل الطبيعي ، و بين هذا الحقل الجديد ، هو ان اولهما كان وقتئذٍ اخضر ، لا يمكن ان يأتي ثمراً إلاّ بعد مرور اربعة اشهر . واما ثانيهما ، فقد اكتمل نضوجه وأثمر حالما زُرعت البذار فيه . ان حصاد اولهما من حبوب . اما حصاد ثانيهما ، فمن قلوب

عدد ٣٦—٣٨ . (٣) . *المسئولية العظمى الواقعة على التلاميذ*: ما دامت الحقول قد ابيضت أمامهم، فما عليهم الا ان يتقدموا لجني ثمار هذا الحصاد الذي تعب في زرعه سواهم . على ان المكافأة تكون للزارع والحاصد معاً : «آخرون تعبوا وانتم دخلتم على تعبهم» . « الآخرون » — هم أنبياء العهد القديم ، و يوحنا المعمدان ، والسامرية ، والمسيح . ومن الملاحظ ان عين نون ، التي كانت مركزاً لدائرة خدمة يوحنا المعمدان ، قريبة من السامرة . ولئن كان عمل الزارع أشق من عمل الحاصد ، لانه يزرع بالدموع ، وقد يضطر أحياناً أن ياخذ قوت اولاده و يزرعه لكنه سيفرح متى جاء وقت الحصاد . على انه من نصيبه ايضاً ان يزرع لغده، مثلما حصد هو من زرع أمسه (مزمور ١٢٦: ٥و٦)

ان هذا القول الذي فاه به المسيح ، لا يقتصر على تلك الحادثة ولا يُحتكر للتلاميذ ، بل ينطبق على الخدمة والخدام في كل جيل . اذ في كل

لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه . آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم
٣٩ فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب
كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت . ٤٠ فلما جاء
اليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم .

عصر يوجد حصاد ، وحيثما يوجد حصاد ، فالحاصلون مدينون لمن زرعوا قبلهم . هذه سلسلة نورانية تربط خدمة جميع الخدام ، في كل جيل بلا تفصيل

ثالثاً : *المسيح والسامريون* ٤ :٣٩—٤٢

يعالج هذا الفصل ايمان السامريين : (١) *ايمانهم فى درجته الابتدائية* (عدد ٣٩) . (٢) *ثمرة ايمانهم فى درجته الابتدائية* (عدد ٤٠) . (٣) *ايمانهم فى درجته الراقية* (عدد ٤١) . (٤) *ثمرة ايمانهم فى درجته الراقية* (عدد ٤٢) . (٥) *موضوع ايمانهم* (عدد ٤٢ (ب)

عدد ٣٩ . (١) . *ايمان السامريين فى درجته الابتدائية* . هذا هو الايمان السماعي «بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد: انه قال لي كل ما فعلت».مع انه كان ايماناً سماعياً ، الا انه كان ايماناً نامياً ، مثمراً

عدد ٤٠ . (٢) . *ثمرة ايمان السامريين فى درجته الابتدائية* . أما هذه الثمرة ، فهي انهم جاءوا الى يسوع وسألوه ان يمكث عندهم . ان الذي ينال قسطاً من النور ، لا يهدأ حتى ينال قسطاً أوفر . قبلاً شرب السامريون من ماء الحياة ، بواسطة تلك المرأة ، فكانوا كمن يشرب من ماء النهر « الجرة» اما الآن ، فقد عزموا على ان يشربوا من نهر الحياة مباشرة . ومع

فمكث هناك يومين. ٤١ فآمن به أكثر جداً بسبب كلامه.
٤٢ وقالوا للمرأة إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن. لاننا نحن
قد سمعنا ونعلم أن هذا هو

ان وقت المسيح ثمين جداً الا انه لم يبخل به على طالبيه الاممين المعادين لجنسيته، بل وهبهم يومين من ايامه المعدودات على الارض. لا بل أعطاهم حياته كلها، اذ قدمها على الصليب

عدد ٤١. (٣). *ايمان السامريين في درجته الراقية*: «فآمن به اكثر جداً بسبب كلامه». فرق عظيم بين الايمان السماعي، والايمان الاختباري. فرق بين أعمى يسمع وصفاً بليغاً عن ألوان الغروب البديعة، و بين مبصر يفتح عينيه ليرى — «الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته ايدينا.»

عدد ٤٢. (٤) *ثمرة ايمانهم في درجته الراقية* (عدد٤٢(أ)). هذه هي اعترافاتهم بهذا الايمان لمبشرتهم العظيمة. وانهم لم يكونوا بكلامهم هذا ناكري فضل مبشرتهم، بل كانوا مقرين بفضل مخلصهم. اما اساس ايمانهم، فمزدوج: (أ) السمع: «لاننا قد سمعنا» — كلام المسيح من فم المسيح. (ب) العلم: «ونعلم» من يقين اختبارنا — «ان هذا هو المسيح مخلص العالم». اذاً كان هؤلاء السامريون، اوسع فكراً من اليهود، الذين كانوا يعتقدون ان المسيح سيجيء ليخلص الامة اليهودية وحدها خلاصاً مادياً سياسياً. اما هؤلاء السامريون، فقد آمنوا انه مخلص روحي للعالم أجمع. ان شهادتهم اعظم تفسير لما جاء في ١٦:٣ «هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». بايمانهم هذا، اقاموا

بالحقيقة المسيح مخلص العالم. ٤٣ وبعد اليومين خرج من هناك

الحجة الدامغة على انهم أجادوا فهم وعد الله لابرهيم: « بنسلك تتبارك جميع امم الارض». ها قد بلغ ايمانهم بالمسيح مرتبةً أسمى من انتظارات السامرية. كانت هي تنتظر ان المسيح متى جاء يخبرهم بكل شيء (عدد ٢٥). أما هم، فقد آمنوا انه « مخلص » لا مجرد معلم. الآن ادركت السامرية ومواطنوها، «ان الخلاص» — بل المخلص نفسه — «هو من اليهود» — (عدد ٢٢)

ان ايمان السامرية، وايمان اهل مدينتها، هما أجمل تفسير لقول البشير: «الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنين باسمه» (١: ١٢و١٣)

«المسيح في الجليل» ٤: ٤٣—٥٤

اولاً: **مقدمة تاريخية** ٤: ٤٣ — ٥٤. ثانياً: **المعجزة الثانية في هذه البشارة** ابراء ابن خادم الملك ٤: ٤٦ — ٥٤

اولاً: **مقدمة تاريخية** ٤: ٤٣ — ٥٤. مثلما انتشر الايمان في السامرة، فشا عدم الايمان في اليهودية. لكن الجليل اتخذ موقفاً غامضاً — لا هو موقف الايمان ولا عدم الايمان. « بعد اليومين » اللذين صرفهما المسيح في السامرة، اجابةً لدعوة اهلها. «خرج من هناك ومضى الى الجليل» منفذاً خط السير الذي كان قد وضعه في فكره سابقاً (٤: ٣)

عدد ٤٣ و٤٤ **علة عدم ابتدائه خدمته من الجليل**. لم يكن من الممكن ان يبتدئ المسيح خدمته الجهرية في الجليل، «لان يسوع نفسه شهد ان ليس

ومضى إلى الجليل. ٤٤ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة
في وطنه. ٤٥ فلما جاء الى الجليل قبله الجليليون إذ كانوا قد عاينوا
كل ما فعل في أورشليم في العيد. لانهم هم أيضاً جاءوا الى العيد.
٤٦ فجاء يسوع

لنبي كرامة في وطنه». لذلك ذهب اولاً الى اورشليم وصنع معجزات فاكتسب اسماً كنبي، وبهذا الاسم الذي كسبه خارج وطنه، جاء الى الجليل وطنه

عدد ٤٥ *عن قبول الجليليين له* «فلما جاء الى الجليل» — وكان قد سبقه صيته اليها — قبله الجليليون»، اذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل في اورشليم في العيد.لانهم هم ايضاً» — كانوا قد— «جاءوا الى العيد. «ما اشبه ايمانهم بإيمان اولئك الفريسيين،الذين«لم يأتمنهم المسيح على نفسه»(٢: ٢٤)!!

يعتقد كالفن، وهنجستنبورج، وغيرهما: ان المسيح اذ شهد ان ليس لنبي كرامة في وطنه، لم يرغب في ان يذهب الى الناصرة، حيث كان قد تربى، بل ذهب الى كفرناحوم، التي اختارها وطناً ثانياً له. ونعتقد نحن بصوابية الرأي الاول (انظر ص ٤: ١)

ثانياً: *المعجزة الثانية*—ابراء ابن خادم الملك ٤: ٤٦—٥٤

في هذه المعجزة يتجلى امامنا:

(أ) *مجاهدة الايمان* (ع ٤٦—٤٩). (ب) *ثقة الايمان* (عدد٥٠(أ))
(جـ) *طاعة الايمان* (عدد ٥٠ (ب)). (د) *مكافأة الايمان* (عدد ٥١و٥٢)
(هـ) *نمو الايمان* (عدد ٥٣). *كلمة ختامية* (عدد ٥٤)

أيضاً الى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً. وكان خادم للملك ابنه
مريض في كفرناحوم. ٤٧ هذا اذ سمع أن يسوع قد جاء من
اليهوديه الى الجليل انطلق اليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لانه كان
مشرفاً على الموت. ٤٨ فقال له يسوع لا تؤمنون ان لم تروا آيات

هذه هي المعجزة الثانية التي اجراها المسيح — في قانا الجليل، ودوّنها هذا البشير. اما المعجزة الاولى، فهي تحويل الماء الى خمر. المعجزة الاولى تمّت في وليمة عرس. والمعجزة الثانية، تمّت في بيت مغمور بالدموع — وكذلك تمسّ معجزاته أرقى درجة في افراحنا، واعمق درك في اتراحنا. ان مخلصنا له قلب متسع يفرح مع الفرحين، فيقدّس أفراحهم، ويبكي مع الباكين فيكفكف دموعهم. فهو يلتقي بنا والشمس مشرقة في نهار الهناء، ويجتمع بنا اذا جُنّ الليل وحُمّ القضاء

ع ٤٦ - ٤٩ (أ) *مجاهدة الايمان*. هذه المعجزة اشبه الاشياء بمرآة صافية يتجلى فيها ايمان خادم الملك. والأدوار التي اجتازتها هذه المعجزة، تُعتبر بمثابة درجات ارتقى عليها ايمان الرجل، فمن الايمان السماعي (٤٧)، الى الايمان النظري (٥٠)، الى الايمان العملي الاختباري (٥٣). ما اشبه هذه الدرجات بتلك التي ارتقى عليها ايمان المرأة السامرية، وايمان المولود أعمى (ص ٩)

في بادىء الامر، كان كل ايمان الرجل في المسيح، قاصراً على انه مجرد

وعجائب. ٤٩ قال له خادم الملك يا سيد انزل قبل ان يموت ابني.
٥٠ قال له يسوع اذهب. ابنك حي. فآمن الرجل بالكلمة التي

صانع معجزات، فذهب اليه يستعطفه من فرط حاجته—وأي حاجة أشد من مرض الابن ؟؟

عدد ٥٠. (ب) *ثقة الايمان*. قبل أن يهتم المسيح بشفاء جسد الابن المريض، اهتم اولاً، بمعالجة ايمان أبيه. فاستل من كنانته سهماً حاداً، صوبه اليه، ليزيل ما في قلبه من أدران الضعف والمادة — سهم ما أحده! : «لا تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب» (عدد ٤٨). غالباً كان ايمان هذا الرجل رمزاً ومثالاً لايمان مواطنيه الجليليين (عدد ٤٥). على ان هذا السهم الحادّ كان يحمل معه قوة رافعة، فحمل ايمان الرجل من درجة مادية نظرية، الى درجة سماوية عملية، وقد نجح المسيح في قصده، لان الرجل ازداد لجاجة وتحمساً، اذ قال: «يا سيد انزل قبل ان يموت ابني»

(ج) *طاعة الايمان* (عدد ٥٠ (ب)). الآن رأى المسيح ان الوقت قد حان ليضع فيه ايمان الرجل على محك الطاعة فقال له: «اذهب. ابنك حي». وقد كان ايمان الرجل عند حسن ظن المسيح «فآمن الرجل بالكلمة» — مع انه لم يرَ فعلاً بعد— «التي قالها له يسوع فذهب». ولقد كان من الصعب على الرجل ان يترك المسيح ويمضي، ولكنه اطاع الكلمة معتقداً ان لكلمة المسيح منطقة نفوذ ابعد واوسع مما يتصور العقل البشري. وما دام قد اخذ معه «الكلمة» فقد اخذ معه المسيح نفسه أوَ ليس المسيح هو «الكلمة»

قالها له يسوع وذهب. ٥١ وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه
قائلين ان ابنك حي. ٥٢ فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى
فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى. ٥٣ ففهم الاب أنه
في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي. فآمن هو
وبيته كله.

(١:١). الآن صار ايمان الرجل مبنياً على كلمة المسيح نفسه لا على المسموعات التي كانت منتشرة عن المسيح. الآن قد صار ايمانه على مستوى ايمان السامريين (٤١)

عدد٥١و٥٢. (د). *مكافأة الايمان*. هذه نتيجة طاعة الايمان. وقد كافأ بها المسيح، ايمان الرجل. «وفيما هو نازل، استقبله عبيده وأخبروه قائلين ان ابنك حي. فاستخبرهم عن الساعة التي فيها اخذ يتعافى فقالوا له امس في الساعة السابعة تركته الحمى». الآن قد تحقق ايمان الرجل وتأيد. «ففهم الأب انه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي»

عدد٥٣. (هـ). *نمو الايمان* ها قد بلغ ايمان الرجل ذروة القوة، اذ تقوى فأضحى ايماناً اختبارياً عملياً «فآمن هو وبيته كله» (٥٣). وكذلك كانت نتيجة المعجزة الاولى التي اجراها المسيح في قانا الجليل: ازدياد الايمان وتعمقه (١١:٢)

٥٤ هذه أيضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية الى الجليل

عدد ٥٤ . *ملاحظة تاريخية* . « هذه ايضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية الى الجليل » . من المحقق ان معجزات كثيرة حدثت بين هذه المعجزة ، و بين المعجزة الاولى التي اجريت في قانا الجليل . فليست هذه هي المعجزة الثانية من حيث الترتيب ، بل هي ثاني معجزة صنعها المسيح بمناسبة رجوعه من اليهودية الى الجليل . وتلك كانت المعجزة الاولى من هذا القبيل. كأنهما كانتا معجزتين تذكاريتين لهذه الزيارة المباركة



الاصحاح الخامس

١ وبعد هذا

المعجزة الثالثة — المسيح مجدّد الحياة

بدء الصراع بين المسيح ورؤساء اليهود

يفتتح هذا الاصحاح، فصلاً جديداً في خدمة المسيح على الارض. الى الآن، رأينا المسيح يواجه شخصيات منفردة، قد تمثل فريقاً من القوم: في اورشليم، واليهودية، والسامرة، والجليل. وفي كل هذه الشخصيات لمحنا شعاعاً بل اشعة من نور الايمان الصحيح. وها نحن نرى أنفسنا الآن أمام طلائع الصراع العنيف الذي انتهى بالصلب، وتُوِّج بالقيامة. منذ الآن سنرى الايمان وعدم الايمان يتمشيان معاً كما في صفّين متقابلين، فعلى قدر ما يكون النور باهراً، يكون الظلال المتكوّن منه قاتماً. ان أعمال المسيح وأقواله المسطورة في الاصحاحات الآتية، صارت تحريضاً للناس على أن يعملوا اعمالاً وان يقولوا اقوالاً، ما كانوا يعملونها ويقولونها لولا أعمال المسيح وأقواله

ومن الحقائق التي يقطر لها القلبُ لوعةً وأسى، ان المكان الذي كان ساحةً لهذا الصراع الدمويّ، هو أورشليم — أقدس الامكنة اسماً، وأتعسها فعلاً. وان الأوقات التي تدلّلت على أحضانها هذه المأساة المفجعة، هي أعياد اليهود — مواسم ما أشبهها بالمآتم!. وان الاعمال التي استفزت جرائم اليهود، هي معجزات الرحمة التي أتاها المسيح: — معجزة شفاء مريض بيت حسدا

كان عيد

(ص ٥)، ومعجزة تفتيح عيني المولود أعمى (ص ٩)، ومعجزة اقامة لعازر من الموت (ص ١١). وهكذا يستحيل السم الطيب، في الافواه الملوّثة، الى سم زعاف. وهكذا تتولد النقمة من النعمة، على احضان الحقد والحسد والبغضاء

في هذا الاصحاح، نرى المسيح مجدّد الحياة. وفي الاصحاح السادس، نلمح المسيح مقيت الحياة ومشبعها. وفي الاصحاح السابع، نجد المسيح، نبع الحياة. وفي الاصحاح الثامن، نلتقي بالمسيح هادي الحياة. وفي الاصحاح التاسع نشاهد المسيح نور الحياة. وفي الاصحاح العاشر، نلحظ المسيح رائد الحياة وقائدها. وفي الاصحاح الحادي عشر، نقف وجهاً لوجه امام المسيح الذي هو حياة الحياة وواهب الحياة لساكني القبور

ينقسم هذا الاصحاح الى قسمين رئيسيين: —

اولاً: معجزة ابراء مريض بركة بيت حسدا ٥:١—١٦

ثانياً: الحديث الذى فاه به المسيح تعليقاً على هذه المعجزة ٥:١٧—٤٧

اولاً: معجزة ابراء مريض بركة بيت حسدا ٥:١—١٨. يحدثنا هذا الفصل عن: (أ) المعجزة فى ذاتها ٥:١—٩ (ب) أثرها المباشر ٥:١٠—١٨

(أ) المعجزة فى ذاتها ٥:١—٩. تتضمن هذه الاعداد وصفاً سباعياً للمعجزة:

(١) زمانها بوجه عام ٥:١ (أ). (٢) مكانها على وجه التعميم ٥:١ (ب).

لليهود

(٣) مكانها على وجه التخصيص ٥:٢ . (٤) ملابساتها ٥:٣و٤ . (٥) الرجل الذى تمت فيه المعجزة .(٦) الدرجات التى سارت عليها ٥:٦—٨(٧) زمانها ٥:٩ .

عدد ١ . زمانها بوجه عام : «و بعد هذا كان عيد» ٥:١ (أ) . قوله : «بعد هذا» يربط هذا الاصحاح بما قبله ، من حيث الزمن ، والصلة . اما الزمن الذي توسط بين الاصحاحين ، فليس من الميسور معرفة مقداره ، الا بعد تعيين العيد المقصود بقوله «كان عيد»

أهو عيد الخمسين كما قال يوحنا فم الذهب ، وكيرلس الاسكندري ؟ أم هو عيد الفصح كما ارتأى ايريناوس ولايتفوت ؟ ام هو عيد المظال على حد قول ايوالد ؟ ام هو عيد الكفارة كما ظن كاسباري ، ام هو عيد الفوريم كما إعتقد جودي وماير ومن اليهما من المفسرين ؟؟؟

ان ورود كلمة «عيد» مجردة من اداة التعريف ، دليل على انها لا تشير الى احد الاعياد الرئيسية التي اعتاد البشير ان يذكرها بالذات : فهي لا تعني عيد الفصح (٢:١٣و٦:٣)، ولا عيد المظال (٧:٢). ولا يُحتمل انها تشير الى عيد الخمسين لأن هذا لم يكن نكرةً بين الاعياد . و بما ان حوادث الاصحاح السابق وقعت في شهر ديسمبر (٤:٣٥)،وحوادث الاصحاح التالي تمت في شهر ابريل (٦:٤)، فمن الطبيعي،ان يكون هذا العيد الواقع بين هذين التاريخين، هو عيد الفوريم الذي يحتفل به اليهود في مارس عادة ، ذكرى لنجاتهم من

فصمد يسوع الى اورشليم. ٢ وفي أورشليم عند باب الضأن بركة
يقال لها بالعبرانية بيت حسدا

مكيدة هامان، بوساطة الملكة استير. ولم يكن لهذا العيد، نفس الاعتبار الذي كان للثلاثة الاعياد الرئيسية في نظر اليهود، لانه لم يُوضع برسم الهي، لذلك اكتفى البشير بأن وصفه بكلمةٍ نكرةٍ — «عيد»

(٢) مظاهرها على وجه التعميم ٥: ١ (ب): «فصمد يسوع الى اورشليم» — الصعود هنا جغرافي لان اورشليم مرتفعة — فهي مبنيّة على جبل

عدد٢. (٣). مظاهرها على وجه التخصيص ٥: ٢ «وفي اورشليم عند باب الضان بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا، لها خمسة اروقة». في هذا العدد يصف البشير تلك البركة وصفاً مثلثاً. (أ) في موقعها: «عند باب الضأن» كان هذا الباب على مقربة من الهيكل، في جهة المشرق. وغالباً سمي كذلك، لان غنم الذبح كانت تدخل منه الى الهيكل. (ب) في اسمها: «يُقال لها بالعبرانية بيت حسدا» — ومعناها «بيت الرحمة»، ويعتقد بعض المفسرين ان الكلمة العبرية معناها: «بيت الأروقة». فالمعنى الاول يكنى به عن الرحمة التي كان ينالها المرضى بالاستشفاء في تلك البركة. والمعنى الثاني يُرمز به الى الأروقة التي كانت مقامة عليها. والمعنى الاول هو الاصوب

ليس من الممكن تعيين هذه البركة في وقتنا الحاضر. وربما هي المعروفة الآن: «نبع العذراء» الذي يجري ماؤه في قناة تحت الارض الى بركة سلوام،

لها خمسة اروقة. ٣ في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى
وعمي وعرج وعسم يتوقعون

وتسمى ايضاً: «بركة الملك» (نح٢: ١٤). (ج) في بنائها: «لها خمسة أروقة» — الارجح انها كانت مبنية حول البركة ليستريح فيها المرضى الذين كانوا يقصدونها للاستشفاء. وما اكثر امثالها في عصرنا الحاضر في الهند وفي بلاد العرب، وفي حلوان والامام الشافعي بمصر

عدد ٣. (٤). ملابساتها: «في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى ..» كانت مياه هذه البركة غنيةً بالخواص المعدنيةً، والى هذا تُعزى قوتها الشافية، التي كان يقصدها جمهور كثير من فرائس الامراض المزمنة. ويقول يوسابيوس ان مياه تلك البركة كانت في عصره محمَّرة مما يدل على انها كانت تحتوي على جانب عظيم من المواد الحديديةّ والكبريتية. «العسم» — هم المصابون بجفاف في مفاصل اليدين والرجلين ويُعرف مرضهم الآن بداء النقرس. «يتوقعون تحريك الماء» — هذا دليل على ان الخواص المعدنيةّ الكامنة في مياه البركة، كانت تنتعش بتحريكها. ويعتقد المفسرون ان ماء تلك البركة كان يجري اليها من عين دوريةً، يجري ماؤها عادة بهدوء واعتدال، واحياناً يتدفق ويجري بشدّة، فتطفو رواسبه وتعلوها رغوة خاصة. ويقول الدكتور ادي ان مثل هذا الماء كثير في الارض المقدسة مثل «نبع عنجر» في البقاع قرب بعلبك، وفوار «دير الحمراء» قرب قلعة الحصن. وعين منبج في اقليم البلان، شرقي «بيت جن»، وماؤها يجري الى

تحريك الماء. ٤ لان ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء.
فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه.
٥ وكان هناك انسان به مرض منذ

النهر الاعوج. و «عين العذراء» التي يرجّح بعضهم انها «بركة بيت حسدا». (قد لاحظ وستكوت بعد البحث والاستقراء ان هذا الجزء الاخير من عدد ٣، وعدد ٤، غير موجود في اقدم النسخ الخطّية)

عدد ٤ *جملة تفسيرية معترضة*: «لان ملاكاً كان ينزل احياناً..» تحدثنا هذه الكلمات عن الاعتقاد الذي كان شائعاً بين جمهور العامة بما فيهم المستشفين، لا عن اعتقاد البشير نفسه. ومن الطبيعي ان يعتقد العامة بمثل هذا الاعتقاد، لان سواد الناس، في كل مكان، اعتادوا ان ينسبوا الخيرات التي يجهلون مصدرها الى الملائكة الاخيار

عدد ٥. (٥) *الرجل التي تمت فيه معجزة الشفاء*. «وكان هناك انسان..» هذا هو بيت القصيد في هذه المعجزة، اذا استثنينا المسيح. ان الثماني والثلاثين سنة التي قضاها هذا الرجل رازحاً تحت المرض، تنبئنا باليأس الذي استحوذ عليه طوال هذه المدّة التي قد يكون من السهل النطق بها ولكن ما اصعب وما أمرّ اختبارها. استنتج بعض المفسرين من توافق مدة مرض هذا الرجل، مع المدة التي قضاها بنو اسرائيل في البرية، ان هذا الرجل يرمز الى الامة الاسرائيلية، التي كانت مصابة بالشلل الروحي والادبي، عند مجيء المسيح.

ثمان وثلاثين سنة. ٦ هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم ان له زماناً

على ان هذا الرأي لا يخرج عن كونه ضرباً من الخيال. ان الثماني والثلاثين سنة هي عمر كامل، وهي كافية للتدليل على ان المرض عديم الشفاء فهي بمثابة القول: «اعمى منذ ولادته» (١:٩)

(٦). الادوار التي سارت عليها المعجزة ٦:٥ — ٨ لقد سارت هذه المعجزة على ثلاثة أدوار: أحدها إعدادي (عدد٦)، والثاني تنفيذي (عدد ٨)، يصل بينهما استعداد الرجل للشفاء (عدد٧)، والدور الثالث تحذيري (عدد١٤)

عدد ٦. الدور الاول. في هذا الدور ثلاث درجات: (١) «رأى». (٢) «علم». (٣) «فقال....» (١) «رأى» — هذه الكلمة تنبئنا بعطف المسيح الذي تجول عيناه في كل الارض لتنظرا البائس. لقد رآه المسيح من غير استجداء ولا استرحام. وكذلك سائر المعجزات المدوّنة في هذه البشارة — الا معجزة ابراء ابن خادم الملك في كفر ناحوم (٤٧:٤). (٢) «علم» — هذا علم العليم المحيط بكل شيء، الذي لا يحتاج الى ان يعلمه أحد. ان صحيفة حياة هذا الرجل كانت مفتوحة امام المسيح يقرأها حرفاً حرفاً (عدد ١٤). وكذلك كان المسيح عالماً بماضي المرآة السامريّة وحاضرها. (٣) «فقال له أتريد ان تبرأ..» غير المسيح يرى ويستفهم، فيعلم، ثم يتحوّل عن المريض فيعبر. لكن المسيح رأى، وعلم، فاراد ان يحسن الى الرجل. ولكي يعدّه لقبول هذا الاحسان سأله قائلاً: «أتريد ان تبرأ». بهذا السؤال فتح المسيح امام الرجل باب الرجاء الذي ظلّ موصداً أمام وجهه طوال سني

كثيراً فقال له اتريد ان تبرأ . ٧ اجابه المريض يا سيد ليس لي انسان

المرض سيما في الاوقات الاخيرة . هذا سؤال يحمل بين ثناياه وعداً جليلاً ، وشرطاً لازماً لنوال الوعد . بهذا السؤال اراد المسيح ان يضع ارادة الرجل على محك الاختبار. فالكلمة الاصلية المترجمة «أتريد» تفيد العزيمة القوية التي ترضى ان تضحي بكل شيء في سبيل نوال ما تريد. لم يسأل المسيح ذلك الرجل عن مجرد رغبته بل عن ارادته . فالرغبة شيء والارادة شيء آخر . فالكسول المتواكل يرغب ويتمنى ان يكون له قصر منيف لكنه لا يريد ان يكد ويعمل. اما المستكشف العظيم فانه يضحي بالنفس والنفيس في سبيل كشف ما يريد . ولقد كان من الضروري ان يسأل المسيح ذلك الرجل عن ارادته مخافة ان يكون الرجل قد رغب في حياة التواكل والكسل ، مستمتعاً بأكل الطعام الذي يتساقط من ايدي المحسنين، راغباً عن حياة الجد والكد والعمل . بهذا السؤال اراد المسيح ان يحول أنظار الرجل وانتظاراته من البركة ومائها ، وان يوجهها الى شخصه الكريم فيصرفه عن العلاج الموهوم، الى مصدر العلاج الناجع (اعمال ٣: ٤)

عدد ٧ . حلقة الاتصال بين البدوريه « اجابه المريض يا سيد ليس لي انسان». نظر المريض الى هذا الشخص العجيب في ذاته ، العجيب في سؤاله، وقال : يا سيد . أتسألني عما اذا كنتُ اريد ان ابرأ؟ هوذا الارادة حاضرة عندي لكن القدرة مفقودة ، والعون معدوم . ما اشد المرارة التي أملت على

يلقيني في البركة متى تحرك الماء. بل بينما انا آتٍ ينزل قدامي آخر.
٨ قال له يسوع قم.

الرجل هذه الكلمة: «ليس لي انسان» ! وقد غاب عنه ان الذي يحدثه هو ابن الانسان الذي جاء أرضنا ليكون له

بهذا الجواب، فتح الرجل باب الشفاء على نفسه، لان ارادته هي نقطة الارتكاز في هذه المعجزة. فما لم ترد اورشليم ان يجمع المسيحُ أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، لن يقدم هو على هذا العمل (مت ٢٣: ٢٧). وما لم يرد العطشان ان يقبل الى الماء، فانه يظل عطشان حتى يدركه الموت

الآن قد تحوّل فكر المريض من بيت حسدا الماديّة التي لم تنفعه، واتجه نظره الى «بيت حسدا الروحيّ»، فوجد في المسيح خير ملجأ للرحمة والحنان

عدد ٨. الدور الثاني: «قال له يسوع: قم. احمل سريرك[1]. وامش» هذا هو الدور التنفيذي في المعجزة، وفيه أمر المسيحُ ذلك المريض ثلاثة أوامر: (١) «قم» — بهذا الامر قدم المسيح للرجل مجالاً يظهر فيه طاعة ايمانه به. فالطاعة هي محكُّ الايمان. ولو لم يكن ذلك المريض مستعداً لاظهار طاعة ايمانه، لاحتجّ بالقول: ولكنني يا سيد لا استطيع ان اقوم. وقد قلت لك ان هذه هي علتي الوحيدة (عدد ٧). فلو كنتُ قادراً على القيام من تلقاء نفسي،

---

(١) كلمة «سرير»، كما وردت في اليوناني، مأخوذة في الغالب من اصل مكدوني وهي تعني: «فرشة الفقير» التي كانت تصنع عادة من القش ولعلها اقرب الكلمات الى «الحصير»

احمل سريرك وامش .

لنزلت في البركة ، ونلتُ الشفاء . على ان قول المسيح للرَّجل : « قم » ، لم يكن مجرّد أمر . بل كان وعداً في صيغة أمر . وكذلك كلّ وصايا المسيح : مواعيد مُفرغة في قالب أوامر . « أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً » (١ تس ٥:٢٤) . (٢) « احمل سريرك » — بهذا الأمر ، أراد المسيح من ذلك المريض ، ان يحمل ما كان محمولاً عليه ، فتصير له نقطة الضعف مصدر قوَّة ، بل برهاناً على نواله القوَّة . اذا كان أمر المسيح الاول : «قم» يرمز الى جدة الحياة ، فان أمره الثاني : «احمل سريرك» يرمز الى قوة الحياة وتحمل مسئولياتها . وأمره الثالث : «امش» يرمز الى السلوك في جدَّة الحياة . (٣) « وامش » — بهذا الامر ، طلب المسيح من الرَّجل ان يودّع البركة ، ومياهها ، وأروقتها ، غير آسف ، فيقطع كل صلة له بالماضي . هذا هو البحر الاحمر ، الذي كان على الرجل ان يعبره لكي يضع حداً فاصلاً بينه و بين مصر العبودية . هذا بمثابة إحراق القنطرة وراء الجيش المتقدّم في سيره ، لكي يكون امام الجنود سبيل واحد من اثنين — لا ثالث لهما : فإمّا الظفر الى التمام ، أو مواجهة الحمام

اذا شبَّهنا الحياة الجديدة بنهر ، كان أمر المسيح الاول : «قم» ، مشيراً الى منبع النهر . وأمره الثاني : «احمل سريرك» ، كناية عن قوة تيار النهر . وأمره الثالث : « امش » ، مشيراً الى مجرى النهر

٩ فالا برىء الانسان وحمل سريره ومشى. وكان في ذلك اليوم سبت

عدد ٩ . اتمام المعجزة: «فالاً برئ الانسان وحمل سريره ومشى». ظاهر من هذا الكلام، ان الرجل برئ، حالما همَّ بالقيام. و بعد ان نال الشفاء حمل سريره ومشى. ان قوة المسيح سرت في الرجل، حالما عزم ان يقوم. إذاً كانت طاعته لامر المسيح القائل له: «قم»، باباً رحباً، دخلت منه قوة المسيح الشافية

(٧) زمانه المعجزة: «وكان في ذلك اليوم سبت». كلمة «سبت» في هذا الموضع، لا تعني اليوم السابع في الاسبوع، بل أنَّ اليوم الذي تمَّت فيه هذه المعجزة كان يوم «راحة» عند اليهود، نسبةً للعيد (عدد ١). بهذه الكلمات يختتم الفصل السابق، ويفتتح الفصل اللاحق. فهي حلقة اتصال بين المعجزة نفسها، و بين اثرها المباشر

الاثر المباشر للمعجزة ٥: ١٠—١٨

في هذا الفصل مرسومة امامنا ثلاث صور: الصورة الاولى ترينا اليهود والرجل (٥: ١٠و١٣). والصورة الثانية ترينا المسيح والرجل—او الدور النهائي في المعجزة (٥: ١٤). والصورة الثالثة ترينا اليهود والمسيح (٥: ١٥—١٨)

عدد ١٠: الصورة الاولى—اليهود والرجل. (أ) اليهود يحرمونه على الرجل حمل سريره (عدد ١٠). (ب) الرجل يحتمي وراء طبيبه المجهول.
(ج) اليهود يستجوبونه الرجل عن شخصية هذا الطبيب المجهول (عدد ١٢).
(د) الرجل يجهل انه طبيبه هو المسيح (عدد ١٣)

١٠ فقال اليهود للذي شفي إنه سبت. لا يحل لك ان تحمل
سريرك. ١١ أجابهم ان الذي ابرأني هو قال لي

عدد ١٠ (أ) *اليهود يحرمون على الرجل حمل سريره يوم السبت* : «فقال اليهود للذي شفي انه سبت لا يحل لك ان تحمل سريرك». «اليهود» المقصودن هنا، هم العنصر المعادي للمسيح، الممثَّل في الرؤساء الدينيين. كانت مصيبة هؤلاء اليهود، اهتمامهم بالحرف دون الروح. فكسر عظام انسانٍ ما، وكسر قلبه، لا يؤذيان شعورهم، قدر كسر السبت. ومع ان رؤية انسانٍ قد تعافى من مرضٍ لازمه مدة ثمان وثلاثين سنة، تُنطق الاحجار بالشكر، وتُرقص أوراق الشجر، الا أنّ قلوب الفريسيين لم تبالِ بانسانٍ شفي، بل حزنت على سبتٍ كُسر. هؤلاء هم اعداء البشرية، اللابسين ثياب خدّامها هؤلاء هم ألدّ اعداء الشريعة، المدعين الدفاع عنها. هؤلاء هم العميان الذين جهلوا — او تجاهلوا — ان السبت خُلق للانسان، لا الانسان للسبت. فبدلاً من أن يهنئوا الرجل وأنفسهم، على بركة الشفاء، عكّروا عليه صفو حياته الجديدة، واوقفوه امام الشريعة موقف المتهم المتلبس بجريمته، بقولهم له: «انه سبت لا يحلّ لك ان تحمل سريرك». ولعلهم بنوا كلامهم هذا على ما جاء في ارميا ١٧: ٢١. ويُروى عن اليهود الرابيّين انهم فصّلوا الوصية الرابعة الى ثلاثين مادة، ومن ضمنها قولهم: «لا يجوز حمل سرير المرض يوم السبت»

عدد ١١ (ب) *الرجل يحتمي وراء طبيبه المجهول* : اجابهم ان الذي ابرأني هو قال لي احمل سريرك وامش». ان جوابه هنا ينمّ عن اقتناع منه،

احمل سريرك وامش. ١٢ فسألوه من هو الانسان الذي قال لك
احمل سريرك وامش. ١٣ اما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو.
لان يسوع اعتزل. اذ كان

بأنه وجد في طبيبه الثاني شخصاً أرقى من شخصيات هؤلاء اليهود المستجوبين إياه. بل انه وجد شخصاً هو سيد السبت ايضاً

ويلوح لنا ان الكلمتين المركزيتين في جوابه هما: «ابرأني» و «هو». وفي الغالب اراد الرجل بجوابه هذا، ان يتخلص من تبعة كسر السبت، بالقائها على طبيبه الآمر

عدد ١٢. (ج) *اليهود يستجوبون الرجل عن شخصية هذا الطبيب المجهول*: «فسألوه من هو الانسان ....». ان النبرة في كلامهم، واقعة على قولهم: «انسان»، كأنهم أرادوا ان يقولوا له: «ما هي شخصية هذا المخلوق النكرة الذي يجترئ على كسر الشريعة الالهية السامية»؟ وفي نفس الوقت، ارادوا ان ينكروا عليه قوته الشافية. فالرجل ينبِّر في جوابه على كلمة «ابرأني» وهم ينبّرون في استجوابهم على كلمة «انسان»

عدد ١٣ (د) *الرجل يجهل انه طبيبه هو المسيح*: «اما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو» — الذي شفاه — «لان يسوع اعتزل» — هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة «اعتزل» في العهد الجديد. ومعناها الحرفي: امال رأسه ليتفادى صدمة: «اذ كان في الموضع جمع» — هذه العبارة تبين لنا علة اعتزاله اي انه اعتزل الجماهير، مخافة ان يُحملوا بتيار اعجابهم بمعجزته، فيحاولوا ان

في الموضع جمع. ١٤ بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له ها
أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر.

يجعلوه ملكاً وهو لا يرضى بعرش منفصل عن الصليب. ويعتقد جودي وهنجستنبورج، ان وجود الجمع في الموضع لم يكن علة اعتزال المسيح، وانما سهَّل عليه الاعتزال، فلم يشعر به أحد، لكثرة تجمهر الناس. والرأي الاول هو الطبيعي، على الأرجح

عدد١٤ (٢) *الصورة الثانية— المسيح والرجل* :او الدور الاخير في المعجزة. هذا هو الدور التحذيري: « بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل ». اعتزل المسيح تلك الجموع المتجمهرة التي تزحمه، ليفتش على نفس منفردة تطلبه. ان احسن مكان تلتقي فيه النفس بالمسيح على انفراد، هو بيت الله. غالباً ذهب الرجل الى الهيكل ليقدم الشكر لله على شفائه، وفي هذا الطريق المقدَّس، وجده المسيح— مثلما وجد الاعمى المطرود من اليهود (٩:‏٣٥) — وأعلن له ذاته، وقدم له تحذيراً يقطع عليه خطّ الرجوع الى المرض، لان الانتكاس أشد خطراً من المرض الاصلي: «ها انت قد برئت فلا تخطئ ايضاً». واضح من كلمة «ايضاً» ان مرض الرجل كان نتيجة وقوعه في خطية ما. على انه لا ينبني على هذا، ان كل مرض يُبلى به الانسان، يكون نتيجة خطية معينة، كأن الأصحاء بلا خطية. ولو أن الامراض بوجه عام، هي اللطخة التي تركتها الخطية على جبين البشرية. ومهما يكن من علة المرض، فان في امكان المسيح ان يتسلط عليه، فيجعله مرآة لمجد الله (١١:‏٤)

١٥ فمضى الانسان واخبر اليهود ان يسوع هو الذي ابرأه. ١٦ولهذا
كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون ان يقتلوه لانه عمل هذا في سبت.

(٣) الصورة الثالثة - اليهود والمسيح ٥:١٥-١٨

عدد ١٥ (أ) الرجل يمضي ليرد جواباً على اليهود : «فمضى الانسان وأخبر اليهود ان يسوع هو الذي أبرأه» . غالباً كان قصد الرجل في ذهابه الى اليهود، ان يرد عليهم جواباً عن سؤالهم الذي سبقوا فوجهوه اليه (عدد١٢)، وتعذر عليه ان يجيب عنه وقتئذٍ . على انه في ذات الوقت، كان خير مبشر بالمسيح ، لأن البشارة ليست سوى ابلاغ الخبر الطيب للآخرين . كانت بشارة هذا الرجل من الدرجة الممتازة ، لانها مؤسسة على اختباره الشخصي . ولعله قصد ان يرفع عن كتفه آخر ذرة من المسئولية التي اوقعه اليهود تحتها ، في حمله سريره يوم السبت(*) ، وان يلقيها على من هو اهل لان يتحملها امام الرؤساء ، فيقرعهم بحجته و بيانه ، و يناضلهم بنفوذه وسلطانه

عدد ١٦ . اول شرر يتطاير من أتون حقد اليهود : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع » — يُراد بالطرد ، مطاردة الاضطهاد . «ويطلبون ان يقتلوه» — (انظر عدد ١٨) . «لانه فعل» — هذا اللفظ : «فعل» ، كما ورد في الاصل ، يفيد التعوّد على شيءٍ . « هذا » — الاشارة هنا ، الى عملية الشفاء التي قام بها المسيح ، والى امره للرجل ان يحمل سريره : «في السبت»

* جاء في التلمود : مرة تساءل معترض ، قائلاً : « لماذا لا يحفظ الله السبت » ؟ فاجابه احد العلماء : « هل هو محرم على الانسان ان يمشي في بيته يوم السبت » ؟ فاقتنع المعترض وقال : «حقاً ان العالمين هي بيت الله»

١٧ فاجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وانا اعمل ١٨ فمن اجل هذا
كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه. لانه لم ينقض السبت فقط بل

عدد ١٧ . *المسيح يجيبهم بكلمة جامعة* . «ابي يعمل حتى الآن وانا أعمل» — هذا الجواب اشبه الاشياء بنواةٍ لكلّ الحديث الذي فاه به المسيح فيما بعد (عدد ١٩—٤٦)، و به قصد القارئ ان يفهم اليهود— ان ارادوا انْ يفهموا :— أولاً : ان الراحة التي تمتّع بها الله ليست في الكفّ عن العمل، بل في العمل الذي يسرّ قلب الله — في اعادة جمال الخليقة اليها بعد ان شوهتها الخطية ، وفي أعمال العناية التي هي خلق مستمرّ ، وفي اتمام تدبير الفداء الذي به يخلق الله المؤمنين خليقة جديدة. (عب ١:٣ وافسس ١:٩) . ثانياً : ان صلة المسيح بالله هي صلة البنوّة ، التي تفرض توافقاً في المشيئة والعمل . هذا مستفاد من الكلمتين : « ابي وأنا » . ثالثاً : ان عمل الابن على الارض مشتقٌ من عمل الآب في السماء ، ومطابق له تمام المطابقة : «ابي يعمل ....وانا اعمل» . رابعاً : ان اعتراض اليهود على عمل المسيح ،هو صورة اخرى لا اعتراضهم على عمل الله الذي يدّعون التعبد له وتقديس اسمه

عدد ١٨ . *أنوار حقد اليهود تحمى أضعافاً مضاعفة* : « من اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه » — لقد أجادوا فهم قوة كلام المسيح، حين علموا : «انه قال ايضاً ان الله ابوه، معادلاً نفسه بالله» . لكنهم اساءوا التصرف في تقدير كلامه . فبدلاً من ان يعتبروه إعلاناً جديداً من الله ، و يعطوه المقام اللائق به ، حسبوه تجديفاً، وضموه الى قائمة الاتهامات الخطيرة

قال ايضاً ان الله ابوه معادلاً نفسه بالله

١٩ فاجاب يسوع وقال لهم الحق الحق اقول لكم لا يقدر

التي تبرعوا بها للمسيح : « لم ينقض السبت فقط بل قال ايضاً...» . انهم بمحاولتهم ان يضموا تهمة الى تهمة ، لحساب المسيح ، كانوا في الوقت نفسه يضيفون لحسابهم هم اثقالاً فوق اثقال ، «ويذخرون لانفسهم غضباً في يوم الغضب» . (رو ٢: ٥)

حق المسيح الممتاز ٥: ١٩—٢٩

في هذا الفصل يتابع المسيح دفاعه ضد اتهام اليهود اياه بكسر السبت ، والتجديف . وقد عالج في هذا الدفاع موضوعاً خطيراً هو: حقه الممتاز . فتكلم عن — اولاً : *حقه الممتاز في صلته بالآب* (٥: ١٩—٢٣) . ثانياً : *حقه الممتاز في صلته بالبشر* (٥: ٢٤—٢٩) . ولكون هذا الخطاب قد وُجّه الى نفر قليل من اليهود المثقفين ، ركّز المسيحُ الحجّة فيه تركيزاً

اولاً : *حق المسيح الممتاز في صلته بالآب* (٥: ١٩—٢٣) . ان عمل المسيح ومقامه ، متساويان في الدرجة مع عمل الآب ومقامه. ومطابقان لهما تمام المطابقة . هذه هي الحقيقة المركزيّة في هذه الاعداد . من أجل ذلك ، أقام المسيحُ اربع حجج دامغة ليدعمها بها — وكل حجة منها تؤيد الحجّة السابقة لها ، وتتفرّع منها. وكل منها تُستهل بكلمة : «لأن» (عدد ١٩و٢٠و٢١و٢٢)

عدد ١٩ . *الحجة الاولى : ان عمل الابن هو صورة طبق الاصل لعمل الآب ومساو له في مداه* : «فاجاب يسوعُ وقال لهم: الحقّ الحقّ اقول لكم..»

الابن ان يعمل من نفسه شيئاً الا ما ينظر الآب يعمل. لان مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك

لقد اجاب المسيح على افكارهم، ونيّاتهم، ومؤامراتهم، بكلمات قويّة برّر بهـا اعماله، وموقفه، باعتبار كونه ابن الله. فاستهلّ جوابه هـذا بقوله: «الحق الحق» — كعادته، عند افضائه بتصريح خطير، مصحوب بسلطان. ثم صرح بعبارتين تـكاد احداهما تكون مع الاخرى على طرفي نقيض. فالعبارة الاولى سلبيةٌ: «لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شـيئاً»، والعبارة الثانية ايجابية: «لان مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك». العبارة الاولى قد يُشتم منها رائحة العجز: «لا يقدر»، والعبارة الثانية تفيد القدرة المطلقة: «مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك». على ان هذا الذي يُرى لأوّل وهلة كأنه عجز، هو عين المقدرة. فان القول بعدم قدرة الابن على ان يخالف طبيعته، لهو بمثابة القول: ان الله لا يقدر ان يكذب، و «لن يقدر ان ينكر نفسه» (٢تي٢:١٣ قابل هذا مع يوحنا٧:١٧). لان من مستلزمات طبيعة الابن وارادته، المطابقة التامة لطبيعة الآب وارادته، لما بينهما من كمال الوحدانيةً. و بسبب هذا العجز الظاهري، يتمتّع الابن بكل القدرة الحقيقية. فعدم المقدرة على المخالفة، هو أقوى تعبير للمقدرة التامة على المخالفة. هذا يوافقه قول المسيح في لوقا ٢:٤٩ «ينبغي ان اكون في ما لابي» (انظر سفر العدد ١٦:٢٨)

«مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن كذلك» — ان عمل المسيح، ليس فقط مطابقاً لعمل الآب، بل هو ايضاً متمشٍّ معه ومساوٍ له في مداه

٢٠ لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله. وسيريه اعمالاً
اعظم من هذه لتتعجبوا انتم. ٢١ لانه كما ان الآب

عدد ٢٠: *الحجة الثانية: الابن محبوب من الآب، ومطلع على جميع اعمال الملاعاً متوالياً*: «لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله» — هذا الكلام يتناول الماضي والحاضر. «وسيريه أعمالاً اعظم من هذه». اي اعظم من شفاء المريض، مثل: اقامة لعازر، وقيامته هو، وصعوده — هذا الكلام يشير الى مستقبل الأيّام. «لتتعجّبوا [1] انتم» — هذا مبلغ تأثرهم من اعماله العتيدة.(اعمال٤ :٣و٥ :٢٤).التعجّب خطوة اولية قد تؤدّي الى الاعجاب، فالايمان. وقد تقف عند حدها فتتبخرّ

ان هذه الحجّة الثانية، مؤيدة للحجّة الاولى. فمطابقة اعمال المسيح لاعمال الآب، مبنية على علمه المتواصل باعمال الآب، على التوالي. وهذا الاطلاع المتواصل مبني على الصلة المكينة التي بينه و بين الآب — صلة الحبّ الازليّ، الروحي، السرّي، الخالد. هو ذلك الحبّ القدسيّ، الناشئ عن التشابه في الطبيعة، والذات، والصفات

عدد ٢١. *الحجة الثالثة: ان الابن له ما للآب من السلطان والقدرة*: «لانه كما ان الآب يقيم الاموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء». في هذا العدد، فصلّ المسيح ما سبق فأجمله. في العدد السابق، تكلّم عن «الاعمال الأعظم» اجمالاً. وهنا، أرانا عيّنة من هذه «الاعمال الاعظم» — «إقامة

(١) احتفظ كلمندس الاسكندري بكلمة رواها له احدهم عن المسيح: «ان من يتعجب قد يظفر، ومن يظفر يطمئن»

يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن ايضاً يحيي

الاموات واحياءهم». ان اقامة الاموات واحياءهم، هما تعبيران لحقيقةٍ واحدة. وهما على مثال قول المسيح: «انا هو القيامة والحياة» (١١:٢٥). ان اقامة الاموات هي ايقاظهم. وان احياءهم هو ايداع بزرة الحياة فيهم. فالقيامة اذاً، هي نتيجة الحياة ومظهرها، والحياة هي بزرة القيامة ومصدرها. فقوله: «يقيم الاموات ويحيي» لا يشير الى عملين مختلفين بل الى عمل واحد ذات وجهين: فالاقامة هي الحياة في نشاطها، والاحياء هو الحياة في نبعها واصلها. ومع ان المسيح ذكر هذين الوجهين في بدء العدد: «يقيم الاموات ويحيي»، الا انه في نهاية العدد، اكتفى بان ذكر احدهما: «يحيي» للتعبير عنهما كليهما — وذلك من باب التغليب، الذي يقوم باطلاق اسم الجزء على الكلّ. على ان الاقامة والاحياء يتناولان الجسد والروح معاً

«كما ان الآب يقيم الاموات» — في مقدمة الامور المسلم بها لدى اليهود، ان للآب سلطاناً على اقامة الموتى واحيائهم. (تث ٣٢:٣٩ و١ صم ٢:٦) وقد أجرى الله هذا العمل على أيدي ايليا، واليشع (١مل ١٧ و٢مل٤:٣٢—٣٥). «كذلك الابن ايضاً» — له نفس هذا السلطان: فهو «يحيي» — اي يقيم الاموات ويحييهم. وقد اقام فعلاً ابنة يايرس التي ماتت ولم تكن قد أُخرجت بعد من البيت (لوقا ٨:٥٥)، وابن ارملة نايين، الذي كان قد أُخرج من البيت، لكنه لم يبلغ القبر (لوقا ٧:١٤و١٥)، ولعازر الذي أُخرج من البيت وادخل الى القبر وأنتن (يوحنا ١١:٤٣و٤٤). ولئلا يتبادر الى ذهن سامعيه ان الابن

من يشاء. ٢٢لان الآب لا يدين احداً بل قد اعطى كل الدينونة للابن

في عمله هذا، مقيد بالتزامات جبرية، صرح لهم انه يعمل اعماله وهو متمتع بكامل حريته: «من يشاء» . ان مشيئته هي علة احياء الاموات، وهي الباعث عليه كما انها هي ايضاً وسيلته الوحيدة. ويعتقد وستكوت ان هذه العبارة الاخيرة: (١) تصف كفاية قدرة المسيح. (٢) تربط اعمال المسيح الحاضرة بمشورة المحبة الازلية. (٣) تعني استقلال المسيح في عمله هذا عن حسب هؤلاء الاموات ونسبهم، فهي تحمل ضمناً معنًى من معاني الاختيار

عدد٢٢. *الحجة الرابعة: الابن يقوم مقام الاب في الدينونة*: «لان الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» . في الحجج الثلاث الماضية، بيّن المسيح انه يعمل الاعمال التي يعملها الآب، وهنا أرانا انه يمثل الآب ذاته في عمل قد رضي الآب ان يتفرّد الابن فيه — الدينونة: لان الآب لا يدين احداً، بحكم وعده الذي وعد به الابن في عهد الفداء، مكافأة له على اتضاعه اختيارياً لاجل فداء العالم (مت ٢٥: ٣١—٤٥ واع ١٧: ٣١ وفي ٢: ٥ – ١١) . ولا يفوتنا ان نذكر ما تتطلّبه ادانة الناس من القدرة غير المحدودة على فحص قلوب الجميع، والاحاطة بالبواعث والمسببات الخفية التي حملتهم على اختيار هذا دون ذاك. فضلاً عن ذلك فان المسيح قد قدّم بتأنسه المثل الاعلى الذي يعتبر أضبط مقياس للناس (عدد ٢٧)

كلمة: «أعطى» استعملت في هذه البشارة لتصف امتيازات المسيح، وحقوق بنوته الممتازة (٥: ٣٦و٣: ٣٥و٦: ٣٧ و٣٩و١٠: ٢٩و١٧: ٢و٤و٢٢)

٢٣ لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم

عدد ٢٣ نتيجة حتمية: «لكي يكرم..» هذه نتيجة جامعة للاربع الحجج الماضية. اذا كان الابن يعمل اعمال الآب (عدد ١٩و٢٠و٢١)، ويقوم مقام شخصه في الدينونة (عدد ٢٢)، فالنتيجة الحتمية التي تترتب على هذا، هي ان المسيح حقيق بالاكرام الذي يوجَّه للآب، وان من يقصّر في حقه في هذا الباب، فهو مقصر في حق الآب نفسه، لانه رسول الآب وممثله وقائم مقامه

ثانياً: صوره المسيح الممتاز في صلته بالبشر ٥: ٢٤—٢٩

في الجزء الذي مرّ بنا من هذا الخطاب، تكلم المسيح عن الابن بصيغة الغائب، وفي الجزء الذي امامنا يتحدث عنه بصيغة المتكلم—ودلالة على ان ما ذكر عن الابن، يصدق على المسيح نفسه. فهو ابن الله الوحيد

فيما سبق، تكلم المسيح عن ذاته وعمله. ويتكلم هنا عن تأثير عمله في المؤمنين. قبلاً تكلَّم عن مقامه الممتاز، في صلته بالآب. والآن يتحدث عن مقامه الممتاز، في صلته بالبشر

في الاعداد السالفة (١٩—٢٢)، أبان المسيح ان صلته الممتازة بالآب تخوّله حقاً مزدوجاً: (١) حقّ الاحياء (عدد ٢١)، (٢) حقّ الادانة (عدد ٢٢). وفي الاعداد التالية (٢٤—٣٠)، ارانا ممارسته الفعليّة لهذين الحقين. ولا يغرب عن اذهاننا، ان كلاًّ من هذين الحقين له جانبان—جانب روحيّ باطني، يتم في هذه الحياة. وجانب ظاهر، خارجي، يُعلَن في الحياة العتيدة. وهذان الجانبان هما مدار الكلام في الاعداد التي نحن بصددها الآن

الابن لا يكرم الآب الذي ارسله. ٢٤ الحق الحق اقول لكم

(١) الحياة والدينونة في جوهرهما الروحي، الباطني – في هذه الحياة ٥: ٢٤—٢٧

(٢) الحياة والدينونة في مظهرهما النهائي، الحرفي – في الحياة العتيدة ٥: ٢٨و ٢٩

(١) الحياة والدينونة في جوهرهما الروحي الباطني في هذه الحياة ٥: ٢٤–٢٧

لاهمية الحقائق المتضمنة في هذه الاعداد، كرّر المسيح فيها قوله: «الحق الحق» مرتين. فمن هذه الحقائق :—

(أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الابدية والنجاة من الدينونة (عدد ٢٤). (ب) الحياة الابدية كحقيقة روحيّة راهنة (عدد ٢٥). (ج) مصدر الحياة الابدية ونبعها (عدد ٢٦). (د) كلمة مجملة عن صاحب السلطان في الدينونة (عدد ٢٧)

عدد٢٤. (أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الابدية والنجاة من الدينونة «الحق الحق اقول لكم...» هذا شرط مزدوج: معرفة الاعلان الذي جاء به الابن، وتصديق الآب الذي تكلم في الابن. او بعبارة اخرى، هو الاصغاء «للكلمة»، وتصديق المتكلم. يا ترى ما هي مؤهلات هذا المعلم الجديد الذي يجعل الاستماع لكلامه، شرطاً لازماً، وكافياً، لنوال الحياة الابدية؟ اذا لم يكن هذا المعلم، الهاً، فمن المحقق انه ليس من الله، بل يكون مدعياً، ومجدّفاً

ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله حيوة ابدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحيوة .

ان من يسمع كلام المسيح ويؤمن بالذي ارسله ، يتمتع بحقين : يترتب ثانيهما على اولهما. لان نسبة اولهما الى ثانيهما كنسبة العلة الى النتيجة . او كنسبة البزرة الى الثمرة . أما الاول فهو — التمتع بالحياة : «فله حياة».وجدير بالذكر ان الحياة، مذكورة هنا كحقيقة راهنة، بل كحقّ ممتلك في هذه الحياة الحاضرة: « له » . فهي تشتمل على الولادة الجديدة ، والنموّ في القداسة ، والمشابهة لصورة الله تعالى

فمع ان امجاد الحياة الابدية ، وثمارها الناضجة ، وخبايا مكنوناتها ، لا تُعلَن الا في الدهر الآتي ، الا انها في بزرتها ، وجوهرها ، وخلاصتها ، مِلك للمؤمن في هذه الحياة . واما الحق الثاني فهو النجاة من الدينونة : «ولا يأتي الى دينونة» — كما يستحق هو وكل نسل آدم المولودين تحت غضب الله . ان ايمان الانسان بالمسيح، يرفع عنه الخطية التي هي علة الدينونة (رومية ٨:١)

اما علة تمتع المؤمن بالحياة، ونجاته من الدينونة، فهي انه «قد انتقل من الموت الى الحياة» . اذاً فالحياة الابدية هي قيامة روحيّة ، وما الحالة الطبيعية التي وُلد فيها الجنس البشري الا «مقبرة للاحياء». فكل داخلٍ اليها مفقود، وكل خارج منها مولود

٢٥ الحق الحق اقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع
الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون. ٢٦ لانه كما ان الآب
له حيوة في ذاته كذلك اعطى الابن ايضاً ان تكون له حيوة في ذاته.

عدد ٢٥. (ب) *الحياة الابدية كحقيقة روحية راهنة*: «تأتي ساعة وهي الآن..» هذه الساعة قد بُدِئَت بمجيء المسيح، واتت بتمامها بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين. «حين يسمع الاموات» — بالذنوب والخطايا. «صوت ابن الله» — بمقابلة هذه العبارة مع قول المسيح في العدد السابق «من يسمع كلامي» يتضح لنا جلياً انه قصد ان يُفهم سامعيه انه هو ابن الله. «والسامعون يحيون» — يُستنتج من هذا القول ان الموتى روحياً، نوعان: نوع يسمع صوت ابن الله ولا يميز (٤٠:١٢) «سمعاً يسمعون ولا يفهمون». ونوع يسمع، ويميّز، ويعي، ويطيع، فيحيا (٤:١٠). كان لعازر واحداً من هؤلاء السامعين، لان قيامته الجسدية كانت رمزاً للقيامة الروحية

عدد ٢٦. (ج) *مصدر الحياة الابدية ونبعها*: «لانه كما ان الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن». ان المسيح هو نبع الحياة وقوامها، بحق تمتعه بحياة الآب ذاته

يتضمن هذا العدد عبارتين قد يُرى فيهما لاول وهلة شيء من التناقض: «أعطى» و«في ذاته». فالمسيح باعتبار كونه فادياً ووسيطاً أعطي هذه الحياة منذ الازل. واما باعتبار كونه إلهاً ذا جوهر واحد مع الآب فالحياة ذاتية فيه، بل هو نبعها وقوامها، ومعطيها (٤:١)

٢٧ واعطاه سلطاناً ان يدين ايضاً لانه ابن الانسان . ٢٨ لا تتعجبوا
من هذا . فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين

عدد ٢٧ . (د) *كلمة تجمل عن صاحب السلطان في الدينونة* : « واعطاه سلطاناً ان يدين ايضاً لانه ابن الانسان » . ان ابن الله المحيي (عدد ٢٦) ، هو هو « ابن الانسان » الديّان . وكلا الحقين قد اعطيهما من الآب منذ الازل. فالمسيح،بحقّ مشاركته الله في طبيعته، هو مصدر الحياة ونبعها. وبحق مشاركته الانسان في طبيعته ، هو صاحب السلطان في الدينونة . وبهذين الحقّين معاً ، صار ملماً بالضعف البشري ، وعارفاً بحقيقة جبلتنا ، فجمع الى علم اللاهوت الفاحص علم الناسوت المختبر (اعمال١٧: ٣١) وفي الوقت نفسه قدم للبشر المثل الاعلى الذي عليه يرسمون ، وبه يدانون (افسس ٤: ١٤)

(٢) *الحياة والدينونة في مظهرهما النهائي الخارجي في الحياة العتيدة*٥: ٢٨و٢٩

عدد ٢٨ . (أ) *اليقظة العامة* : «لا تتعجبوا من هذا» — قابل استهلال هذا العدد، بغرّة عدد ٢٠ « لتتعجبوا انتم » . ليس التعجب في ذاته سوى مرحلة انتقال من حال الى حال ارقى . وكل مظهر جديد لقوة المسيح ، ممهد لمظهر اجلّ يدعو الى التعجب . وقد يتطور التعجب اعجاباً ، فايماناً . وقد يقف جامداً ، فيكون مهده لحده . «تأتي ساعة»—بخلاف تلك المذكورة في عدد ٢٥ . تلك ساعة « حاضرة » ، وهذه ساعة في بطن الغيب «فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته » — يختلف هذا السمع عن ذاك الموصوف في عدد ٢٥ . ذاك سمع التمييز الخاصّ بالمؤمنين . وهذا سمع عام لجميع ساكني

في القبور صوته . ٢٩ فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحيوة والذين عملوا السيآت الى قيامة الدينونة .

القبور . ذاك سمع يؤول الى الحياة الابدية ، بل هو اول علامة لها . وهذا سمع ينتهي بمجرد اليقظة الجسدية التي تنتهي بالحياة الابدية او بالدينونة المريعة . ذاك سمع روحيّ يقوم به الوجدان ، وهذا سمع حرفي مادي تقوم به الآذان . ذاك سمع يتناول بعض الموتى روحياً ، وهذا سمع يشمل جميع الموتى جسدياً . واليك هذه المقابلات في صفين متوازيين :

عدد ٢٥ — تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع (بعض) الاموات (روحياً) والسامعون يحيون (حياة روحية ابدية)

ع ٢٨ و٢٩ — تأتي ساعة (في المستقبل) حين يسمع جميع الذين في القبور (المادية) صوته فيخرج ... (عودة الحياة الجسدية اليهم)

عدد ٢٩ (ب) *قيامة الحياة ، وقيامة الدينونة* : ليس في هذا الكلام ما يقطع بوجود قيامتين مختلفتين في وقتين مختلفين بل هما في الواقع وجهان لقيامة واحدة — وجه منير يتمتع به من فعلوا الصالحات ، ووجه مظلم يحيق بمن عملوا السيئآت . وقد استعمل المسيح كلمتين مختلفتين للتعبير عن اتيان الصالحات ، والسيئآت . فعن اتيان الصالحات ، قال : « فعلوا » لان الصلاح يستلزم ارادة حاسمة فعّالة . وعن اتيان السيئآت ، قال : «عملوا» لان السيئآت تخرج طبيعياً من اهل السوء من غير مجهود ولا عناء (انظر تفسير ٣: ٢٠ و٢١) .

في هذا العدد ، تقدم المسيح بسامعيه خطوة جديدة عما في عدد ٢٧ . هنالك كلمهم عن سلطانه ، وهنا انبأهم باستعماله هذا السلطان بكيفية فعالة

٣٠ انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئاً . كما أسمع أدين ودينونتي
عادلة لاني لا اطلب مشيئتي

عدد ٣٠ عود الى بدء . « انا لا اقدر .. » بعد ان تكلم المسيح عن حقه الممتاز — نظرياً وعملياً، ازلياً وتاريخياً ، عاد الى النقطة التي منها ابتدأ في عدد ١٩ . فكأن كلامه شبيه بدرج ملفوف يتلاءم وله مع آخره . في عدد ١٩ استعمل استعارة النظر،وهنا استعمل استعارة السمع .(اطلب تفسير عدد ١٩)

ان الدينونة التي يقوم بها المسيح ، مبنيةً على علمه التام بمشيئة الآب وفكره ، كما ان اعماله مستمدة من معرفته المتواصلة باعمال الآب

بهذا العدد تطوى مرحلة من حديث المسيح ، وتُنشر مرحلة جديدة سنراها فيما يلي .

ثانياً : شهود المسيح — ٥:٣١—٤٠

في هذا الفصل يذكر المسيح ثلاثة شهود لنفسه :— الشاهد الاول هو نفسه (عدد ٣١) . على انه لم يرد ان يكون هو الشاهد الوحيد لنفسه . لان شهادة صاحب الدعوى ، لا تقوم لدى الشريعة التي يحترمها المسيح (عدد ٣:٣٥ و تث ١٧:٦) لذلك فهو يرى ضرورة تأييد شهادته لنفسه بشاهد آخر سيذكره فيما بعد (عدد ٣٢) . الشاهد الثاني هو يوحنا المعمدان (عدد ٣٣). غير انه لم يكتفِ ايضاً بهذا الشاهد لان يوحنا على رغم كونه نبياً ، فهو انسان زائل (عدد٣٤—٣٥).الشاهد الثالث —الذي اشار اليه المسيح في عدد ٣٢— هو الآب وشهادته هي بيت القصيد في هذا الفصل (عدد٣٦—٣٩).وقد أدى

بل مشيئة الآب الذي ارسلني

٣١ ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. ٣٢ الذي
يشهد لي هو آخر وانا اعلم ان شهادته التي يشهدها لي هي حق.

الآب هذه الشهادة بثلاث وسائل: (أ) ادّاها بواسطة الاعمال التي اعطى المسيح اياها ليكملها (عدد ٣٦). (ب) ادّاها بشخصه (عدد ٣٧). (ج) ادّاها بكلمته المسجَّلة في الكتب المقدَّسة (عدد ٣٨و٣٩)

عدد ٣١. **الشاهد الاول** — شهادة المسيح لنفسه «ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً». قال المسيح هذا دفعاً لاعتراض جال في افكار اليهود وربما عبّروا عنه بالكلام بعد ما سمعوا كلام المسيح في الفصل السابق، ولعلّهم قالوا له «ان شهادتك عن نفسك لا يقام لها وزن عندنا. فانت صاحب الدعوى وانت الشاهد». ومع انه كان يحق للمسيح ان يتمسك بحقه في الشهادة لنفسه نظراً لشخصه الممتاز وسلطانه الذي لا يدانيه فيه سواه (٨: ١٤) الا انه رضي، تنازلاً منه، ان يُحكم في دعواه بمقتضى قوانين الشريعة التي لا تثبت الدعوى فيها باقل من شاهدين. وقوله «ليست حقاً» معناه ليست مقبولة شرعاً (لوقا ٢٠: ٢١) اي انه لو فُرض وكان منفرداً بالشهادة لنفسه لاعتُبرت شهادته غير مقبولة

عدد ٣٢. **الشاهد الآخر** استنتج بعضهم خطأً ممّا جاء في العدد التالي ان هذا الشاهد الآخر هو يوحنا المعمدان ولكن ما جاء في عدد ٣٦ وما بعده ما يُبطل هذا الزعم، ويقرر من غير ما لبس ولا شك ان هذا الشاهد الآخر هو الآب نفسه

٣٣ انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد للحق. ٣٤ وانا لا اقبل شهادة من
انسان. ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم. ٣٥ كان هو السراج

عدد ٣٣—٣٥ *الشاهد الثاني* . في هذا الكلام اشار المسيح الى :—
عدد ٣٣ . (ا) *اعترافهم ضمناً بشهادة يوحنا* وذلك حين ارسلوا اليه وفداً ليسألوه من أنت فشهد للمسيح وقتئذٍ (١: ١٩—٢٧)

عدد ٣٤ . (ب) *عدم اكتفاء المسيح بشهادة المعمدان* . مع انه كان من حقه ان يكتفي بشهادة يوحنا بناء على اعتراف اليهود بصحتها الاّ انه لا يرضى ان تكون الشهادة الرئيسية التي يعتمد عليها ، مقدَّمة من انسان . لأن الذي أتى من فوق لا يقبل الاّ شهادة من فوق . وانما اراد بقوله : « ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم » ، انه سرد شهادة يوحنا لمنفعتهم هم اذا صدَّقوها وآمنوا به

عدد ٣٥ . (ج) *وصف شهادة المعمدان ، وموقفهم التاريخي ازاءها* : « كان هو السراج الموقد المنير » — ليس المعمدان « شمساً » يكتفى بنوره ، بل هو مصباح مضيءٌ في بيئة ضيقة . ونوره اكتسابيّ لا ذاتي فهو « موقد منير » . ولهذا السبب فهو زائل ذاهب ، لان زيته كان ينقص تدريجياً بايقاده حتى استهلك فانطفأ . وفي هذا الوقت كان مصباح حياة المعمدان، قد انطفأ في السجن منذ ان قطع هيرودس رأسه . اما موقفهم التاريخي ازاء شهادة يوحنا، فكان موقف الصبية المرحين اللاعبين حول النور ، او كموقف الفراشة التي

الموقد المنير وانتم اردتم ان تبتهجوا بنوره ساعة. ٣٦ واما انا فلي شهادة اعظم من يوحنا. لان الاعمال التي اعطاني الآب لاكملها هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني.

تحوم راقصة حول المصباح حتى تقتل نفسها بناره: «وانتم اردتم ان تبتهجوا بنوره ساعة» . نعم ان النور للبهجة، ولكنه قبل ذلك للاضاءة والهداية . فهو ليس غاية ، بل وسيلة لتحويل انظار الناس الى المرئيات

اما اليهود فقد فرحوا بالمصباح لدرجة انهم انصرفوا به عن الشخص العجيب الذي جاء يوحنا ليشهد له (لو ٧: ٢٤)

ع ٣٦—٣٩. **الشاهد الثالث** — الآب. هذا هو بيت القصيد. وقد ادى الآب شهادته بثلاث وسائل:

عدد ٣٦. (ا) **الآب شهد للمسيح بواسطة الاعمال التي اعطاها اياه ليكملها**

هذه هي الشهادة التي أنطق الله بها لسان المعجزات التي اجراها المسيح ، ومن ضمنها معجزة شفاء مريض بركة بيت حسدا، التي استُهل بها هذا الاصحاح. ان الآب ، باعطائه المسيح ان يعمل هذه المعجزات ، قد ختم على صدق رسالة المسيح ونبوّته وعلى حقيقة بنوّته

مع ان اعمال الله كاملة من الجانب الالهي، لكنها في نظر البشر تكمل تدريجياً في وقتها المناسب ، وقد كملت فعلاً على الصليب حين قال المسيح : «قد اكمل» (١٩: ٣٠)

٣٧ والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا
ابصرتم هيئته. ٣٨ وليست لكم كلمته ثابتة فيكم. لان الذي ارسله
هو لستم انتم تؤمنون به. ٣٩ فتشوا الكتب لانكم تظنون ان

عدد ٣٧. (ب) الآب شهد للمسيح بشخصه. «والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي» — هذه هي الشهادة الشفوية المسموعة التي شهد بها الآب للمسيح «بصوته وهيئته» (لوقا ٣: ٢٢و ٩: ٣٥ و يوحنا ١٢: ٢٨— ٣٠) وعن هذه الحادثة الاخيرة قال المسيح: «ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم». وربما اشار أيضاً بقوله: «هيئته»، الى السحابة التي بها أظهر الله وجوده في العهد القديم (عدد ٩: ١٥و ١٦)

ع ٣٨و ٣٩ (ج) الآب شهد للكلمة المتجسد، بالكلمة المكتوبة: هذه هي الشهادة التي انطق بها الله السنة الكتب المقدسة الصامتة، للمسيح—ورب صمت ابلغ من كلام. ان كلمة الله المنوّه عنها في عدد ٣٨، قد تشمل مع كتب الوحي، كلمة الله التي يرسلها للضمير بانواع وطرق كثيرة. و«كلمته» المذكورة في عدد ٣٩ قاصرة على الوحي المكتوب. الكلمة المترجمة «فتشوا» يجوز ان تُترجم الى «انتم تفتشون»: في صيغةٍ خبريّة لا أمريّة، وعلى هذا الاعتبار، يكون المسيح موجهاً اليهم سهماً حاداً من اللوم والتوبيخ لانهم وهم يفتشون الكتب على زعم ان لهم فيها حياة ابدية، قد خرجوا من درسها، أمواتاً كما كانوا قبل البحث والتفتيش. مثَلهم مثل حجر يلقى في تربة خصيبة، فيخرج منها حجراً كما كان. هذا هو تأنيب المسيح لأهل الكتاب

لكم فيها حيوة أبدية . وهي التي تشهد لي ٤٠ ولا تريدون ان تأتوا
اليَّ لتكون لكم حيوة . ٤١ مجداً

الذين زعموا انهم حملة مفاتيح العلم . «و بينما هم يزعمون . انهم حكماء ، صاروا جهلاء» . ان هذه الكتب التي كان يبحث فيها اليهود ، بعيون مفتوحة — كعيون التماثيل المتحجرة—هي التي تشهد للمسيح : بالنبوات ، والرمز ، والشخصيات

واذا اخذنا بالترجمة الحالية ، علمنا ان المسيح قصد ان يستحثهم على الاجتهاد في البحث ببصر مفتوح ، وباصرة نيّرة

عدد ٤٠ . *يحرمون انفسهم من الحياة ، بارادتهم* « لا تريدون ان تأتوا اليّ لتكون لكم حياة » . ما اعظم الفرق بين اليهود في نظرياتهم ، و بينهم في حياتهم العملية. في نظرياتهم يظنون ان لهم في كتبهم حياة، ولكن في حياتهم العملية، يفرّون من الحياة ، فرار العين المريضة من النور . انهم ببعدهم عن المسيح ، قد ابعدوا انفسهم عن الحياة ، فهو الطريق ، والحق والحياة

ومصيبة المصائب ، انهم عملوا هذا بارادتهم . يا ليتهم كانوا جهالاً . يا ليتهم كانوا عمياناً ، فلا كثرة الخطايا، ولا قضاء الله، ولا عدم المعرفة، تحرم الانسان من التمتع بالحياة. انما الانسان هو الذي يحرم نفسه بيده لانه لا يريد

ثالثاً : *عدم ايمان اليهود ٥:٤١—٤٧*

من الكلمة التي اختتم المسيح بها الفصل السابق ، تقدم ليعالج الموضوع

من الناس لست اقبل . ٤٢ ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في انفسكم .

الذي به انتهى — عدم ايمان اليهود. فبيّن : (١) *علة عدم ايمان اليهود* (٥ :٤١—٤٤) . (٢) *نتيجة عدم ايمان اليهود* (٥ :٤٥—٤٧)

(١) *علة عدم ايمان اليهود* (٥ :٤١— ٤٤) . رأى المسيحُ طبيبُ النفوس،العلة الدفينة لعدم ايمانهم، فشخصها تشخيصاً دقيقاً، في ثلاث كلمات: (ا) *التجرد من محبة الله* (عدد ٤٢) . (ب) *العمى الروحي* (عدد ٤٣) . (ج) *شغفهم بقبولهم مجداً من بعضهم البعض* (عدد ٤٤) . او بعبارة اخرى : نفوس فارغة ، عيون عمياء ، قلوب مستعلية

عدد ٤١ . *ازدراء المسيح بمجد الناس* : « مجداً من الناس لست اقبل » يُستنتج من هذا القول ، ان اليهود اعترضوا على كلام المسيح في الاعداد السابقة ، كأن قالوا مثلاً «وماذا تطلب منّا بعد ان ادليت بهذه الشهادات الكثيرة،العلك تنتظر منا ان نعظمك ونمجدك»؟ فأجابهم قائلاً : «مجداً من الناس لست اقبل» —فهو لم يكلمهم طمعاً في المجد الذي يصيبه منهم، بل حباً بخيرهم الروحي، اما هو فله من يمجده (٥ :١٧) . من اجل هذا اراد ان يدلهم على العلة الحقيقية التي منعت عنهم خيرهم الروحي،واصفاً هذه العلة وصفاً مثلثاً:

عدد ٤٢ . (ا) *نفوس مجردة عن محبة الله* . «ولكني قد عرفتكم» — كما في ص٢ :٢٤ — «أن ليست لكم محبة الله في انفسكم» وردت كلمة: «محبة الله» مرّة اخرى في البشائر (لوقا ١١ :٤٢).ان الله هو منشئ المحبة،وهو موضوعها

٤٣ أنا قد أتيت باسم ابي ولستم تقبلونني. ان أتى آخر باسم نفسه
فذلك تقبلونه ٤٤ كيف تقدرون أن تؤمنوا وانتم تقبلون مجداً
بعضكم من بعض . والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه
٤٥ لا تظنوا أني أشكوكم الى الآب . يوجد الذي يشكوكم

عدد ٤٣ . (ب) *العمى الروحي* . « انا اتيت باسم ابي ولستم تقبلونني . ان اتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه » . ان عماهم الروحي ، هو عدم تمييزهم بين من يأتيهم من الله و بين من يأتيهم من نفسه. بل قد انقلبت معهم الآية، فصاروا يفضلون من يأتيهم من تلقاء نفسه على من يأتيهم باسم الآب وسلطانه

عدد ٤٤ . (ج) *شغفهم بقبول المجد من بعضهم البعض* . « كيف تقدرون ان تؤمنوا وأنتم تقبلون». في عدد ٤٠، قال لهم المسيح: «لا تريدون» وفي هذا العدد قال لهم « كيف تقدرون » . ان عدم الارادة يؤول الى عدم المقدرة . والسبب في كل ذلك ، هو انصرافهم عن الله الى الناس . لا فراغ في الطبيعة ، كذلك لا فراغ في القلب ، فالقلب الذي يخلو من محبة الله ، لا شك يمتلئ بحب الذات . ومن أظهر مظاهر حب الذات ، تقارض المديح والثناء مع الناس

عدد ٤٥ . (٢) *نتيجة عدم ايمان اليهود ٥:٤٥—٤٧*

ان رفض المسيح يحمل معه عقابه الطبيعي . فرفض الحياة ، معناه الوقوع تحت طائلة الدينونة . اما الذي يقدمهم الى الدينونة و يقف منهم

وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. ٤٦ لانكم لو كنتم تصدقون موسى
لكنتم تصدقونني لانه هو كتب عني. ٤٧ فان كنتم لستم تصدقون
كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي

موقف المدعي ، فهو «موسى الذي عليه رجاؤهم» — كما يزعمون . لأن موسى من اعظم الشهود للمسيح ، بشخصه ، وكتاباته (تك ٣:١٥و١٢:٣و ٤٩: ١٠ وعدد ٢٤:١٧ تث ١٨: ١٥—١٨) . (انظر ايضاً غلاطية ٣: ٢٤ لوقا ٢٤: ٢٤ رومية ١٠:٥)

في ختام هذا الحوار ، التى المسيح على اليهود تهمة عدم الايمان بموسى نفسه . فلم يقووا على دفع هذه التهمة عن انفسهم لان من يكون غير قابل ان يتعلّم الباء ، فهذا دليل على انه لا يعرف الالف

الاصحاح السادس

١ بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية .

نحن الآن في بيئة تختلف عن تلك التي ودعناها في العدد السابق ، وعن التي سنلتقي بها في الاصحاح اللاحق . في الاصحاح الخامس كنا في اورشليم ، وفي الاصحاح السابع سنعود الى مدينة الملك العظيم ، لكننا في الاصحاح السادس نتمشى مع المسيح في الجليل عند بحر طبرية (*) . على انه وان اختلف هذا الاصحاح عن سابقه ولاحقه ، في المكان ، الا ان الفكر فيه مرتبط تمام الارتباط بما قبله و بما بعده

رأينا في الاصحاح الماضي كيف حمي غضب اليهود الى درجة الغليان عندما رأوا المسيح يشفي انساناً يوم سبت . لذلك ذهب المسيح الى الجليل وقضى هناك المدة التي بين عيد الفوريم — في مارس ، و بين عيد المظال — في اكتوبر .

(*) « وصل المنقبون في فلسطين الى اثر من اهم الآثار المتعلقة بحياة السيد المسيح . وعثروا على ارضية من ابدع ما عرف من القيشاني عند ما كشفوا عن الكنيسة التذكارية التي انشأها الحجاج المسيحيون على اثر حكم الامبراطور قسطنطين العظيم في القرن الرابع »

« وهذه الكنيسة مقامة على البقعة نفسها التي قام المسيح فيها بمعجزته الواردة في الكتاب المقدس حيث اطعم خمسة آلاف رجل بخمسة ارغفة وسمكتين »

« وتقع الكنيسة على نحو ١٢ ميلا شمالي طبرية وعلى مسافة قريبة من الجليل » عند سفح « تل التطوبيات » . وهو التل الذي يمتد فوقه الطريق القديم الموصل الى « كفر ناحوم » . كما انها تقع على بضع خطوات من « الينابيع السبعة » التي ذكرها « يوسيفوس » في كتابه : « اثار اليهود » . وتحيط بها صحراء « بيت صيدا » التي وصفها الانجيل »

« وفي الجانب الامامي من الكنيسة اكتشفت لوحة من القيشاني فيها حجارة صغيرة

٢ وتبعه جمع كثير لأنهم ابصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى.
٣ فصعد يسوع الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه. ٤ وكان الفصح
عيد اليهود قريباً. ٥ فرفع يسوع عينيه ونظر ان جمعاً كثيراً مقبل

وفي هذا الاصحاح يروي لنا يوحنا حادثتين — معجزة اشباع الخمسة الآلاف، ومعجزة مشي المسيح على الماء. ومن النتائج التي تمخضت بها هاتان المعجزتان، أن نضجت عوامل عدم الايمان في قلوب البعض فتركوه، وتأصلت بذار الايمان في البعض الآخر فقبلوه. فكأن الفكرة الرئيسية تتركز في نضوج عدم الايمان، واكتمال الايمان

ينقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام رئيسية: اولاً: **المعجزتان** ٦: ١ — ٢١. ثانياً: **حديث المسيح** ٦: ٢٢ — ٦٥. ثالثاً: **فصل الخطاب** ٦: ٦٦ — ٧١

جيلة، سوداء وحمراء. وفيها رسم منقطع النظير، لسلة وارغفة خبز وسمكات. وهو من صنع الصناع المسيحيين في العهد الاول، ارادوا به تخليد ذكرى المعجزة الواردة في العهد الجديد»

«ويرى الانسان على طول النصف الغربي من الكنيسة رسماً غريباً بالقيشاني لطيور لا تزال الوانها زاهية من احمر فاتح الى احمر قان الى اصفر واسود. ويخيل للانسان ان الرسم حديث مع انه ظل تحت الردم نحو ١٦٠٠ سنة. وهذه الارضية الفريدة المثال من القيشاني فيها اشكال متنوعة مختلفة تحوي رسوم انواع شتى للطيور والنباتات وازهار اللوتس

«ووجدت ايضاً اجزاء محطمة من الفخار والاواني ولمبات خزفية وأشياء اخرى صغيرة

«ولا شك في ان كل منطقة هذه الكنيسة تطابق ما ورد في الأنجيل عن وقوع معجزات المسيح حول شواطىء الجليل

«ويرجع فضل الاكتشاف الى البعثة الالمانية التي يرأسها الدكتور ايفارست ماير الذي يمثل لجنة فلسطين الكاثوليكية الالمانية ويساوته الدكتور شنيدر»

(«الاهرام» في ٢٠ مارس سنة ١٩٣٢)

اليه فقال لفيلبس من اين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء. ٦ وانما قال هذا
ليمتحنه لانه هو علم ما هو مزمع ان يفعل. ٧ أجابه فيلبس
لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً ٨ قال
له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس. ٩ هنا
غلام معه خمسة ارغفة شعير وسمكتان. ولكن ما هذا لمثل هؤلاء.

اولاً: المعجزتان (أ) معجزة اشباع الخمسة الآلاف ٦: ١—١٣ (ب) معجزة مشي المسيح على الماء ١٤: ١—٢١

(أ) معجزة اشباع الخمسة الآلاف ٦: ١—١٣

عالج المؤلف شرح هذه المعجزة، كما وردت في البشائر الأربع، في «شرح بشارة لوقا» (صفحة ٢٣٥—٢٤٠) فاطلب تفسيرها هناك

في معجزة الاصحاح السابق رأينا المسيح نبع الحياة الفيّاض. وفي هذه المعجزة نرى المسيح عائل الحياة ومقيتها

في هذه المعجزة تجلّت قدرة المسيح كخالق، لانه خلق من الارغفة القليلة التي توازي العدَم، شيئاً كثيراً أشبع به الآلاف. والى قدرة المسيح كخالق، ظهرت محبته العطوفة كفادٍ. فلقد أشفق على الجماهير قبل ان تعرف الجماهير كيف تشفق على نفسها. والى قدرته كخالق، ومحبته كفادٍ، أُعلنت حكمته كمدبر. قبل ان يجيء موعد جوعهم، فكّر هو في إشباعهم. وقبل ان يخطر ببال فيلبس الحكيم ان يدبر معاشهم، دبره لهم صاحب التدابير

الى قدرته كخالق، ومحبته كفاد، وحكمته كمدبر، بانت جودته كمحسن،

١٠ فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون . وكان في المكان عشب
كثير. فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف. ١١ وأخذ يسوع
الارغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ اعطوا المتكئين.
وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. ١٢ فلما شبعوا قال لتلاميذه
اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء. ١٣ فجمعوا وملأوا
اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة ارغفة الشعير التي فضلت
عن الآكلين.

كريم . فهو لم يكتفِ بأن أشبع ، بل جاد بطعامٍ وفير، حتى فضل عن حاجتهم . كذلك في تدبير فدائه : «يوجد ايضاً مكان» . «كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز» ! !

الى قدرته كخالق ، ومحبته كفادٍ ، وحكمته كمدبر ، وجودته كمحسنٍ كريم ظهر اقتصاده كحكيم . ان جود سخائه لا ينفي قدرة اقتصاده . فالفرق عظيم بين الجود والاسراف «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيءٌ»

(ب) *معجزة مشي المسيح على الماء ٦: ١٤ — ٢١*

أُجريت المعجزة الماضية على اليابسة ، وتمت هذه المعجزة على الماء . في المعجزة السابقة ، رأينا المسيح عائل الحياة ومقيتها . وفي هذه المعجزة نرى المسيح هادي الحياة وقائدها . في المعجزة الأولى أشبع المسيح التلاميذ — والجماهير . وفي هذه المعجزة ، هدى التلاميذ وأوردهم الى مياه الراحة

١٤ فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا ان هذا هو بالحقيقة
النبي الآتي الى العالم. ١٥ وأما يسوع فاذ علم انهم مزمعون ان يأتوا
ويختطفوه ليجعلوه ملكاً

عدد ١٤و١٥. (أ) *ملقة الاتصال بين المعجزتين* ٦: ١٤و١٥: «فلما رأى الناسُ الآية ...». وواضح من ١: ٢١ ان «النبي» شخصية مستقلة عن شخصية المسيح. على انه يظهر ان عامة الناس، كانوا يعتقدون بحق، ان المسيح «هو النبي الآتي الى العالم» (تث ١٨: ١٨). لكنهم لم يفهموا من مسيحيته إلا على قدر ما فهموا من هذه المعجزة. كان منتهى اعتقادهم ان المعجزة بلغت مداها عند اشباع بطونهم، وان المسيح انما جاء ليملك عليهم ملكاً مادياً سياسياً. وقد غاب عنهم ان المسيح قصد بهذه المعجزة ان يولم لهم وليمة مادية ترمز الى العشاء الاعظم في السماء، وانه بتقديمه الطعام لاجسادهم قصد ان يقدم لهم درساً معنوياً، في تقديمه ذاته لنفوسهم الجائعة. الا اننا نحمد لهم قصدهم، وان كنا نلومهم على عدم فهمهم. وكم من المرات نسابقهم نحن في هذا الجهل ونسبقهم اليه مع انه قد «انتهت الينا أواخر الدهور»

«واما يسوع فاذ علم» — إما من حركاتهم، او ببصيرته التي تخترق حجب الظلام، فتعرف خفايا القلب ونياته — «انهم مزمعون ان يأتوا ويختطفوه» — بالقوة — «ليجعلوه ملكاً، انصرف ايضاً الى الجبل وحده». كانت للشعب اليهودي آمال نفسانية، جسدانية، فقصدوا ان يسخروا المسيح ليتخذوا منه وسيلة لاتمام مآربهم، لكن الذي جاء لاتمام ارادة الآب، لن يسلم نفسه

انصرف ايضاً الى الجبل وحده. ١٦ ولما كان المساء نزل تلاميذه
الى البحر. ١٧ فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون الى عبر البحر الى
كفرناحوم. وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى اليهم.
١٨ وهاج البحر

لارادة البشر، مهما كانت ترمي هذه الارادة في ظاهرها الى تمليكه على العروش الارضيةّ. هذه هي التجربة الثالثة في صورة اخرى (مت ٤: ٧—١٠)، وقد رفضها المسيح بشمم واباء. فليس المهم في من يعرض التجربة، بل المهم في نوعها وجوهرها. نعم جاء الفادي ليكون ملكاً، ولكن على عروش القلوب لا على عروش الارض، وعن طريق الصليب لا عن طريق المعجزات، و بيد الله لا بيد الذين شبعوا بعد جوع

اما الغرض الذي لاجله انصرف المسيح وحده الى الجبل، فقد أخبرنا به متى ومرقس— «ليصلي» (مت ١٤: ٢٢؛ مر ٦: ٤٥)

عدد ١٦. (ب) *الظرف الذي تمت فيه المعجزة* ٦: ١٦—١٨. «ولما كان المساء» هذا بدء زمان المعجزة. «نزل تلاميذه الى البحر»—هذا مكانها

عدد ١٧و١٨ *الحالة النفسية التي كان عليها التلاميذ* —لقد كانوا: (١) في ظلام: «وكان الظلام قد اقبل». (٢) في عزلة موحشة: «ولم يكن يسوع قد أتى اليهم». ما اوحشها فرصة تلك التي تقضيها النفس في ظلام والمسيح بعيد عنها. اذاً كان التلاميذ في ظلام مادي، وظلام روحي. (٣) كانوا محاطين بهياج ماديّ، وانزعاج نفسيّ: «وهاج البحر من ريح عظيمة تهبّ». ان الريح

من ريح عظيمة تهب.
١٩ فلما كانوا قد جذَّفوا نحو خمس وعشرين او ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة فخافوا.

التي هبت على البحر، رافقتها رياحٌ أخرى هبت على انفسهم

ليس من المستغرب ان يترك المسيح تلاميذه وسط هذا الهياج. فهو لم يعدنا بسلامة الحياة، ولا بنعومة ملمسها، بل وعدنا بالسلام القلبي، الذي تتفجر ينابيعه كلما جفت ينابيع الدنيا، ويزداد هدوؤه كلما عجت أمواج بحر الحياة وماجت. خير لنا ان نكون في قلب العاصفة والمسيح معنا، من ان نكون في سكون خارجي ونحن بعيدون عن حضرة الفادي. ان عاصفةً يكون فيها المسيح معنا، لهي السلام بعينه، وان سكوناً يغيب فيه الفادي عنا، لهو سكون الموت

عدد ١٩. (ج) ظهور المسيح — ٦: ١٩. «فلما كانوا قد جذَّفوا نحو خمس وعشرين او ثلاثين غلوة» — أي انهم صاروا الآن في وسط البحيرة تقريباً (مت ١٤: ٢٤). اما الغلوة فهي ثمن ميل. ويقول يوسيفوس ان بحيرة جنيسارت كانت تبلغ في اتساعها نحو اربعين غلوة

في هذا الظرف الدقيق، «نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة». كنا نرجو ان يمتلىء التلاميذ فرحاً اذ رأوا الرب، لكن الوقت كان ليلاً، وأعصابهم كانت متوترة، ولم يكن ايمانهم بسيدهم قد ارتقى الى درجة يعتقدون فيها انه سيأتيهم ماشياً على الماء، «فخافوا» في الوقت الذي كان ينبغي ان يخافهم فيه الخوف

٢٠ فقال لهم انا هو لا تخافوا. ٢١ فرضوا ان يقبلوه في السفينة
وللوقت صارت السفينة الى الارض التي كانوا ذاهبين اليها ٢٢ وفي

عدد ٢٠. (د) كلمة المسيح — ٦: ٢٠. ان في كلمته: «لا تخافوا»: — اعلاناً مطمْئناً: «انا هو»، وتشجيعاً: «لا تخافوا»

عدد ٢١. (هـ) ترحيب التلاميذ بالمسيح — ٦: ٢١. ان خوفهم منه انقلب الى ترحيب به «فرضوا ان يقبلوه في السفينة». والمستفاد من كلام سائر البشيرين (مت ١٤: ٣٢) انه دخل السفينة «وللوقت صارت السفينة الى الارض التي كانوا ذاهبين اليها»

لا يسعنا ان نترك هاتين المعجزتين من غير ان نلاحظ انهما تحملان رمزاً ضمنياً الى المرحلة الأخيرة في خدمة المسيح على الارض. فاذا ما افترضنا ان في معجزة اشباعه الآلاف رمزاً ضمنياً الى تقديمه جسده على الصليب ليكون قوتاً دائماً للمؤمنين به، فان في غيابه عنهم وهم منفردون في البحر، رمزاً لمفارقته التلاميذ مدة مكوثه في القبر، وان في عودته للظهور لهم بعد الغياب، علامة لظهوره لهم بعد فجر القيامة

ثانياً: حديث المسيح — «خبز الحياة» ٦: ٢٢—٦٥

كم من حادثة مرّت بنا في هذه البشارة، اتخذ المسيح منها موضوعاً لحديث. وكم من «آية» اتخذها «آية» لعظة! فمن معجزة شفاء مريض بيت حسدا، اتخذ موضوعاً للتكلم عن مقامه وسلطانه. ومن معجزة اشباع الآلاف ابتكر مناسبة للتكلم عن «خبز الحياة». ومن معجزة فتح عيني الأعمى، وجد

الغد لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر انه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة وهي تلك التي دخلها تلاميذه وان يسوع

باباً للكلام عن شخصه باعتبار كونه « نور العالم » . وفي هذه المعجزة نرى معجزة اخرى مكملة لها ، قد توسطت بينها و بين الحديث

يتضمن هذا الفصل : اولاً : مقدمة تاريخية : (٦: ٢٢—٢٤) . ثانياً : الحديث : (٦: ٢٥—٦٥) . اما الحديث فهو في حقيقته عبارة عن اربعة أحاديث تربطها معاً رابطة واحدة ، ولكل منها مناسبة خاصة : (ا) الحديث الاول : (٦: ٢٥—٤٠)—وقد فاه به المسيح جواباً على سؤال من اليهود . (ب) الحديث الثانى : (٦: ٤١—٥١) — نطق به الفادي رداً على تذمّر اليهود . (ج) الحديث الثالث : (٦: ٥٢—٥٩) — اورده المخلص نتيجة مخاصمة اليهود بعضهم بعضاً . (د) الحديث الرابع : (٦: ٦٠—٦٥)—تحدّث به المسيح نتيجة تساؤل التلاميذ بعضهم مع بعض

عدد ٢٢ . اولاً : مقدمة تاريخية ٦: ٢٢—٢٤ . ان حماس الجماهير ، الغير المهذّب ، الجسداني ، قد حمل المسيح على أن يعزل تلاميذه عنهم ، وان يعتزل هو — الى حين — عن التلاميذ . واخيراً عاد فاتصل بتلاميذه بعد تلك العاصفة التاريخية . اما الجماهير فظلوا يطلبون يسوع حتى تبعوه الى كفر ناحوم . «وفي الغد» — عند شقّ الفجر الذي تلا ليلة العاصفة — واذا «بالجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر» منتظرين يسوع ، شرعوا يبحثون عنه ، ولما كان معلوماً لديهم « انه لم يدخل السفينة مع تلاميذه» ،

لم يدخل السفينة مع تلاميذه بل مضى تلاميذه وحدهم. ٢٣ غير انه
جاءت سفن من طبرية الى قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز إذ
شكر الرب . ٢٤ فلما رأى الجمع ان يسوع ليس هو هناك ولا
تلاميذه دخلوا هم أيضاً السفن وجاءوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع

بل صعد الى الجبل وحده ، « وانه لم تكن هناك سفينة أخرى» تقله الى الشاطئ الجليلي، «سوى واحدة وهي تلك التي استقلها تلاميذه وحدهم» ، قضوا ليلتهم في البرية عازمين على العودة في الغد الى أوطانهم، في موكب يشرّفه هذا النبي الجليلي ، بعد عودته من الجبل في الصباح

عدد ٢٣ . الرياح المعاكسة : غير ان الريح الغربيّة التي قاومت سفينة التلاميذ وأعاقتها الى الصباح ، كانت ملائمة لسفن أخرى ، فعاونتها على العبور بسرعة « من طبريّة » ، الواقعة على الشاطئ الغربي ، « الى » الشاطئ الشرقي ، « قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز » . ان العبارة التي يختتم بها هذا العدد : «اذ شكر الرب» ، ترينا مبلغ تأثر المشاهدين من شكر المسيح ، حتى دُمغت هذه الحادثة التاريخيّة بهذا الشكر الممتاز

عدد ٢٤ . نفاد صبر الجمع : لما عيل صبر الجمع من طول الانتظار ، « ورأوا ان يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه ، دخلوا هم ايضاً السفن » — ليرجعوا الى الجهة الغربيّة — «وجاءوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع» هناك . في هذه الاعداد القليلة رسم لنا البشير صورة لثورة عواطف الجماهير، وسرعة تقلبهم ، ونفاد صبرهم

٢٥ ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا.
٢٦ أجابهم يسوع

(ا) الحديث الاول (٦: ٢٥—٤٠). فاه المسيح بهذا الحديث جواباً على سؤال اليهود. وهو في الحقيقة عبارة عن اربع محادثات دارت بينه وبينهم. وفي المحادثة الاخيرة منها تكلَّم بشعور عميق فياض، واصفاً مبلغ تأثره من حال اليهود الذين لم يؤمنوا برسالته

(١) المحادثة الاولى (٦: ٢٥—٢٧). في هذه المحادثة اظهر المسيح الفرق العظيم بين الطعام الفاني والطعام الباقي

عدد ٢٥. (ا) سؤال اليهود: «ولما وجدوه» — اي الجمع الذين كانوا يطلبونه — «في عبر البحر، قالوا له، يا معلم متى صرت هنا»؟ انهم بسؤالهم هذا قد عبَّروا عن الحيرة التي ملكت عليهم مشاعرهم، اذ رأوا ان المسيح سبقهم الى ذلك المكان من غير ان يستقلّ سفينة ليعبر بها البحيرة، فإمَّا ان يكون قد سافر براً وقطع المسافة التي بين بيت صيدا يوليا، و بين كفر ناحوم في الليل—وهذا محال لان الطريق غير معبّدة وهي مهجورة تتغلغل فيها الصخور في كل مكان، فضلاً عن طولها، اذ كانت تبلغ نحو عشرة أميال. او ان يكون قد مشى على الماء، وهذا أمر لم يألفوه حتى الآن. لذلك تقدموا الى المسيح نفسه طالبين اليه ان يحلّ لهم هذا اللغز، قائلين: «متى صرت هنا»؟

عدد ٢٦و٢٧. (ب) جواب المسيح. «أجابهم يسوع وقال الحق. الحق.»

وقال الحق الحق اقول لكم أنتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم آيات
بل لانكم أكلتم من الخبز فشبعتم. ٢٧ اعملوا لا للطعام البائد

ان يسوع المترفّع عن سفاسف الغايات الجسدانيّة، لم يكترث لاحتفائهم به، ولم يحاول ان يحلّ لهم اللغز الذي تعقد في أدمغتهم، مع ان ذلك كان ميسوراً له، فيتمجد في نظرهم، متى اعلمهم انه مشى على الماء. لكنّ تعظيمهم اياه لم يصرفه عن توبيخه اياهم، فأجابهم بلغة الواثق المطمئن، صاحب السلطان المطلق: « الحق. الحق» (انظر تفسير ٣:٣) — « انتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم آيات، بل لانكم اكلتم من الخبز فشبعتم ... اعملوا...» . في جوابه هذا، نجد: (١) توبيخاً: « انتم تطلبونني . . . » . (٢) نصحاً: « اعملوا . . » . (٣) حجة دامغة: « لان هذا الله الآب قد ختمه » .

(١) توبيخاً: لقد اجاب المسيح على افكارهم، لا على كلامهم، فوبخهم على الجسدانيّة التي طُبعَ بها اعجابهم به، والانانيّة التي دمغت تفتيشهم عليه. نعم رأوا معجزته، لكنهم لم يروا فيها «آية» لأنفسهم، فكانت عيونهم شبيهةً بعيون التماثيل المتحجرة—مفتوحة لكنها لا ترى، فبدلاً من ان يروا «آية» في الخبز، رأوا خبزاً في الآية. ذلك لانهم نظروا الى الآية بعيون بطونهم لا بعيونهم الباطنية، فلم يروا فيها الا الارغفة والسمك. اما قدرة الله، اما حكمة الله وعنايته، فهذه قد خفيت عنهم بارادتهم. اما قوله: « آيات » فيريد به الآيتين السابقتين او كل الآيات بوجه عام

(٢) نصحاً: عدد ٢٧ « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة

بل للطعام الباقي للحيوة الابدية الذي يعطيكم ابن الانسان لان هذا

الابدية » . في هذا النصح ، أرادهم المسيح ان يقلعوا عن طلبهم الامور المادية الفانية ، وحضهم على ان يطلبوا القوت الحقيقي الدائم . ان كل طعام مادي ، لا محالة بائد وزائل — في كيانه وفي تأثيره ، فهو يُشبع اليوم ليجيع غداً . وفي النهاية يزول . ان في قول المسيح هذا ، شيئاً من الغرابة : فقد نهاهم عن ان يعملوا للطعام البائد ، الذي لا يُنال عادةً الا بالكدّ وعرق الجبين (تك ٣: ١٩)، وحضهم على ان يعملوا للطعام الباقي ، الذي لا ينال عادةً بالتعب والكدّ ، بل بالايمان ، فهو عطية من ابن الانسان . لكن وجه الغرابة يزول متى ذكرنا ، ان المراد بقوله: «اعملوا» ، هو : «اهتموا ، واطلبوا» . انهم كانوا يطلبون شخصه طمعاً في النفع المادي الذي يأتيهم منه ، فأرادهم ان يطلبوا شخصه ، حباً في شخصه ، فيأتيهم منه خير ابديّ خالد . ومع ان الطعام الباقي يعطيه لنا المسيح ، لكننا لن نناله الا اذا طلبناه باهتمام . لاننا باهتمامنا نعدّ انفسنا للطعام، لا نعدّ الطعام لانفسنا. ان قوله: «للحياة الابدية» يصف الطعام الباقي :— في فاعليته ، وفي أمد بقائه . وقصد بقوله : « يعطيكم » ان يرفع انتظاراتهم الى طعام افضل من الذي أُعطوه في المعجزة . لان طعام المعجزة لم يكن سوى رمز له . وقد وصف المسيح نفسه هنا بقوله : «ابن الانسان» ، لانه يهبنا هذا الطعام عن طريق تجسده . بل بتجسده صار هو طعامنا الروحيّ الخالد (٦: ٣٥ و ٣٨ و ٥٠ و ٥٨) .(٣) حجة دامغة: «لان هذا» ان ضمير الهاء في كلمة : «ختمه» يعود على المسيح «ابن الانسان» . وختم الله الآب للمسيح ،

الله الآب قد ختمه . ٢٨ فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله .
٢٩ أجاب يسوع

يراد به شهادته له بانه ابن الله، وبان الله قد وهبه لبني الانسان (٣: ١٦). وذلك:
(أ) بشهادة الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله . (ب) بالصوت الالهي الذي سُمع وقت المعمودية . (ج) بتأييد الآب له بالمعجزات وسائر أركان خدمته على الارض (قابل هذا العدد مع ٣: ٣٣)

(٢) *المحادثة الثانية* ٦: ٢٨ و ٢٩ . اذا كان المسيح قد بيّن في المحادثة الأولى نوع الطعام الذي يهبه للمؤمنين ، فقد اظهر في المحادثة الثانية وسيلة نوال هذا الطعام . كانت محادثته الاولى رداً على سؤالهم : «متى صرت هنا» (ع ٢٥). أما محادثته الثانية فقد فاه بها جواباً على استفهامهم : «ماذا نفعل حتى نعمل اعمال الله» (ع ٢٨)

عدد ٢٨ . (أ) *سؤالهم* «فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل اعمال الله» ؟ لم يستنكر هؤلاء اليهود توبيخ المسيح لهم ، بل اظهروا استعدادهم ان «يعملوا» حسب قوله ، ولو أنهم لم يفهموا مراده من قوله : «اعملوا»، فظنوه يتكلم عن «اعمال» خارجية كالفرائض الطقسية التي يشترون بها هذا الطعام الباقي . مع ان المسيح لم يذكر شيئاً عن الاعمال، بل تكلم عن «العمل» على نوال الطعام الباقي. لكنهم فهموا انه يقصد «الاعمال» التي يأتيها الانسان كدين له على الله. فكانوا كمن ينظر الاشباح في ضوء الفجر، فلا يراها كما هي بل يلمح أشباهها
عدد ٢٩ .(ب) *جواب المسيح*: «اجاب يسوع وقال لهم. هذا هو عمل الله

وقال لهم هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بالذي هو ارسله. ٣٠ فقالوا له

ان تؤمنوا بالذي هو ارسله». عاد المسيح فأكد لهم انه ما قصد «أعمالاً» متناثرة يعملها الانسان، لينال بها ذلك الطعام الباقي على سبيل الاجر، بل اراد عملاً واحداً، لا أعمال فيه بالمرة — وهو: «ان يؤمنوا بالذي هو ارسله». فالطعام الباقي لا يناله الانسان استحقاقاً على اعمال يأتيها، بل هبة مجانية من يد الله. والعمل الوحيد الذي يعمله الانسان ليحصل به على هذه الهبة، انما هو ان يفتح يده و يقبلها. فما الايمان سوى اليد المفتوحة التي تتناول بركات الله. الكلمة: «عمل الله»، لا تفيد العمل الذي يعمله الله، بل العمل الذي يطلبه الله و يقبله. هنا نقطة الاتصال، بين تعليم يعقوب رسول الاعمال، و بين تعليم بولس رسول الايمان. لان الايمان هو في حقيقته عمل، بل من اسمى الاعمال وأجلها اذ فيه يقدم الانسان ذاته لله. هذا هو العمل الذي يكرم الله، ان تقبل ما عمله الله لنا. ان الايمان الذي يستنكره يعقوب هو الايمان العقلي الميت الذي لا ينتج ثمراً

(٣) المحادثة الثالثة ٦: ٣٠—٣٣. في هذه المحادثة اوضح المسيح طريق البلوغ الى الايمان. عجيب ان اليهود لم يعترضوا على كلام المسيح لهم عن «العمل»، انما اعترضوا على كلامه عن الايمان. هذا هو الاتجاه الخاص الذي تميل اليه الطبيعة البشرية. انها على الدوام تتمسك بأهداب الاعمال لان فيها تمجيداً لذاتها، وتنفر من الايمان لانه يجردها من كل مجد، و يُعطي المجد كله لله

فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك. ماذا تعمل. ٣١ آباؤنا أكلوا المنّ
في البرية كما هو مكتوب انه اعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا

عدد ٣٠و٣١ (أ) سؤالهم ٦: ٣٠ و٣١. «فقالوا له فأية آية». ما أسرع الانسان الى النسيان! لم تمضِ اربع وعشرون ساعة، مذ ان رأوا الآية التي اجراها المسيح باشباعه الخمسة الآلاف، لكنهم لم يروا في تلك المعجزة «آية» محرضة لهم على الايمان، بل مجرد أرغفة اشبعت بطونهم. فضلاً عن ذلك، فان في العقل الطبيعي شرهاً مستمراً الى المعجزات، ليعجب ويتلذذ. لا بد أنهم فهموا من قول يسوع عن نفسه: «الآب قد ختمه» (ع ٢٧)، «وارسله» (ع ٢٩)، انه يريدهم ان يتأكدوا انه هو المسيح، الذي ينبغي ان يؤمنوا به، لذلك طلبوا منه ان يصنع آية جديدة ليفحصوها بدقة ويميزوا العنصر الالهي فيها. وكما قال لهم: «اعملوا». قالوا هم له: «تصنع». ولعلهم كانوا يعتبرون معجزة إشباع الآلاف أقل من معجزة انزال المنّ من السماء لبني اسرائيل، لان معجزة اشباع الخمسة الآلاف لم تكن — في نظرهم — سوى مضاعفة عدد الارغفة الارضية الى حد معيّن. لكن المنّ كان طعاماً نازلاً رأساً من السماء. ويقول معلمو اليهود: اذا كان ولينا الاول—موسى — قد أتى لنا بمنّ من السماء، فان ولينا الثاني — مسيّا — سيأتي ايضاً بمنّ جديد من السماء. فليس من المستغرب أنهم قارنوا بين موسى ومسيّا: «آباؤنا أكلوا المنّ في البرية كما هو مكتوب» — في مزمور ٧٨: ٥٤و٢٥ — «أنه» — الله — «أعطاهم» — أي بني اسرائيل — «خبزاً من السماء ليأكلوا»

٣٢ فقال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم ليس موسى اعطاكم
الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. ٣٣ لان
خبز الله هو النازل من السماء الواهب حيوة للعالم.

عدد ٣٢و٣٣. (ب) جواب المسيح «فقال لهم يسوع...» كانت افكارهم منحصرة في مصدر «المنّ» — «من السماء». فقصد المسيح ان يوجه قلوبهم الى جوهر المنّ الحقيقي — والجوهر أهمّ من المصدر. وقد صدّر جوابه بهاتين الكلمتين الحاسمتين: «الحق. الحق». فبيّن لهم في جوابه: (أ) ان موسى لم يعطهم المنّ، انما هو الذي اعطاهم اياه «ليس موسى أعطاهم الخبز من السماء». (ب) ليس المنّ هو الخبز الحقيقي الذي من السماء انما هو خبز ماديّ رمزي. (جـ) ان المنّ خبز «أعطاه» الله مرة للامة الاسرائيلية، فصار في خبر كان، وذهب مع الذين أكلوه، لكن الخبز الحقيقي الذي من السماء يعطيه الله باستمرار لانه خبز حيّ دائم، يتجدد كل يوم. (د) ان خبز الله، الحقيقي، ليس هو المنّ الذي اكله بنو اسرائيل في البريّة فماتوا، بل هو الخبز النازل «من السماء، الواهب حياة». فهو لا يكتفي بان يقيت الحياة ان وُجِدَت، بل يهبها للموتى فيبعثهم من العدم. (هـ) ان المنّ أشبع الاسرائيليين وحدهم، لكن الخبز الحقيقي النازل من السماء هو الذي يهب حياة للعالم كله. وخلاصة مميزات هذا الخبز الحقيقي، انه هبة من الله رأساً، وانه نازل من السماء، وانه يُعطى باستمرار للجياع، وانه يهب الحياة، وانه معَدّ للجميع لا لشعب خاص

٣٤ فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز. ٣٥ فقال لهم
يسوع أنا هو خبز الحيوة.

(٤) المحادثة الرابعة ٦: ٣٤ — ٤٠. المسيح يعلن لهم انه هو خبز الحياة.

عدد ٣٤. (أ) سؤالهم ٦: ٣٤. «فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز». الى الآن لم يكشف لهم المسيح عن ماهيَّة هذا الخبز. لكن الاوصاف السالفة التي خلعها على هذا الخبز جعلت لعابهم يسيل شوقاً اليه. فقالوا له: «يا سيد اعطنا في كل حين هذا الخبز»

ما أشبه كلامهم هذا بكلام المرأة السامريَّة: «يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا اعطش ولا آتي الى هنا لاستقي» (٤: ١٥). الى الآن كانوا جسديِّين، نفعيين، عائشين ببطونهم لا بقلوبهم. ان في قولهم: «كل حين» اشارة ضمنيَّة الى المنّ الذي كان يُرسله الله «كل يوم»، لبني اسرائيل

عدد ٣٥. (ب) جواب المسيح ٦: ٣٥— ٤٠. كانت امنيتهم شريفة، مع انها كانت ناقصة. ولكن على رغم ما كان يُحيط بها من سُحب الجهالة الكثيفة، لم تُقابل من المسيح بالصدّ والاعراض، لكنه أزاح الستار الذي كان يحجب به معلناته المجيدة، وانتقل من التعميم الى التخصيص، فصرَّح لهم قائلاً: «انا هو خبز الحياة». طلع المسيح عليهم بنور هذا الاعلان الممتاز، وهو عالم ان بعض العيون المريضة سيبهرها النور فلا تقوى على البصر، لكن عيوناً أخرى سينجلي لها الحق باكثر وضوح، لانها «بنوره ترى نوراً»

من يقبل اليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً. ٣٦ ولكني قلت لكم انكم

في هذا العدد، اوضح لهم المسيح : ماهيَّة الخبز : «انا هو خبز الحياة» ، وفوائده : الإشباع والارواء : «لا يجوع . . ولا يعطش» ، وطريق الحصول عليه : «من يقبل اليَّ».. «من يؤمن بي» . ان قوله : «انا هو خبز الحياة»، هو خير اجابةٍ لطلبهم : « أعطنا في كل حين هذا الخبز » . فبيّن لهم انهم ليسوا في حاجة الى ان يقولوا : من يُحضر الينا هذا الخبز، لانه قريب منهم، وعند افواههم ، وما عليهم الا ان يقبلوه ويتناولوه . ما على الله قد أتمه ، وما على البشر الا ان يقبلوا فيأ كلوا ليشبعوا ، ويشربوا ليرتووا . الكلمة : «خبز الحياة» معناها ، الخبز الذي يُعطي الحياة . «والحياة المقصودة» هنا ، هي حياة الله بالذات، التي تأنست في المسيح فصارت بشراً سوياً (١يو ١: ٢). أما العبارتان : «لا يجوع» و« ولا يعطش » فهما متكاملتان — الجوع يرمز عادة الى الاحساس بالضعف والعجز . والعطش يرمز الى شوق القلب وآماله وآلامه . إنّ سدّ الجوع يشار به الى التقوية . وارواء العطش يشار به الى السلام التام . والعبارتان : «يُقبل اليَّ» و «ويؤمن بي» ، تفسّر ثانيتهما أولاهما . أُولاهما تفيد ترك الانسان حاله والاتيان الى الفادي ، والثانية تفيد الثقة العملية التي يلقي بها نفسه عليه . الأولى تعني مجيء العطشان الى النهر ، والثانية تشير الى شربه منه. هذه هي المرة الاولى التي قال فيها المسيح : «اناهو»

عدد ٣٦. مبصرين لا ينظرون : «ولكني قلت لكم انكم قد رأيتموني

قد رأيتموني ولستم تؤمنون. ٣٧ كل ما

ولستم تؤمنون» — ان في هذه الكلمات حزناً تمازجه مرارة، يخالجهما تعجب، ويخالطهما تلويم. هذا هو جواب المسيح على قولهم له : «أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك» (عدد ٣٠). وكأني به يقول لهم : يا من تطلبون آية لتروا وتؤمنوا، هوذا الآية موجودة امامكم ولم تنظروها — هذه الآية هي أنا : «قد رأيتموني ولستم تؤمنون» اني انا هو المسيح

مزايا المؤمنين بالمسيح ٦:٣٧—٤٠ . بين كلمات التلويم والتقريع المذكورة في العدد السابق، و بين المعلنات المجيدة المذكورة في هذه الاعداد، نلاحظ انتقالاً في الفكر، وفي نغمة الكلام، يتخلله صمت مهيب

ان اولئك الذين طلبوا الخبز المادي لا سواه، قد رفضوا المسيح . لكنهم برفضهم اياه لم يخذلوا المسيح، بل خذلوا أنفسهم، ولم يغيروا قصد الله الثابت : «لان الرب يعلم الذين هم له» . لذلك فاه المسيح بنغمة الواثق قائلاً : «كل ما يعطيني الآب . فاليَّ يُقبل . ومن يقبل اليَّ لا أخرجه خارجاً» . فاللوم اذاً واقع عليهم وحدهم، والفشل والخسارة يحيقان بهم دون سواهم . فمن مزايا المؤمنين بالمسيح: (ا) انهم عطية الآب للابن: «كل ما يُعطيني الآب فاليَّ يُقبل». (ب) انهم موضوع ترحيب المسيح الدائم : «من يُقبل اليَّ لا أخرجه خارجاً» (عدد٣٧).(ج) انهم موضوع صيانة المسيح وعنايته (عدد٣٨ و ٣٩) «... لأني لا أتلف منه شيئاً» . (د) ان الحياة الأبدية لهم (عدد ٤٠) .

عدد ٣٧ . (ا) *المؤمنون بالمسيح هم عطية الآب للابن* : «كل ما

يعطيني الآب فاليَّ يقبل ومن يقبل اليَّ

يعطيني الآب فاليَّ يقبل»، وهم ايضاً (ب) موضوع ترحيب المسيح الدائم: «ومن يقبل اليَّ لا اخرجه خارجاً» . في هذا العدد اربعة مقاطع : المقطع الأول يتمشى مع الثالث ، والثاني يساير الرابع . الاول يصف الانسان من الجانب الالهي السماوي: «كل ما يعطيني الآب».والثالث يصفه من الجانب الانساني: «من يقبل اليَّ» . فالمؤمن ، من الجانب الالهي السماوي ، مختار من الله ، ومدعوٌ دعوة فعالة ، لان الآب دبر منذ الازل أن يعطيه للمسيح (٦:١٧) . الكلمة : «يُعطي» وردت بصيغة المضارع لتصف فعل الله المتواصل في قلوب البشر وقت اقتبالهم الى المسيح. وقد ذكر المسيح هذه الحقيقة لا لينتقص بها من حرية البشر الاختيارية، بل ليظهر لسامعيه الفرق العظيم بين من يأتون اليه نتيجة تحريضات بشريّة جسدانية (عدد ٢٦) ، و بين من يأتون اليه نتيجة فعل الله، في قلوبهم

المقطع الثاني : « فاليَّ يقبل » ، يحقق ويضمن نجاح قصد الله في المؤمنين . « والاقبال» هنا ، لا يعني مجرد الاتيان الى المسيح ، بل يفيد الخلاص الى المنتهى. ان كلمة: «كل» التي يستهل بها المقطع الاول ، كلمة تعميمية تصف المؤمنين كجماعة كاملة، لكن كلمة «من» التي يُستهل بها المقطع الثالث ، كلمة تفصيلية. لان المؤمنين يأتون الى المسيح فرداً فرداً ، مع أنهم أُعطوا له جماعة . المقطع الثالث: «من يقبل اليَّ» يبتدئ حيث انتهى المقطع الثاني، وهو يصف الايمان من الجانب الانساني، بما فيه ترك الخطايا، والحال التي يكون عليها الانسان قبل النقطة الفاصلة في الايمان، حتى يقبل الى المسيح. اما

لا أخرجه خارجاً . ٣٨ لاني قد نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتي
بل مشيئة الذي ارسلني . ٣٩ وهذه مشيئة الآب الذي ارسلني

المقطع الرابع : « لا أخرجه خارجاً » ، فانه يتمشى مع الثاني ، وهو يصف لنا سعة قلب المسيح المحب . فاذا كان المقطع الثاني يقرر يقينية خلاص المؤمنين بكلمات ايجابية جامعة ، فان المقطع الرابع يؤكد هذه اليقينة بكلمات سلبية قاطعة ، مانعة : « لا أخرجه خارجاً » . ان جيشاً عظيماً من البشرية ، على ممر الاجيال ، مدينون لليهود ، بهذه الكلمات المشجعة التي فاه بها المسيح رداً عليهم

عدد٣٨و٣٩ . (ج) المؤمنون بالمسيح هم موضوع صيانته ورعايته ٦ :٣٨و٣٩

في نهاية العدد السابق ، أعلن المسيح ترحيبه الدائم بمن يُقبلون اليه . وفي هذين العددين يرينا الباعث الاساسي لهذا الترحيب — وهو انه تجسد ليعمل مشيئة الآب الذي ارسله ، وان هذه المشيئة هي : ان لا يتلف شيئاً مما اعطاه الآب اياه ، وان موت الجسد لا يحسب اتلافاً ، لانه سيقيم الموتى في اليوم الاخير . قبلاً رأينا المسيح مرحباً بمن يقبلون اليه ، والآن نراه معتنياً بهم ، ومحافظاً عليهم ، ان ترحيب المسيح بالمؤمنين يعبّر عن سعة قلبه وغزارة حبه . أما محافظته عليهم ، فتعبّر عن عظمة قدرته ، وشدة ولائه للآب الذي يريد ان جميع المؤمنين بالمسيح يكونون محفوظين . قد أشار المسيح اربع مرات في هذا الخطاب ، الى نزوله من السماء (عدد ٣٨و٥٠و٥١و٥٨) ، وهو يريد بها التجسد . وفي هذا برهان جلي على سبق وجود المسيح قبل التجسد . اما الغاية المثلى من تجسد المسيح فهي اتمام مشيئة الآب الذي ارسله . لانه

ان كل ما اعطاني لا أتلف منه شيئاً بل

من حيث كونه فادياً ، قَبِل على نفسه القيام بكل مطاليب الفداء كوسيط

على ان تسليم المسيح ارادته للآب ، لا يجرّده من حرّية ارادته ، بل يجعل ارادته موافقة لارادة الآب . ولا يطعن في شخصيته ، بل يُعتبر اقوى حجة لاثبات كمال بنوّته. فمن كمال الابن، الطاعة للآب. هذا برهان جديد على صحة اقنوميته ، وبالتالي على عظمة لاهوته

فاذاً كلٌ من « يُقبل اليه » ، حاملاً على جبينه ختم الآب ، « لا يخرجه خارجاً »، بل يرحّب به و يرعاه، و يحافظ عليه.لانه اذا كان المسيح قد اظهر حرصه على كِسَر الخبز التي فضلت عن الآكلين ، والخبز المادي عطية من الآب (عدد ١٢) ، أفلا يحرص بالأولى جداً على اعضاء جسده الروحيّ ، السريّ ، لكي لا يفلت ولا يتلف منهم احد ، وهم عطية الآب له ؟ !

في عدد ٣٩ عبّر المسيح عن محافظته على المؤمنين ، بكلمتين : احداهما سلبيةٌ : «لا اتلف منه شيئاً». والثانية : ايجابية. «بل أقيمه في اليوم الاخير» . والسلبيةٌ تمهيدية للايجابية . الكلمة : «اعطاني» وردت هنا بصيغة الماضي، لتفيد التعيين السابق، والدعوة الازلية (رو ٨:٢٩و٣٠). والعبارة : «أُقيمه في اليوم الاخير » تكرّرت أربع مرات في هذا الخطاب (عدد ٣٩و٤٠و٤٤ و٥٤) . ما اشبهها بقرار انشودة جميلة! ان الخبز الطبيعي يحفظ حياة آكله ، الى ان يأتيه مرض . من ثمّ يتحول له مصدر الغذاء ، الى سبب للداء . ومتى هجم عليه الموت فلا حول ولا طول للخبز المادي . لكن المسيح — الذي هو

أقيمه في اليوم الاخير. ٤٠ لان هذه هي مشيئة الذي ارسلني ان كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حيوة أبدية

« الخبز الحيّ النازل من السماء » — يحصّن الانسان ضد «التلف»، الذي هو الضعف الروحي الناشئ عن الارتداد، والرجوع الى الشرّ والاركان الضعيفة، ويقيه شرّ الموت الجسدي، اذ « يقيمه في اليوم الاخير ». (١ كو ١٥)

عدد ٤٠. *مسئولية الانسان في هذه الصيانة*: «لان هذه هي مشيئة». لم يشأ المسيح ان يختتم هذا الجزء من الخطاب من غير ان يشير الى مسئولية الانسان في هذا الحفظ — وهي أن « يرى الابن ويُؤمن به ». وقد كان من الضروري ان يصرّح بهذا التصريح، لان عدم ايمان سامعيه به، كان علة عدم ترحيبه بهم. عيبهم انهم رأوا ولم يؤمنوا مع انهم سبقوا فطلبوا آية، «ليروا و يؤمنوا». ولما أعطيت لهم الآية في شخصه، انطبق عليهم القول: «مبصرين يبصرون ولا ينظرون»: «رأيتموني ولستم تؤمنون» (عدد ٣٦). وفي الواقع يعتبر عدد ٤٠ مكملاً ومؤيداً لعدد ٣٩. والفرق الرئيسي بينهما هو ان عدد ٣٩ يشير الى الجانب الالهي في الخلاص، وعدد ٤٠ يتكلم عن الجانب الانساني. ان نصيب المؤمنين، كما يتبيّن من عدد ٣٩، هو «الصيانة» وكما يتبين من عدد ٤٠ هو «الحياة الابدية»

« يرى ويؤمن » — كلمتان: اولاهما ممهدة للثانية، وثانيتهما مكملة للأولى. فالانسان يرى او يسمع، فيكوّن لنفسه صورة لما يراه او يسمعه، ثم يتأمل الشخصية المرتسمة أمامه في الصورة، فيميل اليهـا، ويُعجبُ بها، فيثق،

وأنا اقيمه في اليوم الاخير . ٤١ فكان اليهود يتذمرون عليه لانه
قال انا هو الخبز الذي نزل من السماء .

ويتكل ، ثم يعبد. « يرى ويؤمن » — كلمتان : احداهما مفسرة للاخرى . فالرؤية هي النظر بالعين الطبيعية المجرَّدة ، والايمان هو النظر بالعين الروحية الباطنية التي ترى ما — ومن — لا يُرى (عب ١١:١)

عدد ٤١ . (ب) *الحديث الثاني* ٦:٤١—٥١ . يتضمَّن هذا الحديث

اولاً : *تذمر اليهود* ٦:٤١و٤٢. ثانياً: *المسيح يصارحهم بعدم اهليتهم له* (٦:٤٣—٤٦) . ثالثاً : *المسيح يعلن لهم انه هو خبز الحياة* ٦:٤٧—٥١

أولاً : *تذمر اليهود* ٦:٤١و٤٢ . (ا) طبيعة تذمرهم (عدد ٤١) . نرى في هذا الحديث انتقالاً في الفكر ، وتبايناً في روح الكلام ، وتغيراً في البيئة ، عما في الحديث الاول . غالباً كان الحديث الاول موجهاً الى الجمهور ، وأما الحديث الثاني فموجّه الى رؤساء اليهود . ولعلَّ بعضاً منهم كانوا موفدين من السنهدريم ليمسكوا يسوع بكلمة، والبعض الآخر من الجليل. الكلمة: «تذمر» — في الاصل — لا تفيد بالضرورة انهم نطقوا بكلماتٍ على مسمع من المسيح ، بل انهم تمتموا ، فعلم المسيح بما كان يختلج في صدورهم (٥:٤٣و٢:٢٥) . كان تذمرهم مظهراً من مظاهر شكوكهم (٧:٣٢) ، وتعثرهم (٦:٦١ ولوقا ٥:٣٠) . اما الباعث لهم على هذا التذمر فهو قول المسيح : « انا هو الخبز الذي نزل من السماء» . ومع ان المسيح لم يفه بهذه الكلمات كما هي ، لكنهم التقطوها وجمعوها معاً من جملة عبارات فاه بها الفادي (عدد ٣٣و٣٥و ٣٨)

٤٢ وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بابيه
وأمه. فكيف يقول هذا اني نزلت من السماء. ٤٣ فاجاب يسوع
وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم

عدد ٤٢. (ب) موضوع تذمرهم عدد ٤٢. «أليس هذا هو يسوع..»؟ عبّر اليهود — فيما بينهم — عن تذمرهم، بكلمات تحقير القوها كسهام مسمومة على المسيح. وهذا التحقير كان منصباً على — (ا) شخصه: «أليس هذا هو يسوع»؟ ان نغمة تحقيرهم له، بلغت اشدّها عند نطقهم بكلمة: «هذا». (ب) اصله: «بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وامه». لم يكن هؤلاء اليهود عارفين بالطريقة المعجزية التي ولد بها المسيح من عذراء، وليس بغريب ان مرّ المسيح بلغوهم هذا، مرّ الكرام. لانه لم يجد داعياً لمناقشة قوم في امر لا يُقبل الا بالتسليم والايمان سيما وانه وُلد في سكون الليل، في خانٍ وضيع والبشر كلهم نيام. واي نفع يرتجى من القاء درة هذه المعجزة الخالدة، امام من تسلحوا بنية عدم الايمان؟! واذا كان قد صرّح لهم بالمعلنات فلم يؤمنوا، فكيف يؤمنون اذا أفضى اليهم بالأسرار والمكنونات؟ فضلاً عن هذا، فان عدم علمهم بميلاد المسيح من عذراء لم يكن العلة الرئيسية في عدم ايمانهم

عدد ٤٣. (ج) جواب المسيح ٦: ٤٣—٥١ بيّن المسيحُ لهم في جوابه هذا ان لا معنى لتذمرهم من كلامه. فليس العيب في كلامه، بل في فهمهم لانهم من ذواتهم لا يقدرون ان يأتوا اليه، ولا ان يفهموا كلامه. انهم لا يقدرون أن يأتوا اليه ان لم يجتذبهم الآب (عدد ٤٤)، ولا يستطيعون ان يفهموا كلامه

٤٤ لا يقدر أحد ان يقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب الذي ارسلني

ما لم يتعلموا من الله (عدد ٤٥)، و ينتسبوا اليه انتساباً فعلياً حيوياً (عدد ٤٦)

عدد ٤٤. *الطريق الوحيد الى المسيح*. لم يقصد المخلص بهذه الكلمات، ان يُعجز الناس عن الاتيان اليه، بل اراد ان يظهر لهم عجز قدرتهم الطبيعية عن تخليص انفسهم، وعدم قدرة العقل الطبيعي على فهم المعلنات السَّماوية السامية. وفي الوقت نفسه فتح لهم باب المجيء اليه، على مصراعيه، اذ اراهم الباب الوحيد الحقيقي. على ان المسيح في تصريحاته هذه لم يطلع عليهم بحديث جديد، بل كلمهم عن حقيقة سبق فكتب عنها الانبياء. وقصد بـ «الانبياء» تلك الأسفار المعروفة بهذا الاسم في العهد القديم العبريّ (انظر اشعياء ١٣:٥٤ وقابله بما جاء في ارميا ٣١: ٣٣و٣٤ و يوئيل ٢: ٢٨ و٣: ١)

ان ما قاله المسيح عن اجتذاب الآب للمؤمنين، يوضح و يكمل ما قاله في عدد ٣٧. عن كون المؤمنين عطية الآب له. وما هذان القولان، سوى تعبيرين لحقيقة واحدة. فاجتذاب الآب للمؤمنين هو الوسيلة الفعَّاله لتنفيذ ما قصده بهم منذ الازل، من حيث كونهم عطية للمسيح. فالمؤمنون هم عطية الآب للمسيح بقضاء خارجي، لكنهم يأتون الى المسيح بجاذبية داخلية، سرية فعَّالة. ومن الاهمية بمكان ان نذكر ان اجتذاب الآب للمؤمنين، لا يلغي إرادتهم، بل يطبع اراداتهم بطابع ارادته، فيريدون من تلقاء ذواتهم، ما سبق فأراده هو لهم و بهم. لانه لا يجتذبهم اعتباطاً، بل اغتباطاً. ولا يدفعهم بالعنف بل يستميلهم باللطف: « بحبال البشر.. بربُط المحبة ». ان اجتذاب الآب

وانا اقيمه في اليوم الاخير. ٤٥ انه مكتوب في الانبياء ويكون
الجميع متعلمين من الله.

للخطاة هو النقطة التي يلتقي عندها الاختيار، بالدعوة الفعالة. فالله من فرط حبه للخطاة، أرسل المسيح من السماء الى العالم، ليكون واسطة اجتذاب الناس من العالم الى السماء. وقد ذكر المسيح كلمة: «وانا أقيمه في اليوم الاخير»، في هذا المكان ايضاً، ليفهم سامعيه انه واذا كان الآب منشئ الخلاص فان المسيح مكمله. باجتذاب الآب يأتي الخطاة الى المسيح، و بمحافظة المسيح عليهم يظلون على الدوام معه وله

عدد ٤٥. قوة المكتوب... او كلمة الله المتجسد يستشهد بكلمة الله المكتوبة وكذلك كلمة الله المكتوبة تشهد «لكلمة الله» المتجسد (انظر ٥: ٣٩). متى علمنا مما جاء في عدد ٥٩، ان المسيح نطق بهذه الكلمات وهو يعلّم في المجمع في كفر ناحوم، فلا يبعد ان يكون قد قرأ هذه الكلمات من درج الكتاب (قابل لوقا ٤: ١٧). كان اشعياء مشيراً بنبوته الى العصر المسيحي، الذي يكون رجاله متعلمين من الله. وواضح انه لا يتعلم من الله الا الشخص الذي يدخل مدرسة الله الروحية، ليسمع منه. ومن يسمع من الآب ويتقبل تعاليمه ويتفهمها، ويخضع نفسه لسلطانها، يُقبل الى المسيح. ان كلمة «جميع»، التي في بدء العدد، تختلف عن كلمة: «كل» التي في الجزء الثاني منه. الأولى تعميمية تشير الى رجال العصر المسيحي كمجموع، والثانية تخصيصية تشير الى كل من يقبل تعاليم الله فرداً فرداً. فكلمة: «كل» تعيّن تفصيلياً مَن

فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل اليّ . ٤٦ ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الله .

تعنيهم كلمة: «جميع» اجمالياً. وعليه يكون الجزء الثاني من هذا العدد، نتيجة طبيعية للجزء الاول ومؤيداً له. فما اجلّ قدرة المسيح! اذ لا يقدر احد ان يدخل مدرسته الا متى تتلمذ في مدرسة الآب: «كل من سمع من الآب وتعلم، يقبل اليّ» . هذا هو الشيء الجوهري الذي كان يعوز سامعيه

عدد ٤٦. *تفرد المسيح برؤية الآب*: «ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الله» — هذا استدراك لما يمكن ان يُستنتج خطأً من العدد السالف. فرق عظيم بين من يتعلم من الله و بين المسيح. ان من يتعلم من الله يسمع الله يتكلم، لكن المسيح وحده، هو الذي رأى الآب ، لانه «من الله» — هذه الكلمة الاخيرة : «من الله» ، تفسرها العبارة التي وردت في ١: ١٤ : «كما لوحيد من الآب» (انظر ١: ١٨ ؛ ٨: ٤٢ ؛ ١٦: ٢٧) . ان الذين يتعلمون من الآب ، لا يشاركون المسيح في مقامه ، لانه في مقام ممتاز لا يدانيه فيه سواه ، وهو الوحيد الذي كان في حضرة الآب ، ورآه ، وعرفه ، و يستطيع ان يخبّر عنه بتدقيق وافاضة ، فهو « كلمة الله » (٣: ١٧ ؛ مت ١١: ٢٧) . ان قوله: « من الله » لا يصف المسيح في مصدر رسالته كأنه مجرد رسول « من الله» ، بل يصفه في جوهره وأصل طبيعته . (انظر ٧: ٢٩) . «انا اعرفه لاني منه» ... هذا قد رأى الآب» . قد يكون القصد الاساسي من هذه الكلمات، وصف المسيح قبل التجسد . لكنها مع ذلك تصفه ايضاً وقت التجسد .

هذا قد رأى الآب. ٤٧ الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي فله
حيوة ابدية.

فهي لا تصف اختباراً ماضياً وكفى، لكنها تتناول ايضاً حالة دائمة مستمرة — هي شعور المسيح الدائم بصلته الوثيقة بالآب. (٣:٣٤و٣٥ ; ١٤:١٠).وقال: «قد رأى» من قبيل التحقيق، للدلالة على ان هذه الرؤية مبنية على الصلة الازلية التي بين الآب والابن

عدد ٤٧ . يسوع خبز الحياة ٦:٤٧—٥١ . ان كلام المسيح في الاعداد السابقة ممهد لكلامه الآتي، كما ان كلامه الآتي، مقرر ومثبت لكلامه السالف.فكل من يقرأ كلامه—من عدد ٤٧ وما بعده—يشعر ان نغمة خاصة لابسته، هي نغمة الثقة، واليقين، والجدّ الرهيب: « الحق. الحق » . فقد اعتدنا ان نسمع هاتين الكلمتين معاً ، من فم المسيح، كلما أراد ان يقدم لسامعيه اعلاناً جديداً ممتازاً، مستمداً من الصلة الفريدة التي تربطه بالآب (عدد٤٦).انه بقوله هذا،يتحدّى اليهود «المتذمرين فيما بينهم» من جهة أصله (عدد ٤١و٤٢). هذا وان مكافأة الايمان بالمسيح هي: «الحياة الابدية» — هذه مكافأة طبيعيةً لا تُعطى اعتباطاً، لان الايمان الحيّ يُتحد الانسان الميت، بالمسيح الحيّ،فيخلع عنه أكفان العدم ويمتعه بجدّة الحياة.لا بل هذه مكافأة حاليةً ولو انها ابدية: « له ». فهي ملك المؤمن في الحياة الحاضرة ولو ان غنى مكنوناتها سيكشف في الحياة العتيدة. هي لنا الآن، في البزرة . وستكون لنا في الدهر الآتي، شجرة ناضجة الثمار (٣:٣٦)

٤٨ انا هو خبز الحيوة. ٤٩ آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا.

ان الايمان هو الوسيلة التي بها تعرف النفسُ المسيح — ومعرفته هي الحياة الابدية (١٧: ٣)

عدد ٤٨ . الاعلان الاول في هذه البشارة — انا هو خبز الحياة. بعد أن ردّ المسيح على اعتراضات اليهود التي بدت من تذمرهم، استأنف كلامه الذي فاه به في ٦: ٣٢ — ٤٠، وتقدّم فيه مرتقياً على درجات متصاعدة. فما صرح به في ع ٤٨ ، يؤيد ما نطق به في ع ٤٧ ، ويقرر ما فاه به في ع ٣٦ ، و يزيده توكيداً وايضاحاً

عدد ٤٩ . الخبز البائد: «آباؤكم أكلوا المن..» — في هذا العدد ردد المسيح ما قاله اليهود في ع ٣١. ومن كلامهم دانهم: «آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا» — اذاً فالمن الذي افتخروا به ، انما هو طعام ميت . ولو كانت فيه حياة، لظهر أثرها في الذين اكلوا منه. ومع ان الموت المشار اليه هنا ، هو الموت الجسدي الذي أصاب الاسرائيليين في البرية ، الا انه كان ايضاً موتاً عقابياً ، تأديبياً ، أبدياً . لم يستطع المن ان يرفع عنهم حكم الموت. ولا ان يدفع عنهم غائلة الفناء، فيجوز لنا ان نلقبه : «خبز الموت» — بخلاف المسيح الذي هو « خبز الحياة» . فهو خبز حيّ ومحيٍ ، وقد رفع عن المؤمنين حكم الموت، ووهبهم حياة ابدية ، لن تتطاول اليها يدُ الموت . فهي « ابدية » في مداها ، وفي طبيعتها ، وفي عمقها ، وفي سعتها

٥٠ هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان

عدد ٥٠ . وصف مثلث لخبز الحياة : «هذا هو الخبز . . . » : (ا) أصله: « النازل من السماء » . ويلاحظ ان ضمير المتكلم : « أنا » (عدد ٤٨) ، قد استعيض عنه باسم الاشارة : « هذا » (عدد ٥٠) ، لان المسيح كان يتكلّم في عدد ٤٨ عن شخصه باعتبار كونه خبز الحياة ، وهو الآن يتكلم عن شخصه باعتبار كونه واهب هذا الخبز للعالم . في الأول رأيناه طعام العالم ، والآن نراه مُطعم العالم ومقيته. فيما سبق، تكلم عن كفاية شخصه وقوته، والآن يتحدث عن مشيئته الحرة التي بها قدَّم نفسه اختياراً وطوعاً ، لاجل حياة العالم . انَّ في قوله : « النازل من السماء » اشارةً الى تجسده وحضوره الدائم المتجدّد . (ب) القصد الالهي فيه : «لكي يأكل منه الانسان» . ان الغاية الاساسية من الخبز ، ليست ان يتطلّع اليه الانسان ، ولا ان يحلّله تحليلاً كيماوياً ، بل ان يأكله . ولا يفوتنا ان في استمارة الاكل تخصيصاً فردياً ، فقد يتكلم انسان بدلاً من آخر ، وقد يعمل عمله عوضاً عنه ، لكن من المحال ان يأكل انسان طعاماً عوضاً عن آخر . فالاكل عمل فردي . كذلك الايمان . وكما أنَّ الطعام يصير بأكله جزءاً لا يتجزأ من جسم الانسان ، ويستحيل بعد مضغه وهضمه الى غذاء يتغلغل في عصارة الجسم ، فيصير بعضه لحماً ، والبعض الآخر عظماً ، والآخر دماً ، لدرجة يصبح هو في الانسان ، والانسان فيه ، كذلك بالايمان يتحد الانسان اتحاداً حيوياً بالمسيح ، فيصير المسيح فيه ،

ولا يموت . ٥١ انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء .

وهو في المسيح . (ج) فاعليته : « ولا يموت » الاشارة هنا الى الموت الروحيّ الابديّ — هذا هو الموت الثاني

عدد ٥١ . *يسوع الخبز الحي*: «انا هو الخبز الحي» . عاد المسيح في هذا العدد الى ضمير المتكلم : « أنا » ، كما في عدد ٤٨ . الا انه في هذا العدد ، وصف نفسه بأنه « الخبز الحي » . والوصف الثاني هو العلة الاساسية للوصف الاول . فهو خبز الحياة لانه خبز حيّ . العبارة : «خبز الحياة» — تصفه في فاعليته : اي انه يهب الحياة ويحفظها . والكلمة : «الخبز الحي» : تصفه في طبيعته — أي ان الحياة ذاتية فيه

اذا القينا نظرة عامة على هذا العدد ، ألفيناه — في الجزء الاول منه — يماشي العدد السابق ، مع تدرُّج في المعنى ، وتعمق في الوصف ، وتقدّم في الاعلان:

عدد ٥٠ —	هذا هو الخبز	النازل من السماء	لكي يأكل منه الانسان	ولا يموت
عدد ٥١ —	أنا هو الخبز الحي	الذي نزل من السماء	ان اكل احد من هذا الخبز	يحيا الى الابد

فقوله : «انا هو الخبز الحيّ» يخلع على الخبز وصفاً جديداً لم يُذكر في العدد السابق — «الحيّ» . والفرق بين قوله: «النازل من السماء» (عدد ٥٠)، وقوله «الذي نزل من السماء» (عدد ٥١) ، هو ان الأول يصف تجسُّد المسيح باعتبار كونه طعاماً ، مستديماً ، متجدّداً كل يوم ، وفي متناول جميع البشر . والثاني يصف التجسد كحقيقة تاريخية ، تمت مرّة واحدة. أمّا قوله : «لكي يأكل منه الانسان » (عدد ٥٠) ، فيصف الخبز من جهة قصد الله الازلي

ن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذي انا اعطي
هو جسدي الذي ابذله

يه . وقوله : « ان أكل احد من هذا الخبز » (عدد ٥١) يصفه من جهة
ترية ارادة البشر في تناوله او رفضه . ان كلمة « إنسان » في عدد ٥٠ ،
كلمة اجمالية ، وكلمة «احد» في عدد ٥٠ ، كلمة تفصيلية . اما فاعلية هذا الخبز
قد وُصفت في عدد ٥٠ ، وصفاً سلبياً : « لا يموت » — لان الانسان
لطبيعي مولود تحت حكم الموت . وقد وُصفت في عدد ٥١ ، وصفاً ايجابياً .
«يحيا الى الابد» . هذا وصف أقوى ، يشير الى دوام الحياة . ولعل الوصف
لأول يشير الى بدء اختبار المؤمن ، والثاني الى بلوغه وتمامه

الى هنا يفترق العددان، فتنتهي خطوات اولها الى الحدّ الذي تركناه
نيه ، ويتقدّم بنا الثاني إلى اعلان جديد : « والخبز الذي انا اعطي هو
جسدي الذي أبذله من اجل حياة العالم » . فيما سبق كان المسيح يتكلم
عن شخصه ، والآن نراه منتقلاً من الكلام التعميمي عن « شخصه » ، الى
لتخصيص التفصيلي عن « جسده » . فبدلاً من قوله فيما مضى : « انا هو
لخبز » نسمعه الآن يقول : « والخبز . . هو جسدي » . ثم انتقل من هذه
لنقطة الى ما هو ابعد منها ، فأرانا الطريقة التي بها يقدم جسده ليكون طعاماً
لعالم — بالصلب : «الذي أبذله» . فمن الكلام عن شخصه — الى الكلام
عن تجسُّده — الى الكلام عن موته . ان شخصه ازلي ، لكنه ظهر للعالم
التجسد ، وجسده صار طعاماً للعالم بكسره على الصليب

من أجل حيوة العالم. ٥٢ فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف

متى علمنا من مقدمة هذا الفصل، ان المسيح فاه بهذه الكلمات في وقت كان فيه عيد الفصح قريباً (عدد ٤)، فمن المحتمل جداً ان يكون هذا الكلام منطوياً على مقابلة ضمنيةً بين حمل الفصح اليهودي الذي كان يُقدَّم لاجل عائلة يهوديةّ واحدة، و بين المسيح فصحنا الاعظم الذي كان آنئذٍ على استعداد ان يُبذل على الصليب «من اجل حياة العالم» أجمع

وكما كان اليهود ينتفعون من حمل الفصح، بدمه الذي يرشونه على القائمتين والعتبة العليا، و بلحمه الذي كانوا يأكلونه داخل البيت، كذلك ينتفع المؤمنون، بدم المسيح و بجسده. هذه هي الحقيقة التي اراد المسيح ان يوضحها في الحديث الآتي

(ج) الحديث الثالث ٦: ٥٢—٥٩. يعتبر هذا الحديث تتمة للحديث السابق وتوضيحاً له. في الحديث السابق لمحنا اليهود «يتذمَّرون فيما بينهم» (٦: ٤١—٤٣)، والآن نسمعهم «يخاصمون بعضهم بعضاً.. قائلين..» (٦: ٥٢)

عدد ٥٢. (١) تخاصم اليهود. ان تذمر اليهود فيما بينهم، قد تطور الى تخاصم وتنابذ. قبلاً كانوا يتذمرون كمجموع. أمَّا الآن، وقد ازاح المسيح حجاباً خفيفاً كشف عن جانب من الحق الالهيّ، وأراهم بصيصاً من نوره، أضحى بعضهم في جانبه، وأمسى البعض الآخر ضده. فخاصم بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لنأكل». إن استعارة الاكل لم

يقــدر هذا ان يعطينا جسده لنأكل. ٥٣ فقال لهم يسوع الحق
الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه

تكن غريبة عن العقليّة اليهودية . فقد استُعير بها عن كلام الله في نبوات ارميا : «وُجد كلامك فأكلته» (ارميا ١٥:١٦). ووردت أيضاً في التلمود عن مسيا (المسيح)، فقيل: «أكل مسيًّا» — بمعنى قبوله بفرح واعتناق مبادئه القويمة. لذلك يلوح لنا ان اليهود، لم يخاصم بعضهم بعضاً لان المسيح استعمل استعارة « الأكل » في حدّ ذاتها ، بل لانه ، وهو وضيع الأصل في نظرهم (عدد٤٢)،اتّخذ لنفسه مقام «مسيًّا»،وقال انه يقدّم جسده طعاماً للعالم اجمع!! ان أمرّ كلمة في احتجاجهم، هي قولهم : «هذا» !! ويتضح لنا جلياً من كلمة «خاصم . . بعضهم بعضاً»، ان بعضاً منهم ، ربما بسبب ما رأوه من معجزاته، او بما تأثروا به من قوة شخصه ، قد قبلوا كلامه ، وأقرّوا له بهذا الحق ، فوقفوا في جانبه ، والبعض الآخر كانوا في موقف التعجب: « كيف يمكن» ؟! لذلك تخاصم الفريق الأول مع الثاني

(٢) جواب المسيح ٦:٥٣—٥٩ . « فقال لهم يسوع . الحق الحق اقول لكم . . » . أمام تخاصم اليهود ، مع بعضهم البعض ، لم يتراجع المسيح في كلامه ، لكنه تابع اقواله ، لكي يزداد النور أمام من أُعطي لهم ان يروا ، ويتكاثف الظلام أمام من اغمضوا عيونهم ضدّ النور ، بارادتهم . قبلاً كان يحدّثهم عن جسده الذي « يبذله من اجل حياة العالم » ، والآن حدّثهم تفصيلياً عن جسده ودمه : « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه

فليس لكم حيوة فيكم. ٥٤ من يأكل جسدي ويشرب دمي

فليس لكم حياة فيكم » . ومن المؤسف ان نرى ان هذا الاعلان الجديد لم يزحزح اليهود قيد أنملة عن شكوكهم ، بل زادهم في موقفهم صلابة ، سيما عند قوله لهم : « .. وتشربوا دمه » . (عدد ٥٣) . لان اكل الدم — او شربه — كان محرماً على اليهود (تك ٩:٤ ولاويين ١٧:١٠—١٦) ، لذلك بلغ نفورهم مبلغاً كبيراً لدى سمعهم قوله : « وتشربوا دمه » . فحق للذين لم يعترفوا باصله السماوي ، ان يتذمروا من كلامه هذا ، سيما وانهم كانوا يزعمون انهم يعرفون أصله وأهله ، جيد المعرفة

وجدير بنا ان نذكر ان المسيح فاه بهذا الاعلان الجديد بنغمة الواثق ، اذ استهله بهاتين الكلمتين التاريخيتين : « الحقّ الحقّ » كعادته عند كل اعلان جديد ممتاز ، مستمد من صلته الفريدة بالآب . وقد ردّد الفادي هذا الاعلان المجيد اربع مرات (عدد ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦)

عدد ٥٣ . **المرة الاولى التي صرح فيها المسيح بهذا الاعلان** : في هذه المرة ذكر المسيح هذا الاعلان بصيغة سلبية مبيناً بصورة قاطعة ان اكل جسد ابن الانسان وشرب دمه لازمان لزوماً حتمياً لنوال الحياة [١]

عدد ٥٤ . **المرة الثانية**. هنا أورد المسيح كلامه بصيغة ايجابية، مفرغاً المعنى في قالب التخصيص فبدلاً من قوله: «جسد ابن الانسان ودمه» (عدد ٥٣)، قال : « جسدي ودمي » . مبيناً انه هو ابن الانسان ، وصرّح ايضاً بوعد

(١) ان قوله « حياة فيهم » يتفق تماماً مع قوله للسامرية « . . فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة ابدية » (٤:١٤)

فله حيوة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الاخير. ٥٥ لان جسدي مأكل

وصف فيه أمد الحياة التي ذكرها في عدد ٥٣ : « حياة ابدية » . اما جسد المسيح فيكنى به عن حياته ، ودمه يكنى به عن موته . فحياته هي قوام حياتنا ، ودمه هو نبع حياتنا وأصلها . بدمه الكفاري ننجو من الموت العقابي فنحيا . وبحياته نقتات بواسطة روحه القدوس كل يوم فنحتفظ بالحياة . كذلك كان حمل الفصح . فدمهُ يُرَش للنجاة من الموت، ولحمه يؤكل ليحفظ الحياة. وقد اشار المسيح الى دمه في هذا الحديث ، للدلالة على ان حياته لا يمكن ان تكون لنا الا متى سكبها للموت عنا . فجسده لا يؤكل الا بعد كسره ، ودمه لا يُشرب الا اذا انفصل عن جسده بالصليب . وجسده ودمه معاً ، يشيران الى المسيح الحيّ التاريخي — ابن الله وابن الانسان—الله ظهر في الجسد في ملء الزمان . اما قوله : « وانا اقيمه في اليوم الاخير » ، فيشير به الى قيامة الاجساد . ويقول «لانجي» ان اليوم الاخير هو الفترة التي بين مجيء المسيح الثاني والدينونة . هذه هي المرة الرابعة التي ذكر فيها المسيح هذا الوعد: «وانا اقيمه في اليوم الاخير» (٣٩و٤٠و ٤١) ليقرّر مؤكداًان من يأكل الخبز الحيّ الذي هو المسيح ، فلا سلطان للموت عليه—سواء أكان موت الجسد أم موت الروح ، بخلاف الذين أكلوا المنّ فماتوا — بالجسد وبالروح ايضاً

عدد ٥٥ . *المرة الثالثة* : في هذه المرّة كرّر المسيح كلامه عن اكل جسده وشرب دمه مبيناً العلة الاساسية في كون أكل جسده وشرب دمه ، شرطين لازمين لنوال الحياة الابدية : « لان جسدي مأكل حق . ودمي

حق ودمي مشرب حق . ٥٦ من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت

مشرب حق» . أعني ان أكل جسد المسيح ، وشرب دمه ، ليسا من الامور الوهمية بل من الحقائق الراسخة الجوهرية . على ان هذا لا ينفي كون كلام المسيح مجازياً، كما بيَّن هو في عدد ٦٣ ، لأنَّ الحقيقي لا ينافي المجازي ، وانما يتنافى مع الوهميّ . ويجوز ان تُترجم هذه العبارة الى : «جسدي[1] مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي»

عدد ٥٦و٥٧ . *المرة الرابعة* . في هذه المرّة عاد المسيح فتكلّم عن أكل جسده وشرب دمه ، فبيَّن: (١) *جوهر الحياة الابدية* ، التي يتمتع بها من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه — وهو اتحاده بالمسيح وثبوته المتبادل فيه، (عدد ٥٦) : «من يأكل جسدي ، ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيه» . ان ثبوت المؤمن في المسيح ، هو نقله من تربة الذات الميتة، الى تربة الحياة الجديدة في المسيح . وهو قطعه من شجرة العالم الجرداء ، وتطعيمه في المسيح الذي هو الكرمة الحقيقية. اما ثبوت المسيح في المؤمن، فيراد به ان شخصية المسيح الحيّ تتغلغل في حياة المؤمن وفي شخصيته فلا يعمل المؤمن الا ما يعمل المسيح ، ولا ينطق الا بما يوحي اليه المسيح . فكما ان الطعام الذي يأكله الانسان يسري في الجسم، فيصبح هو في الجسم والجسم فيه، وكما ان الماء الذي يشربه المرء يتوزع في اوعية الجسم فيصير هو في الجسم والجسم فيه ، كذلك من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه يثبت في المسيح والمسيح فيه. كلمة «ثبوت» تفيد الدوام المبني على الحياة المتبادلة . وهي من الكلمات التي اختص يوحنا

(١) كما في ترجمة اليسوعيين

فيَّ وانا فيه . ٥٧ كما ارسلني الآب الحي وانا حي بالآب

بتسجيلها (١٤: ١٠و٢٠و١٥: ٤و٥و١٧: ٢١).هذه باكورة كلام المسيح الوارد في الاصحاح الخامس عشر . و بالاجمال فان قول المسيح « يثبت فيَّ وانا فيه » يحقق لنا ان المسيح هو الكلّ في الكلّ في حياة المؤمن . فاذا شبهنا حياة المؤمن بدائرة ، فالمسيح مركزها ومحيطها . او بنهر ، فالمسيح نبعه وهو هو البحر الذي فيه يصب النهر . او بطريق ، فالمسيح بدء هذا الطريق وغايته

عدد ٥٧ . (ب) *نبع حياة المؤمن* . اذا كان العدد الماضي يحدثنا عن جوهر الحياة الابدية،فان هذا العدد يحملنا الى اصل هذه الحياة ونبعها — فهي حياة تُستمد من المسيح ، وتنبع من الآب رأساً : « كما ارسلني الآب الحيّ وانا حيّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي» اي ان اجتياز الحياة من الآب الحيّ الى الابن الحيّ ، هو نموذج ، ومثال ، وعلة اجتياز الحياة من الابن الحيّ الى المؤمن . يتألف هذا العدد من سطرين متوازيين : يخبرنا اولهما عن صلة الآب بالمسيح الابن ، ويحدثنا الثاني عن صلة المسيح بالمؤمن . وكل من هذين الشطرين يتضمّن عبارتين — احداهما تصف المعطي ، والاخرى تصف الآخذ. فالآب هو الحيّ ،وهو المصدر الاصلي للحياة، والعلّة المطلقة لها . والابن — باعتبار كونه فادياً، ومرسلاً من الآب — هو حيّ به ، لانه يستمد كيانه الانساني منه ليتمّ رسالته التي جاء أرضنا لاجلها . كلمة : « انا حي » لا تعني الكيان المطلق، لكنها تصف حياة المسيح الانسانية في جميع مظاهرها (٢:٤ و٧:٦ و١٦و٨:٢٨) . والنتيجة الطبيعية لهذه الحقيقة هي ان المسيح

فمن يأكلني فهو يحيا بي . ٥٨ هذا هو الخبز

في حياته على الأرض قد أرانا «صورة طبق الاصل» من حياة الله . والشطر الثاني يصف المسيح بأنه قوت المؤمن ، ويصف المؤمن في اقتياته الدائم بالمسيح : « من يأكلني فهو يحيا بي »

من هنا يتضح لنا عمق الصلة الفريدة الممتازة التي بين الابن والآب — تلك الصلة، التي لا يشاطره اياها احد من البشر. ان الآب قد اودع الحياة في الابن وحده ، فالسبيل الوحيد للتمتع بالحيـاة ، هو ان يتقدم الانسان الى المسيح لينال منه الحياة

ومن الاهمية بمكان ان نذكر ان المسيح يتكلم في هذا العدد عن حياته الانسانية الارضية . اما حياته الالهيه فقد حدّثنا عنها في عدد ٤٦ « ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الآب »

عدد ٥٨ . *مجمل الحديث* . عاد المسـيح الى تلك الاستعارة الاولى التي استمدّها من معجزة اشباع الآلاف — استعارة « الخبز » . فبدلاً من تكلمه تفصيلياً عن «أكل جسده وشرب دمه» (٥٣و٥٤و٥٥و ٥٦) أجمل الكلام فركّزه في شخصه فقال : «من يأكلني» عدد ٥٧ . ولما بلغ الحديث منتهاه ، رجع الى الكلام عن «الخبز»، مُقارناً إياه : «المنّ» الذي اكله الاسرائيليون في البرية وماتوا ، ومقرّراً فائدته الخالدة : « من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد». إن الحياة هنا، جامعة بكل انواعها ومظاهرها — من طبيعيةً، وروحية

ويجدر بنا الآن ، ان نستوقف أنفسنا قليلاً ، عند خاتمة هذا المطاف

الذي نزل من السماء .

لنصغي الى همس الكثيرين المتسائلين : هل كان المسيح في كلامه عن اكل جسده وشرب دمه ، متحدثاً الى سامعيه عن العشاء الرباني ؟ وجواباً على هذا السؤال نقول بكل صراحة: « كلاّ »:(١) لانه ليس من الطبيعي ان يتحدث المسيح الى سامعيه ، عن فريضة لم تكن قد رُسمت بعد — وواضح من أخبار البشيرين ، ان فريضة العشاء الرباني رُسمت بعد مرور عام على هذا الحديث — فمن المحقق ان سامعيه في كفرناحوم لم تكن عندهم اية فكرة عن الفريضة ، لا تصريحاً ، ولا تلميحاً . (٢) ان الكلمة المترجمة « جسد » في حديث المسيح هذا ، هي غير الكلمة المترجمة « جسد » في كلامه عن العشاء الرباني. في هذا الاصحاح استعمل المسيح الكلمة اليونانية: «ساركس» — ومعناها الحرفي : « لحم » ، لكن في كل موضع جاء فيه ذكر فريضة العشاء الرباني — سواء أكان على لسان المسيح أم على لسان بولس الرسول — استُعملت الكلمة : «سوما» — ومعناها الحرفي «جسد» (مت ٢٦:٢٦ ومرقس ١٤: ٢٢ ولوقا ٢٢:١٩ و ١ كو ١١:٢٤—٢٧) . وكل منهما تتفق والمناسبة الخاصة التي قيلت فيها . فلما تكلم المسيح هنا عن الخبز الحيّ ، بمناسبة المنّ الذي اكله الاسرائيليون وماتوا، كان من الطبيعي ان يستعمل كلمة : «ساركس» — « لحم » على اعتبار كونه مادة مغذية مشبعة . لكنه لما تكلم عند رسمه فريضة العشاء الرباني بمناسبة صلبه وتركه للتلاميذ علامة يذكرون بها موته ، كان من الطبيعي ان يستعمل كلمة : « سوما » أي « جسد » — على اعتبار

ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا

كون الجسد نظاماً آلياً مركباً من اعضاء ، وقد كسر بالموت على الصليب

(٣) لقد علمنا المسيح ورسله ، في كل مناسبة ، ان الايمان الحيّ هو الوسيلة الوحيدة التي بها ينال الانسان الحياة الابدية ، فليس من المعقول ان يناقض المسيح نفسه ، ويهدم تعاليمه التي اوحى بها ، ويعلمنا ان الحياة الابدية تُنال بواسطة وسيلة مادية بحتة — مثل الاكل او الشرب . فضلاً عن ذلك فان المفكرين من اخوتنا التقليديين يقرّرون معنا ان كثيرين جداً ممن يتناولون العشاء الرباني يهلكون هلاكاً ابدياً ، فكيف اذاً يوفقون بين هذه الحقيقة الراهنة ، وبين قول المسيح في عدد ٥٤ : « مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديّة » ؟ فلا مناص اذاً من التسليم بأن أكل جسد المسيح وشرب دمه ، يُراد بهما شيء آخر غير فريضة العشاء الرباني. (٤) يتضح لنا لدى التأمل في كلام المسيح في عدد ٦٣ : « الروح هو الذي يحيي . أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة » ، انه لم يقصد الاكل الحرفي، ولا الشرب الحرفي، اللذين يحصلان عند تناول الفريضة وانما قصد شيئاً آخر

فما هو اذاً هذا الشيء الآخر الذي قصده المسيح عند ما تكلم عن أكل جسده وشرب دمه ؟ الجواب على هذا السؤال، نجده في كلام المسيح نفسه (عدد ٣٥) : «أنا هو خبز الحياة . من يُقبل اليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ابداً» . ولدى تحليل هذا القول ، يتبين لنا ، ان كلمة : «من يُقبل

من يأكل هذا الخبز فانه يحيا

اليّ»، تقوم مقام كلمة: «من يأكل جسدي» لان النتيجة واحدة: «فلا يجوع». وان كلمة: «من يؤمن بي»، تقوم مقام كلمة: «من يشرب دمي». لان النتيجة واحدة أيضاً: «فلا يعطش أبداً». فواضح اذاً ان الاكل والشرب انما هما استعارتان عن الاقتبال الى المسيح، والايمان به. هذا وان بين الاكل والشرب و بين الايمان، أوجه شبهٍ، شتّى فمنها: — ا — الاكل والشرب يسبقهما جوع وعطش، كذلك الايمان بالمسيح يسبقه جوع وتعطش اليه (مت ٥:٦) — ب — الاكل والشرب يستلزمان تخصيص الطعام والشراب للآكل والشارب، فلا فائدة من الطعام ما لم يُؤكل. ولا نفع للشراب مالم يُشرب. كذلك الايمان، لايجدى ان لم يكن شخصياً، للمؤمن نفسه، فيخصص المسيح لذاته — ج — الاكل والشرب ترافقهما لذة خاصةٌ يتمتع بها من يأكل ويشرب. كذلك الايمان بالمسيح يملأ القلب بهجة، فيقتات الانسان به وعليه، ويشعر بلذة لا تعدلها لذة — د — بالاكل والشرب ينال الانسان غذاء يحفظ حياته ضد غوائل الموت. كذلك بالايمان بالمسيح ينال المرء غذاء حياً، يكون قوامَ حياته الروحية. اما جسد المسيح ودمه، فهما كناية عن «ذاته» التي قُدّمت لنا بالصليب. ورُبَّ سائل يقول: «أما من صلة بين حديث المسيح هنا و بين العشاء الرباني»؟ وجواباً على هذا نقول: توجد صلة متينة بين هذا الحديث و بين العشاء الرباني. فكلاهما يشير الى مبدأ واحد، وكلاهما يعلّم حقيقة واحدة وهي: شدة لزوم الايمان الحيّ الذي

الى الابد. ٥٩ قال هذا في المجمع وهو يعلم

يقبل المسيح و يخصصه لذاته ، فيصير المؤمن في المسيح ، والمسيح في المؤمن . والفرق بين حديث المسيح هنا و بين العشاء الرباني هو ان هذا الحديث يشير الى هذا المبدأ بالكلام . وأما العشاء الرباني فيشير اليه بالفعل. فالحديث كلام رمزي ، والعشاء الرباني فعلٌ رمزي . نطق المسيح بالحديث في وقت كان فيه فصح اليهود قريباً ، ورسم فريضة العشاء الرباني لتقوم مقام الفصح اليهودي ، وليكون هو نفسه فصح المسيحيين . على انه لا يغرب عن بالنا ان حقيقة أكل جسد المسيح وشرب دمه ليست مؤسسة على رسم الفريضة المقدسة ، بل ان رسم الفريضة المقدسة مؤسس على هذه الحقيقة

عدد ٥٩ . *خاتمة تاريخية* ٦:٥٩ . «قال هذا في المجمع وهو يعلّم في كفرناحوم» . جرت عادة اليهود قديماً أن يجتمعوا في المجمع ايام الاثنين ، والخميس ، والسبت ، من كل أسبوع . فاذا كانت هذه الحادثة قد وقعت سنة ٢٩ للميلاد ، كان عيد الفصح في تلك السنة موافقاً يوم الأثنين الواقع في ١٨ ابريل — حسب رأي ثقات المؤرخين. واذا فرضنا ان معجزة اشباع الخمسة الآلاف ، حدثت في المساء السابق لعيد الفصح (عدد ٤) ، فان اليوم الذي بعده ، الذي فاه فيه المسيح بهذا الحديث في المجمع هو يوم الاثنين

ما اهم هذا الحديث في نظر يوحنا البشير حتى ذيله بهذه الخاتمة التاريخيّة ، التي تصور لنا جلال الموقف وكثرة عدد السامعين ! كلمة : «هذا» تشير الى الحديث كله ابتداء من عدد ٢٦ . وقوله : «يعلم» يريق نوراً على

في كفرناحوم. ٦٠ فقال كثيرون

الطريقة التي كان المسيح يشرح بها الآيات الكتابية

أما «كفرناحوم» ، «التي كانت مرتفعة الى السماء» — بسبب علوها الجغرافي ، وعظمتها المادية ، وامتيازاتها الروحية لوجود الفادي فيها — فقد «هبطت الى الهاوية» (لوقا ١٠:١٥) ، و بقيت مكانها أطلال دارسة معروفة اليوم باسم «تل حوم» . ومن بينها آثار مجمع [1] قديم يظن انه ذلك المجمع الذي سمعت جدرانه هذا الحديث التاريخي . وعلى احد احجاره منقوشة صورة قسط فيه مَنّ

أكان اليهود ناظرين الى ذلك الرسم المنقوش حين قالوا للمسيح ، في عدد ٣١ «آباؤنا اكلوا المن في البرية كما هو مكتوب» ؟ ! !

نتيجتان متناقضتان ٦:٦٠—٧١

شعاعة واحدة من نور الشمس، تقع على قطعة الفحم، فتزيدها سواداً على سواد. وتقع هي بعينها على قطعة من الماس، فتزيدها لماناً على لمعان. كذلك كلام المسيح. وقع على سمع أناس، فأثار فيهم التعجب (عدد ٣٠)، والتذمر (عدد ٤١)، والشحناء (عدد ٥٢)، والاحتجاج (عدد ٦٠) . ووقع على سمع أناس آخرين، فأضاء بصائرهم بنور اليقين، وأنطق ألسنتهم بمعجزات الحكمة (عدد ٦٨ و ٦٩)

فيما مضى لمحنا تعجب اليهود ، وسمعنا تذمرهم ، ومجادلاتهم ، والآن نرانا أمام نوع جديد من سامعيه ، فنسمعهم يحتجون و يتذمرون

(١) انظر الحاشية الموجودة في مقدمة هذا الاصحاح

من تلاميذه إذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه.

عدد٦٠ . (١) تذمر كثيرين من تلاميذه ٦:٦٠ (أ) المتذمرون: «فقال كثيرون من تلاميذه» — هؤلاء هم جماعة تبعوا المسيح حيناً ، وكان قد انصرف بعض منهم عن أشغالهم المادية (عد ٦٦) ، ومن بينهم اختار المسيح رسله الاثني عشر . ولعل بعضاً منهم كان بين الخمسمئة أخ الذين استشهد بهم بولس في حديث القيامة (١ كو ٦:١٥)

(ب) موضوع تذمرهم : «اذ سمعوا . إن هذا الكلام صعب. من يقدر ان يسمعه» . كلمة « صعب » ، لا تفيد ان الكلام غامض في معناه، ولا انه عسير الفهم ، بل انه كلام مفهوم ، ولكن من الصعب قبوله . لأنه كلام مناف للعُرف ، فهو معثر . الكلمة الاصلية معناها الحرفي «جاف . قاس» . ولعلهم أرادوا بقولهم: «من يقدر أن يسمعه» ، ان لا أحد يقدر أن يصبر على سمعه من غير أن يحتج عليه ، او يصم ضده أذنيه؟ . اما عن سبب تذمرهم ، فقد ذهب فيه المفسرون مذاهب شتى . يقول ماير انهم تذمروا بسبب انبائهم بموت مسيا — فهذه عثرة اليهود ، قبل الصلب و بعده . و يقول هنجستنبرج ان سبب تذمرهم هو قول المسيح ان خلاص العالم موقوف على شخصه، ويقول لامب : ان السبب الحقيقي هو قول المسيح عن نفسه انه نزل من السماء . و يقول جودي ان السبب يرجع الى قوله ان اكل جسده وشرب دمه لازمان لنوال الحياة الأبدية . و يلوح لنا ان هذه الأسباب ليست متباعدة عن بعضها كثيراً ، وان كان الاخير أقربها لانه يتفق وجواب المسيح في عدد ٦١ . ولعل الاشارة متجهة الى كل كلامه في هذا الحديث

٦١ فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم
أهذا يعثركم. ٦٢ فان رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان أولاً.
٦٣ الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً.

عدد ٦١. (٢) جواب المسيح ٦: ٦١—٦٥. لم يكن المسيح في حاجة الى من يسمعه كلامهم الذي كانوا يتكالمون به، «لانه علم من نفسه ان تلاميذه يتذمرون». هذا برهان جديد على أن المسيح عليم بذات الصدور

ومن العجب ان المسيح أراد ان يزيل الصعوبة التي وجدوها في اعلانه الاول، باعلان جديد يفوقه في الصعوبة: «أهذا يعثركم؟ فان رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان أولاً ....»؟ ان جواب الشرط في هذا السؤال محذوف — جوازاً او وجوباً — تقديره: «فان الصعوبة تزداد امامكم تعقيداً في بادىء الامر، لانكم سترون ابن الانسان صاعداً بعد موته. ولكن حينئذ ستزال الصعوبة التي وجدتموها في كلامي، وتدركون اني لم اقصد ان تأكلوا جسدي بالذات — لاني سأصعد بهذا الجسد عينه الى السماء — ولكن الروح القدس الذي سأرسله اليكم بعد صعودي، سيأخذ مما لي و يخبركم. عندئذ تأكلونني بالروح لا بالجسد»

عدد ٦٣. «الروح المحيي. «الروح هو الذي يحيي ... اما الجسد فلا يفيد شيئاً» — كلمة «جسد» مستعملة هنا للاطلاق. بمعنى ان أي جسد لا قيمة له بدون الروح. ومن قبيل التطبيق تُطلق على جسد المسيح. فانه لا يفيد شيئاً،

الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحيوة .

لانه لا يمكن ان يؤكل أكلاً حرفياً. لكن الذي ينفع هو شخص المسيح — أي جسده مقترناً بروحه الحي . هذا هو الذي يؤكل (١ كو ١٥:٤٥) . ومن المحقق ان بعضاً ممن سمعوا هذا الكلام شاهدوا المسيح صاعداً

بعد هذا السؤال المقتضب فاه المسيح باعلانٍ مجيدٍ عن طبيعة كلامه وقوته. فلم يكتف بان قال: «ان كلامي روحي وحي» بل قال انه «روح وحياة» . لان كلامه هو الأداة التي بها يحمل اليهم الروح القدس هبة الحياة الأبدية . ان كلام شخص ما، يحمل معه نَفَسَه، وروحه، وسلطانه ، وشخصيته، كذلك كلام المسيح يحمل للناس روحه ، وسلطانه ، وشخصيته ، لان كلام المسيح يقوم مقام شخصه كما ان المسيح نفسه هو الله المتجسد ، لانه « كلمة الله » . من أجل هـذا ، لما تكلم المسيح عن ثبوت المؤمنين فيه ، وضع كلامه في مقام نفسه ، فقال : «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» وأردف هذا بقوله : «ان ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم» (١٥:٤ و٧) فقد استعاض عن كلمة : « أنا » بكلمة : « كلامي » . فكلامه روح وحياة لان شخصه روح وحياة . وفي موضع آخر تكلم عن كلام الله فقال : «فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي» (٥:٣٩) . ويقول أغسطينوس ان كلام المسيح روح وحياة ، بمعنى انه ينبغي أن يُفهم روحياً . مع ان هاتين الكلمتين : «روح وحياة» ، تصفان كل كلام المسيح الذي نطق به بوجه عام ، الا أنهما تصفان بنوع خاص كلام المسيح الذي نطق به في هذا الفصل ، سيما قوله

٦٤ ولكن منكم قوم لا يؤمنون لان يسوع من البدء علم مَن
هم الذين لا يؤمنون ومن هو

الذي استعصى عليهم قبوله « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » — عدد ٥٣و ٥٤

عدد٦٤و٦٥. *جواب المسيح المباشر على تذمر اولئك التلاميذ*: «ولكن منكم قوم لا يؤمنون . » . سلم المسيح معهم بان كلامه صعب ، ولكن على «الذين لا يؤمنون ». فالعقبة الكؤود ، في سبيل فهم كلام المسيح وقبوله ، ليست في كلام المسيح بل في قلوبهم المتسلحة بنية عدم الايمان. كم كان مؤلماً على قلب المسيح، ان يقول لتلاميذه «ولكن منكم قوم». ان امرّ كلمة هي الوسطى: « منكم » . لكن وجه العزاء هو ان اولئك الغير المؤمنين لم يكونوا أغلبية ساحقة في التلاميذ، بل كانوا أقلية مسحوقة : «منكم قوم» . كان هذا الاعلان الجارح ، أشبه الاشياء بنبوة . ويحدثنا يوحنا البشير ان هذه النبوة مبنية على علم المسيح السابق : « لان يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه » . فهو اذاً : (١) علم سابق : «من البدء» — اي منذ الوقت الذي فيه بدأوا يلتفون حوله كتلاميذ له (١٥: ٢٧و١٦: ٤واعمال ١: ٢١و٢٢) او بعبارة أخرى : منذ بدء اتصالهم بالمسيح . (ب) علم شامل : «من هم الذين لا يؤمنون» — هذا القول يعيّن مسئوليتهم في علم ارادتهم ، كأنهم كانوا مصممين على عدم الايمان (عدد ٧١) ، فهو لا يشير الى قضاء الله السابق ، بل الى الحالة الراهنة التي كانت عليها قلوبهم ونواياهم . (ج) علم خاص: «ومن

الذي يسلمه . ٦٥ فقال . لهذا قلت لكم انه لا يقدر احد ان يأتي
اليَّ ان لم يُعطَ

هو الذي يسلمه» . هنا انتقل الفادي ، في كلامه، من التعميم : « الذين لا يُؤمنون»، الى التخصيص : «مَنْ هو الذي يسلمه » — هذا وصف ابتدائي خلعه على عمل يهوذا «مسلمه» . وفيما بعد خلع عليه وصفاً جارحاً : «شيطان» (عدد ٧٠) . ومن المحقق ان المسيح لم يختر يهوذا لهذه الغاية الدنيئة ، لان الله لم يدعنا الا الى « القداسة ، بالمجد والفضيلة » ، وانه لم «يعطنا روح الفشل بل روح القوة ، والمحبَّة ، والنصح» . (٢ بط ١: ٣و٢ تي ١: ٧) . ان الله يضع الناس في مراكز. فان لم تساعدهم هذه المراكز على التغلب على خطاياهم، ساعدت خطاياهم على النموّ والنضوج . كالشمس تنمي الورد وتنضج الشوك والقتاد . ومتى نضجت خطاياهم استخدمتهم العناية في الخدمة التي تتفق ومؤهلاتهم . كان من الممكن ان تلك السقطة ، التي سقطها يهوذا ، تكسر كبرياء قلبه ، وتقوده الى التوبة ، لو كان عنده استعداد بطرس

«فقال» — هذه كلمة يوحنا البشير. « لهذا قلت لكم » — هذه كلمات المسيح. ولا شك انه نطق بها وقلبه مفعم بالألم والحزن . في هذا العدد يقتبس المسيحُ كلاماً كان قد سبق فقاله في عدد ٣٦ . والكلام فيه يصف الخلاص في جانبيه — الجانب الالهي: «ان لم يُعط من أبي»؛والجانب الانساني: «يأتي اليَّ » . على ان الجانب الالهي هو العلة الاساسية ، والجانب الانساني هو العلة الثانوية . « لا يقدر ان يأتي . . ان لم يُعطَ من ابي » لم ينطق المسيح

من أبي . ٦٦ من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء

بهذا القول ليضع حجة في افواه الغير المؤمنين ، بل ليصيغ كلمة شكر على شفاه المؤمنين : « نحبه لانه احبنا أولاً » .

التلاميذ الاغصاء في بوتقة التصفية ٦٦—٧١

بلغ المسيحُ الآن دوراً دقيقاً في خدمته . لقد بدأ خدمته في اليهودية، فالتأمت حوله جموع كثيرة ، وسرعان ما انصرفت عنه لانها لم تعرف رسالته ، او عرفتها فوجدتها غير ملائمة لمطاليبها. فانتقل الفادي من اليهودية الى الجليل، و بعد ان خدم بضعة أشهر ، تجمعت حوله الجماهير . فكانوا كالسحب المحيطة بالقمر. ولم يمضِ وقت طويل حتى تبخرت تلك السُّحب الخريفية ، أمام نوره الساطع . لان عدداً وفيراً من اولئك التابعين ، كانوا يتبعونه ببطونهم وجيوبهم ، لا بإرادتهم وقلوبهم. ان وجد البحر لا يخلو من الفقاقيع التي تطفو على وجه الماء حيناً ، ثم لا تلبث ان تذهب ضياعاً ، اذا ما هبت عليها نسمات البحر

عدد ٦٦ . ارتداد كثيرين من التلاميذ : «رجع كثيرون الى الوراء» . كلمة : «من هذا الوقت » كما وردت في الاصل ، تفيد الزمنيةَ والسببيةَ . اي منذ ذلك الحين ومن أجل هذا السبب . وقد ورد هذا التعبير في العهد الجديد مرة واحدة سوى هذه (يوحنا ١٩:١٢) . « رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء» — الظاهر ان هؤلاء كانوا قد تركوا اشغالهم الدنيوية ، وتبعوا المسيح ، طمعاً في مراكز تدرّ عليهم ربحاً أوفر ، وجاهاً اكبر ، ولما خابت آمالهم رجعوا

ولم يعودوا يمشون معه. ٦٧ فقال يسوع للاثني عشر ألعلكم انتم ايضاً تريدون

الى اشغالهم الاولى. ولم يعودوا يشاطرونه حياة الاغتراب التي كان يحياها على الارض (٧:١)

عدد ٦٧. النار الممحصة: ٦:٦٧ الآن وجد المسيح ان الوقت ملائم لوضع التلاميذ الاثني عشر في بوتقة التصفية. هذه اول مرّة ذكر فيها عدد الرسل في هذه البشارة — ولم يرد هنا كأنه خبر جديد، بل كأمر معروف (٦:١٣). وعلى نفس هذه الطريقة ظهر اسم بيلاطس واسم مريم المجدلية على صفحات هذه البشارة (١٨:٢٩و١٩:٢٥). « العلكم انتم ايضاً تريدون ان تمضوا » ؟ اننا نستطيع ان نلمس بين كلمتي: « انتم أيضاً »، ثقة المسيح بتلاميذه. فالجواب الطبيعي لسؤاله هذا، هو: « حاشا ». في الوقت الذي اظهر فيه المسيح ثقته بتلاميذه، قدّم لكل منهم الحرية الكاملة ليرجع الى الوراء اذا شاء. يا ليتك يا يهوذا رجعت الى الوراء منذ هذه اللحظة ! هذا كان خيراً لك وأبقى ! لان رجوعك الى الوراء كان يحسب لك تقدماً الى الامام، كما ان تقدمك الى الامام حُسب عليك رجوعاً الى أركان الظلام! وفي الوقت نفسه بيَّن المسيح بهذا السؤال استقلاله التام عن كل تعضيد بشري. أليس هو القائل: « هوذا تأتي ساعة. وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركونني وحدي» ؟ (١٦:٣٢). ليس معنى هذا ان المسيح يريد ان يستغني عنهم، بل انه يقدر على ذلك. وجدير بنا أن نذكر ان المسيح لم يُلق سهمه جزافاً

ان تمضوا. ٦٨ فاجابه سمعان بطرس يا رب الى من نذهب. كلام
الحيوة الابدية عندك. ٦٩ ونحن قد آمنا وعرفنا أنك

اذا كان المسيح قد علم من البدء من هو الذي يسلمه فقد علم من البدء أيضاً من هم الذين يتمسكون به الى المنتهى

عدد ٦٨ و ٦٩. الجواب المزكي — ٦: ٦٨ «فاجابه سمعان بطرس» — كليم الرسل — «يا رب الى من نذهب»؟ لم يُعطِ بطرس لرفاقه فرصة ليجيب كل منهم عن نفسه، لكن قاد نفسه وشاح الزعامة وتكلم عنهم، فكان جوابه ترديداً لصدى كلمات المسيح في عدد ٦٣ «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة». كان جوابه قوياً حازماً، حقيقاً بالاسم الذي ناله من المسيح: «بطرس» (١: ٤٢). يتضمن هذا الجواب ثلاث حجج مرتبة ترتيباً منطقياً: (ا) انعدام المصادر الارضية: «الى من نذهب»؟ — كان يوحنا المعمدان قد مات، و بينهم و بين الفريسيين النار والحديد، و بينهم و بين الفلاسفة الزعماء حجاب كثيف يفصل بين عالمين. (ب) كفاية المسيح: «كلام الحياة الابدية عندك» ليس هذا هو الكلام المتعلق بالحياة الابدية وكفى، بل هو الكلام الذي ينيلنا الحياة الابدية. (ج) سمو مقام المسيح الفريد: «ونحن» على خلاف التلاميذ الذين تركوك (عدد ٦٦) — «قد آمنا» — بالتصديق — «وعرفنا» — بالاختبار — «انك أنت المسيح ابن الله الحيّ». «آمنا وعرفنا» — المعرفة نوعان: معرفة تسبق الايمان (١ يو ٤: ١٦) وهي المعرفة السماعية الاعدادية. ومعرفة تعقب الايمان (فيلبي ٣: ١٠) وهي المعرفة الاختبارية الناضجة. المعرفة الاولى هي الايمان

أنت المسيح ابن الله الحي. ٧٠ اجابهم يسوع أليس اني انا اخترتكم

في البزرة ، والمعرفة الثانيـة هي الايمـان في البلوغ . المعرفة الاولى هي النور مزدهراً ، والمعرفة الثانيـة هي النور مثمراً . «الى من نذهب» ؟ — لا بديل للمسيح ! ! (قابل هذا الاعتراف المجيد ، بذاك المسجل في مت ١٦:١٦)

عدد٧٠ *الطعنة النجلاء* ٦:٧٠. انه وان كان بطرس قد تكلم عن نفسه، وعن اخوانه الرسل ، الا أن جواب المسيح موجه للجميع : «أجابهم يسوع»

كان اعتراف بطرس أشبه شيء بنقاب حجب وراءه خيانة يهوذا ، فكان جواب المسيح أشبه شيء بسهم مزق هذا الحجاب ، وأشهر خيانة يهوذا علانية : «أليس اني انا اخترتكم الاثني عشر ؟» — الاشارة هنا الى مقامهم الجديد الذي وضعهم فيه المسيح بالنسبة لمقام الاسباط الاثني عشر — «وواحد منكم شيطان» . كلمة : «شيطان» كما وردت هنا ، هي صفة لا اسم . أي ان يهوذا له صفات الشيطان الذي يحوّل الخير شراً بطبيعته الرديئة المتمردة . كذلك تحول الحشرات السامة عصير الازهار الى سم قاتل

قد يكون في هذا القول خير تحذير ليهوذا ليكف عن مواصلة السير في السبيل الذي وضع نفسه فيه طوعاً .

ان في كلام المسيح مقابلة خطيرة بين محبته لتلاميذه وتقديره لهم، و بين كراهة أحدهم له وعدم تقديره اياه . اما المسيح ، فقد أحب يهوذا بلا سبب. و يهوذا أبغض المسيح بلا سبب. لان المسيح هو الله متأنساً. و يهوذا هو الشيطان متأنساً. المسيح يجازي عن الشر خيراً، و يهوذا يجازي عن الخير شراً

الاثني عشر وواحد منكم شيطان. ٧١ قال عن يهوذا سمعان
الاسخريوطي . لان هذا كان مزمعاً أن يسلمه

واذا ما قيل لماذا اختارَ المسيحُ يهوذا مع علمه بشر قلبه ؟ كان جوابنا : لحكمة فائقة لا ندرك كنهها. لكننا نستطيع ان نتلمس بصيصاً من النور فيها. ان المسيح لم يسخر يهوذا لاتمام غرضه ولا لكي يتم به المكتوب (١٣: ١٨) ، لكنه على عكس ذلك حذّر يهوذا مراراً وتكراراً ، اما يهوذا فقد هوى الى ذلك الدرك الاسفل لانه انجذب وانخدع من شهوته التي كانت تلتهب احتراقاً الى حبّ المال . ولعل يهوذا كان واحداً من الذين انتظروا في الفادي مسيحاً أرضياً ، فلما خاب فيه انتظاره ، غدر به في النهاية . وفي اعتقادنا ان الذين يحاولون الدفاع عن يهوذا ليسوا اعدل على يهوذا من نفسه ، ولا أرحم عليه من ضميره ، الذي اشتكى عليه ، واحتج ، فلما ارتفع صوت الاحتجاج ، لجأ يهوذا الى الانتحار اذ مضى وخنق نفسه (اعمال ١: ١٨) . هذا أكبر دليل على عدالة الله . لأن الله لم يحكم على يهوذا بأقسى مما حكم به يهوذا على نفسه. لا حدود لنعمة الله التي لا تقودنا الا الى الخير والصلاح ، كما انه لا حدود لنقمة الطبيعة الساقطة التي تقودنا الى الهلاك . فالانسان الشرير هو القاتل وهو القتيل. فلا عذر. والانسان الصالح محمول بيد علوية. فلا فخر

عدد٧١ . *خاتمة تاريخية* : «قال هذا عن يهوذا الاسخريوطي. لان هذا كان مزمعاً ان يسلمه وهو واحد من الاثني عشر » . كلمة «اسخريوطي» مشتقة من كلمتين في الاصل: «ايش» ومعناها: رجل. و«قريوت» — اسم بلد أي «رجل

وهو واحد من الاثني عشر.

قيروت». وقد ورد ذكر هذه المدينة في ارميا ٤٨:٢٤ . وهي من مدن يهوذا. على هذا، يكون يهوذا ، هو الرسول الوحيد الغير الجليلي

أليس من العجيب ان يهوذا سمعان ليس اسماً على مسمى ؟ ان معنى « يهوذا سمعان » هو : «المحمود السميع» لكن المسمى ، مذموم عنيد . هذا معنى كلمة « شيطان » — من « شطن » أي عاند . وقد يكون معنى «أسخريوطي» رجل البُطل.

ربما لم يقدر أحد من الرسل ان يفهم كلام المسيح هذا ، سوى يهوذا ويوحنا البشير.

من المؤلم ان تكون هذا خاتمة هذا الاصحاح . واكثر منه ايلاماً ان تكون هذه رمزاً لخاتمة خدمة المسيح في الجليل

الاصحاح السابع

١ وكان يسوع

المسيح نبع الحق ، ومصدر النور ، ومشبع الحياة

هذا اصحاح مجيد في تاريخ السيد . حقاً وصفه رينان بانه « درة يتيمة في تاج التاريخ » . فيه نرى المسيح ، نبعَ الحقّ ، ومصدر النور ، ومُشبع الحياة ، كما رأيناه في الاصحاحين السابقين نبع الحياة ومُقيتها

في هذا الاصحاح نرى صور جليلة ، ارتسمت فيها عواطف البشر المتباينة وصفاتهم المتناقضة — فمن عواطف اخوة المسيح — أو أنصاف اخوته — وقد امتزج فيها الشك باليقين (عدد ٣) ، الى عواصف اليهود التي تغلي بالحقد والحسد (عدد ١و١١و١٣و١٥و٣٥) ، الى اقوال الجموع المتضاربة (عدد ١٢ و١٣) ، الى قلوب الفريسيين التي اختمرت بالضغينة والاجرام (عدد ٣٢ و٤٧) ، الى ايمان نيقوديموس الذي يعالج تحطيم قيود الماضي (عدد ٣١) . من اقتراحات صادرة من قلوب اخوته (عدد ٣)، الى مناجاة كثيرة من نحوه (عدد ١١) ، الى مجادلات ومساجلات (عدد ١٢و٤٠) ، الى تخوفات متعددة النواحي (عدد ١٣و٣٠و٤٤) ، الى تعجّب وحيرة (عدد ١٥و ٤٦و٢٥) ، الى نقد ومقاومة (عدد ٢٣) ، الى ايمان حقيقي قلبي (عدد ٣١)

مرّت على حوادث الاصحاح الفائت ستة اشهر تقريباً ، فاصبحنا الآن في الآونة التي يطوي فيها الصيف رداءه و يشد رحاله ليعطي مكانه للخريف.

يتردد بعد هذا في الجليل

فيتهيأ اليهود ليضفروا المظالّ ، التي يقضون فيها أيام عيد المظال الذي يقع عادة في منتصف شهر تشرين (سبتمبر — اكتوبر) . اما الحوادث التي توسطت بين هذا الاصحاح و بين سابقه ، فقد رواها بافاضةٍ متى البشير (مت ١٢—١٧و٢١)

ينقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام رئيسية مرتبة ترتيباً تاريخياً :

أولاً : **ما حدث قبل العيد ٧: ١—١٣** ثانياً : **ما حدث اثناء العيد ٧: ١٤—٣٦** . ثالثاً : **ما حدث في اليوم الاخير العظيم من العيد ٧: ٣٧—٥٣**

اولا : **ما حدث قبل العيد ٧: ١—١٣** . يتضمَّن هذا الفصل : (١) **مقدمة تاريخية (٧: ١)** . (٢) **ما حدث بين المسيح واخوته بشأنه ذهابه الى العيد (٧: ٢—٨)** . (٣) **مكوث المسيح حيناً في الجليل (٧: ٩)** (٤) **ذهاب المسيح الى العيد (٧: ١٠—١٣)**

عدد ١ . (١) **مقدمة تاريخية** : « وكان يسوع يتردد بعد هذا » — ايّ بعد معجزة اشباع الآلاف وما جرّته وراءها من مناقشات. هذه صورة تاريخية متممة لتلك التي رُسمت في مطلع الاصحاح السادس. وكلا الاصحاحين يبتدئ بتوطئة تاريخية . كلمة : « يتردّد » ، تفيد سير المسيح ذهاباً وجيئةً داخل الجليل . وهي كلمة مركّزة تقطع ستة اشهر من حياة المسيح ، وقد اجتمعت فيها حوادث شتى ذكرت في سائر البشائر (مر ٧و٨ ومت ١٥—١٨) . كان المسيح يتردّد في الجليل على رغم النفور الذي بدا من الجليليين نحوه . والسبب

لأنه لم يرد ان يتردد في اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه
٢ وكان عيد اليهود

في ذلك ، يتضح من الجزء الثاني من العدد : « لانه لم يتردد في اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه». لقد جاء ارضنا لكي يموت ، فهو اذاً لم يخشَ الموت ، ولم يخف اليهود ، لكنه لم يرد ان يستقدم ساعة موته، وامامه برنامج ينبغي ان ينفذه بكل حذافيره ، ومتى جاءت ساعة موته ، تقدم الى الصليب طائعاً ، مختاراً (يو ١٠: ١٧و١٨) . هذا برهان جديد على ان المسيح يحيط علماً بالمستقبل ، لانه علم متى يموت وكيف يموت . ان الاقدام على الموت قبل الاوان ، لا يعتبر جسارة ، بل اقتحاماً ، وخسارة

عدد ٢ . (٢) محادثة بين المسيح واخوته بشأن ذهابه الى العيد ٧: ٢ – ٨
(١) المناسبة التي دعت الى هذا الحديث : « وكان عيد اليهود ، عيد المظال قريباً » . يقول يوسيفوس : « هذا اقدس اعياد اليهود وأعظمها » . وهو يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (سبتمبر – اكتوبر) . ويظل قائماً حتى الثاني والعشرين منه . كان اليهود يسكنون طوال هذا الاسبوع في مظال يصنعونها خصيصاً من « سعف النخل ، وأغصان اشجار غبياء ، وصفصاف الوادي » . (لاويين ٢٣: ٣٤ – ٤٠) . وهي تقام عادة فوق سطوح المنازل ، وفي الشوارع ، وفي الميادين العامة ، وفي منعطفات أورشليم . كان هذا عيداً مقدساً – فهو عيد شكر ، وذكرى ، وإيناس ، وبهجة . اما الشكر فلأنه كان يقع دائماً عقب الوقت الذي يجمعون فيه غلات الارض ومحاصيلها .

عيد المظال قريباً. ٣ فقال له اخوته انتقل من هنا واذهب الى
اليهودية لكي يرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تعمل

والذكرى ، لأنهم كانوا يذكرون فيه غربتهم في البرية مدة أربعين عاماً ، بعد خروجهم من مصر . وأما الايناس فلأنه كان عيداً يستوى فيه الغني والفقير ، اذ يكون كلاهما عائشاً على مستوى واحد ، في مكان يرمز الى الغربة والرحيل وأما البهجة فلأن هذا العيد كان مشهوراً بأنواره الساطعة التي كانت تضاء فيه وحده. وربما بمناسبة تلك الأنوار الساطعة ، فاه المسيح بذلك الاعلان الجليل : «أنا هو نور العالم» (٨: ١٢) . وكان يؤم هذا العيد في كل عام جمع غفير

عدد ٣و٤ (ب) اقتراح اخوة المسيح ٧: ٣و٤ « فقال له اخوته ..» يعتقد جودي ان هؤلاء الاخوة هم ابناء مريم بعد زواجها من يوسف . ويقول وستكوت وغالبية المفسرين ، انهم اولاد يوسف من زوجةٍ سابقة (انظر شرح لوقا للمؤلف صفحتي ٢١٠و٢١١)

غالباً جداً كان يعقوب اخو الرب ، في طليعة هؤلاء الاخوة . وصار فيما بعد اول راعٍ للكنيسة المسيحية في اورشليم (اعمال ١٢: ١٧و١٥: ١٣و٢١: ١٨ وغلاطية ١: ١٩و٢: ٩)

ان اخوة المسيح ، لم يكونوا في اقتراحهم هذا ، مدفوعين بعامل الغيرة المقدسة على مجد اخيهم ، ولا كانوا محمولين بعاصفة الحقد عليه ، فقصدوا ان يطوحوا به في ايدي اعدائه ، لكنهم كانوا في حالة متوسطة — بين الايمان

٤ لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد ان يكون علانية.

والشك. ان ما رأوه من معجزاته، وقوة شخصه، كان يدفع بسفينتهم الى شاطئ الايمان، ولكن إلفتهم به منذ نعومة الاظفار، كانت تجتذب سفينتهم الى تيارات الشكوك. ولعلهم كانوا يعتقدون انه شخص ممتاز. أما ان يؤمنوا انه هو المسيح، فهذه درجة لم يرتقوا اليها بعد. لذلك قالوا: اذا كان هو المسيح فلماذا يرضى بالعزلة في الجليل، في تلك البيئة الضيقة، والغير المهذبة؟ ان اورشليم — لا الجليل — هي المسرح العام الذي ينبغي ان يظهر عليه المسيح، فيحكم العالم له او عليه. فاذا ثبت بالبرهان القاطع انه هو المسيح، فلسنا بالقوم الخاسرين. لاننا اخوته، نشاطره امجاده. واذا ظهر انه ليس المسيح، فلينل من الاهانة ما يستحق نتيجة ادعائه، ونحن غير مسئولين. إن كلامهم هذا، ينمّ عن روح نفسانيّ، متسرّع، لانهم لم يبالوا الا بصوالحهم، غير حاسبين حساباً لارادة الله، والازمنة التي جعلها الآب في سلطانه

ان اقتراحهم هذا، لا يخلو من المشابهة لاقتراح أمّ المخلّص (٢: ٣)، ونفس هذا التشابه متوفر في جواب المسيح في كلا الظرفين (٢: ٤و٧: ٩)، ويتمشى ايضاً مع تصرف المسيح في كلا الحادثين (٢: ٧و٧: ١٠). (اطلب شرح هذه الاعداد في الاصحاح الثاني)

ان كلمة: «تلاميذك»، الواردة في عدد ٣، تشير الى الذين تتلمذوا للمسيح في اليهودية واورشليم، اثناء خدمة سالفة له هنالك (٤: ١). «لانه ليس احد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد ان يكون علانية» — كلمة «علانية» تفيد

ان كنت تعمل هذه الأشياء فاظهر نفسك للعالم. ٥ لأن اخوته
ايضاً لم يكونوا

التكلّم جهاراً ، والعمل ظاهراً في وضح النهار . (١١: ٥٤ وكولوسي ٢: ١٥)

ان وجه الحق في قولهم هذا ، هو ان الحكم الحقيقي للمسيح او عليه ليس الجليل ، بل اورشليم . لكنهم اخطأوا في عدم معرفتهم ان المسيح لا يطلب مجد نفسه ، اذ قالوا له : «اظهر نفسك» ، وفاتهم انه انما تجسد لكي يظهر مجد الآب ، كما أنهم جهلوا ان المسيح يسير كل خطوة وفقاً لنظام معيّن ، قد أُحكم وضعه منذ الازل في تدبير الفداء

عدد ٥ جملة تفسيرية معترضة « لان اخوته . . » هذه كلمة تفسيريةٌ ، وضعها يوحنا البشير ، كعادته في اسلوبه الكتابي (٤: ٩) ، قاصداً بها ان تكون اشعة كشافة لحقيقة نفسية اخوة المسيح : «لان اخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به»

من المؤلم ان يقرأ الانسان كلمة : « ايضاً » ، كأن اخوة المسيح ، كانوا على خلاف المنتظر منهم — في صف الجليليين الذين لم يؤمنوا بعد بان يسوع هذا ، الذي عرفوه منذ الطفولة ، هو مسيح اسرائيل . ان قول يوحنا البشير عنهم انهم «لم يكونوا قد آمنوا بعد بالمسيح» ، يؤيده قول المسيح لهم : انهم من العالم . (عدد ٧) . (قابل هذا بما جاء في ١٩:٥)

لم يبق للمسيح على الارض سوى ستة اشهر ، و بعدها يُرفع على الصليب . ومع ذلك ، فان إخوته لم يكونوا قد آمنوا به بعد . انهم كانوا معلقين بين التأثير

يؤمنون به. ٦ فقال لهم يسوع ان وقتي لم يحضر بعد.

الرهيب الذي اوقعته معجزاته في نفوسهم، و بين حالته الوضيعة التي انطبعت على مخيلاتهم مذ أن عرفوه طفلاً وضيعاً. لذلك قصدوا ان يتخلصوا من هذه الحالة الشاذة المعلقة، فإما ان يُظهر ذاته للعالم انه هو المسيح، فيؤمنوا هم ايضاً مع المؤمنين، او أن يتراجع في اقواله ويكف عن عمل المعجزات، فيتراجعوا هم أيضاً الى الوراء. ان اخلاص يوحنا البشير في كتابته، وان صدق روايته، يتجليان في ذكره حقيقة عدم ايمان اخوة المسيح به، مع علمه انها ليست مشرّفةً للمسيح من الوجهة الاجتماعية

عدد ٦. جواب المسيح ٧: ٦—٨ «فقال لهم يسوع..» ينمّ جواب المسيح عن ثقة وطيدة في نفسه، وعن صلةٍ وثيقةٍ بينه و بين الآب، وعن قدرة عجيبة في ارادته. لان القوة اللازمة لضبط الارادة في وقت الانتظار، أوفر من القوة اللازمة لاستخدام الارادة ساعة العمل. يتضمن هذا الجواب:

(١) اعلاناً عن طبيعة حياته على الارض: «ان وقتي لم يحضر بعد». بهذا الاعلان بيّن المسيح لاخوته، ان حياته على الارض ليست وليدة المصادفات، بل هي وفق فكر الآب وتدبيره، وان كل ساعة منها مرتبة بترتيب خاص، طبقاً لبرنامج معيّن. فلا تُسمع دقات ساعاتها على الارض الا عند ايذان ساعة السماء. أما «الوقت» الذي قصده المسيح بقوله: «ان وقتي لم يحضر بعد»، فهو وقت دخوله الى اورشليم، دخول الظفر الذي سيتوّج حتماً بالصليب. علم المسيح ان رؤساء اليهود في اورشليم، كانوا

واما وقتكم ففي كل حين

يحفظون له بين ثنايا ضلوعهم ، كل اسباب الحقد والانتقام ، كما تُحفظ المواد المفرقعة في مستودعات الذخائر ، وعلم ايضاً ان دخوله علانية الى اورشليم ، يذكي في قلوبهم نار النقمة، فتُلهب المفرقعات المخبوءة بين ضلوعهم. لذلك أفهمهم ان ساعة ذهابه على هذه الصورة ، وشيكة المجيء ، لكنها لم تأت بعد . نعم ستأتي، لكن في عيد الفصح — لا في عيد المظال — حين يُقدّم حمل الفصح اليهودي في الهيكل ، وآنئذ يُرفع المسيح فصحُ العالم اجمع على الصليب. يقول وستكوت ان كلمة « وقتي » ، تختلف عن كلمة « ساعتي » (٨:٢٠) في ان الأولى تعبّر عن موافقتها للحوادث الجارية . والثانية تعبر عن مطابقتها لتدبير الله . فالمسيح ، بتمنّعه عن ان يدخل اورشليم دخول مسيا الظافر ، لم يكن خائفاً من الموت ؛ فهو عالم انه جاء ارضنا ليموت ، لكنه كان ضنيناً بخدماته الباقية على الارض، من أن تذهب ضياعاً، وهو يريد أن يكمل خدمته، ويتم سعيه . نعم جاء ليموت ، ولكنه جاء ايضاً ليعيش خادماً ومضحياً قبل الموت . ان كفارته لم تُبدأ على الجلجثة ، بل في بيت لحم . وما دام قد جاء ليموت في وقت معين ، فمن الشجاعة أن لا يموت الا في وقته

(ب) اعلاناً عن طبيعة حياتهم . بما انهم لم يكونوا مؤمنين به بعد ، ولم يُجلسوا الله على عروش حياتهم ، بل أجلسوا الذات والعالم ، لم يكن لديهم رسالة خاصة يبلغونها للعالم ، اذ كانوا يكلمون العالم بما يهواه ، لذلك « كان وقتهم في كل حين حاضراً » يذهبون مع الحجاج الى اورشليم في اي وقت، من

حاضر . ٧ لا يقدر العالم ان يبغضكم ولكنه يبغضني انا لأني اشهد عليه ان اعماله شريرة .

دون حرج ولا تكليف ، لانهم كانوا والعالم من روح واحد . يعتقد وستكوت ان من الاسباب التي حملت المسيح على عدم الذهاب علانية الى اورشليم الآن ، خوفه من ان يحمل الشعب بغيرة غير مقدسة و يحاولوا ان يجعلوه ملكاً

عدد ٧ . (ج) موقف العالم ازاءهم «لا يقدر العالم ان يبغضكم» . لقد وقفوا هم من العالم موقف المازج والممازح والمداهن ، فحقّ على العالم ان يرد لهم التحية بالمثل، لانهم والعالم من روح واحد. وغني عن البيان، ان كلمة: «العالم»، هنا تختلف عنها في ٧: ٤و٣: ١٦ . ان المعنى في قوله «اظهر نفسك للعالم» و«احب الله العالم» ، منصرف الى الناس الساكنين في العالم ، ولكن في قوله : «لا يقدر العالم ان يبغضكم» المعنى منصرف الى الروح المادي المنافي لروح الله والمقاوم له (١ يو ٢: ١٦) . يستعمل المسيح في هذا العدد تعبيراً قوياً : « لا يقدر » لان العالم عاجز عن تغيير مجرى النواميس الطبيعية. وشبيه الشيء منجذب اليه

(د) موقف العالم ازاء المسيح . «ولكنه يبغضني انا» — هذه هي الكراهة في أشدّ مظاهرها. (ه) علة هذا الموقف: «لأني أشهد عليه ان اعماله شريرة» ليست هذه بالضرورة شهادة كلامية ، بل هي أيضاً شهادة صامتة ، هي شهادة النور في صمته على الظلمة في جميع مظاهرها (يو ٣: ٢٠و٧: ٣٤و ٣٦و ٨: ٢١ و١٢: ٣٩)

٨ اصعدوا انتم الى هذا العيد. انا لست اصعد بعد الى هذا العيد
لأن وقتي لم

عدد٨. (و) النتيجة الطبيعية لموقف العالم ازاء اخوة المسيح وازاء المسيح نفسه: «اصعدوا انتم الى هذا العيد» — اي اذهبوا انتم مع الحجاج،واشتركوا في التقدمات والمعدّات. «وانا لست أصعد بعد الى هذا العيد. لان وقتي لم يكمل بعد» — كلمة «بعد»، التي أردفت بها كلمة: «اصعد» لا تفيد ان المسيح كان مصمماً على عدم الذهاب الى هـذا العيد، بل على العكس من ذلك — انه كان عازماً على ان يذهب الى العيد، لكن وقت ذهابه لم يكن قد حان بعد. اذاً ذهابه الى العيد (عدد ١٠)، لا يدل على تغير في فكره، بل على تنفيذ شيء كان في فكره. سيمّا وان السيد لم يذهب الى العيد ظاهراً على اعتبار انه المسيح، كما طلب اليه اخوته، بل ذهب سراً. كذلك ايضاً لم يذهب الى العيد كعابد، معيد، مع غيره من العابدين المعيدين بل ظهر في منتصف العيد، معلماً في الهيكل (عدد ١٤) لا صعوداً ظاهراً بل مستتراً. فضلاً عن ذلك فان المسيح لم يشاطر المعيدين تقديم الذبائح وممارسة التطهيرات الواجبة في العيد (١١:٥٥). فهو اذاً لم يذهب الى العيد على الصورة التي املاها عليه اخوته. «لان وقتي لم يكمل بعد» — على الغالب يستعمل هذا التعبير للاشارة الى وقت اتمام مهمة المسيح على الارض — وقت ذهابه الى اورشليم ظافراً وظاهراً ليستقبل الصليب، وهناك يقول «قد اكمل» (قابل هذا مع لوقا ٢١:٢٤ واعمال٧:٢٣)، ولعله يشير في هذه القرينة الى ان وقت ذهاب المسيح

يكمل بعد. ٩ قال لهم هذا ومكث في الجليل. ١٠ ولما كان اخوته قد
صعدوا حينئذ صعد هو ايضاً الى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء

الى هذا العيد — عيد المظال — لم يكن قد أتى بعد ، لان عليه خدمات يجب ان يتمها في الجليل قبل ذهابه الى العيد ، كما يتبين من العدد التالي

عدد ٩ . مكوث المسيح في الجليل : «قال لهم هذا ومكث في الجليل» — الى ان تنقضي الفترة التي بسببها قال : «لست اصعد بعد الى هذا العيد» ان كل وقت، وان دقّ او قصر، له قيمته الخاصة عند المسيح، لانه مُحمَّلٌ بأعمال جليلة ، تشتهي الملائكة ان تطلع عليها

عدد ١٠ . ذهاب المسيح الى العيد : المفهوم من هذا العدد ان المسيح لم يذهب الى العيد مع اخوته بل على انفراد ، أو ربما مع واحد او اثنين من اخصائه— هذا معنى قوله: «لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء». قابل هذه الزيارة التي فصل فيها نفسه عن الحجاج ، بزيارته الاولى التي ذهب فيها الى الهيكل بقوة (٢: ١٣) ، وبزيارته الاخيرة الظافرة التي انتهت بالصلب (١٢: ١٢) . لقد اختار المسيح ان يصعد — والصعود هنا جغرافي — الى اورشليم ، مستتراً في هذه المرة، لكي يتحاشى اثارة عواطف الجماهير الهائجة، الغير المهذبة، مخافة ان يجعلوه ملكاً ارضياً ، فيفسدوا عليه رسالته ، ولكي يمنع الاحتكاك برؤساء الكهنة الذين جعلوا من قلوبهم مستودعاً للمفرقعات التي كانت تنتظر اقل شرر فتلتهب. «لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء» — ليقدم للمعيدين شهادة هادئة كالنسيم قوية كأشعة الشمس

١١ فكان اليهود يطلبونه في العيد ويقولون اين ذاك. ١٢ وكان
في الجموع

٧: ١١ — ١٣. «مناجاة كثيرة من نحوه» : هذه الاعداد تزيح الستار عن الشعور المتناقض الذي كان ينتظر المسيح في العيد، قبيل ذهابه اليه. وان انشغال الجميع به، لاكبر دليل على عظم التأثير العميق، والواسع النطاق، الذي احدثه المسيح في زيارته السابقة (ص ٥). او ليس من تباين الطبائع البشرية ان تصدر هذه الاحكام المتناقضة، على شخص واحد؟ اذاً فالبشر هم عاقدو لواء مستقبلهم: إن في السماء او في الجحيم

عدد ١١. (أ) تفتيش اليهود عنه : «فكان اليهود» — رجال السلطة الدينيّة المعادين للمسيح امثال قيافا وأتباعه — «يطلبونه» — ويبحثون عنه بين جماعات الحجاج الجليليّين، لأنهم لم يروه «في العيد» كما كانوا يتوقعون. «ويقولون اين ذاك» — إن في كلمة: «ذاك»، نغمة تحقير يمازجها حقد. ويقول لوتير: «ان اليهود من فرط كرههم للمسيح لم يطيقوا ان يذكروا اسمه على شفاههم فكأنهم ارادوا ان يقولوا: اين ذاك الشخص الذي حاز شهرةً واسعة من غير حقّ. فأزعجنا وأقلقنا»؟ ويقول وستكوت: «أنهم كانوا في تفتيشهم عنه محمولين بنية سيئة يمازجها حب الاستطلاع والتعجب»

عدد ١٢. (ب) المناجاة المتضاربة «وكان في الجموع» — جماعات المعيدين. وردت كلمة: «جموع»، في بشارة يوحنا هذه المرة وحدها. «مناجاة كثيرة» — قيل وقال، اقرب الى التمتمة في الخفاء، منها الى الكلام علانيةً

مناجاة كثيرة من نحوه. بعضهم يقولون انه صالح. وآخرون
يقولون لا بل يضل الشعب. ١٣ ولكن لم يكن احد يتكلم عنه

وجهراً . « من نحوه » — الاشارة الى الكلام بوجه عام : سواء أكان في جانب المسيح ام ضده . من هذه الكلمة العامة : « مناجاة ، كثيرة » ينتقل يوحنا البشير الى الكلام التفصيلي، فيرينا ان اولئك الجموع المتناجين كانوا على طرفي نقيض : « بعضهم » — الطرف الايجابي — « يقولون انه صالح » — غير محب لذاته ، شفوق ، صادق في ادّعائه ، محسن ، شريف القصد ، حقيق بأن يُتّبع (مرقس ١٠: ١٧) — « وآخرون » — الطرف السلبي — « يقولون لا . بل يضلّ الشعب » — كلمة « شعب » تعني الجماهير السريعة التأثر والتقلب . أهكذا تصف البشرية منقذها ومحررها ؟ ! أهذا هو الحكم الذي يصدره المتهمون المتحزّبون على ديان الارض ؟ !

عدد ١٣ . (ج) سرية هذه المناجاة : ان السر في كون هذه المناجاة خفيةً هو : « لسبب الخوف من اليهود » . لان الرؤساء لم يكونوا قد اعلنوا رسمياً رأيهم في المسيح ، مع ان اتجاه افكارهم كان معروفاً . فالذين أثنوا على المسيح خافوا من ان يعلنوا هذا الثناء، فيجلب عليهم غضب الرؤساء. والذين كانوا يذمون المسيح، خافوا من ان يصرحوا جهراً برأيهم لئلا يكونوا مفرطين في هذا الذم او مقصرين ، سيما وهم يعلمون ان رؤساءهم غير ثابتين على رأيهم ، فقد يمتدحون غداً من ينتقدون اليوم . مسكين ذلك الشعب الاعمى، الذي أسلم قياده لقوم، اقلّ ما يقال فيهم، انهم : « عميان قادة عميان » . كلمة « جهراً » قد

جهاراً لسبب الخوف من اليهود . ١٤ ولما كان العيد

تعني في الأصل جلاء في التعبير (١٠: ٢٤؛ ١١: ١٤؛ ١٦: ٢٥ و ٢٩ و١٨: ٢٠)، او حرية في اذاعة الرأي من غير خوف ولا وجل (١١: ٥٤).وهي كما استعملت هنا ، تفيد المعنى الثاني

ثانياً . ما حدث اثناء العيد ٧: ١٤ — ٣٦

هدأت ثائرة اليهود ، الذين كانوا يطلبون المسيح في العيد ، ولم يجدوه ، فانصرف كل منهم الى الممارسات التي يتطلبها العيد ، وما هي الا ايام معدودات حتى ظهر المسيح في الهيكل معلماً . غير ان رؤساء اليهود ، لم يتعرّضوا له بشيء ، فكان أمام المسيح متسع من الوقت حتى نهاية العيد، ليتم رسالته التي صعد الى اورشليم لاجلها

يتضمن هذا الفصل ثلاثة خطابات مختصرة فاه بها المسيح اجابة على اسئلةٍ واعتراضات وُجهت اليه من المعيّدين : — **الخطاب الاول** ٧: ١٤ — ٢٤ . **الخطاب الثاني** :— ٧: ٢٥ — ٣٠ . **الخطاب الثالث** :— ٧: ٣١ — ٣٦ . **الخطاب الاول** — فاه به المسيح رداً على تعجب اليهود وتساؤلهم . وموضوعه (أ) **اصل تعليمه** : (٧: ١٤ — ١٨) . (ب) **تبرير موقفه** في اتيانه المعجزة المذكورة في الاصحاح الخامس : (٧: ١٩ — ٢٤) . **والخطاب الثاني** . نطق به جواباً على سؤال قوم من سكان اورشليم وتناول فيه الكلام عن اصله ومصدره . **والخطاب الثالث** ألقاه على الخدام الموفدين من الفريسيين ورؤساء الكهنة، ليلقوا القبض عليه، وقد تكلم فيه عن غايته ومصيره . ولكل خطاب

رسالته ، وغرضه ، ونغمته . فالخطاب الاول مُفرغ في قالب دفاع ، والثاني في صورة احتجاج ، والثالث في شكل انذار

الخطاب الاول:— ٧:١٤ — ٢٤ . يقع هذا الخطاب في شطرين، يتوسط بينهما كلام جافٍ موجه الى المسيح من الجمع: (أ) **الشطر الاول** (٧:١٤ — ١٨) يتضمن كلام المسيح عن **اصل تعليمه** (ب) **الشطر الثاني** (٧:١٩ — ٢٤) يشتمل على كلام المسيح عن *عمل المعجزة* المدوّنة في الاصحاح الخامس

وجدير بنا ان نمعن النظر في موقف الجمع ازاء المسيح . فهو موقف يدعو الى الاعجاب ، لانه سائر على ناموس التدرج والتقدم . فهو اذاً مطبوع بنفس الطابع الذي دُمغت به هذه البشارة : — في عدد ٢٠ نلمح الجمع وقد اتخذوا من المسيح موقف الجفاء ، فصدرت منهم كلمات قريبة جداً من التجديف — ان لم تكن تجديفاً ، وفي عدد ٣١ نراهم اقرب الى الايمان منهم الى الشك ، وفي عدد ٤٠ نجدهم وقد بلغوا في الايمان مرتبة راقية ، فاضحى ايمانهم يقيناً

الشطر الاول من الخطاب الاول— ٧:١٤ — ١٨ . (١) **وجود المسيح في الهيكل** (٧:١٤). (٢) *تعجب اليهود وتساؤلهم* (٧:١٥) . (٣) **جواب المسيح** (٧:١٦ — ١٩)

عدد ١٤ . (١) **وجود المسيح في الهيكل** — ٧:١٤ . «ولما كان العيد قد انتصف» يستغرق العيد عادة سبعة ايام مضافاً اليها اليوم الثامن الذي هو «اليوم الاخير العظيم من العيد» (٧:٣٧ و لاويين ٢٣:٣٦) . فنحن الآن في اليوم

صعد يسوع الى الهيكل وكان يعلم . ١٥ فتعجب اليهود قائلين كيف
هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم . ١٦ اجابهم يسوع وقال تعليمي

الرابع من العيد . «صعد يسوع الى الهيكل ليعلّم» — هذه أول مرة ، في هذه البشارة ، نرى المسيح معلماً في الهيكل . والظاهر انه في المرة الاولى التي فيها طهّر الهيكل ، لم يعلّم هناك . ويغلب على اعتقادنا ، ان المسيح عرّج على «بيت عنيا» ، قبل ذهابه الى اورشليم في هذه المرة (لوقا ١٠: ٣٨)

عدد ١٥ . (٢) *تعجب اليهود وتساؤلهم* ٧: ١٥ «فتعجب»(مت٢٢: ٢٢ و لوقا ٤: ٢٢) — « اليهود » — اي الرؤساء الدينيون الفخورون بألقابهم العلميّة والادبية . «قائلين كيف هذا» — كلمة : «هذا» ، تنمّ عن شيء غير قليل من التحقير والازدراء ، يمازجهما الحقد والبغضاء (٦: ٤٢؛ ٧: ١٢) . « يعرف الكتب وهو لم يتعلم » . المفهوم ان يسوع المسيح ذهب الى مدرسة قريته المعروفة بـ « بيت المدراش » كما يذهب عادة كل صبي عند بلوغه سنّاً معينةً . فالكلام هنا ، ليس عن عدم تعلم المسيح على الاطلاق ، بل عن عدم حيازته درجة «العالمية» من مدرسة الرابيّين ، لانه لم يتعلم الى هذا الحدّ . وعلى الرّغم من هذا فان معرفته بالكتب ، أدهشت العلماء . مع ان كلمة : « كتب» تشير بنوع خاص الى الكتب المقدسة ، الا انها ليست قاصرة على الكتب المقدسة (اعمال ٢٦: ٢٤)

عدد ١٦ . (٣) *جواب المسيح* (٧: ١٦ — ١٩) : «أجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي بل للذي ارسلني — (أ) *مصدر تعليم المسيح* (عدد١٦) . اراد

ليس لي بل للذي ارسلني . ١٧ ان شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف

الفادي ان يماشيهم في الاعتقاد بان لا بد لكل معلم من ان يكون عالماً ومتعلماً فأفهمهم انه «عالم» بالمعنى الصحيح، لا بالمعنى الذي يفهمونه هم، وانه تخرج من مدرسة أعلى من مدرسة الرابيين — فلا يقول كلامه نقلاً عن الحاخام هليل ولا تسلم رسالته من الرّاب عزريا، بل تسلم مقاليد رسالته من الله رأساً. فهو اذاً «يتكلم بما يعلم، ويشهد بما رأى» (٣: ١١). لا مراء في ان المسيح يتكلم هنا عن نفسه باعتبار كونه معلماً، مرسلاً من الآب، حاملاً رسالة خاصة، لا باعتبار كونه الهاً. على ان هذا الكلام لا يطعن على لاهوته بل يعطيه مقاماً فريداً ممتازاً. لانه يبين متانة الصلة الوثيقة الدائمة التي تربطه كابن بالآب (٣: ١٢و١٣). كلمة: «تعليمي» لا تتقيد بتعليم خاص نطق به المسيح في مناسبة خاصة لكنها تشمل كل تعليم المسيح في كل ظرف. فهي اذاً تعني خلاصة رسالة المسيح التي جاء أرضنا لاجلها. هذه ذروة الامانة العليا

عدد ١٧ . **الطريقة المثلى** لتمييز مصدر تعليم المسيح . ان شاء احد ان يعمل مشيئته » — مشيئة الله — « يعرف التعليم . هل هو من الله أم أتكلم انا من نفسي » . أعلن المسيح في العدد السابق ان تعليمه صادر من عند الله ، ولم يشأ ان يُلقي القول على عواهنه ، بل قدَّم فرصة لمن يشاء من سامعيه ان يتحقق صدق كلامه ، فأراهم ان الطريقة الوحيدة التي بها يتبينون حقيقة مصدر تعليمه ، هي اطاعة مشيئة الله والعمل بها . فالطاعة العملية هي المفتاح الوحيد لكنوز المعرفة . ان العقبة الكؤود في سبيل ايمان الاكثرين

التعليم هل هو من الله أم أتكلم

ليست في عقولهم، بل في قلوبهم. ولن يفتح الله عقل انسان ما لمعرفة الحق،الا متى كان قلبه منعطفاً على هذا الحق ، ومطيعاً لارادة الله ، ومحباً لها : « سرّ الربّ لخائفيه » . «تعالَ اولاً ثم انظر» . ولكن ما هي « مشيئة الله » هذه المشار اليها في هذا العدد ؟ يقول اغسطينوس ولوثر ان هذه المشيئة هي الايمان بالمسيح : «هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو ارسله» (٦:٢٩) . ويقول روس ولامب : انها هي المسيحية العملية. من اراد ان يعرف العقائد المسيحية، فعليه ان يقوم بالواجبات المسيحية ، الادبية والروحية . ويقول جودي—وهو اقربهم الى الحق — انها هي الاعلانات الالهية التي اوحى بها الله الى اليهود عن طريق موسى والانبياء. كأنما المسيح أراد ان يقول لليهود : «لو كنتم امناء في العمل بالاعلانات التي بين ايديكم ، لأعطاكم الله على المزيد منها ، وأعلن لكم ان تعليمي هو منه لا مني » . هذا يوافق قوله في ٥:٤٦ « لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدقونني » — تؤمنون بي — « لانه هو كتب عني» . ان الله واحد، فاعلاناته تتجه الى غاية واحدة . فالذي يتتبّع النهر من منبعه لا بد واصل في النهاية الى مصبه. ان المسيح هو روح النبوّة،واليه يشير موسى وجميع الانبياء

على انه وان كانت « مشيئة الله » منصرفة في هذا الباب ، الى معلناته التي ارسلها تعالى على أيدي موسى والانبياء ، « وهي التي تشهد للمسيح » (٥:٣٩)، الا انها — من باب التطبيق — تعني ايضاً ارادة الله ، التي يلاقيها

انا من نفسي . ١٨ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. واما من
يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق

البشر في اختباراتهم اليومية : « من يعمل الحق يقبل الى النور» (٣: ٢١). ان الذي يعمل ارادة الله يتشرَّب من روح الله. ولا يقدر احد ان يسلِّم بان يسوع ربٌ الا بالروح القدس . في مدرسة الله لا يرتقي الى القسم العالي الا من يتخرج من القسم الاعدادي. فلا يعرف من هو « كلمة الله » المتجسد ، الا مَنْ أطاع كلمة الله المعلَنة ، وروحه المرشد (اعمال ٥: ٣٢)

عدد ١٨ (ج) برهان صدق رسالة المسيح . استدل المسيح على صدق رسالته من غايتها . فالغاية تنبئ بالمصدر ، كما ان المصبّ يهدي الى المنبع . اما غايتها فهي انه يطلب مجد الذي ارسله . ولو كان مرسَلاً من قبل نفسه لطلب مجد نفسه . «من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم» . هذه اكبر حجة تقضي على اتهامهم اياه بانه « يضل الشعب » (عدد ١٢) . هذا اكبر معول هادم لتقولات البعض بان المسيح دعا الى الشرك بالله . فهو لم يسلب حق من ارسله ، بل مجَّده. ان المسيح القائل عن نفسه «انا والآب واحد» ، يمجد الله . فمن يؤمن بالمسيح رباً وفادياً ، يمجد الله

تذكرنا كلمات المسيح الواردة في ٧: ١٦—١٨ بما سبق فقاله في ٥: ١٩ و٣٠و٣٧و ٤٤

ان العبارة الاخيرة : «فهو صادق وليس فيه ظلم البتة»، هي نقطة انتقال

وليس فيه ظلم. ١٩ أليس موسى قد اعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس. لماذا تطلبون

بين تبرير المسيح لتعليمه، و بين دفاعه عن اعماله وتصرّفاته. أو هي نقطة اتصال بين شطري الخطاب الاول الذي فاه به المسيح. فقوله «صادق» يدفع به اتهامهم اياه بانه «يضل الشعب» (عدد ١٢). وقوله «ليس فيه ظلم البتة» يدفع به اتهامهم اياه بانه هادم للناموس ومعتد على السبت (١٦:٥). فالمسيح « صادق » في ما يقول، « وليس فيه ظلم » في ما يعمل

ويجوز ان نعتبر قول المسيح: «ليس فيه ظلم»، نقطة انتقال من دفاعه عن نفسه، الى مهاجمته لمن تبرعوا له بالاتهام: فهو خال من الظلم، لانه لم يطلب مجد نفسه بل مجد الذي ارسله. اما من يتهمونه وهو بريء، و يطلبون ان يقتلوه، فهؤلاء هم مرتع الظلم، بل هم الظلم مجسماً (١٦:٥و١٩:٧)

عدد ١٩. *الشطر الثاني من الخطاب الاول – دفاع المسيح عن عمله ٧: ١٩ – ٢٤*. «أليس موسى قد اعطاكم الناموس». أشار المسيح بهذا القول، الى محاولة اليهود ان يقتلوه بعد ان شفى مريض بركة بيت حسدا في السبت (١٦:٥). واي امر ادعى الى التعجب، بل الى التألم، من ان نرى اناساً يدعون انهم يدافعون عن الناموس، وهم في مقدمة مقاوميه وكاسريه! ؟ هذه هي التهمة التي وجهها المسيح الى كل منهم «أليس موسى قد اعطاكم الناموس وليس احد منكم يعمل الناموس. لماذا تطلبون ان تقتلوني» ؟ اذاً هم المستحقون للقتل لان « اجرة الخطية هي موت »، واما المسيح البار، ومبرّر

ان تقتلوني. ٢٠ اجاب الجمع وقالوا بك شيطان. من يطلب ان

الفجار، فلماذا يطلبون ان يقتلوه الا لكي يتخلصوا منه، فتستريح ضمائرهم التي كانت تثور عليهم عند سماعها « شهادة المسيح عليهم بأن اعمالهم شريرة » (عدد ٧)

ان رؤساء اليهود اعتدوا على روح الناموس، كما انهم عطلوا حرفه أيضاً. اما اعتداؤهم على روحه، فظاهر من الغلّ الذي ملأ قلوبهم، فارادوا ان يطفئوا نيرانه بسفكهم دم المسيح. ومن اكبر الادلة على تعطيلهم حرف الناموس، أعمالهم العديدة التي يكسرون بها السبت، مثل ممارسات الهيكل المنوّعة. وتقديسهم فريضة الختان فوق تقديسهم فريضة السبت. كما سنرى في عددي ٢٢ و٢٣. فاذا كانوا هم يكسرون بعض اركان الناموس، بدافع الحرص على أركان أهمّ، مع كونهم عبيد الناموس، فكم بالأحرى يجوز للمسيح ان يكسر حرفية ناموس السبت في سبيل تقديسه لناموس افضل — أعني به ناموس الرحمة والحنان، حال كونه هو صاحب الناموس، بل روحه، وغايته ؟ ؟

عدد ٢٠ مقاطعة الجمع له: «اجاب الجمع وقالوا» — كان هذا الجمع ساذجاً غبياً، غير عالم بنوايا رؤساء اليهود نحو المسيح. وقد ظهرت غباوته المزدوجة في جهله حقيقة الرؤساء، وفي جهله حقيقة المسيح. ظن ذلك الجمع ان المسيح عصبي المزاج، سريع الانفعال، يعيش متأثراً بهواجس وهمية؛ لا وجود لها إلا في مخيلته، فيتوهم ان الناس يقصدون به شراً: «بك شيطان». قابل هذا القول بذاك الذي وُجِّه الى يوحنا المعمدان (مت ١١: ١٨ ولوقا ٧: ٣٣). هذه

يقتلك. ٢١ أجاب يسوع وقال لهم عملاً واحداً عملت فتتعجبون جميعاً

الكلمات اتخذت شكلاً اشد وأقوى في ص ٨: ٤٨و٥٢ و١٠: ٢٠ . مسكين ذلك الجمع الساذج ، الذي يحمل بكلّ ريح تعليم ، ويُساق سوق الانعام

عدد ٢١ — ٢٤ **جواب المسيح**. تغاضى المسيح عن مسبة هذا الجمع له، وبحلمه المعهود وجه الخطاب الى الجمع والى الرؤساء معاً ، مبرّراً عمله في اتيانه تلك المعجزة المذكورة في الاصحاح الخامس (٧: ٢١) ، مبيناً لهم عدم محافظتهم هم على الناموس — معنى ومبنىً — لانهم يكسرون السبت في سبيل محافظتهم على الختان (عدد ٢٢) ، وموبخاً اياهم على خطأهم في ادانته ، لانه كسر السبت في سبيل محافظته على سلامة الانسان بأكمله (عدد ٢٣) . ثم ختم جوابه بكلمة حكمية أفرغت في شكل نصيحة تصلح لان تكون مبدأ عاماً تسير عليه جميع الاجيال (عدد ٢٤)

« أجاب يسوع وقال لهم » — للجمع الذين سبّوه (عدد ٢٠) ، ولرؤساء اليهود الذين تعجبوا من غزارة علمه (عدد ١٥) ، — « عملاً واحداً عملت فتتعجبون جميعاً» — يشير المسيح بهذا العمل الواحد الى معجزة ابرائه مريض بركة بيت حسدا ، وقد اختار هذه المعجزة بالذات ، مع ان وقتاً غير قصير مضى عليها ، لانها عيّنة صحيحة لأعمال رحمته ، وفيها تجلت عواطف اليهود الثائرة عليه ، وعنها رفعوا التقريرات المطوّلة الى السلطات الرسمية ، و بمناسبتها التى المسيح خطاباً مستفيضاً عن بنوّته لله ، وعن كونه رب الموت والحياة ، فطلبوا ان يلقوا القبض عليه لكي يحاكموه كمجدّف ، و يقتلوه (٥: ١٦ — ١٨)

٢٢ لهذا اعطاكم موسى الختان . ليس انه من موسى بل من الآباء .

عدد٢٢. «لهذا» —لسبب سيأتي بيانه بعد،وهو ان عمل الخير في السبت لا ينقض السبت (ع ٢٢ و٢٣) — «اعطاكم موسى الختان» . ادخل موسى وصية الختان ضمن وصايا الناموس المتضمِّن أيضاً وصية السبت — «ليس انه» — الختان — «من موسى بل من الآباء» — هذه جملة معترضة، وهي تفسيرية لما قبلها، قصد بها: انه وان كان موسى قد اعطاهم الختان رسمياً كوصيةٍ من وصايا الناموس الكامل، الا ان فريضة الختان لم تُبدأ بموسى بل بابرهيم رئيس الآباء، فهي اذاً وصية قديمة، ولعلها أقدم من وصية السبت. ومع انه كان يُنتظر ان الوصية الجديدة تنسخ القديمة، الا ان وصية السبت خاضعة لوصية الختان. فقد قضى ناموس موسى (لاويين ١٢:٣) بأن يُختَن الطفل الذَّكر في اليوم الثامن، مع ان ذلك الناموس عينه قضى بأن لا يعمل اليهودي عملاً ما يوم السبت (خر ٢٠:٨—١٠) . وقد أفتى رؤساء اليهود وعلماؤهم بأنه اذا وافق موعد ختان الطفل يومَ سبت، فان فريضة الختان تنسخ وصية السبت. هذا ما يقول به المدراش اليهودي: «كل مستلزمات الختان ينبغي ان تُنجزَ يوم السبت» . وقال الرَّاب عقيبة: «كل عمل يقع في يوم السبت عادة، يجوز تقديم موعده الى ما قبل السبت، الا الختان. فاذا وافق يوم سبت، فمن المحال تقديمه أو تأخيره»

من اجل ذلك، برَّر المسيح ابراءه ذلك المريض يومَ سبت، مستنداً الى ثلاث حجج: الحجة الاولى — ما عمله موسى: باعطائهم وصية الختان

في السبت تختتنون الانسان. ٢٣ فان كان الانسان يقبل الختان
في السبت لئلا يُنقَض ناموس موسى أفتسخطون عليّ لأني شفيت
انسانًا كله في السبت. ٢٤ لا تحكموا حسب الظاهر

التي تنقض وصية السبت «لهذا اعطاكم موسى» — اي لهذا السبب الذي أتبرر به امامكم، وهو ان وصية الختان تنسخ وصية السبت. اذاً كان موسى مدافعاً عن المسيح مقدماً وهو لا يدري

الحجة الثانية — ما يعملونه هم: «في السبت تختتنون الانسان»

عدد ٢٣. *الحجة الثالثة — سيادة ناموس الرحمة* «فان كان الانسان يقبل الختان في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى. أفتسخطون عليّ لاني شفيت إنساناً كله في السبت»؟ اذا كان ناموس الضرورة ينسخ ناموس الوصايا، ووصايا الناموس، فبالأولى ناموس الرحمة يسود على كل ناموس: «شفيت انساناً كله» — فمن هذا نرى ان المعجزة التي أجراها المسيح تمتاز عن فريضة الختان: (أ) في *طبيعتها*: لانها معجزة رحمة: «شفيت» (ب) في *كفايتها وفاعليتها*: «انساناً كله». فالرجل شفي من مرضه الجسدي اذ قام وحمل سريره، ومن مرضه الروحي: «لا تخطئ أيضاً» (١٤:٥). (ج) في *ضرورتها* لان تأجيل الشفاء قد يقضي على حياة المريض، مع ان تأجيل الختان يوماً او بعض يوم لا يأتي بضرر معلوم

عدد ٢٤. *خاتمة الخطاب الاول* — نصيحة في صيغة مبدأ عام: «لا تحكموا حسب الظاهر...». ينبغي ان لا يكون الحكم مبنياً على ظواهر الامور،

بل احكموا حكماً عادلاً . ٢٥ فقال قوم من أهل اورشليم أليس هذا

مثلما نظر اليهود الى معجزة الشفاء ، نظرة سطحية ، فحكموا بان المسيح معتدٍ على الناموس، بل مؤسساً على بواطن الامور وخفاياها. فرُبَّ أعمالٍ تكون في ظاهرها مطابقة لحرف الشريعة ، وفي حقيقتها منافية لروح الشريعة . وكم من مسكين في غياهب السجون يستحق ان يكون بديلاً لمن يرتع في نعيم القصور. قاتلو الأجساد يرسفون في القيود، وقاتلو الأرواح تنحني امامهم الرقاب، آكلو لحوم البشر يُحسبون متوحشين ، وناهبو أعراض اخوتهم هم المتمدينون !!!

الخطاب الثاني ٧: ٢٥ — ٣٠

اصل المسيح : نحن الآن أمام منظر آخر، حدث أيضاً في الهيكل (ع٢٨) وان لم يكن قد حدث بالضرورة في ذات الوقت الذي فاه فيه المسيح بالخطاب الاول. في هذا المشهد الجديد، يتجلى لنا شعور جديد، هو شعور «أهل اورشليم» الذين كانوا أعلم بنوايا رؤساء اليهود ، من الجمع الساذج (ع ٢٥) ، ومع أنهم لم يوجهوا اليه كلاماً جارحاً كما فعل اولئك (ع ٢٠) الا أنهم جهلوا حقيقته بسبب ادعائهم كثرة العلم (ع ٢٧) . لا شيء أخطر من الجهل ، سوى العلم الناقص

عدد ٢٥ . **تساؤل اهل اورشليم ٧: ٢٥ — ٢٧** : « فقال قوم من اهل اورشليم » — هذه ثاني مرة وردت فيها كلمة «اهل اورشليم» في العهد الجديد (للمرة الاولى في مرقس ١: ٥) . « أليس هذا هو الذي يطلبون ان يقتلوه » ؟

هو الذي يطلبون ان يقتلوه. ٢٦ وها هو يتكلم جهاراً ولا
يقولون له شيئاً. ألعل الرؤساء عرفوا يقيناً ان هذا هو المسيح
حقاً. ٢٧ ولكنّ هذا نعلم من اين هو.

قبلاً كان المسيح في موقف الاتهام، لانه كسر السبت، والآن نرى اهل اورشليم وقد زجوا برؤسائهم في قفص الاتهام، ملصقين بهم تهمة الشروع في القتل: «يطلبون ان يقتلوه» كأنهم كانوا في سعي متواصل ليتحينوا كل فرصة للايقاع به

عدد ٢٦و٢٧. *جهلهم بطبيعة ظهور المسيح* ٧:٢٦و٢٧ «وها هو يتكلم..»

كان أهل اورشليم على وشك ان يكوّنوا فكرة صائبة عن المسيح، لولا ان غلبت عليهم فكرة كانت شائعة وقتئذ: وهي ان المسيح يأتي مستتراً فلا يدري أحد عن أصله شيئاً. فقد جاء في التلمود: «ثلاثة تأتي على غير انتظار: «مسيًّا (المسيح)، والكنز المكنون، والتنين». وكانت هنالك فكرة فاشية بين قوم منهم، وهي «ان مسيا متى جاء، يكون مجهولاً من الناس، ويظل هو ايضاً جاهلاً ذاته، حتى يأتي ايليا ويمسحه، فيظهره لذاته وللجميع». والظاهر ان هذه الافكار الخاطئة، نشأت في مخيلة بعض منهم نتيجة سوء فهمهم لبعض النبوات (دانيال ٧:١٣ اشعياء ١١:١ ; ٥٣:٢و٨)، مع ان هذه النبوات لا تعني سوى ان بيت داود يكون في حالة وضيعة وقت مجيء المسيح. لكن ما الحيلة في من اعماهم الادعاء بالعلم: «نحن نعلم» فتبرعوا لانفسهم ولغيرهم بالجهالة: «لا يعرف احد»! ان قولهم: «من اين هو» لا يشير الى المكان

وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من اين هو . ٢٨ فنادى يسوع
وهو يعلّم في الهيكل قائلاً تعرفونني وتعرفون من اين انا ومن نفسي

الذي وُلد فيه المسيح بل الى أصله وأبويه. ان هذه العبارة تنمُّ عن جهلهم المطبق، لأنهم كانوا الى الآن يعتقدون انه ابن يوسف!

عدد ٢٨ و ٢٩. جواب المسيح: «فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً..» اتخذ المسيح من اعتراض «اهل اورشليم»، سلماً لخطاب جديد عن موضوع جديد. في خطابه الاول تحدث عن اصل تعليمه، وبرّر موقفه في ابرائه مريض بركة بيت حسدا. وفي خطابه الثاني، خاطبهم عن اصله هو، وعن مصدر رسالته. فالكلمات التي يرتكز عليه هذا الخطاب هي: «لاني منه وهو ارسلني» عدد ٢٩. «فنادى يسوع وهو يعلم» — رفع صوته مجاهراً، ومعلناً، وكارزاً ومقرراً. وردت هذه الكلمة في الاصل، اربع مرات في هذه البشارة (١: ٥; ٧: ٢٨; ٧: ٣٧; ١٢: ٤٤). «في الهيكل» — هذه العبارة تدل على فترة وقعت بين الخطاب الاول والثاني، وترينا ان المسيح جاهر بهذه الكلمات على مسمع من الرؤساء والزعماء. ان مقادس الله حقيقةٌ بأقدس الاعلانات: «قائلاً تعرفونني وتعرفون من اين انا» — تفترض هذه الكلمات ان المسيح سلم بانهم يعرفون عنه وعن اصله بعض المعرفة. لكن ما عرفوه عنه لا يساوي مثقال ذرّة مما جهلوه. لقد عرفوه انه من بيت لحم او من الناصرة، وانه انسان أرضي وُلد كما يُولَدون، فكانوا في معرفتهم هذه اغبياء جاهلين. فاذا كان المسيح قد سلّم بأنهم يعرفون بعض المعرفة الا انه أنّبهم شديداً على فرط جهالتهم. لم تكن معرفتهم

لم آت بل الذي ارسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه .

به ناقصة وكفى، بل كانت ممتزجة بجهالة. «ومن نفسي لم آت» — اجمع علماء اللغة الاصلية على ان الواو التي تبدأ بها هذه العبارة، حرف عطف له قوة الاستدراك . فهي في قوة كلمة «لكن» . بهذا أعلن المسيح لهم انه لم يرتفع على أجنحة مطامحه الذاتية، لانه ليس من طراز الملوك الذين يتوجون أنفسهم ، ولا الرسل الذين يستمدون رسالتهم من نبع ادّعائهم — «بل الذي ارسلني هو حق» — هو مرسل حقيقي، له حق الارسال ، وله ان يقلد من يرسله حق تبليغ الرسالة.ويستفاد أيضاً من هذه العبارة، ان المسيح شاعر بمن ارسله ومتيقن انه شخص حقيقي. الى هنا كان المسيح مدافعاً ومقرراً . وفيما بعد ينتقل من الدفاع الى الهجوم : — «الذي انتم لستم تعرفونه» . هذه طعنة نجلاء صوبها المسيح الى رؤساء اليهود فأصابت منهم الصميم. ويزيدها حدّة انها صُوبت اليهم في الهيكل الذي يظنون انه محطّ تعبدهم لله ومهبط معرفتهم به . كان من السهل عليهم ان يُتهموا في جهلهم بالعلوم والفلسفة، ولكن ان يُتهموا في جهلهم بالله، فهذا مما لا يطاق. فلا عجب اذا كانت نيران هذه الكلمات قد انضجت عوامل حقدهم على المسيح . كانوا يزعمون انهم يعرفون الله ، ويعلمون «من أين أتى المسيح» (عدد ٢٧) ، فأتاهم حكم السماء — انهم لا يعرفون الله ، وبالتالي ، يجهلون من أين أتى المسيح . كلمة «انتم» وردت في الاصل بصيغة التوكيد من فمهم يدانون. فاذا كانوا قد اعترفوا في عدد ٢٧ ان جهلهم بالمسيح ، يؤيد رسالته، فإنا نحمد لهم هذا الجهل المطبق الذي تطوعوا له من غير قصد، فقدموه حجة دامغة على ان يسوع ، هو المسيح

٢٩ انا اعرفه لأني منه وهو ارسلني. ٣٠ فطلبوا ان يمسكوه ولم
يلقِ احد يداً عليه

ان جهل اليهود بالله، يقابله علم المسيح به: «أنا اعرفه لأني منه وهو ارسلني». «انا اعرفه» — هذه معرفة حقيقية اختبارية. بنى المسيح هذه المعرفة على اساسين — أولهما: ان أصله من الله — فمنه اشتُقَّ جوهره، وطبيعته، ووجدانه، باعتبار كونه أباه. وثانيهما: ان رسالته صادرة منه: «وهو أرسلني». ان الاساس الاول مختص بكيانه، والثاني برسالته. الاساس الأول نبع الثاني، والثاني مشتق من الاول ومتفرع منه

مما ذكر، يتضح لنا ان المسيح كشف في خطابه الثاني عن ثلاث حقائق مهمة. (أ) العلم الناقص الذي اتصف به أهل اورشليم: «تعرفونني وتعرفون من اين انا». (ب) الجهل الكامل الذي ملك قلوبهم ومشاعرهم: «الذي انتم لستم تعرفونه». (ج) العلم الكامل الذي اتصف به المسيح: «انا اعرفه»

ان معرفة الله أس كل معرفة، والجهل به هو الجهالة مجسمة: «قال الجاهل في قلبه ليس اله». (مز ١٤: ١)

عدد ٣٠. مبلغ تأثرهم من كلامه «فطلبوا ان يمسكوه. ولم يلقِ أحد..» لقد تأثروا شديد التأثر من كلامه. وقويت لديهم فكرة الاعتداء عليه، فتوطدت عزيمتهم على ان يلقوا القبض عليه. في هذا العدد نرى: (أ) سعيهم الغير المشكور: «فطلبوا ان يمسكوه». والظاهر ان هذا السعي كان مصدره رؤساء اليهود كما في ص ٥: ١٦ — ١٨. (ب) ضعف قوتهم: «لم يلقِ أحد يداً

لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد . ٣١ فآمن به كثيرون من الجمع

عليه» . مهما كانت ارادة البشر قوية ، فانها تعجز كل العجز عن ان تستقدم اي عمل من الاعمال التي رتبها الله في سلطانه . كان اليهود الى الآن يخشون هياج الشعب الذي كان يحترم المسيح (لوقا ٢٠: ١٩) وكانت ضمائر اولئك الرؤساء واقفة سداً منيعاً بينهم و بين عمل الاجرام الذي كانوا مقدمين عليه، لان هذه الضمائر لم تكن قد تقست بعد، بل كان فيها بصيص من النور. وفوق ذلك فان المسيح، كان يحف به سلطان ممتاز، وكانوا الى الآن يخشون رهبته. كل هذه علل ثانوية ظاهرة، منعتهم من القاء القبض عليه . (ج) العلة الاصلية الحقيقية لعجزهم : « لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد » ليست هذه مجرد ساعة القبض عليه (١٨: ١٢) ، بل هي ساعة صلبه ، التي كانت ساعة القبض عليه ، ممهدة لها (راجع ٧: ٨)

الخطاب الثالث ٧: ٣١—٣٦ .قرب انطلاق المسيح

(١) مواقفان متناقضان ٧: ٣١و٣٢ . كلمات واحدة نطق بها فم واحد ، وألقاها بروح واحد ، فأنتجت نتيجتين متناقضتين ، تختلفان باختلاف استعداد قلوب السامعين . هذه الكلمات ، سمعها الجمع الطيب القلب ، « فآمن به كثيرون» (عدد ٣١) . وسمعها الفريسيون ورؤساء الكهنة ، «فأرسلوا خداماً ليمسكوه» (عدد ٣٢)

عدد ٣١ .(١) ايمان كثيرين من الجمع بالمسيح : «فآمن به كثيرون من الجمع وقالوا . . » بينما كانت عوامل البغضاء تختمر في قلوب المعادين للمسيح ،

وقالوا ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا
٣٢ سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون

كانت بذار الايمان تزداد نمواً في قلوب أحبائه ومريديه . ان شعاعة الرجاء التي دخلت قلوب هؤلاء الجوع (عدد ١٢) ، قد أصبحت الآن نوراً ، فأضحت ايماناً . الا ان ايمانهم لم ينضج بعدُ ، لانه كان متجهاً الى معجزات المسيح، لا الى شخصه (٢: ٢٣). لذلك كانوا بالرغم من ايمانهم هذا، مستسلمين لسطوة الرؤساء ، فلم يعترفوا بايمانهم به اعترافاً ايجابياً صريحاً . ان مركز الدائرة في المسيحية ، ليس معجزات المسيح ، ولا كلماته ، بل شخصه . وان مركز الدائرة في شخصه ليس حياته ، بل موته ، وقيامته

عدد ٣٢ . (ب) *جحود الفريسيين ورؤساء الكهنة* : «سمع الفريسيون الجمع . . . فأرسل . . . خداماً ليمسكوه». ان ايمان الجمع بالمسيح ، قد أيقظ الفتنة التي كانت نائمة في قلوب الفريسيين ورؤساء الكهنة ، واثار حفيظة نفوسهم . لم يكن مكان التئام السنهدريم ، بعيداً عن المكان الذي كان الجمع جالساً فيه (٨: ٢٠) ، فمن المحتمل ان بعض اعضاء السنهدريم ، الذين من شيعة الفريسيين ، سمعوا بآذانهم كلام الجمع عن المسيح . كما انه من المحتمل ايضاً ، انهم كانوا قد ارسلوا «عيونهم» ليتجسسوا ، ويقدموا اليهم تقريراتهم . لان كلمة : «سمع» ، تحتمل احد الفرضين . او كليهما معاً . هذه اول خطوة رسمية اتخذها السنهدريم ضد المسيح. بل هذه اول حلقة من سلسلة المؤامرات الرسمية التي أختتمت بصلبه . ان تكرار كلمة : «الفريسيين» ، مرتين في هذا

وروؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه . ٣٣ فقال لهم يسوع انا معكم
زماناً يسيراً بعد ثم امضي

العدد ، وتقديمها على كلمة : «رؤساء الكهنة» يفيدان ان الفريسيين كانوا متولّين الزعامة في هذا العمل الغير المبرور. كانوا هم القوة المفكرة، وكان رؤساء الكهنة القوة المنفذة . ويُستدلّ من ذكر الفريسيين ورؤساء الكهنة معاً، ان هذين الحزبين اللذين يتألف منهما السنهدريم ، كانا متحالفين في هذه المسألة،على رغم كونهما متخالفين في سائر المسائل.فكأنّ عداءهم المشترك نحو المسيح قد جمع بين قلوبهم . فياله من صانع سلام حتى بين صفوف اعدائه !

ان الكلمة: «رؤساء الكهنة» تضم بين ذراعيها رئيس الكهنة الذي كان يشغل هذه الوظيفة ، وجميع رؤساء الكهنة السابقين : مثل حنان ، وابنه اليعازار ، وشمعون بن قمحي ، واسماعيل بن فابي . ولعلها تشمل ايضاً : «جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة» (اعمال ٤: ٦) . هذه اول مرة وردت فيها كلمة «الفريسيين» في بشارة يوحنا

والمستفاد من كلمة : « أرسل » ، ان الخدّام كانوا مزوّدين بسلطان رسمي ، من قِبَل السنهدريم (٧: ٤٥و١٨: ٣ و١٢و ١٨و٢٢و ١٩: ٦ واعمال ٥: ٢٢و٢٦) . فكان عليهم ان يتحينوا فرصةً فيها يمسكونه بكلمة ، ومتى رأوا تيار الرأى العام متحوّلاً عنه ، ألقوا القبض عليه

عدد ٣٣ . (٢) خطاب المسيح ٧: ٣٣و٣٤: «فقال لهم يسوع..». في هذا الخطاب حدّثهم المسيح عن : (أ) قصر حياته الارضية : «انا معكم زماناً . . »

الى الذي ارسلني . ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون انا
لا تقدرون انتم ان تأتوا . ٣٥ فقال اليهود فيما بينهم الى اين هذا

(ب) مجهول مآله : «...ثم أمضي...» . (ج) سوء مآلهم : «لا تقدرون...»

(١) قصر حياته الارضية . لم تكن مؤامراتهم خافية عليه . لذلك بيَّن لهم ان أمامهم فرصة نادرة . تخيرٌ لهم ان ينتهزوها ، فيتمسكوا به ، بدلاً من ان يمسكوه

(ب) مجهول مآله . لم يأت المسيح أرضنا ليعمّر عليها ، بل جاءها برسالة ، ومتى أتمّ رسالته عاد الى الذي ارسله . هذا مآل طبيعي لذاك الذي أتى من الآب . لان المياه تعلو الى المستوى الذي منه نبعت

عدد ٣٤ . (ج) سوء مآلهم . يتضمن هذا العدد عبارتين — تشير اولاهما الى مصيرهم كمجموع : «ستطلبونني ولا تجدونني» ، وتشير الثانية الى مصيرهم كأفراد : «حيث أكون انا لا تقدرون أنتم ان تأتوا» ، لان المياه لا تعلو فوق منبعها . في العبارة الاولى ازاح المسيح الستار عن الخيبة المرّة التي ستصيب اليهود كمجموع عند ما يطلبون «مسيحهم المنتظر» ، فلا يجدونه ، لانه يكون قد مضى عنهم في شخص يسوع الذي يحدثهم الآن . وفي العبارة الثانية ، أراهم ان كلاً منهم منحدر الى مكان الظلمة حيث البعد عن الله

عدد ٣٥و٣٦ . (٣) تساؤل اليهود «فقال اليهود فيما بينهم . .» . نطق اليهود بهذه الكلمات متهكمين ، كأنهم ارادوا ان يقولوا « اذا كانت رسالة هذا المسيح قد فشلت بين اليهود الحقيقيين الساكنين في الأرض المقدسة ،

مزمع ان يذهب حتى لا نجده نحن. ألعله مزمع ان يذهب الى
شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين. ٣٦ ما هذا القول الذي قال
ستطلبوني ولا تجدونني وحيث اكون انا لا تقدرون انتم ان تأتوا
٣٧ وفي اليوم

والمتكلمين بلغة اليهود السامية. فهل يعلن نفسه مسيحاً على اليهود المشتتين في ربوع اليونان؟ لعله اذاً مسيح للأمم»!! كلمة «يونان» ليست قاصرة على الروم، لكنها تعني الاميين مطلقاً، غير اليهود

لقد كان هؤلاء اليهود في تهكمهم، احكم منهم في جدهم. لانهم نطقوا بما لم يعلموا، فكانوا «انبياء»، أو انصاف انبياء، وهم لا يعلمون. مثلهم مثل قيافا الذي تكلم عن موت المسيح بحكمة شبيهة بالنبوات (١١:٥١)

لم يمضِ سوى وقت قصير حتى تمّت هذه النبوة غير المقصودة، فصار المسيح بحق «مسيح الامم». وكُتِبَ انجيله بلغة اليونان. وان خير دليل على هذا، هو بشارة يوحنا، التي نحن بصددها الآن، إذ كُتبت أصلاً بلغة «اليونان»!

ثالثاً: في اليوم الاخير العظيم من العيد — ٧:٣٧—٥٣

(أ). المسيح النبع الحقيقي — ٧:٣٧—٤٤

(ب) الثأم مجمع السنهدريم — ٧:٤٥—٥٣

(أ) المسيح النبع الحقيقي ٧:٣٧ — ٤٤. (١) خطاب المسيح (٧:٣٧ و٣٨). (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح (٧:٣٩). (٣) تأثرات الجموع المختلفة (٧:٤٠—٤٤)

(١) خطاب المسيح (٧:٣٧و٣٨). «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد..». بلغنا الآن اليوم الأخير العظيم من عيد المظال، وهو أرهب ايام العيد واقدسها، وفيه نلحظ نغمةً جديدة في كلام المسيح. فيما مضى كان كلامه مفرغاً في قالب منطقي احتجاجي، والآن نجده مقدماً في صيغة دعوة ملكيّة، فالتقت فيه رهبة كلام المسيح، بهيبة ذلك اليوم الأخير العظيم، وتكوّن منهما صوت قويّ بجلاله، معلناً ان المسيح هو الجوهر الذي تنتهي عنده الظلال اليهودية، وهو الرمز الحقيقي الذي تلتقي فيه خلاصة رموز العهد القديم

في الاصحاح الثاني وجدنا في المسيح الهيكلَ الحقيقي، الذي كان يرمز اليه هيكل اليهود. وفي الاصحاح الثالث رأينا فيه الترياق الحقيقي الذي كانت ترمز اليه الحية النحاسية. وفي الاصحاح السادس عرفنا فيه الخبز الحقيقي الذي كان المنّ له رمزاً. وفي هذا الاصحاح السابع نشاهد فيه النبع الحقيقي الذي كانت ينابيع البرية رمزاً له. وفي الاصحاح الثامن نلمح فيه النور الحقيقي الذي كان يرمز اليه عمود النار في البرية. وفي الاصحاح التاسع عشر نكتشف فيه الفصح الحقيقي الذي كان فصح اليهود ظلاً له

عدد ٣٧. (أ) *الوقت الذى قيل فيه الخطاب*: «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد» — في اليوم الثامن الذي هو خاتمة المطاف في هذا العيد (لاويين ٢٣: ٣٦ ونحميا ٨: ١٨). فيه كان ينتظم المعيدون صفوفاً ويدخلون الهيكل. ثم

وقف يسوع ونادى قائلاً ان عطش احد

يقفلون راجعين الى بيوتهم،ويبيتون هناك (لا٢٣:٣٩)،ويقدمون فيه ذبائح خاصة (عدد ٢٩:٣٦—٨) . فاذا كانت سبعة ايام العيد التي يقضيها المعيدون في المظال،ترمز الى تغرب الاسرائيليين في البرّية ، فان اليوم الثامن الذي فيه يتركون مظالهم ويرجعون الى بيوتهم،يرمز الى دخولهم أرض الموعد واستراحتهم فيها . حسناً قال فيه فيلون : «ان اليوم الثامن في عيد المظال هو خاتمة أعياد السنة المقدسة» . وفيه قال يوسيفوس : «هو الختم المقدس للسنة»

(ب) *الكيفية التي قيل بها* : «وقف يسوع» — على خلاف عادته ، لانه كان يتكلم غالباً وهو جالس (مت ٥:١) ولعله كان يراقب خروج الناس من مظالهم قاصدين الهيكل . وربما « وقف » ليضيف الى صوته رهبة ، وقوة ، وارتفاعاً . «ونادى قائلاً » — بصوت جهوري واضح النبرات ، لتتفتح آذان من يريدون ان يسمعوا ، وتُصمّ آذان من وضعوا اصابعهم في آذانهم

عدد ٣٧و٣٨. *لب الخطاب* :«ان عطش احد..». كان المعيدون يستقون مياهاً من بركة سلوام في صباح كل يوم من السبعة الايام الاولى في العيد.فبعد تقدمة الصباح يذهب الكاهن في مقدمة الشعب ، و بيده ابريق من ذهب ، فيملأه ماء من بركة سلوام، ويتقدم به الى الهيكل ، والشعب من خلفه ، يؤلف موكباً عظيماً ، مخترقاً طرقات المدينة ، باناشيد وهتاف ، واصوات أبواق تشق كبد الفضاء — ويقول الرابيون ان من فاته افراح هذا اليوم فقد فاته ان يتذوق طعم الفرح الحقيقي . واذ يبلغون الهيكل، يصعد الكاهن الى

مذبح المحرقة ، فيناديه الشعب : « شمّر عن ذراعك » ، فيجيبهم بسكب المياه التي في الابريق ، الى جهة المغرب . وفي هذه اللحظة يرتل الشعب التسبحة القائلة : «تستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص» (اشعياء ١٢:٣) . وقد اتفقت كلمة المفسرين على ان المعيدين كانوا يمارسون هذا الطقس مدة السبعة الأيام الاولى من العيد . ويكفّون عن ممارسته في اليوم الثامن . فكان من الطبيعي، ان يقف المسيح في هذا اليوم الثامن الذي تُعطّل فيه هذه الفريضة الطقسية ، ليقرر للمعيدين انه هو نبع الماء الحقيقي ، الذي تختفي أمامه المياه الطقسية . فهو الحقيقة التي تتلاشى امامها الظلال . وهو الجوهر ، الذي امامه تتخذ الرموز اجنحة أثيرية وتطير

على ان هذا الطقس الرمزي كان يذكر اليهود بحقيقة تاريخية مجيدة . فكما ان سكنهم في المظال ، كان يذكرهم بتغربهم في البرية ، كذلك كانت فريضة الماء المنسكب ، مذكرة اياهم بالماء الذي تفجّر من الصخرة في البرية . وفي اعتقادنا ان المسيح لم يقف في خطابه هذا، عند حد الاشارة الى الماء الذي كانوا يستقونه مدة أيام العيد ، بل تناول أيضاً الاشارة الى تلك الحقيقة التاريخية ، التي كانت فريضة الماء المنسكب رمزاً لها . فكأنما المسيح قصد ان يعلن لأولئك المعيدين انه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له . هذا يؤيده قول بولس الرسول : «لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح» (١ كو ١٠:٤) ، و يدعمه قول المسيح

ويشرب . ٣٨ من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار

نفسه : « ان عطش احد » . لان مياه العيد لم تكن ليشرب منها كل من عطش ، بل كانت تقدَّم سكيباً . واما ماء الصخرة في البرية فقد شرب منه العطاش ، ثم عادوا الى عطشهم السابق ، فماتوا

يتضمن هذا الخطاب — *دعوة* ، *ووعداً* ، ولكل منهما شطران. الشطر الاول ، شرط . والثاني جوابه. وشطرا الوعد يوضحان شطري الدعوة

(أ) *الدعوة*: « ان عطش احد » — هـذا هو الشرط . « فليقبل اليَّ . . . » — هذا جواب الشرط . (ب) *الوعد*: «من آمن بي » — هذا هو الشرط «... تجري من بطنه» —هذا جواب الشرط . وهذه الأربعة الأشطر ، سائرة في نظام تدرجي . فالعطش يؤدي الى الاقتبال الى المسيح والارتواء منه ، والاقتبال الى المسيح يتطور فيصير ايماناً به . والايمان به يُكافأ بما هو أفضل من الارتواء — ان يصير المؤمن نبعاً فياضاً ، وصخراً حياً ، يتفجر منه ماء حي لارواء الآخرين . فالتعطش الى المسيح هو الايمان في درجته الابتدائية . والارتواء منه هو مكافأة هذا الايمان الابتدائي . والايمان بالمسيح هو ثمرة الاقتبال اليه ، وارواء الآخرين هو نتيجة طبيعية للارتواء الروحي . ان قوله: « كما قال الكتاب »، يصف ما بعده لا ما قبله، ولا يشير بالضرورة الى قول معين بنصه، بل الى روح الكتاب (انظر اشعياء ٤٤: ٣؛ ٥٥: ١ و ٥٨: ١١ ؛ يوئيل ٣: ١٨ ؛ زكريا ١٤: ٨ ؛ حزقيال ٤٧: ١) . ولعل اقرب الأقوال اليه ، ما جاء بصدد الصخرة في البرية: «يخرج منه ماء» (خروج ١٧: ٦) ، «فخرج ماء

ماء حي. ٣٩ قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه.

غزير» (عدد ٢٠: ١١). ان في قول المسيح هذا برهاناً ضمنياً على حقيقة لاهوته. لانه من يستطيع ان يروي عطش كل البشرية ويملا احتياجاتها إلا الله وحده؟!!

عدد ٣٩. (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح ٧: ٣٩ «قال هذا عن الروح الذي..». ان خير مفسرٍ لكلمات المسيح هو أقرب التلاميذ الى قلبه — يوحنا الذي عرف معنى هذه الكلمات وتشبع بقوتها اختبارياً. وان أصدق مفسر لكلمات يوحنا، هو الاختبار المجيد الذي حصل عليه الرسل في يوم الخمسين لما «استقر» الروح القدس على كل واحد منهم و «امتلأ الجميع منه». ان الايمان بالمسيح هو الوسيلة المثلى للامتلاء من الروح القدس. وعند ما يملأ الروح القدس قلب المؤمن يصير فيه «ينبوعاً حياً ينبع الى حياة ابدية» (٤: ١٤). ان الوقت المقصود في قوله: «مزمعين ان يقبلوه»، يشير الى يوم الخمسين. فمع ان التلاميذ نالوا نصيباً من الروح القدس مذ آمنوا بالمسيح، الا أنهم لم يمتلئوا بالروح الا يوم الخمسين. فقد يحل الروح القدس في قلب المؤمن، من غير ان يكون قلب المؤمن ممتلئاً به. وقد يمتد الزمن بين الاختبارين الى بضع سنوات — كما في اختبار الرسل. وقد يكون بضعة أسابيع — كما في اختبار أهل السامرة، وسكان أفسس (اعمال ٨: ١٧ و ١٩: ١— ٧)، وقد يقتصر على ثلاثة أيام — كما في اختبار بولس الرسول (اع ٩: ١٧).

لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد. لأن يسوع لم يكن قد
مُجّد بعد.

وقد يملأ الروح القدس قلب المؤمن يوم حلوله فيه بالذات — كما في اختبار كرنيليوس (اع ١٠:٤٤)

أما سبب عدم امتلاء التلاميذ بالروح القدس وقت كلام المسيح ، بدلاً من يوم الخمسين ، فقد ذكره البشير في قوله : «لان الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد . لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد» . كان ينبغي ان يكمل عمل المسيح الفدائي ، قبل أن يحلّ عصر الروح القدس في الكنيسة . لأن أهم عمل يقوم به الروح القدس هو تخصيص فوائد الفداء لكل مؤمن . فمع أن الروح القدس كان موجوداً وعاملاً في بعض الافراد ، لكنه لم يُعطَ بملئه وفيضانه ، ليكون نائب المسيح في كنيسته على الأرض ، الا بعد أن قبلت ذبيحة المسيح الكفارية . وعلامة قبولها : قيامته وصعوده . ان قوله : «لم يكن قد مُجد بعد» يشير الى صلب الفادي الذي خُتم بقيامته و توّج بصعوده . هذه حقيقة تاريخية : ان الروح القدس لم يُعطَ بملئه الفياض الا بعد ان جلس المسيح عن يمين العظمة في الأعالي ، فأرسله الى الكنيسة . وهي أيضاً حقيقة اختبارية . فلن يملأ الروح قلباً ، الا اذا كان المسيح ممجّداً في ذلك القلب . على قدر ما نعطي من قلوبنا للمسيح ، يعطينا الروح القدس من المسيح . فعلى قدر ما نفرغ نمتلىء . و بمقدار ما نخضع نُرفع

هذه أول مرة ذُكر فيها «تمجيد» المسيح بحصر اللفظ في هذه البشارة

٤٠ فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو
النبي. ٤١ آخرون قالوا هذا هو المسيح.

عدد ٤٠. (٣) *تأثرات الجموع المختلفة* ٧: ٤٠ — ٤٤. كان البشير حريصاً على تسجيل التأثرات المختلفة التي بدت من الجموع، لكي يرينا ان الحنطة والزوان كانا ينميان معاً، وان طريق المسيح الى الصلب صار معبَّداً، وان حفيظة اليهود صارت تمتلىء تدريجياً بالمواد الملتهبة، منتظرة فرصة يقدح فيها شرر ضئيل فتندلع نيرانها

بعد ان سكن صوت المسيح، ارتفعت أصوات كثيرة بأقوال متضاربة شبيهة بأصوات الامواج الكثيرة بعد ارتطامها بالصخر.

وفي هذه الاعداد (٧: ٤٠ — ٤٤)، يحمل الينا البشير أربعة أصوات:

فالصوتان الاولان منبعثان من أشخاص أحسنوا الظن بالمسيح ولو ان كلمتهم لم تجتمع على رأي واحد. والصوتان الاخيران منبعثان من قوم معارضين

(أ) *صوت الفريق الاول*. «لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي» — المتنبأ عنه في تث ١٨: ١٥، والذي ظنه بعضهم شخصاً مستقلاً عن المسيح، ومهيئاً الطريق قدامه — على رتبة يوحنا المعمدان (انظر شرح ١: ٢١ و ٦: ١٤). لقد تكوّن هذا الاعتقاد في نفوسهم، بعد سماعهم كل الخطابات التي فاه بها المسيح أثناء العيد، لا نتيجة خطاب اليوم الاخير وحده. هذا ما تفيده العبارة: «هذا الكلام»، كما وردت في الاصل

عدد ٤١. (ب) *صوت الفريق الثاني*. «آخرون قالوا هذا هو المسيح».

وآخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل يأتي . ٤٢ ألم يقل الكتاب
إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي
المسيح . ٤٣ فحدث انشقاق في الجمع لسببه . ٤٤ وكان قوم منهم
يريدون ان يمسكوه ولكن لم يلقِ أحد

كلمة : « قالوا » كما هي في الاصل تعني انهم ظلوا يرددون هذا القول كعقيدة راسخة في أذهانهم . هذان هما الفريقان اللذان أحسنا الظن بالمسيح

(ج) عدد ٤٢ . *صوت الفريق الثالث* . أكتفى هذا الفريق بالتساؤل والاعتراض: « وآخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل يأتي. ألم يقل الكتاب انه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح » ؟

عدد ٤٣ . *انشقاق الجمع بسببه* . لم يرغب البشير ان يرد على هذا الاعتراض ، لانه رآه يحمل في نفسه حجة بطلانه . ان قليلاً من المعرفة يريكم يا أيها المعترضون ان المسيح وُلد في بيت لحم، لانه من نسل داود حقاً . (مز ١٣٢: ١١ وأرميا ٢٣: ٥ واشعياء ١١: ١ و١٠ وميخا ٥: ٢ و١ صم ١٦ مع متى ص ١ و٢ ولوقا ١ و٢). فمع أنه عاش في الجليل، الا انه وُلد في بيت لحم

عدد ٤٤ . (د) *صوت الفريق الرابع*. «وكان قوم منهم» — غير الخدام الموفدين من السنهدريم — «يريدون أن يمسكوه» — اما بتحريض من خدام السنهدريم ، او بتطوعهم ليقدموه بأنفسهم للمحاكمة ، أو ليوقعوا به الأذى من تلقاء ذواتهم (عدد ٣٠ و٣٢) «ولكن لم يلق أحد عليه الأيادي» تهيباً من

عليه الأيادي. ٤٥ فجاء الخدام الى رؤساء الكهنة والفريسيين.
فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به. ٤٦ أجاب الخدام لم يتكلم قط انسان

هالة المجد الذاتي التي كانت تحف به، وتخوفاً من حماسة الجماهير المعجبة به، فاستكانوا امام العناية الربانية الخفيةً: «لان ساعته لم تأت بعد»

(ب) التئام مجمع السنهدريم ٧: ٤٥ — ٥٢. ما أمرّ الحقد! انه يعبث بالقوانين، و يزيل الفوارق والحدود! فعلى خلاف أحكام الناموس، التأم السنهدريم في اليوم الاخير العظيم من عيد المظال، على زعم كون ذلك اليوم «سبتاً». وعلى خلاف ما بين الكهنة والفريسيين من خلاف مستحكم. التأم شملهم في انتظار تقرير الخدام الذين أُرسلوا ليلقوا القبض على يسوع. ان حقدهم على المسيح قد كسر أحكام الناموس، وازال ما بين هاتين الطائفتين من فوارق وحدود. فالحقد الذي يفرق بين القلوب المتحابة، هو ذاته الذي يجمع بين القلوب المتنابذة، ولكن الى حين. حتى يُقضى الوطر، فتعود القلوب الى ما كانت عليه من تحاسد وتنابذ

عدد ٤٥. (١) عودة خدام السنهدريم واستجوابهم. عاد الخدام من مهمتهم التي كلفوا بها (عدد ٣٢) «فجاء وا الى رؤساء الكهنة والفريسيين» — لا مُخفي حنين بل بشهادة الحق واليقين (عدد ٤٦). «فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به» — كأن السنهدريم لم يوصهم أن يفحصوا الامر بل ان يكبلوه بالقيود، مذنباً كان ام بريئاً

عدد ٤٦. (٢) جواب الخدام المفحم «أجاب الخدام: لم يتكلم قط انسان

هكذا مثل هذا الانسان. ٤٧ فأجابهم الفريسيون ألعلكم أنتم ايضاً
قد ضللتم . ٤٨ ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به .
٤٩ ولكنّ هذا الشعب الذي لا يفهم

هكذا مثل هذا الانسان» — هذه لطمة على وجه اعضاء السنهدريم ، موجّهة اليهم من خدامهم، ولو دروا بها لتركوا كراسي القضاء، بعد ان صاروا متهمين: «لم يتكلم قط انسان» — ولا أنتم أيها العلماء الحكماء اساتذة الناموس وحملة مفاتيح المعرفة

هذه شهادة غير مقصودة من الخدام ، على ان المسيح اعظم من إنسان. انهم بقولهم هذا كانوا أحكم من أنفسهم. فاذا كان البطل يجعل الانسان جباناً، فان الحق يلبسه قوة الأبطال

عدد ٤٧. (٣) *جواب الفريسيين* (٤٧:٧ — ٥٠) «فأجابهم الفريسيون ألعلكم». كان لكلمات الخدام وقع أليم على قلوب الفريسيين، مدّعي العلم. ان في جوابهم خليطاً من (أ) *ازهام*: «ألعلكم أنتم أيضاً» — يامن اتخذنا كم عدتنا في الهجوم على المسيح — «قد ضللتم» كغيركم (عدد ١٢). اذا كان كل الضلال من هذا النوع ، فياليت جميع الناس يضلون ! هذا الضلال هو الهدى بعينه.

عدد ٤٨. (ب) *تخوف وفزع* ٤٨:٧ «ألعل أحداً من الرؤساء»؟ أي نعم ! والجواب في عدد ٥٠ . فالذي تحذرون قد وقع

عدد ٤٩. (ج) *سب وشتم* «ولكن هذا الشعب الذي لايفهم الناموس هو ملعون». ليس في الدنيا أضعف من انسان تستد أمامه مسالك الحجج المقنعة،

النأموس هو ملعون. ٥٠ قال لهم نيقوديموس الذي جاء اليه ليلاً

فيلجأ الى السب والشتم، سوى انسان يستتر وراء حق مزيف. هـذه خطية الفريسيين المزدوجة، تلقاء الخدام. ولعل الفريسيين استندوا في قولهم هذا، الى قول الرابيين «من المحال ان يكون الجاهل قديساً. لان العلماء يحظون وحدهم بالقيامة من الاموات». اذا كان خدامكم جهلة يا أيها الفريسيون فمن المسئول عن جهلهم سوا كم؟ألستم مكلفين من قبـل الله بتعليمهم الحق؟ لكن هو التعصب قد أعمى بصائر هؤلاء الفريسيين، فظنوا ان معرفة الناموس لا تتأتى الا على طريقتهـم هم، ومن خالف تفسـيرهم، فهو جاهل للناموس، وان الناموس الذي يشهد للمسيح ليس في نظرهم ناموساً، لان المسيح كسر ناموس السبت، كما يزعمون

عدد ٥٠و٥١. (٤) *احتجاج نيقوديموس*. «قال لهم نيقوديموس» في هذين العددين نجد (أ) *وصفاً مزدوجاً لنيقوديموس* (عدد ٥٠) (ب) *صيغة احتجاج نيقوديموس* (عدد ٥١)

(أ) *وصف مزدوج لنيقوديموس* — ان جانبه الأول هو: «الذي جاء الى يسوع ليلاً» — هذا هو اللقب الذي خلعه البشير على نيقوديموس فلابسه في الثلاث المرّات التي ورد فيها اسمه في بشارته (٣: ١ ؛ ٧: ٥٠ ؛ ١٩: ٣٩). ما اعظم الفرق بين نيقوديموس الاصحاح السابع، ونيقوديموس الاصحاح الثالث! لقد نما ايمانه وازدهر وبدأت براعمه تتفتح. فيُنشَر منها عبير جميل، وفي الاصحاح التاسع عشر نرى الايمان المزدهر وقد جاد بأطيب الثمر، فصار ثمره «طيباً»

وهو واحد منهم. ٥١ ألعل ناموسنا يدين انساناً لم يسمع منه أولاً
ويعرف ماذا فعل . ٥٢ أجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضاً من الجليل.

(٣٩:١٩) . الجانب الثاني من الوصف : «وهو واحد منهم» — هذا جواب يوحنا البشير على تخوف الفريسيين المذكور في عدد ٤٨

(ب) صيغة احتجاج نيقوديموس (عدد ٥١) : «ألعل ناموسنا يدين ..»؟ من فهم دانهم نيقوديموس. فألصق بهم عدلاً ، التهمة التي سبقوا هم فألصقوها بالخدام ظلماً،فصاروا مستحقين لعنة أشر.قالوا عن الخدام:«هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون»،فقال لهم نيقوديموس:«ألعل ناموسنا الذي تتهم غيرنا بالتعدي عليه،يدين انساناً لم يسمع منه» (تث١٦:١و١٧ ؛١٧: ٨ ؛١٩: ١٥) ام هل نحمي الناموس من غيرنا،ولا نحميه من انفسنا؟فيا حماة الناموس احموه من انفسكم اولاً . ويا من تعتقدون انكم انتم الناموس متأنساً ، ارفعوا عن انفسكم الشريفة أذى انفسكم الخبيثة . كلمة : « ناموس » في هذا العدد ، تعني الناموس ممثلاً في هؤلاء الفريسيين الذين تصدروا للحكم باسم الناموس

عدد ٥٢ . (ج) جواب الفريسيين : « اجابوا وقالوا له . . » . يتضمن جوابهم: (أ) تعنيفاً لنيقوديموس : « ألعلك انت أيضاً من الجليل » ؟ عجباً إنهم لم يتزحزحوا عن اعتقادهم الخاطئ بان المسيح جاء من الجليل (عدد ٤١) فحكموا على انفسهم بالجهل في وقت ينسبون فيه الجهل الى خدامهم . فكان خدامهم احكم منهم.وكم من خدام في لباس سادات.وسادات في ثياب خدام! في تعنيفهم لنيقوديموس ، اتهموه بالتحيز للمسيح ، كأنه من بلده وعشيرته .

فتّش وانظر. انه لم يقم نبي من الجليل. ٥٣ فمضى كل واحد الى بيته

فدلوا بكلماتهم هذه على تخوفهم من ان يكون نيقوديموس موالياً للمسيح سراً.

(ب) حكماً مطلقاً: «فتش وانظر انه لم يقم نبي من الجليل» — مساكين! لقد أعماهم التعصب فجهلوا — او تجاهلوا — ان يونان النبي قام من الجليل. وما قولهم في ناحوم، وايليا، وهوشع؟! ولنفرض جدلاً انه لم يقم نبي من الجليل في الماضي فمتى كان الماضي حكماً مطلقاً على المستقبل؟ ومن ادراهم ان المسيح قام من الجليل؟ لقد كانوا عائشين في الماضي، مع انهم كانوا محسوبين ظلماً على حاضرهم. وكذلك يفعل التعصب فعله في القلوب! هذا هو العمى الاختياري!

عدد ٥٣. كلمة تاريخية. بهذه الكلمة التاريخية، يُختتم هذا الاصحاح، ويُستهل الاصحاح التالي. انها تصور لنا جمهور العيدين، وقد حلّوا مظالهم، وقفل «كل واحد» منهم راجعاً «الى بيته». كما انها تصور لنا اعضاء السنهدريم وقد استولت عليهم خيبة مُرَّة فعجزوا عن مقاومة الحكمة التي فاه بها نيقوديموس ولم يستطيعوا ان يصدروا حكماً. وكأن روح مَن ظنوه جليلياً، قد أبكمت عواطفهم الجامحة، كما أسكتت وأبكمت عواصف البحر الثائرة، فتركوا مجمعهم حيارى مضطربين: «ومضى كل واحد الى بيته»

رجل واحد هو نيقوديموس، قال كلمة هادئة، فصارت هادية للمجمع بأسره. فقد تجد واحداً واقفاً منفرداً، لكنه يكوّن أغلبية متى كان في جانب الحق. وقد يتفوه رجل واحد بكلمة واحدة، فيحوّل تيار اضطهادات لا حصر لها، الى إتجاه جليل ومجيد

الاصحاح الثامن

١ اما يسوع

عطف المسيح وصفحه ٨: ١ــ١١

هذه حادثة فريدة في بابها، موسومة بطابع خاص في اسلوبها وموضوعها. لذلك قد أحيطت بشيء من الشبهات، سيما من جانب الذين لم يفهموا حقيقة مراميها، فظنوا خطأً انها تعلّم التساهل في الشر، وقد فاتهم ان الصفح عن الشر شيء، وأن التساهل فيه شيء آخر. هؤلاء يمسخون رسالة هذه الحادثة اذ يبترونها، فيذكرون الجزء الاول من قول المسيح للمرأة: «ولا انا أدينك» وينسون —او يتناسون— الجزء الثاني منه: «اذهبي ولا تخطئي أيضاً». لم يقصد المسيح بالجزء الاول من كلامه، ان يشجع المرأة على الشر، وانما اراد ان يشجعها على ترك الشر. فكانت كلمته لها، مشرطاً حاداً قطع به كل صلة بينها و بين ماضيها الاسود. بل كانت يداً لطيفة رفعت عنها حملاً اثقل كاهلها، و بلسماً شافياً للشلل النفسي الذي اصابها بسبب الخوف، والفزع، وتأنيب الضمير. لا بل كانت قوةً سحرية، فتحت امامها باباً متسعاً من الرجاء

ما أشبه هذه الحادثة بشعاع قوي كشّاف، كشف لنا عما في قلب المسيح من طُهر وصفاء وتسامح، وأعلن ما في قلوب الكتبة والفريسيين من خبث، وقسوة، وعدم نزاهة

في هذا الحادث، يتجلى امامنا سلطان المسيح البار، وجبن الفريسيين

فمضى الى جبل الزيتون. ٢ ثم حضر أيضاً الى الهيكل في الصبح

الاشرار. كلمة واحدة وجهها المسيح اليهم، فكانت شبيهة بقذيفة شتتت شملهم، فخرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ. وما هي الا كلمة الحق ارتدّت أمامها فلول البطل. ولا شيء يعدل شجاعة البار، سوى جبن الشرير

عدد ١. كلمة تاريخية عامة: «أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون». هذه الكلمة التاريخية، مكملة لتلك التي أختتم بها الاصحاح السابق: «فمضى كل واحد الى بيته.. اما يسوع فمضى الى جبل الزيتون»—هذا هو بيت المسيح الذي قضى فيه ليالي عدة منفرداً في الصلاة

من السنهدريم الى جبل الزيتون! لعله وجد في وحوش البرية، قلوباً اكثر ايناساً من قلوب اولئك الوحوش المتسربلين لباس البشر. فكم من وحوش مستأنسة، وكم من بشر مستوحشين! «الى جبل الزيتون»! في بيوت البشر لم يجد مكاناً يسند اليه رأسه، فوجد هذا المكان بين احجار الجبال؟ فيا لظلم البشرية، ويا لتعاستها. فقد جهلت فاديها. وانكرت اكبر محسن اليها

عدد ٢. كلمة تاريخية خاصة بالحادثة: «ثم حضر أيضاً الى الهيكل في الصبح..». طلعت شمس الطبيعة من وراء افق جبل الزيتون، وأطلت على العالم الذي خيم عليه ظلام الليل الدامس، فنثرت عليه اشعتها الذهبية حاملة ضياء وشفاء. وفي هذا الوقت عينه، «في الصبح»، خرج «شمس البر»، تاركاً جبل الزيتون عينه، وأطلّ بوجهه الوضّاح على الساكنين في وادي ظلال الموت، «فأشرق عليهم، وفي اجنحته شفاء». وأول مكان نشر فيه

وجاء اليه جميع الشعب فجلس يعلمهم . ٣ وقدم اليه الكتبة
والفريسيون امرأة أُمسكت في زنا . ولما أقاموها في الوسط

اشعة انواره ، هو « الهيكل » : « وجاء اليه جميع الشعب » المتشوّق للنور ، «فجلس يعلّمهم» — والعلم نور سواء أكان في عالم الأدب ام في عالم الروح

عدد ٣ . (أ) *عدم نزاهة الفريسيين ووحشيتهم* : « وقدَّم اليه الكتبة والفريسيون امرأة أُمسكت في زنا» — هذا برهان عدم نزاهتهم . لما فشل هؤلاء القوم في القاء القبض على المسيح ، وعجزوا عن ان يقاوموا حكمته المقنعة،لجأوا الى حيلة مقنَّعة،ليقيموا منها فخاً يمسكون فيه المسيح بكلمة.ولا شيءٌ أدلّ على عدم نزاهتهم اكثر من انتهازهم فرصة ضعف امرأة مسكينة أُغويت على الشر، وزلَّت بها القدَم ، فاتخذوا منها وسيلة بها يُمسكون المسيح بكلمة . فكأنهم جعلوا من ضعف المرأة وقوداً لتغذية نيران حقدهم على المسيح . وان اناساً هذا شأنهم ، لو لم يجدوا امرأة ساقطة ، لأسقطوا امرأة لينالوا مأربهم . « ولما اقاموها في الوسط » — يا للقسوة ! بدلاً من ان يقيموها من سقطتها ، ويعالجوا بقوتهم ضعفها،عرَّضوا بها وشنّعوا بخطيتها.اذ «اقاموها في الوسط»، فأقاموا منها حجة على قسوة قلوبهم وهم لا يدرون . لم يبالوا بانكسار قلبها ، وتعاموا عن مرارة نفسها وهم فرحون شامتون . واي شخص انحدر الى مهاوي الرذيلة ، مثل انسان يهنئ نفسه على سقوط غيره . هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة : «كتبة» في بشارة يوحنا ، مع ان كلمة «الفريسيين» وردت فيها ٢٠ مرة

٤ قالوا له يا معلم هذه المرأة أُمسكت وهي تزني في ذات الفعل .
٥ وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم .

عدد ٤ . (ب) *عدالتهم العرجاء* : « قالوا يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل» . ما هي الصفات التي يوسم بها قوم نصبوا انفسهم بوليساً على الآداب ، تطفلاً منهم ، حتى يمسكوا امرأة في ذات الفعل ؟ واذا ارادوا ان يكونوا حماة الآداب حقاً ، فلماذا أتوا بالمرأة وحدها ؟ اين الرجل الساقط الذي شاركها ، بل اسقطها في فعلتها ؟ حقاً ان الحياء يستحي منهم

عدد ٥و٦ . (ج) *خداعهم المبرقع* «وموسى في الناموس» — كلمة : «موسى في الناموس» ، اختص بها يوحنا البشير وحده (١: ٤٥و٨: ٤)

كان الوقت عيداً ، والمنازل مزدحمة بساكنيها مع الضيوف الآتين الى العيد ، فاضطر كثيرون وكثيرات ان يناموا في الخلاء . هذه الظروف هيَّأت مزالق انحدرت عليها قدما تلك المرأة المسكينة، وكان في امكان اولئك الكتبة والفريسيين ان يرثوا لحالها ، وينظروا اليها نظرتهم الى مريضة تحتاج الى الشفاء ، لا الى مجرمة يتقدمون بها الى القضاء

« موسى في الناموس اوصانا ان مثل هذه تُرجم» — تظاهروا بالحرص على وصية موسى ، لكنهم كانوا حريصين على الايقاع بالمسيح . فوجهوا هذا السؤال الى المسيح ، لا لكي يستنيروا برأيه ، فقد اعترفوا بانهم عالمون بالناموس (تث ٢٢: ٢٣ و ٢٤ ، ولاويين ٢٠: ١٠) ، بل قصدوا ان يقيموا من سؤالهم هذا ، شركاً يوقعون المسيح فيه . فان قال لهم : « ارجموها

فماذا تقول أنت. ٦ قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب

واقتلوها» ، ألصقوا به تهمة الاعتداء على حقوق قيصر (انظر يوحنا١٨: ٣١)، واشتكوا عليه لدى بيلاطس . وان قال لهم: «ارحموها واعفوا عنها» ، نسبوا اليه تهمة الاعتداء على حقوق موسى الذي قال في ناموسه : « ان مثل هذه تُرجم » ، واشتكوا عليه لدى مجمع السنهدريم . هذه احبولة خفية دنيئة ، نصبوها ليوقعوا فيها مخلص البشرية ، فهي شبيهة بحرب الخنادق . ان قوماً كهؤلاء لا يستحقون ان يحسبوا في عداد بني آدم . بل هم من ابناء المجرِّب (٨: ٤) ، فالكلمة التي استعملت عنهم في عدد ٦ : « ليجرِّبوه » ، هي عين الكلمة التي استعملت عن ابليس المجرِّب (مت ٤: ١و٣)

فلا عجب اذا امتلأ قلب المسيح بالحزن عليهم: «فانحنى الى اسفل وكان يكتب باصبعه على الارض» . ان في صمت المسيح أبلغ جواب على سؤالهم المليء بالمكر. ولعله امتنع عن الجواب لان مثل سؤالهم لا يستحق جواباً ، ولانه صرَّح مراراً وتكراراً ، انه لم يأت ليدين بل ليخلص

تشعبت افكار المفسرين في محاولتهم ان يعرفوا السبب الذي من اجله أجاب المسيح بالكتابة على الارض ، يقول بعضهم ان المسيح كان يكتب على الارض بعض الكلمات التي تفضّ هذا الاشكال ، كتلك التي جاءت في لاويين ٢٠: ١٠ ، وتث ٢٢: ٢٢ . ويقول البعض الآخر انه كان يكتب ما جاء في عدد ٥: ١٧ ، عن شريعة تقدمة الغيرة المتعلقة بامرأة تحيد عن

بأصبعه على الأرض. ٧ ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم

رجلها وتخونه: «يأخذ الكاهن من الغبار.. ويجعل في الماء ويوقف الكاهن المرأة امام الرب..» . ويقول آخرون ان المسيح كان يشير بكتابته الى ما جاء في ارميا ١٧: ١٣ «الحائدون عني في التراب يُكتبون». ويقول قوم ان المسيح لم يقصد بكتابته على الارض شيئاً ، سوى عدم اجابته المشتكين على سؤالهم . ويقول آخرون ان المسيح اشار بكتابته الى الشريعة المكتوبة على صفحات ضمائرهم بأصبع الله . ويعتقد آخرون ان كتابة المسيح على الارض، تشير الى كآبته وحزنه على القوة التي تملكت بها الخطية على قلوب الناس ، فأغرت امرأة على السقوط ، وهوت بالزعماء الدينيين الى حضيض الخبث . ويقول غيرهم ، ان المسيح كان يكتب خطايا اولئك المشتكين امام اعينهم . ويعتقد جودي ان المسيح كان يكتب حكم القضاء عليهم ، وانه كتبه على دفعتين . وربما كان الفكران الاخيران اقرب الجميع الى الصواب

وجدير بنا ان نلاحظ ان هذه هي المرة الوحيدة التي نرى فيها المسيح يكتب

عدد ٧ . **الجواب القاصم** . « ولما استمروا يسألونه انتصب وقال : » . لم يعتبر اولئك القوم بصمت المسيح . ولعلهم ظنوه صمت العجز ، فالحوا عليه في الكلام ، «ولما استمروا يسألونه» القى سلاح الصمت جانباً ، وصوب اليهم جواباً قاطعاً كالسيف ، نافذاً كالسهم ، كاشفاً كالنور ، لاذعاً كالسوط ، ملهباً كالنار . . « فانتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها اولاً

من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر . ٨ ثم انحنى أيضاً إلى
أسفل وكان يكتب على الأرض. ٩ وأما هم فلما سمعوا

بحجر » . أمام هذا القول الفاحص وقعوا في الهوة التي حفروها بايديهم

عدد ٨. *تتمة القضاء* .ولكي يترك المسيح لضمائرهم مجالاً لتحتج عليهم، عاد الى صمته الاول : «ثم انحنى ايضاً الى اسفل وكان يكتب على الارض». ومن المهم ان نذكر ان المسيح لم يجبهم بهذا الجواب ، من قبيل التحدّي والافحام وكفى ، لكنه قدّم بقوله هذا ، مبدأ اساسياً للدينونة الحقيقية . لانه لا يحق لشخص ان يجلس على كرسي الدينونة الا المسيح الكامل الاوحد. بهذا الجواب أراهم المسيح ان سلطة القضاء قد ذهبت عنهم بسبب خطاياهم واستعبادهم للنير الاجنبي . على ان المسيح لم يقدم هذا الجواب باعتبار كونه دياناً ، انما قدّمه باعتبار كونه مخلصاً ومعلماً ادبياً وروحياً. فكان جل قصده ان يحمل اولئك المشتكين على ان ينصرفوا عن مراقبة الناس ، الى اصلاح ذواتهم — هذا خير لهم وأبقى. سيما وانهم لم يكونوا قضاة بحكم وظيفتهم بل بحكم ادعائهم. بهذا القول أنقذ المسيح المرأة من حكم الموت ، من غير ان ينقض ناموس موسى، اذ عطل الايادي المنفذة من غير ان يعطل الشريعة. اما احترامه لناموس موسى ، فظاهر من قوله ، « فليرمها اولاً بحجر » . واما تعجيزه للايادي المنفذة ، فواضح من القول : « من كان منكم بلا خطية »

عدد ٩ . (أ) *القضاة يدخلون قفص الاتهام* : «واما هم فلما سمعوا..» في الفترة التي انحنى فيها المسيح ليكتب على الارض ، استراح اولئك الناس

وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين . وبقي يسوع وحده

من نظرات الفادي التي كانت مصوبة اليهم، لكنهم لم يستريحوا من تأنيب ضمائرهم . ومن العجب ، ان ضمائرهم ظلت حية متيقظة رغم خطاياهم المنوعة التي كانوا عائشين فيها. فقد كنا نخشى ، مع تلك المرأة المسكينة ، انه بمجرد خروج آخر كلمة من فم المسيح ، ينهال عليها اولئك الناس بالاحجار ، ليبيّنوا بذلك انهم بلا خطية. لكننا نحمد الله على وجود الضمير في قلب جميع الناس حتى المنحطين . فهو البقية الباقية من نور الله في قلب الانسان بعد سقوطه . ان كلا منهم تطلع الى الآخر منتظراً ان يكون هو البادئ برمي اول حجر ، فخاب انتظارهم في بعضهم البعض، بعد ان خاب انتظارهم في انفسهم . فلم يبق امامهم الا ان ينسلوا خارجين ، مبتدئين من المعتبَرين . وهنا أمسى القضاة متهَمين ، فتطوعوا بالدخول الى قفص الاتهام فرداً فرداً ، لان الضمير يحاكمنا افراداً لا جماعات. ولأن قضاءه يبتدئ من المتقدمين فالآخرين. كذلك قضاء الله العادل — فردي، ويبتدئ اولاً من بيت الله (١ بط ٤:١٧) . عجيب ان شيخوخة الشيوخ لم تنسهم خطاياهم، وان نزق الشباب لم يدفعهم الى الاقتحام. وربما خرج الشيوخ اولاً لان قائمة خطاياهم كانت قد طالت بطول اعمارهم

ان كل خاطئ يحمل في قلبه أُسُداً رابضة، وعند أقل اشارة من الضمير ، تنور هذه الأُسُد الضارية وتسلب الانسان كل سلام واطمئنان

(ب) **العامل الاوحد** : « و بقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط »

والمرأة واقفة في الوسط

اننا نحتاج الى ريشة ملائكية لتصوير احساس تلك المرأة المسكينة ، بعد ان وجدت نفسها امام يسوع وحده . هنا التقت الانسانية في أحط دركاتها — ممثلة في تلك المرأة الساقطة ، بالانسانية في اسمى درجاتها — ممثلة في المسيح . هنا تلاقى قلب الليل بصدر النهار . هنا شعرت المرأة ان غمامة سوداء قد.. أزيحت عنها ورأت نفسها وجهاً لوجه امام «شمس البر » . «يسوع وحده» — هذا هو الكامل الأوحد الذي لم يعرف خطية . فهو وحده الذي له الحق ان يرميها اولاً بحجر، وهو وحده الذي لم يفعل ذلك. لأنه لم يأتِ ليدين بل ليخلّص . ان اسرع الناس الى الحكم على الناس ، هم أحط الناس لا اشرفهم . وكلما ارتقى الانسان على سلم الشرف صار اكثر عطفاً على الجهال والضالين .العين الشريرة ترى لتحكم . والعين الطاهرة ترى لتنصح وتصلح . القلب الدنس يفتش عن المعايب بمصباح ديوجين ليشهرها،والقلب الطهور يفتش عن المحاسن ليشجعها . يسوع وحده ! هذا جبل تجلٍّ آخر رُفعت عليه المرأة (قابل مت ١٧: ٨).الآن وقد انصرفت عنها الوحوش المتأنسة رأت نفسها امام الله المتأنس

الآن سكتت عنها اصوات المشتكين لكن لم يسكت عنها صوت الضمير. وذهب عنها حكم الناموس فبقي لها ان تسمع حكم النعمة

«وقفت في الوسط » — في المكان الذي اوقفها فيه المشتكون ، بل في المكان الذي اوقفتها فيه خطيتها، بل في المكان الذي ينبغي ان يقف فيه كل خاطىء امام الله . ولولا ان ادركها المسيح بكلمة الغفران لظلّت واقفة في ظلام وحدتها ووحشتها الى الأبد

١٠ فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة
أين هم أولئك المشتكون عليك. أما دانك أحد. ١١ فقالت لا أحد
يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك

عدد ١٠. *استجواب النعمة* «قال لها يا امرأة اين هم اولئك المشتكون عليك. أما دانكِ احد» ؟ كان في امكان المسيح ان يرميها بحجر، وان يوقع عليها اي قصاص، ليبرهن انه هو بلا خطية، وليعلن تفوّقه في السلطان على المشتكين. الا انه اظهر فعلاً هذا التفوّق في السلطان، ولكن برحمة النعمة، لا برجمة الناموس. فاذا كان رجم المذنب يستلزم سلطان القاضي، فان غفران الخطايا يستلزم سلطاناً اعظم — سلطان الله نفسه، لان غفران الخطايا، حق لله وحده

سأل المسيح هذين السؤالين لكي يعيد الى المرأة المسكينة اطمئنانها، ولكي يفهم الموجودين من الجمع — وهم غير المشتكين — ان القضية سقطت. لان المشتكين انسحبوا من الجلسة. فلا مدّعٍ ولا شاهد

عدد ١١. *حكم النعمة*. «فقال لها يسوع ولا انا ادينك اذهبي ولا تخطئي ايضاً». في جواب المسيح هنا، نرى رحمة، فتبريراً، فقضاء. اما الرحمة فظاهرة من القول، «ولا انا أدينك». اذا كان الذين اجلسوا انفسهم على كراسي الدينونة قد تنازلوا عن الدينونة، فهل يدينها الفادي الذي جاء ليخلص (يو٣: ١٧)؟ تذكرنا هذه الكلمه بما جاء في رومية ٨: ٣٤ «من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات». اما التبرير فواضح من قوله: «اذهبي».

اذهبي ولا تخطئي أيضاً

ولا يبرحنّ عن اذهاننا ان البراءة شيء والتبرير شيء آخر. فالبراءة اعلان برارة البار. لكن التبرير هو حسبان المذنب كأنه بار ومسامحته على ذنبه. لم يقل المسيح للمرأة: «اذهبي بسلام»، كما قال لغيرها (لوقا ٧: ٥٠، ٨: ٤٨)، ذلك لانها لم تأت طائعة مختارة طالبة الغفران، لكنّ غيرها قد أتى بها. انما هذه هبة الغفران قُدمت لها، ولها الحق ان تقبلها او ان ترفضها. هذا باب جديد للرجاء، لها ان تدخله او ان تتحول عنه. فلن يكون السلام من نصيبها حتى تدخل الى فردوس الغفران وتتمتع بلذيذ ثماره. واما القضاء، فظاهر من قوله: «لا تخطئي ايضاً». نعم هذا قضاء، بل دينونة—ولكن على الخطية، لا على المرأة. فالمسيح برّر المرأة. ودان خطيتها. وهو لم يدن تلك الخطية الخاصة التي وقعت فيها وكفى، لكنه دان الخطية بوجه عام. فقد عالج شجرة الخطية من جذعها. لا من احد فروعها

يخطئ من يعتقد ان المسيح تساهل معها في خطيتها. ذلك لانه لم يتجاهل خطيتها. بل ذكّرها بها، ولكن بلطف. اذ قال لها «لا تخطئي ايضاً»

علم الفادي ان اكبر عقبة في سبيل تلك المرأة، هي خطيتها. فلو بقيت عائشة تحت سحابة خطيتها، لانغمست في الشر، وعاشت فيه محترفة. لذلك رأى الفادي ان اعظم علاج لها، ان يقطع كل صلة تربطها بالماضي، وان خير علاج يقطع صلتها بالماضي هو الغفران. فلم يرد المخلص ان يتركها فريسة الماضي الاسود، بل جعلها ابنة المستقبل المنير

١٢ ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو

يسوع نور العالم ٨: ١٢ — ٢٠

نرى في هذا الفصل : اولاً : شهادة ٨: ١٢ . ثانياً : اعتراضاً ٨: ١٣ ثالثاً : جواباً ٨: ١٤ — ١٩ . رابعاً : كلمة تاريخية ٨: ٢٠

عدد ١٢ . اولاً : شهادة يسوع عن نفسه انه نور العالم — أو — الاعلان الثاني في بشارة يوحنا «... أنا هو نور العالم»

«في الصبح» وقد اشرقت شمس الطبيعة من وراء جبل الزيتون ، طلع ايضاً «شمس البر» من وراء الجبل عينه ، واشرقت انواره في ارجاء الهيكل فنادى سامعيه قائلاً : «انا هو نور العالم»

في ذلك الوقت كان رب الهيكل قد دخل الى هيكل الرب ، ونطق بهذا الكلام : «في الخزانة وهو يعلم في الهيكل» . وهنالك تجاه الخزانة كانت منارتان مضيئتين في الليل مدة العيد ، في دار النساء . وكانت انوارها ساطعة في أرجاء اورشليم كما يقول الرابيون ، وفي ضوء انوارها كان يطرب المعيدون . و يقول بعضهم ان المسيح أشار الى المنارتين عند ما قال : «من يتبعني فلا يمشي في الظلمة» . على انه من المحقق ان هاتين المنارتين ، كانتا رمزاً لعمود النار ، الذي كان يقود الاسرائيليين ليلاً مدة ارتحالهم في البرية الموحشة المظلمة . فيكون المسيحُ اذاً ، قد حوّل انظار سامعيه عن المنارتين ، وعن عمود النار ، الى شخصه العجيب قائلاً : «يا ايها الناس حوّلوا انظاركم عن الرمز الى الحقيقية وانصرفوا عن الظلال الى الجوهر . ان عمود النار كان يضيء على

نور العالم

جماعةٍ قليلة في البرية . اما انا فاني نور العالم بأسره»

هذا هو الاعلان الثاني الذي فاه به المسيح عن نفسه في هذه البشارة

ان لهذا الاعلان جانبين : **اولهما** — يتصل **بالمسيح نفسه** : «انا هو نور العالم» . **وثانيهما** — يتصل بتابعيه : «من يتبعني فلا يمشي في الظلمة»

الجانب الاول يصف المسيح : في **شخصه** وفي **طبيعته** ، وفي **عمله** . فالمسيح نور في **شخصه** — هذه شهادة ضمنية للاهوت المسيح . فالله نور في تجلياته ، وفي صفاته . ظهر الله لموسى في هيئة نار (خروج ٣:٣١) ، وعند ارتحال بني اسرائيل من سكوت ونزولهم في طرف البرية «كان الرب يسير امامهم . . ليلاً في عمود نار ليضيء لهم (خروج ٣:٢٠و٢١).ويقول داود:«الرب نوري» (مزمور ٢٧:١) . ومن المحقق ان كل الأوصاف التي قيلت عن «يهوه» في العهد القديم هي بعينها اوصاف المسيح الذي هو «الله ظهر في الجسد»

المسيح نور في **طبيعته** — «لا ظلمة فيه البتة» ، «من منكم يبكتني على خطية» ؟ «يأتي رئيس هذا العالم وليس له فيَّ شيء» . هو نور من نور . اله حق من اله حق» . هو «النور المضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه»

المسيح نور في **عمله**. ومن عمل النور: حفظ الحياة، والاضاءة ، والشفاء، والهداية ، والعزاء

المسيح نور العالم لا نور اليهود وكفى . لانه نشر نوره ساطعاً على كل شيء في الوجود ، فأرانا كل شيء في قيمته الحقيقية . لقد القى نوراً ساطعاً على

من يتبعني فلا يمشي

الطفولة اذ رحّب بالأطفال : « دعوا الاولاد يأتون اليَّ » . ولقد أحاط المرأة الضعيفة بنور سماوي فرفع قيمتها . وقدسها اذ وُلِد من امرأة . ولقد انار الحياة والخلود بالانجيل.قبله كان القبر مظلماً ذا باب واحد ، يأخذ الأحياء و يضمهم الى هاو يته العميقة التي لا تشبع . لكن بموت المسيح وقيامته صار القبر مضيئاً مشرقاً ، اذ فُتح فيه بابٌ آخر يطلّ على عالم الخلود فصار القبر يُعطي كما يأخذ . فمن يأخذهم في عالم الفناء ، يقدمهم الى دار البقاء

وقد اشعل المسيح نور الحكمة في صدور كل الحكماء في العالم[1] على ممر الاجيال . فهو نور اغسطينوس ، وسقراط ، والغزالي ، وغاندي « كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم » باعتبار كونه كلمة الله (١:٩)

الجانب الثاني من هذه الشهادة يتعلق بتابعي المسيح : « من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » — الاشارة هنا الى موقف الاسرائيليين في البرية ، حين كانوا يتبعون عمود النار (عدد ٩:١٦و١٧) . ومن الاهمية بمكان ، ان نلاحظ ، ان المسيح مع كونه نور العالم ، الا انه لا يعلن لنا نوره الا خطوة خطوة . فهو لا يعلن لنا نور الخطوة الثانية الا بعد ان نكون قد خطونا الخطوة الاولى بأمانة . انه لا يقدم لنا خريطة الحياة با كملها، لنراها دفعة واحدة ، لئلا نؤخذ بمفشلاتها فنضجر، وتبهرنا مشجعاتها فنفخر . لكنه يرينا من خريطة الحياة ما يكفي لسيرنا ساعة فساعة، و يوماً فيوماً . نعم هو يكشف لنا جعالة دعوة الله ، لكن في مسيرنا اليومي يقدم نور الكفاف

(١) جاء في التلمود — قسم السبت — الفصل الثاني : « كان آدم الاول نور العالم »

في الظلمة بل يكون له

لأرجلنا، لـكي يحفظنا على الدوام قريبين منه، موالين له مطيعين لارشاداته، معتبرين بتحذيراته. فمن واجبنا ان نسير وراءه متمهلين غير متباطئين. نشطين غير مستعجلين. فلا نتباطأ لئلا يسبقنا فلا نراه. ولا نستعجل لئلا نسبقه فنضل الطريق. وليس النور للـكسالى المتنعمين بل للمجاهدين المتقدمين

ومتى قبلناه وتبعناه، صار من حقنا ان نتمتع بالبركة الموعودة: «فلا يمشي في الظلمة» — هذا وعد سلبي — والظلمة رمز الخطية والشكّ، والحزن، واليأس. «بل يكون له نور (١) الحياة» — هذا وعد ايجابي — والنور رمز الخلاص، واليقين، والفرح، والرجاء

يراد بنور الحياة، ذلك النور الذي: (ا) ينبع من الحياة (١: ٤) «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس». (ب) وينشيء الحياة. فالحياة منبعه ومآله. منها يأتي واليها يؤول. وكما ان المسيح هو «خبز الحياة» و«ماء الحياة»، كذلك هو ايضاً «نور الحياة»

لم يضع المسيح نفسه جنباً لجنب مع سائر المعلمين. فهو لم يقل: «انا اعطي نوراً»، بل أرانا انه نور، فلن نحظى بالنور الا اذا قبلنا المسيح نفسه في قلوبنا. وليس هو نوراً يُنال نفعه بالنظر اليه، بل بقبوله والاستفادة منه. هنا تمت لليهود تلك النبوّات الجليلة التي تحدث عنها اشعياء: «الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً» (اش ٩: ٢ و٦٠: ٣)

(١) يقول اغسطينوس «النور يكشف المرئيات، ويفتح العيون السليمة، وهو خير شاهد لنفسه».

نور الحيوة . ١٣ فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك . شهادتك ليست حقاً .

اما كلمة : « ايضاً » التي في مقدمة هذا العدد ، فهي تفيد انتقالاً في الفكر. فكما كلمهم المسيح في الاصحاح السابق،عن شخصه باعتبار كونه الصخر الحيّ الذي كان صخر البرية رمزاً له (٣٧:٧) ، كذلك كلمهم هنا عن شخصه باعتبار كونه النور الكامل ، الذي كان نور البرية رمزاً له

ان موضوع الحديث الاول ، هو الحياة ، وموضوع الحديث الثاني هو النور الذي ينبع من الحياة ويؤدّي اليها. ان واجبنا تلقاء نعمة الحياة ، ان نقبلها. وواجبنا حيال نعمة النور ، ان نتقدّم اليه ونقدمه للآخرين. فالواجب الاول يُعبَّر عنه بالايمان ، والواجب الثاني يُعبَّر عنه بالحياة العملية

عدد ١٣ . ثانياً : **اعتراض الفريسيين** : «فقال له الفريسيون ..» . من اقوال الرابيين المأثورة : « ليس من حق اي انسان ان يشهد لنفسه » . بناء عليه، قدم الفريسيون اعتراضهم. فلم يقصدوا بقولهم: «ليست حقاً»،انها شهادة كاذبة، بل انها غير مبنية على اساس متين.انهم لم يستجوبوه عن طبيعتها، بل عن سلطانها . ومع ان سلطانها افحمهم ، الا انهم اناس «رسميون» ، كانوا يطلبون سلطاناً « رسمياً » . فاعتراضهم كان منصباً على « الشكل » لا على « الموضوع » — هذا ينمّ عن حقيقة حياتهم : « لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها» . ولعلهم في اعتراضهم هذا ، قصدوا ان يستغلوا كلام المسيح الذي فاه به في ٣١:٥ « ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً »

١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب.

عدد ١٤ . ثالثاً : جواب المسيح على اعتراض الفريسيين « اجاب يسوع وقال لهم . . . » ٨:١٤—١٩ . في هذه الاعداد اجابهم المسيح مدافعاً عن : (ا) شهادته في موضوعها وجوهرها (٨:١٤)، (ب) شهادته في شكلها وسلطانها (٨:١٥—١٨)

(ا) دفاعه عن شهادته في موضوعها وجوهرها : « اجاب يسوع وقال لهم . . . » — ان شهادته حقّ ، لانها شهادة الواثق المتيقن . فهو عالم موقن ، ليس فقط بما يقول ، بل بمن يقول . ولقد جمع في علمه طرفي الازل والابد — اذا جاز ان يكون لهما طرفان : « لاني اعلم من اين اتيت والى اين اذهب » . ان كلام المسيح هنا ، لا يتناقض مع كلامه في ٥:٣١ . لانه اثبت حقه في الشهادة هناك ، فلا داع لتكرار هذا الاثبات هنا . نطق بقوله السابق ، قبل ان يؤيد شهادته بشهادة الآب، وشهادة يوحنا المعمدان، وشهادة المعجزات. اما وقد أيدها ، فمن حقه ان يقول : «وان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق» . زد على ذلك ان شهادته هنا ، شهادة وجدانية ذاتية ، كشهادة النور لذاته

تتضمن شهادته هذه شعوراً ذاتياً بـ :

(ا) وجدانه الحالي : «لاني اعلم . .» (ب). أصله : «من اين اتيت» .
(ج) مآله : «والى اين اذهب» — هذه دعامة مثلثة

كان من مقتضيات كلامه في ٥:٣١ ، ان يتخذ طوعاً واختياراً موقف

وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا أين أذهب. ١٥ أنتم حسب

الشاهد العادي، فدعمها بشهادة آخرين. ولكن من مقتضيات كلامه هنا، بعد أن توغل اعداؤه في الخصومة، وتمادوا في الاعتراض، ان يتبوأ مقامه الممتاز المخوّل له، بحقّ نسبته الفريدة الى الآب. فمن حقه ان يستخدم جلال لاهوته. ومن حقه أن يتخلى عنه. فمن حق القائد ان يستلّ سيفه، ومن حقه ايضاً ان يغمده (انظر ٨: ١٧و١٨)

لا يوازي علم المسيح بحقيقة نفسه، سوى جهل الفريسيين به: «واما أنتم فلا تعلمون من اين آتي ولا الى اين اذهب». في هذه العبارة يقرّر المسيح حقيقة راهنة، ويوجه اتهاماً الى خصومه، الذين زعموا انهم حَمَلة مفاتيح العلم: «وأما انتم فلا تعلمون». ان جهالتهم اختيارية، تبرّعوا بها لانفسهم، لانهم اغلقوا قلوبهم ضد النور. فهم وحدهم المسئولون عن هذه الجهالة. ولو شاءوا لعلموا من نيقوديموس ومن سواه، من اين جاء المسيح، والى اين يذهب (يوحنا ٣: ٩—١٣). بل كان في امكانهم ان يعلموا ذلك من اعمال المسيح، وحياته الفريدة الناطقة بذلك

عدد ١٥. (ب) شهادته في شكلها وسلطانها (٨: ١٥—١٨) «انتم حسب الجسد تدينون». يشير المسيح بقوله هذا الى ادانة الفريسيين له، التي ينم عنها اعتراضهم عليه (عدد ١٣). يراد بقوله «حسب الجسد»: (أ) المظهر الخارجي الذي يحيط بمن يجعلونه موضوعاً لدينونتهم — هذا بمثابة القول: «انتم تحكمون حسب الظاهر» (٧: ٢٤). هذا قول عام. ومن قبيل التخصيص

الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً

ينطبق عليهم في اداتهم المسيح. لانهم في حكمهم عليه، نظروا فقط الى رداء الجسد الذي كان متسر بلاً به، فلم يعرفوا «من اين هو»، ولا «الى اين يذهب». لان نظرهم لم يتعدَ أفق عائلته الوضيعة فتصوروه ابن مريم و يوسف «على ما كان يُظن» (٢٧:٧). (ب) **الحجاب المادى** الذي حجب عيونهم عن النظر الى العمق، والروح، والحقيقة. لانهم لم يحكموا بالعقل الباطني المستنير، بل بمرأى عقولهم المادية الطبيعية، التي يرتدّ بصرها حسيراً امام الروحيات، و بالأولى أمام شخص المسيح

اذا كانت الاشياء تميز بضدها، فان أنوار رحمة المسيح تجلت وسطعت تجاه لوحة تصرفاتهم السوداء. «انتم تدينون حسب الجسد. اما انا فلست أدين احداً» يشير المسيح بهذا الى القصد الأولي من مجيئه الى العالم «لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم»: (١٧:٣). «لست أدين احداً» — ألا يحمل قوله هذا اشارة ضمنية الى كلامه للمرأة: «ولا انا أدينك» (١١:٨)؟ بلى. لم يأتِ المسيح ليدين احداً سوى ذاك الذي يرفض النور، فيجلب الدينونة على نفسه. لانه وان كان النور قد أعطي اصلاً ليضيء، لكن من ضرورات وجوده انه يحكم على الظلمة. فليست الدينونة غاية مجيئه، بل هي احدى نتائج مجيئه «لم يرسل الله ابنه ليدين العالم... وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة» (١٧:٣ و ١٩). هذه حلقة الاتصال بين هذا العدد وما بعده

١٦ وان كنت أنا أدين فدينونتي حق لأني لست وحدي

عدد ١٦ . الشاهد يصبح قاضياً: « وان كنت انا أدين فدينونتي حق لاني لست وحدي (*) بل أنا والآب الذي ارسلني» .في هذا العدد ، تدرّج المسيح من الكلام عن نفسه كشاهد (عدد ١٤) ، الى الكلام عن شخصه كديان — والدينونة نتيجة الشهادة . فكلمة : «حق» في عدد ١٤ ، تشير الى موضوع شهادته . وكلمة : «حق» في هذا العدد تشير الى السلطان المخول له كديان

ولئلا يتطرق الى ذهن الفريسيين ، ان المسيح ليس أهلاً للدينونة ، أراهم في هـذا العدد ، ان له كل المؤهلات ليدين ، متى جاء ميعاد الدينونة . كأنه في العدد السابق ، اشار الى القصد الاساسي من مجيئه الأول الى العالم: «ليخلص لا ليدين» ، لـكنه في هذا العدد اشار الى الغاية من مجيئه الثاني : «ليدين لا ليخلص»

يعتقد بعضهم ان المسيح اراد بقوله : «لست أدين احداً» ، انه «لا يدين

(*) توضيحا لهذا القول ، نستعير من التاريخ حادثة ، من قبيل القياس مع الفارق . في عام ١٦٦٠م. تجرأ واعظ اسمه هدنجر (Hedinger) فوبخ حاكم بلاده على خطية خاصة فثارت ثائرة ذلك الرجل واستدعى الواعظ امامه ليحاكمه ويوقع عليه قصاصاً مريعاً . وبعد صلاة عميقة ظهر الواعظ امام الحاكم وعلى وجهه مسحة ملائكية . فتفرس فيه الحاكم متأملا وقال : «يا هدنجر ألم أوصك ان تظهر امامي وحدك» ؟ اجابه الواعظ «عفواً! فقد جئتك وحدي كما أمرت » . فظهرت على ملامح الحاكم علائم الاضطراب والارتباك كأنه رأى شخصاً غريباً في معية هدنجر ، وقال فزعاً : «ولكنك لست وحدك يا هدنجر» . اجابه الواعظ بكل ثبات : « اذا كان الهي قد سُرَّ بان يضع في معيتي ملاكا من حرسه الاعلى ، فعليَّ الا ان اشكره تعالى» . فتاب الوالي عن شره ، واعتذر للواعظ

بل أنا والآب الذي أرسلني. ١٧ وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن
شهادة رجلين حق. ١٨ أنا هو الشاهد لنفسي

أحداً» على الطريقة الفريسية: «حسب الجسد». ويقول جودي ان المسيح نفى ادانته للافراد، وقرر ادانته للجماعات وللعالم

أما سلطانه في الادانة، فانه مستمد من شركته مع الآب «لاني لست وحدي بل انا والآب الذي أرسلني». فالآب يفحص ويحكم. والمسيح ينطق بالحكم. فهو اذاً حاكم بلسان وسلطان الله الآب، ديان الاحياء والاموات

عدد ١٧و ١٨. الشهادة المزدوجة «وأيضاً في ناموسكم مكتوب...» بعد ان أقام المسيح، الحجة في الاعداد السابقة، على ان شهادته لنفسه حق كشهادة النور لنفسه، اراد— تنازلاً منه—ان يماشي محاجّيه، فأثبت لهم من ناموسهم، ان شهادته ليست فردية، وإنما هي مشفوعة بشهادة «الآب الذي ارسله» وقد خاطبهم المسيح بقوله: «ناموسكم» لا «ناموسنا»، لانهم كانوا يتمسحون بالناموس ويتخذونه حجتهم في اداتهم المسيح، ويعتقدون انهم قيّمون عليه، فمن كلامهم دانهم. ومن جعبتهم امتشق سهماً وطعنهم. فضلاً عن ذلك فان نسبتهم الى الناموس، غير نسبة المسيح اليه. هذا من قبيل قول المسيح: «أبي وأبيكم» (يو ٢٠:١٧). فهو ناموسهم المفروض عليهم، ليخضعوا له جبراً واضطراراً. لكنه ناموس المسيح، الذي وضعه هو وخضع له حباً واختياراً (متى ٣:١٥ ; ١٧:٢٧)

ليست شهادة الآب للمسيح، قاصرة على المعجزات، التي هي احدى

ويشهد لي الآب الذي أرسلني. ١٩ فقالوا له أين هو أبوك. أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً

البينات على مرافقة الآب له، لكنها تعني ايضاً ذلك الجلال الرهيب الذي كان يحفّ بالمسيح بشكل لا تميّزه العين المجردة

اقتبس المسيح في رده عليهم ما جاء في تث ١٧:٦و١٩:١٥. ومراده من ايراد القول على هذه الصورة، ان يثبت لهم انه اذا كانت شهادة رجلين مقبولة شرعاً، فكم بالأولى شهادة أعظم شخصين — الآب والمسيح

عدد ١٩. *سؤالهم وجواب المسيح*: (أ) *سؤالهم*: فقالوا له اين هو ابوك؟ لم يسألوه هذا السؤال، على سبيل الاستنارة، بل على سبيل الاستنكار، والتحدي والتحقير. «اين هو ابوك»؟ — أحضره ان استطعت، لتسمعنا شهادته. هذا سؤال قد نفثوا فيه سموم ازدرائهم بالمسيح، والآب الذي ارسله

(ب) *جواب المسيح*: «لستم تعرفونني..». في هذا الجواب بيّن لهم ان سؤالهم نمّ عن جهلهم بالله، الذي يدعون انهم في مقدمة عارفيه. وان برهان جهلهم بالله، هو جهلهم بالمسيح المرسَل منه. لان الله الآب اعلن ذاته في المسيح وحده. فمن لم يرَ في المسيح سوى ذاته الناسوتية، فقد غابت عنه رؤية الله الذي ارسله. ولكن أنّى للعيون الجسدية ان ترى من لا يُرى، متجلياً في من يُرى!؟ «لستم تعرفونني انا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي ايضاً». حقاً «لا يستطيع احد ان يقول ان يسوع المسيح رب الا بالروح القدس»

٢٠ هذا الكلام قاله يسوع في الخزانة وهو يعلم في الهيكل. ولم يمسكه أحد لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد

عدد ٢٠. رابعاً: *كلمة تاريخية*: «هذا الكلام قاله يسوع ..» كان تأثير هذا الكلام عظيماً، لدرجة ان نصف قرن لم يستطع ان يمحو من ذاكرة يوحنا البشير، ذلك المكان الخاص الذي قال فيه المسيح ذلك الكلام: «في الخزانة» كلمة: «الخزانة» كانت تُطلق غالباً على كل المكان الذي كانت تُحفظ فيه التقدمات المجموعة لاجل الهيكل وخدماته. ويُستفاد من مرقس ١٢: ٤١ ولوقا ٢١: ١، ان الصناديق – وهي على شكل أبواق وتعرف عند اليهود بال «شوفيروت» وعددها ثلاثة عشر — كانت موضوعة في المكان المعروف «بالخزانة» أي في دار النساء. و بما ان مجلس السنهدريم، كان يلتئم عادة في البهو المعروف بـ «الجازت» بين دار النساء والدار الداخلية، و بما ان المسيح قال هذا الكلام، والسنهدريم ملتئم، فمن المحقق ان كلامه هذا قد بلغ آذان اعضاء السنهدريم (٧: ٤٥—٥٢). ولعل البشير ذكر المكان الذي قال فيه المسيح هذا الكلام، لكي ينبهنا الى هذه الحقيقة الاخيرة، وليبين لنا، ان الفادي لم يقل كلامه في الخفاء، بل في قلب الهيكل، الواقع في قلب اورشليم، وعلى مسمع من اكبر هيئة دينية رسمية. ومع ذلك «لم يمسكه أحد» لان الرؤساء كانوا يهابون الشعب الذي كان يكنّ للمسيح كل أنواع الاحترام، ولان المسيح كان يحفّ به نطاق رهيب من المجد والكرامة، ولم يمكنهم اختراق هذا النطاق «لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد». (انظر شرح ٧: ٨ و٣٠؛ ٢: ٤)

وكذلك كل خادمٍ خالدٌ، حتى تأتي «ساعته»

٢١ قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في

«أنا هو» ٨: ٢١ — ٢٩

اعلن المسيح لليهود ، في كلامه السابق ، انه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له (٧: ٣٧ — ٣٩) ، وانه هو النور الحقيقي الذي كان عمود النار في البرية ظلاً له (٨: ١٢) . فكان من واجبهم ان يؤمنوا انه هو المسيح ، وان يسيروا في النور ما دام النور موجوداً معهم . لانه سيأتي وقت فيه يُرفع عنهم فيتركهم في ظلامهم يعمهون

عدد ٢١ . انذار في اوانه : « قال لهم يسوع ايضاً » — بعد ان شُلّت ايديهم عن القاء القبض عليه : «أنا امضي» — بالموت ، والقيامة ، والصعود — « وستطلبونني » — فلا تجدونني — « وتموتون في[1] خطيتكم » — لاني جئت لأنقذكم من حالة الموت التي انتم فيها ، فلم تريدوا ، لذلك ستتركون في حالتكم الطبيعية ، حال الخطية والموت

« حيث أمضي انا لا تقدرون انتم ان تأتوا » — لان الهوّة عظيمة بين السماء التي سأكون أنا فيها ، و بين الهاوية التي انتم فيها ، سيما بعد ان تكونوا قد رفضتم شخصي الذي جاءكم سلّم اتصال بين سمائي وهاويتكم

في نفس المكان الذي فاه المسيح فيه بكلامه السابق (٧: ٣٧ — ٨: ٢٠) استطرد في ذكر هذا الكلام اللاحق (٨: ٢١) ، فقدّم لليهود : (١) انذاراً « أنا امضي » . ولقد اتاهم هذا الانذار في اوانه . لان هذا كان آخر يوم في

(١) يميل بعض المفسرين مثل هنجستنبرج الى ابدال حرف «في» بحرف الباء في الترجمة فيقولون « وتموتون بخطيتكم» اي بسببها

خطيتكم. حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. ٢٢ فقال اليهود

آخر عيدٍ، اجتمع فيه المسيح باليهود كمجموع، فلم تبق سوى بضعة اشهر على حاول عيد الفصح الذي فيه رُفع المسيح على الصليب فصحاً لنا. ان هذه الحقيقة تكسب هذا الانذار مسحة من الرهبة والوقار. (ب) نبوة: «ستطلبونني» — بعد فوات الفرصة حيث لا ينفع الندم بعد العدم. ان قول المسيح هنا اشدّ منه في ٧: ٣٣ و٣٤. لان طلب اليهود اياه فيما بعد، ليس طلب الايمان، بل طلب الانقاذ من الضيقات الزمنية، التي ستحيق بهم عند خراب اورشليم، وتشتت شملهم كأمة. (ج) حكماً: «وتموتون في خطيتكم» — ذكرت كلمة: «خطية» بالمفرد، اشارة الى حالة قلوبهم الطبيعية في بعدها عن الله، وعدم ايمانها بالمسيح. فالمفرد يصف الأصل — كقولنا «تينة» للتعبير عن شجرة التين. والجمع يصف الأفرع والثمر، كقولنا «تين» للتعبير عن الثمر. (د) اعجازاً: «حيث أمضي انا لا تقدرون انتم ان تأتوا». ان الهوة العظيمة التي كانت بينهم و بين المسيح، والتي كان في امكانهم ان يرتقوها بسلم الايمان، ستُثبت بواسطة عدم ايمانهم ويُختم عليها (انظر لوقا ١٦: ٣٦). هذا هو الموت الروحي الابدي — انفصال النفس نهائياً عن المسيح — وهو يختلف كل الاختلاف عن الافتراق الوقتي، الذي تحدث عنه المسيح مع تلاميذه في يو ١٣: ٣٣ حين وعدهم ان يأتي و يأخذهم اليه (١٤: ٣)

عدد ٢٢. رد اليهود. «فقال اليهود العله يقتل نفسه». كان قول المسيح في العدد السابق كطعنة نجلاء، جرحت كبرياءهم. فقصدوا ان ينتقموا لأنفسهم،

ألعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . ٢٣ فقال لهم أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست

ويردوا الطعنة الى صدر المسيح ، فقالوا : « العله يقتل نفسه » ؟ فجاءت طعنتهم هذه أحدّ منها في ٧: ٣٥ . لقد آلمهم قول المسيح : « لا تقدرون انتم ان تأتوا » ، وفي ثورة كبريائهم ألصقوا به تهمة الانتحار — وعقاب الانتحار كما كان معروفاً لديهم، عن حق، هو الانحدار الى الهاوية (تاريخ يوسيفوس الجزء الثالث الفصل الثامن) . فاذا سلموا معه بعجزهم عن اللحاق به ، فما هذا الا — حسب ادعائهم — عجز السماويين عن ان ينحدروا الى الهاوية !

عدد ٢٣ . جواب المسيح ٨: ٢٣ و٢٤ . « فقال لهم أنتم من اسفل . . »

لقد شهد عليهم كلامهم السابق، بأنهم كانوا في انفسهم مخدوعين. لذلك اراد الفادي ان يكشف لهم حقيقة حالهم ، فبيّن لهم انهم واهمون ، وان الامر على عكس ما يزعمون. فان عجزهم عن اللحاق به، ليس سوى عجز ابناء الهاوية السفلى، عن ان يصلوا الى ابن الله. وهو عجز الارضيين عن ان يدركوا ابن السماء الذي رضي ، تواضعاً منه وتنازلاً ، ان يقابلهم بنفسه مقابلة مزدوجة : (ا) من حيث **الطبيعة** : « أنتم من اسفل . اما انا فمن فوق » . (ب) من حيث **الاميال والارادة** : «انتم من هذا العالم» — تعملون ارادتكم المنافية لارادة الله — «اما انا فلست من هذا العالم» — لان طعامي ، أن اعمل مشيئة الذي ارسلني واتمم عمله . فهو يختلف عنهم **اصلا** ، **وطبعاً** ، **وارادة** ، **وعملا** . فاذا كانوا قد

من هذا العالم . ٢٤فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم. لأنكم
إن لم تؤمنوا أني أنا هو

اجازوا لانفسهم ان ينسبوا اليه نيّة الانتحار الذي ينتهي بالهاوية ، فما ذلك الا لانهم هم من ابناء الهاوية

عدد ٢٤ . *من انذر فقد اعذر* : «فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم». وردت كلمة « خطايا » في هذا العدد ، بصيغة الجمع ، على خلاف ورودها في عدد ٢١ بصيغة المفرد. فالكلام في عدد ٢١ يتناول الخطية في اصلها الواحد — حال العداوة لله . والكلام هنا ، يتناولها في مظاهرها المنوّعة . « ان اجرة الخطية هي موت» . فهم ابناء الموت بحكم خطاياهم . لان الخطية تنقدهم أجرتها على آخر قسط . وما من احد يغير طبيعتهم الخاطئة ، ويخلصهم من سلطان الخطية وذنبها،سواه«هو».ولا سبيل الى اتصالهم بالمسيح سوى الايمان. «ان لم تؤمنوا اني انا هو تموتون في خطاياكم» . ان قول المسيح : «اني انا هو» —في معناه،ومبناه حسب الترجمة السبعينية— هو ذلك القول عينه الذي نطق به الرب «يهوه» في العهد القديم (تث ٣٢:٣٩ واشعياء ٤٣:١٠) . ان رسالة الله في العهد القديم هي : « انا انا هو وليس اله معي » . ورسالته في العهد الجديد هي . « انا انا هو الفادي وليس غيري مخلص » . ويعتقد جودي ان المسيح قصد ان يقول لليهود : « ان لم تؤمنوا اني انا هو مسيحكم المنتظَر تموتون في خطاياكم»، وانه حذف كلمة «مسيحكم المنتظر»، ليكون بلاغه أوقع في نفوسهم . وما المسيح سوى «يهوه»اله العهد القديم ، الذي ظهر في الجسد

تموتون في خطاياكم. ٢٥ فقالوا له من أنت. فقال لهم يسوع أنا مِن

وردت كلمة: « انا هو » ، ثلاث مرّات في هذا الفصل (عدد ٢٤ و ٢٨ و ٥٨)

عدد ٢٥. سؤالهم وجواب المسيح عليه ٨: ٢٥ — ٢٩: (ا) سؤالهم (عدد ٢٥ (ا)) : «فقالوا له » . لم يسألوا سؤالهم هذا بلهجة المستفهمين المستنيرين، بل بلهجة الهازئين الساخرين ، المتحفزين لوقوع كلمة منه يمسكونه بها ، و يتقدمون به الى القضاء . (ب) جواب المسيح (عدد ٢٥ (ب) — ٢٩) . يقع جواب المسيح في ثلاثة أشطر. اولها يختص بشخصه (عدد ٢٥ (ب)). وثانيها يتعلق بهم (عدد ٢٦) . وثالثها يتعلق بشخصه ايضاً (عدد ٢٨ و ٢٩) . أما عدد ٢٧ فهو كلمة تفسيرية

(١) الشطر الاول (عدد ٢٥ (ب)). هذا جواب، غاية في الحكمة، مفاده: «ليس لكم ان تنتظروا مني اعلاناً جديداً عن شخصي فوق ما اعلنتكم به منذ بدء خدمتي وكرازتي. فاستجمعوا اقوالي السابقة عن نفسي ، تعرفوا مَنْ انا . ان حاجتكم ليست الى اعلان جديد بل الى قلوب جديدة تفهم الاعلانات التي سبقت فقلتها منذ بدء خدمتي» . و يجمل بنا الآن ان نستعرض الاعلانات التي فاه بها المسيح عن نفسه فيما مرَّ بنا من هذه البشارة : فهو الكلمة الازلي (ص ١) ، وهو الهيكل الحقيقي (ص ٢) ، وهو المخلص الحقيقي (ص ٣) ، وهو الماء الحي (ص ٤) ، وهو الابن الحقيقي (ص ٥) ، وهو الخبز الحي (ص ٦) ، وهو الصخر الحقيقي (ص ٧) ، وهو النور الحقيقي (ص ٨). فلو كانت لهم

البدء ما أ كلمكم أيضاً به . ٢٦ إنَّ لي أشياء كثيرة

عقول مستنيرة ، وقلوب متجدّدة ، و بصائر تقدر الحقائق، لهتفوا بملء افواههم قائلين مع بطرس : « نحن قد آمنا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي » (٦:٦٩) . ولكن انَّى للذين من اسفل ان ينطقوا بلغة السماء

يقول وستكوت : ان كلام المسيح يُفهم على هذا الوجه : « ان شخصي هو تعليمي » . و يعتقد هنجستنبرج ، ان معنى كلام المسيح في هذا العدد هو : «اني انا منذ الأزل هو يهوه المتجسد الذي اكلمكم عنه الآن». لكن العقبة في سبيل الأخذ بهذا الرأي الاخير هي قوله: «ما ا كلمكم به»، لا « مَن ا كلمكم به». و يميل غيرهما الى تفسير كلام المسيح على الوجه الآتي : « انا منذ الازل ما صرَّحت به الآن—اي « اني انا هو » . ونميل نحن الى الرأي الاول الذي اوضحناه : اي ان كلمة «من البدء» كما استُعملت هنا ، معناها : « منذ بدء خدمتي » ، لا «منذ الأزل»

عدد ٢٦ . (٢) *الشطر الثاني* : « ان لي أشياء كثيرة . . » اذاً لم يكن اولئك القوم في حاجة الى اعلانات جديدة عن المسيح ، بل كانوا في مسيس الحاجة الى اعلانات جديدة عن انفسهم . فالعقبة الكؤود في سبيل ايمانهم به ، لم تكن فيه ، بل فيهم هم . لقد تقدَّموا اليه وهم متخذون ، بالنسبة له ، موقف الحكَم المتحكم ، فأراهم هو انهم هم المتهَمون الذين عليهم ان يسمعوا حكمه عليهم «ان لي أشياء كثيرة اتكلم واحكم بها من نحوكم» . و في

أتكلم وأحكم بها من نحوكم. لكنَّ الذي أرسلني هو حق. وأنا

الحقيقة ان كل حكم يصدره الانسان على المسيح أو له ، انما هو حكم يصدره الانسان على نفسه او لها[1]

« ان لي اشياء كثيرة اتكلم واحكم بها.» .بهذه الكلمات وما بعدها تابع المسيح حديثه المذكور في عدد ٢٤،وفعلا قد اسمعهم هذه الاحكام المدوَّنة في عدد ٣٤و٣٧و٤٠و ٤١و٤٣و ٤٤و ٤٩و٥٥ . «ولكن الذي ارسلني هو حق» — شعر المسيح ان احكامه عليهم ستكون اليمة وشديدة الوقع . «ولكن» — لم يكن لديه بُدّ من ان يسمعهم هذه الاحكام، وذلك لسببين— *اولهما* : انه مكلف برسالة . فمن الضروري ان يؤديها على اكمل وجه ، وان تكن اداتها اليمة عليه وعلى غيره : «لكن الذي ارسلني . .» . *ثانيهما* . ان هذه الرسالة حق ، لانها صادرة من الله الحق : «الذي ارسلني هو حق» . ومهما يكن الحق مُراً ، فلا بدّ من ان يُقال . اذا كان الله هو « الحقّ » في جوهره ، فمن المحقق ان رسالته هي «الحقّ» في ظهوره . ان نسبة رسالته اليه كنسبة اشعة الشمس الى جرمها . «وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم» — لا يقتصر كلام المسيح هنا على ما سمعه من الآب منذ الازل ، بل يتناول بالاولى الكلام الذي كان يسمعه من الآب باستمرار حتى قبيل تكلمه مع اليهود ، وذلك بحكم صلته الدائمة ، المستمرّة مع الآب . (قابل هذا بما جاء في ٥:١٩و٨:٢٨) .

(١) ذهب احدهم الى متحف خاص وهناك رأى صورة فنية أثرية معروضة في احدى قاعاته . فهزأ من تلك الصورة وسخر بها . واخيراً جاءه الرقيب وهمس في اذنه قائلا : احترس ! لان هذه صورة ثمينة نادرة، وقد وُضعت هنا لتحكم على اذواق الناس !

ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم. ٢٧ ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن
الآب. ٢٨ فقال لهم يسوع متى رفعتم

يتكلم المسيح هنا عن نفسه باعتبار كونه « كلمة الله » . الذي أعلن ارادة الله للعالم . وهو ايضاً على هذا الاعتبار ، الوسيط الاوحد بين الله والناس

عدد ٢٧ . *كلمة تفسيرية* . « ولم يفهموا انه كان يقول لهم عن الآب » هذه الكلمة التفسيرية ، سجلها قلم يوحنا البشير ليعطينا صورة دقيقة لعقلية اولئك اليهود، الذين كانوا يعتقدون ان الفهم هجرَ عقول جميع الناس،واستقرّ في ادمغتهم وحدهم. فكان جميلاً ذلك الوصف الذي خلعه البشير عليهم. «ولم يفهموا . . . » — كانت عقولهم في واد ، وكلام المسيح في واد . وكيف يتأتى للعقل الطبيعي ان يفهم ما لروح الله ؟ ان الفهم المقصود هنا هو فهم التمييز . فمع ان المسيح لم يذكر لفظة «الآب» تصريحاً، في حديثه الاخير(عدد ٢١— ٢٧) الا انه ذكره تلميحاً في قوله : «الذي ارسلني» . . « ما سمعته منه »

كان اولئك القوم ماديين منتظرون مسيحاً مادياً سياسياً ، فلم يميّزوا ان الذي كان يخاطبهم هو المسيح المرسل من الآب

عدد ٢٨. (٣) *الشطر الثالث. الحجة القاطعة.* «فقال لهم يسوع متى رفعتم» ان الحرّ تكفيه الاشارة.لكن اولئك اليهود كانوا عبيداً (عدد ٣٤) ، فلم يفهموا الكلام الصريح ، لذلك أنبأهم المسيح بآية عملية تكون حجة قاطعة نهائية — هي آية «رفع ابن الانسان» . ومتى تمت هذه الآية امام عيونهم ، فحينئذ يفهمون انه هو المسيح. ان الصليب هو المقصود بالذات في قوله: «متى رفعتم»

ابن الانسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي.

وان يكن الصليب والقيامة، والصعود، وعطية الروح القدس، متضمنة كلها في معنى «رفع ابن الانسان». أليس من المحزن ان اليهود يظلون غير مقدرين قيمة المسيح، حتى يفرغوا من جريمتهم برفعهم اياه على الصليب؟ عندئذ يفهمون — لكنه فهم من لا يقدّر قيمة النور الا بعد ان يغمره الظلام، ومن لا يفهم قيمة تاج الصحة الا بعد يُبتلى بالعلل، ومن لا يدرك قيمة الحياة، الا عند مجيء ساعة المنون

على ان الصليب في ذاته، لم يكن كافياً لاعلان حقيقة شخص المسيح لليهود، لو لم يجعله الله في تدبيره سلماً للقيامة، والصعود الى عرش العظمة في الاعالي. كأن المسيح قال لهم مؤنباً: متى صلبتموني وأدركتم بعد ذلك انكم بصلبكم اياي قد اجلستموني على العرش، فحينئذ تعلمون:

(١) *حقيقة شخصي*: «اني انا هو». لقد وصف نفسه بقوله: «ابن الانسان» دلالة على مظهره الوضيع الذي بسببه خفيت عنهم حقيقته، «فلم يفهموه»

هذه الكلمات تعيد الى اذهاننا كلمات يهوه في العهد القديم: «فلا تشفق عليك عيني. فتعلمون أني انا الرب» (حزقيال ٧:٤). (انظر ايضاً حزقيال ١١.١٠ و١٢:٢٠ وخروج ١٠:٢ ومت ١٢:٣٩ و٢٦:٦٤).

(٢). *حقيقة تعليمي*: «لست افعل شيئاً من نفسي» — ان كلام المسيح جزء من عمله الموكول اليه — «بل اتكلم بهذا كما علمني ابي» (انظر ٧:١٦و١٧)

٢٩ والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل
حين أفعل ما يرضيه

عدد ٢٩. (٣) *حقيقة معنى الربانية* « والذي ارسلني هو معي. ولم يتركني الآب وحدي. . » بهذه الكلمات اراهم البون العظيم بين موقفهم بالنسبة له، و بين موقف الآب معه. اذا كانوا هم سيرفضونه، فان الآب معه. فماذا بهم اذا انطفأت كل الشموع وظل وجه الشمس مشرقاً ؟!

ان طاعة المسيح الكاملة الاختيارية، للآب، هي الضمان الاكيد لموافقة الآب له. « لاني في كل حين أفعل ما يرضيه ». لا لأن ارادة الآب فُرضت على المسيح فرضاً، كناموس خارجي عنه، بل لانها في أحشائه، فمن الطبيعي ان يعملها: « طعامي ان اعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله ». ليس وجه العجب ان المسيح عاش متمماً ارادة الآب، بل ان يكون هو المسيح ابن الله، ويقصّر في أمر منها

بما انه جعل اردة الآب، ارادته، لذلك صارت ارادته هو، ارادةَ الآب

«في كل حين أفعل ما يرضيه». ليس هذا وصفاً لاعمال المسيح وكفى، لكنه وصف للبواعث التي كانت تدفع المسيح للقيام بأي فعل: «أفعل ما يرضيه» ان من يتجاسر ان يقول هذه الكلمة، لا يكون فقط واثقاً من انه لم يرتكب خطية، بل انه ايضاً لم يجد امراً مرضياً لله الا وأنجزه. ليس فقط ان كل اعماله كانت مرضية للآب، بل ان كل ما وجده مرضياً للآب قد أجراه بالتمام. كذلك كان المسيح —والمسيح وحده. ذلك لانه «لم يكن وحده» ١٦:٣٢

٣٠ وبينما هو يتكلم بهذا آمن

عدد ٣٠. شعاع من النور في ليلة ظلماء: «وفيما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون». على رغم الاعتراضات التي وجهها اليهود الى المسيح، وُجد كثيرون ممن آمنوا به، فلم تخلُ ليلتهم الظلماء من كواكب شاهدة لنور الفادي. «آمن به كثيرون» — هذه العبارة تعني انهم ألقوا اعتمادهم على شخص المسيح. وهي كما وردت في الاصل، تختلف عن تلك التي وردت في عدد ٣١ «آمنوا به»، التي تعني تصديقهم لكلام المسيح. في عدد ٣٠، وردت كلمة: «آمنوا» متبوعةً بحرف الجر «بـ» او «على». وفي عدد ٣١، وردت كلمة «آمنوا»، مجردة، وترجمتها الحرفية «صدقوا المسيح». فالايمان، كما يصفه عدد ٣٠، متوجهٌ الى شخص المسيح. وكما يوضحه عدد ٣٠، متجه الى كلام المسيح. فكل من العددين يصف فرقة من اليهود غير التي يصفها الآخر. عدد ٣٠، يصف قوماً استمعوا للمسيح، فصدقوا كلامه، ثم اعتمدوا على شخصه. ولكن عدد ٣١، يصف قوماً آخرين استمعوا للمسيح، ثم صدقوا كلامه ووقفوا عند هذا الحدّ. فأراد المخلص ان يتقدم بهم خطوة جديدة في سبيل الإيمان، اذ قال لهم «ان ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي» كلمة: «آمنوا به»، كما جاءت في عدد ٣٠، تكررت مراراً عدة في هذه البشارة — ٢: ١١؛ ٣: ١٦ و١٨ و٣٦؛ ٤: ٣٩؛ ٦: ٢٩ و٣٥ و٤٠ و٤٧؛ ٧: ٥ و٣١ و٣٨ و٤٨ و٩: ٣٥؛ ١٠: ٤٢؛ ١١: ٢٥ و٤٥ و٤٨؛ ١٢: ١١ و٣٦ و٤٢ و٤٤ و٤٦؛ ١٤: ١ و١٢ و١٦: ٩؛ ١٧: ٢٠. مع انها لم ترد سوى مرة واحدة

به كثيرون . ٣١ فقال يسوع

في البشائر الاخرى لتصف ايمان «الصغار» — ايمان البساطة (مت ١٨: ٦).
فهي اذاً من الكلمات التي اختص بها يوحنا البشير

«انتم وانا» ٨: ٣١—٥٩

انتهينا من الحوار الذي دار بين المسيح واليهود ، ونحن شاعرون ان المسيح لم يبلغهم بعد ، رسالته الى أقصى حدودها . لانه أوقفنا واياهم عند حد قوله لهم : « ان لي اشياء كثيرة أتكلم واحكم بها من نحوكم » . وبما ان كل ممنوع مرغوب ، فمن المحقق ان من يسمع هذا القول ، لا يتمالك نفسه من التساؤل عن هذه الاشياء الكثيرة التي كانت لدى المسيح ، ولم ينطق بها بعد

لقد جاد علينا المسيح بخير جواب على هذا التساؤل ، في الجزء الأول من هذا الحديث (٨: ٣١—٤٧) . أما الجزء الثاني منه (٨: ٤٨—٥٩) ، فقد وقفه على شهادته لبنوته وازليته . فلنا ان نعتبر هذا الحديث بجزئيه ، خير مفسر لقول المسيح في حديثه السابق : «ان كنت انا أدين فدينونتي حق ... انا هو الشاهد لنفسي و يشهد لي الآب الذي ارسلني» (٨: ١٦و١٨) . فالجزء الاول من هذا الحديث يفسر قوله الاول (٨: ١٦) ، والجزء الثاني يوضح قوله الثاني (٨: ١٨)

الجزء الاول من الحديث — حكم المسيح على اليهود ٨: ٣١—٤٧ . في هذا الجزء اصدر المسيح على اليهود اربعة احكام مؤلمة جارحة — الثلاثة الاولى سلبية ، والرابع ايجابي . فالثلاثة الأحكام السلبية هي : (أ) «لستم احراراً» (٨: ٣١—٣٦ . (ب) «لستم ذرية ابرهيم» (٨: ٣٧—٤٠) . (ج) «لستم اولاد الله»

للیهود الذين آمنوا به

(٨ : ٤١ — ٤٣). وأما الحكم الرابع الايجابي فهو (د) «انتم من أب هو ابليس» (٨ : ٤٤ — ٤٧). وعند اختتام هذا الجزء الاول من الحديث، بعد عجزوا اليهود ان يردوا الاحكام الصادقة التي وجهها اليهم المسيح. لم يجدوا ما يروون به غليلهم، سوى تهمة شنيعة وجهوها الى «قدوس الله» (٨ : ٤٨). فأجابهم عنها المسيح بترفع من غير كبرياء (٨ : ٤٩ — ٥٠)

(أ) **الحكم الاول**: «لستم احراراً»: (٢ : ٣١ — ٣٦). يتضمن هذا الفصل ثلاث حلقات: (١) **كلام المسيح** (٨ : ٣١ — ٣٢). (٢) **اعتراض اليهود عليه** (٨ : ٣٣). (٣) **جواب المسيح على اعتراضهم** (٨ : ٣٤ — ٣٦)

عدد ٣١ و٣٢. **كلام المسيح**. «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به ..» قد يعجب المرء، لاول وهلة، اذ يجد ان هؤلاء اليهود الذين يصفهم البشير بالقول: «الذين آمنوا بالمسيح». هم بذاتهم الذين يقول لهم المسيح: «أنتم من أب هو ابليس». لكن لدى التأمل، ينكشف لنا السبب، فيبطل العجب. لم يكن ايمان هؤلاء متجهاً الى شخص المسيح، كما كان ايمان اولئك المذكورين في العدد السابق (*)، لكنه كان متوجهاً فقط الى كلام المسيح. هؤلاء كانوا مصدقين كلامه لكنهم لم يلقوا اعتمادهم بالتمام على شخصه. فقد يشاهد احدهم في ساعة خطر، سلماً قائمة بين الارض و بين دور علوي في احدى ناطحات السحب، ثم يصدق كل ما يقال له عن متانة تلك السلم. لكنه على رغم ذلك يظل خائفاً فلا يلقي بنفسه على السلم. فالتصديق شيء، والاعتماد شيء آخر.

(*) يعتقد جودي ان يوماً او بعض يوم توسط بين عددي ٣٠ و٣١

إنكم إن ثبتم في كلامي

التصديق من فعل العقل . والاعتماد من عمل القلب (راجع تفسير عدد ٣٠)

ان هؤلاء المذكورين في عدد ٣١،صدقوا ان يسوع هو المسيح، لكنهم كانوا يبيتون في قلوبهم افكاراً غير صحيحة ، عن حقيقته . لذلك لم يكونوا قد اعتمدوا عليه بعد . لقد فتحوا عيونهم للنور ، فرأوا المسيح كمن يرى خيالاً في ضوء الفجر ، وكان في امكانهم ان يصلوا الى نور النهار الكامل لو تابعوا السير والتقدم . والظاهر من قول المسيح لهم « إن ثبتم في كلامي » انهم من النوع الذي وصفه يعقوب في قوله : «سامعين فقط خادعين نفوسهم .... رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة . فانه نظر ذاته ومضى . وللوقت نسي ما هو.. ولكن من اطلع .. وثبت .....» (يع ١: ٢٢ — ٢٥)

ان قوماً كهؤلاء،قد يكونون مستنيرين لكنهم لا يضيئون. قد يذوقون لكنهم لا يأكلون ويشبعون. نصيبهم من التأثر بالحق قد لا يزيد عن تأثر جدران المكان الذي كان الرسل مجتمعين فيه (اعمال ٤: ٣١)

في هذين العددين قدم لهم المسيح : (أ) شرطاً : «ان ثبتم في كلامي». ان المسيح بوضعه هذا الشرط ، رحّب بالخطوات التمهيدية التي خطوها في سبيل الايمان، وشجعهم على التقدم والمثابرة ، ليتقدموا من ضوء الفجر الى نور النهار الكامل . « ان ثبتم في كلامي » — أي ان كان كلام المسيح بالنسبة لهم كالماء للسمك ؛ وكالهواء للطير، وكالتربة الجيدة للنبات الحي ، وكجذع الشجرة للأفرع . فالثبوت في كلام المسيح ، يفيد الجلوس باستمرار

فبالحقيقة تكونون تلاميذي. ٣٢ وتعرفون

عند قدميه والتمكن منه والاغتذاء بعصارته. (ب) وعداً: «فبالحقيقة تكونون تلاميذي» هذا وعد يقيني في طبيعته، لان المسيح استهله بقوله: «بالحقيقة»، وهو مثلث في محتوياته. ما أشبه في محتوياته، بكؤوس الورد، تتفتح احداها من الأخرى. فالكاس المركزية في هذا الوعد، هي التلمذة الحقة «فبالحقيقة تكونون تلاميذي»، ومنها تتفرع الكأس الثانية وهي: معرفة الحق «وتعرفون الحق» (عدد ٣٢). ومن هذه الكأس الثانية، تتفرع الكأس الثالثة وهي: حرية الحق: «والحق يحرركم». بل ما أشبه محتويات هذا الوعد بقمم جبل منيف، لا يرى الصاعد عليه سوى القمة الاولى. و بعد ان يرتقيها يجد القمة الثانية، ثم الثالثة. قمم عالية يأخذ بعضها بيد بعض. انوار يأخذ بعضها برقاب بعض. هذا وعد متين — فالتلمذة الحقيقية غرّته: «بالحقيقة تكونون..»، والحق عماده: «وتعرفون الحق»، والحرية تاجه: «والحق يحرركم». الحق (*) هو خلاصة كلام المسيح، بل هو كلام المسيح متأنساً. فهو اذاً المسيح نفسه، الذي هو كلمة الله النهائية للبشر

يمتاز الحق عن الصدق، في ان الصدق هو ما وافق عقيدة المتكلم. ولكن الحق هو ما وافق الواقع. فالصدق نسبي لكن الحق مطلق. «والحق يحرركم» — الحق والحرية صنوان لا يفترقان، فالحق يلد الحرية، والحرية تدعم الحق. الحق يحرر من عبودية الموت، والخوف، وعذاب الضمير،

(*) يعتقد يوحنا فم الذهب واغسطينوس ان المسيح انما قصد نفسه بقوله «والحق يحرركم»

الحق

والاضاليل، والذات المتمردة، والحرية الزائفة، التي هي العبودية بعينها. فكم من حريات بلا حرية. فالحرية الحقيقية لا تقوم باطلاق العنان للشهوات والاميال العاطلة ليعمل المرء ما يريد ويهوى، بل هي القدرة على عمل ما هو واجب. هي الارادة المتجددة' التي تريد ما يريده الله. فقد تخرج الافعى من جحرها، لكنها تظل عبدة لغريزة الاذى المنطبعة عليها. فهي لن تتمتع بالحرية الحقيقية الا متى تحررت من طبيعتها المؤذية، ولبست طبيعة جديدة تسعى وراء الخير، وتأنف الأذى

هذا وعد جميل في ذاته،غني بمحتوياته. لكنه لمزيد الأسف لم يصادف قبولاً لدى اولئك اليهود، الذي كانوا ينتظرون حرية سياسية من نير الرومان. فبدلاً من ان تتجه قلوبهم الى محاسن هذا الوعد ليجتلوها، اذا بهم قد بحثوا عن الوجه الجارح فيه، فاستنتجوا منه ان المسيح يتهمهم بالعبودية. وعوضاً عن ان يرحبوا بالوعد، حصنوا انفسهم ضده، واحتجوا. بدلاً من ان يقبلوا المسيح مخلصاً ومسيحاً،اتخذوا منه خصماً،فاستجمعوا كل قواهم لمعارضته

اعتراضات اليهود — ٨:٣٣ و ٣٩ و ٤١ و ٤٨ و ٥٣ و ٥٧

وهنا يجدر بنا ان نلقي نظرة عامة على اعتراضاتهم' لنرى من وراء ظلالها انوار كلمات المسيح. لقد قدموا ستة اعتراضات: — (١) «اننا . . لم نستعبد لأحد قط» (عدد ٣٣). (٢) «أبونا هو ابرهيم» (عدد ٣٩). (٣) اننا لم نُولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله» (عدد ٤١). (٤) «ألسنا نقول حسناً

والحق يحرركم.

انك سامري و بك شيطان» (عدد ٤٨)؟ (٥) «ألعلك اعظم من ابينا ابرهيم الذي مات» (عدد ٥٣)؟ (٦) « . . أفرأيتَ ابرهيم » (عدد ٥٧)؟

ولدى التأمل يتضح لنا انهم في الثلاثة الاعتراضات الاولى، دافعوا عن انفسهم.وفي الثلاثة الاخيرة هاجموا المسيح

في دفاعهم تحصنوا ب: (١) حريتهم الزائفة (عدد ٣٣). (٢) نسبهم الوراثي (عدد ٣٩). (٣) امتيازاتهم الدينية (عدد ٤١). وفي هجومهم طعنوه في: (١) شخصه (عدد ٤٨). (٢) سلطانه (عدد ٥٣). (٣) ازليته (عدد ٥٧)

جواب المسيح ٨:٣٤—٤٧ و٤٩—٥١ و٥٤ - ٥٦ و ٥٨

على هذه الاعتراضات والمهاجمات، أجاب المسيح بستة أجوبة سديدة، نافذة بقوتها كستة سهام قوية :—بالثلاثة السهام الاولى دفع اعتراضاتهم على كلامه، فحكم على اشخاصهم. و بالثلاثة السهام الاخيرة، صدّ النّبال التي صوبوها الى شخصه

اما حكمه على اشخاصهم، فهو حكم مثلث : (١) «انهم ليسوا أحراراً» (عدد ٣٤—٣٦)، (٢) «ليسوا اولاد ابرهيم» (عدد ٣٧— ٤٢)، (٣) بل «اولاد ابليس» (عدد ٤٣—٤٧)

واما فيما يختص بشخصه فقد قرر لهم : (١) انه « ابن الله » (عدد ٤٩— ٥٠). (٢) ان كلامه يهب الحياة للموتى (عدد ٥١ ٥٣). (٣) انه كائن قبل ان يكون ابرهيم (عدد ٥٤ — ٥٨)

٣٣ أجابوه إننا ذرية ابرهيم ولم نستعبد لأحد قط . كيف تقول

عدد ٣٣. *اعتراضات اليهود* — (أ) *اعتراضهم الاول — افتخارهم بحريتهم الزائفة*: «اجابوه اننا ذرية ابرهيم ولم نستعبد لأحد قط..». ان كلام المسيح عن حرية الحق، وقع على نفوسهم وقعاً أليماً. فكان كمياه باردة صُبّت على آمالهم الوطنية «الغالية». فبدلاً من ان يتقدموا خطوة اخرى الى الامام، في سبيل الايمان، نكصوا على اعقابهم. وعوضاً عن ان يعترفوا بحقيقة حالهم، ركبوا منطاد الغرور، و قالوا: «اننا ذرية ابرهيم». و بدلاً من ان يتضعوا فيقبلوا هبة الحرية التي لوّح بها امام اعينهم، نراهم وقد تمردوا، واحتجوا، فاستعاروا كلمة نيقوديموس قبل ان تنفتح عيناه للنور، وقالوا: «كيف» !؟ ان اعتراضهم هذا. مركب من ثلاثة عناصر: (أ) *كبرياء*: «اننا ذرية ابرهيم». (ب) *مكابرة*: لم نُستعبد لأحد قط» — وما رأيهم في المصريين الذين اذلوهم، والبابليين الذين سبوهم والرومان الذين كان « نسرهم » باسطاً جناحيه فوق هيكلهم ؟ ؟! هذا ضرب من ضروب خداع الخطية، فانها تعمي العين عن حقيقة الواقع. فتجعل العبد يفخر بالسلاسل كأنها حلي وجلاجل! ألعلهم في قولهم هذا، تعلقوا باهداب النظريات المعسولة، واغمضوا عيونهم عن الواقع؟ ولكن ما النفع من حرية الطفولة ومرحها لمن يقضي رجولته في غياهب السجون؟ بل ما قيمة الاهرام التليدة لمصري يقضي حاضره في كوخ متهدم؟ يعتقد هنجستنبرج ان اليهود انما كانوا يفخرون هنا بحريتهم الدينية، اي انهم لم يستعبدوا قط لوثن. و يقول جودي انهم قصدوا حريتهم كأفراد، على اعتبار ان الشريعة الموسوية، كفلت

أنت إنكم تصيرون أحراراً. ٣٤ أجابهم يسوع الحق الحق أقول
لكم إن كل من يعمل الخطية

لهم حريتهم الفردية (لاويين ص ٣٥). (ج) *احتجاجاً*: «فكيف تقول انت..»؟ يلوح لي ان كلمة: «انت» يحيط بها جو من التحقير والازدراء

عدد ٣٤. *جواب المسيح* — *الشطر الاول من جواب المسيح على اعتراضهم الاول*: «*لستم أحراراً*» (٨: ٣٤—٣٦): «أجابهم يسوع الحق الحق اقول لكم. . . » . افتخر اليهود في اعتراضهم السابق بأمرين: — *بنوتهم لابرهيم*، و*حريتهم*. فنقض المسيح بناء فخرهم من اساسيه، مبتدءاً بهدم الاساس الثاني — *حريتهم* (عدد ٣٤—٣٦)، ثم عقب عليه بهدم الأساس الاول — *بنوتهم* (عدد ٣٧ و ٣٨). فضلاً عن كون هذا الجواب نافذاً كالسهم، فهو ايضاً قاطع كالسيف، راسخ كالصخر، فاستهله بقوله: «الحق الحق» كعادته — في هذه البشارة — كلما اراد ان يعلن حقاً جديداً، ممتازاً (انظر شرح ٣: ٣ و ٥)

في الشطر الأول من جواب المسيح الذي هدم به ثقة اليهود بحريتهم الموهومة، اعلن لهم: (ا) *حقيقة حالهم* (٨: ٣٤): «ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» . هذا مبدأ عام، لانه يضم بين ذراعيه جميع الجنس البشري، وهو ايضاً مبدأ خاص، لانه ينطبق على الناس افراداً لا جماعات: «كل من» . كلمة: «يعمل» تشير الى حال الخطية المولود فيها الانسان، والى ارتكاب الخطية، والى العيشة في الخطية. فهي تتناول الخطية من حيث كونها حالة طبيعية، وفعلاً، وعادة، وخلقاً. لأن من يزرع فكراً يحصد

هو عبد للخطيـة. ٣٥ والعبد لا يبقى في البيت إلى الابد.

فعلاً، ومن يزرع فعلاً يحصد عادة، ومن يزرع عادة يحصد خلقاً، ومن يزرع خلقاً يحصد مصيراً

من أقوى تأثيرات الخطية على مرتكبها، انها تستعبده. لان كل مرة يقع فيها المرء في الخطية، تسهل عليه العودة الى ارتكابها، لانها تضعف فيه قوة المقاومة، وتستأسر عقله وتستعبد ارادته، «وتسبيه الى ناموس الخطية والموت» (رومية ٧: ٢٣). في بدء حياة الشر، يسير الانسان في منحدر متدرّج. لكن هذا الانحدار يصير فيما بعد عمودياً. فليست العبودية او الحرية قضية سياسية، لكنها حالة روحية نفسية

عدد ٣٥. (ب) غاية مآلهم (٨: ٣٥). (١) الجانب السلبي: «والعبد لا يبقى في البيت الى الابد». بهذا الحكم نقض المسيح ادّعاءهم الكاذب بأنهم «ذرية ابرهيم»، واهل بيت الله -- فلن يستطيع الانسان ان يكون عبداً للخطية وابناً لله في آن واحد. وحاشا لله أن يكون ابناؤه عبيداً لسواه! الى الآن، كان اليهود في بيت الله، لكنهم بحكم عبوديتهم، قد أمسوا غريبين عن «البيت»، على رغم كونهم متمتعين ببعض مزاياه الخارجية. فليست البنوّة لابرهيم أب المؤمنين، مسألة محلية جغرافية، ولا هي قائمة بالتسلسل التاريخيّ، وانما هي اختبار قلبيّ روحيّ: «منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لانهم لو كانوا منا لبقوا معنا» (١يو ٢: ١٩). وليس للعبد ان يبقى في البيت الا على قدر الوقت الذي ينتفع به سيده منه. فمن الجائز ان يُباع العبد في اي وقت، او

أما الابن فيبقى الى الابد. ٣٦ فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون

يُطرد. وقد حدث هذا بالفعل في عائلة ابرهيم — فان اسماعيل ابن الجارية طُرد، وتركز الوعد في اسحق

(٢) الجانب الايجابي «اما الابن فيبقى الى الابد». الاشارة هنا الى البنوة بوجه عام، مقابل العبودية. وانما من قبيل التطبيق تشير الى المسيح بالذات

عدد ٣٦. (ج) وعداً: «فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً». بعد ان ابان لهم المسيح حقيقة حالهم — انهم عبيد (عدد ٣٤)، وغاية ما لهم: الطرد من بيت الله (عدد ٣٥)، اراهم نوراً ساطعاً من الرجاء في شكل وعد يقيني (عدد ٣٦). كلمة: «الابن» في هذا العدد، تشير الى المسيح ابن الله

اذا القينا نظرة مجملة الى هذه الثلاثة الاعداد (عدد ٣٤و٣٥و ٣٦)، ألفينا بينها تدرجاً فكرياً مزدوجاً — فمن العبودية للخطية (عدد ٣٤)، ينتقل الفكر الى العبودية لله (عدد ٣٥). ومن البنوّة العامة في عدد ٣٥، ينتقل الفكر الى البنوة الخاصة لله — بنوة المسيح ابن الله الوحيد (٣: ١٦). ولكونه هو الابن الأوحد، قد آلت اليه كل حقوق البيت. فهو لا يتمتع بالحرية وكفى، لكنه يهب الحرية للعبيد ليصيّرهم ابناء، لانه صاحب الحرية وربها. بذلك يصبح تلاميذ المسيح أبناء الله بواسطة الايمان بابن الله الوحيد. (غل ٣: ٢٦) فالمسيح هو الابن الاصيل، لكن المؤمنين به هم ابناء بالتبني. ان بنوة المسيح حق، لكن بنوة المؤمنين هبة يُمنحون اياها بتحريرهم من الخطية بواسطة المسيح. على ان هذا لا يمنع كون بنوة المؤمنين بنوّة حقيقية :

أحراراً. ٣٧ أنا عالم أنكم ذرية إبرهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني

«فبالحقيقة» — في الروح، وفي الداخل، وفي عين الحقيقة والواقع، على خلاف بنوة اسرائيل التي كانت سطحية خارجية، وهمية. وردت كلمة: «بالحقيقة» في الاصل، في هذا المكان وحده في بشارة يوحنا. ان خير مفسر لهذه الاعداد هو ما جاء في غلاطية ص ٣و٤

ان الابن الذي يحرّر المؤمنين، هو الحقّ بعينه (عدد ٣٢). (انظر ١٤: ٦ و١ يو ٥: ٢٠)

اذا كانت الخطية بغرورها، و بطلها، واستعبادها، قد صيرت الابناء عبيداً وطردتهم من بيت أبيهم، فان المسيح، بحقه وحريته، يجعل العبيد احراراً، و يردهم الى البيت الذي منه طُردوا

عدد ٣٧. (٢) *الشطر الثاني من جواب المسيح على اعتراضهم الاول*: «لستم ذرية ابرهيم» (٨: ٣٧—٤٢). بدأ المسيح حكمه هذا: (ا) بتسليمه معهم بأنهم اولاد ابرهيم حسب الجسد «انا عالم انكم ذرية ابرهيم» — حسب السجل المدني التاريخيّ. (ب) ثم اورد لهم *حجة دامغة* تقصم حلقات هذا التسلسل الجسداني. فبيَّن لهم ان ثمار حياتهم الادبية، تدل على انهم متفرّعون روحياً من شجرة اخرى غير زيتونة ابرهيم (مت ص ٣، ورومية ص ٩، وغلاطية ص ٣). فالقتل ليس من ثمار زيتونة ابرهيم الطيبة: «لكنكم تطلبون ان تقتلوني». (ج) ثم تعمق في البحث فوصل الى *العلة الدفينة* لهذا الموقف الاجرامي الذي وقفوه تجاهه. فالعلة الحقيقية ليست فيه هو، بل فيهم

لأن كلامي لا موضع له فيكم . ٣٨ أنا أتكلم بما رأيت عند أبي .
وانتم تعملون ما رأيتم

هم — في قلوبهم . فقد اوصدوها ضد كلامه : «لان كلامي لا موضع له فيكم» . لان الحقد ، والتعصب الأعمى ، والجهل المطبق — كل هذه قد خنقت كلام المسيح ، فلم يجد له متسعاً في قلوبهم، للنموّ والاثمار . الكلمة المترجمة : «موضع» معناها الحرفي . « تقدُّم او سير الى الامام » . فهي تستعمل في لغة الأغريق عن السهم النافذ، والنبت المزدهر ، والمال المتكاثر ، والماء المتدفق . فهي تفيد الحركة ، والقوة ، والتقدّم . ان كلام المسيح قد بلغهم وتركهم على ما هم عليه من تعصب وظلام (عدد ٣٣)، لانه اصطدم بقلوبهم المتحجرة فلم يجد له منفذاً اليها . فكان نصيبه نصيب البذار التي وقعت على الأرض المحجرة

عدد ٣٨. مبدأ عام : ان كل شخص مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل خفي، عنه يصدر كل كلامه واعماله . وعن طبيعته ينمّ . وعلى هذا المبدأ قارن المسيح بين كلامه وأعمالهم . فكلامه ينمّ عن اصله الروحيّ . كما ان أعمالهم تفضح حقيقة أصلهم : «انا اتكلم بما رأيت عند أبي . وأنتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم» . هذه مقابلة مزدوجة: (ا) «انا اتكلم» — وكلامي روح وحياة . «انتم تعملون — وعملكم ظلم وقتل . (ب) «أنا . . . أبي» — هو الحيّ المحيي « وكلامي روح وحياة» . «انتم . . . . ابيكم» — هو القاتل وانتم تريدون ان تقتلوني . ان علة اختلاف المسيح عنهم ، ناشئة عن اختلاف اصله عن أصلهم . وما قاله المسيح هنا عن اليهود يصدق أبداً على كل البشر في كل عصر

عند ابيكم . ٣٩ اجابوا وقالوا له ابونا هو ابرهيم . قال لهم يسوع لو
كنتم اولاد ابرهيم لكنتم تعملون اعمال ابرهيم . ٤٠ ولكنكم الآن

اذا كان المسيح قد نسب الى نفسه ، « الكلام » ، والى اليهود ، « الاعمال » فما ذلك الا لانه كان حينئذ يشهد لهم عن حقّ الله ، وعن الله الحق ، في وقت كانوا هم يدبرون فيه « كيف يقتلونه »

عدد ٣٩ (ا) . (٢) **اعتراضهم الثاني : افتخارهم بنسبهم الوراثي :** «نحن ذرية ابرهيم . » جُرحت كبرياء اليهود ، اذ أحسوا من كلام المسيح ، في العدد السابق ، بوخز يطعنهم في أعز ما يفخرون به ، فقرّروا له وكرّروا ما سبقوا فقالوه في عدد ٣٣ ، واضعين النبرة على كلمة : « ابرهيم » ، وكانوا قد وضعوا النبرة في عدد ٣٣ ، على كلمة : « لم نُستعبَد » . قبلاً كانوا يفخرون بحرّيتهم لما رأوه يتهمهم بالعبودية . والآن نراهم يفخرون بكون ابرهيم اباً لهم حين سمعوه يطعنهم في شرف أصلهم وحسبهم

عدد ٣٩ (ب)— ٤١ (ا) . **جواب المسيح على اعتراضهم الثاني .** كان المسيح قد سلَّم معهم في عدد ٣٧ ، بأنهم اولاد ابرهيم حسب التسلسل الجسدي ، والآن نراه ينكر عليهم تسلسلهم من ابرهيم بالروح والعمل . لان فعلهم يدلّ على اصلهم : « لو كنتم اولاد ابرهيم لكنتم تعملون اعمال ابرهيم » — مثل طاعة ابرهيم لله (تك ص ٢٢ و ١٢) ، واحترامه لرسل الله ، وبينهم ملاك العهد (تك ص ١٦ و ١٨) . « ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني » . فيما يلي من الكلام ، وصف المسيح نفسه ثلاثة أوصاف ، متصاعدة في نظام

تطلبون ان تقتلوني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله . هذا لم يعمله ابرهيم .

متدرّج الى الاعلى : (ا) « انسانه » : ان المسيح اله كامل وانسان كامل ، وانما عبّر هنا عن نفسه بقوله : «وانا انسان» ، لـكي يصف نفسه حال كونه فادياً ووسيطاً ، ولان القتل لا ينصبّ على الله بل على « انسان » . على انه ليس مجرد انسان بل هو (ب) المتكلم بالحق — وهو الحقّ بالذات . وهو لم ينطق بحقّ ابتدعه من ذاته او لذاته ، انما جاء (ج) متكلماً « بالحق الذى سمعه من الله » (عدد ٣٨). هذا الوصف المثلّث يصف المسيح في عمله الفدائي كرسول ووسيط بين الله والناس . وبحسب هذا الوصف المثلث تكون خطية اليهود مثلّثة ، ومستكملة . « هذا » — أي طلب قتل الرسول المتكلم بالحقّ من قبل الله — « لم يعمله ابرهيم » — بل عمل ما هو ضدّ ذلك على خط مستقيم : « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا . . فرفع عينيه واذا ثلاثة رجال . . فلما نظر ركض لاستقبالهم وسجد» (تك ١٨: ١و٢)

بعد ان نفى المسيح عنهم انتسابهم الروحي الى ابرهيم ، نظراً لتناقض اعمالهم مع اعمال ابرهيم ، أراد ان يدلهم على والدهم الحقيقي الذي تربطهم واياه طبيعة العمل المشترك : «انتم تعملون» — الآن ، بمحاولتكم ان تقتلوني — «أعمال ابيكم» . هنا وصف المسيح حقيقة حالهم التي نمّت عنها طبيعة اعمالهم . وهو لم يكن بقوله هذا ، محرّضاً اياهم على عمل مقضيّ به عليهم ، بل كان مقرّراً حقيقة الواقع ليس الا

٤١ أنتم تعملون اعمال ابيكم. فقالوا له اننا لم نولد من زنا. لنا أب
واحد وهو الله. ٤٢ فقال لهم يسوع

عدد ٤١. (٣) *اعتراضهم الثالث*: «فقالوا له اننا لم نُولَد من زنا. لنا أب واحد وهو الله» (٨: ٤١). يقع اعتراضهم هذا، في شطرين — احدهما سلبي، استنكروا فيه الاتهام الذي استنتجوه من كلام المسيح فقالوا بأنفة الغاضب: «لم نُولَد من زنا» ولعلهم ارادوا بذلك انهم من دم يهودي، لم يداخله عنصر اممي، فهم عبرانيون من عبرانيين (فيلبي ٣: ٥)، لان زواج اليهود من الاميات كان محسوباً ضرباً من الزنى. وربما ارادوا بهذه الكلمة معنى روحياً اي انهم مولودون من عنصرٍ شريفٍ، موالٍ لله وحده، ولم يزنِ عن عبادته (هوشع ٢: ٤)، على خلاف السامريين

والشطر الثاني من اعتراضهم، ايجابي: «لنا أب واحد وهو الله» وهنا نلاحظ ارتقاءً منهم على سلم العجرفة، فبعد ان تمسكوا ببنوتهم الجسدية لابرهيم استطالوا باعناقهم وفاخروا ببنوتهم الروحية لله. فهم على هذا الاعتبار، وليدو العهد الذي قطعه الله مع شعبه اسرائيل

عدد ٤٢ — ٤٧. *جواب المسيح على اعتراضهم الثالث* ٨: ٤٢ — ٤٧. في هذا الجواب نقض المسيح ادعاءهم البنوة لله، بنفس المعول الذي هدم به ادعاءهم البنوة لابرهيم (عدد ٤٠)، اذ قدم لهم محكاً طبيعياً، يتبينون به صدق دعواهم من بطلانها (انظر عدد ١٤). بنغمة الواثق المتيقن، ابلغهم المسيح انه «خرج من قبل الله» — بالتجسد — «وأتى» الى العالم، حاملاً

لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبَل الله

اسم مرسِله وجلاله ، وعلى جبينه الوضاح طابع الازل والخلود . فلو كانوا هم من الله ، لعرفوا مسيح الله ، وفهموا كلامه ، واحبوه (عدد ٤٢) ، أما وقد جهلوه — او تجاهلوه — ولم يستمعوا لكلامه، وابغضوه ، وفكروا في قتله ، فقد برهنوا بعدم معرفتهم اياه ، على انهم لا يعلمون المصدر الذي منه أتى — الله (عدد ٤٣)

و بمحاولتهم ان يقتلوه ، اقاموا الحجة على انهم ليسوا ابناء الله لان « الله محبة» ؛ فلا بدَّ ان يكونوا اذاً اولاد القاتل الاعظم — ابليس (عدد ٤٤ (ا)). فثمار الشجرة ، عنوان حقيقتها ، والاعمال تنبئ عن حقيقة الخصال ، وكل اناء ينضح بما فيه

و بعدم سمعهم كلامه ، قدَّموا دليلاً عملياً على انهم اجنبيُّون عن لغته ، و بما أنَّ لغته هي «الحق» ، فمن لا يفهم «الحق» فهو ليس من ابنائه ، بل من ابناء الكذب، ومن سلالة «الكذاب وابي الكذاب» (عدد ٤٤ (ب) و٤٥)

اردف المسيح قوله هذا بتحدٍّ تاريخيٍّ ، لم يجسر فم، غير فمه الطاهر ، ان ينطق بمثله : « من منكم يبكتني على خطية ؟ » (عدد ٤٦) ، ثم ختم هذا التحدي بتقرير حقيقة طبيعية : «الذي من الله يسمع كلام الله» ، ومنها صاغ المعول الذي هدم به صرح ادعائهم الباطل : «لذلك لستم من الله» (عدد ٤٧)

عدد ٤٢ . تجسد المسيح ، وخدمته ، ورسالته . ان العبارة الأولى : « خرجت من قبل الله » تشير الى حقيقة التجسد في الماضي . والعبارة

واتيت. لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك ارسلني. ٤٣ لماذا لا تفهمون

الثانية: «أتيت» تشير الى خدمته في اتمامه اياها، وقت تكلمه معهم. والعبارة الثالثة: «لاني لم آت من نفسي . . بل ذاك ارسلني» تشير الى حقيقة رسالته في مصدرها: بكلمتين — احداهما سلبية «لم آت من نفسي». والثانية ايجابية: «بل ذاك ارسلني»

ان قوله «من قِبَل الله خرجت» ورد مرة واحدة غير هذه (١٦: ٢٨)، وهو يحمل اشارة الى مصدر بنوّة المسيح الازلية — من الآب

اذا كانت العبارة الاولى: «خرجت من قِبل الله»، تشير الى التجسد في الماضي. والعبارة الثانية: «وأتيت»، تصف حقيقة رسالته في الحاضر، فان هذه العبارة الثالثة: «لاني لم آت من نفسي بل ذاك ارسلني»، تربط الماضي بالحاضر برباط مكين

عدد٤٣. علة عدم فهمهم كلامه هذا. «لماذا لا تفهمون كلامي لانكم لا تقدرون ان تسمعوا قولي». اراد المسيح بقوله «كلامي»، غير ما اراد بكلمة: «قولي»، فالقول أعمّ واوسع من الكلام. ولعله اراد بـ«قوله»، جوهر رسالته، وبـ«كلامه» مضمون رسالته. فاذا مثلنا بقطعة موسيقية، قلنا ان «الكلام» هو لغتها وتعبيرها، «والقول» هو نغمتها. الكلام هو جسم رسالة المسيح، والقول هو روحها

ان السمع الذي اراده المسيح بقوله: «ان تسمعوا قولي»، هو القبول والترحيب — بالاذن المفتوحة، والقلب الواعي. هذا شرط لازم، بل خطوة

كلامي. لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. ٤٤ أنتم من أب هو
ابليس وشهوات ابيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من

تمهيدية للفهم، والادراك، والتمييز. وعلم القدرة، نتيجة طبيعية لعلم الارادة. فقول المسيح: «لانكم لا تقدرون ان تسمعوا قولي»، انما هو بمثابة قوله: «لانكم لا تريدون ان تقبلوا قولي ورسالتي». ان عجزهم عن ان يسمعوا قول المسيح، ليس ناتجاً عن حالة فرضها الله عليهم، وهم غير مسئولين عنها، لكنه نتيجة طبيعية لحالة خلقوها لأنفسهم، بعنادهم وتمردهم (قابل هذا بما جاء في ٥:٤٤—٤٧)

عدد ٤٤. *المسيح يصارحهم بحقيقة بنوتهم*. ان تصرّف اليهود نحو المسيح يتلخص في كلمتين — (١) *عدم محبتهم اياه* — والبغضة هي القتل بعينه. (١ يو٣:١٥)، (٢)— *عدم قبولهم كلامه* — وكلامه حقّ، بل هو الحقّ بعينه. اذاً قد نمّت أعمالهم عن هاتين الشهوتين — **القتل والكذب** ولما كان لكل شخص اصل ينتسب اليه، ويستمدّ منه عصارة حياته، واخلاقه، فقد صاروا خليقين بان يكونوا اولاد ابليس الذي اتصف بنفس هاتين الشهوتين: (١) **القتل**: «ذاك كان قتالاً للناس من البدء» لانه اغرى ابوينا الاولين بمخالفة وصية الله، واوقعهما في موت النفس والجسد. فان «اجرة الخطية هي موت». (٢) **الكذب**: «لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حقّ. متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له. لأنه كذّاب وأبو الكذاب»

ان قول المسيح: «ذاك كان قتالاً للناس من البدء»، يشتمل على اشارة

البدء ولم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فانما
يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب . ٤٥ واما انا فلأني اقول الحق

ضمنية الى اصل سقوط الجنس البشري . وقوله : « ولم يثبت في الحق » ، يحمل اشارة ضمنية الى اصل سقوط ابليس. ولعل كلمة : «لم يثبت» ، تتضمن اشارة من طرف خفي الى سقوط ابليس في امتحان أدبيّ روحيّ ، حين سقط من ثباته . وان علة سقوطه ، لم تنشأ عن أمر خارجي عنه ، بل عن استعداد داخلي فيه « ليس فيه حق»

وانما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد

« لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق » . « حق » في الخارج وهو اعلانات الله . « وحق » في الداخل - وهو الاخلاص ، والبساطة ، والاستقامة المتفقة مع حق الله . لذلك لم يثبت ابليس في حق الله ، لانه كان خالياً من الاخلاص والبساطة ، والاستقامة

ان ما قاله المسيح ، عن ابليس ، بصيغة سلبية : «لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق» ، عاد فقرره بصيغة ايجابية ، للتوكيد : « متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وأبو الكذاب »

عدد ٤٥ . علة عدم ايمانهم : «واما انا» — الآن قد انتقلنا من بيئة كلها ظلام في ظلام (عدد ٤٤) ، الى بيئة كلها قداسة في قداسة ، وحق في حق . ان علة عدم ايمان اليهود بالمسيح ، كائنة في الاختلاف البيّن ، بين ما نادى به هو : « الحق » و بين ما فيهم هم : « الكذب » . وكيف يدخل

لستم تؤمنون بي. ٤٦ من منكم يبكتني على خطية. فان كنت اقول
الحق فلماذا لستم تؤمنون بي. ٤٧ الذي من الله

الهواء في حراشف السمك؟ وكيف يدخل الماء الى رئتي العصفور؟!

عدد ٤٦. *المسيح يتحدى الاجيال.* «من منكم يبكتني على خطية..» كما تتجمع اشعة الشمس في نقطة واحدة، ملهبة. محرقة، كذلك تجمعت كلمات المسيح، والتقت في هذه الكلمة المنيرة لقلوب المؤمنين، والمحرقة لأعشاب الافتراء في قلوب الممترين: «من منكم يبكتني على خطية». مَن من البشرية يجسر ان يقول، ان الناطق بهذه الكلمات، مجرد انسان؟ اللهم! اذا كان قائل هذه الكلمة انساناً، فانه غير موجود. لان الانسان الذي يتحدّى اعداءه بمثل هذه اللغة، لم يُخلق بعد. ولن يخلق، بل ينبغي ان يكون «مولوداً غير مخلوق. مساوياً للآب في الجوهر» — هذا هو المسيح — والمسيح وحده

ان المسيح بتحديه اليهود، قد تحدّى كل الاجيال. فقد مضت عشرون قرناً، ولم يقم فيها واحد يستطيع ان يقول: «انا ابكتك على خطية»، فهو بارٌّ بشهادة الاحباء، بار بشهادة الاعداء، بار بشهادة البرّ نفسه!!

ان عجز اليهود — والعالم اجمع — عن ان يجدوا خطية واحدة في المسيح، معناه انه يجب عليهم ان يسلموا بأنه نطق بالحق، بل انه هو «الحق»، بل وجب عليهم ان يقبلوه في قلوبهم، لان من يقبله، يقبل الحقّ

عدد ٤٧. *تقوى طبيعية مؤسسة على مبدأ طبيعي:* «الذي من..». اما

يسمع كلام الله. لذلك انتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله. ٤٨ فاجاب

المبدأ الطبيعي فهو: «الذي من الله يسمع كلام الله» — لانه ما دام في الله، فالله فيه، وما دام الله فيه، فمن الطبيعي ان يسمع كلام الله، ويرحب به، ويطيعه. «وشبيه الشيء منجذب اليه»

الشطر الثاني من حديث المسيح ٨:٤٨—٥٩

قبل الآن، كان اليهود متخذين من المسيح جانب الدفاع، ومنذ الآن سنراهم متخذين منه جانب الهجوم. اذ هاجموه في ثلاث نواح: —

(١) في شخصه (عدد ٤٨). (٢) في سلطته (عدد ٥٢ و٥٣). (٣) في ازليته (عدد ٥٧). فاجابهم المسيح اجوبة سديدة، شبيهة بسهام مسدَّدة

في جوابه على هجومهم الاول: ابان لهم: انه يكرم الآب (عدد ٤٩)، وانه لا يطلب مجداً لنفسه (عدد ٥٠)، ثم ختم هذا بتقديم وعد مجيد لمن يحفظ كلامه (عدد ٥١). وفي دفاعه عن هجومهم الثاني: ابان لهم ان سلطته مستمدة من الآب الذي يمجده، والذي يدَّعون هم انه الههم (عدد ٥٤). ثم صارحهم بحقيقة مؤلمة جارحة وهي انهم لا يعرفون هذا الاله الذي يعرفه هو (عدد ٥٥). وقد بلغ سهمه صميم قلوبهم عند ما اعلن لهم ان اباهم ابرهيم الذي يفاخرون به على الاجيال، «قد تهلل بأن يرى يومه فرأى وفرح» (عدد ٥٦)، وفي دفاعه عن هجومهم الثالث، قرر لهم، بلغة الواثق الموقن، انه ازلي — «قبل ان يكون ابرهيم أنا كائن» (عدد ٥٨)

عدد ٤٨. هجومهم الاول — موجه الى المسيح في شخصه « فأجاب

اليهود وقالوا له ألسنا نقول حسناً انك سامري وبك شيطان .
٤٩ اجاب يسوع

اليهود وقالوا له . ألسنا نقول حسناً انك سامري و بك شيطان» ؟ يستفاد من قولهم : « ألسنا نقول حسناً » ان العبارة التي تقوّلوا بها على المسيح ، كانت متداولة بينهم. فقد كان في نظر اليهود: (أ) «سامرياً»—لانهم كانوا يعتبرونه ألدَّ عدّو لوطنيتهم الضيقة الزائفة . (ب) « به شيطان » . ان القلم ليرتجف في يد الكاتب عند تسطيره هذه التهمة النكراء التي وجهها اليهود الى «قدوس العلي». (راجع تفسير ٧: ٢٠). أهكذا تصل البشرية الى الحضيض في اتهامها ربها وفاديها ومسيحها . اراد اليهود بهذا القول المنكر ان يردوا على المسيح التهمتين اللتين الصقهما بهم فيما مضى (عدد٣٩و٤٤).فقولهم له:«إنك سامريّ» ردوا به قوله لهم: «لستم اولاد ابرهيم» (عدد ٣٩). وقولهم له: «بك شيطان» ردّوا به قوله لهم: «انتم من أب هو ابليس» (عدد ٤٢). على ان المسيح لم يكل لهم القول جزافاً، ولا حباً بالاتهام، وانما اراد ان يصارحهم بحقيقة حالهم، فيصلحوها قبل فوات الفرصة كان سلاحه كمشرط الطبيب المعالج ، وكان سلاحهم كخناجر قُطاع الطرق

ان في قولهم له : « انك سامري » اعترافاً منهم ، على غير قصد ، بان شخصية المسيح جامعة لشتات البدائع ، تضم بين جوانبها ابعد المتناقضات ، ويجتمع في باحتها الفسيحة، اليهودي بعدوه السامري

عدد ٤٩ — ٥١. دفاع المسيح ضد هجومهم الاول— المسيح يكرم الآب

انا ليس بي شيطان لكني اكرم ابي وانتم تهينونني. ٥٠ انا لست

(٨: ٤٩ — ٥١). في هذه الكلمات، تغاضى المسيح عن اتهامهم اياه بأنه «سامري» ودفع عن نفسه التهمة الثانية «بك شيطان»، مفرغاً دفاعه في كلمات هادئة كالنسيم، قوية كأشعة الشمس، جميلة كالقمر. «اذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً واذ تألم لم يكن يهدّد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل» (١ بطرس ٢: ٢٣). ان كلمات بطرس هذه، تلقي نوراً ساطعاً على دفاع المسيح هنا. وكأنّ بطرس كتبها في نور هذا الدفاع المجيد، الذي سجله يوحنا. فالشطر الاول من كلمات بطرس: «اذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً»، يفسر عدد ٥٠، والشطر الثاني: «واذ تألم لم يكن يهدد. بل كان يسلم لمن يقضي بعدل»، يفسر عدد ٥١

يتضمن دفاع المسيح في هذه الاعداد: (أ) *انكاراً صريحاً*، للتهمة الثانية التي وجهوها اليه: «أنا ليس بي شيطان». (ب) *تقريراً ايجابياً* عن غاية رسالته: «أنا اكرم ابي». اذاً لم تكن كلمات المسيح السابقة، صادرة عن قلب مملوء من الغلّ نحوهم، ولا عن عقل جامح، وانما هي رسالة الآب وقد بلغها لهم بأمانة. فكان بذلك مكرماً الآب. (ج) *وصفاً هادئاً* لحقيقة كلامهم: «انتم تهينونني» تظهر شناعة خطيتهم هذه، من كونهم يهينون المسيح اثناء تأدية وظيفته بتكريمه الآب. ان النّبرة في كلام المسيح واقعة على كلمتي «انا» و«انتم»، وعلى كلمتي «اكرم» و«تهينون». (د) *تسامحاً سخيا*: «انا لست اطلب مجدي» (عدد ٥٠). وكأني به يقول لهم اما اهانتكم لي، فلا يعنيني أمرها، لاني ما جئت لأطلب مجدي، وانما الذي «يطلب مجدي

الطاب مجدي. يوجد من يطلب ويدين. ٥١ الحق الحق اقول
لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد.

ويدين» من يهينوني، هو الآب، واليه اسلم الامر: «كان يسلم لمن يقضي بعدل». ان الآب قد مجّد المسيح، باقامته من الموت، واجلاسه عن يمين العظمة في الاعالي. وقد دان اليهود بتأسيس اسرائيل روحي — الكنيسة المسيحية — بدلاً من اسرائيل العتيق، و بتسليمه اليهود لمرامي اعدائهم، الذين اخربوا مقدسهم وشتتوهم في ارجاء المعمور. (د) وعداً أكيداً: «الحق الحق اقول لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد». على ذكر الدينونة التي اختتم بها المسيح كلامه في العدد السابق (عدد ٥٠)، لم يشأ ان يتركهم في ظلامها، ولأن يختتم دفاعه بها، بل قصد ان ينقلهم من ظلامها الى نور الحياة، فاراهم وسيلة النجاة من الدينونة، والتمتع بالحياة—وهي حفظ كلامه: «ان كان احد يحفظ كلامي» — انّ حفظ كلام المسيح معناه الانتباه اليه،وقبوله قبولاً حسناً،بدلاً من عدم اعتباره والعبث به (انظر عدد ٣١). ويراد بـ «كلام» المسيح خلاصة وصاياه وروح تعاليمه. اما الوعد المقدم لمن يحفظ كلام المسيح، فقد أفرغه المسيح في كلمات صريحة قاطعة: «لن يرى الموت الى الأبد» (قابل هذا مع ما جاء في يو٣: ٣٦ ولوقا ٢: ٢٦ وعبرانيين ١١: ٥ واعمال ٢: ٢٧ و٣١ و١٣: ٣٥ و رؤيا ١٧: ٧). ان الرؤية المقصودة بقوله: «لن يرى»، يراد بها رؤية التفرس، والاختبار، التي هي بمثابة اختبار الموت في الموت. (تكوين ٢: ١٧ و١١: ٢٦ و ٦: ٥٠)

٥٢ فقال له اليهود الآن علمنا ان بك شيطاناً. قد مات ابرهيم
والانبياء. وانت تقول ان كان احد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت
الى الابد. ٥٣ ألعلك اعظم من ابينا ابرهيم الذي مات. والانبياء
ماتوا. مَن تجعل

عدد٥٢و٥٣. *هجومهم الثاني — موجه الى المسيح في سلطته* (٨:٥٢و٥٣)
سمع اليهود هذا الوعد الذي اختتم به المسيح دفاعه سالف الذكر. فبدلاً من ان يقبلوه قبولاً حسناً، ويتمتعوا بالبركة المتضمنة فيه: «ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الأبد»، نراهم يكيلون الشتائم جزافاً لقدوس الله متهمين اياه بانه يتقلد سلطة ليست له: «مَن تجعل نفسك؟»

لو كان المسيح قد قال لهم، انه لن يموت الى الابد، لكان قوله هذا عسر القبول لديهم. لان ابرهيم أباهم، والانبياء الذين هم موضوع اجلالهم وتقديسهم، قد ماتوا. اما وقد قال لهم المسيح انه صاحب السلطان في إعطاء الحياة الابدية لكل من يحفظ كلامه، فلم يتمالكوا انفسهم من ان يهرفوا بهذه الكلمات: «الآن علمنا ان بك شيطاناً. قد مات ابرهيم والانبياء وانت تقول ان كان احد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت الى الابد. ألعلك اعظم من ابينا ابرهيم الذي مات والانبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟»

ان اليهود في احتجاجهم هذا، قد حرفوا كلمة رئيسية في وعد المسيح، فبدّلوا كلمة: «يرى» (عدد ٥١)، بكلمة: «يذوق» (عدد ٥٢). ان «ذوق كأس الموت» يراد به الموت الجسدي. ولكن «رؤية الموت» يراد بها الموت

نفسك . ٥٤ اجاب يسوع ان كنت امجد نفسي فليس مجدي شيئاً.
ابي هو الذي يمجدني الذي تقولون انتم انه إلهكم. ٥٥ ولستم
تعرفونه . واما انا فاعرفه .

الروحي . وواضح من عبرانيين ٢: ٩، ان المسيح « ذاق » الموت ، مع انه لم يرَ الموت أي لم يمت روحياً

عدد ٥٤ — ٥٦. *دفاع المسيح ضد هجومهم الثاني — المسيح يمجد الآب، وسلطانه مستمد منه* . اجابهم المسيح في دفاعه عن هجومهم الثاني، بأن سرمديته ، وان السلطة التي بها يهب حياة لمن يحفظ كلامه ، ليستا مستمدتين من سلطان اختلسه لنفسه اختلاساً ، بل من المجد الذي اعطاه الآب اياه،وان اباه ليس اجنبياً عنهم ، فانهم «يقولون انه الههم» . ومن المؤسف ان ادعاءهم هذا باطل ، لانهم لا يعرفون الله الذي ينسبون انفسهم اليه ظلماً و بهتاناً

ما كان أشد وقع هاتين الكلمتين على مسامعهم: «ولستم تعرفونه»، وهم الذين يدعون العلم بكل شيء. كان من الصعب جداً عليهم ان يسمعوا شخصاً ينسب اليهم عدم المعرفة بالناموس ، او بتفسيره ، او بتقليدات الآباء . اما ان يُتهموا بانهم لا يعرفون الله — فهذا شيء لا تطيقه طبائعهم المتكبرة ، والمكابرة

وفي الوقت الذي صارح فيه المسيح اولئك اليهود بأنهم لا يعرفون الله ، قرر لهم محققاً انه هو «يعرفه و يحفظ قوله» . ومن اللذ ان نذكر ان المعرفة في قوله عنهم: «تعرفونه» تعني المعرفة الاكتسابية التعليمية،مع ان المعرفة في قوله عن ذاته : «اناعرفه» تعني المعرفة المباشرة، العيانية، الجوهرية ، الذاتية

وإن قلت إني لست اعرفه اكون مثلكم كاذباً . لكني اعرفه واحفظ قوله . ٥٦ ابوكم ابرهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح .

ولا يغرب عن بالنا ان المسيح لم يقرّر لهم انه يعرف الله ، حباً في المقارنة بين جهلهم وعلمه ، وكفى ، بل لان تصريحه بهذه الحقيقة ، قضت به ضرورة شهادته بكل الحق : «وان قلت اني لست اعرفه اكون مثلكم كاذباً» . لان الكذب، لا ينحصر في اعطاء معلومات غير صادقة ، وانما هو ايضاً عدم التصريح بكل الحق . فالحق المبتسر ، لا يختلف كثيراً ، في نظر الله ، عن الكذب الصراح

الى هنا جاوبهم المسيح عن سؤالهم : «من تجعل نفسك» (عدد ٥٣) ؟ وفي العدد الآتي (عدد ٥٦) ، جاوبهم عن سؤالهم «ألعلك أعظم من ابينا ابرهيم» (عدد٥٣)؟ فقرر لهم «ان اباهم ابرهيم تهلل بان يرى يومه فرأى وفرح»

جدير بنا ان نستوقف انفسنا قليلاً ، امام هذا الاعلان الجليل ، الخاص بنسبة المسيح الى ابرهيم الخليل . لقد طرب ابرهيم متمنياً ان يرى يوم المسيح «فرأى وفرح» . فالرؤية حصلت بالفعل — لا بالرجاء ، ولا بالتوقع . وهي ايضاً حدثت لما كان ابرهيم بالجسد حياً — لا بعد ما خلع ابرهيم رداء الجسد وصار في عالم الأرواح . فالاشارة منصبة على الاوقات التي رأى فيها ابرهيم «ملاك يهوه» — «ملاك العهد» (اطلب تكوين ١٥: ٨ و ١٨: ١) . ويجوز ان يكون قد رآه في نور المواعيد (عب ١١: ١٣) وفي ضوء ذبيحة اسحق ، والكبش الذي وجده مُعداً لفدائه (تكوين ٢٢: ١٣)

٥٧ فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت ابرهيم.
٥٨ قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابرهيم أنا
كائن.

عدد ٥٧. *هجومهم الثالث — موجه الى المسيح في ازليته*: «فقال له اليهود. ليس لك خمسون سنة بعد: أفرأيت ابرهيم»؟ هذه هي المرة الثانية التي حرفوا فيها كلمات المسيح. لم يقل لهم الفادي انه رأى ابرهيم. بل ان ابرهيم رأي يومه (انظر ايضاً عدد ٥٢)

ان قولهم له: «ليس لك خمسون سنة بعد» لا يستدل منه شيء عن مقدار عمر المسيح وقتئذ، لانهم لم يذكروا العدد ٥٠ الا لكونه عدداً كاملاً، وعنده ينتهي دور الرجولة (عدد ٤:٣). فكأنهم ارادوا ان يقولوا له: انك لم تتم بعد دور الرجولة، فهل تحسب نفسك معاصراً لابرهيم

عدد ٥٨. *دفاع المسيح ضد هجومهم الثالث. المسيح ازلي مطلق*. هنا قرر لهم المسيح بلغة الواثق المطمئن، انه ازليّ: «قبل ان يكون ابرهيم، انا كائن» (عدد ٥٨). ومن الاهمية بمكان عظيم ان نلاحظ الفرق بين صيغة الفعل الذي استعمله المسيح عن ابرهيم: «يكون» و بين صيغة الفعل الذي وصف به نفسه: «كائن». فهو لم يقل: «قبل ان يكون ابرهيم انا كنت» وانما قال «انا كائن». فليس في سجلّ الزمن وقت لم يكن فيه المسيح كائناً. ان الوقت الذي وُجد فيه المسيح، لم يولد بعد على احضان الزمن. فالمسيح هو رب الزمن لانه ازلي، ابدي (١:١)

٥٩ فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل، مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا

عدد ٥٩ . *خاتمة محزنة*: لم يتلق اليهود هذه السهام المسدّدة اليهم، بصدور رحبة، بل صاروا — كما عهدناهم — حنقين غضوبين، اذ لم يبق في قوس صبرهم منزع «فرفعوا حجارة ليرجموه». الآن قد تبلور كلامهم السابق وتحجر، وبهذه اللغة الحجرية الجامدة، ارادوا ان يقذفوا المسيح. هذه خاتمة محزنة دلت على الحالة النفسية التي وصلت اليها نفوسهم من الجمود والتحجر! قلوب حجرية بين ضلوعهم، ومواد حجرية في اياديهم

وكم من «حجارة» يتناولها اليوم كثيرون، ليرجموا بها المسيح، في مدارس النقد الاباحيّ، وفي برية الشكوك، وفيافي العلم الغبيّ، وظلمات العناد. فالحجارة هي، في كل عصر، جواب محبيّ الظلمة على ناشر النور

ولكن اذا كانت الظلمة تجاوب النور بالاحجار، فهل تقوى الاحجار على اطفاء النور؟ فهل اذا رُجمت الشمس بالاحجار كل صباح، تكفّ عن الاشراق، وهل عويّ الذئآب بقادر ان يمنع جبار الفضاء عن المسير في فلكه؟!

«اما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل، مجتازاً في وسطهم» — من غير ان يلجأ الى معجزة خاصة — «ومضى هكذا»

الاصحاح التاسع

المعجزة السادسة

المسيح يرى الاعمى . والاعمى يرى المسيح

هذا فصل جليل ، عامر بالعظات والعبر . فيه شقاء وشفاء ، فيه عذاب وعزاء ، فيه دموع وابتسام ، فيه شكّ ويقين — كذلك الحياة . فالشقاء ، والعذاب،والدموع مرتسمة على جبين الأعمى.والشكّ يختلج في قلوب التلاميذ

في هذا الفصل نرى ظلام البصر متمثلاً في شخص ذلك البائس، الذي وُلد أعمى . وظلام البصيرة متجسداً في الفريسيين ، فتفيض عيوننا بالدموع . لـكننا اذ نرى نور الابصار والبصائر متأنساً في شخص المسيح الذي قال «انا هو نور العالم» ، يغلب علينا الفرح ، والرجاء ، والابتسام

هذا فصل مطبوع بالطابع المزدوج الذي دُمغت به كل بشارة يوحنا — تدرُّج في الايمان بالمسيح ، وفي الشهادة للاهوته ، يرافقه تدرُّج في علم الايمان به

فالتدرج ، نلمسه في ايمان الاعمى :— في أول درجات ايمانه ، قال عن المسيح : « إنسان يُقال له يسوع » (عدد ١١) ، وسرعان ما ارتقى ايمانه درجة اخرى حتى قال : «إنه نبيّ» (عدد ١٧) ، ثم تطور إيمانه متسامياً حتى قال فيه : «انه الرسول الـكامل الفرد» (عدد ٣٢و٣٣) . واخيراً تدرج ايمانه متصاعداً حتى قال فيه : انه «ابن الله» (عدد ٣٧) . وما هي الاّ لحظات حتى تطوّر ايمانه فاضحى عبادة (عدد ٣٨)

واما الشهادة للاهوت المسيح ، فاننا نراها مدعمة ببراهين لا تدحض .
لان المعجزة الناطقة بهذه الشهادة، لم تجرَ في الخفاء، بل على مرأى ومسمع من وجوه اليهود الرسميين ، فاعترفوا صراحة بصدق المعجزة (٩: ١٥ و ١٦) ، واعترفوا ضمناً بصحة رسالة المسيح (٩: ٣٤)

هذا اصحاح جميل ، فالمسيح هو اول من نرى فيه..وهو آخر من نودّع

ينقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام : أولاً : الوضع التاريخي للمعجزة (٩: ١ — ٥) ثانياً : قلب المعجزة (٩: ٦ و٧). ثالثاً: نتائج المعجزة (٩: ٨ — ٤١): (أ) موقف الجيران (٩: ٨ — ١٢). (ب) موقف الفريسيين (٩: ١٣ — ٣٤) (ج) موقف المسيح : (٩: ٣٥ — ٤١)

أولاً : الوضع التاريخي للمعجزة (٩: ١ — ٥)

يرتبط هذا الفصل بالفصل الماضي ، ارتباطاً وثيقاً . فكلاهما موعظة مبنية على قول المسيح : «انا هو نور العالم» (٨: ١٢ و ٩: ٥). والفرق بينهما هو، ان الفصل الماضي موعظة أُفرغت في قالب كلام . وهذه المعجزة، موعظة تمثلت في انسان . الفصل الماضي معجزة الحكمة ، وهذه المعجزة آية العمل . تلك موعظة في دائرة الروح ، وهذه موعظة في منطقة الحياة العملية . تلك موعظة موجهة الى « مدينة نفس الانسان » عن طريق السمع فقط . وهذه موعظة موجهة اليها عن طريق السمع ، والبصر ، واللمس

هذه احدى المعجزات الاختيارية ، التي أجراها المسيح اجابةً لداع في قلبه . فلم يسترحمه الاعمى ، ولا استعطفه التلاميذ — وكذلك كل المعجزات المدوّنة في يوحنا — ما عدا واحدة (٤: ٤٧). بل هذه احدى المعجزات التي تفرّد

١ وفيما هو مجتاز رأى

يذكرها يوحنا البشير . وهي الثانية بين المعجزات التي أجراها المسيح في اليهودية حسب رواية يوحنا . وهي احدى المعجزات ، التي سبق العهد القديم فانبأ بحدوثها في العصر المسيحي : « وتنظر من القتام والظلمة عيون العمي » (اش ٢٩:١٨) ، بل هي أولى المعجزات التي تحدث عنها المسيح مع رسولي المعمدان : « . . . . العمي يبصرون » (متى ١١:٥)

ومن الامور التي تسترعي الالتفات ، ان المعجزات التي اجراها المسيح لشفاء العمى ، اكثر من معجزاته التي أجراها في اي مرض آخر. فالانجيل يعرّفنا ان المسيح، مرة واحدة شفى أعقد اصم . ومرة واحدة ايضاً شفى مفلوجاً، ومرتين ابرأ أبرصاً ، وثلاث مرات اقام ميتاً ، واربع مرات فتح عيون عميان.

أولا : *الوضع التاريخي لهذه المعجزة* (١:٩—٥) . في هذا الوضع التاريخيّ ، نرى : (١) *الظرف الذي تمت فيه* : « وفيما هو مجتاز رأى انساناً » . (٢) *الانسان الذي صارت فيه آية الشفاء* : « انساناً أعمى منذ ولادته » (عدد ١). (٣) *المشكلة الفلسفية التي سبقتها* (عدد ٢ — ٥)

عدد ١ . (١) *الظرف الذي تمت فيه المعجزة* : « وفيما هو مجتاز رأى انساناً » — هذه حلقة الاتصال التي تربط الفصل الماضي بالفصل الآتي ، فكلاهما موعظة مبنية على كلمة المسيح : « انا هو نور العالم » . الفصل الماضي ينتهي بالقول : « اما يسوع فاختبأ وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا » . ويبتدئ هذا الفصل بقوله : « وفيما هو مجتاز رأى » .

إنساناً اعمى

فالحادثتان يربطهما معاً زمن قصير [١] . و يعتقد جودي ان هذا الزمن القصير قد يمتدّ الى بضع ساعات . فاذا كانت الحادثة الأولى قد تمت في الصباح ، فان الثانية تكون قد وقعت قبيل غروب ذلك اليوم عينه . لان نغمة عددي ٤و٥ ، تتفق وساعات الغروب . على انه ليس من الضروري ان نستنتج ان المشهد المذكور في الاصحاح التاسع ، حدث حالاً بعد المشهد الذي ودعناه في الاصحاح الثامن. لان سؤال التلاميذ للمسيح (عدد٢)،لا يتفق والحالة النفسية التي يكون عليها قوم قد نجوا حالاً من بين أفواه الاسود

غالباً جداً ، كان ذلك الاعمى جالساً يستعطي عند مدخل الهيكل (اعمال ٣:٢) أو عند احد ابواب اورشليم. «وفيما هو مجتاز رأى انساناً» — اذا كانت هذه العبارة تربط مشهد الاصحاح الماضي بمشهد هذا الاصحاح : فهي ايضاً تفتح بوناً شاسعاً بين روح المشهدين. في الاصحاح الثامن رأينا مشهد البشرية العمياء العنيدة — ممثلة في الفريسيين — ثائرة على فاديها ومخلصها ، فرفعت حجارة لترجمه. وفي الاصحاح التاسع نرى الفادي مشفقاً على البشرية العمياء ، البائسة — ممثلة في المولود اعمى — ففتح عينيها لتتمتع بالنور والحرية . فما اكبر جرم الانسان ، وما اجلّ تسامح الفادي . ما اشد قدرته اذ يقابل الرجم بالاحجار ، بمعجزة رحمة من اجلّ معجزاته !

(١) يعتقد وستكوت بناء على استقرآت علمية ، لا يتسع لها المقام هنا ، ان الاصحاح التاسع منفصل عن الاصحاح الثامن ، ومتصل بالاصحاح العاشر ، من حيث الزمن . وان الحوادث التي تمت في كليهما — ص٩ و ١٠ — حدثت في عيد التجديد ١٠:٢٢و٢٣

منذ ولادته .

---

(٢) الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء : «انساناً اعمى منذ ولادته» .
اي مشهد في الوجود اكثر ايلاماً من هذا : «إنساناً اعمى منذ ولادته» . في كل الصلبان التي توضع على اكتاف البشر ، ربما لا يوجد أثقل من العمى. فالكلمة نفسها مكروهة يمجّها السمع . وهل في العالم مصوّر يستطيع ان يرسم آلام من يولد أعمى ؟ ! ان عاهته هذه تفصله عن المجتمع البشري كما لو كان في جزيرة نائية ، بل تحبسه في عالم مستقلّ بذاته تسود فية الظنون السيئة ، والافكار المظلمة ، والشكوك المتضاربة . فهو محروم من ابتسام الزهور ، وبهاء الشمس ، وجمال القمر ، وكنوز الكتب ، ومرح الاطفال.

«وفيما هو مجتاز رأى انساناً» — قد يظهر لنا ان رؤية المسيح للأعمى جاءت عن طريق المصادفات . والحقيقة انه لا يوجد شيء اسمه «مصادفات» في برنامج العناية . وان ما نحسبه مصادفات في اعمال العناية ، ليس سوى ترتيبات في برنامج الرحمة الالهية ، التي أوحت الى المسيح ان يسلك هذا الطريق حيث كان الأعمى جالساً يستعطي

«رأى انساناً» — غير المسيح ينظر الى الاعمى ، فلا يرى فيه سوى كتلة مهملة من سقط المتاع ، لكن المسيح نظر الى الأعمى ، فرأى فيه إنساناً . «من اجل ذلك لم يمرّ به ، كما يمرّ غير الكرام ، بل اعتنى به عناية الاله الرحيم محب الانام

٢ فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من اخطأ هذا

عدد ٢ . (٣) مشكلة فلسفية (٩:٢—٥) . (أ) سؤال التلاميذ (عدد ٢) (ب) جواب المسيح (عدد ٣—٥)

(أ) سؤال التلاميذ (عدد ٢). عجيب ان هؤلاء الصيادين يلهون بالمشاكل الفلسفية عن اعمال الرحمة، في وقت ينشغل فيه رب الحكمة والعلم، عن كل فلسفة كلامية، بأعمال الرحمة الالهية. ربما في هذا برهان على ان اكثر الناس رغبة في إثارة المشاكل اللاهوتية الفلسفية، ليسوا هم أوسع الناس عقولاً، بل أضيقهم قلوباً. فوا رحمتاه على القرون الطوال التي صرفتها الكنيسة في المجادلات الكلامية وانصرفت بها عن المشروعات التبشيرية الجليلة!

من الاعتقادات التي كانت شائعة بين اليهود وغيرهم وقتئذ، ان الآلام تحل بالانسان عقاباً على خطايا معينة (سفر ايوب واعمال ٢٨:٤ ولوقا ١٣: ١—٥)

وبما أن التلاميذ فهموا ان هذا الرجل كان اعمى منذ ولادته — سواء منه او من احد القريبين منه — ارادوا ان يرجعوا بعلة مرضه الى مصدر من اثنين إما: (١) الى خطية ارتكبها هو: «من أخطأ . هـذا» ؟ على اعتبار ان أرواح البشر كانت عائشة قبل حلولها في الاجساد، وانها ارتكبت خطأ في وقت سابق لتجسدها: (انظر سفر الحكمة (*) ٨: ٢٠) وكان هذا الاعتقاد متغلغلاً في

(*) وهو أحد الاسفار المعروفة بـ «الأبوكريفا»

أم ابواه حتى وُلد اعمى . ٣ أجاب يسوع لا هذا أخطأ

كتابات الرابيين . فضلاً عن ذلك ، فان فكرة تناسخ الارواح ، لم تكن غريبة عن هاتيك الأيام (انظر ايضاً تك ٢٥: ٢٢ ومزمور ٥١: ٧) . او (٢) الى خطية ارتكبها أبواه : «أم ابواه» .ولعل هذا الاعتقاد مؤسس على ما فهموه من قول الله في الخروج ٢٠: ٥ «أفتقد ذنوب الآباء في الابناء» . وبما ان التلاميذ لم يكونوا مقتنعين بأحد هذين الحلين ، نظراً للصعاب التي تحيط بكل منهما : فالاول عسير والكلام فيه كثير ، والثاني يتنافى ظاهره مع عدالة الله ، لذلك التجأوا الى المسيح ليحل لهم هذه المشكلة القديمة المجدَّدة :—مشكلة «علة البلايا» .وربما شجعهم على اعتقادهم بأن المرض مرتبط بالخطية ، ذلك الكلام الذي حذَّر به المسيح مريض بركة بيت حسدا (٥: ١٤)

عدد ٣.(ب) جواب المسيح (٩: ٣ — ٥).ان اجابة المسيح على التلاميذ، تعتبر المثل الأعلى لأسلوب الحكيم . لانه لم يقتصر في كلامه على الاجابة عن سؤال التلاميذ ، بل تعداه الى ما هو أجل واسمى ، فرفع عقول التلاميذ وقلوبهم ، من التفكر في أصل الشر ، الى التأمل في الخير الاعظم ، اذ حدثهم عن : (١) قصد الله السامي في السماح بالمصائب (عدد ٣) . (٢) الرسالة المعجلة المسلمة الى المسيح (عدد ٤) . (٣) طبيعة رسالة المسيح (عدد ٥)

(١) قصد الله السامي في السماح بالمصائب : «لا هذا أخطأ ولا أبواه»

لم يقصد المسيح بجوابه هذا ، ان ينفي عن الاعمى ، ولا عن ابويه ، تهمة ارتكاب الخطية ، وانما اراد ان ينفي الصلة التي ظنها التلاميذ قائمة بين

ولا أبواه لكن لتظهر

عمى الرجل و بين خطيته، او خطية ابو يه. لان قول المسيح: «لا هذا اخطأ ولا أبواه»، تكمله جملة محذوفة تقديرها «...ا كثر من غيره حتى ولد أعمى»

فمع ان البلايا بوجه عام، دخلت الى العالم من الباب الذي دخلت منه الخطية، ومع ان بعض الامراض يرسلها الله تأديباً على خطايا خاصة، الا انه لا يُستنتج من هذا بالضرورة، ان كل مرض جاء نتيجة خطية معينة. والا فلماذا يتألم الابرار، وينعم الاشرار؟

كان جل قصد المسيح في هذا الصدد، ان يحوّل اتجاه افكار التلاميذ من التوغل في مجاهل البحث عن الشر وظلماته،الى التأمل في مقاصد الله السامية، التي تسيطر على الشرّ، وتتخذ منه فرصة لعمل الخير والرحمة: «لكن لتظهر اعمال الله فيه». كان قصد هذا المعلم الاعظم، كقصد معلّم مدرسة، يريد ان يحوّل انظار التلاميذ عن الانشغال باللوحة السوداء التي في غرفة الدراسة، الى جمال الكتابة البيضاء المسطرة عليها

مهما يكن من أمر الشر، فان يد الله مسيطرة عليه. فلولا الضعف لما وُجدت فرصة للرحمة. ولولا الفقر لما أتيحت فرصة للاحسان. ولولا الشر لما وُجد مجال للغفران التام. فبدلاً من التأمل في اسرار الشر فنفشل، ينبغي لنا ان نتأمل في مقاصد الله المرتبة التي «تظهر» لنا تدريجياً على لوحة البلايا. ويكفينا ان نذكر «ان الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرِّب احداً». (يعقوب ١:١٣)

اعمال الله فيه. ٤ ينبغي أن اعمل اعمال الذي ارسلني

على انه لا يُستفاد من هذا، ان المسيح اراد ان يسد امامنا سبل المباحث اللاهوتية، اذ لا يُعقَل ان مَنْ أوصانا ان نحب الرب الهنا من كل عقولنا، يمنع عنا لذة البحث الفكري. فالمباحث الفلسفية جميلة—ولكن على شرط ان تكون في مكان الدرس الهادىء، ولكن ما اقبحها في وجود ذلك البائس المولود اعمى. ان وجود الأعمى ينبغي ان يثير عطف القلوب لا فلسفة العقول. اذا ما رأى احدهم النار مشتعلة في مكان ما، فان اول واجب عليه، ان يسعى في اطفائها، لا ان يقف جامداً ليبحث عن أسبابها. واذا ما لمح احدهم غريقاً، فان اوجب ما عليه، ان يجري لانقاذه لا ان يقف مستمعاً لمحاضرة عن ثقل الماء النوعي، او عن اسباب تيارات البحار

اننا نزداد قرباً من الله، لا بعدد المباحث الفلسفية التي نضيفها الى قائمة مباحث الأوَّلين، بل بعدد الويلات التي نخففها، والدموع التي نجففها

عدد ٤. (٢) الرسالة المعجلة المسلمة الى المسيح: «ينبغي ان اعمل اعمال الذي أرسلني ما دام نهار..» ان حلقة الاتصال بين هذا العدد و بين سابقه، هي كلمة: «أعمال»: «لكي تظهر اعمال الله فيه..». «ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني». فالبلايا بأنواعها، فرصة تظهر فيها اعمال الله، لكن المسيح هو العامل الفعَّال في اظهارها. ولولاه لأصبحت البلايا فرصة يظهر فيها ابليس اعماله بايقاعه الناس في الشكوك والتجاديف. (١ بطرس ٥: ٨و ٩). هذه هي الرسالة المعجلة، التي قبلها المسيح مختاراً. وكان يدفعه على التعجيل بها عاملان

ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد ان يعمل. ٥ ما دمت
في العالم فأنا

احدهما: داخلي، وهو الالتزام الأدبي الذي قبله على نفسه، بحقٍ نسبته الى الآب «ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني». هذا تطوع الابن المختار، الذي قبِل ارادة ابيه، فامتزجت بعصارة حياته، واصبحت لذته الخالدة: «طعامي أن اعمل مشيئة الذي ارسلني واتمم عمله» — (اذا اردت المزيد من الايضاح فاطلب شرح بشارة لوقا صفحة ٢٤٣). والعامل الثاني — خارجي وهو قِصَر الوقت: «ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد ان يعمل». ربما كان المسيح في ذلك الوقت، ناظراً الى الشمس وهي تتهيأ للغروب، فكان غروب شمس النهار الطبيعية، رمزاً لغروب شمس حياته عن الارض، وراء افق الصليب والقبر (٨: ٢١). فمع ان اليوم كان «سبتاً»: الا انه لا يستطيع ان يترك فيه فراغاً الى اليوم التالي

عدد ٥. (٣) طبيعة رسالة المسيح: «ما دمت في العالم فانا نور العالم». كما ان شمس الطبيعة تنير العالم مدة اشراقها عليه، كذلك «شمس البر»، هو نور الأبصار والبصائر. هذه لغة الواثق من جلال رسالته، وسموها، ونفعها. فهل يجسر شخص غير المسيح ان يتفوه بمثلها؟ على انه لا يغرب عن اذهاننا انه وان كان المسيح قد ارتفع بجسده عن العالم، لكنه لا يزال بشخصه وروحه في العالم، فهو الى اليوم في العالم، والى اليوم هو نور العالم. فلئن كانت هذه الكلمات، تحمل معنى خاصاً لوقت خاص، الا ان معناها الاكمل يضمّ بين

نور العالم. ٦ قال هذا وتفل على الارض وصنع من التفل طيناً وطلى

ذراعيه مدة تجليات المسيح قبل التجسد حتى يأتي ثانية. وهو الآن في المجد يتم ما قد أكمله على الارض

اذا القينا نظرة اجمالية الى هذه الثلاثة الاعداد، المتضمنة جواب المسيح (عدد ٣و٤و٥)، وجدنا ان اولها (عدد ٣) يحدثنا عن **رحمة المسيح الفائقة نحو البشر**. وثانيها (عدد ٤)، يكلمنا عن **ولائه التام للآب**. وثالثها (عدد ٥) يكشف لنا عن **ثقته التامة بجلال شخصه، وجمال رسالته وعظيم نفعها**

ثانياً: قلب المعجزة (٩:٦و٧)

في هذين العددين تمت المعجزة الجليلة التي هي محور الاصحاح كله. وفيها يرينا البشير: (أ) **ما عمله المسيح**: «تفل على الارض..» (عدد ٦) (ب) **ما قاله المسيح**: «وقال له اذهب واغتسل..». (ج) **ما عمله الاعمى**: «فمضى واغتسل». (د) **ما ناله الاعمى**: «وأتى بصيراً». هذه هي الدرجات الاربع التي ارتقت عليها هذه المعجزة: **فعلاً، فوصية، فطاعة، فشفاء**

عدد ٦. (أ) **ما عمله المسيح**: «قال هذا وتفل على الارض..». ان حرف الواو السابق لكلمة «تفل» يفيد ان ما فعله المسيح، كان تطبيقاً عملياً لما قاله في الاعداد السابقة (*). هل قام المسيح بهذا العمل المثلث الكامل— «تفل، صنع، طلى» — ليعين ايمان الرجل الاعمى، بهذا العمل المادي الذي يُعتبر بمثابة جسرٍ، يلتقي عليه ايمان الاعمى بقوة الفادي؟ او لكي يحمل قوة الشفاء الى الاعمى عن طريق حاسة اللمس، بعد ان حُرم حاسة البصر، فحُرم

(*) الظاهر ان المسيح رأى في ذلك الاعمى صورة مجسمة للعالم المحاط بالظلمة

بالطين عيني الاعمى. ٧ وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام.

معها رؤية نظرات المسيح، ورحمته، المرتسمة على جبينه الوضيء (مر ٧: ٣٣ ؛ ٨: ٢٣) ؟ او لأن المسيح، هو ذات الخالق الذي سبق لجبل ذلك الانسان من طين (تك ٢: ٧)، فأراد ان يكمل ما نقص منه بقطعة من ذات الطين الذي منه جبله ؟ او لان القادي ستر عمى الرجل الطبيعي بحجاب كثيف من الطين، ليعطي فرصة لعينيه حتى تتفتحا تدريجياً للنور ؟ او ان المخلص غطى عمى الرجل الطبيعي، بخلاف من العمى الصناعي، ليكسب معجزة الشفاء قوة مضاعفة (١ مل ١٨: ٣٤) ؟ أم ان المسيح المرسَل من الآب، اراد ان يُدخل ماء «عين سلوام»، في عملية الشفاء، لينتقل بالرجل و بمشاهدي معجزة الشفاء، من الرمز الى الحقيقة، فيكشف لهم ان بركة سلوام التي كان يستقي منها المعيدون ماء للعيد، ليست الا رمزاً للمسيح — ف «سلوام» معناه «مرسَل» والمسيح حدثنا عن نفسه، انه بعمله هذه المعجزة، انما جاء ليعمل أعمال الذي أرسله (عدد ٥) ؟؟ ام ان طبيب الأرواح، قصد ان يضيف الى قوته الاعجازية، وسيلة طبيعية للشفاء، لأن التفل كما اعتقد الرابيون كان ضمن وسائل شفاء العيون وقتئذ ؟ (انظر تاريخ تاسيتوس ٤: ٨١) ؟ أم كانت، كل هذه الاسباب — او بعضها — مجتمعة معاً ؟ ؟

عدد ٧. (ب) ما قال المسيح : «وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام». لقد امره المسيح بهذا، ليقدم له فرصة، يظهر فيها ايمانه بالطاعة. فاذا كانت

(١) كلمة «سلوام»، ارامية. وهي متطورة في النطق والاشتقاق من كلمة «شلح» العبرية، ومعناها «أرسل» ولعل منها ايضاً «شيلوه» (اشياء ٨: ٦)

الذي تفسيره مرسَل . فمضى واغتسل

قوة المسيح ، هي العامل الاساسي في الشفاء ، فان ايمان الرجل هو اليد التي تقبل الشفاء ، وان طاعته هي برهان ايمانه. وكذلك قيل عن البرص العشرة : « وفيما هم منطلقون طهروا » (لوقا ١٧:١٤) ، وعن الرجل الذي كانت يده يابسة : «فمدّها فعادت صحيحة» (مرقس ٣:٥)

« الذي تفسيره مرسَل» — هذه جملة تفسيرية من كلام البشير . بركة سلوام واقعة عند ملتقى وادي يهوشافاط بوادي ابن هنوم ، وتغذيها قناة صغيرة ، منحدرة من « نبع العذراء » في وادي يهوشافاط . فالكلمة « مُرسل » قد تكون صفة لماء عين سلوام . اي انه ماء آتٍ او مرسل ، من مكان بعيد . ومن المحتمل ان تكونَ صفة للعين نفسها، باعتبار انها «هبة» مرسلة من الله. وهذا قريبٌ من الاعتقاد السائد في الشرق ، ان عيون الماء هبة مرسلة من الله . ومهما يكن من أمر تسميتها بهذا الاسم ، فان بركة سلوام كانت رمزاً الى المسيح

ويغلب على اعتقادنا، ان المعنى الرمزي الذي تحمله «مياه سلوام»، يرجع تاريخه الى العهد القديم (اشعياء ٨:٦و٧) ، حيث يقابل النبي بين مياه شيلوه المادية المنسابة من تحت اقدام الهيكل ، رمزاً للخلاص الذي يأتي به مسيا ، وبين المياه القوية والكثيرة — مياه نهر الفرات — التي كانت رمزاً للقوة الطبيعية الغشومة

(ج) ما عمله الاعمى : « فمضى واغتسل » — هذا هو الايمان العامل

وأتى بصيراً. ٨ فالجيران

بالطاعة . «وأتى» — هذه اولى ثمرات الايمان العامل بالشكر . لان الرجل أتى الى المكان الذي فيه وجده المسيح ، ليقدّم له الشكر على الشفاء ، فلم يجده . لان المسيح كان « مجتازاً » . ومما يلذ لنا ذكره عن المرّتين اللتين التقى فيهما المسيح بالأعمى — أولاهما قبل الشفاء (عدد ١)، وثانيتهما بعد الشفاء (عدد ٣٥) ، ان الاعمى لم يسع الى المسيح ، وانما المسيح سعى اليه . في المرة الاولى رآه المسيح . وفي المرة الثانية ، وجده المسيح . هذه حجة مزدوجة ، تشهد بصدق قول يوحنا : «في هذا هي المحبة . ليس اننا نحن احببنا الله بل انه هو أحبنا» . . . «نحن نحبه لانه هو أحبنا اولاً » (١ يو ٤:١٠و١٩)

(د) ما ناله الاعمى : «وأتى بصيراً».هنا نمسك القلم عن وصف السرور الذي ملأ قلب هذا الذي كان أعمى منذ ولادته ، ونترك المجال للقارئ حتى يصوّر لنفسه ، بعض هذا الفرح «الذي لا يعبّر عنه ومجيد»

ثالثاً : نتائج المعجزة (٩:٨—٤١)

(ا) موقف الجيران (٩:٨—١٢) . (ب) موقف الفريسيين (٩:١٣— ٣٤) . (ج) موقف المسيح (٩:٣٥—٤١)

(ا) موقف الجيران (٩:٨— ١٢) . رجع الرجل من بركة سلوام التي لم تبعد كثيراً عن الهيكل، ليقدم الشكر للمسيح ، ولما لم يجده في المكان الذي فيه شفاه — لان المسيح كان قد مضى وعبر — رجع الى بيته . وهنا يصف البشير موقف الجيران وصفاً بليغاً ببساطته ، سامياً بدقته . فاذا القينا نظرة

والذين كانوا يرونه قبلاً انه كان اعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان
يجلس ويستعطي. ٩ آخرون قالوا هذا هو .وآخرون انه يشبهه.

عامة على هذه الاعداد ، رأينا فيها : (١) وصفاً لموقف الجيران قبل ان يسمعوا شهادة الرجل الذي تمت فيه آية الشفاء (٩: ٨و ٩ (او ب)) . (٢) موقفهم بعد ان سمعوا شهادته (٩: ١٠و١٢) . أما شهادته ، فلها جانبان — احدهما عن نفسه : « انا هو » (٩: ٩ (ج)) . وثانيهما عما كان يعتقد به ويقتنع عن المسيح (٩: ١١و١٢ (ب))

ان تأثرات الجيران ، قبل استماعهم لشهادة الرجل الذي تمت فيه المعجزة ، ترينا: (ا) ان الجنس البشري واحد في جميع الأجيال . فما أسرع الناس الى التقولات والاستنتاجات ، قبل ان يستمعوا لشهادة صاحب الشأن نفسه . (ب) ان الطبائع البشرية متنوعة على قدر تنوّع استعداد كل شخص. واليك بعض هذه الأنواع :

عدد ٨ . النوع الاول — المتعجبون : «فالجيران والذين كانوا . . قالوا اليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي» — في هذا العدد ، انبأنا البشير بمهنة ذلك الرجل قبل شفائه : «يستعطي»

عدد ٩ . النوع الثاني — المصدقون : «آخرون قالوا هذا هو» (٩ (ا)). النوع الثالث — المتشككون : «وآخرون انه يشبهه» (٩ (ب)) . وهنا نأتي الى اقرار الرجل . فاذا به اقرار مختصر ، واضح ، يقيني ، جريء : « انا هو »

لعل تضارب آرائهم ، يُعزى الى الفرق العظيم بين صورة الرجل في عماه

وأما هو فقال إني انا هو. ١٠ فقالوا له كيف انفتحت عيناك.
١١ أجاب ذاك وقال . إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينيَّ
وقال لي اذهب الى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت
فأبصرت . ١٢ فقالوا له اين ذاك.

وعبوسته ، و بؤسه ، ويأسه ، و بين صورته بعد الشفاء وقد ارتسم على محياه السرور والرجاء

عدد ١٠ . *استجواب واستيضاح* . من هنا انتقل موقف الجيران ، من التعجب والتحير ، الى الاستجواب والاستيضاح : فقالوا له : «كيف انفتحت عيناك» . من الاهمية بمكان ، ان نذكر انهم لم يسألوه عن حقيقة المعجزة ، بل عن كيفية اتمامها . مَثَلهم مَثَل نيقوديموس حين قال : « كيف يمكن ان يكون هذا » ؟ هذا موقف الانسان الطبيعي على ممر الاجيال : « كيف» ؟ !

عدد ١١ . *مطلع شهادة الرجل*. في هذا العدد،سجل الوحي شهادة الرجل منذ بداءتها. هذه الف باء الشهادة للمسيح : «انسان يقال له يسوع». فمع ان عيني الرجل الطبيعيتين قد انفتحتا بالتمام ، الا ان عينيه الروحيتين لم تنفتحا الا تدريجيًّا . ومهما يكن من بساطة هذه الشهادة ، فهي الى هذا الحدّ مقبولة . لان الاخلاص يحدوها ، والشكران ينطق بها ، والبساطة تدعمها . ومما لا شك فيه ، ان المسيح يزيد النور تدريجياً لمن يكون أميناً للنور خطوة خطوة

عدد ١٢. (١) *سؤالهم* :«فقالوا له اين ذاك»؟الآن قد أصبح المستفهمون باحثين . فمن سؤالهم عن كيفية اتمام المعجزة ، اضحوا باحثين عن المسيح. ومن

قال لا اعلم . ١٣ فأتوا الى

بحثهم عن الكيفية ، صاروا باحثين عن الحقيقة ، بل باحثين عن الحق نفسه :
« اين ذاك »

ان فريقاً كبيراً من هؤلاء السائلين ، كان مدفوعاً في سؤاله بذات الباعث ، الذي دفع هيرودس الى ان يقول للمجوس : «اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي» (مت ٢: ٨)

(ب) *جوابه* : « لا أعلم » — هذا جواب قاطع كالسيف ، خاطف كالبرق . هذا جواب تمتزج فيه البساطة ، والامانة ، بالجرأة ، والحكمة . . فالبساطة ظاهرة من سهولته، والأمانة واضحة من كون الرجل لم يدَّعِ فوق ما يعلم . والجرأة برزت في عدم استحيائه من قوله : «لا اعلم » . أما الحكمة فقد تجلت في علمه بالحد الذي ينتهي عنده علمه . هذا دليل على انه كان عارفاً بالامور التي يعلمها . بخلاف من يزج بنفسه في كل شيء ويتخبط في مجاهل الحقائق وهو لا يدري ما يعلم مما لا يعلم

(ب) *موقف الفريسيين* (٩: ١٣—٣٤) . هذا دور تحقيق واستجواب، كما لو كانت المعجزة جريمة ارتُكبت ، لا نعمة مُنحت . في هذا الدور ترتسم أمامنا صورتان متقابلتان : *احداهما* تمثل دركات الانحطاط التي هوى اليها عدم ايمان الفريسيين (عدد ٦ و ٢٤ و ٣٤) . *والثانية* تمثل درجات النموّ التي ارتقى اليها ايمان الرجل الذي تمت فيه معجزة الشفاء (عدد ١٧ و٣٠ و ٣٨)

يقع هذا الدور في ثلاث حلقات : (١) *الفريسيون يستجوبون الرجل*.

الفريسيين بالذي كان قبلاً اعمى. ١٤ وكان سبت حين صنع

(٩: ١٣—١٧). (٢) *الفريسيون يواجهون الرجل بأبويه* (٩: ١٨—٢٣).
(٣) *الفريسيون يعيدون استجواب الرجل* (٩: ٢٤—٣٤)

عدد ١٣. (١) *الفريسيون يستجوبون الرجل* (٩: ١٣—١٧). « فأتوا الى الفريسيين . . » — في العدد الماضي ، تركنا أولئك « الجيران » ، يبحثون عن المسيح . والآن — وقد عزّ عليهم ان يهتدوا اليه — أمسكوا بالرجل الذي تمت فيه عملية الشفاء ، وأتوا به الى الفريسيين ، ليتعرّفوا رأيهم في أمره ، وفي طبيعة شفائه العجيب ، وفي حقيقة الشخص العجيب الذي شفاه ، سيما وأن المعجزة تمت في يوم « سبت » (عد ١٤) . ان الفريسيين هم الفريق الاكثر عدداً ، والأقوى نفوذاً ، والأشد تعصباً ، في مجمع السنهدريم . ويجوز ان البشير اختصهم بالذكر دون سواهم ، من باب التغليب ، الذي يجوز فيه اطلاق اسم الاغلبية على المجموع . ويعتقد وستكوت ان الفريسيين المذكورين هنا ، هم الذين تتألف منهم المحكمة الدينية الجزئية . ولكن الحكم الذي صدر على الرجل (عدد ٣٤) ، يرجّح كفة الرأى الاول ، لان مثل ذلك الحكم ، لا يجوز صدوره الا من مجمع السبعين المعروف بالسنهدريم

عدد ١٤ . *توقيت تاريخي* « وكان سبت » : ربما ذكرت الواو السابقة لكلمة « كان » ، على سبيل ذكر السبب الذي لاجله أُتي بالرجل الى الفريسيين . ومن المحقق ، ان ما بعدها يعيّن السبب الذي لاجله استجوب الفريسيون ذلك الرجل، اعتقاداً منهم ان في صنع «عجينة» الطين (عدد ١)،

يسوع الطين وفتح عينيه. ١٥ فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر.
فقال لهم وضع طيناً على عينيّ واغتسلت

يوم السبت ، كسراً للسبت ، على رغم كونها قد صُنعت لشفاء أعمى . على ان المسيح بعمله هذا ، لم يكسر السبت ، انما كسر ذلك التمثال الهزليّ ، الذي اقامه الفريسيون للسبت ، في مخيلاتهم . وانّ كسر مثل هذا التمثال الوهميّ النفعيّ ، لا يعتبر امراً جائزاً وكفى ، بل هو امر واجب ، لا بل « فرض عين »

لقد اجاز الناموس اقامة ثور عاثر ، يوم السبت ، فكم بالأولى أقامة رجل متعثر بأذيال عماه المستديم ! !

عدد ١٥ . *سؤالهم الاول* : « فسأله الفريسيون ايضاً . . » . ان قوله : «ايضاً» يرجع بنا الى عدد ١٠ ، حين استجو به الجيران . والسؤالان مشتقان من مصدر واحد ، لانهما يُستهلان بكلمة : « كيف ؟ » . عجيب ان حقيقة الشفاء لا تفرحهم ، قدر ما تزعجهم طريقة الشفاء

جوابه الاول : اجاب الرجل على سؤال الفريسيين ، بصيغة اكثر اقتضاباً من جوابه على سؤال الجيران . وربما ملكه شيء من الملل والتعجب ، بسبب استجوابهم اياه عن احسان صُنع له ، كما لو كانت الحسنة رشوة يُعاقب من يحصل عليها . وغنيّ عن البيان ان هذا الرجل قد تمتع بشفاء مضاعف — شفاء بصره ، وشفاء بصيرته . ببصره استطاع ان يرى وجوههم الجاحدة ، التي كانت تنظر اليه بعيون جامدة ، كأنها من زجاج . و ببصيرته استطاع ان

فأنا أبصر. ١٦ فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطىء

ينفذ الى قلوبهم المتحجرة، فكشف نياتهم المخبوءة وراء استجوابهم اياه، فاجابهم بنغمة العابث، المتضجر: «وضع طيناً ...»

عدد ١٦. *انقسامهم الى فريقين*: «فقال قوم ... آخرون قالوا ..». كان جواب هـذا الرجل، بسيطاً، قوياً، شـاطراً. كسهم من ضوء الفجر، شقهم الى شطرين كما الى ليل ونهار. اما ليلهم فقد استتر تحت جنحه المظلم *فريقهم الاول*: «فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت». ومن اقوى الادلة على ان هؤلاء يكونون فريق الظلام، كونهم وضعوا النتائج قبل المقدمات. وقدموا النظريات على الحقائق، وفضلوا السبت على الانسان. فبدلاً من ان يفحصوا المعجزة من حيث هي، فيكونوا رأيهم عن صانعها، اذا بهم قد كونوا اولاً رأياً في السبت، فحكموا على من يظنون انه كسره. يقولون «ان السبت مقدس. إذاً فكل عمل يتم فيه، ليس بمعجزة، وكل شخص يأتي هذا العمل، ليس من الله». ومن المحزن ان هذا الصنف من الناس، له أنسال في عصرنا الحاضر — يقولون مثلاً: ان المعجزات، لا وجود لها. اذاً فكل المعجزات التي يقول بها الـكتاب، ليست بمعجزات. مثلهم مثل من يضع العربة أمام الحصان

على انه وان وُجد بين الفريسيين، قوم مكابرون ومعاندون، فان بينهم ايضاً فريقاً ثانياً، سطع عليه نور الحقيقة: «آخرون قالوا كيف يقدر إنسان

ان يعمل مثل هذه الآيات. وكان بينهم انشقاق. ١٧ قالوا أيضاً
للاعمى ماذا تقول انت عنه من حيث انه فتح عينيك. فقال انه

خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات »؟ هؤلاء هم المنطقيون، الذين قدّموا الحقائق على النظريات. فالمعجزة تمت. اما الاعتقاد بكسر السبت، او بعلم كسره، فليس سوى نظرية. ومن حيث ان المعجزة تمت بشهادة كثيرين «من اهلها»، فلا بدّ ان يكون الشخص الذي صنعها، رجلاً صالحاً. لانها معجزة شفاء، ولا بدّ ان يكون على الأقل: «إنساناً غير خاطئ»

عدد ١٧. سؤالهم الثاني: «قالوا ايضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه»؟ ان الشقاق الذي اوجده جواب الرجل بين صفوفهم، قد شقّ قلوبهم، فأوقعهم في حيرة. ولا عجب، فليست القوة بكثرة العدد، ولا هي بغزارة العلم، وانما هي قوة الحق. وان رجلاً واحداً معه الحق، يكوّن اغلبية ساحقة، ولو كان كل العالم ضده. لانه واقف في جانب الواحد الأحد

ان الحيرة التي وقع فيها اولئك الفريسيون، قد قدمت للرجل فرصة نادرة، ليشهد فيها للمسيح، مع أنهم كانوا قد قصدوا ان يعطوه فرصة ليشهد عليه: «ماذا تقول انت عنه». لانهم لما رأوه قد فتح ثغرة في صفوف ائتلافهم، ارادوا ان يتحايلوا عليه، ليفتحوا هم أيضاً، ثلمة بين حلقات اجوبته. لكنهم كلما تمادوا في الاضطراب، تقدم هو في الايمان

جوابه الثاني: «فقال انه نبي» — هذه هي الدرجة الثانية في سلم ايمانه. اما الدرجة الاولى، فقد مررنا بها في عدد ١١: « انسان يقال له يسوع ». الآن

نبي . ١٨ فلم يصدق اليهود عنه انه كان اعمى فأبصر حتى دعوا أبوي

وقف الرجل على مستوى واحد مع نيقوديموس الذي قال : «ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل إن لم يكن الله معه» (٢:٣)

(٢) عدد ١٨ . *الفريسيون يواجهون الرجل بأبويه* (٩:١٨ — ٢٣) .

(أ) *الشك الذي يلده التعصب* : «فلم يصدق اليهود عنه انه كان أعمى» . ان كلمة : « اليهود » ، تصف الفريق العنيد في الفريسيين ، الموصوف في الجزء الاول من عدد ١٦ ، وهي تعيّن موقفهم العدائي نحو المسيح . كما ان كلمة : «فريسيين» تصفهم في مقامهم الديني بين أمتهم . لقد تمثل فيهم ذلك الشك الذي هو وليد التعصب . هؤلاء مغرضون في احكامهم . لانهم يرتبون نظرياتهم الجامدة المتحجرة ، وعلى احجارها يكسرون هيكل الحقائق الملموسة. فاذا حدثتهم نظرياتهم بأن الشمس تطلع من المغرب ، جعلوا الشرق غرباً ، والغرب شرقاً . في سبيل تحقيق نظرياتهم — في السبت وغيره — «يجعلون المرّ حلواً والحلو مراً ، يصيرون الظلام نوراً والنور ظلاماً» . ولا شيء أدل على جهلهم المطبق ، من انكارهم الحقائق الراهنة . فماذا ينفعهم قولهم ان المعجزة لم تحدث حال كون الاعمى قد أبصر

اي شهادة اقوى ، وأفصح ، من الرجل نفسه ؟ انه تمثال حيّ للشهادة الحقيقية . لكن ما قيمة مثل هذه الشهادة القوية لمن وضعوا حجاباً كثيفاً على عيونهم . انهم لا يصدقون لانهم لا يريدون

(ب) *استدعاؤهم أبويه* « دَعَوْا ابوي الذي أبصر» — لقد اغرقهم تعصبهم

الذي أبصرَ. ١٩ فسألوهما قائلين أهذا ابنكما الذي تقولان انه وُلد
اعمى. فكيف يبصر الآن. ٢٠ أجابهم أبواه وقالا نعلم ان هذا
ابننا وأنه وُلد أعمى. ٢١ وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم. أو مَن
فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن. اسألوه فهو يتكلم عن نفسه.

في لُجّ الشك والتورط. فصاروا يتخبطون، علّهم يهتدون الى خيوط واهية يتمسكون باهدابها، ليتخلصوا من تورطهم. ولكي يكونوا «قانونيين»، دعوا ابوي الذي أبصر. على أمل ان يجدوا — او يوجدوا — تناقضاً بين شهادتهما وشهادة ابنهما

عدد ١٩. *استجوابهم ابويه*: «فسألوهما قائلين»: يتضمن استجوابهم لابويه ثلاثة امور — اولها: *التحقق من شخصية ابنهما*: «أهذا ابنكما». ثانيها: *التثبت من ولادته أعمى*: «الذي تقولون انه ولد أعمى». وثالثها *الاستعلام عن كيفية شفائه*: «فكيف يبصر الآن»؟

عدد ٢٠و٢١. (د) *جواب أبويه*: «أجابهم أبواه..». ان في جواب الابوين جبناً معجوناً بدهاء. وهما خلّتان قلّما تفترقان. اما جبنهما، فيحدّثنا عنه البشير في عدد ٢٢. واما دهاؤهما، فنمّت عنه اجابتهما عن السؤالين الأولين، وتخلصهما من السؤال الثالث، وابتكارهما حجة قانونية معقولة تساعدهما على هذا التخلص: «هو كامل السن»

ان تكرارهما لضمير الغائب: «هو» ثلاث مرات في عدد ٢١ — في الاصل — ينبئ عن نغمة تهكمية لاذعة، تمشت مع اجابتهما عن اسئلة الفريسيين

٢٢ قال أبواه هذا لانهما كانا يخافان من اليهود. لان اليهود كانوا
قد تعاهدوا انه ان اعترف أحد بانه المسيح يُخرَج من المجمع.
٢٣ لذلك قال أبواه إنه كامل السن اسألوه

عدد٢٢و٢٣. *الباعث لهما على اجابتهما هذه*: «لانهما كانا يخافان من اليهود». مع اننا لا نلتمس لهما عذراً في هذا الخوف، الا انه لم يكن خوفاً على غير اساس: «لان اليهود كانوا قد تعاهدوا انه ان اعترف احد بانه المسيح يُخرَج (١) من المجمع». ان هذا التعاهد وحده كان يكفي لاخراج هذه الفئة من حظيرة القضاء الشريف، لانهم تعاهدوا على حكم معيّن، قبل سماعهم حجة المتهمين. وليس أقبح من جبن المتهم، سوى عدم نزاهة القاضي. ان هذا الحكم دليل على اتجاه قلوب اليهود، التي كانت تزداد تحجراً على مر الزمن (ص١١: ٥٣). كما ان جبن المتهمين، يعتبر رمزاً لجبن الشعب اليهودي الاعمى الذي كان يقوده عميان في شكل حكماء

بين هذا العدد، و بين الاعداد التالية، خلا القضاة الى انفسهم، فاستقر رأيهم على ان يعيدوا استجواب الانسان الذي كان أعمى لعلّ تواطؤاً قد حدث سراً بينه و بين المسيح

(١) كان لمجامع اليهود وقتئذ ان تصدر حكم «الاخراج من المجمع» على ثلاث درجات. الدرجة الاولى كانت معروفة «بالندّوي» وبسببها يحرَم المحكوم عليه، مزاياه الدينية والاجتماعية مدة ثلاثين يوماً. والدرجة الثانية كانت معروفة بـ «الشماتا» وبسببها تطال هذه المدة ثلاثين يوماً اخرى. والدرجة الثالثة كانت معروفة بـ «الحرآم» وبسببها كان يحرَم هذه الامتيازات مدة مديدة. اما حكم الموت فكان من الضروري ان يصادق عليه الرومان

٢٤ فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى وقالوا له أعطِ مجداً لله .

(٣) *الفريسيون يعيدون استجواب الرجل ٩: ٢٤ — ٣٤*

عدد ٢٤ . *هجومهم الاول* : في هجومهم هذا ، حكموا بادانة الرجل ، وقدموا له فرصة التوبة : «فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجداً لله» — هذه صيغة عبرية توجَّه عادة لمن يثبت عليه ارتكاب ذنب مهين لله ، فتعطى له الفرصة ليغسل هذه الاهانة ، ويرد المجد لله (قضاة ٧: ١٩ و ١ صموئيل ٦: ٥) . كأنَّ اولئك الفريسيين ، قد حكموا بان الرجل أهان الله باقراره ان المسيح نبيٌ (عدد ١٧) ، لان الله — حسب فكرهم الاضيق — أقدس من ان يُنسب اليه نبيٌ كاسرٌ للسبت

ولكي يبرهنوا على عدم اهليتّهم للجلوس على كراسي القضاء ، حاولوا ان يقنعوا الرجل ، بحجة اوهى من خيوط الرداء الذي كان يستترون به ، ان ينكر حقيقةً لمسها وذاق حلاوتها ، وان يعتنق نظرية وهمية ، لا وجود لها الا في مخيلتهم الضعيفة : «نحن نعلم ان هذا الانسان خاطئ » . — فمن اين استقوا هذا العلم ، مع انهم اعترفوا فيما بعد ، بانهم لا يعلمون (عدد ٢٩)؟ لقد اجهدوا أنفسهم في أن يظفروا من فم الرجل باقرار ، يعترف فيه بان المسيح خاطئ ، وان الشفاء اتاه من الله رأساً . وكل حجتهم في هذا — : «نحن نعلم» . اذاً لقد غامروا بأشخاصهم وقامروا بمراكزهم في هذا الميدان ، فباءوا بخسران مبين

«نحن نعلم» — بحكم وصايتنا على الشعب ، وبحق حملنا «مفاتيح الملكوت»

«ان هذا الانسان خاطئ » — هذا ادعاء الجهلاء اللابسين لباس العلماء

نحن نعلم ان هذا الانسان خاطئ. ٢٥ فاجاب ذاك وقال أخاطئ
هو. لست أعلم. إنما أعلم شيئاً واحداً. أني كنت اعمى والآن
ابصر. ٢٦ فقالوا له أيضاً ماذا صنع بك.

« ونحن نعلم ان الله لا يسمع للخطاة » (عدد ٣١) — هذا يقين العالم المرتدي رداء البسطاء — هذا علم متواضع

عدد ٢٥. *الرجل يرد هجومهم الاول.* في بادئ الأمر، لم يرغب الرجل في ان يزج بنفسه معهم في منطقة المجادلات اللاهوتية الفلسفية، التي يدّعون لانفسهم التفرُّد فيها، بل تمسك بيقين المعرفة الاختبارية التي ذاق حلاوتها ولمس قوتها: « أخاطئ هو. لست أعلم » — اي لست اعلم العلم الكافي لاقناعكم (لوقا ٢٢: ٦٧ أعمال ٤: ١٩ و ١٩: ٢). «انما اعلم شيئاً واحداً» — لا تستطيعون ان تجادلوني فيه — « اني كنتُ أعمى والآن أبصر ». بهذا الاقرار اليقيني، قدم لنا هـذا الرجل البسيط، المثَل الاعلى للشهادة للمسيح. ان درهماً واحداً من المعرفة الاختبارية، خير من قناطير مقنطرة من المعرفة النظرية. بهذا الاقرار قدم « المتهم » « للقضاة »، المثل الأعلى للسير في القضايا — وذلك بان يقدّموا الوقائع الحقيقية على النظريات الاستدلالية

حجتهم هم—ان المسيح خاطئ لانه كسر السبت، والخاطي لايكون نبياً

حجته هو—ان المعجزة تمت فعلاً، فالمسيح نبيّ، لان الله لا يسمع للخطاة

عدد ٢٦. *هجومهم الثاني.* شعر الفريسيون بمتانة موقف الرجل، فاعادوا هجومهم عليه، واستجوبوه عن طبيعة المعجزة: « ماذا صنع بك » ؟

كيف فتح عينيك . ٢٧ أجابهم قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا
تريدون ان تسمعوا أيضاً . ألعلكم أنتم تريدون ان تصيروا له
تلاميذ . ٢٨ فشتموه وقالوا انت تلميذ ذاك .

وعن كيفيتها : « كيف فتح عينيك » ؟ ، أملاً منهم في ان يتلعثم في الاجابة ، ويورّط نفسه بالتناقض . وهم لا يعلمون أنهم كانوا يطيلون حبال تورّطهم لما تعذّر عليهم ، ان يظفروا عليه باستنتاجاتهم الفلسفية ، قصدوا ان يصوّبوا الى كلامه سهام النقد ، علّهم يوقعونه

عدد ٢٧ . *الرجل يصد هجومهم بهجوم اشد* . « قد قلت لكم ولم تسمعوا . . . » هنا يتطور الموقف ، فيصبح المتهم متهِماً ، والقضاة متهمين . لان الرجل (ا) *اتهمهم بالصمم الادبي* :«ولم تسمعوا». كأنه اراد ان يفهمهم ان عاهته التي كان مصاباً بها قبلاً ، أخف بكثير من عاهتهم هم . عاهته هو ، عمى البصر . اما عاهتهم هم فهي الصمم الادبي الناتج عن عمى البصيرة. (ب) *استجوبهم بنغمة تهكمية لاذعة* : « لماذا تريدون ان تسمعوا أيضاً ألعلكم انتم تريدون ان تصيروا له تلاميذ » ؟ هنا تسلح الرجل بشجاعة نادرة

عدد ٢٨ : *جبنهم الفادح* : « فشتموه وقالوا انت تلميذ ذاك » . امام شجاعته النادرة لم يقووا على الوقوف ، فاحتموا وراء اكمة الشتم : « فشتموه » على انهم في شتمهم اياه قد رفعوه ، وفي محاولتهم ان يرفعوا انفسهم عليه ، انخفضوا الى الحضيض

«انت تلميذ ذاك» — واي شرف اعظم من هذا ؟! لقد نطقوا بكلمة

واما نحن فاننا تلاميذ موسى . ٢٩ نحن نعلم ان موسى كلّمه الله .
واما هذا فما نعلم من اين هو. ٣٠ اجاب الرجل وقال لهم

«ذاك» ، مرسلين معها وابلاً من سخطهم وتحقيرهم ، فكانوا بذلك محقرين أنفسهم. «اما نحن فاننا تلاميذ موسى». بهذا قد برهنوا على انهم ابناء الماضي البالي . لقد اشرق عليهم نور الانجيل والنعمة ، لكنهم ظلوا متمسكين باهداب السبت والناموس

عدد ٢٩ . *تقهقرهم غير المنظم* : « نحن نعلم . . واما هذا فما نعلم من اين هو » . انهم بقولهم هذا ، قد انكروا ما سبقوا فقالوه في عدد ٢٤ ، «نحن نعلم ان هذا الانسان خاطئ». الآن صاروا اقل منهم ثقة بعلمهم «الغير المحدود» ، واعترفوا من غير قصد ، بأنهم «لا أدريّون» : «فما نعلم من اين هو» . اهكذا يفرّ «الجبابرة» من الميدان ، امام رجل اعزل الا من سلاح الحقّ ؟

تقول الامثال : « اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً» ، ولكن أنّى لمثل هؤلاء القوم ان يذكروا ما قالوه في مناسبة اخرى ! ! لو ذكروا لعلموا انهم بقولهم : «اما هذا فما نعلم من اين هو ؟» ، قد حكموا له بأنه هو المسيح، لانهم سبقوا فقالوا «اما المسيح فمتى جاء لا يعرف احد من اين هو» (٧:٢٧) . قابل هذا مع ما قاله المسيح عن نفسه في ٨:١٤

عدد ٣٠ . *الرجل يهاجمهم ويطاردهم* (٩:٣٠ — ٣٣) . « اجاب الرجل وقال لهم ان في هذا عجباً . . . » . في بادئ الامر (عد ٢٥) ، لم يأنس الرجل في نفسه شجاعة للدخول مع الفريسيين في مجادلات كلامية. اما الآن،

إنّ في هذا عجباً إنكم لستم تعلمون من اين هو وقد فتح عينيّ
٣١ ونعلم ان الله لا يسمع للخطاة. ولكن ان كان احد يتقي الله

وقد اكتسب من ضعفهم قوة، ومن تقهقرهم تقدّماً[١]، همّ لمواجهتم بقضية منطقية، استهلها: (ا) بتعجبه منهم (عدد ٣٠)، (ب) ثم مهد لها بمقدمة منطقية صغرى (عدد ٣١)، (ج) وأردفها بمقدمة منطقية كبرى (عدد ٣٢). (د) واخيراً توّجها بنتيجة منطقية (عدد ٣٣)

(ا) تعجبه (٩: ٣٠): «ان في هذا عجباً». رأى الرجل في جهلهم الاختياري، عجيبة تفوق عجيبة شفائه من عماه. اما وجه تعجبه، فهو انهم وهم حملة مفاتيح العلم، والمتصدرون زعامة الشعب «لا يعلمون» من اين أتى المسيح، حال كونه قد فتح عينيه. طبعاً بعد ان تمتع الرجل بالشفاء، صار له المسيح الكل في الكل، فمن حقه ان يعجب ممّن لا يعرف من أين آتى هذا المسيح، وقد أتى بمعجزة في دائرة النعمة لا في دائرة النقمة

عدد ٣١. (ب) المقدمة المنطقية الصغرى: «ونحن نعلم..». «نحن» —عامة الشعب اليهودي، «نعلم»—علماً بسيطاً، لا كعلم الفريسيين الفلسفي «ان الله لا يسمع للخطاة..» (عدد ٢٤و ٢٩) ولكن ان كان احد «يتقي الله ويفعل مشيئته» — اي يقوم بواجبه نحو الله والناس (١ تي ٢: ١٠) — «فلهذا يسمع». اذاً قد حقّ للرجل ان يعجب، لان «الخاصة» يؤكدون انهم لا «يعلمون» (عدد ٢٩) بينما تقرر «العامة» أنهم « يعلمون »

(١) اعتقد الرومان قديماً انه اذا تصارع خصمان وغلب احدهما الآخر، فالقوة تنتقل من ذراع المغلوب الى ذراع الغالب

ويفعل مشيئته فلهذا يسمع . ٣٢ منذ الدهر لم يُسمع ان احداً
فتح عيني مولود اعمى ٣٣ لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان
يفعل شيئاً. ٣٤ أجابوا وقالوا له في الخطايا وُلدتَ انت بجملتك

الى الآن ، لم يكن ايمان هذا الرجل قد بلغ دور النضوج ، لانه بلغ فقط حد الثقة بان المسيح من اتقياء الله الذين يسمع الله صلاتهم ، وانه انما عمل هذه المعجزة نتيجة استجابة صلاته ، لا بقدرة ذاتية فيه . وما علينا الا ان ننتظر حتى عدد ٣٨ ، لنرى ايمان الرجل بالغاً حدّ النضوج

عدد ٣٢ . (ج) *المقدمة المنطقية الكبرى* : « منذ الدهر لم يُسمع » . من المقدمة المنطقية الصغرى الخاصة بعلمه هو، ومَن على شاكلته من اهل جيله، انتقل الرجل بهم الى شهادة الأجيال بأسرها منذ بدء التاريخ : « منذ الدهر لم يُسمع » . فما احكمه لانه لم يكتف بشاهد واحد، بل استدعى جميع الاجيال لتشهد معه على جهالة هؤلاء الحكماء في اعين انفسهم

عدد ٣٣ . (د) *النتيجة المنطقية* : «لو لم يكن هذا من الله» (٩: ٣٣) هذا منطق عجيب . حقاً ينطبق على هذا الرجل البسيط ذلك القول الجليل : « كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يخرج من كنزه جدداً وعتقاء »

عدد ٣٤ . *هروبهم من الميدان* : «اجابوا وقالوا له في الخطايا وُلدت» . انهم بقولهم هذا، قد عبّروا عن: (أ) *عقيدتهم الباطلة في علة البلايا* . فقدموا جواباً عاطلاً على سؤال التلاميذ (عدد ٢)، كأنهم ارادوا ان يقولوا ان العمى مَظهر لعلة دقيقة أشدّ منه خطورة — أعني بها الخطية. لكنهم في الوقت نفسه،

وأنت تعلّمنا . فأخرَجوه خارجاً . ٣٥ فسمع يسوع أنهم اخرَجوه

فضحوا انفسهم لانهم عبروا ايضاً عن: (ب) **اعتقادهم بصحة المعجزة** . الآن قد اعترفوا بأن الرجل كان أعمى منذ ولادته . وان المسيح شفاه . ان النتيجة الوحيدة التي ينتهي بها عدم الايمان ، هي القضاء على نفسه بنفسه

يراد بالقول : « فاخرجوه خارجاً » — انهم طردوه من المكان الذي كانوا ملتئمين فيه، **بحجة ظاهرية**، وهي : «انه لا يستحق الفحص» ، **وبحجة حقيقية** اقوى منها ، وهي : «انهم لم يقدروا ان يقاوموا روح الحكمة الذي كان متسلحاً به» . وقد كان اخراجهم اياه من مكان التآمهم ، تمهيداً واساساً لاخراجهم إياه من المجمع

هذا مطلع الصراع بين المجمع اليهودي ، و بين كنيسة المسيح في نواتها

(ج) **موقف المسيح** (٩: ٣٥—٤١) . يحدثنا هذا الفصل عن امرين مهمين — أولهما : **المعجزة الروحية** التي تبعت المعجزة المادّية: (٩: ٣٥— ٣٨) . وثانيهما : **المغزى الاولى للمعجزتين** — العمي يبصرون، والمبصرون يعمون (٩: ٣٩—٤١)

(١) **المعجزة الروحية : الاعمى يبصر** : (٩: ٣٥—٣٨)

عدد٣٥. (ا) **المسيح يجد الرجل الطريد** .مضى بعض الزمن على اخراج الفريسيين ذلك الرجل ، «فسمع يسوع انهم اخرجوه خارجاً ، فوجده [1] ». عند ما توصد طاقات الارض ، تنفتح أبواب السماء . وغضب العبد ،

(١) .يقول يوحنا فم الذهب : لما طردوه من هيكل الرب ، وجده رب الهيكل . ولما رذله راذلو المسيح ، قبله المسيح المجد من الملائكة والقديسين

خارجاً فوجده وقال له أتؤمن بابن الله

عربون رضى الرب. ولعنات الظالمين ، عربون ابتسامات أرحم الراحمين .
لما طُرد ذلك الرجل من محضر اليهود ، ادخله المسيح الى محضره : « ليظهر مجد الله فيه» (عدد ٣و٤) . وهو دائماً يفتش عن المطرودين من اجل اسمه . ان الاخفاق الذي نلقاه من البشر هو توفيق لنا من الله . فقد قصد المسيح في مراحمه ، أن يجود على الرجل بمعجزة أسمى وأهمّ من معجزة فتح عينيه الجسديتين ، فيتمّ فيه معجزة فتح عينيه الروحيتين ، لذلك أراد بحكمته ان يُعد الرجل ويهيئه للمعجزة الثانية ، بعد ان تمت فيه المعجزة الأولى . وان الصراع العنيف ، الذي اجتازه الرجل في احتجاجه لدى اليهود ، كان خير وسيلة ، لاعداده لقبول بركة المعجزة الثانية . وربما لو أجريت المعجزتان في وقت واحد ، لما قوي نظر الرجل على مواجهة أنوار المعجزتين في آن واحد

تنكشف امامنا هذه الحقيقة في ضوء التدرّج الذي استخدمه المسيح مع الرجل — لقاء : «وجده» ، فدعوة : «أتؤمن» ، فاعلان : « هو هو » .

(ب) المسيح يدعوه الى الايمان بابن الله : « أتؤمن بابن الله » ؟ هذا سؤال يحمل معه نوراً ساطعاً ، رفعه المسيح امام عيني الرجل ، داعياً اياه اليه. وكأني بالفادي يقول له : « يا من وقفت امام عاصفة الفريسيين وانتصرت ، هل أنت مستعد الآن ، أن تخطو الخطوة الثانية الايجابية ، وتؤمن بابن الله ؟ ؟ ومما لا ريب فيه ، ان المسيح اراد « الايمان » في اسمى درجاته ، واعمقها ، واكملها ، على خلاف الايمان السماعي السطحي . كما انه قدّم نفسه للرجل في أرفع ألقابه واكملها ، واعمقها : « ابن الله »

٣٦ أجاب ذاك وقال مَن هو يا سيد لأومن به. ٣٧ فقال له يسوع
قد رأيتَـه

مع ان هذه دعوة حرة، الا انها تحمل معها ايحاء، ووعداً، وتشجيعاً
عدد ٣٦. (ج) *الرجل يظهر استعداده لتلبية الدعوة*: « أجاب ذاك وقال مَن هو يا سيد لأومن به» . هذا قبول من غير تردّد، مما يدل على ان دعوة المسيح للرجل صادفت منه صدراً رحيباً، وان الخطوات التي اجتازها ايمانه — من القول انه «انسان» (عدد ١٠)، الى الاعتقاد بانه « نبي» (عدد ١٧)، قد أعدّته للايمان بالمسيح « ابن الله »

فرق عظيم بين سؤال الجيران: « أين ذاك » ؟ (عدد ١٢)، و بين سؤال هذا الرجل: « من هو » ؟ اولئك يسألون عن البعيد: « ذاك » . وهذا يسأل عن القريب: «هو» . هل داخل الرجل شيء من الظن، انه ربما كان هذا « هو » ؟؟!

عدد ٣٧. (د) *المسيح يعلن نفسه للرجل*: « فقال له يسوع قد رأيتَه والذي يتكلم معك هو. هو » . ما احكم هذه الطريقة التي بها اعلن المسيح نفسه للرجل! كان من الممكن ان يقول له: « انا هو » ، لكنه أراد بحكمته السامية، أن يعلن نفسه بكيفية تشعره بفضله عليه، وتذكره بحسن صنيعه معه: «قد رأيتَه» . بهذه الكلمة ذكره المسيح في لمح البصر: *بماضيه التعيس*: « كان أعمى » ، وأشعره *بحاضره المجيد*: «والآن يبصر» . فأوقعه في *دين خالد* لا يمكنه ان يتخلص من التزاماته: «قد رأيتَه» . بهذه الكلمة

والذي يتكلم معك هو هو. ٣٨ فقال أومن

ذكره المسيح بفضلين — اولهما : انه وهبه نعمة البصر في حد ذاتها. وثانيهما . وهو الأهم : انه متعه برؤية شخصه العجيب : « الذي هو أبرع جمالاً من بني البشر » . فضل عظيم ان الرجل استطاع ان يرى على الاطلاق ، واعظم منه ، إنه استطاع ان يرى المسيح نفسه

في مقدمة هذا الاصحاح ، رأينا المسيح ناظراً الى الأعمى ، والآن نرى الأعمى ناظراً الى المسيح . «نحبه لانه هو أحبنا اولاً » . «انا لحبيبي وحبيبي لي»

«والذي يتكلم معك هو هو» — اذا كان المسيح قد ذكّر الرجل بفضله الخاص عليه ، بقوله له : «قد رأيته» ، فانه بقوله له : «والذي يتكلم معك هو هو» ، قد اوقفه امام فضله العام على جميع البشر ، ومنهم هذا الأعمى الذي اختصه بالتكلم معه : «الذي يتكلم معك هو هو» — وأي فضل أهمّ من تجسُّد «الكلمة» ؟

«الذي يتكلم معك هو هو» — ان خير تفسير لهذه الكلمات ، نجده في مقدمة الرسالة الى العبرانيين : « الله بعد ما كلّم الآباء بالانبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلّمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه » (عب ١: ١و٢) . «هو هو» ان الذي يقول عنه الناس : «ذاك» ، متخيلين اياه شبحاً بعيداً بعيداً ، هو الآن اقرب اليك من حبل الوريد . هذا هو المحبة متجسدة . يقول المسيح له : «قد رأيته» ، أشعره بنعمة الشفاء . و بقوله له : «الذي يتكلم معك» ، اشعره بنعمة الخلاص . «لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب و يخلص ما قد هلك»

عدد ٣٨ . (هـ) الرجل يجيب الدعوة نهائياً ويعبر عن ايمانه : عبّر

يا سيد . وسجد له . ٣٩ فقال يسوع لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم

الرجل عن ايمانه تعبيراً مزدوجاً — جانبه *الاول ، بالكلام واللسان* : «فقال أومن يا سيد» . وجانبه *الثاني : بالعمل والحق* : «وسجد له» . هنا بلغ الرجل ذروة الايمان في العبادة . فليس هذا سجود الاحترام وكفى ، بل هو سجود العبادة أيضاً (يوحنا ٤: ٢٠ ; ١٢: ٢٠)

عجيب ان هذا الرجل الذي وقف جامداً امام كبرياء الفريسيين ، ينحني بكل اجلال امام ابن الله ويسجد «له»،لا «امامه». فالانسان أسير الاحسان الآن قد اثمر ايمانه شكراً ، فأضحى شكره محبة ؛ فصارت محبته عبادة

ومن الاهمية بمكان ، ان نذكر ان المسيح قَبِل هذا السجود ، فاذا لم يكن المسيح إلهاً تاماً، فمن المستحيل ان يكون انساناً كاملاً . لان الانسان الكامل لا يقبل العبادة التي تقدَّم له وهو عالم انها لا تجوز الا لله وحده

هذا هو «ابن الله» بشهادته ، و بشهادة معجزاته ، و بشهادة اعماله

(٢) *المغزى الروحي للمعجزة* — «حتى يبصر...ويعمى» (٩: ٣٩—٤١)

عدد ٣٩ . *اعلان رهيب* : أمام هذا المشهد المقدس الذي نرى فيه الرجل جاثياً عند قدمي المسيح ، فاه المخلص بهذا الاعلان الرهيب ، موجهاً الخطاب الى التلاميذ ، والى بعض الفريسيين الذين كانوا معه ، تلاميذَ سطحيين . ولعلهم كانوا جواسيس ، فقال : «لدينونة أتيت الى هذا العالم» . ان الغرض الاساسي من مجيء المسيح الى العالم، هو منح البصر للعميان . لكن العيون التي لا ترحّب بنوره ، يدركها الظلام . لان للنور تأثيراً مزدوجاً : فهو بهجة

حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى

العيون السليمة، وأذى العيون الرمداء. فمع ان الدينونة ليست غاية المسيح من مجيئه، الا انها احدى النتائج الطبيعية الناشئة عن هذا المجيء. فالذراع التي توقف عن الحركة، يدركها الجمود. والعيون التي تظل مدة طويلة في الظلام، تفقد قوة البصر. فالمسيح نور، وهو ايضاً موضوع الابصار، فكل عين تراه وترحب به، يتزايد نورها الى النهار الكامل. وكل عين تتحوّل عنه، يُرفع عنها النور، فيدركها ظلام الليل الدامس.

هذه النتيجة الاخيرة هي حكم الانسان على نفسه

ان قول المسيح: «الى هذا العالم»، يعيد الى ذاكرتنا تصريحه الجليل: «انا هو نور العالم» (عدد ٥). وان «الذين لا يبصرون»، هم العائشون في ظلمة الجهل، ويشعرون بحقيقة حالهم. بل يقرون بها. وهم الذين وصفهم المسيح «الاطفال» (لوقا ١٠:٢١ مت ١١:٢٥). ولعل منهم اولئك الذين وصفهم الفريسيون، بـ «الشعب الذي لا يفهم الناموس» (٧:٤٩)

و«الذين يبصرون»، هم الذين يملأون الجوّ صياحاً بقولهم: «نحن نعلم» (عدد ٢٤ و ٢٩)، وهم الذين وصفهم المسيح بـ «الحكماء والفهماء» (لو ١٠:٢١ مت ١١:٢٥) — هؤلاء هم المغترون بمعرفتهم الضئيلة، فتحرم انفسهم من المعرفة الحقيقية الكاملة — هم الذين يتمثلون في شخصية ملاك كنيسة اللاودكيين، الذي وجّه اليه المسيح الخطاب قائلاً: «لانك تقول. اني انا غنيّ. وقد استغنيت، ولا حاجة لي الى شيء. ولست تعلم انك أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان» (رؤيا ٣:١٧)

الذين يبصرون. ٤٠ فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين
وقالوا له ألعلنا نحن أيضاً عميان. ٤١ قال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لما

من حكمة المسيح انه لم يقل عن البسطاء انهم عميان، بل اكتفى بان وصفهم: بـ «الذين لا يبصرون». وفي الوقت نفسه، حكم على الحكماء في اعين انفسهم، بالعمى التام

عدد ٤٠. **اعتراض السامعين من الفريسيين**: «فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين». يقول يوحنا الذهبي الفم، «ان هؤلاء كانوا تلاميذ سطحيين للمسيح، يرتدّون لدى قيام أية صعوبة». ويقول عنهم ديقد سمث «انهم كانوا جواسيس على المسيح في صورة تلاميذ». وربما انطبق عليهم الوصفان معاً. «وقالوا له ألعلنا نحن ايضاً عميان» — يريدون بكلمة «ايضاً» ان يتعالوا عن غيرهم. كيف لا، وهم العلماء المعروفون عند عامة اليهود بـ «المتفقّحقيم» اي المتفقهين، والمفتوحي العيون؟ اي نعم. وقد كانوا كذلك. الا ان مثلهم مثل بلعام الذي قال عن نفسه انه مفتوح العينين—ولكن في الظلام!! (عدد ٢٤:٣)

عدد ٤١. **حكم لا يقبل استئنافاً**: «لو كنتم عمياناً، لما كانت لكم خطية». قد نعجب لسمعنا هذه الكلمات، من فم حمل الله الوديع، على ان عجبنا يزول متى ذكرنا، ان حمل الله الوديع هو هو الأسد الخارج من سبط يهوذا. ان قلب الحمل يفيض حنواً على قدر ما تقدح عينا الأسد ناراً وشرراً. وفي اعتقادنا ان المسيح نطق بهذه الكلمات الجارحة، وقلبه يتوجع

كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية

ياليتهم كانوا من الذين وصفهم المسيح في بدء عدد ٣٩ : بـ «الذين لا يبصرون»! عندئذٍ، كان يتزايد لهم النور الكامل. اما وقد اغتروا بعلمهم بالناموس والانبياء، فقالوا عن انفسهم انهم مبصرون، «فخطيتهم باقية» . لقد ركّز المسيح كل خطاياهم، في خطية واحدة—خطية عدم ايمانهم به . هذه بزرة كل خطية. «اما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي» ، «هذا هو الوارث هلمّ نقتله» . هذه خطية العارفين ، التي تبقى بلا غفران ، وتتقدمهم الى القضاء

ان المسيح نور ورؤيا. فبالايمان به نرى شخصه ، وفيه نرى الله . ها قد وضح السبيل الذي به يستطيع الانسان ان يراه — وذلك بسماع صوته ، واطاعة أمره ، والاعتراف بشخصه ، والتسلح بنية قبول كل اهانة من أجل اسمه ، والسجود له

ان لهذه المعجزة مغزىً تاريخياً يتمشى مع مغزاها الأدبي الروحي. فالرجل الذي كان أعمى فأبصر ، تتمثل فيه نواة الغرس الجديد الذي انبته المسيح ، ليأخذ مكان زيتونة المجمع اليهودي التي أدركها البلى . هذه هي الحصاة الاولى في هيكل المسيحية الجديد الذي اقامه المسيح على أنقاض هيكل سليمان . منذ الآن سيحمى وطيس القتال والصراع بين النظامين ، حتى يُراق دَمُ المسيح على تربة الجلجثة ، فتغتذي به زيتونة الكنيسة ، وتترعرع ، وتفرخ ، وتثمر ، فتتآوى في اغصانها طيور كثيرة ، في وقتٍ تصاب فيه زيتونة النظام اليهودي ، بالانحلال ، والذبول

الاصحاح العاشر

الراعي والرعية

عَلِمِ المسيح بما قضى به الفريسيون على ذلك الرجل الذي تمت فيه معجزة الشفاء، اذ «أخرجوه خارجاً» (٩:٣٤)، فرأى في فعلتهم هـذه، مثالاً لما سيفعلون مع غيره في المستقبل، ففتح فاه بكلمات تحمل عزاء «للمطرودين من اجل البر»، مؤكداً لهم، انه في الوقت الذي تُوصد فيه ابواب المجمع اليهودي امام وجوههم، ينفتح لهم باب السماء. وحين يُخرجون من حظيرة اليهود الضيقة، يُفتح لهم باب حظيرة أوسع، وأفضل

ان الروح الذي يسري في هذا الفصل، هو بعينه الذي أُمليت به الرسالة الى العبرانيين. ويلوح لنا ان مفتاح هذا الفصل، هو بعينه مفتاح تلك الرسالة — أعني به كلمة: «افضل». (يو ١٠:١٠ وعب ٧:٢٢)

اذا كانت كلمات هذا الفصل، مستمدةً روحها من موقف الفريسيين تجاه ذلك الرجل، فان الامثال المتضمنة فيه، مستعارة غالباً من الوقت الخاص الذي كان المسيح موجوداً فيه مع تلاميذه، وبعض الذين رافقوه من الفريسيين، خارج اسوار اورشليم. كانت شمس ذلك النهار قد آذنت بالمغيب، بعد أن فرغ الفريسيون من محاكمة الاعمى الذي أبصر، ومن المحتمل جداً ان رعاة فلسطين، كانوا آنئذٍ راجعين بأغنامهم[1] من البادية الى احدى الحظائر، التي كانت عبارة عن سور من غير سقف، لتقضي فيها الاغنام فحمة الليل، في حراسة

(١) كان في اورشليم سوقان — احداهما للاغنام، والثانية للاصواف

«بواب» خاص . فأمام حكم الفريسيين على الرجل من جهة ، وامام هذا المشهد الطبيعي المألوف، من جهة أخرى ، فاه المسيح بهذا الاعلان ، المطبوع بسلطانه المطلق المعهود، مُلبساً اياه لباسَ المثَل : «الحق . الحق . اقول لكم ان الذي لا يدخل من الباب ...»

في هذا الفصل ، فاه المسيح — أولاً : بأمثال ثلاثة ، خرج منها بالنتيجة : انه «هو الراعي الصالح» (١٠: ١ — ١٨) . ثانياً : باعلانه مجيد ، قرّر فيه انه هو «يهوه» راعي اسرائيل في القديم (١٠: ١٩ — ٤٢)

اولاً : ثلاثة امثال (١٠: ١ — ١٨) . ان هذه الامثال الثـلاثة ، تحمل معها رسالة مثلثة — توبيخ الفريسيين على تصرّفهم العاتي مع ذاك الذي كان أعمى فأبصر ، وتشجيع الرجل على النموّ في الايمان والثقة، ووصف انجيل المسيح الشافي ، والمحيي ، والمشبع

هذه الثلاثة الامثال مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً . لدرجة تكاد تُحسب فيها مثلاً واحداً ، لا ثلاثة أمثال : (ا) فالمثل الاول ، عام . والمثلان — الثاني والثالث تطبيقيان تفسيريان . في المثل الاول (١٠: ١ — ٦)، تكلم المسيح عن الباب الحقيقي ، والراعي الحقيقي بوجه عام ، فلم يفهموا قصده . وفي المثلين الاخيرين، خصص لنفسه ، ما سبق فذكره في المثل الاول على وجه التعميم . (ب) ففي المثل الثاني (١٠: ٧ — ١٠) خصص لنفسه العنصر الاول المتضمن فيه — «الباب»، فقال «انا هو الباب» . (ج) وفي المثل الثالث (١٠: ١١ — ١٨) خصص لذاته العنصر الثاني — الراعي . فقال : «انا هو الراعي الصالح»

ولقد رسم المسيح بهذه الامثال الثلاثة، صورة كاملة ، مثلثة . في المثل

١ الحق الحق

الاول ، رسم صورة للاغنام فى الصباح الباكر ، حين يأتي الراعي الى باب الحظيرة ، وعن طريق البوّاب ، يدخل الحظيرة ، وينادي خرافه الخاصة باسمائها ، ويخرج أمامها ، وهي تتبعه . (عدد ٣ و ٤) . وفى المثل الثانى ، رسم صورة للاغنام فى الظهيرة ، حين تدخل الى الحظيرة ، ثم تخرج لتجد مرعى (عدد ٩) . وفى المثل الثالث رسم صورة لما عند الاصيل ، حين تتهيأ الشمس لتختبيء وراء افق الغروب ، فيخرج الذئب من مخبئه ليتصيد عشاءه

(ا) المثل الاول (١٠: ١ — ٦) . يقدّم لنا هذا المثل صورة لامرء لا يعمل الراعى الحقيقى (١٠:٢ — ٤) . ولكي يكشف الفادي ، عن جمال صورة الراعي الحقيقي ، احاطها باطارٍ قاتم ، به أبان قُبح صورة الراعي الغير الامين . فمهّد لوصفه الراعي الحقيقي ، وعقب عليه ، بوصف بليغ للراعي الزائف (عدد ١ و٥) — وبضدها تتبين الاشياء . ثم اختتم البشير هذا المثل بكلمة عامة ، وصف فيها مبلغ الجهالة التي استحكمت على عقول اولئك الذين كانوا يحسبون انفسهم متفقهين (عدد ٦) . والظاهر من استهلال المسيح هذا المثل ، واختتامه اياه بالكلام عن الراعي الزائف ، انه قصد ان يقدّم للفريسيين أبلغ ردّ على ما عملوه بذلك الرجل الذي كان اعمى فأبصر (٩: ٣٤) ، اذ أراهم أصدق صورة لأنفسهم . ويكاد يكون من المحقق ان المسيح كان واضعاً نصب عينيه تلك الصورة المرسومة في زكريا ص١١

عدد ١ . (١) الراعى الزائف : «الحق . الحق» — اطلب شرح ٣:٣ —

أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. ٢ وأما الذي يدخل

«ان الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر» — أي يتسلق الجدار او يتسور السور — «فذاك سارق» — وهو مَن ينسلّ خفية (انظر في الاصل ١٢:٦ و١ تس ٥:٢) «ولص» — وهو من يقتحم عنوة (١٨: ٤٠ ومت ٢٦:٥٥)

«الحظيرة» هي نظام خارجي، وهي تشير بمعناها الاوّلي الى النظام اليهودي، وترمز بمعناها النهائي الى الكنيسة المسيحية. و«الباب» هو المسيح سواء أكان في العهد القديم أم في العهد الجديد، لان الكتاب المقدس يحدثنا عن أزلية المسيح، وعن عمله الفدائي في العهد القديم، قبل التجسد. فكل انبياء العهد القديم، وملوكه، وكهنته، انما دخلوا الى قدس وظيفتهم عن طريق هذا «الباب» الاوحد. و«السرّاق واللصوص» هم الفريسيون، الذين استلبوا خلسة حرية الشعب الساذج، واغتصبوا السلطة اغتصاباً

عدد ٢. (٢) **الراعي الحقيقي** (١٠: ٢ — ٤). في هذه الاعداد، نرى وصفاً سباعياً لمؤهلات الراعي الحقيقي، وفيه ترتسم أمامنا صورة كاملة لما يعمله عند ما يأتي في **الصباح**، ليخرج قطيعه الى المراعي:

(١) **الراعي الحقيقي يدخل الحظيرة من الباب** (عدد ٢): «واما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف». ان طلاب وظيفة الرعاية، طمعاً في المجد العالمي الذي يحفّ بها، هم متشامخون بسبب شوكة الغرور المتمكنة من

من الباب فهو راعي الخراف . ٣ لهذا يفتح البواب

أعناقهم ، فيتعذر عليهم أن ينحنوا ليدخلوا من الباب المنخفض الاعتاب ، لذلك يلتجئون الى التسوّر من موضع آخر . عجيب ان الانسان يقبـل عن طيب خاطر ، ما تكلفه به ارادته النفسانية من متاعب وتضحيات ، ويتبرّم من الهنات الهينات التي يتطلبها الله منه ! « واما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف» .هذا مجاز مركب . فالمسيح «هو الراعي» الذي دخل الى حظيرة الخراف ، بتعيين من الآب (مز ٢: ٧ و ٨) . وهو ايضاً «الباب» الذي به دخل الانبياء ، والمرسلون ، والملوك ، الى هيكل وظيفتهم الرعوية . كلمة «راعي» كما وردت في الاصل — في هذه الآية — تصف الراعي في صفاته ومؤهلاته ، لا في شخصه . فهي صفة لا ذات

كما ان الحظيرة الواحدة كانت تضمّ اكثر من رعية واحدة (عدد ٢ و٧) ، كذلك قد تكون الرعية الواحدة في اكثر من حظيرة واحدة (عدد ١٦)

عدد ٣ . —ب — *الراعي الحقيقي يعرفه البواب ويرحب به:* «لهذا» — أي للراعي الحقيقي دون سواه — « يفتح البواب » . قد تباينت أفـكار المفسرين في تعيين المراد بـ «البوّاب» .يقول لانجي· «يراد بـ «البواب» ، الروح القدس الذي يدعو الرعاة الى وظيفة الرعاية » . ويقول بنجال « يراد به الله الآب الذي يجتذب الناس اليه بالمسيح» (٦: ٤٤). ويقول اغسطينوس «ان البوّاب هو المسيح . فهو اذاً الباب والبوّاب» . ويعتقد وستكوت «ان «البواب» لا يرمز الى شخص معين ، بل الى عمل الروح القدس العامل في

والخراف تسمع صوته

الـكنيسة بواسطة رعاتها». ويقول الذهبي الفم «هو موسى» . ويعتقد رايل «ان كلمة: «بواب» لا ترمز الى شخص معين، وانما ذُكرت تكملة للصورة المرسومة في المثل» . ويعتقد جودي «ان البوّاب هو يوحنا المعمدان» استناداً الى ما قاله البشير عنه في صدر هذه البشارة (١:٦و٧)

— ج — *الراعي الحقيقي يدخل الحظيرة وينادي* ، فتسمع جميع الخراف صوته : « والخراف تسمع صوته » . يقول آدم سميث في كتابه « الجغرافية التاريخية للارض المقدسة» انه بينما كان جالساً ليستريح على مقربة من عين ماء ، مستظلاً بفيء احدى الاشجار، أقبل الى العين أربعة رعاة ، لـكل منهم قطيع خاص . واذا بقطعانهم قد اندفعت لترتوي من عين الماء ، فاختلط حابلها بنابلها . وبعد ان استقى الرعاة للاغنام سوية ، وكان وقت القيلولة قد انقضى ، اخذ العجب من هذا السائح كل مأخذ ، حين رأى الرعاة ، وقد انفرد كل منهم عن الآخر، ووقف في مكان ظاهر على رأس الوادي، واطلق صوته الرنان بنداء خاص ، واذا بالاغنام قد افترق بعضها عن بعض ، كما يفترق الليل عن النهار ، وما هي الا لحظة ، حتى التأم معاً كل فريق منها مكوّناً قطيعه الخاص ، كما تلتئم الجداول الصغيرة لتصب في النهر

كلمة: «الخراف» في بدء هذا العدد تعني جميع خراف الحظيرة ، بما فيها خراف الراعي. فالنداء مسموع من الجميع. ما اشبهه بالدعوة العامة التي يسمعها جميع الناس ، لـكن لا يميزها ويفهمها سوى المدعوّين باسمائهم دعوة خاصة

فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها. ٤ ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها

— د — *الراعي الحقيقي يدعو خرافه الخاصة بأسماء*: «فيدعو خرافه الخاصة باسماء». الدعوة هنا خاصة. موجهة الى كل بمفرده كما لو لم يكن في كل القطيع إلاه، مقابل الدعوة العامة المنوه عنها سابقاً. هذا يذكرنا بقول «يهوه»: «دعوتك باسمك. أنت لي» (اشعياء ٤٣: ١، ٤٥: ٣)

— ه — *الراعي الحقيقي يخرج رعيته*: «ويخرجها». فهو يخرجها ليكوّن منها قطيعه. هذا «خروج» يعقبه «التكوين». ويجمل بنا ان نذكر ان كلمة «يخرج» الواردة هنا، هي بعينها التي وردت في ٩: ٣٤ و٢٢. أخرج الفريسيون الرجل، طاردين اياه، فاخرجه المسيح من الحظيرة اليهودية العتيقة الى حرية مجد اولاد الله. ان عمل الفريسيين معه كان حكماً منهم عليه. لكن عمل المسيح معه، بركة انجيلية مجيدة لا تمتاز عنها بركة «خروج» بني اسرائيل من مصر. اخرج الفريسيون الرجل بقوة سخطهم، والمسيح أخرجه الى الرحب بسلطان محبته (٢ كو ٥: ١٤). فكأن اليهود صاروا خدام مقاصد المسيح وهم عميان!! (٩: ٤٠ و٤١). في هذا تعزية كبرى للرجل. لان الفريسيين لم يخرجوه الا الى المراعي الخضراء

عدد ٤. — و — *الراعي الحقيقي يقود خرافه الى المراعي الخضر*: «ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب امامها». في أثناء اخراجه اياها من الحظيرة، يقف خلفها لكي لا تتخلف منها واحدة. ومتى اخرجها كلها يذهب امامها.

والخراف تتبعه لانها تعرف صوته. ٥ واما الغريب فلا تتبعه

في بعض البلدان يسوق الرعاة اغنامهم امامهم ولكن في فلسطين يتقدم الرعاةُ الخرافَ. وهـذا افضل لانه يجعل الراعي زعيم رعيته، وهاديها، وحاميها، ومَثلها الأعلى. ان في رضى المسيح بان يكون راعياً لنا، اتضاعاً عظيماً. لان الرعاية في حد ذاتها كانت خدمة حقيرة في نظر الممالك القديمة ـ وفي مقدمتها مصر. فضلاً عن ذلك فان المسيح لم يكتف بان يكون راعياً لنا، بل صار واحداً منا لكي يتقدمنا حقاً (رؤ ١٧:٧)

ـ ز ـ *الراعي الحقيقي تعرفه رعيته فتقبل زعامته*. «والخراف تتبعه لانها تعرف صوته». فالمعرفة متبادلة بين الراعي والرعية ـ هو يعرفها باسمائها وهي تعرفه بشخصه وذاته. هو يتقدمها وهي تتبعه ـ ولو قادها الى المخاطر. وان مخاطر يتقدمها فيها راعيها خير من أمن تكون فيه وحيدة موحشة. «الاتباع» يفيـد الاعتراف بالزعامة، والطاعة، والولاء. انه اتباع عن علم لا عن جهل وغباوة: «لانها تعرف صوته». ولئن جهلت الخراف اشياء كثيرة حتى صارت مضرب الامثال في الجهالة، الا انها تعرف صوت راعيها. في هـذا اشارة ضمنية الى طاعة الرجل المولود اعمى، لدعوة المسيح (٩:٣٥)

عدد ٥. (٣) *الراعي الغريب*: «واما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء». «الغريب» هو غير السارق واللص (عدد ١). ان عمل السارق واللص، موجة الى الاغنام وهي داخل الحظيرة، ولـكن عمل الغريب موجه الى الخراف وهي تتبع راعيها خارج الحظيرة. السارق يختلس

بل تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء. ٦ هذا المثل قاله
لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا

خفية، واللص يهاجم عنوة، والغريب يغوي ويغري بالوعود الجاذبة الخلابة. ولعل في قوله: «لا تتبعه بل تهرب منه» اشارة ضمنية الى عدم انصياع الرجل لنصح الفريسيين حين قالوا له «اعطِ مجداً لله» (٩: ٢٤). على ان هذه الاوصاف الرباعية: «سارق»، «لص» (عدد١)، «غريب» (عدد ٥)، «أجير» (عدد ١٣)، ليست سوى مظاهر متنوعة لتصرّف الفريسيين ومَن اليهم.

عدد ٦. جهالة العلماء: «هـذا المثل قاله لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا..». كان امام المسيح غرض مزدوج في نطقه بالامثال: لكي يبصر العميان، ولكي يعمى المبصرون (مت ١٣: ١٠ و١٣). «وأما هم فلم يفهموا» على رغم كون يعقوب ابيهم، قد تحدث عن الله كراعٍ (تك٤٩)، وداود ملكهم ترنم برعاية الرب له (مز ٢٣)، واشعياء نبيهم تغنى برعاية الرب لشعبه (اش ٤٠: ١١). (انظر أيضاً حزقيال٣٤ وزكريا١١). ان السر في عدم فهمهم، كائن في الغشاوة التي أعمت بصائرهم، والكبرياء التي ملكت قلوبهم. فلم يخطر لبالهم ان امثالهم يكونون «سراقاً ولصوصاً». وكم للكبرياء من ضحايا. هؤلاء هم الذين لم يقبلوا ان يقال عنهم انهم عميان (٩: ٤٠)!!

ـ ب ـ المثل الثاني — مثل باب الخراف (١٠: ٧ ـ ١٠). في هذا المثل خصص المسيح لنفسه احد العناصر المكوّن منها المثل الاول (١٠: ٢)، فقال: «انا هو الباب»، مقرراً بهذا انه هو الواسطة الوحيدة للدخول الى الكنيسة

ما هو الذي كان يكلمهم به . ٧ فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق

في كل العصور . به يدخل المؤمنون ، و به يستمتعون بكامل حقوقهم المقدمة لهم من الله. في هذا المثل تقدم كلام المسيح، مرحلة أخرى عن كلامه في المثل الاول . فما قاله في المثل الاول بوجه التعميم ، فاه به هنا على وجه التخصيص، فقال : « أنا هو الباب » . المثل الاول يقدم لنا مشهداً صباحياً حين يأتي الراعي الى الحظيرة و يكوّن قطيعه مخرجاً اياه الى المراعي . والمثل الثاني يصور لنا مشهداً نهارياً حين تكون الرعية قد خرجت من الحظيرة العامة ، لتسرح وتمرح في المراعي ، حيث يقام لها عادة سياج مفتوح بابه باستمرار ، لتحتمي فيه عند قيلولة النهار . فان ارادت حمىً لجأت اليه ، وان طلبت مرعى ، خرجت منه الى المراعي، وهي متمتعة بكمال الحرية التي يتمتع بها ابن البيت

عدد ٧ . باب الخراف : «فقال لهم يسوع أيضاً» ـ مفسراً لهم بعض ما اشكل عليهم فهمه في المثل الاول ـ « الحق الحق اقول لكم » ـ بذات التوكيد الذي أورد به المثل الاول ـ «اني أنا باب الخراف».في الغالب جداً، مضى بعض الوقت بين المثل الاول و بين هذا المثل . ومن المحقق ان في هذا المثل الثاني انتقالاً في الفكر عما في المثل السابق. في المثل الاول تكلم المسيح عن « باب الحظيرة »، وهنا قال عن نفسه انه « باب الخراف ».في الكلام عن « باب الحظيرة » المعنى منصرف الى النظام الخارجي المتعلق بالرعية . وفي الكلام عن «باب الخراف» المعنى منصب الى الحياة الخلاصية الروحية الخاصة بالرعية . ويقول جودي ان «باب الحظيرة» يرمز الى نظام العهد

أقول لكم إني انا باب الخراف. ٨ جميع الذين أتوا قبلي هم سراق

القديم. ولكن «باب الخراف» يشير الى الخلاص التام المقدم في الانجيل. ان «باب الخراف» هو الباب الذي اليه تدخل الخراف، للخلاص والحماية، ومنه تخرج للرياضة والرعاية (عدد ٩). ويظن ماير وآخرون ان «باب الخراف» هو الباب الذي منه يدخل الرعاة الى الخراف. على انه اذا كان هـذا المعنى الاخير متضمناً في العبارة، فانما يكون من باب التطبيق

«أنا باب الخراف» — هذا هو الاعلان الثالث الذي فاه به المسيح في هذه البشارة (اطلب ٦: ٣٥ و ٨: ١٢)

عدد ٨. صفات من يدعون أنهم باب الخراف: «جميع الذين اتوا قبلي» — زاعمين انهم باب الخراف — «هم سراق ولصوص» — «ولكنَّ الخراف» — أعني بها خرافي الخاصة التي تعرف صوتي. هذه لا خوف عليها منهم لانها عرفت أيضاً صوتهم — «ولم تسمع لهم»

ان الكلمة الاصلية المترجمة: «قبلي»، تعني اما: (ا) قبلي في الزمان، او (ب) قبلي في المكان، او (ج) قبلي في المقام، او (د) قبلي من حيث الحلول محلي. وهي في هذا المجال تُحمل على المعنَيين الآخيرين. هؤلاء هم الكتبة والفريسيون ومن اليهم، من معاصري المسيح

ما اعظم الفرق بين ادعاآتهم و بين شهادة يوحنا المعمدان: «هـذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لانه كان قبلي». ويهمنا ان نلاحظ ان المسيح لم يصفهم كأنهم عاشوا في زمن مضى، بل باعتبار كونهم معاصرين له.

ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . ٩ أنا هو الباب . ان دخل
بي أحد فيخلص ويدخل

فلم يقل «كانوا سراقاً» بل «هم» — في الحال — «سراق ولصوص»

«ولكن الخراف لم تسمع لهم» – ان الذين كانوا ينتظرون تعزية اسرائيل، لم تشبعهم الوعود الخلابة ، ولم تخدعهم الكلمات المعسولة، التي قصد بها اضداد المسيح ان يصرفوهم عن رجاء اسرائيل . وفي الحقيقة لم يقم انجيل للمساكين الا بمجيء المسيح (لو ٦: ٢٠ ومت ١١: ٣)

ان مثل الكرامين المذكور في سائر البشائر، يُعتبر خير تفسير لهذا الكلام

عدد ٩ . *مزايا الداخل من هذا الباب* : في هذا العدد، عاد المسيح فقرر لهم مؤكداً، ما سبق فقاله في العدد السابع ، ثم بيّن لهم المزايا الكاملة التي يتمتع بها من يدخل من هذا الباب . هذه مزايا اختبارية تمنح لكل من يتحد اتحاداً روحياً حيوياً بالمسيح ، ويتخذه لذاته فادياً وشفيعاً . «فمن ثم يقدر أن يخلص ايضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله» . وهي ايضاً مزايا مثلثة — والثلاثة رمز الكمال . فهي (ا) *خلاص تام* : «فيخلص» . (ب) *حرية* [1] «ويدخل ويخرج» . هذا تعبير يطلق على من صار متمتعاً بحرية وحقوق ابناء البيت ، الذين يدخلون ويخرجون من غير حرج ولا استئذان (تث ٢٨: ٦ وارميا ٣٧: ٤ واعمال ١: ٢١) . (ج) شبع «ويجد مرعى» . ان ابناء العالم

(١) قابل هذا بما هو معروف في هذه الايام من ان مجلس احدى المدائن أنعم على شخص ممتاز بنيشان : «حرية المدينة»

ويخرج ويجد مرعى. ١٠ السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك.

لا يعرفون الشبع . لان كلمة «شبع» محذوفة من قاموسهم . ولكن من يعرف الله ، ويصير من ابنائه ، يشهد لصدق القول : «أمامك شبع سرور »

يعتقد ماير وستراخان وغيرهما ، أن «الداخلين» من هذا الباب هم الرعاة الذين يدخلون الى اقداس الشركة مع الله، فيتمتعون بالخلاص التام لأنفسهم (١ تي ٤: ١٦)، ويدخلون ويخرجون ليجدوا مرعى لرعيتهم . ولا يبعد ان يكون هذا المعنى متضمناً في الآية من قبيل التطبيق

عدد ١٠. (١) *غرض السارق من مجيئه* (١٠: ١٠ ا) . «السارق لا يأتي الاّ ليسرق ويذبح ويهلك» . يلاحَظ بنوع خاص في هذا المثل ، ان كل عدد فيه متخالف في معناه مع سابقه، ومتحالف مع سابق سابقه. هذا هو التوازن المتباين : فعدد ١٠ متخالف في معناه مع عدد ٩ ، ومتحالف مع عدد ٨ . وكذلك عدد ٩ متخالف مع عدد٨، ومتحالف مع عدد ٧. ومن محاسن هذا المثل انه يبتدئ بالحسن وينتهي «بالافضل»

من كلام المسيح عن الشبع، الذي تجده الرعية في راعيها الحقيقي، انتقل الى الكلام عن الهلاك الذي تمنى به الرعية ، من السارق الذي لا يأتي الا «ليسرق ويذبح ويهلك»

هذه الكلمات الثلاث: «يسرق ، يذبح ، يهلك» سائرة في نظام تدرجي فالقتل اشد من السرقة ، والهلاك نتيجة لكليهما

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حيوة وليكون لهم افضل . ١١ أنا هو الراعي الصالح .

(٢) *غرضه المسيح من مجيئه* (١٠:١٠ ب) . «وأما انا فقد أتيت» . ان العطايا الحقيقية ، مشتقة من قلب مُعطيها ، فهي عنوان حياته ، ورمز صفاته : فالسارق ، لا يمكنه الا ان يسرق ، ويذبح ، ويهلك — لان هذه من طبعه. اما المسيح رب الحياة ، فلا يمكنه الا ان يكون واهب الحياة الفضلى : «لتكون لهم حياة ، وليكون لهم افضل». والمراد بقوله : «افضل» ان الرعية تجد مراعي أوفر مما تستطيع ان تأكل. فبعد ان تأخذ كفايتها من الحياة وتشبع ، تفضل عنها الحياة وتزيد «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز» (لوقا ١٥:١٧). «ومن ملئه نحن جميعاً اخذنا ونعمة فوق نعمة» (يو ١:١٦). فالمسيح جاء لكيما تكون لنا الحياة، وتكون لنا اوفر في كميتها ، وقياسها ، ونوعها . السارق لا يأتي الا ليستلب الحياة ، وينتقص منها ، اما المسيح فانما اتى لكي يفيضها فتغمرنا

(ج) *المثل الثالث — مثل الراعي الصالح* (١٠:١١—١٨) . في هذا المثل، خصص المسيح لنفسه العنصر الثاني، المتضمن في المثل الاول— الراعي. ان المثل الاول، تجمّله اشعة الصباح البهية. والمثل الثاني يُظلله فيء الظهيرة ، والمثل الثالث مصطبغ بأشعة الغروب الذهبية ، حين تميل الشمس لتختبىء وراء الافق ، فتقفل الاغنام راجعة الى الحظيرة ، وتتعرّض لهجمات الذئآب التي تكون كامنة في مخابئها ، متحيّنة الفرصة لتفتك بها . في هذا المثل الثالث بلغ المعنى ذراه ، فقد قال فيه المسيح عن نفسه انه «الراعي الصالح» . فالمقابلة

والراعي الصالح يبذل نفسه

فيه ، ليست بين الراعي واللص كما في بدء المثل الاول وفي المثل الثاني ، بل بين الراعي الصالح والراعي الأجور . فالمسيح ليس مجرد راع ، بل هو الراعي الصالح . كلمة « صالح » كما وردت في الاصل ، معناها « الجميل ، والبديع ، والفاضل ، والخيّر » . لان اليونان ، الذين كُتب الانجيل بلغتهم ، كانوا يرون «الخير الاعظم» في الجمال . ومن مميزات هذا الراعي الصالح : (ا) تضحية نفسه عن الرعية (١٠:١١ - ١٣). (ب) المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية (١٠:١٤—١٦). (ج) تضحية اختيارية لا اضطرارية (١٠:١٧ و١٨)

عدد ١١ . « الميزة الاولى للراعي الصالح : تضحية نفسه عن الخراف » (١٠:١١—١٣) . «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» . هذا هو العنصر الفدائي في مزايا الراعي الصالح . الكلمة المترجمة : «يبذل» ، وردت في العهد الجديد ضمن كتابات يوحنا البشير دون سواه (١٠:١٥ و١٧ و١٣: ٣٧ و٣٨و١٥: ١٣و١ يو٣: ١٦). وفي كل هذه المواضع تُرجمت الى«يضع». ويقول بعض الثقاة ان هذه الكلمة كانت تستعمل «لتقديم الفدية» التي بها يُشترى شيء ثمين (قابل هذا بما جاء في مت ٢٠:٢٨) . ومعناها الحرفي : «خلع»[١] (انظر يوحنا ١٣:٤) — أي ان الراعي الصالح «يخلع» حياته على رعيته . ومن المحتمل جداً انها تحمل بين دفّتيها اشارة

(١) بين هدايا الملوك وجوائزهم شيء يعرف «بالخلعة»—وهي ما تعود الملوك تقديمه من الثياب لمن يجد نعمة في أعينهم . وآخر من أعطى خلعة من الملوك ، هو الملك فيصل حين كان سلطاناً على سورية

عن الخراف . ١٢ واما الذي هو اجير وليس راعياً الذي ليست
الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب . فيخطف

ضمنية الى ما جاء في اش ٥٣: ١٠ « جعل نفسه ذبيحة اثم » . اما كلمة : «عن» ، فمعناها : «من اجل» — هذا تعبير آخر لكفارة الصليب . هذه هي التضحية العظمى ، التي تنطوي على : (١) حب الراعي الصالح لرعيته (٢) شجاعته التي بها يستخف بالمخاطر . (٣) حرصه على ألا يتبدد من الرعية أحد

«أنا هو الراعي الصالح» — هذا هو الاعلان الرابع الذي فاه به المسيح عن نفسه في هذه البشارة (قابل ٦: ٣٥ و٨: ١٢ و١٠: ٧)

عدد ١٢ و١٣ . الاجير . مقابل تضحية الراعي الصالح لرعيته، وصف المسيح أنانية الاجير. اذا كانت تضحية الراعي تنطوي على حبه للرعية، وشجاعته، وحرصه عليها، فان انانية الاجير، تنطوي على : (١) حب الاجير لذاته ، فهو يقدم رعيته على مذبح مصلحته الذاتية: «واما الذي هو اجير وليس راعياً» — على الاطلاق : فلا هو بالراعي الصالح ولا الطالح، بل مأجور من الراعي لحراسة الاغنام — «الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ، ويترك الخراف». المقابلة هنا ليست بين الراعي الصالح و بين السارق واللص كما في عددي ٨و١٠، بل بين الراعي الصالح و بين الاجير. ليس من الضروري ان نقرّر ان المسيح قصد بـ«الاجير» شخصاً خاصاً او طبقة معينة ، فربما ذُكر الاجير والذئب كعنصرين مكملين للمثل . على أننا اذا حسبنا «السراق واللصوص» ، ممثلين للفريسيين الذين كانوا متقلدين السلطة التنفيذية في الامة اليهودية، فان

الذئبُ الخرافَ ويبددها. ١٣ والاجير يهرب لانه اجير ولا
يبالي بالخراف.

«الاجير»، يمثل الكهنة واللاويين الذين استُودعوا نفوس الشعب باعتبارهم مرشديهم الروحيين، وهم الطبقة المأجورة في النظام اليهودي. انّ من خصائص «السارق واللص»، السلب والنهب — كذلك كان الفريسيون. ومن خصائص «الأجير»، الجبن والهرب — كذلك كان الكهنة (يوحنا ١٢: ٤٢)

الفريق الاول يمثل العنصر المعادي للمسيح: «فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله». *والفريق الثاني* يمثل العنصر الذي يميل الى الايمان بالمسيح، لكنه يخشى بطش المشاغبين: «آخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطىء ان يعمل مثل هذه الآيات» (٩: ١٦). «الذئب»، يرمز الى الشيطان، او الى أية قوة يتخذها الشيطان آلة في يده، لاختطاف رعية المسيح

(٢) *جبن الاجير*: «ويهرب». ان لهروبه نتيجتين ـ *احداهما* منصبة على الرعية أفراداً: «يخطف الذئب الخراف». فالذئب لا يختطف الا فرداً فرداً. والثانية واقعة على الرعية كجماعة، وهي مترتبة على النتيجة الاولى. لان الرعية بعد ان ترى الذئب يخطف منها واحداً فواحداً، لا تستطيع ان تقف ضد هجماته «فتتبدد»

عدد ١٣. (٣) *عدم مبالاة الاجير* «...ولا يبالي بالخراف». في هذا العدد كشف المسيح عن علة هروب الاجير ـــ *عدم المبالاة*. فالهرب عمل خارجي. وعدم المبالاة احساس داخلي في القلب. هذه خطية سلبية ـ فهي من خطايا التَرك ـ لكنها من اشنع الخطايا (يعقوب ٤: ١٦)

١٤ أما انا فاني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ١٥ كما
أن الآب يعرفني وأنا اعرف الآب.

عدد ١٤. *الميزة الثانية للراعي الصالح — المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية*: «أما انا» — على خلاف الاجير — «فاني الراعي الصالح. واعرف خاصتي» — ليست هذه مجرد معرفة سطحية تميز الرعية من شكلها الخارجي. لكنها معرفة عميقة داخلية. هي معرفة العين المحبة الفاحصة التي تصل الى اعماق قلوب الرعية فتعرفها فرداً فرداً. وتعرف حالة كل فرد معرفة دقيقة تحيط بكل صغيرة وكبيرة في حياته. كلمة «خاصته» معناها «الذين هم له» ويقابلها في عدد ١٢ «الذي ليست الخراف له». هذا هو الجانب الاول والاساسي لهذه المعرفة — ان المسيح يعرف خاصته. اما جانبها الثاني الذي ينبني على الجانب الاول ويُشتقّ منه فهو — ان خاصة المسيح تعرفه: «وخاصتي تعرفني». هو يعرف «خاصته» باسمائها وبكل ما يحيط بها. و«خاصته» تعرفه بصوته وشخصه

عدد ١٥. *مقياس المعرفة المتبادلة ونبعها* (١٠: ١٥ أ). «كما ان الآب يعرفني وانا اعرف الآب». ان مقياس المعرفة المتبادلة بين المسيح ورعيته، هو المعرفة المتبادلة بين المسيح والآب. فهي معرفة مؤسسة على وحدة الطبيعة والحب الصادق، والتفاهم المتبادل. يا عجبي من هذا الحب المجيد الذي به رفعنا المسيح الى نفسه. فلقد تنازل ليرفعنا اليه. وشاركنا في لحمنا ودمنا ليجعلنا شركاء الطبيعة الالهية — هنا يطرح المفسر قلمه جانباً ليجلس مبهوتاً من فرط هذه الامجاد التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها

وانا اضع نفسي عن الخراف

وسيلة المعرفة المتبادلة وغايتها (١٠:١٥ ب). «وانا اضع نفسي عن الخراف». هذه العبارة سببية للجملة التي قبلها، وتابعة لها. لأن وحدة الطبيعة التي بين المسيح ورعيته، لم تتخذ لها حيزاً في الظهور الا بالصليب. كما ان معرفة المسيح بحقيقة حالات الرعية وحاجاتها، لا يمكن الا ان تنتهي بالصليب

ما اشبه قول المسيح: «وانا اضع نفسي عن الخراف» بقرار نشيد محبب ردّده الفادي واعاده ثلاث مرات (عدد ١١و١٥ و١٨). فاذا كان مخلصنا قد وجد لذة في ان يلهج بموته عنا — والموت كأس مريرة. أفلا نجد نحن لذة في ان نلهج بالحياة التي صارت لنا بهذا الموت — والحياة حلوة لذيذة ؟ !

ليست هذه اول مرة نعثر فيها على مثل هذا القرار. فقد سبق الفادي فردّد قراراً آخر: «وانا اقيمه في اليوم الاخير» (٦: ٣٩ و٤٠ و٤٤ و٥٤)

في هذا المثل رفع المسيح حب الراعي لرعيته الى مستوى يعلو عما جاء في مَثل الخروف الضال، الذي في بشارة لوقا. هناك رسم المسيح صورة الراعي وقد وضع عنقه تحت الخروف. وهنا أرانا الراعي الصالح، وقد وضع نفسه من اجل الحمل. ان موضوع المثل في لوقا هو الراعي العادي: «اي انسان منكم» ولكن موضوع المثل في يوحنا هو الراعي الصالح متفرداً في جماله وجلاله

كلمة: «الخراف» تعني جميع المؤمنين. ان كفارة المسيح «عامة» من حيث كفايتها، «خاصة» من حيث فاعليتها. فهي «كافية» لجميع الناس، «شافية» لجميع المؤمنين (١يو٢:٢). على ان المؤمنين بالمسيح لا تحدّهم طائفة. ولا تحصرهم أنظمة منظورة بل هم في كل قبيلة وأمة

١٦ ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي ان آتي بتلك

عدد ١٦ . *رعية واحدة في حظائر متعددة* : « ولي خراف أخر ليست
من هذه الحظيرة ينبغي ....». يخيل الينا ان المسيح نطق بالكلمات المدونة
في العدد السابق، وهو مثبت نظره في الصليب الذي كان منه قاب قوسين او
أدنى. وما هي الا هنيهة حتى رفع عينيه اللتين تخترقان حجب المستقبل، فرأى
جمهور المؤمنين به مقبلاً اليه من كل قبيلة ولسان وشعب وامة . فاراد ان
يرفع انظار سامعيه الى ما وراء أفق الحظيرة اليهودية الضيقة: «ولي خراف أخر
ليست من هذه الحظيرة». في الاعداد ١ و٢ و٣ حدثنا المسيح عن حظيرة واحدة
تضم رعايا كثيرة. وفي هذا العدد (عدد ١٦) يكلمنا عن رعية واحدة موجودة
في حظائر كثيرة . كلمة « هذه الحظيرة» تعني النظام اليهودي . و «الخراف
الاخر» تعني اتباع المسيح من الامم. اذا كان النظام اليهودي أضيق من ان يضم
كل اتباع المسيح، فان اية كنيسة نظامية مهما علا شأنها وكبر، لن تستطيع ان
تضم بين جدرانها كل المؤمنين بالمسيح. فالكنيسة الغير المنظورة اوسع مدى
من اية كنيسة منظورة. ان اتباع المسيح لا يمكن ان تحصرهم جدران معينة. وانما
تحصرهم محبة المسيح . فعلى قدر ما ضيّق المسيح مبادىء ملكوته ، بهذا القدر
عينه وسّع أفق حدوده. فالى الاخ المسلم تمد المسيحية يدها وتفتح قلبها مرحبة
به ليأخذ مكانه في صدر المسيح. والى كل يهودي تقدم الدعوة ليأخذ مقامه
في الزيتونة الاصلية . ان شخصية المسيح الغنية هي المغناطيس الاكبر الذي
يجتذب ابناء الله المتفرقين و يضمهم الى صعيد واحد (١١:٥٢) . هذه رسالة

ايضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد. ١٧ لهذا يحبني

المسيح التي جاء ليتممها وهو عالم انه تحت التزام ادبي قَبِله على نفسه طائعاً مختاراً. لذلك قال: «ينبغي ان آتي بتلك أيضاً» . ما دامت الرعية له فهي ملكه لذلك يجب ان تكون عنده «فتسمع صوتي» — (اعمال ٢٨: ٢٨) — «وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» — (افسس ٢: ١٤—١٧) . ان كل مؤمن بالمسيح واقع تحت هذا الالتزام عينه : «صرت للكل كل شيء لاخلص على كل حال قوماً».ويضاف الى هذا الالتزام الاختياري، التزام آخر اجباري: «ويل لي ان كنت لا أبشر » . لان كل مسيحي واقع تحت دين : « اني مديون لليونانيين والبرابرة. للحكماء والجهلاء» (رومية ١٤: ١)

عدد ١٧ . *الميزة الثالثة للراعي الصالح — ضحية الاختيارية* (١٠: ١٧ و ١٨) . «لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي» . لاحظ المسيح ان الصورة المرسومة في الاعداد السابقة (١٤ و١٥ و ٦)، لا تمثله تماماً، لان الذئب لا يستطيع ان يفترس الراعي المضحي بنفسه عن الخراف، الا اذا استضعف الراعي امامه . فمع ان الراعي متصف بالشجاعة والتضحية ، الا انه محاط بالضعف الذي لولاه لما تمكن الذئب منه . وان هذا الضعف هو وجه الخلاف بين المسيح و بين أي راعٍ .فالمسيح لم يسلم نفسه للموت ، عن ضعف، بل عن سلطان ارادته الحرة المختارة . فبارادته الحرة ، أسلم نفسه للموت . وبارادته الحرة ، كسر شوكة الموت وقام : «لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً» . الراعي العادي يضحي بنفسه، ولا قدرة له على ردها . لكن المسيح يضع نفسه ليأخذها أيضاً

الآب لأني أضع نفسي

ما اشبه هذين العددين بجناحين ، بهما ترتقي النفس وتصعد داخلة الى ما وراء الحجاب ، في محضر مشورة الله ، قبل كون العالم ، وقت تدبير الفداء ، حين قَبل المسيح على نفسه طائعاً مختاراً ، باعتبار كونه «الابن» ، أن يجيء الى ارضنا ليتم مشيئة الآب ، فجعل ارادة الآب طعامه الذي به يقتات . ويتلذذ ، ويشبع ، ولما جاء ملء الزمان مات ، وفي الوقت المعيَّن قام

في هذين العددين يصف المسيح تضحيته الاختيارية ، وصفاً رباعياً :

(١) في صلتها بمحبة الآب له : «لهذا يحبني الآب» (عدد ١٧ أ)

(٢) في حقيقتها الذاتية : «أضع نفسي لآخذها أيضاً» (عدد ١٧ ب)

(٣) في صلتها بقوة ارادته : «ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً» (عدد ١٨ أ)

(٤) في صلتها بوظيفته الفدائية : «هذه الوصية قبلتها من أبي» (عدد ١٨ ب)

(١) تضحية المسيح في صلتها بمحبة الآب له : «لهذا يحبني الآب». ان تضحية المسيح نفسه اختيارياً ، هي علة محبة الآب له . نعم ان الآب يحب الابن منذ الازل . لكن هذا تعبير مستعار من لغة البشر ، ليترجم لنا عن الصلة المتبادلة بين الآب والابن في تدبير الفداء. فالمسيح كابن، مطيع للآب. والآب يحب الابن. على ان هذه الصلة مبنية على الرضى المتبادل. فالابن راضٍ بمشيئة الآب الى درجة السرور بها : «سررت ان اعمل مشيئتك» . والآب راض بالابن الى درجة السرور به: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» اذا كان الآب قد سُر بابنه الحبيب في شخصه ، وكلامه ، وأعماله ، وطاعته،

لآخذها أيضاً.

فان طاعة الابن للآب بلغت ذروتها، في الصليب: «وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً» (فيلبي ٢:٩و١٠). ولهذا السبب عينه، يعتبر بولس الرسول ان كفارة المسيح «نسيم رائحة طيبة» لدى الله الآب (افسس ٥:٢)

(٢) *تضحية المسيح في حقيقتها الذاتية*: «لاني أضع نفسي لآخذها ايضاً». في هذا ايضاً يمتاز المسيح عن الراعي البشري. لان الراعي البشري، متى بذل نفسه عن الخراف، لا يبقى في مقدوره ان يستردها بعد. لانها تخرج من حوزته عند بذله اياها. اما المسيح، ففي سلطانه ان يضع نفسه بموته الاختياري، وفي سلطانه ايضاً ان يأخذها بقيامته المقتدرة. فلقد مات بقوة ارادته، وقام ايضاً بقوة هذه الارادة عينها. ان قيامته غير منفصلة عن صليبه. لانه وضع نفسه وهو متسلح بنية أخذها ايضاً. وفي كل البشائر لا نجد المسيح يتحدث عن الصليب الا ويردف حديث الصليب بنبوة القيامة. هذا دليل قاطع على ان المسيح كان مقدّراً قيمة التضحية العظمى التي بذلها لاجلنا. اذ لم يبذل كرهاً منه لها، كمن يضع شيئاً على نية التخلص منه، بل وضعها وفي نيته ان يستردها، بعد قيامته وصعوده، ليتمم ما اكمله على الصليب، الى ان يأتي بآخر حمل من تلك الخراف الاخَر، التي ليست من الحظيرة اليهودية، فيعود متحداً بالآب كما كان قبل التجسد

يقول جودي: لو اكتفى المسيح بتقديمه نفسه على الصليب بغير قيامه، لاعتبر موته انسحاباً من محضر الاب. وبذبيحةٍ ناقصة كهذه، لايرضى الآب

١٨ ليس أحد يأخذها مني بل اضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً .

عدد ١٨ . (٣) *ضحية المسيح فى صلتها بمحض سلطانه* . «ليس أحد ... بل أضعها أنا . . . لي سلطان . . . » . في هـذا العدد يصف المسـيح موته الاختياري : (ا) وصفاً سلبياً : «ليس أحد يأخذها مني» . فلا اليهود ، ولا بيلاطس، ولا هيرودس، ولا يهوذا هم الذين اسلموه. انما المسيح هو الذي اسلم نفسه لانه أحب، وأحب لانه أراد (١٤:٣١). لم تكن المسامير بقادرة ان تثبت يديه ورجليه في الصليب. لكن حبه للبشرية، ورضاه بمشيئة الآب، هما اللذان ثبتا يديه ورجليه بخشبة اللعنة . ان كلمة : «احد» تعني كل هؤلاء جميعاً ، وتمتد الى كل قوة أرضية ، وهي ايضاً تعني «الآب» . فالمسيح لم يشرب من يد الآب كأس الصلب المريرة لانها فُرضت عليه فرضاً ، بل شربها لانه قبلها راضـياً مسروراً : «الـكأس التي اعطاني الآب ألاّ أشربها» ؟ (ب) **وصفا ايجابيا :** « بل أضعها انا من ذاتي» هذا يذكرنا بقوله لبيلاطس (١٩:١١).(ج) **وصفا يقينيا:** «لي سلطان ان أضعها ولي سلطان ان آخذها» هذه نغمة الواثق — بدليل تكرار كلمتي «لي سلطان» . لم يكن الموت «فرض عين» على المسيح ، ولا فرض كفاية . لان الموت قصاص الخطية . والمسيح خلو من الخطية بشهادة الاعداء والاصدقاء

ان هذه الـكلمات تقرر لنا ايضاً بطريقة حاسمة، ان قيامة المسيح كانت من عمله الخاص و بقوته الذاتية . لان نفسه التي « خلعها » بالموت لاجل البشرية

هذه الوصية قبلتها من أبي . ١٩ فحدث أيضاً انشقاق بين اليهود
بسبب هذا الكلام . ٢٠ فقال كثيرون منهم

كانت تحت اذنه حتى استردها . هنا يلتقي عمل الآب بعمل الابن ، لان القيامة من عمل الآب ايضاً

(٤) *ضحية المسيح في صلتها بوظيفته الفدائية*: «هذه الوصية» — أي مأمورية موت المسيح وقيامته اختيارياً — «قبلتها من أبي» — هذه الكلمات تعود بنا الى حيث ابتدأنا في غرة العدد السابق : «لهذا يحبني الآب».هذه مهمة عجيبة بل هي مهمة الاجيال، بل هي مهمة الازل والابد . فليس الصليب اذاً وليد المصادفات ، ولا هو ثمرة مؤامرات الكتبة والفريسيين ، ولا هو غضبة الارض الظالمة، بل هو وليد تدبير ازلي مُحكم في محضر الله . والمسيح، تواضعاً منه، يسمى هذا التدبير «وصية» بالنسبة له «كابن»، لكنه قام به لانه «قَبِله»

عدد ١٩. *نتيجة وقع كلام المسيح على سامعيه* (١٠: ١٩ — ٢١). «فحدث ايضاً» — كما حدث سابقاً (٧: ١٢ و٣٠ و٣١ و٤٠ و٤١ و٩: ٨ و٩ و١٦) . كلمة «ايضا» تفيد عملية متكررة . في هذا تم قول المسيح : « ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» ، وتمت كلمات سمعان عنه : «وُضع لسقوط وقيام كثيرين». وكما ان النور يشقُّ غلاف الليل ، فيفصل بين الخيط الابيض والخيط الاسود كذلك كان كلام المسيح «نورُ العالم». فحدث بسببه «انشقاق» بين اليهود

عدد ٢٠ . *هذيان أبناء الليل* « فقال كثيرون منهم » — وللاسف الاشواك اكثر من الورود . والرخم اكثر من الاسود — « به شيطان وهو

به شيطان وهو يهذي. لماذا تستمعون له. ٢١ آخرون قالوا ليس
هذا كلام من به شيطان. ألعل شيطاناً يقدر

يهذي» . هذا ضرب من هذيانهم حين رأوا السلطة تفر منهم هاربة ولاجئة اليه. واكبر دليل على هذيانهم،خوفهم على الناس منه. وهم يعلمون انه لم يعمل ذنباً. بل ان كل اعماله وأقواله معجزات،وكل معجزاته حسنات. فقالوا: «لماذا تسمعون له ؟» فاذا كان كلامه شراً، فليميزه الناس، وان خيراً فمم يخافون؟ كما ان المسافر في قطار سريع، يتخيل اعمدة التليفون متحركة، كذلك عبّر هؤلاء القوم عن هذيانهم بقولهم عن قدوس الله: «به شيطان». وعن رب الحكمة بقولهم: «يهذي». هذه خطية التجديف على الروح القدس

عدد ٢١. منطق ابناء النور «آخرون قالوا» — عن حكمةٍ ففاهوا بحجتين منطقيتين — اولاهما مستمدة من طبيعة كلامه: «ليس هذا كلام من به شيطان» — والثانية مبنيــة على طبيعة اعماله: «ألعل شـيطاناً يقدر ان يفتح اعين العميان؟» ان الشـيطان قاتل، فلن يجد الاحسان الى قلبــه باباً. هؤلاء هم طليعة رعية المسـيح الحقيقية، وقد خرجوا من الحظيرة اليهودية الضيقة الى حرية مجد اولاد الله

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان في تشبيه المؤمنين بالخراف اوجه شبَه كثيرة، نذكر منها بعضها: (ا) عدم الاذى. (ب) الوداعة. (ج) الضعف. (د) الاحتياج الى راع. (ه) الطاعة. (و) قبول التعليم. (ز) النفع للآخرين

فالمؤمنون هم رعية المسيح وخاصته، للاسباب الآتية: (ا) لمحبته لهم.

ان يفتح أعين العميان . ٢٢ وكان عيد التجديد في اورشليم

(ب) لكونهم عطية الآب له . (ج) لانه افتداهم واشتراهم بموته. (د) لانه اختارهم ودعاهم.(ه) لانه يرعاهم ويحميهم ويكفل لهم الامن والصيانة والاشباع. (و) لكونهم قد اختاروه

ثانياً : **الخطاب الاول ١٠: ٢٢ — ٣١**. والكلام منقسم فيه الى (ا) **مقدمة ١٠: ٢٢ — ٢٤** (ب) **نص الخطاب ١٠: ٢٥ — ٣٠** (ج) **تأثير الخطاب ١٠: ٣١**

عدد ٢٢ . (ا) **مقدمة تاريخية ١٠: ٢٢ — ٢٤** . «وكان عيد التجديد في اورشليم وكان شتاء» . بهذه الكلمات يقدم لنا البشير وصفاً دقيقاً للملابسات الخاصة التي احاطت بهذا الحديث الثاني، من حيث **الزمان** : «عيد التجديد»، **والمكان**: «في اورشليم» ، **والطقس** «وكان شتاء» . اذاً قد توسط شهران بين عددي ٢١ و٢٢ . فأولهما يختتم حديثاً فاه به المسيح بُعيد عيد المظال الذي يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (اكتوبر) . وثانيهما يمهد لحديث نطق به الفادي في عيد التجديد الذي يقع عادة في الخامس والعشرين من شهر كسلو (ديسمبر). هذا العيد الثاني انشأه يهوذا المكابي بعد ان طهّر المذبح من الرجاسات والنجاسات التي ألحقها به انطيوخوس الشهير واعاد الذبيحة . وكان يظل قائماً مدة ثمانية ايام ابتداء من ١٩ ديسمبر في ذلك العام (٢٩ للميلاد). وكان يسمى أيضاً «عيد الانوار» نظراً للانوار البهية التي كانت تضاء بها اورشليم، وكل الاراضي المقدسة آنئذٍ .ومن فرط ابتهاج اليهود بهذا العيد، انهم كانوا يحرمون فيه الصوم والحزن. «ليفرح الشعب فرحاً كاملاً امام الرب»

وكان شتاء. ٢٣ وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان.
٢٤ فاحتاط به اليهود

ومن المؤسف، ان اليهود لم يأخذوا من تلك الانوار البهية الاّ ظلها الكثيف. فلا تجد ما يناسب حالتهم التعسة، من الملابسات الطبيعية المحيطة بهم الا هذا الوصف الدقيق: «وكان شتاء». فلقد كانوا في شتاء حساً ومعنىً فالشتاء يمثل عواطفهم في عواصفه الباردة، لا في ثلوجه الفضية الناصعة (١٣:٣٠)

قضى المسيح تلك المدة التي بين عيد المظال وعيد التجديد، في الجليل، ولما أقبل عيد التجديد، عاد المسيح الى اورشليم ومعه بعض رسله، تاركاً السبعين ليتمموا رسالتهم في البلاد التي ارسلهم اليها. هذا يوافقه ما جاء في سائر البشيرين (مت ١:١٩ ومر ١:١٠ ولوقا ٥١:٩).

عدد ٢٣. *البقعة الخاصة التي كان المسيح موجوداً فيها وقتئذ* «وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان». بسبب زمهرير الشتاء وامطاره، اعتكف المسيح في الهيكل في رواق سليمان. فلا يفوتنا انه انسان تام واله تام

ومما يُروى عن هذا الرواق انه كان قائماً على اعمدة في جهة الهيكل الشرقية، في الساحة المعروفة ب«دار الامم». والمعروف عنه انه من بناء سليمان، وهو كل ما سلم من الخراب، الذي ألحقه بالهيكل، نبوخذنصر عام ٥٨٦ ق. م. وقد شغلت هذه البقعة التاريخية حيزاً في ذاكرة البشير، لانها شهدت حوادث مهمة في تاريخ الكنيسة الاولى (أعمال ١١:٣)

عدد ٢٤. (١) *المناورة العسكرية التي قام بها اليهود*: «فاحتاط به

وقالوا له الى متى تعلّق انفسنا. إن كنت انت المسيح فقل

اليهود » بدلاً من ان يحتاطوا به ، كما تحتاط النجوم بالقمر ، فتكتسب بهاءً وجمالاً ، او كما يحتاط النحل بالزهر فيكتسب منه عصارة شهية ، نراهم وقد قاموا بمناورة وضربوا حوله نطاقاً «عسكرياً» ، فقطعوا عنه كل اتصال بتلاميذه ، محتاطين لخروجه بكل وسيلة . وساعدهم على ذلك ، موقع رواق سليمان بالنسبة للهيكل

(٢) *استجوابهم اياه*: «وقالوا له الى متى تعلق انفسنا» — هذه نغمة المهددين الذين اشهروا سلاحهم عليه مقدمين له فرصة وحيدة لجواب مختصر ، قاطع : نعم او لا ، واضعين أمامه ، الموت والحياة . انهم باستجوابهم اياه في هذه المرة ، قد اعادوا عليه استجوابهم اياه في مرة سابقة (٨:٢٥) ولكن بطريقة تهديدية صارمة . لقد عيل صبرهم ، ولم يبق لهم في قوس الرجاء منزع ، والنير الروماني كان يحزّ رقابهم حز السكين . وقد تعلقت انفسهم طويلاً بأجوبته غير المفهومة تماماً ، وكأني بهم قد وضعوا فأسهم على اصل شجرة حياته الارضية ، وألزموه ان يقول صراحة ما اذا كان هو المسيح المنتظَر ، الذي يحررهم من النير الروماني ، كما حررهم يهوذا المكابي من نير انطيوخوس ابيفانوس ، ام أن يقول انه ليس المسيح ، فينفضّوا من حوله ، اذ يعرفون نهاية امره . ويكاد يكون محققاً ، ان بين هؤلاء ، قوماً كانوا متسلحين بنية سيئة ، آملين ان يفوزوا منه بالجواب : «أنا المسيح» لكي يقتنصوه ، فيقدموه للمحاكمة في قلب هذا النطاق العسكري ، فاه المسيح بجواب غاية في الحكمة

لنا جهراً. ٢٥ أجابهم يسوع اني قلت لكم

وسداد الرأي، وقوة المنطق. ويقع جوابه هـذا في دورين، انتهى أولهما بشروع اليهود في رجمه بالحجارة (١٠: ٢٥ — ٣١) واختتم ثانيهما بمحاولتهم أن يلقوا القبض عليه (١٠: ٣٢ — ٣٩)

عدد ٢٥. (ب) نص الخطاب الاول (١٠: ٢٥ — ٣١) «اجابهم يسوع» ان الاجابة على سؤالهم، على جانب عظيم من الصعوبة. لان العلم بحقيقة المسيح يستلزم معرفة اختبارية، ولا تكفي فيه الاخبار السماعية — هذا من جهة، ومن الجهة الاخرى لانهم يفهمون من كلمة: «المسيح» غير ما تعنيه هذه الكلمة. هم ينتظرون «مسيحاً» سياسياً يرفع عن اعناقهم نير الرومان. وهو في حقيقته مسيح روحي سماوي يهب الحياة لموتى الرجاء، ويمنح الحرية لمن يرسفون في قيود الخطية والآثام. فان قال لهم «انا هو المسيح»، كان بذلك مخالفاً الحق كما يفهمونه هم. وان قال: «لست انا المسيح» كان بذلك مخالفاً الحق كما يقصده الله، وكما فهمه الانبياء. وما قيمة الجواب الذي يقال تحت سيف التهديد، لقوم يريدون ان يتخذوا من جوابه سبباً للوقيعة بينه وبين الهيئة الرومانية الحاكمة، وهو لا يريد ان يستقدم ساعة صلبه ولا يستأخرها؟

أمام هذه الصعاب يمكننا ان نقدر الحكمة الممتازة التي أملت هذا الجواب الواضح، القاطع، الجريء، الذي فيه ابان لهم، بكيفية لا يأتيها الريب من ناحية من نواحيها، انه سبق فعرّفهم بحقيقة شخصه، وأن السبب في عدم ايمانهم، ليس في قلة التصريحات التي بلغتهم منه، بل في عدم ايمانهم به.

ولستم تؤمنون . الاعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي.
٢٦ ولكنكم لستم تؤمنون

فالتصريحات متوفرة، والشهادات لصدقها متواترة ، انما قلوبهم هي المتوترة بعدم الايمان: «لستم تؤمنون»

في هذا الجواب ، قدم لهم المخلص شهادة مثلثة على انه هو المسيح :

(١) *شهادة تصريحاته السابقة* (٨:٢٥) . «اني قلت لكم» — اني أنا المسيح — «ولستم تؤمنون».(٢) *شهادة معجزاته* : «الاعمال التي انا اعملها ... هي تشهد لي» — اني انا المسيح . لقد نبّر المسيح على كلمة : «أنا» ، كما نبّروا هم على كلمة «أنت»، في استجوابهم اياه (عدد ٢٤).ان في استعماله كلمة: «أعمل»، بصيغة الحاضر، بدلاً من الماضي، دليلاً على انه لم يكف عن صنع المعجزات : «أبي يعمل حتى الآن وانا اعمل» . (٣) *شهادة الآب له* : «باسم أبي» لو لم يكن الآب مصادقاً على إن يسوع هو المسيح، لما سمح له باتيان هذه المعجزات باسمه ، لان اسمه الكريم ختمٌ جليل على رسالة المسيح (قابل هذا بما جاء في ٢:٣ و٥:٣٦ و٧:٣١ و ٩: ٣٣ و٣٤ واعمال ٢:٢٢) . كلمة : «باسم أبي» ، معناها : « حال كوني مرسلاً من أبي ، وعاملاً باسمه»

عدد ٢٦ . «*سماية قائمة ـ الذين ليسوا له* «أنتم . . .» : «ولكنكم لستم تؤمنون . . .» . في هذا العدد بيّن لهم المسيح، ان علة عدم اقتبالهم اليه، كائنة في عدم ايمانهم به: «ولكنكم لستم تؤمنون» . وان عدم ايمانهم به ، بيّنة واضحة على انهم ليسوا من خرافه . لان من مميزات خرافه الخاصة انها : (١) تسمع

لانكم لستم من خرافي كما قلت لكم . ٢٧ خرافي تسمع صوتي
وأنا اعرفها فتتبعني . ٢٨ وانا اعطيها حيوة أبدية ولن تهلك
الى الابد ولا يخطفها أحد من يدي .

صوته ، (٢) وتعرفه ، (٣) وتتبعه (عدد ٣ و ٤) . هذا معنى كلمة : «لانكم» . فهي لا تدل على ان كونهم من غير خرافه ، منعهم من الايمان به ، بل ان عدم ايمانهم به ، برهان على انهم ليسوا من خرافه . ان استعمال كلمة «لأن» هنا ، يتفق واستعمالها في لوقا ٧: ٤٧ : «قد غُفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيراً» . فكلمة «لأن» في كلا الموضعين «برهانية» وليست «سببية» . «كما قلت لكم» — الاشارة هنا الى ما تحدث به المسيح اليهم في ١٠: ٣ و ٤ و ٨: ٤٧ ، وقت اجتماعه بهم في عيد المظال . والخطاب في هذا الكلام موجّه الى الذين كانوا حاضرين وقت القائه خطابه السابق في ذلك العيد

عدد ٢٧ و ٢٨ . سحابة نيرة — الذين هم له — «رعيتي . . . وأنا» : «خرافي تسمع صوتي . . .» اذا كنا قد رأينا في جوّ العدد السابق ، سحابة قاتمة مظلمة ، يستتر وراءها الذين لم يؤمنوا بالمسيح . فاننا نرى في جوّ هذين العددين سحابة نيرة تظلل خاصة المسيح التي تؤمن به : «خرافي تسمع صوتي» من الممكن ان نفصّل هذين العددين كما ترى على الصفحة التالية : —

ان استماع الخراف لصوت راعيها يتمشى مع معرفة الراعي لرعيته . وان اتباعها اياه ، يكافأ بمنحه اياها هبة حياة الابد . وان صيانتها من الموت مضمونة بقوته . هذا الوعد الاخير من أقوى الادلة على ثبات المؤمنين في النعمة .

عدد ٢٧ و٢٨ . المسيح ورعيته . من الجائز ان نضع هذين العددين في احد الثلاثة الاوضاع الآتية : —

الوضع الاول: يتألف من ثلاثة حقول: الحقل الاول يتركب من مقطع واحد، والثاني من مقطعين ، والثالث من ثلاثة مقاطع:

(١)

خرافي تسمع صوتي	وانا اعرفها	فتتبعني	وانا اعطيها حياة ابدية	ولن تهلك الى الابد	ولا يخطفها أحد من يدي
(ميزة الخراف)	(ميزة الراعي)	(طاعة الخراف)	(هبات الراعي لرعيته)		

الوضع الثاني : يتألف من حقلين : وكل حقل منهما يتركب من ثلاثة مقاطع :—

(٢)

خرافي تسمع صوتي	وانا اعرفها	فتتبعني	وانا اعطيها حياة ابدية	ولن تهلك الى الابد	ولا يخطفها أحد من يدي
الخراف : مزاياها المثلثة			الراعي : هباته المثلثة لرعيته		
(١) تسمع صوت الراعي	(٢) معروفة منه	(٣) تتبعه	(١) الحياة الابدية	(٢) الصيانة الدائمة	(٣) الحرز الحريز
(١) قابليتها	(٢) عظم قيمتها	(٣) طاقتها	(١) الحياة الايجابية	(٢) المناعة ضد الموت	الحصانة ضد الهجمات

الوضع الثالث : يتألف من ثلاثة حقول : كل حقل منها يتركب من مقطعين ، وكل مقطع منهما متبادل مع سابقه :

(٣)

خرافي تسمع صوتي	وانا اعرفها	فتتبعني	انا اعطيها حياة ابدية	ولن تهلك الى الابد	ولا يخطفها احد من يدي
(١) الخراف	(٢) الراعي	(١) الخراف	(٢) الراعي	(١) الخراف	(٢) الراعي
(١) «هي»	(٢) «انا»	(١) «هي»	(٢) «أنا»	(١) « هي »	(٢) « أنا »
(١) هي تسمع	(٢) أنا اعرف	(١) هي تتبع	(٢) أنا إعطي	(١) هي لن تهلك	(٢) أنا أقوى من المهاجين
معرفة متبادلة		نشاط متبادل		ضمان شامل	
(١٠ : ١ — ٦)		(١٠ : ٧ — ١٠)		(١٠:١١ — ١٨)	

٢٩ أبي الذي اعطاني اياها هو اعظم من الكل ولا يقدر أحد ان
يخطف من يد ابي . ٣٠ أنا والآب

عدد ٢٩ و٣٠ . *الختم الملكي — الضمان المزدوج* : «أبي . . وانا» . اذا كان موضوع الكلام في عدد ٢٦ : «انتم . . . وانا» ، وفي عددي ٢٧ و ٢٨ «رعيتي . . وانا» ، فانه في هذين العددين : «أبي وانا» . هذا هو الضمان الكامل الذي به تُختم هبات المسيح لرعيته . ان كلام المسيح في هذين العددين متصاعد كما على سلم ، حتى بلغ القمة عند قوله : « أنا والآب واحد » . فالكلام في عدد ٢٩ له جانبان — *احدهما ايجابي* «أبي هو اعظم من الكل» — اي من كل القوات المهاجمة لرعيتي — قوة العالم ، والجسد ، والشيطان . *والجانب الثاني سلبي* — وهو نتيجة للجانب الايجابي : « لا يقدر أحد ان يخطف من يد ابي» . ولئلا يتبادر الى ذهن بعض سامعيه ان كلمة «الكل» قد تتسع وتبسط جناحيها ، وتظلل المسيح تحتها ، قرر لهم بطريقة قاطعة ، لا يأتيها الشك من ناحية من نواحيها ، انه : «هو والآب واحد» — فهو واحد معه في : *الجوهر . والقدرة . والارادة* . هذا هو المعنى الذي فهمه اليهود . لذلك ارادوا ان يرجموه . بل هذا هو المعنى الذي ارادهم المسيح ان يفهموه . لانه لم يعتذر عما قال . ولا هو تراجَع في هذا الاعلان . لا بل هذا هو المعنى الذي يريدنا المسيح ان نفهمه الآن . انه هو والآب واحد : *جوهره جوهر الآب . سلطانه سلطان الآب . قدرته قدرة الآب* . وان لم يكن المسيح

واحد. ٣١ فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. ٣٢ اجابهم يسوع

بكماله وينكروا لاهوته، نوجه الخطاب: فاما ان تقولوا صراحة انه مجدف فترجموه. او ان تعترفوا به الهاً فتعبدوه. وان لم تكونوا ضمن عابديه باختياركم، فانتم على رغم ارادتكم من راجميه!

ان حياة المؤمنين مدعمة بأسس اربعة: — أ — كون الله اعطى المسيح اياهم — ب — تحصيل يسوع الحياة الابدية لهم ومنحهم اياها — ج — تعهد الآب والابن معاً بوقايتهم — د — ليس لقوة في العالم ان تُبطل مقاصد الله

عدد ٣١. تأثير خطاب المسيح: «فتناول اليهود أيضاً» — مرة أخرى علاوة على المرة السابقة (٨: ٥٩). — «حجارة ليرجموه» — بسبب كلامه في عدد ٣٠، الذي اعتبروه تجديفاً. لم يكن عملهم في هذه المرة، على سبيل التهديد، بل كانوا يقصدون ما يعملون. لقد كانوا في هذه المرة أشد انتقاماً منهم في المرة السابقة. لان حقدهم استوى ونضج. هذا هو التدرج السفلي الى دركات عدم الايمان — بل هذا هو التدهور الى الهوة التي لا تعرف قراراً

ثالثاً: الخطاب الثاني: (١٠: ٣٢—٣٩). في هذا الخطاب عالج المسيح مسألتين مهمتين: اولاهما — تهمة التجديف التي وجهت اليه (١٠: ٣٢—٣٦) وثانيتهما. نسبته الى الآب (١٠: ٣٧ و٣٨). وفي عدد ٣٩ وصف البشير مبلغ تأثر اليهود من هذا الخطاب الثاني

عدد ٣٢. (أ) المسيح يدفع عن نفسه تهمة التجديف (١٠: ٣٢— ٣٩).

(١) المسيح يستجوبهم (١٠: ٣٢). لم ينسحب المسيح في هذه المرة كما فعل

أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب اي عمل منها ترجموني. ٣٣ اجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف. فانك وانت انسان تجعل نفسك إلهاً.

في المرة السابقة (٨:٥٩)، بل قارعهم بالحجة. فحبس الحجارة في ايديهم، بسؤال منطقي اطفأ به نار حقدهم: «اعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند ابي. بسبب اي عمل منها ترجموني»؟ ان اعمال المسيح حسنة بكمال قداستها، وسلطانها، وفائدتها. وقوله «أريتكم» يدلنا على ان الاعمال الحسنة التي أتاها المسيح، هي عيّنات لأعمال الله المكنونة والمستورة في خبايا علمه الازلي

هذا سؤال لاذع بتأنيبه. جارح بعذوبته ورقته. فهو موجّه الى ضمائرهم. ولكن اين هذه الضمائر وقد عبث بها الحقد وحب الاجرام؟ وهل من برهان أدل على هذا، اكثر من كونهم لا يثورون عليه الا كلما رأوه يعمل خيراً بالانسانية المعذبة؟ فلقد ثاروا عليه بعد ابرائه مريض بركة بيت حسدا (ص٥) و بعد فتحه عيني المولود اعمى (ص ٩). وفيما بعد سنراهم هائجين عليه بعد اقامته لعازر من القبر (ص ١١)!!

عدد ٣٣. (٢) جوابهم المموه «لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف» – هذا هو التكييف القانوني الذي صاغوا فيه عملهم لكي يرضوا به ضمائرهم المشتكية والمحتجة. ان جوابهم هذا واقع في شطرين – اولهما ذُكر على وجه التعميم «لاجل تجديف». والثاني ذكر على سبيل التخصيص والتطبيق: «لانك وانت انسان تجعل نفسك الهاً»

٣٤ اجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت انكم آلهة.
٣٥ إن قال آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله. ولا يمكن
ان يُنقض المكتوب . ٣٦ فالذي قدسه الآب وأرسله الى العالم

عدد ٣٤ ـ ٣٦ . (٣) *احتجاج المسيح المنطقي* «أجابهم يسوع . . » . يقع هذا الاحتجاج المنطقي في حجتين متدرجتين ـ من الادنى الى الاعلى. *الدرجة الاولى* : اذا كان كتابكم الذي بين ايديكم قد قال عن قضاتكم، وهم بشر مثلكم،انهم آلهة(ألوهيم) مز ٨٢: ٦)،ولم تستطيعوا ان تتهموا هذا الكتاب بالتجديف «لانه لا يمكن ان يُنقض المكتوب»، فعلى فرض اني لست سوى بشر كاحد قضاتكم ، وقلت عن نفسي اني إله ، فلماذا تتهمونني أنا بالتجديف مع أني لم اقل الا ما قاله كتابكم المعصوم؟ *الدرجة الثانية* : اذا جاز لكتابكم ان يخلع هذا اللقب الجليل على بشر،لأنهم كانوا يحكمون باسم الله،حال كونهم خطاة، وقد تكون احكامهم خاطئة ـ كما يشهد بذلك العدد الثاني من ذات المزمور ـ فكم بالاحرى يحق لي انا، ان اقول عن نفسي : اني ابن الله، حال كوني انا «الكلمة» الحي المعصوم ، وقد قدّسني الآب وكرسني منذ الازل، لانني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الازلي ، قد اخذت كمال القداسة ، وفي ملء الزمان ارسلني للعالم مخلصاً وفادياً ؟ ؟ !

المراد « بالناموس » ، كلمات الله المكتوبة . وقد أُطلقت عليها كلمة « الناموس » من باب التغليب الذي يجوز فيه ان يسمَّى الكل باسم احد أجزائه . وقد أسند المسيح كلمة : « ناموسكم » الى ضمير المخاطبين ، لا

أتقولون له انك تجدف لاني قلت إني ابن الله . ٣٧ ان كنت لست
اعمل اعمال أبي فلا تؤمنوا بي . ٣٨ ولكن ان كنت أعمل فان لم
تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال

ليخرج نفسه عن دائرة احترامه وتقديسه للناموس، بل لكي يتخذ من كتابهم سهماً يرد به مجمابهم . (اطلب تفسير هذه الكلمة في ١٧:٨).

كلمة « قدّسه» معناها الحقيقي كرّسه ومسحه لاجل الفداء

عدد ٣٧ و ٣٨ . (١) *المسيح يدعوهم الى الايمان به* قال « ان كنت لست . . » . لم يكتفِ المسيح بأن دفع عن نفسه تهمة التجديف . بل تقدم فقرر لهم حقيقة لاهوته بطريقة قاطعة . ولم يقنع بان وقف منهم موقف المدافع ، كأنه لم يقل شيئاً لا شراً ولا خيراً، بل واجههم مهاجماً اياهم هجوماً لطيفاً، ودعاهم الى ان «يعرفوا و يؤمنوا ان الآب فيه وانه هو في الآب»

لقد صرح لهم الفادي في عدد ٣٧، انه وان تسامح معهم في عدم تصديقهم شهادة كلامه لحقيقة الوهيته، فانه لن يتسامح معهم في عدم ايمانهم به، بسبب شهادة أعماله . فصوت الاعمال أعلى من صوت الكلام . واذا كان كل عمل مطبوعاً بطابع الشخصية التي تعمله . فان الاعمال التي أتاها المسيح مطبوعة بطابع شخصية الآب . واذاً فالآب في المسيح . والمسيح فيه . فان لم تكن لهم آذان لتسمع كلامه ، فان لهم عيوناً لترى اعماله ، وتميز الطابع المطبوعة به

« *آمنوا . . تعرفوا . . تؤمنوا* . . » — هنا درجتان في الايمان تتوسط بينهما المعرفة — أ — « آمنوا » — هذه هي الدرجة الابتدائية في الحياة المسيحية.

لكي تعرفوا وتؤمنوا ان الآب فيّ وانا فيه . ٣٩ فطلبوا أيضاً ان
يمسكوه فخرج من ايديهم .

ايمان التصديق والطاعة . هذا الايمان يسبق المعرفة ، كما قال المسيح لاحد تلاميذه الاولين «تعال وانظر » (يو ١: ٤٦)، وكما قال لليهود في عيد المظال «ان شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم» (١٧:٧) - ب - «تعرفوا..» هذه هي اولى ثمرات شجرة المسيحية الجديدة - شجرة معرفة الخير الاعظم . اذا كان الانسان الاول قد سقط بأكله من شجرة معرفة الخير والشر ، فان الانسان الجديد يتجدد حسب صورة خالقه باكله من شجرة معرفة الخير الذي لا يدنو منه شر - ج - « وتؤمنوا . . » هذه درجة أرقى في سلّم الايمان - ايمان التمييز والتحقق . اننا نصدق أولاً . ثم نعرف . ثم نميز ونتحقق فيما بعد «ان الآب فيّ وانا فيه » - ما اشبه هذا الكلام بقوله «أنا والآب واحد» (عدد ٣٠) . هذا افصاح عن الاتحاد الكلي ، والمساواة ، بينه وبين الآب

عدد ٣٩ . وقع هذا الخطاب الثاني : «فطلبوا ايضاً» — مرة أخرى— «أن يمسكوه»، ولعلهم عدلوا عن رجمه بالاحجار في الهيكل، حرصاً على حرمة الهيكل الرسمية ، فطلبوا ان يمسكوه ليقتلوه في مكان آخر ، او لكي يقدموه للمحاكمة امام السنهدريم ، بحجة انهم وجدوه متلبساً بجريمة التجديف . انهم يقدسون الهيكل المبني بالاحجار ، ولا يخافون الاعتداء على رب الهيكل ! !

« فخرج من ايديهم » . ليس من الضروري ان يكون هذا الخروج بمعجزة ، ولعله كان كخروج سابق (٨: ٥٩ ولو ٤: ٣٠)

٤٠ ومضى أيضاً الى عبر الاردن الى المكان الذي كان يوحنا يعمّد فيه أولاً ومكث هناك.

عدد ٤٠-٤٢. *خاتمة تاريخية*. «ومضى أيضاً» - علاوة على المرة المذكورة في ١:٢٨ — «الى عبر الاردن». أمام هذه المقاومة التي اتخذت الآن شكلاً عنيفاً، ما كان من الممكن ان يظل المسيح في اورشليم من غير ان تثور ثائرة اليهود عليه، فيقدموه للصلب، ولما تأتِ ساعته بعد. لذلك انتهز فرصة انقضاء عيد التجديد، وترك العاصمة اليهودية، قاصداً بيرية «الى عبر الاردن، الى المكان الذي كان يوحنا يعمّد فيه أولاً ومكث هناك». ولا شك في ان زيارة المسيح وتلاميذه لهذا المكان التاريخي، قد ملأت نفوسهم بالتذكارات العميقة المقدسة. هذا هو المكان الذي وجد فيه المسيح تلاميذه الاولين. وفيه تفتحت عيونهم الى «نور الحياة» لأول مرة. ومن الملذ ان يعود المسيح، عند اختتام خدمته الى المكان الذي شهد بدايتها. هنا، في هذا المكان، خدَم الرجلُ الذي عمّـد المسيح. وألقى على تلاميذه ألف باء المسيحية. هنا عاش الرجل الذي لم يَخف احداً الا الله فكانت الناس تخشاه. هنا أقام اعظم المولودين من النساء بعد المسيح. هنا رنّ صوت الحق الصارخ، الذي أُخفِت في ظلمات السجن بعد حين. هنا نزل الروح القدس بهيئة جسمية على المسيح

كلمة: «اولاً»، تحمل مقارنة بين المكان الذي خدم فيـه يوحنا في ١: ٢٨، وذاك الذي خدم فيه في ٣:٢٣. كان المسيح قُبيل خدمته الجهارية في هذا المكان. وقبيل صليبه عاد اليه حيث كان أولاً

٤١ فأتى اليه كثيرون وقالوا ان يوحنا لم يفعل آية واحدة . ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً . ٤٢ فآمن كثيرون به هناك .

عدد ٤١. *ايمان الكثيرين به* : «فأتى اليه كثيرون». فرق عظيم بين جمود اهل اليهودية وجحودهم، و بين ايمان اهل بيرية المبني على الفحص والاستقراء انهم بايمانهم هذا اضافوا تهمة جديدة الى قائمة الاتهام التي لصقت باليهود

يتضمن ايضاً هـذا العدد التاريخي ، مقارنة مزدوجة بين المعمدان و بين المسيح . *جانبها الاول* : ان المعمدان لم يفعل آية واحدة — بشهادة اهل تلك البقعة ، وان المسيح عمل معجزات كثيرة . *جانبها الثاني* : ان يوحنا لم يكن هو الشخص الذي يحقق انتظارهم لكن يسوع هو المسيح المنتظر الذي قد تحققوا فيه كل ما قال فيه المعمدان : «كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً»

« ان يوحنا لم يفعل أية واحدة . ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً». اذاً لم تكن قوة يوحنا في عمل المعجزات، بل في الشهادة بالحق وللحق. أوَ ليست الشهادة بالحق، من اسمى المعجزات في عالم هو البُطل مجسماً

غير انه اذا كان عصر المعجزات قد مضى وانقضى،فان عصر الشهادة للحق لم ينقضِ ، ولن ينقضي . وان في ميدان الشهادة للحق متسعاً للجميع

عدد ٤٢ . *ختام جميل* « فآمن كثيرون به » — ايماناً قلبياً عملياً — «هناك» — في عبر الاردن — لا في اورشليم . هـذه طعنة نجلاء في قلب اورشليم ! !

الاصحاح الحادي عشر

المعجزة السابعة

اقامة لعازر — أو المسيح رب الحياة

في هذا الاصحاح وفي الاصحاح الذي يليه ، يمتدّ أمامنا بستانٌ منزرع على أكمةٍ مرتفعة ، تشبعّت ثماره بحرارة الشمس ، ونضجت . فما كان منها صالحاً اكتسب صلاحاً فوق صلاح ، وما كان منها مريراً ، ازداد مرارةً على مرارة. في هذا البستان الجليل نرى ثمرة الايمان وقد نضجت . فأضحت دانية القطوف (١١:١٥و٤٥) ، وثمرة عدم الايمان وقد بلغت اشدّها من النموّ ، فأمست «قريبةً من اللعنة التي نهايتها للحريق» (١١:٤٦ — ٥٣)

من كل معجزة عملها المسيح في الماضي، استجمع اليهود «بارودآ» ضموه الى مستودع الذخائر الملتهبة، المختزنة في قلوبهم ضدّ المسيح. فكانت المعجزة الاخيرة — اقامة لعازر — اشبه الاشياء بشرارة نار، ألهبت الذخائر المفرقعة فاندلعت نيران الحقد والغيظ في صدورهم، فنمّت عن الحفيظة الكامنة فيهم، وفضحت حقيقة نواياهم (١١:٥٣)

بين هذا الاصحاح و بين سابقه ، وقعت الحوادث المدوّنة في لوقا ١١:١ — ١٧:١٠ . اما معجزة هذا الاصحاح ، وما ترتب عليها من نتائج ، فيقع ترتيبها ما بين العدد العاشر والعدد الحادي عشر من لوقا ١٧

هذا الاصحاح ، لؤلؤة درية في عقد هـذه البشارة . فيه امتزج الجلال.

بالبساطة ، واقترن الحنان بالمهابة ، وتجلى ناسوت المسيح ، جنباً الى جنب مع لاهوته . فيه نرى دموع المسيح الانسان ، وقدرة المسيح الاله

اما المعجزة التي تشعُّ بها صفحات هـذا الاصحاح ، فهي تاج معجزات المسيح ، اذا استثنيا معجزة قيامته هو من بين الاموات . بل هي الدرة اليتيمة في تاج المعجزات. لا ينتقص من قيمتها، كون يوحنا البشير قد انفرد بتسجيلها . فهي معجزة المسيح المحبّ ، وقد أجراها في لعازر الحبيب ، فكان من الطبيعي ان يختص بذكرها يوحنا الحبيب ، الذي كان اقرب التلاميذ الى قلب المسيح . (يوحنا ١٣:٢٣) . وفوق ذلك ، فان سائر البشيرين قد اختصوا بالمعجزات التي أجراها المسيح في الجليل ، وفقاً لوجهة نظر كل منهم في كتابة بشارته . مع العلم انه لا هـذا البشير ولا ذاك ، ولا كلهم مجتمعين معاً ، قد دوّنوا كل معجزات الفادي (مت ١١:٥ و يوحنا ٢١:٢٥)

هذه معجزة عظيمة في سجلّها. لان البشير كتب فيها بافاضة لا عهد لنا بها من قبل . وهي عظيمة بعدد الادلة المؤيدة لصحتها ، فالمكان الذي تمّت فيه ، وزمانها ، وظروفها ، وملابساتها ، والشخصيات البارزة فيها ، والاسلوب البسيط الذي كُتبت به ، والعواطف الطبيعية التي تجلت فيها ، واعتراف اعداء المسيح بصحتها، كل هذه شهادات صريحة، متجمعة، صارخة بان هذه المعجزة حدثت حقاً . واذا لم تكن هذه المعجزة حقيقية ، فليس في كل التاريخ شيء حقيقيّ . لأن صعوبة انكارها اعظم بكثير من صعوبة تصديقها . وان القوة اللازمة لتفنيدها ، اكبر من القوة اللازمة لتأييدها . وهي عظيمة أيضاً بنتيجتها الخطيرة

فهي الخطوة التمهيدية التي خطاها المسيح الى الصليب ! وربما قصد المسيح ان يقيم من هذه المعجزة نبوة لقيامته هو.

اذا ألقينا نظرة عامة على المعجزات السبع التي كتبت في هـذه البشارة (١:٢ و٤: ٦ و٥: ١ و٦: ٥ و١٩:٦ و٩: ١ و١١: ١) تبيَّن لنا ان هـذه السبع المعجزات، شبيهة بسبع حلقات مكونة لسلسلة واحدة، يلتقي طرفاها معاً، ويتصلان بل يتحدان في نقط عدة. فالمعجزة الاولى، والمعجزة الاخيرة، اجريتا في دائرة الحياة العائلية، وفي بيئة تربطها بالمسيح صلة الصداقة والتفاهم. وكان قصد المسيح في كلتيهما: اظهار مجده (٢: ١١ و١١: ٤٠). وتقوية ايمان تابعيه (٢: ١١ و١١: ١٥). وفي كلتيهما حدث تأجيـل في موعد اتمـامهما عن الوقت الذي ظنـه البشر ملائماً (٢: ٤ و١١: ٦). وكلتاهما أُنجزت في الوقت الذي رآه المسيح موافقاً (٢: ٧ و١١: ١١). والطلب في كلتيهما أتى الى المسيح من شخص تربطه به صلة قوية (٢: ٣ و١١: ٣). وكلتاهما ذات صلة بالحياة. فالأولى أُنجزت لتغذية بهجة الحياة، وقد نضب معينها (٢: ٣). والأخيرة أُجريت لاعادة الحياة وقد انطفأ سراجها (١١: ١٤). وكلتاهما تمَّت في ظرف كانت فيه العواطف البشرية ثائرة — إما لفرط السرور في عُرس (٢: ١) او لعمق الألم في مأتم (١١: ٣٣)

هذه معجزة جليلة بدقائق الامور التي ذُكرت فيها، وبالتفصيلات التي حُذفت منها. فمن الامور الدقيقة التي رُويت فيها: صلة المسيح بالعائلة المنكوبة (عدد ٦)، وتأجيله الذهاب الى بيت عنيا يومين، (عدد ٦)، وتعيين موقع بيت عنيا بالضبط (عدد ١٨)، ووجود اليهود (عدد ١٩)، والرسالة الخفية

(عدد ٢٨) . واللقب العام الذي كان يُلقّب به المسيح (عدد ٢٨) ، وتمهل المسيح (عدد ٣٠) ، وخروج اليهود مع مريم (عدد ٣٠) ، ومشاركتهم اياها في البكاء (عدد ٣٣) ، وسجود مريم (عدد ٣٢) ، والافاضة في وصف شعور المسيح الانساني (عدد ٣٣و٣٥و ٣٨) ، ومنظر لعازر خارجاً تواً من القبر (عدد ٤٤) . كل هذه أدلة صريحة ، على ان الكاتب شاهد عيان

ومن الامور التي تحاشى الكاتب ذكرها لحكمة جليلة: عودة الرسول (عدد ٤) ، والرسالة التي بعث بها المسيح الى مريم (عدد ٢٨) ، والترحيب بالحبيب المقام من الاموات (عدد ٤٤) ، مما يدل على ان يداً رفيعة كانت تسوق قلم الكاتب لحفظته من الاختصار المخلّ والاسراف المملّ

في هذه المعجزة ، تجتمع الثلاثة العناصر المكونة للحياة الفضلى : «المحبة» «والنور» ، «والحياة» . فكأنها أبراج ثلاثة تقسم منطقة هذه المعجزة الى ثلاثة حقول : المحبة (١١: ١—٦) ، النور (٧—١٦) . الحياة (١٧—٤٦)

ويجوز ان ننظر الى هذا الاصحاح ، فنراه مصطبغاً كله بصبغة واحدة — هي صبغة المحبة ذات السبعة الألوان : (١) انتظارات المحبة (١١: ١—٣) (٢) تأجيلات المحبة (١١: ٤—٧) . (٣) الممتنات المحبة (١١: ٨—١٠) (٤) تعب المحبة (١١: ١١—١٦) . (٥) عواطف المحبة (١١: ١٧—٣٧) . (٦) انتصارات المحبة (١١: ٣٨—٤٤) . (٧) ضحية المحبة (١١: ٤٥—٥٧)

وفي درسنا هذا الاصحاح ، نلاحظ ان النقطة المركزية فيه ، هي هذه المعجزة . وانه على هذا الاعتبار يقسم نفسه الى خمسة اقسام رئيسية: أولاً — ديباجة المعجزة (١١: ١—١٦) . ثانياً . المشهد في بيت عنيا : (١١: ١٧—٣٧) . ثالثاً : قلب

١ وكان إنسان مريضاً وهو لعازر من

المعجزة: (١١:٣٨—٤٤). رابعاً: الاثر الذي تركته المعجزة (١١:٤٥—٥٣). خامساً: خاتمة تاريخية (١١:٥٤—٥٧)

اولاً: ديباجة المعجزة (١١:١—١٦).وهذه تتضمن: (أ) توطئة (١١: ١و٢).(ب) رسالة الاختين (١١:٣).(ج) المسيح يؤجل اجابة رسالتهما الى حين (١١:٤—٦).(د) المسيح يجيب رسالتهما في وقته الخاص (١١:٧—١٦)

عدد ١. (أ) توطئة (١١:١ و٢). القصد من هذه التوطئة وصف الظروف الخارجية والداخلية التي اكتنفت المعجزة. في العدد الاول، نجد وصفاً مثلثاً للانسان الذي أجريت فيه المعجزة. وفي العدد الثاني نرى الصلة التي كانت تربط عائلة هذا الانسان بالمسيح. في عدد ١، يصف البشير هذا الانسان في: (١) حالته: «مريضاً». مع ان المرض في حدّ ذاته من البلايا التي تحيق بالانسان، لكنه متى تقدّس بيد الله، أضحى مصدر بركات عدّة (٢) اسمه: «لعازر»: هذا الاسم، مقتضب من الاسم «اليعازار» ومعناه: «الهي يسند ويعضد». وهو غير لعازر الذي ورد اسمه في لوقا ١٦:٢٠. (٣) بلده: «من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا». تكررت كلمة: «من»، مرتين في هذه الجملة، لتفيد ان العبارة الثانية: «من قرية مريم ومرثا» توضيحية للأولى: «من بيت عنيا». أي ان «بيت عنيا» هي بعينها قرية مريم ومرثا اختها. ويقول جودي وآخرون من المفسرين: ان «من» الاولى تصف مسكن لعازر، الذي كان يعيش فيه. و «من» الثانية، تعيّن موطنه الذي اليه

بيت عنيا من قرية مريم ومرثا اختها .

ينتسب. اي انه من بيت عنيا وطناً وسكناً (عدد ١٨). « بيت عنيا » — ومعناها بيت البؤس او النحس، وقد صارت في هذه المعجزة بيت الظفر والفرح — هي قرية، الى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون، على بُعد ميلين تقريباً من مدينة اورشليم، وتدعى الآن : «العازرية» — نسبة الى لعازر — وهي قرية صغيرة مبنية على اكمة صخرية عسرة المسالك. وقد شهدت هذه القرية الصغيرة حوادث جساماً في حياة الفادي سيما في ايامه الاخيرة (مت٢١: ١٧ و ٢٦:٦ ومر ١١:١١ و١٢ و١٤ و يو ١٢:١). ويزعم بعضهم ان بقايا بيت لعازر لا تزال موجودة الى يومنا الحاضر، واما قبره فمنحوت في الصخر وله مدخل، علوه ثلاثة اقدام ونصف، وعرضه قدمان، وفيه سبع وعشرون درجة، تنتهي الى غرفة مساحتها تسعة أقدام مربعة، وداخلها اربعة نواويس. «مريم ومرثا» : ذكر البشير هاتين الاختين، من غير مقدمة ولا تمهيد، اعتقاداً منه، انهما كانتا معروفتين لدى قارئي بشارته، مما كتبه عنهما لوقا البشير (لوقا ١٠:٣٨—٤٢). وجدير بالذكر، ان التصرفات المنسوبة الى كلّ من هاتين الاختين، تتفق تماماً وما نعلمه عن طبع كل منهما في بشارة لوقا. والظاهر ان مرثا كانت اكبر من اختها سناً، واكثر منها نشاطاً. وأن مريم كانت أقوى من اختها شخصية، واكثر منها ورعاً ورزانة، وأوسع شهرةً. وقد ذُكر اسم « مريم »، مقدماً على اسم « مرثا » في هذا العدد، تمهيداً لذكر العمل الممتاز الذي قامت به دون اختها (عدد ٢)

٢ وكانت مريم التي كان لعازر اخوها مريضاً هي التي دهنت الرب
بطيب ومسحت رجليه بشعرها. ٣ فارسلت الاختان اليه قائلتين

عدد ٢. الخدمة الممتازة التي اشتهرت بها هذه العائلة: «وكانت مريم..» يفترض البشير في هذا العدد ان الخدمة التكريسية التي قامت بها مريم للمسيح كانت معروفةً لدى جمهور قارئيه، مع انه لم يكن قد حدثهم عنها بعد (١٢: ٣و٤)، لان خبرها كان قد ذاع، وشاع، وملأ الاسماع. «وكانت مريم... هي التي..» — هذه جملة تفسيرية، كتبها يوحنا كعادته، تمييزاً لشخصية مريم. لان هـذا العمل الجليل لازَم اسمها في أدوار التاريخ. فهي غير مريم زوجة كلوبا، وغير مريم المجدلية. «دهنت الرب بطيب» — في الغالب دُهن الرب بطيب ثلاثة مرات (*). المرة الاولى: في بيت سمعان الفريسي، في الجليـل، في بدء خدمة المسيح (لوقا ٧: ٣٧ و٣٨). والثانية: في بيت لعازر ومريم ومرثا، قبل الصلب بستة ايام (يوحنا ١٢: ٣و٤): والثالثة: في بيت عنيا ايضاً، في منزل سمعان الابرص، قبل الصلب بيومين (مر ١١: ١١—١٤)

عدد ٣. رسالة الاختين الى المسيح: «فأرسلت الاختان اليـه قائلتين

(*) يعتقد هنجستنبرج — على غير اساس متين — ان سمعان الابرص هو سمعان الفريسي، وان مريم هذه هي «الخاطئة» التي ورد ذكرها في لوقا ٧، وانها هي بذاتها مريم المجدلية التي اتخذت مجدل مسرحاً لحياتها غير النزيهة. وانها في آخر ايامها تابت ورجعت الى الله، وان اختها مرثا كانت زوجة سمعان الابرص، وكان يعيش معها في هذا البيت، اخوها لعازر واختها مرثا !!؟

يا سيد هوذا الذي تحبه مريض

يا سيد هوذا الذي تحبه مريض»: هذه الرسالة البليغة الموجزة، هي المثل الأعلى للصلاة الحقيقية في مثل هذا الظرف، فهي تنمّ عن (١) رجاء وطيد — هذا واضح من حرف «الفاء» الذي به يبتدىء المثل، وايضاً من قولها: «هوذا الذي تحبه». (٢) احترام شديد: «يا سيد». فمع انه كان معروفاً بـ «المعلم»، الا انه قدرته كصانع معجزات جعلتهما يوجهان اليه الخطاب بقولهما: «يا سيد» (٣) خبر خطير: «هوذا الذي تحبه مريض» هذا كل ماتضمنته رسالتهما — مجرد التبليغ عن مرض اخيهما (٢ مل ١٩:١٤). (٤) الطمأنينة أكبر — هذا ظاهر من صمتهما، فلم تزيدا على خبر مرض اخيهما كلمة، بل تركتا الامر للمسيح

وهكذا فلتكن الصلاة مصحوبة بتسليم تام. يا ترى هل كانت الاختان عالمتين بالخطر الذي كان رابضاً للمسيح في اورشليم؟ (٥) حجة بليغة: «هوذا الذي تحبه» — هذه ابلغ حجة يتقدم بها المصلي. وخليق بنا ان نذكر ان حبّ المسيح لنا، لا يمنع عنا الامراض والبلايا، التي هي ميراث طبيعيّ مشترك لجميع بني البشر. ولا تمنع عن عيوننا سحّ الدموع

ان الكلمة التي عبّرت بها الاختان عن حب المسيح لاخيهما في عدد ٣، هي غير الكلمة التي عبر بها يوحنا عن هذه المحبة عينها في عدد ٥. فالكلمة التي استعملتها الاختان، تشير الى الشعور الشخصي الناشيء عن العاطفة الطبيعية. والكلمة التي استعملها يوحنا البشير، تصف الشعور الناتج عن المعرفة الاختبارية. الكلمة الاولى تصف محبةً هي وليدة العاطفة، والكلمة الثانية تصف محبة هي

٤ فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت

وليدة حكم العقل والارادة . الكلمة الاولى تفيض بروح الحنان ، والكلمة الثانية مشبعة بروح السموّ والرفعة

جميل انهما لم تتوسلا الى المسيح بمحبة اخيهما له، بل بمحبته هو لاخيهما

(ج) المسيح يؤجل اجابة رسالتهما الى حين (١١:٤—٦) . تتضمّن هذه الاعداد : (١) اعلاناً مجيداً فاه به المسيح عن غاية هذا المرض (عدد ٤) . (٢) عبارة تفسيرية من قلم البشير (عدد ٥)، (٣) تأجيلاً مقصوداً (عدد ٦)

عدد ٤ . (١) اعلاناً مجيداً ، فاه به المسيح عن غاية هذا المرض : «فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت » . ان في هذا الاعلان الجليل ، اجابة ضمنية لرسالة الاختين ، وتهدءة لروعهما وسط عاصفة المرض ، وتحريضاً لهما على ان تتسلحا برجاء حيّ، توقعاً لعمل جليل آتٍ، سيما وان الرسالة بلغت المسيح في وقت كان فيه المريض قد مات ودُفن [1] (عدد ١٧و ٣٩) . هذه بيّنة واضحة على ثقة المسيح بنفسه، فهو يعلم ما سيأتيه من اعمال في المستقبل، علمَه بما يعمله في الحاضر، وبما اتاه في الماضي . ولا يفوتنا ان نذكر الدرس الذي تلقاه التلاميذ من هذا الاعلان ، لان المسيح فاه به على مسمع منهم

ان لهذا الاعلان الجليل جانبين — الجانب الاول : سلبي : « هذا المرض ليس للموت » — أي ان النصرة النهائية في هذا المرض ، ليست للموت بل للحياة، وفعلاً قد كسبت الحياة هذه المعركة الفاصلة بقيامة لعازر من

(١) استيضاحاً لهذا ، اطلب شرح عدد ٦

بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به . ٥ وكان يسوع

الاموات. ومن الجائز ان تطلق هذه العبارة، من قبيل التطبيق، على مرض كل قدّيس — وان مات بسببه — لان الموت، وان انتصر في امراض القديسين، فالى حين . الجانب الثانى: ايجابى : « بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » (٩: ٣). يراد بـ «مجد الله»، جلاله الذي يتألق ويُنشر في قلوب البشر، نتيجة ظهور كمال قداسته، وجلال رحمته، واقتدار قوته، في انتصار الحياة على الموت . فكأن هذا المرض لوحة سوداء تظهر عليها الكتابة البيضاء . او كظلام الليل الدامس، يتجلى على صفحته، جلال النجوم وجمالها. كلمة: «لاجل» كما وردت في الاصل ، تفيد ان مرض لعازر، كان اداة إظهار مجد الله . اما الغاية النهائية التي قصدها الله، بهذا المرض، و بالموت الذي عقبه، و بالقيامة التي توّجتهما فهي: « ليتمجد ابن الله به » . وربما خير تفسير لهاتين العبارتين : «لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به »» ، هو كلام المسيح ، الوارد في عددي ٤٠ و٤٢

ان في قوله : « ليتمجد ابن الله به » اشارة صريحة الى المجد الذي يعود على المسيح ، لا من اقامته لعازر ، وكفى ، بل من آلامه ، وصليبه ، وقيامته، التي كانت نتيجة لازمة لقيامة لعازر ، التي أيقظت الحسد ، والحقد ، والضغينة ، الكامنة في قلوب اليهود (قابل هذا بما جاء في ١٢: ٢٣و١٣: ٣١) . ان تمجيد الله يقوم بتمجيد المسيح ، وان تمجيد المسيح يقوم بالايمان به ، وان الايمان بالمسيح يقوم بتوجيه القلب الى آلامه ، وصليبه ، وقيامته

عدد ٥. جملة تفسيرية : « وكان يسوع يحبّ مرثا واختها ولعازر ». ذكر

يحب مرثا وأختها ولعازر . ٦ فلما سمع انه مريض

البشير هذه الكلمات، تمهيداً وتعليلاً لما سيوضحه في عدد ٦ — اي ان تأجيل المسيح اجابة طلب الاختين، لم يكن ناشئاً عن فتور، ولا عن عدم اكتراث، بل عن المحبة الصادقة. و يعتقد جودي ، ان ما جاء في هذا العدد (عدد ٥) ، يُعدّ تعليلاً لتصرُّف المسيح الموصوف في عدد ٦، لا ذاك الموصوف في عدد ٧ . اي ان محبة المسيح لهذه العائلة ، حملته على ان يلبي نداء الاختين ، فيخاطر بحياته ويذهب الى اليهودية (عدد ٧) ، مع انه أجَّل اجابة طلبهما الى حين . والظاهر من حرف «الفاء» الذي به يُستهل العدد السادس ، ان الرأي الاول، اقرب الى روح الحادثة، ولو ان شقة الخلاف بين الرأيين ليست متسعة

ان الكلمة التي يستعملها البشير لوصف محبة المسيح للعائلة ، تختلف — في الاصل — عن الكلمة التي استعملتها الاختان (عدد٣).(راجع شرح عدد٣)

في هذا العدد قدّم البشير اسم مرثا على اسم مريم ، لان الاولى كانت اكبر سناً من اختها على ما يظهر ، ولأن السبب الذي لاجله قُدّم اسم مريم على اسم مرثا في عدد ١، هو عمل مريم الممتاز المذكور في عدد ٢

عدد ٦ . **تأجيل مقصود** : « فلما سمع انه مريض مكث حينئذ . . . يومين » . لم يكن هذا التأجيل ناشئاً عن عدم مبالاة المسيح بمرض لعازر ، ولا صدر عنه عفواً ، بل جاء تنفيذاً لقصد معيّن، تنبئنا عنه كلمة : «حينئذ» . و يعتقد بعض المفسرين ان المسيح أجّل ذهابه الى بيت عنيا انتظاراً لمعجزة

مكث حينئذ في الموضع

أعظم . فلو ذهب توًّا الى بيت عنيا لشفى مريضاً ، لـكنه ارجأ سفره حتى يموت المريض ، وفيما بعد ، يذهب ليقيم ميتاً . الا ان هذا الرأي — على رغم ما فيه من جمال — لا يستند الى اساس متين . لان لعازر كان قد مات حين جاء الرسول الى المسيح. اذ أن بيت عنيا تبعد عن اريحا مسيرة ست ساعات. والمسافة بين اريحا وعبر الاردن — حيث كان المسيح (في بيت عنيا الثانية) — يقطعها المسافر في ساعتين . اذاً يكون حامل الرسالة قد ظل مسافراً نهار اليوم الأول . واذا اضفنا اليه اليومين اللذين مكثهما المسيح في بيريَّة ، بعد ان قابله حامل الرسالة (عدد ٦) ، ويوماً آخر قضاه المسيح في السفر من بيرية الى بيت عنيا ، اتضح لنا ان ما حدث مذ أن خرج رسول الاختين من عند المريض حتى وصل المسيحُ الى قبر الميت ، يستغرق أربعة ايام — وهي المدَّة التي كان لعازر قد قضاها في القبر حين جاء المسيح (عدد ١٧ و ٣٩) . فيكون لعازر قد مات قبيل خروج الرسول من بيت عنيا ، ودُفن [١] قبيل بلوغ الرسالة الى المسيح . ويعتقد آخرون ، ان المسيح بقي يومين في بيرية ، لكي يتمم عمله في تلك الجهة، سيما لانه سيتركها في هذه المرة نهائياً متجهاً الى الصليب . ويقول اصحاب هذا الرأي : ان كلمة « حينئذ » انما ذكرت لمجرد سرد حقائق تاريخية . على ان قصد المسيح بهذا التأجيل . يتبيَّن لنا من مقابلة ما جاء في ٢:٣—٥ و٧:٣—١٠ بما جاء في هذه الحادثة التي نحن بصددها. فالطلب

(١) بهذا قضت عادات اليهود ، ان يدفنوا الميت في يوم وفاته من غير ابطاء

الذي كان فيه

في كلّ من هذه الثلاث الحوادث ، قُدّم للمسيح من أشخاص تربطهم به صلة خاصة. وفي كل من الثلاث الحوادث استُخدمت العاطفة الطبيعية — سواء أكانت عاطفة الامومة (٢:٣) ، ام عاطفة الاخوّة (٧:٣و٦) ، ام عاطفة الصداقة (١١:٥) ، لحمل المسيح على ان يأتي أمراً قبل وقته الذي عينه الآب. وفي كل من هذه الثلاث الحوادث رفض المسيحُ الطلب — الى حين — حتى تدقّ الساعة التي جعلها الآب في سلطانه (٢:٨و٧:١٠و١١:٧)، لانه وان كان المسيح يحترم كل صلة طبيعية ، الا ان صلةً قوية ، روحية ، باطنية ، كانت تربطه بمن هو اعظم من الكل — الآب ، لذلك قد صمّ اذنيه عن اصوات الصِلات الطبيعية ، لان صوت هذه الصلة الروحية كان أعلى . وفي اعتقادنا ان انتظار المسيح يومين ، بعد ان اخبره الرسول بمرض حبيبه لعازر ، و بعد أن علم هو من ذاته بموت هذا الحبيب ، يستلزم قوة أكبر من القوة اللازمة للذهاب عاجلاً الى بيت عنيا . لان من يقوى على مثل هذا الانتظار ، لا بُدّ وان يكون واثقاً من نفسه ، مطمئناً الى سلطانه المطلق على الحياة والموت، مسلماً تمام التسليم لارادة الآب — مما يدل على انه اله تام وانسان تام . هذه احدى المرات التي يُرى فيها المسيح كأنه نائم على وسادة في سفينة الحياة ، وتلاميذه واقعون فريسة لعواصف الفزع ، والقلق !

قد رسم الآب في برنامجه الازلي ، ان لا يذهب المسيح الى بيت عنيا ، الا بعد ان يكون الميت قد أنتن ليقطع السبل على الذين ادّعوا فيما بعد ، ان

يومين . ٧ ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضاً .

لعازر لم يكن ميتاً ، بل كان مغشياً عليه ؟ ! لذلك كان خايفاً بهذه المعجزة ان تكون خاتمة معجزات المسيح ، لان حجتها اقوى من الحجة الناطقة بها معجزتا اقامة ابنة يايرس (لو ٨:٤٩—٥٥) ، واقامة ابن ارملة نايين (لو ٧:١١—١٧) لان ابنة يايرس كانت ميتة ولم تكفّن بعد ، وابن ارملة نايين كان مكفناً، ولم يكن قد دُفن بعد، واما لعازر فكان قد مات ، وكفّن، ودفن ، وانتن . لذلك حاول اليهود ان يقتلوه ليهدموا الحجة التي اقامتها قيامته، ولما عجزوا عن قتل القام، صلبوا من اقامه . وما كانوا يستطيعون ذلك ، لولا انه هو أراد (١٠:١٨)

عدد ٧ . (د) *المسيح يجيب رسالة الاختين في وقته الخاص* (١١:٧—١٦). تتضمن هـذه الاعداد حواراً طريفاً بين المسيح وتلاميذه ، ما اشبهه بكنانة ذات سبعة سهام :

(١) *السهم الاول—عزيمة المسيح — او اقدام المحبة المتجسدة* : «ثم بعد ذلك» —اي بعد انتظاره يومين في بيرية، حتى جاءت ساعته— «قال لتلاميذه: لنذهب الى اليهودية» — ولم يقل لهم لنذهب الى بيت عنيا ، لكي ينبه اذهانهم للخطر الذي ينتظره واياهم ، فتثور في نفوسهم عاصفة الخوف ، من ثمّ تتهيأ له الفرصة لتهدئة هذه العاصفة . « ايضاً » — اي مرة اخرى ، علاوة على تلك التي حاول فيها اليهود ان يرجموه . ان المحبة الحقيقية تطرح الخوف الى خارج . والظاهر ان المسيح كان يقصد ايضاً ان يضع امام التلاميذ مقابلة صريحة بين ايمان «بيرية»، وعدم ايمان « اليهودية »

٨ قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون ان يرجموك وتذهب
أيضاً الى هناك . ٩ أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي
عشرة. ان كان أحد يمشي في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم.

عدد ٨. (٢) *السهم الثاني : احتجاج التلاميذ على عزيمة المسيح — او الجهل يقيم العقبات في سبيل المحبة* : « قال له التلاميذ » — حالما سمعوا منه كلمة : « اليهودية » ، ثارت في نفوسهم عوامل الاحتجاج ، فقالوا له : «الآن كان اليهود يطلبون ان يرجموك». ولشدّة فزع التلاميذ من هول تلك الحادثة (١٠ :٣١) ، ظلّت مائلة امام اذهانهم ، فقالوا : « الآن »

عدد ٩ و ١٠. (٣) *السهم الثالث : مبدأ جليل عن الولاء للواجب — او ولاء المحبة المتجسدة* : «أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي عشرة ..» يذكرنا قول المسيح هنا ، بقوله السابق في ٩ :٤ و ٥ . فكلاهما مكمل للآخر ، بل هما تعبيران لحقيقة واحدة ، وما نراه بينهما من فارق ، انما نشأ عن الوقت الذي فيه قيل كل منهما . فأولهما (٩ :٤ و ٥) فاه به المسيح ، والشمس مائلة الى خدرها في الغروب ، وثانيهما نطق به والشمس خارجة من حجلتها عند الشروق. ان رسالة المسيح في كلامه الاول هي : ان ساعات النهار محدودة وثمينة ، فليس للمرء ان يضيع منها شيئاً بتهاونه في واجبه . اما رسالته في كلامه الثاني فهي: ان ساعات النهار كافية لاتمام الرسالة التي وضعها الله عليه ، فليس له ان يستزيدها بمحاولته القرار من الواجب خوفاً من المخاطر . لان كل انسان خالد حتى يتم رسالته ، اما اذا فرّ من طريق الواجب ، طمعاً منه في اطالة حياته ،

١٠ ولكن ان كان أحد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه .

عن الحدّ الذي رسمه الله لها ، فقد حرم نفسه من نور رضى الله ، وعرّض حياته للخطر المحقق

قد يحمل كلام المسيح في هذين العددين، على معنيين — المعنى الاول : حرفي ، مادي — على اعتبار انه كان يكلم تلاميذه عن ذهابهم واياه الى بيت عنيا ، فان ساعات النهار الاثنتي عشرة كافية ليقطعوا فيها الطريق من بيرية الى بيت عنيا — هذا اذا شرعوا في السير من غير توان ولا تردد . اما اذا قدموا رجلاً وأخروا أخرى ، خوفاً من شبح الموت الذي تخيّلوه ماثلاً امامهم في اليهودية — ففي تردّدهم خطر محقق. لان شمس النهار لا بد ان تغيب عليهم وهم في الطريق ، فتدركهم ظلمة الليل ، عندئذاك يتعثرون في مسيرهم. والمعنى الثاني روحي مجازي ، كما أجملنا آنفاً . فيكون « النهار » رمزاً للحياة — في مدّتها وفي رسالتها . و « السير في النهار » يشار به الى السلوك في نور ارادة الله . و « المشي في الليل » يُكنى به عن خروج المرء عن دائرة نور الله . ان تعثّر الانسان يبتدئ بيدء الساعة الثالثة عشرة — اي في اللحظة التي يحاول فيها ان يطيل عمره بهروبه من المخاطر التي يتمثلها أمامه . لأن حياة المرء ليست من المصادفات . وانما هي رسالة من الله. وان موتاً نلقاه في سبيل ارادة الله، هو خير حياة. وان حياة نتلمسها في الفرار من طريق ارادة الله، هي شرّ من الموت . لان الحياة الحقيقية هي التمتع برضى الله . فالحياة لا تقاس ، بل توزن . وليس الخطر في ما يراه الانسان خطراً ، ولا الأمن في ما يتصوّره

١١ قال هذا وبعد ذلك قال لهم. لعازر حبيبنا قد نام.

الفتى أمناً ، بل الخطر كل الخطر في الحيدان عن ارادة الله ، والأمن كل الامن في اتمام ارادته ولو كانت هذه الارادة صليباً لنا

صرّح المسيح بهذا المبدأ الجليل ، امام تلاميذه ، لينفخ فيهم روح الاقدام والشجاعة في هذا الظرف الخاص الذي كانوا فيه ، ولكي يحصنهم بمناعة روحية كافية لمغالبة المخاوف التي كانت تنتظرهم في خدمتهم المقبلة ، ولكي يبعث فينا ، نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور ، نصيباً من روحه في الولاء لارادة الآب ، والشجاعة في القيام بالواجب

عدد ١١ . (٤) السهم الرابع. المسيح يخصص هذا المبدأ لنفسه في هذه الحادثة — او اقدام المحبة : «قال هذا» — كمبدأ عام — «وبعد ذلك» — خصص هذا المبدأ لنفسه في هـذه الحادثة و «قال لهم» — بروح النبوّة — «لعازر حبيبنا قد نام» . هذه النبوة تكشف لنا عن ثلاث حقائق مهمة — (١) ان المسيح خلع على الموت اسماً جديداً ، فدعاه : «نوماً» — ومن اوجه الشبَه بينهما : (ا) ان الانسان ينام ليستريح . كذلك من يموت في الايمان ، يستريح من اتعاب الحياة ، واعماله تتبعه . (ب) ان من ينام لا يزال متمتعاً بالحياة وكذلك المؤمنون لا يموتون ، بل يُنقلون الى عالم الاحياء . (ج) ان الانسان ينام على امل ان يقوم مجدّد القوى ، وكذلك المؤمن ، يموت على رجاء القيامة المجيدة . (د) ان نوم الانسان لا يزعج اهله بل يبعث في قلوبهم اطمئناناً عليه . (٢) ان لعازر بانتقاله الى العالم الآخر لم يخرج عن دائرة نفوذ

لكني أذهب لأُوقظه. ١٢ فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يُشفى.

محبة المسيح، لان المحبة اقوى من الموت. (٣) ان المسيح ادخل تلاميذه معه في هذه الصلة التي بينه و بين لعازر فقال «حبيبنا». يا ليت المسيحيين يشطبون من قاموسهم كلمة: «فقيدنا» و«راحلنا»، و «سندنا» وما اليها، و يستعيضونهما بكلمة « حبيبنا »

«لكني اذهب لاوقظه» — هذه لغة الواثق من اقتداره على الموت. يقول البشر من فرط تخوفهم «الآن كان اليهود يطلبون ان يرجموك وتذهب ايضاً الى هناك» ؟ و يقول الاله المتجسد، في ثقة و يقين: «ولكني اذهب لاوقظه» هنا نرى «المحبة» المتجسد، مقتدراً على الموت، وطارحاً الخوف الى خارج

عدد ١٢. *السهم الخامس — عجز التلاميذ عن البلوغ الى عمق كلمات المسيح — أو أعماق المحبة* « يا سيد ان كان قد نام ». لم يفهم التلاميذ عن هذا النوم « الجديد »، اكثر مما فهم نيقوديموس عن الولادة الجديدة. او المرأة السامرية عن ماء الحياة الابدية. فالمؤمن يجد نفسه كل يوم امام اكتشافات جديدة. ولعلّ عجزهم هذا نشأ عن سوء فهمهم كلام المسيح في عدد ٤. فربما ظنوا خطأ، ان المسيح كلمهم عن «النوم» الذي ينامه المريض عند بدء اتجاهه الى الصحة — «نوم العافية» ! لذلك قالوا: «ان كان قد نام فهو يُشفى». فلم يبقَ اذاً ما يدعو الى هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، سيما وان خدمة سيدهم قد صادفت نجاحاً في بيرية، حيث كانوا موجودين وقتئذٍ.

١٣ وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم.
١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات. ١٥ وانا افرح
لاجلكم إني لم اكن هناك لتؤمنوا.

فلماذا يتركون نجاحاً قد ذاقوا حلاوته، ويطوّحون بانفسهم في اقليم منزرعة ارضه بالاشواك المريرة؟!

الكلمة المترجمة: «يُشفى»، يجوز ان تترجم حرفياً: «يخلص». فالشفاء هو خلاص الجسد، كما ان الخلاص هو شفاء الروح

عدد ١٣. *جملة تفسيرية*: «وكان يسوع يقول عن موته» — هذا توضيح لقصد المسيح — «وهم ظنوه انه يقول عن رقاد النوم» — هذا مبلغ ظنّ التلاميذ

عدد ١٤و١٥. (٦) **السهم السادس — المسيح يصارح التلاميذ بموت لعازر — او يقظة المحبة**. في هذين العددين أعلن المسيح لتلاميذه ثلاثة امور — (أ) *صارحهم بموت لعازر* باللغة التي يفهمونها، من غير تحفظ، ومن غير التجاء الى استعارات ومجازات: «علانية» (عدد ١٤). (ب) **شعوره نحو هذا الحادث التاريخي**: «وانا افرح» — عجيب ان نرى المسيح يفرح، في نفس اللحظة التي ينبئ فيها تلاميذه بموت لعازر. غير انه لم يفرح لقيامة لعازر في حد ذاتها، بل فرح بالأمر الذي نتجت عنه قيامة لعازر — أي غياب المسيح عن بيت عنيا وقت مرض لعازر. فلو كان هناك لشفي مريضاً، لكنه بغيابه أقام ميتاً. وفرح ايضاً بالخير الروحي الذي أثمرته للتلاميذ قيامة لعازر: «لتؤمنوا». فمع ان التلاميذ، كانوا مؤمنين بالمسيح قبل قيامة لعازر، الا ان هذه درجة أرقى

ولكن لنذهب اليه . ١٦ فقال توما الذي يقال له التوأمُ للتلاميذ
رفقائه لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه

في الايمان . هذا هو ايمان التدرج والنموّ . ان العين الجسدية تحصر نظراتها في الواقع فتكتئب وتتحسر ، لكن العين الالهية تنظر الى الواقع ، فتراه حلقة في سلسلة العناية الذهبية ، فتفرح بالحلقات السابقة ، وتبتهج بالحلقات اللاحقة . كان موت لعازر حادثة وقتية في سجلّ الزمن . لانه قام من ذلك الموت . وكذلك كانت قيامته ، لانه مات بعد تلك القيامة . لكن الخير الروحي الذي أنتجته القيامة ، قد طُبع بطابع الخلود . هذه هي الحلقة الخالدة في سلسلة العناية الالهية . (ج) ما ينوي ان يقوم به تجاه هذا الحادث الجلل : «ولكن لنذهب اليه» . هذا آخر سهم من النور ، صوّبه المسيح الى قلوب تلاميذه فطرد منها ظلمة الخوف . يستفاد من كلمة : « ولكن » ، ان المسيح لم يرغب في ان يفسح امامهم مجالاً للاستسلام للحزن ، ولا للتساؤل عن سبب الفرح . لانه حينما تدق ساعة العمل ، لايبقى مجال للكلام . والظاهر ان التلاميذ أذعنوا للمسيح ، ولو انهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى عمق قلبه وافكاره ، كما يبدو من كلام توما

عدد ١٦ . *السهم السابع — المحبة الساذجة التي اظهرها توما — او المحبة في الظلام* : «فقال توما — لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه» — هذه محبة قوية ، لكنها ليست حسب المعرفة . فهي تدل على عزيمة قوية ، وفهم ضعيف . هذا برهان على ان توما كان يحب شخص المسيح ، لكنه لم يكن

١٧ فلما أتى يسوع وجد أنه

قد اخذ من روحه بعد. ان شخصية توما، الظاهرة في هذه الكلمات، هي هي شخصيته التي تنم عنها كلماته في ص ١٤: ٥ ؛ ٢٠: ٢٥. ففي هذه الثلاثة المواضع، نرى شخصية مطبوعة على الصراحة والعزيمة — كدتُ اقول العناد — وعدم تضحية المنظور. الكلمة: «توما» مشتقة من أصل أرامي، ومعناها: «التوأم» — هذا هو اللقب الذي كان معروفاً به — غالباً — في نواحي آسيا الصغرى، التي عاش فيها يوحنا البشير. واذا كان توما «توأماً» في ميلاده الجسدي، فهو في الغالب توأم أيضاً في روحه. ففي شخصه التقى الايمان بعلم الايمان، والمحبة بالسذاجة. فكأننا نرى فيه يعقوباً وعيسو، يصارع أحدهما الآخر. واننا نحمد الله لان النصرة في النهاية للمحبة والايمان: «ربي والهي»

ولا يغرب عن بالنا ان توما هذا قد اظهر استعداداً لان يموت عن المسيح الذي عرّض حياته للخطر لأجله ولأجل التلاميذ رفاقه. هذه شهادة لتوما بانه قدّر تضحية سيده، بل هي شهادة لسيد توما بانه أمير المضحّين

ثانياً: المشهد فى بيت عنيا (١١: ١٧—٣٧)

يقع هذا المشهد في ثلاثة مناظر: (١) وصف تاريخى لحقيقة الموقف فى بيت عنيا (١١: ١٧—١٩). (٢) مرثا تلاقى المسيح (١١: ٢١—٢٧). (٣) المسيح يلتقى بمريم (١١: ١٨—٣٧)

عدد ١٧. (١) وصف تاريخى لحقيقة الموقف فى بيت عنيا (١١: ١٧—١٩). «فلما أتى يسوع وجد..». بين عددي ١٦ و١٧ انقضت سحابة يوم

قد صار له أربعة ايام في القبر. ١٨ وكانت بيت عنيا قريبة من
اورشليم نحو خمس عشرة غلوة. ١٩ وكان كثيرون من اليهود قد

كامل في السفر من بيرية الى بيت عنيا. كلمة «وجد» تصف الغرض الرئيسي الذي لأجله جاء المسيح الى بيت عنيا. (انظر ١: ٤٣ ؛ ٢: ١٤ ؛ ٥: ١٣ ؛ ٩: ٣٥). «قد صار له اربعة ايام في القبر» — (اطلب شرح عدد ٦)

عدد ١٨ و١٩. *سهولة مجيء يهود كثيرين من اورشليم الى بيت عنيا.* « وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة». كانت الغلوة مقياساً يونانياً، نحو ١٤٥ خطوة، او ثُمن ميل. وتسمى ايضاً فرسخاً. فالمسافة التي بين بيت عنيا واورشليم، تقلّ عن ميلين، مما يدل على ان المكانين كانا قريبين من بعضهما. فكان هيناً على كثيرين من اليهود ان يجيئوا من اورشليم الى مريم ومرثا، ليعزّوهما عن اخيهما. هـذه حلقة مُحْكمة في تدبير العناية الالهيـة، لان وجود كثيرين من اليهود في بيت عنيا، أعطاهم فرصة ليضعوا ايمانهم على المحكّ النهائي، فيخرجوا من هذه المعجزة إما مؤمنين او جاحدين. والظاهر ان كلمة «يهود» استُعملت هنا كما في سائر المواضع في هذه البشارة، لتصف جماعة خاصة اصطبغت بعلم ايمانها بالمسيح. (راجع المقدمة العامة). على ان وجود كثيرين من اليهود في مأتم لعازر، يدل على ما كان لهذه العائلة من مكانة في نظر اليهود

مراراً نسمع عن ولائم استحالت مآتم. وقلما نسمع عن مأتم استحال وليمة

(٢) *مرثا تلاقي المسيح — او مجاهدة الايمان* (١١: ٢٠—٢٧)

جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما .

هذا فصل غنيّ بالحقائق السامية ، فيه نجد درساً تحليلياً لايمان مرثا. والأدوار التي اجتازها حتى بلغ ذراه ، والعوامل التي عملت على تطوره :

(١) *ايمان مرثا قبل محادثتها مع المسيح* (١١:٢١و٢٢): كانت مرثا مؤمنة بـ: (أ) ان المسيح شخص ممتاز: «يا سيد» (عدد ٢١). (ب) ان المسيح يقدر ان يشفي المريض — على شرط ان يكون حاضراً عند المريض : «لو كنت ههنا لم يمت اخي» (عدد ٢١) . (جـ) ان في امكان المسيح ان يقيم الميت— على شرط ان تأتيه القيامة هبةً من الله ، استجابة لصلاته : « كل ما تطلب من الله يُعطيك الله اياه» (عدد ٢٢) . اذاً كانت مرثا تعتقد ان قدرة المسيح محدودة—بالمكان ، والزمان ، وبارادة الله في استجابة الصلاة

(٢) *ايمان مرثا اثناء حديث المسيح معها* (عدد ٢٤) . كانت مرثا مؤمنة بالقيامة — ولكن في اليوم الأخير: « انا اعلم انه سيقوم في القيامة في اليوم الاخير» (عدد ٢٤) . اذاً كان ايمانها بالقيامة محدوداً بالزمن

(٣) *الوسائل التي بها عالج المسيح ايمان مرثا* (١١:٢٠—٢٦).(أ) غياب المسيح عن بيت عنيا اثناء مرض لعازر (عدد٢٠). (ب) تباطؤ المسيح عن الحضور في الوقت الذي كانت تستحسنه مرثا (عدد ٢١). (جـ) حضور المسيح في الوقت الذي استحسنه هو (عدد ٢١) . (د) الوعد الغير المعيَّن الذي قدَّمه لها (عدد ٢٣) . (هـ) الاعلان الصريح الذي أفضى به اليها (عدد ٢٥ و ٢٦) . (و) استجواب المسيح اياها : «أتؤمنين بهذا» ؟

٢٠ فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته . واما مريم فاستمرت جالسة في البيت .

---

(٤) *القمة العليا التي سما اليها ايمانه مرثا* (عدد ٢٧) . الآن اضحت مرثا مؤمنة : بان يسوع هو المسيح : «انا قد آمنت انك انت المسيح» و بانه هو: «ابن الله» . و بانه هو المسيح المشهود له من الانبياء ، الموعود به، والمنتظر من الشعب : «الآتي الى العالم»

الآن، بعد ان درسنا هذا الفصل درساً تحليلياً،لنتقلم الى درسه تفسيرياً:

عدد ٢٠ . (أ) *مرثا مترقبة ومريم ساكنة*: « فلما سمعت مرثا . . لاقته واما مريم فاستمرت جالسة في البيت» . هذا يتفق تماماً وما نعلمه عن الاختين من بشارة لوقا (لوقا ١٠:٣٩ و٤٠) . ان الخواص التي انطبعت بها شخصية كلٍ من الاختين، قد ظهرت بارزة في وقت حزنهما العميق (يو ١١:٢٠)، كما في وقت سرورهما باضافة زائر كريم (لوقا ١٠:٣٩و٤٠) . فمرثا في كلا الظرفين ، قلِقة ، كثيرة الحركة ، لا تطيق صبراً على التمهّل والانتظار—وهذا مما يخفف عنها اعباء الحياة ، سيما في اوقات الاحزان ، لان الحزن الصامت ، أشدّ فتكاً من الحزن الناطق . وكذلك مريم في كلا الحالين كانت جالسة صامتة . على ان الاختين كانتا في انتظار السيد ، فمرثا كانت في انتظارها مترقبة— مَثلها مثل الرقيب الذي يقف على المرصد، ليكون اول من يرحّب بأشعة شمس الصباح . ومريم كانت في انتظارها ، هادءة — مَثَلها مثل زهرة نابتة في كنف صخر منتظرة بسكون أشعة النور

٢١ فقالت مرثا ليسوع ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. ٢٢ لكني
الآن أيضاً أعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه

عدد٢١ . (ب) مرثا متحسرة : «فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي » . هذه نغمة التحسُّر، وهي لا تخلو من رنة عتاب خفيف . اذا جاز لنا ان نرسم صورة رمزية للتحسر ، فلنا ان نتمثل شخصياً دامع العينين ، دامي القلب ، متجهاً بوجهه الى الماضي : وفي فمه كلمتان مقتضبتان لا يعرف إلاّ هما — «لو كنت . . . » . لو كنتُ بكّرت في استدعاء الطبيب...! لو كنتُ اخترت ذلك السبيل دون هذا... ! لو كنت تلفظت بتلك الكلمة دون هذه ... ! لو كنت ! لو كنت ! ان هاتين الكلمتين شبيهتان بشوكتين سامّتين في وسائد كثيرين ، و بسببهما لا ترى أجفانهم نوماً ولا عيونهم نعاساً. هاتان سكّينتان تحزّان في قلوب الكثيرين، فتدميانها

مسكينة مرثا . هذا أقصى ما بلغ اليه ايمانها حتى الآن . كانت تؤمن ان المسيح مجرد طبيب يشفي المرضى، وان قدرته، لا تفترق عنه قيد شبر،فان غاب بجسده ، غابت معه قدرته . اذاً كان ايمان قائد المئة الوثني أقوى من ايمان مرثا، لانه كان يعتقد ان قدرة المسيح تتخطى المسافات وتجتاز الأبعاد (متى ٨:٨)

عدد ٢٢ . (ج) مرثا مؤملة — « لكني الآن أيضاً أعلم ان كل ما تطلب من الله يُعطيك الله اياه » . ما أجمل كلمة : « لكني » ، بعد كلمة: «لو» ! اذا كانت كلمة : « لو » ، لاوية عنقها الى الوراء باستمرار ، فان كلمة « لكن » تمتدّ بهامتها الى الامام . « لو » يائسة متحسرة ، أما « لكن » فهي مؤملة

٢٣ قال لها يسوع سيقوم أخوك

راجية. بعد ان لفظت مرثا كلمات التحسر المدوّنة في العدد السابق، لمحت عيناها من خلال دموعها، بارقة أمل مبنيّ على اعتقادها باقتدار المسيح في الصلاة، فلو طلب من الله ان يهبه حياة جديدة للعازر، لاعطاه الله اياها. وربما كان أملها هذا مبنياً على فهمها للكلمة التي فاه بها المسيح امام رسول الاختين: «هذا المرض ليس للموت» (عدد ٤). قابل بين قول مرثا في هذا العدد: «انا اعلم»، و بين قولها في عدد ٢٧: «انا قد آمنت». هذا ايمان حيّ، ولكن يعوزه النور. مثله مثل تائه يتلمس في الظلام. ومما يدل على محدودية ايمانها، ترديدها لاسم الجلالة: «الله» مرتين في عبارة قصيرة، في سياق كلامها عن قدرة المسيح كرجل صلاة ليس إلا. و يجدر بنا ان نلاحظ، ان الكلمة التي عبّرت بها مرثا عن صلاة المسيح: «تطلب»، تفيد سؤال التوسل، وهي لم ترد قط على لسان المسيح في كلامه عن نفسه، مع انه استعملها مراراً ليعبر بها عن صلاة البشر (١٤: ١٣و١٥: ١٦و١٦: ٢٣)

عدد ٢٣. (د) *المسيح ينير السبيل أمام ايمان مرثا، بوعد غير معين.* «قال لها يسوع سيقوم[1] أخوك». ان العين الرمداء لا تتحمل النور القوي اذا سُلط عليها دفعةً واحدة. فالطبيب الماهر، يقدم لها النور اقساطاً. هذه خطة حكيمنا الاعظم في معالجته ضعف ايمان مرثا، لانه اذ رأى ايمانها في حاجة

(١) كان يعتقد كثيرون من اليهود، سيما شيعة الفريسيين، ان كثيرين من الراقدين في التراب، سيقومون من الموت، استعداداً لمجيء «مسيا». وكان اعتقادهم هذا مؤسساً على تفسيرهم لما جاء في دانيال ١٢: ٢. و٢ مكابيين ٧: ٩و١٤ (احد الاسفار غير القانونية)

٢٤ قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة

الى النور ، رفع بيديه الرقيقتين مصباح هذا الوعد ، ليهدي به ايمانها بعض الخطوات الى الامام . وليعدّها به لانتظارات أفضل . لانه قبل أن يهب هباته ، يهيئ القلوب والأيادي لتتسلمها. هذه خطته التي تجلت لنا في الاصحاحين — الخامس والسادس ، انه يمهد لعطاياه بوعود مفرغة في صيغة عامة ، تكاد تكون غامضة : «سيقوم اخوك» — مهما تكن طبيعة الموت ، فليس الموت آخر فصل في سجلّ الحياة ، أنما الفصل الاخير للحياة نفسها

هذا اصحاح عامر بالعبارات التي ترينا الحياة من خلال الموت (عدد ٤ و١١و١٦) ، والموت من خلال الحياة (عدد ٥٠)

عدد ٢٤. (هـ) مرثا منتظرة : «قالت له مرثا انا اعلم انه سيقوم في القيامة في اليوم الاخير» . في هذا الكلام ، أقرّت مرثا بايمانها بالقيامة — ايمان لا يخلو من قوة ، الا انه في حقيقته محاط بضعفات كثيرة — فمنها :

(١) انه ايمانه يتطلع الى المستقبل البعيد : «في اليوم الأخير» — لذلك فهو منعدم من كل تعزية في الحاضر . اننا نريد الايمان الذي يملأ قلوبنا بالابدية في هذه الحياة ، قبل ان نذهب نحن الى الابدية في الحياة العتيدة

(٢) انه ايمانه ممسك بعقيدة لا بشخص : «سيقوم» . بما اننا اشخاص، لا اشياء ، فلن تستريح نفوسنا الا اذا كان ايماننا ممسكاً بشخص حيّ . اننا ندين بالمسيح الذي هو روح المسيحية ، وحياة المسيحية ، بل حياة المسيحيين.

(٣) انه ايمانه عام ، متعلق بأمر عام يشترك فيه جميع الناس سواء بسواء : «في القيامة» . فما قيمة القيامة العامة لمرثا التي لا ترتوي الا متى رأت لعازر

في اليوم الاخير. ٢٥ قال لها يسوع أنا هو القيامة والحيوة

اخاها مُقاماً الآن. فلا عجب اذا رأينا مرثا غير قانعة ، متبرمة ، منتظرة . «انا اعلم انه سيقوم في القيامة»

(٤) انه ايمان مادي لا يرتضي الا بالنتائج الملموسة: «قيامة لعازر»

فاهت مرثا بهذه الكلمات ، بروح التساؤل ، وهي تنتظر شيئاً افضل . كأني بها سألت السيد قائلة «ماذا تعني بقولك سيقوم أخوك» ؟ اذا كنت تقصد القيامة في اليوم الأخير ، فهذا ما تعلّمتُه منذ حداثتي.اما اذا كنت تعني قيامة أخرى،فاسعفني حالاً واوضح قصدك ،لاني منتظرة على احرّ من الجمر»

عدد ٢٥و٢٦ . (و) المسيح يقوي ايمان مرثا بتصريح واضح : «قال لها يسوع . انا هو القيامة والحياة . . » . هذا هو التصريح الخامس في هذه البشارة ، و به عالج المسيح ضعف ايمان مرثا ، فنقلها من الاعتقاد بعقيدة ، الى الايمان بشخص . ومن الايمان بشيءٍ مخبوء في بطن المستقبل البعيد البعيد ، الى الثقة بذات حيّ ، حاضر امامها . ومن التعلق باهداب امر عام يشترك فيه جميع الناس ، الى التمسك بشخصية فردية . ومن الاعتقاد بان الحياة هبة من الله للمسيح، الى اليقين بان المسيح هو الحياة ذاتها. يتضمن هذا التصريح

(١) اعلاناً مجيداً : « انا هو القيامة والحياة » — في هذا الاعلان ذكر المسيح النتيجة قبل العلة ، وقدّم الثمرة على البزرة ، ودلّ على المصبّ قبل المنبع. فالقيامة هي ثمرة الحياة، وهي نتيجة لها.لان الحياة اصيلة، والموت معتدٍ وانما النصرة النهائية ، هي للحياة ، التي تتخذ القيامة من الموت مظهراً لها . «أنا هو . .» بهذه العبارة حوّل المسيح نظر مرثا من التلمس في الظلام ، الى

من آمن بي ولو مات فسيحيا .

التمسّك بشخصه الحيّ، الحاضر الآن: «أنا هو» لا: «انا سأكون». والظاهر انه ذكر القيامة قبل الحياة ، لان القيامة كانت الشغل الشاغل لمرثا ، بل للجميع ، في هذا الظرف التاريخيّ . لم يقل المسيح لمرثا : « انا اهب الحياة » — كأن الحياة شيء منفصل عنه ، وانما قال « انا هو الحياة » . ان الحياة مودعة فيه ، *لانه هو اصلها ، وينبوعها ، ومبانيها* (٦:١٤) . فالمسيح هو الحياة — بكل انواعها — لكل انسان على حدة (رو ٦:١١)، وهو الحياة لكل الكتلة البشرية (كو ١:١٧)

في هذا الاعلان،استعمل المسيح خطة التدرّج التي استعملها في مناسبات سابقة — من التعميم الى التخصيص ، ومن المادي الى الروحيّ . من الكلام عن القيامة بوجه عام ، الى تخصيص القول عن نفسه انه ، « هو القيامة » ، ومن التحدث عن القيامة المادية الى الكلام الأخص عن ذاته انه هو الحياة. بهذه الدرجات هذب المسيح ايمان مرثا ، ورفعه من الماديات الى الروحيات

(٢) **وعداً مبيناً**: «من آمن بي .. وكل من كان ..» (عدد ٢٥و٢٦). كما ان تصريح المسيح في العدد السابق،له جانبان — *اولهما* عن القيامة،*وثانيهما* عن الحياة ، كذلك لهذا الوعد جانبان . *اولهما* عن القيامة ، *وثانيهما* عن الحياة . فكأنّ جانبي الوعد يسيران جنباً الى جنب مع جانبي التصريح السابق . فقول المسيح : « انا هو القيامة » ، يوافقه وعده القائل : « من آمن بي ولو مات فسيحيا » . وتصريحه القائل : « انا هو الحياة » ، يترتب عليه

٢٦ وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد. أتؤمنين بهذا

وعده القائل : «وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد» . وكما انه في تصريحه ، ابتدأ من المظهر المادّي الخارجيّ ، حتى بلغ الجوهر الروحيّ الباطني — فتكلم اولاً عن القيامة ثم عن الحياة ، كذلك ايضاً في وعده ، بدأ بالمظهر الخارجي للحياة التي تنتصر على الموت الجسدي ، : « من آمن بي ولو مات» — كما في أمر لعازر — «فسيحيا» ، ثمَّ تحدَّث بعد ذلك عن الجوهر الباطني الروحي للحياة الابدية ، التي لن تصل اليها يد الموت : « وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد» — كما في امر مرثا وسائر المؤمنين

الجانب الاول من هذا الوعد، يرينا معنى الموت. فهو ليس موتاً حقيقياً — وان ظهر بمظهر الموت ، **والجانب الثاني** يريق نوراً سماوياً على معنى الحياة الأبدية — فهي سلسلة ذهبية طويلة لن تنكسر فيها حلقة ما. **الجانب الاول** — يتناول الحاضر ، **والجانب الثاني** يضمّ المستقبل بين ذراعيه . ان هذا الجانب الثاني هو العنصر الخالد في هذه المعجزة — بل هو الغرض الذي جاء المسيح الى ارضنا لاجله. ان اقامة لعازر من الموت، مسألة وقتية، لان لعازر عاد بعدها الى القبر كما كان ، انما المعجزة الاعظم ، لا بل المعجزة الخالدة ، هي اقامة النفوس من قبور الخطية — هذه هي الحياة الابدية

(ز) *المسيح يستخلص من مرثا ايماناً حياً باستجواب اياها* : « أتؤمنين بهذا» ؟ قبل ان وقف المسيح على قبر لعازر، واخرج منه لعازر بكلمة ، نراه هنا واقفاً امام مرثا، و بكلمة منه استخلص منها ايماناً حياً : « أتؤمنين بهذا »؟ هذا بمثابة القول : «هل هذا هو ايمانك» ؟

٢٧ قالت له نعم يا سيد . أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله
الآتي الى العالم

عدد ٢٧ . (ح) *مرثا منتصرة* : « قالت له نعم يا سيد » . ان مرثا ، بقولها هذا: (١) *أقرت* بقبولها كلام المسيح انه هو «القيامة والحياة». فرق عظيم بين موقفها هذا، وموقفها السابق حين قالت «يا سيد لو كنت» . اننا في حاجة الى الملاك الذي رآه حزقيال في رؤياه (حز٤٧)،ليقيس لنا المسافة بين الموقفين! (٢) *اعترفت* بإيمانها اليقيني ، المبني على التحقق والاختبار : « قد آمنت » . هذا هو الاكتشاف الاعظم الذي وجدته مرثا في هـذه المرحلة الشاقة ، التي قطعتها نفسها الحزينة المتألمة: «قد آمنت». «قد» — كما يقول النحاة، تفيد التحقيق

اما موضوع ايمانها، فهو: ان يسوع هو: (١) «*السيد*» ، المعظم فوق كل عظيم . (٢) «*المسيح*» — الممسوح من الله نبياً ، وكاهناً ، وملكاً . فهو ملتقى آمال اليهود، وموضوع نبوات الأقدمين. (٣) «*ابن الله*» — الذي تربطه بالله صلة قدسية ، سرية ، روحية ، لا يدانيه فيها سواه ، وهو بحق هذه النسبة يستطيع ان يصالح العالم مع الله ، لانه هو: «الله ظهر في الجسد» . هنا قد ارتقت مرثا الى صف نثنائيل، و بطرس، و يوحنا المعمدان . (٤) «*الآتي الى العالم*» — فهو مشتهى الامم . ان هـذه الكلمات التي فاهت بها مرثا ليست سوى ترجمة اخرى لتصريح المسيح لها بأنه «هو القيامة والحياة» . ما دام هو القيامة والحياة ، فهو المسيح . وما دام هو المسيح فهو ابن الله . ومادام هو المسيح ابن الله، فهو الذي أتى الى العالم ليفدي، وسيأتي عند القيامة ليحكم و يدين

٢٨ ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة المعلم
قد حضر وهو يدعوك. ٢٩ اما تلك فلما سمعت قامت سريعاً

(٣) المسيح يلتقي بمريم (١١: ٢٨—٣٧). في هذا الفصل نرى مشهدين (أ) حزن مريم (١١: ٢٨ - ٣٣). (ب) تأثرات المسيح (١١: ٣٣—٣٧)

(أ) حزن مريم (١١: ٢٨—٣٢). في هذا نرى: (١) مريم مدعوة. (٢) مريم تلبي الدعوة. (٣) مريم ساجدة باكية

عدد ٢٨. (١) مريم مدعوة: «ولما قالت هذا» — أي كلامها المذكور في العدد السابق، و به رفعت الغمة عن نفسها، «مضت ودعت مريم اختها سراً» — من غير ان تُعلِم اليهود الموجودين، لان جلهم كانوا معزين رسميين و بعضاًمنهم كانوا جواسيس للفريسيين (عدد ٤٧). «قائلة المعلم» — بهذا اللقب كان المسيح معروفاً بين خاصته (انظر ٢٠: ١٦؛ ١٣: ١٣؛ و مت ٢٦: ١٨). «وهو يدعوك» — الظاهر ان السيد ارسل فدعا مريم سراً، اعتقاداً منه ان الحزن العميق يكون صامتاً امام الجماهير، فلا يبوح بمكنوناته، الا للرب وحده، وكذلك سرّ الرب لخائفيه

يعتقد كيرلص الاسكندري، ان مرثا تطوعت، ودعت اختها لمقابلة السيد،لتنيلها معها نصيباًمن العزاء الذي نالته هي.ونميل نحن الى الرأي الاول

عدد ٢٩. (٢) مريم تلبي الدعوة عاجلا. ان السرعة التي بها اجابت مريم هذه الدعوة، لدليل على استعداد ايمانها.فمع انها بطبيعتها متأنية، الا أنها بروحها نشيطة. انها بعملها هذا، قدّمت لنا أجمل تفسير للقول: «اجذبني

وجاءت اليه. ٣٠ ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية بل كان في
المكان الذي لاقته فيه مرثا. ٣١ ثم ان اليهود الذين كانوا معها في
البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين
إنها تذهب الى القبر لتبكي هناك.

وراءك فنجري». هنا تركت المعزين المتعبين، قاصدة المعزي الصالح الأوحد

عدد ٣٠. *جملة تفسيرية* «ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية.». كان قبر لعازر خارج القرية لان مدينة الاموات بعيدة عن حيّ الاحياء كما في سائر العصور. وغالباً لم يذهب المسيح الى بيت مرثا ومريم، لانه لم يأتِ ليعزيها بكلمات مهما تكن طيبة، بل جاء ليقيم أخاهما الميت. لذلك دعاهما الى المكان الذي سيكون مسرحاً لاكبر معجزةٍ في التاريخ — بعد معجزة قيامته هو — لتشهدا تلك المعجزة ومعهما المعزّون من اليهود

عدد ٣١. *المعزون الذين أصبحوا فيما بعد شهوداً*: «ثم ان اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها..». لما خرجت مرثا لملاقاة المسيح (عدد ٢٠)، لم يخرج معها اليهود المعزون، لان اختها مريم استمرت جالسة في البيت (عدد ٢١)، فظلّوا معها. اما وقد خرجت الاختان معاً، فبقي امام المعزين، أمر من اثنين: إما ان ينصرفوا الى بيوتهم — وهذا غير طبيعي، لان مدة «المأتم» لم تنقضِ بعد، او ان يتبعوا الاختين الى القبر، ليكملوا «المناحة» هناك. ولعل بعضاً منهم خاف على مريم من الاستسلام للحزن عند القبر — والقبور مثيرة الاشجان — فذهبوا معها ليشجعوا ويواسوها. كان هذا قصدهم في خروجهم

٣٢ فمريم لما أتت الى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي .

لكن الله قد قصد بهم ان يكونوا شهوداً لحقيقة المعجزة، فيؤمنوا او يتقسّوا

عدد ٣٢ . *مريم ساجدة باكية*: «فمريم لما أتت الى حيث كان يسوع. خرّت عند رجليه . . » . يختلف حزن مريم عن حزن مرثا اختها ، باختلاف طبعيهما. مرثا كثيرة النشاط، فهي في حزنها مجاهدة. ومريم ميالة الى السكون والهدوء ، فهي في حزنها مسلّمة باكية . فجاءت هذه الى المسيح معبّرة عن حزنها العميق بأمرين : (١) *اولهما سجودها عند قدميه* : «خرّت عند رجليه» هذا هو المكان الذي سبقت فاختارته مريم لنفسها ، فصار لها خير نصيب (لوقا ١٠:٣٩ ؛ يوحنا ١٢:٣) . هذا موقف مثلث — فهو : موقف المتواضع وموقف التلميذ المكرس، وموقف المصلي الساجد. (٢) *ثانيهما دموعها الناطقة بلغة التحسر*. «يا سيد لو كنت ههنا» . بهذه العبارة عينها استقبلت مرثا المسيح . والفرق بينهما هو ان مرثا نطقت بها واردفتها بوابلٍ من الكلام. ومريم فاهت بها وسقتها بوابلٍ من الدموع (عدد ٣٣) ، فكانت بدموعها اكثر اقتداراً من اختها بكلامها. فاذا كان كلام مرثا قد انطق فم المسيح بوعود وتشجيعات، فان دموع مريم، استدرّت من قلبه عطفاً ، ومن شخصه اقتداراً

يظهر من ترديد الاختين للعبارة الواحدة : «لو كنت ههنا» ، ان الشغل الشاغل، لهما ولاخيهما، في ساعات المرض الاخيرة ، كان غياب المسيح وقتئذٍ

(ب) *تأثرات المسيح* (١١:٣٣—٣٧) . في هذا المشهد نرى : (١) *تأثرات*

٣٣ فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون

المسيح (١١:٣٣—٣٥). (٢) تعليل اليهود لهذه التأثرات (١١:٣٦ و٣٧)

عدد ٣٣. تأثرات المسيح: (١١:٣٣—٣٥). نحن واقفون الآن على أرض مقدسة، فلنخلع نعالنا من أرجلنا. ان كل محاولة يُراد بها تحليل هذه التأثرات القدسية، مقضيّ عليها بالفشل. فلسنا ندري: أنحن امام ناسوت المسيح المتأثر، ام امام لاهوته المقتدر المؤثر، او امام الاثنين معاً! ان ناسوته غير منفصل عن لاهوته، ومظاهر الناسوت معبرة عن جوهر اللاهوت. فالله يسخط، ويعلم، ويحرك، ويحب. والانسان يرتعش، ويستعلم، ويبكي. فارتعاش الناسوت معبر عن سخط اللاهوت وغضبه، ودموع الناسوت معبرة عن حب اللاهوت. في هذه الثلاثة الاعداد تتجلى ثلاثة مظاهر:

(أ) تأثر يسوع في روحه (عدد ٣٣). (ب) استفهام يسوع عن موضع القبر (عدد ٣٤). (ج) دموع يسوع (عدد ٣٥). (أ) تأثر يسوع في روحه في هذا العدد يتجلى امامنا أمران: (١) ما رأى يسوع: «فلما رآها يسوع تبكي» الكلمة المترجمة: «تبكي» تعني الزفرات والعويل، وهي غير الكلمة التي قيلت عن المسيح في عدد ٣٥، التي تعني مجرّد سكب الدموع الصامتة. كان نوح مريم مظهراً من مظاهر ضعف الايمان. لانها لم تكن قد ارتقت بعد الى مستوى الايمان الذي بلغته مرثا في عدد ٢٧. على ان نظر المسيح لم ينتهِ عند رؤيته دموع مريم، ودموع اليهود الذين جاءوا معها، بل نفذ الى ما وراء حجب المادة، فرأى العوامل المختلفة التي كانت مبعث هذه الدموع، وعلم

انزعج بالروح واضطرب

بكسر قلب مريم ، ولمس عدم ايمانها ، وكشف رياء بعض اولئك اليهود المتباكين ، الذين كانوا يسكبون دموعاً رخيصة هي دموع التماسيح . وادرك ان كثيرين غيرهم ، كانوا بعويلهم يطرحون وقوداً على نيران حزن مريم لتزداد اشتعالاً . (٢) ما شعر به يسوع : «انزعج بالروح [١] واضطرب». ربما كان اقرب الى الاصل ان تترجم هذه العبارة الى : «ارتعش بالروح وحرّك نفسه» . هذا احساس من يرى امراً مخالفاً للصواب ، فتحتدّ روحه فيه ، ويغضب غضبةً لاجل الحقّ ، ثم يستخدم قوة ارادته لصدّ تيار هذا السخط ، ومنعه من الظهور ، فيهتزّ من أعماق نفسه

فما هو هذا الأمر الذي كان موضوع غضب المسيح وسخطه ؟ أهو رياء اليهود المتباكين الذين جاءوا ليعزوا مريم عن فقد أخيها ، وصاروا فيما بعد،من المؤتمرين على قتل أخيها (١٢ : ١٠) ؟ أم هو علم ايمان مريم ومَن كانوا معها ؟ أم انّ المسيح احتدّت روحه فيه ، لانه علم ان وراء دموع مريم وعلم ايمانها ، ووراء رياء اليهود ، يختبئ شبح قبيح أسود — هو الموت ، وان وراء هذا الشبح الاسود يستتر شبح آخر ، أشدّ منه قبحاً وسواداً يُقال له «ابليس» ، وان في كنف ابليس تختبئ غدّارة خائنة اسمها الخطية ؟ أم هذه كلها مجتمعة

(١) يعتقد يوحنا « فم الذهب » وكيرلس الاسكندري ، ان الروح الانسانية في المسيح ، قد ملكها التأثر حين رأى الفادي دموع الباكين ، ولكن الروح اللاهوتية فيه ، قد حجزت تأثرات الروح الانسانية ، فحدث هذا الاهتزاز كما تحدث الهزات الطبيعية نتيجة احتباس قوات ثائرة . ويشاركهما في هذا الرأي الدكتور دافيد براون

٣٤ وقال أين

معاً؟ أم لاسباب لا نعلمها؟ على ان هذا الارتعاش الذي حدث ليسوع، لم يكن نتيجة ضعف بشري. وانما كان بارادته القوية. لذلك قال البشير عنه انه «حرّك نفسه». اي انه ادخل على نفسه هذه التأثرات طوعاً واختياراً. وهو في تحريكه نفسه، لم يكن متصنعاً التأثر بل كان متأثراً من صميم نفسه. من هذا نرى ان هاتين العبارتين: «ارتعش بالروح» و «حرك نفسه» متشابهتان، تدعم احداهما الاخرى وتثبتها. ويعتقد جودي ان الروح هي مركز التأثرات الروحية، وان النفس هي مركز الانفعالات الطبيعية. وان العبارة: «انزعج بالروح» لم تُطلق على المسيح سوى مرة أخرى في هذه البشارة (١٣: ٢١)—حينما كان مواجهاً خيانة يهوذا، وانه انزعج في روحه، لانه من الجهة الواحدة. رأى ان دموع الباكين على حبيبهم، تناديه بل تستعطفه، ان يقيم لعازر— حبيبه هو ايضاً — من الاموات. ومن الجهة الاخرى، علم ان تلبيته هذا النداء، ستؤدي حتماً الى اقامته لعازر، وان اقامته لعازر— وهي منّة منه على البشرية، ستكون اول خطوة حاسمة تؤدي به الى الصليب. فتمثلت له خطية البشرية في اقبح مظاهرها، حين ردت عليه حسناته سيئآت واتخذت من نعمه عليها، فرصة لنقمتها عليه. لذلك احتدّت روحه فيه، «وحرّك نفسه». اما لينهض نفسه للصراع العنيف الذي ينتظره، ضد الخطية، والموت، وابليس، او ليدفع عن نفسه هذا التأثر، ويتقدم للقيام بالمعجزة

عدد ٣٤. (ب) **استفهام يسوع عن موضع القبر**: «وقال اين

وضعتموه . قالوا له يا سيد تعال وانظر .

وضعتموه» — هذه هي المرة الوحيدة — في كل البشائر — التي يُرى فيها يسوع مستعلماً عن أمر ما . على ان علاّم الغيوب ، لم يسأل هذا السؤال ، لانه كان يجهل — او يتجاهل — الموضع الذي دُفن فيه لعازر . فليس من العسير على الذي استطاع ان يرى نثنائيل تحت التينة ، ان يرى لعازر في القبر ، وإنما سأل هـذا السؤال ايقاظاً للحاضرين الى المعجزة التي كان مزمعاً ان يصنعها جهراً . فكان سؤاله هـذا بمثابة دعوة قُدّمت اليهم ليحضروا هذه الوليمة الروحية . فتكون لهم رائحة حياة لحياة او رائحة موت لموت . اما جوابهم على سؤاله هذا فهو : «تعالَ وانظر» — هذا صدى صوت المسيح في يو ١: ٤٦ ؟!

عدد ٣٥ . (ج) دموع يسوع — «بكى يسوع» . عظيم هو الفرق بين اللغة التي تكلم بها المسيح مع مرثا ، واللغة التي بها خاطب مريم . كانت مرثا مجاهدة جهاد الايمان الحسن ، فوجّه اليها كلمات طيبة ، هداها بها سواء السبيل اما مريم فجاءته ساجدة باكية ، فخاطبها بالدموع ، وبهذه الكلمات المتبلورة الصامتة ، جبر كسر قلبها . كلمة : «بكى» التي عبّر بها البشير عن تأثرات يسوع ، غير كلمة : «بكى» التي عبّر بها عن تأثرات مريم ومن معها (عدد ٣٣) . فهي لم ترد سوى هذه المرة في العهد الجديد ، وترجمتها الحرفية : « دَمع يسوع » . فالمسيح ، في حزنه الصامت ، سكب دموعاً هادئة . «بكى يسوع» — هذه اقصر آية في كل الكتاب المقدس ، لكن من يستطيع ان يقيس اتساعها وعمقها وسموها ! هذه قصيدة كاملة مركّزة في نبرة ، وبحر خضمّ متجمّع في قطرة ،

٣٥ . بكى

وابدية طويلة مختزلة في لحظة ، وثروة طائلة . مختزنة في لؤلؤة

« بكى يسوع » — هنا نرى دموع يسوع الانسان ، معبّرةً عن محبة المسيح الاله . هذا ختم ناسوته الكامل الذي به صار واحداً منا ، نائلاً قسطه من هذا الميراث المشترك . بل هذا مظهر لاهوته الكامل ، الذي نقرأ عنه في العهد القديم : « في كل ضيقهم تضايق » . بهذه الدموع اللؤلؤية ، الفدائية ، تُشفى العيون التي قرّحها البكاء والعويل ، ويُزال صدأ اليأس المتراكم على النفوس . بل بهذا المرهم البلّوري ، تُجبر القلوب الكسيرة

من لنا بالمنديل الذي مُسحت به هذه الدموع القدسية ، لنكفكف به كل الدموع! فلقد بكى الفادي لنبكي نحن ، وبكى لكي نفرح !!!

ما أجمل دموعك ايها الفادي ! ما اثمنها ، وما أطهرها ! فما قطر الندى الجميل ، تسكبه اجفان الفجر على اكمام الأزهار ، الا قبحاً بجانب جمالها . ولا اللآلئ الكريمة تزين تيجان القياصرة سوى تراب أمام تبرها . ولا عين الشمس الوضية ساكبةً اشعتها الوهاجة لتنقي أدران الكون ، سوى قذر بجانب طهارة دموعك القدسية النقية ! اننا نكرمك لاجل كلامك، ونعظمك لاعمالك، ونُجتذب اليك بسبب ابتسامك. لكننا اذ نراك دامعاً لاجلنا، نخرُّ عند قدميك خاشعين ساجدين . فليس أعزّ من دموعك سوى دمائك — هذا اذا جازت المفاضلة في الكمال— وهيهات ! ان دموعك هي مادة سحرية

(١) ثلاث مرات ذُكر في الانجيل، ان المسيح بكى— هنا، وعند دخوله اورشليم (لوقا ١٩:٤١) ، وفي جثسياني (عب ٥:٧)

يسوع

تذيب القلوب المتحجرة، وهي «كيميا» مقدّسة تجمع بين القلوب المتنافرة

«انزعج بالروح واضطرب . . . بكى يسوع» — بعد العاصفة نزل المطر.

ليس بعجيب ان يبكي المسيح ، مع علمه بانه سيقيم لعازر بعد دقائق ، لان «الكلمة» صار جسداً وحلّ بيننا، ولان من يقف على قبر ميت ليقيمه ، لا يمكن ان يضمّ بين ضلوعه قلباً من حجر. «من ثم كان ينبغي ان يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة اميناً في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب» (عب ٢:١٧) . ومن المهم ، ألا ننسى ان الكلمة : «بكى يسوع» ، التي تصف ناسوت المسيح التام، قد وردت في هذه البشارة المكرّسة لاثبات لاهوت المسيح. فليس من المستغرب ، ان نرى البشير الذي استهل بشارته بتجسد الكلمة الازلي ، يكثر من ايراد الادلة المثبتة ان «الكلمة» المتجسد «حلّ بيننا» ، حقيقةً لا وهماً . فيوحنا دون سواه ، حدثنا عن عطش المسيح (٤:٧ و١٩:٢٨) ، وتعبه (٤:٦) . فالمسيح اله تام ، وانسان تام

هل بكى يسوع متأثراً مما رآه ؟ ام بكى عطفاً على الباكين الذين لم يبكوا على انفسهم ؟ أم بكى منفعلاً بسبب الاجرة القاسية التي نقدتها الخطية لحبيبه لعازر — بالموت ؟ ام بكى اشفاقاً على لعازر ، اذ علم انه بهذه المعجزة سيعيده الى حياة الشقاء والهوان، بعد ان كان ناعماً في جوار ربه؟ام بكى لاسباب لا نعلمها؟

(٢) *تعليل اليهود لتأثرات المسيح* (١١:٣٦و٣٧) — «فقال اليهود . . وقال بعض منهم» . اي نعم ! وعلى قبر لعازر ايضاً « تعلَن افكار من قلوب كثيرة » . وفي ساعة الحزن ايضاً يُعرف المخلصون من الماكرين.

٣٦ فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . ٣٧ وقال بعض منهم ألم
يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى ان يجعل هذا أيضاً لا يموت

عدد ٣٦. (ا) *اليهود الحسنو الظن بالمسيح* : «فقال اليهود» — وهم فريق منهم — « انظروا كيف كان يحبه » (انظر ٢٠:٢). جميل بهؤلاء القوم ان يقدروا دموع المسيح ، وان ينسبوها الى باعث شريف كحبّه للعازر. ولكن كان عليهم ان ينظروا الى العمق ، ويعلموا ان المسيح بكى ، لان في عينيه دموعاً. وان في عينيه دموعاً لان له عينين طبيعيتين، وان له عينين طبيعيتين لانه انسان ، وانه انسان لانه تجسد طوعاً واختياراً لاجل خطايانا نحن وخطاياهم هم

عدد ٣٧. (ب) *اليهود الجامدون* : «وقال بعض منهم.. الم يقدر هذا» — ولعلهم لفظوا كلمة : « هـذا » ، بنغمة التحقير والازدراء— «الذي فتح عيني الاعمى» —المذكورة سيرته في ص ٩ . وربما اشاروا الى هذه الحادثة دون سواها ، لانها كانت ماثلة امام اعينهم ، وقد اجراها المسيح في مدينتهم منذ عهد قريب . « ان يجعل هذا ايضاً لا يموت » — فكأنهم نسبوا الى المسيح امراً من اثنين . اما انه غير مخلص في حبه للعازر ، او انه كان مغرّراً حين افهم الناس انه فتح عيني الأعمى . وهل في الامكان ان يهوى انسان الى درك أسفل من هـذا الذي هبط اليه هؤلاء ، الذين يكيلون هذه التهم لأقدس شخص، في اقدس ظرف؟! هذه حال قوم اغلقوا قلوبهم ضدّ النور ، فعجزت نار الاحزان عن ان تصهرها ، وقصرت رهبة الموت عن ان تطهرها

٣٨ فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء الى القبر. وكان مغارة وقد وُضع عليه حجر.

ثالثاً: قلب المعجزة (١١:٣٨--٤٤)

افاض البشير في وصف المراحل التي قطعتها هذه المعجزة، وصفاً دقيقاً، لا يترك مجالاً للشك في انه كان شاهد عيان. فلم يكتف بذكر ما عمله المسيح بل حفظ لنا: (أ) تأثرات المسيح (عدد ٣٨) و(ب) كلمات المسيح (عدد ٤٤)

عدد ٣٨. (أ) تأثرات المسيح، وشروعه في عمل المعجزة: «فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء الى القبر». يحدثنا هذا العدد عن: (١) تأثر المسيح: «فانزعج يسوع ايضاً في نفسه». ان تأثر المسيح الموصوف هنا لم يتخذ مظهراً قوياً، كتأثره الموصوف في عدد ٣٣. ويُستنتج من حرف الفاء الذي به يُستهل هذا العدد، ان سخرية اليهود بدموع المسيح، كانت احدى العوامل التي اثارت فيه هذا التأثر. يضاف اليها وقوف المسيح محاطاً بدموع الباكين، وشك الغير المؤمنين، ورياء المتباكين

(٢) شروعه في عمل المعجزة: «وجاء الى القبر». هذه اول خطوة فعلية، خطاها المسيح نحو اتمام المعجزة، بل هذه اول خطوة خطاها في حومة الوغى ليصارع الموت في عرينه، فيصرعه

(٣) وصف عام للقبر: «وكان مغارة وقد وُضع عليه حجر» — إما ان فم القبر كان مفتوحاً الى فوق، والحجر موضوعاً عليه — وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة عمودية. او ان فم القبر كان متجهاً الى احد الجوانب،

٣٩ قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لان له أربعة ايام

والحجر موضوعاً مقابله — وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة افقية

عدد ٣٩ . (ب) *كلمات المسيح* (١١: ٣٩— ٤٤) . هذه خمس كلمات :

(١) *كلمته الاولى للواقفين* : « قال يسوع ارفعوا الحجر » . هذا يتفق وما نعلمه عن المسيح وميله الى الاقتصاد. فلا اسراف ولا تبذير في تدبير عنايته . بطلبه هذا علّم الاجيال كلها ان الله لن يقوم بواجب الانسان بدلاً منه ، ما دام في قدرة الانسان ان يقوم بواجبه . فلن يساعد القدير إلا المجدّين . ولن تمطر السماء ذهباً وفضةً على رؤوس مَن يقعدون عن القيام بواجباتهم

فالمسيح بطلبه هذا،قدّم لهم فرصة بها يظهرون طاعتهم وولاءهم له

وفوق ذلك فانهم،برفعهم الحجر،اضحوا شهود عيان لصحة هذه المعجزة.

كلمة مرثا : « قالت له مرثا اخت الميت يا سيد.قد انتن لانه له اربعة[(١)] ايام » . اننا مدينون لمرثا بهذه الكلمات التي شهدت بها امام الاجيال — من غير قصد — بأن لعازر اخاها لم يكن في حالة اغماء ولا اعياء ، بل كان قد انتن . في هذا يصدق القول : « وشهد شاهد من اهلها »

ان وصف البشير لمرثا بانها «اخت الميت» ، يريق نوراً ساطعاً على كلام

(١) وردت الكلمة الآتية في تلمود اليهود ، وهي تريق نوراً ساطعاً على كلمات مرثا : لا يبلغ الحزن على الميت اشده ، الا بعد اليوم الثالث . لان روح الميت تظل حائمة حول القبر مدة ثلاثة ايام آملة ان تعود الى الجسد الذي منه خرجت ، ولكنها بعد اليوم الرابع ، اذ ترى ان الجسد بدأ في الانحلال ، تتركه قاصدة موضعها في عالم الارواح

٤٠ قال لها يسوع ألم أقل لكِ

مرثا ، فيعلن لنا قصدها. علمت مرثا ان جثة اخيها قد انتنت ، فأشفقت على حاسة المسيح ، والواقفين معه، من الرائحة الكريهة التي تنبعث من قبر اخيها ، متى رُفع الحجر عنه ، لانها بحكم قرابتها لاخيها ، لا تريد ان يظهر منه للناس الا احسن ما فيه ، وفي الوقت نفسه لم ترد ان تكافئ المسيح على معروفه معها ، ومع اخيها ، بتلك الرائحة المنبعثة من قبره

ويظهر من كلام المسيح لها، ان كلامها هذا نمّ عن تراجع في ايمانها الذي اعترفت به في عدد ٢٧ . فالانسان انسان : في صعود وهبوط . وهبوط وصعود

عدد ٤٠ . (٢) *كلمته لمرثا* : « قال لها يسوع ألم اقل لك . ان آمنت ترين مجد الله » . بهذه الكلمة انتشل المسيح مرثا من الهبوط في لجة اليأس ، وأعادها الى يقينية الايمان ، بان رفع فكرها من « الجثة » التي أنتنت ، الى العنصر الخالد في هذه المعجزة — « مجد الله » . فلم تكن هذه المعجزة قاصرة على قيامة لعازر من الاموات، بل قُصد بها ان تكون « آية » يتجلى فيها مجد الله . اما قيامة لعازر فهي حادث وقتي ، لان لعازر لم يخلّد بل عاد فمات

« الم اقل لكِ ان آمنت ترين . . » — ومتى قال المسيح هذا الكلام لمرثا ؟ هل في خلال حديثه معها (عدد ٢٣ — ٢٦) ؟ أم في ثنايا الرسالة التي بعث بها اليها مع الرسول (عدد ٤) ؟ ام كان هذا الوعد مستمداً من روح الرسالة والحديث معاً ؟ ! اننا نميل الى الأخذ بالرأي الاخير

إن آمنت ترين مجد الله. ٤١ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً
ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال أيها الآب أشكرك لانك سمعت
لي. ٤٢ وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي.

«ان آمنتِ ترين مجد الله» — لا يُراد بهذا ان اتمام المعجزة كان موقوفاً على ايمان مرثا، بل ان ايمان مرثا كان شرطاً اساسياً لرؤيتها «مجد الله» في المعجزة. وكم من اعمال عظمى تجرى امامنا، لكننا نُحرم فيها رؤية مجد الله، بسبب عدم ايماننا. ان رؤية مجد الله هي نبع فرح فياض لا ينضب معينه

يقول الناس عادة «انظر لتؤمن». ويقول الله «آمن لترى»

لقد ظهر مجد الله في انتصار قدرة محبته وقداسته على الموت (٤:٦)

عدد ٤١و٤٢. (٣) كلمته لعلآب: «فرفعوا الحجر.. ورفع يسوع عينيه..». لم يبدُ من الواقفين اي تردُّد. ولم يقدّم احدهم اعتراضاً ما على امر المسيح لهم. «فرفعوا الحجر» — ولما قام البشر بنصيبهم، جاء دور المسيح «رفع يسوع عينيه الى فوق..». ليس الله محدوداً بمكان، فقد وسع كرسيه السموات والارض، الا ان السموات المنظورة هي خير رمز للسماء الغير المنظورة، حيث يسكن الله في نور لا يُدنى منه، لذلك رفع المسيح عينيه اللتين تخترقان حجب المادة الى حيث يسكن الله في عزّته وبهائه

اما الكلمات التي وجهها المسيح الى الآب، فهي ليست صلاة بالمعنى الذي قصدته مرثا بقولها له. «كل ما تطلب من الله يُعطيك الله اياه». فليس في كلمات المسيح ما يفيد التوسل ولا الطلب، وانما هي شكر، واطمئنان، وثقة.

ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا انك ارسلتني.

هذا تعبير المسيح عن الصلة السرية، الوثيقة، الدائمة، التي تربطه بالآب. فليس شكر المسيح وليد هذه الحادثة، ولا هو قاصر عليها، بل هو لغة المسيح الدائمة، وهو حالته النفسية «في كل حين»، بل هو شعاره في حياته التي قضاها على الارض. وانما عبَّر عن هذا الشكر بكلمات مسموعة لانه كان ينتظر علامة منظورة نتيجة هذا الشكر فيؤمن الجمع الواقف «ان الآب قد أرسله». لقد فاز المسيح بحياة لعازر قبل ان اقام لعازر ببضعة ايام، والا لما استطاع ان يقول — وهو بعد في بيرية — «هذا المرض ليس للموت» (عدد ٤)

قبل ان يأتي المسيح الى بيت عنيا، وقبل ان يخطو خطوة واحدة الى قبر لعازر (عدد ٣٨)، كان قد سبق فقبض على ناصية الهاوية، وانتزع حياة لعازر من بين مخالبها، فلما جاءت ساعة اتمام المعجزة، وقف المسيح على قبر لعازر، لا موقف من استنفد موارده، فارسل في طلب العون والمدد، بل موقف الظافر الغني بموارده، «يسحب» منها، ما يراه لازماً لاتمام قصده

وكما هيأ المسيح قلب مرثا بوعوده المشجعة، وكما اعدّ قلب مريم بدموعه المعزية، كذلك ايضاً جهز قلوب الجمع الواقف بكلمات الشكر المسموعة، حتى يروا «العلامة» التي لاجلها صنع المعجزة: «ليؤمنوا انك ارسلتني» — وفي هذا خير تمجيد لله. لأن قيامة لعازر، بعد هذه الكلمات التي ارتفعت من المسيح الى الآب على مسمع من ذلك الجمع، هي خير دليل على ان المسيح كان يأتي معجزاته باصبع الله، لا بقوة بعلزبول

٤٣ ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً.

فيا من شكرت على قبر الميت، علّمنا ان نشكر ونحن في الظلام، قبل ان يشرق علينا النور. اننا غافلون كثيراً عن الشكر على الماضي والحاضر، ومتغافلون اكثر عن الشكر على بركات المستقبل

عدد ٤٣. (٤) *كلمته للعازر*: «ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم. لعازر هلم خارجاً». هذه هي النقطة المركزية في المعجزة. فكل كلمات المسيح السابقة، ممهدة لها. وكلمته اللاحقة، ناتجة عنها

بكلمتين وصف البشير تأثرات ابن الانسان: «بكى يسوع» (عدد ٣٥). وبثلاث كلمات وصف النغمة التي بها تكلم «ابن الله». وبثلاث كلمات أيضاً خلّص المسيحُ لعازر من فم الموت، خلاص عزيز مقتدر. «صرخ بصوت عظيم» — دلالة على *الثقة الوطيدة، والعزيمة الشديدة، والسلطان الذي لا يقهر*

«لعازر هلم خارجاً»: دعا المسيح لعازر باسمه، كمن يوقظ نائماً من نومه «صرخ بصوتٍ عظيم» — ايقاظاً لانتباه الحاضرين، وتمييزاً لذاته عن المعزّمين الذين يتمتمون. على ان قيامة لعازر لا تُعزى الى الصوت العظيم، بل الى ارادة المسيح الهادئة. وما الصوت العظيم الا تعبيراً لهذه الارادة

اين كنت يا لعازر حتى سمعت صوت المسيح، وقد فاتك ان تسمع زفرات مرثا وتنهدات مريم؟ اما الموضع الذي كان فيه لعازر، فليس لنا ان نعرفه، ولا نريد ان نعرفه، لكننا نعلم شيئاً واحداً، وهو ان صوت المسيح ينفذ

٤٤ فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل .

الى كل مكان . ان ارادته قانون السموات والارض . وكلماته نسمة حياة تبعث الروح في سكان القبور . وان ما عمله المسيح هنا ، ليس الا عربوناً لما سيعمله عند قيام الساعة : «حين يسمع جميع الذين في القبور صوته»

عدد ٤٤ . الميت يلبي النداء ويخرج : «فخرج الميت ، ويداه ورجلاه . .» — كما يستيقظ النائم ، حالما يسمع اسمه على لسان من يحبه ويحترمه ، كذلك قام لعازر من نوم الموت (عدد ١١ و١٣) ، حالما سمع صوت المسيح . «فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات . .» . اية ريشة تستطيع ان ترسم لنا صورة هذا الميت الحيّ الذي قام من قبره ملفوفاً بكفنه ، ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة ، وعيناه لا تقويان على مواجهة شمس الطبيعة ، بعد ان حرمتا منه ، اربعة ايام ، فحالما واجههما نور «شمس البر» ، طرد عنهما بقايا نعاس القبر ؟

يعتقد بعض المفسرين ، ان في خروج لعازر من القبر ، على رغم كون يديه ورجليه مربوطات ، معجزةً داخل معجزة ، فليس ما يمنع مَن كسر سلاسل الموت ، ان يفكّ او يرخي اربطة من قماش . على انه لم يكن من المستحيل على لعازر ان يحرك يديه ورجليه مع وجود الاربطة ، من غير حاجة الى قوة خارقة تساعده على ذلك ، لان اقمطة الموتى لم تكن محكمة الى الحدّ الذي تستحيل معه الحركة . ومن المحتمل ان كل رِجل كانت مربوطة على حدة وكذلك كل يد — حسب عادة للمصريين القدماء في تقميط جثث موتاهم

فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب ٤٥ فكثيرون من اليهود
الذين جاءوا الى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. ٤٦ وأما قوم
منهم فمضوا الى الفريسيين

(٥) *كلمة المسيح الثانية للواقفين* : «فقال لهم يسوع. حلّوه ودعوه يذهب» ان قصد المسيح في هذه الكلمة لا يخرج عن قصده في كلمته الاولى لهم (عدد ٣٩). فاطلب الشرح هنالك. (انظر ايضاً لو ٧: ١٥ و ٨: ٥٥)

رابعاً : *الاثر الذي تركته المعجزة* (١١: ٤٥—٥٧) : (أ) *الاثر القريب* (١١: ٤٥ و ٤٦). (ب) *الاثر البعيد المدى* (١١: ٤٧—٥٣)

(أ) *الاثر القريب الذي تركته المعجزة* (١١: ٤٥ و ٤٦). مرة اخرى، نرى احدى معجزات المسيح تقسم مشاهديها الى صفين متقابلين، مثلما يفصل نور الصباح بين النهار والليل. على ان الاثر الذي تركته هـذه المعجزة، بعيد المدى، لانّ نورها الفاحص والمميز، قد امتد الى اليهود انفسهم فشطرهم شطرين — مؤمنين وغير مؤمنين. فكأن معجزات المسيح قد وُضعت «لسقوط وقيام كثيرين»

عدد ٤٥. (١) *الشهود المؤمنون* : «فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا.. آمنوا». ان بعضاً من هؤلاء، جاءوا ليعزوا مريم. وجاء بعضهم ليروا، وفي النهاية آمنوا. هؤلاء رأوا احد اعمال المسيح، وفيه رأوا شخصه «لان اموره غير المنظورة تُرى بالمصنوعات. قدرته السرمدية ولاهوته»

عدد ٤٦. (٢) *الشهود المتجسسون*: «واما قوم منهم فمضوا الى الفريسيين

وقالوا لهم عما فعل يسوع . ٤٧ فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون

وقالوا لهم . . . » . كلمة : «اما» تضع حداً فاصلاً بين هؤلاء و بين سابقيهم. لم يكن هؤلاء مخلصين في ذهابهم الى الفريسيين، بل كانوا «مخبرين سريين»، وكانت نيتهم ان يشوا بيسوع . على انه ليس من المستبعد ان كان بين هذا الفريق، قوم متحيرون، ذهبوا الى الفريسيين ليسروا اليهم الحيرة التي ملكتهم

عدد ٤٧و٤٨ . *الاثر البعيد المدى* (١١: ٣٧—٥٣) . لم تكن قيامة لعازر، علة الحكم على المسيح بالموت ، لكنها عجّلت بهذا الحكم . ان كأس اليهود كانت مليئةً بالحقد والسعاية ضد المسيح، فلما تمت هذه المعجزة طفحت الكاس ، «فجمع رؤساء الكهنة» — وهم من الصدوقيين الذين كان بيدهم زمام السلطة ، فكانوا بحكم وظيفتهم ، المنفذين لهذه الحركة الآثمة — وقد اتفق معهم «الفريسيون» الذين كانوا متخذين غالباً موقف المحرّضين. ومع ان الصدوقيين كانوا مختلفين مع الفريسيين في العقيدة، الا ان حقدهم على «عدوهم المشترك»، قد ألّف بين قلوبهم. ولكم تجمع ايها الناصري بين القلوب المتنافرة ، حتى في وقت التآمر عليك . دعا رؤساء الكهنة والفريسيون ، مجمع السنهدريم الى التئام خاص للنظر في هذه الحالة الطارئة التي كانت تهدّد كيانهم .

(١) *المتآمرون المتحيرون* . لما استقر بهم المقام، قالوا : «ماذا نصنع . فان هذا الانسان يعمل آيات !» (١١: ٤٧ و٤٨) . انهم في تآمرهم هذا قد طبّقوا على انفسهم تلك النبوة القديمة ، التي طالما ردّدوها في تلاواتهم وهم لا يفهمون حقيقتها : «تآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه» (مزمور ٢: ٢) . عند ما

مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ٤٨ ان
تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا

خلا هؤلاء القوم الى انفسهم، صرّحوا بما كانوا يضمرون. فاعترفوا (أ) بحيرتهم وعجزهم: «ماذا نصنع»؟ (ب) بصحة معجزات المسيح: «فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة». (ج) بتخوفهم على مصالحهم الشخصية: «يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون..» اذاً كانوا يتخوّفون من امرين، يترتب ثانيهما على اولهما. وفي كلا الامرين كانوا يخافون على مصالحهم هم، لا على الدين ولا على مصالح الشعب. هؤلاء هم الرعاة الذين يرعون انفسهم — ولكن ليوم الذبح الذي هم عنه غافلون. وكم من كثيرين يصيحون وينادون بالويل والثبور وعظائم الامور، لا لان الدين اصبح في خطر، بل لان مصالحهم النفسانية، العالمية، قد صارت مهددة. الامر الاول الذي كانوا يخشونه هو انصراف الجميع الى المسيح، وانصرافهم عنهم. وربما كان انصراف الناس الى المسيح مصحوباً بشيء من الحماس، مما يعطي الرومان حقاً في التدخل، لمنع الثورة التي يحدثها الشعب — وكثيرون منهم لا يفهمون طبيعة ملكه، فقد يطمعون في جعله ملكاً. والامر الثاني: تدخل السلطة الرومانية في صد تيار هياج الشعب، مما يؤدي الى سلخ البقية الباقية من السلطة التي كانت بيد اعضاء السنهدريم. هذا مرادهم من القول: «يأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وامتنا». ولعلهم قصدوا بـ «موضعهم» كراسي الحكم التي في اورشليم، وما فيها من اسباب السلطة: كالهيكل وما اليه، ويعتقد بنغال: ان

وأمتنا . ٤٩ فقال لهم واحد منهم . وهو قيافا . كان رئيساً للكهنة
في تلك السنة .

كلمة «موضع» تعني أرض اليهودية. ولكن الرأي الاول أقرب الى الصواب حسب اعتقادنا . والمراد بكلمة «امتنا» الشعب اليهودي. فكأنهم كانوا حريصين على اورشليم والهيكل — وهما مكان الحكم والسلطة، وعلى امتهم — وهي الرعية المحكومة بهذه السلطة . اذاً كان خوفهم منصبا على النفع المادي ، والنفوذ الادبي ، الاجتماعي ، ليس الا . اما الدين . . . وأما الله . . . (مت ٢١: ٣٨) .

عدد ٤٩و٥٠.(٢) **اللاهوتي المتكهن** : «قال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة». قضت تقاليد اليهود، بأن يكون رئيس الكهنة، رئيساً لمجمع السنهدريم . ولكن يظهر من القول : «واحد منهم» ، ان قيافا لم يكن رئيساً لهذه الجلسه، وغالباً كان الالتئام غير رسمي، لانه كان غير عادي (عدد ٤٧) . والمراد بقوله : «في تلك السنة» ، ان قيافا كان رئيساً للكهنة في السنة الموعودة — كدت اقول المشئومة! لان لتلك السنة مقاماً خاصاً في ذهن البشير ، فهي نقطة الارتكاز في التاريخ . وغالباً قال البشير: «في تلك السنة»، تنويهاً بالتقلقل الذي كان يتهدد وظيفة رئيس الكهنة، في تلك الايام (١) فاه قيافا بنصيحته التي املاها عليه القدر الساخر . فلنتأمل في :

(١) جاء في تاريخ يوسيفوس : ان الحاكم الروماني فاليريوس جراتوس ، عزل رئيس الكهنة حنان واقام اسماعيل بدلا منه . وبعد فترة وجيزة عزل اسماعيل واقام اليعازار بن حنان عوضاً عنه. وبعد مضي سنة واحدة عزل اليعازار ونصب سمعان مكانه . وهذا الاخير لم يظل في وظيفته غير عام واحد ، ثم عين بدلا منه يوسف الملقب قيافا الذي ظل في وظيفته احد عشر عاماً

أنتم لستم تعرفون شيئاً . ٥٠ ولا تفكّرون أنه خير لنا أن يموت
انسان واحد عن الشعب

(أ) نغمتها : كان قيافا من فئة الصدوقيين الذين عُرفوا بالخشونة والعجرفة، فلم تبرحه خشونته وهو يتحدث الى الفريسيين بنغمة العالم المتجبّر : «انتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون» (اعمال ٤:٦ و٥:١٧)

(ب) غايتها : «خير لنا...». «كان قيافا رئيساً للكهنة في تلك السنة»، فكان اذاً بحكم وظيفته متكهّناً بمقاصد الله، وناطقاً بلسانه، ومترجماً عن فكره (خروج ٢٨:٣٠ وعدد ٢٧:٢١ و١ صم ٣٠:٧). فمع انه لم يكن نبياً في ذاته، لان اخلاقه بعيدة كل البعد عن صفات الانبياء، سيما لانه مُقام في وظيفته بيد الرومان، لا بارادة الشعب، الا انه كان يتقلّد الوظيفة الكهنوتية، وكان «الاوريم والتميّم» — اداة التكهّن بالمستقبل — في قبضة سلطانه. لذلك سخرته العناية فتفوّه بـ«نبوّة»، وهو لا يدري. فجاءت منه «رمية من غير رام». اذاً كان هذا الرجل أحكم من نفسه (٧:٢٧ و٣٥)

تفوّه قيافا بهذه النصيحة، مدفوعاً بـ(أ) حبه لذاته : «خير لنا». (ب) حبه لشعبه وامته : «يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة». (ج) عدم تقديره لشخص المسيح : «ان يموت انسان واحد» — كما لو كان هذا الانسان، كأي انسان آخر من البشر — فلا مانع من ان يسفك دم هذا الانسان الواحد، فدية عن امة بأسرها. (د) عدم تقديره لمعنى العدالة

كان هذا قصد قيافا، وقد فاته « ان الساكن في السماء يضحك،

ولا تهلك الامة كلها . ٥١ ولم يقل هذا من نفسه بل اذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ ان يسوع

ويستهزئ به» (مز ٢: ٤) فسخر القدر رئيس الكهنة الزائف وصيّره احكم مما هو، فلفظت شفتاه كلمات تتفق في ظاهرها مع قصد الله، مع انها تختلف عنه كل الاختلاف في الباعث عليها، وفي جوهرها، وفي نتيجتها

عدد ٥١و٥٢. كلمة تفسيرية: «ولم يقل هذا من نفسه . .» . ان وجه الحق في كلمات قيافا، هو ان موت المسيح فدائي.من اجل ذلك،تبرّع يوحنا البشير لهذه الكلمات بلقب «نبوة» مع انها لا تحمل من علامات النبوة الا صورتها.ويعتقد بعضهم،ان البشير قال هذا تهكماً.كأنه والقدر يسخران بقيافا

ان الذي دفع قيافا الى النطق بهذه الكلمات، باعث شيطاني، سداه حبّ الذات ولحمته الحرص على المصلحة المادية. ولكن الباعث لله على صلب المسيح، هو حب التضحية لاجل الآخرين . اما جوهر نصيحة قيافا فينمّ عن ظلم فاحش، لانها ترمي الى موت البار عن الأثمة قسراً واعتباطاً، مع ان جوهر الفداء الالهي هو موت البار عن الأثمة، تقديساً للعدالة، وتنزيهاً لقداسة الاله البار الذي قال «ان اجرة الخطية هي موت»

كان يعتقد قيافا ان موت المسيح، خير وسيلة لحفظ كيان الشعب اليهودي، مادياً، واجتماعياً. لكن موت المسيح، كان في تدبير الله، المعول الذي هدم كيان الشعب اليهودي. فبسببه نقض الهيكل الذي كان رمز آمالهم، وحامل لواء مجدهم. وبسببه تشتت الشعب اليهودي وتفرقوا ايدي

مزمع ان يموت عن الامة ٥٢ وليس عن الامة فقط بل ليجمع
أبناء الله المتفرقين الى واحد . ٥٣ فمن ذلك اليوم

سببا ، حتى لقد قيل : لا يوجد اقوى من اليهود افراداً ، واضعف منهم جماعة وشعباً. و بسببه طارت ملائك المجد من موضع «الشكينا» في الهيكل وكتب عليه : «ايخابود» — « زال المجد » . و بسببه انشق حجاب الهيكل ، وصار دم المسيح — حسب طلبهم — « عليهم وعلى اولادهم الى الابد »

على ان موت المسيح ، وان كان قد وضع جمرة نار حامية ، على رؤوس اليهود ، بخلاف رأي قيافا ، الا انه كان برداً وسلاماً على ابناء الله المؤمنين في كل العالم : « ليجمع ابناء الله المتفرقين » — في شتات اليونانيين وسائر الامم — «الى واحد» — اي إلى جسد واحد رأسه المسيح

اذا اردنا ان نعرف من هو النبي الحقيقي ، فهو يوحنا لا قيافا . ذلك لان يوحنا رفع عينيه الشبيهتين بعيني النسر ، وتطلّع الى المستقبل البعيد ، فرأى « الخراف التي ليست من هذه الحظيرة » — من الذين لم يكونوا بعد مؤمنين بالمسيح، لـكنهم مع ذلك كانوا ابناء الله بحق امتلاكه اياهم،و باعتبار ما سيصيرون اليه، و بيّن لنا ان المسيح مات ليجمع هؤلاء المتفرقين في أطراف الارض ، الى حظيرة واحدة ، بل الى جسد واحد رأسه المسيح

عدد ٥٣ . *الاثر الذى تركته مشورة قيافا* : «فمن ذلك الوقت تشاوروا ليقتلوه» . يستدلّ من قوله : «فمن ذلك الوقت» ، ان مشورة قيافا صادفت هوى في افئدتهم ، فصارت نواة لمؤامرات عديدة دبروها في الخفاء ضد

تشاوروا ليقتلوه. ٥٤ فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود
علانية بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة
يقال لها أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه. ٥٥ وكان فصح اليهود
قريباً. فصعد كثيرون من الكورَ الى أورشليم قبل الفصح

الفادي. فكأن قيامة لعازر كانت تحريضاً لليهود على قتل المسيح. وكم من خير يُعمل في هذه الحياة، فينتج شراً، الى حين. وانما الغلبة النهائية للخير

فترة هادئة (١١: ٥٤—٥٧)

عدد ٥٤. *عزلة المسيح وتلاميذه في افرايم*: « فلم يكن يسوع ايضاً يمشي بين اليهود علانية » — لا خوفاً ولا تخوفاً — لكن لانه لم يرد ان يستقدم ساعة صليبه. فلم يشأ ان يتعرّض لاخطار كان في غنى عنها — « بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها افرايم ومكث هناك مع تلاميذه ». ان موقع مدينة افرايم، شمالي غربي اريحا. وتبعد عن اورشليم نحو ٢٤ كيلومتراً الى الشمال الشرقي. وفي ايامنا تقوم في موضعها «قرية الطيبة» (انظر ٢ اي ١٣: ١٩)

التجأ المسيح مع تلاميذه الى هذا المكان الهادئ، وما من شك في ان افكاره كانت مشتغلة بالصليب. ولا يبعد انه في ذلك الحين، أسرّ لتلاميذه الشيء الكثير عن آلامه، وزودهم لتلك المعركة الفاصلة التي كانت تنتظره واياهم

عدد ٥٥ و٥٦. *مناداة المعيدين من جهته*: «وكان فصح اليهود قريباً. فصعد كثيرون من الكور» — اي من الريف — «الى اورشليم قبل الفصح

ليطهروا أنفسهم . ٥٦ فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم
وهم واقفون في الهيكل ماذا تظنون. هل هو لا يأتي الى العيد.
٥٧ وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا امراً أنه
ان عرف أحد أين هو فليدل عليه لكي يمسكوه

ليطهروا انفسهم» (تك ٣٥:٢ وخروج ١٩:١٠و١١ و٢ أي ٣٠:١٦—٢٠ واعمال ٢١:٢٤) . وقد جاء في التلمود : « ينبغي لكل شخص ان يتطهر قبل العيد » . حالما وصل هؤلاء العيدون الى اورشليم ، توجهوا الى الهيكل ، وهناك بدأوا يتساءلون عن امكانية مجيء المسيح الى العيد . ولا يهمنا من تساؤلهم هذا ، الا كونهم ذكروا المسيح في الهيكل . هذه شهادة ضمنية على ان من اراد المسيح فليطلبه في « هيكل قدسه » . ان تساؤلهم هذا لا ينم عن حب ولا عن عداء

عدد ٥٧ . *الذئاب المتعطشة لدم البار* : « وكان ايضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد اصدروا امراً انه ان عرف احد اين هو ، فليدل عليه لكي يمسكوه » — هذه حلقة جديدة تُضم الى سلسلة مؤآمراتهم على قدوس الله ، وقد حرص يوحنا البشير على ان يستعرض امامنا سلسلة مؤآمراتهم في حلقات متتابعة متدرجة (انظر ٥:١٦و١٨و٧:٣٢و٩:٢٢و١١:٥٣)

ان رؤساء الكهنة هم ارباب السلطة التنفيذية . والفريسيون هم اصحاب الفكر المدبر . (٧:٤٥)

الاصحاح الثاني عشر

الايام الاخيرة في خدمة المسيح على الارض

ها قد بلغنا الآن نقطة انتقال مهمة في خدمة المسيح على الارض . في الاصحاحات السابقة ، رأينا المسيح في خدمته الجهرية. وفي الاصحاحات اللاحقة ، سنراه على اكتاف هضبة الآلام والتضحية . و في الاصحاح الذي أمامنا ، نشهد ثلاث حوادث،هي أشبه الاشياء ببوغاز يوصل بين خدمته في الدائرة المتسعة — بحياته وكلامه ، و بين خدمته لخاصته — بمعلناته وآلامه ، وقيامته

اننا مدينون ليوحنا البشير بترتيب حوادث أسبوع الآلام . فهو يرجع بنا ستة ايام قبل عيد الفصح اليهودي ، و يستهلها بالوليمة التي صُنعت تكريماً للمسيح الذي كسَّر أبواب الهاوية . واحتفاء بليعازر الذي عاد الى العالم الحاضر ، بعد مرحلة قصيرة في عالم الأبد

في هذا الاصحاح حدثنا البشير عن : اولاً : *الوليمة التكريمية في بيت عنيا* (١٢: ١ — ١١) . ثانياً : *دخول المسيح اورشليم ظافراً* (١٢: ١٢ — ١٩) . ثالثاً : *اقبال اليونانيين الى المسيح* (١٢: ٢٠ — ٣٦) . و بعد هذه الحوادث الثلاث، يختتم الاصحاح بلمحة عن *تأثير خدمة المسيح على اليهود* (١٢: ٣٧ — ٥٠)

أولاً : *الوليمة التكريمية* (١٢: ١ — ١١).(انظر مت ٢٦: ٦ ومر ١٤: ٣)

في هذه الوليمة ، تجلت عواطف اصدقاء المسيح في اسمى مظاهرها — ممثلة في اصحاب الوليمة . و في الوقت نفسه ثارت عواصف ألداء المسيح في آذ م

١ ثم قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا حيث
كان لعازر الميت الذي اقامه من الاموات .

صورها — ممثلة في يهوذا الاسخريوطي . ومن المحزن جداً ، ان يكون في صفوف المقرَّبين ، رجل برهنت الايام على انه كان مندوب المعادين !

عدد ١ . (ا) ميعاد الوليمة : «ثم قبل الفصح بستة أيام» . يقع الفصح اليهودي في اليوم الرابع عشر من نيسان (مارس — ابريل) . اذاً قد اقيمت هذه الوليمة في اليوم الثامن منه . و بما ان الفصح ، وافق يوم سبت في تلك السنة،طبق التقويم المعتمد،فتكون هذه الوليمة قد صنعت بعد غروب السبت

« ستة ايام » — تقابلها ستة ايام التكوين التي فيها خلق الله العالم . ان ستة أيام الآلام ، أهم في نظرنا من ستة ايام الخلق ، لاننا بآلام المسيح ، «وُلدنا ثانية لرجاء حيّ» ، بل خُلقنا خليقة جديدة . لولاها لكانت خليقتنا الاولى ويلاً علينا ووبالاً . هذه احدى النقط التي يلتقي فيها يوحنا بموسى ، ثم يسمو فوقه محلقاً بجناحي النسر . «ستة ايام»—باسبوع مقدس يستهل يوحنا بشارته (١:٢٩و٣٥و٤٣ و٢:١) ، و بأسبوع اكثر منه قدسية يختتم بشارته

(ب) مكان الوليمة : «أتى يسوع الى بيت عنيا» . خرجنا من الاصحاح الماضي، مودّعين المسيح في افرايم ، وها نحن نراه الآن ، وقد ترك أفرايم الى وادي الاردن ، وقبل أريحا انضم الى المعيدين ، الصاعدين الى اورشليم

« حيث كان لعازر الميت الذي اقامه يسوع من الاموات » — بهذه الكلمات يمهد البشير للمناسبة المفرحة التي بسببها أُقيمت هذه الوليمة

٢ فصنعوا له هناك عشاء وكانت مرثا تخدم واما لعازر فكان احد
المتكئين معه . ٣ فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير

عدد ٢ . (ب) الوليمة : « فصنعوا له هناك عشاء » — اننا لا ندري بالتحقيق من هم الذين صنعوا العشاء . وفي الغالب هم آل لعازر . ويظن وستكوت انهم اهل القرية ، وقد صنعوا العشاء تكريماً للمسيح

(ج) نصيب مرثا في الوليمة : « وكانت مرثا تخدم » . لقد ظلت مرثا حريصة على « نصيبها » الذي حدثنا عنه لوقا : «في خدمة كثيرة» (لو١٠: ٤٠). وفي اعتقادنا انها بعد قيامة أخيها ، كانت تخدم مجرّدة عن روح التذمر ، والشكوى ، لأن الآلام قد صقلتها ، والايمان القويم قد قوّمها

(د) نصيب لعازر من الوليمة : « واما لعازر فكان احد المتكئين معه » . يُستنتج من وجود لعازر بين المتكئين ، ومما جاء في متى ٢٦: ٦ ، ومرقس ١٤: ٤ ، ان صاحب الوليمة هو سمعان الابرص وليس لعازر

عدد ٣ . (هـ) نصيب مريم في الوليمة : «أما مريم فكانت ، كما عهدناها ، ملازمةً للمكان الذي اختارته نصيباً لها — الجلوس عند قدمي المسيح . في بشارة لوقا (لو ١٠: ٣٩)، رأينا مريم جالسة عند قدمي المسيح ، مستمعة . وفي يو ١١: ٣٢ وجدناها ساجدة عند قدمي الفادي ، باكية متألمة . وهنا نراها عند قدمي المخلص مقدّمة أثمن وازكى ما عندها

بهذه الكلمات ، يصف يوحنا تقدمة مريم : « مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن» . « المنا » — او المنّ — كما جاء في التلمود — هو اللتر .

الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلأ
البيت من رائحة الطيب . ٤ فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا

و «الناردين» هو نوع من الطيب الزكيّ الصافي . وقد ذُكر بين أطياب عروس سليمان (نشيد ١: ١٢و ٤: ١٣و١٤) وهو يُستخرج من ساق نبات من فصيلة حشيشة الهرّ، المعروفة في اللاتينية باسم (Nardostachys Jatamansi) ويتبيّن من كلام يهوذا (عدد ٥) ، ان ثمن الناردين الذي دهنت به مريم قدمي يسوع ، كان ثلثمائة دينار — والدينار يساوي اربعة غروش مصرية . فيكون ثمنه نحو اثني عشر جنيهاً مصرياً — أي نحو اربعة اضعاف الثلاثين من الفضة التي اخذها يهوذا ثمناً للمسيح . فتأمل كم اعطت مريم وكم أخذ يهوذا !!

ولكي تعبّر مريم عن كمال تكريسها للفادي القدوس، لم تكتف بتقديم ما عندها، بل مسحت قدمي يسوع بشعرها وهذا أقصى غاية التكريس (انظر مز ٢٣: ٥) . «فامتلأ البيت من رائحة الطيب» — هذه العبارة الاخيرة ، من التفصيلات الدقيقة ، التي لا يقوى على الالمام بها ، الا من كان شاهد عيان

يقول متى ومرقس ، ان الطيب سُكب على رأس المسيح . وفي هذا لا يختلفان عن يوحنا الذي قال أن قدمي المسيح قد دُهنتا بالطيب . لان مريم بعد ان سكبت الطيب على رأس المسيح كالعادة، دهنت أيضاً قدميه (لو ٧: ٤٤)

عدد ٤و٥ . *نصيب يهوذا في الوليمة* — «فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا». بهذه الكلمة المرّة اللاذعة ، يعرّفنا البشير بيهوذا . هذه خير نعمة لمن يحفظها، وشرّ نقمة لمن لا يقدرها . ما كان نوراً لغير يهوذا ، صار له ناراً :

سمعان الاسخريوطي المزمع ان يسلمه ٥ لماذا لم يبع هذا الطيب

«واحد من تلاميذه» . وعلى قدر الصعود يكون الهبوط (٦: ٧١و١٣: ٢و٢٦)

«المزمع ان يسلمه» — يُستفاد من هذه العبارة ، ان نية الخيانة كانت متوفرة في قلب يهوذا . فلقد بيتّها بين ضلوعه ، وغذاها ، ورباها ، حتى كملت ، ونضجت ، فأثمرت هلاكاً لنفسه ، وخلاصاً للعالمين !

«لماذا لم يُبع هذا الطيب..؟» غريب أمرك يا يهوذا! كان يكفينا منك ان تكون بغير ثمار حسنة، فتقف تجاه من يثمرون طيب الثمار، وثمار الطيب ، موقف المحايد ، على الاقل ، اذا عزّ عليك ان تقف منهم موقف المشجع . ولكن أنّى للقلب الذي بيّت الشر فيه ، ان يكفّ عن ان ينضح بما فيه؟ ألم يقل الفادي : « من فضلة القلب يتكلم اللسان » ؟ وهكذا برهن يهوذا ، من غير قصد منه ، على انه من المستحيل على اي انسان ان يكون بغير ثمر ، فان لم يثمر ريحاناً ووردًا ، أثمر شوكاً وقتاداً

« لماذا لم يُبع هذا الطيب بثلثمئة دينار ويُعطَ للفقراء» ؟ — تحت ستار الشفقة على الفقراء ، اراد يهوذا ان يطعن مريم طعنة نجلاء ، فطعن نفسه ، وهو لا يدري . ان شرّ انواع الشرّ ، هو ما كان ظاهره خيراً

« لماذا لم يُبع هذا الطيب ..»؟ بمثل هذه الكلمات ، نطق قوم آخرون (مت ٢٦: ٨ ومر ١٤: ٤) لكنهم يختلفون عن يهوذا في ان ما قالوه كان تعبيراً عن طيف خطر لبالهم ثم ذهب ، واما يهوذا فقد كان معبّراً عن نية بيتّها في نفسه ، ليظهرها متى جاء اوانها . ان في كلمة يهوذا تعريضاً بالمسيح

بثلثمئة دينار ويعطَ للفقراء. ٦ قال هذا ليس لانه كان يبالي بالفقراء
بل لانه كان سارقاً وكان الصندوق عنده

من طرف خفي ، كما لو كان مقدماً مصلحة الفقراء على مذبح منفعته الشخصية ، وقد فات يهوذا ان امر الفقراء لم يكن منسياً من المسيح (١٣: ٢٩) ، وان الفادي انما جاء لاجل الفقراء ، فوُلد فقيراً ، وعاش فقيراً ، ومات في زمرة الفقراء ، وانه لاجل الفقراء افتقر وهو غنيّ . الا يخجل يهوذا ، من مريم ، وقد قدّمت للمسيح طيباً ، يعادل اربعة اضعاف الثمن الذي به باع هو سيده

عدد ٦ . جملة تفسيرية معترضة : « قال هذا ليس لانه كان يبالي بالفقراء» . الكلمة الاصلية المترجمة «يحمل» ، قد تترجَم حرفياً الى : «يحمل بعيداً » او « يُقصي وينهب » ما أقسى هذا الوصف الذي خلعه البشير على يهوذا: «لصاً» . ولكن ما عيب المصوِّر اذا كان الوجه المصوَّر قبيحاً ؟

قد تساءل بعضهم قائلاً : « لماذا رضي المسيح بتسليم الصندوق ليهوذا وهو عالم انه سيكون تجربة له» ؟وعلى قدر ما عندنا من النور نجيب بان المسيح رضي بان يتسلَّم يهوذا الصندوق ، ربما لانه كان اكثر التلاميذ كفاءة في الامور المالية . على ان نقطة القوة في الانسان ، قد تستحيل يوماً ما الى نقطة ضعف اذا انغلب من التجربة التي تعرض له من ناحيتها ، كما انها قد تصبح فيه مصدر قوة وبركة ، اذا استفاد من عوامل الخير والصلاح التي تعرض له من ناحيتها . وبما ان هذين الطريقين كانا امام يهوذا ، بل كانت العوامل المحيطة به مما يساعد ، ويرفع ، ويشجع ، اذ كان محاطاً باحسن بيئة في

وكان يحمل ما يلقى فيه. ٧ فقال يسوع اتركوها.

الوجود—أعني بها المسيح نفسه، لكن يهوذا، اختار الظلام وهو في حضرة النور. ويقول وايس، ان المسيح سلم الصندوق ليهوذا لانه رأى فيه كفاءة لادارة الشئون المالية، وفيما بعد، لم يُرد ان يتدخل في أمرٍ له مكانته في تنفيذ برنامج الفداء. وهذا ما نميل الى الأخذ به

ويظن جودي ان المسيح لم يتدخل في تعيين يهوذا «اميناً» للصندوق، بل ان هذا التعيين تمَّ بين التلاميذ وبين يهوذا، الذي اظهر غالباً ميلاً شديداً الى هذه الوظيفة فاسلمه المسيح الى «اهواء الهوان» (رومية ١: ٢٦).

عدد ٧. *المسيح يثني على مريم*: «فقال يسوع...» في هذه الكلمات اثنى المسيح على مريم وطيبها، ثناء مستطاباً وفي ثنائه عليها، قدَّم: —

(ا) *دفاعاً*: «اتركوها»—لا تزعجوها بانتقاداتكم وتأنيباتكم (مر ١٤: ٥)

(ب) *تقديراً*: «انها ليوم تكفيني قد حفظته». ان المسيح بلطفه قد اعطى لعمل مريم قيمةً أسمى مما قصدت هي، مثلما أعطى البشيرُ كلماتِ قيافا معنى ابعد مما كان يرمي هو اليه (١١: ٥١). كان وجه انتقاد يهوذا لعملها انه ذهب ضياعاً من غير فائدة، فأظهر الفادي ان لعمل مريم قيمة أعظم مما يحلم به يهوذا أو سائر الموجودين الذين ظنوا ان في عملها اتلافاً (مر ١٤: ٤). لقد رأت عين المسيح الطاهرة، في ما عملته مريم، امراً سابقاً لأوانه، وفي الوقت نفسه في اوانه الحقيقي. لانه علم ببصره الثاقب انه بعد موته ودفنه سيُرفع بجسده الى السماء ومتى جاء اوان وضع الطيب على جسده، يكون هذا

انها ليوم تكفيني

الجسد قد رُفع من القبر (مر١٦:١) اذاً الاوان الحقيقي لوضع الطيب على جسده هو تلك الآونة التي قامت فيها مريم بعملها المبرور. كأنها ببصيرة المحبة تخطت الزمن وسابقته فسبقته : « قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين » (مر ١٤:٨). هم يقولون : « لماذا هذا الاتلاف ؟ » والمسيح يقول : «انها قد حفظته». ان خير وسيلة بها نحفظ ما انا هي سكبه عند قدمي المسيح . لان دهن قدمي المسيح هو اول خطوة في تكفينه

هذا تقدير المسيح لعملها. اما هي فقد ارادت تكريم جسد المسيح الحيّ . في هذا يظهر تفوقها على نيقوديموس الذي جبن عن ان يتبع المسيح الحيّ ، فقدّم اطياباً لجسده في القبر . إن كأس ماء بارد تقدمها لانسان في حياته خير من الف زهرة تنثرها على قبره ميتاً. وان كلمات طيبة تقولها لصديق في حياته، خير من وابل الدموع نسكبها على تربته. فلا تؤجل عمل اليوم الى الغد

اما قوله : « قد حفظته » فمفاده ان مريم حرصت على هذا الطيب ، ولم تبعه او تتصرّف فيه ، لانها كرّسته لتكفينه . و يميل وستكوت الى الاعتقاد بان المسيح نطق بهذه الكلمات ، والمستقبل ماثل امامه كالحاضر ، فتكلم عن التكفين كما لو كان ماثلاً امامه في ساعة دهن قدميه بالطيب . فرأى في دهن قدميه ، درجة ابتدائية في تكفين جسده . هذه هي الفرصة الوحيدة التي فيها كان يمكن لمريم ان تشترك ، في تكفينه (انظر ١٩:٤٠ ومر ١٦:١)

هذا هو ثناء المسيح على مريم . ولكن الا نلاحظ فيه تقريعاً خفياً ،

قد حفظته . ٨ لان الفقراء معكم في كل حين . واما انا فلست

وخفيفاً ليهوذا ؟ وهل في الامكان ان نذكر تكفين المسيح ، من غير ان نذكر الدور الذي لعبه فيه يهوذا الخائن ؟ ان مريم بامانتها وولائها رفضت ان تبيع طيباً زكياً ، وكرّسته لتكفين الجسد المقدّس ، الذي في سبيله كسب يهوذا ثلاثين من الفضة ليسلمه الى الموت. ان عمل مريم قد ظهر مقابل عمل يهوذا . فلا يوازي نور اولهما الا ظلام ثانيهما . و بضدّها تتبين الاشياء

عدد ٨ . (ج) تعليم مجيد : « لان الفقراء معكم في كل حين واما انا فلست معكم » — بالجسد الذي يلزمه التكفين — « في كل حين » . واما بالروح ، فالمسيح « معنا كل الايام والى انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ٢٠) . فاه المسيح بهذا القول وهو يعني جسده الذي سيُبعث الى السماء ، في الوقت تقضي فيه عادة اليهود بدهنه بالحنوط (مر ١٦: ١) . ولا يفوتنا ان نذكر ان مريم هذه لم تكن بين النساء اللواتي قصدن القبر لهذا الغرض

لم يقصد المسيح بقوله هذا ، ان يزاحم الفقراء ، وهو الذي قد علمنا أن شخصه قد يكون ممثلاً في الفقراء ، وان كل معروف يُصنع مع الصغار ، انما هو مصنوع معه هو بالذات (مت ٢٥: ٤٠) ، بل اراد ان يُفهم يهوذا والعالم اجمع ، ان كل غال رخيص متى قُدّم لمن قدم ذاته لاجلنا ، فلم يحسب نفسه عزيزة حتى الموت. واما ما قاله عن الفقراء، فهو ترديد لما جاء في تث ١٥: ١١

ان امثال يهوذا كثيرون في عصرنا الحاضر ، ممن يعتبرون الانفاق على التبشير باسم المسيح، اتلافاً . ويفضلون عليه ما يسمونه بالمشروعات الاجتماعية،

معكم في كل حين. ٩ فعلم جمع كثير من اليهود انه هناك فجاءوا
ليس لاجل يسوع فقط بل لينظروا ايضاً لعازر الذي اقامه من
الاموات . ١٠ فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً .

وقد فاتهم ان كل مشروع اجتماعي لا يقوم على اسم المسيح ، محكومٌ عليه من ذاته بالفشل المحقق ، وان التبشير باسم الفادي فيه اكبر ضمان للعناية بالفقراء . فملاجئ الايتام والعجزة ، ومستوصفات الفقراء والفقيرات ، المقامة في ظلال الصليب ، ارفع عماداً ، وانبل قصداً ، واشرف غاية من كل مشرع خيري يقام في برية المجتمع المجدبة القاحلة

عدد ٩—١١ . (د) عاقبة الوليمة : «فعلم جمع . . فجاءوا . . لينظروا . . فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً.». ان بعضاً من الحجاج الذين صعدوا مع المسيح من اريحا الى اورشليم ، نشروا بين معارفهم خبر وجوده على مقربة من اورشليم—في بيت عنيا ، ولما كان المسيح موضوع حديث القوم (١١: ٥٥ و٥٦) ، لم يتمالكوا انفسهم من الذهاب الى بيت عنيا ، ليروه ، ولينظروا ايضاً لعازر الذي اقامه من الاموات . هؤلاء هم عامة الشعب. اما رؤساء الكهنة الذين ملأ الحسد والغلّ قلوبهم ، فتشاوروا ليقتلوا لعازر ايضاً مثلما تشاوروا ليقتلوا يسوع من قبل (١١: ٥٠).لانهم رأوا في لعازر شهادة حية بان يسوع هو المسيح ، وقد غاب عنهم ان نور الشمس لا تحجبه الاكفّ . وان الحق حق ولو مات بعض شهوده ، فالحقّ اعظم شاهد لنفسه ، وفعلاً قد كان ما خافوا ان يكون ، فان تيار الشعب قد بدأ يتحوّل الى شخص المسيح ، نتيجة

١١ لان كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع
١٢ وفي الغد

الشهادة الحية التي قدمتها قيامة لعازر من الاموات. ومما اخجل كبرياء رؤساء الـكهنة ، ان شعب اورشليم ، الذي كانوا يعتمدون عليه ، في صدّ تيار شعب الجليل ، قد صار من اتباع هذا المسيح

كل هذا يُعتبر مقدمة اعدادية لدخول المسيح ظافراً الى اورشليم. فساعته التي ارادت امه ان تستقدمها (٢: ٤) ، والتي طلبها اخوته في وقتهم ولم تكن قد جاءت بعد (٧: ٤) ، قد دقّت الآن

ثانياً : دخول المسيح اورشليم ظافراً (١٢: ١٢—١٩)

انظر شرح بشارة لوقا للمؤلف (صفحة ٤٩٠—٤٩٧)

اهتمّ الاربعة البشيرون بذكر هذه الحادثة التاريخية ، لأنهم رأوا فيها اقراراً من الشعب ، ومصادقة من المسيح نفسه ، على انه هو «مسيا» المنتظر ، ملك اليهود . وقد كتب عنها البشيرون ، كلّ بحسب وجهة نظره . فاتجه نظر متى بنوع خاص الى هتاف الاولاد في الهيكل ، والى مجيء العمي والعرج الى المسيح لـكي يستشفوا (مت ٢١: ١٤و١٥) . والتفت مرقس الى تسجيل نظرات المسيح «الى كل شيء حوله في الهيكل» (مر ١١: ١١) . وعُني لوقا بحفظ دموع المسيح على قرطاسه (لو ١٩: ٤١) . وارانا يوحنا ذلك الجمع الحافل الذي خرج من اورشليم للقاء المسيح،وهم يحملون سعف النخل(يو١٢: ١٢و١٣) سبق المسيح فـكبح جماح الذين أرادوا، في مناسبات سابقة ، أن يجعلوه

سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد ان يسوع آت الى اورشليم .
١٣ فأخذوا سعف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أُوصنّا

ملكاً (١٦:٦ ولوقا ١٤:٢٥—٣٣و ١٩: ١١). لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد . فهو لا يقبل تاجاً منفصلاً عن الصليب

عدد ١٢و١٣ . (١) *الجمع يحتفي بالمسيح* — «وفي الغد» — اي في غد يوم الوليمة ، وحسب التقويم المسلّم به ، وقع هذا اليوم في صباح الأحد ١٠ نيسان — « سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد » — وجُلّه ، ان لم يكن كله من الجليليين . يمتاز هذا الجمع الجليلي ، عن ذاك الجمع اليهودى المذكور في عد ٩ ، بالاخلاص والولاء للفادي . «ان يسوع آت الى العيد» — غالباً اتصل بهم هذا الخبر من المعيدين القادمين من بيت عنيا (انظر متى ٢١: ١)

لما علم هذا الجمع الجليلي ان يسوع آتٍ الى اورشليم ، احتفوا بقدومه الميمون ، وعبّروا عن احتفائهم هذا ، بوسيلتين — اولاهما رمزية : « فاخذوا سعوف النخل » — المنزرع على الطريق — « وخرجوا للقائه » . و بما ان سعف النخل دائم الاخضرار والازدهار ، فهو رمز الى النصرة ، والفرح ، والجمال ، والخلاص (لاويين ٢٣: ٤٠ ورؤيا ٧:٩) . والوسيلة الثانية تعبيرية: « وكانوا يصرخون اوصنا » — هذه كلمة ارامية اصلها « هوشعنا » — اي خلّصنا . ومنها تسمّى هذا اليوم بـ« أحد الشعانين » . « مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل » . ان هذا القول مقتبَس من مزمور ١١٨: ٢٥ . ويعتقد فريق من المفسرين ان هذا المزمور تُلي لاول مرة في حفلة تدشين الهيكل الثاني.

مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل. ١٤ ووجد يسوع جحشاً
فجلس عليه كما هو مكتوب ١٥ لا تخافي يا ابنة صهيون . هوذا

ويقول فريق آخر ان الجماعة انشدته يوم وضع الحجر الاساسي للهيكل. ويظن فريق ثالث انه أنشئ خصيصاً ليرتّل يوم عيد المظال. فاذا صدق ظنّ هذا الفريق الثالث ، كان لسعف النخل معنى ممتاز في هذه المناسبة ، لان له مقاماً خاصاً عند اليهود في عيد رأس السنة ، وفي اعيادهم الثمرية . « الآتي باسم الرب . . » — ان في هتافهم هذا ، اقراراً منهم بـ (١) *مصدر رسالته* : « الآتي باسم الرب » . (ب) *مقام الملكي* : « ملك اسرائيل » فهو مسيا المنتظر

عدد ١٤و١٥ . (٢) *نبوة قديمة تمت* : « ووجد يسوعُ جحشاً فجلس عليه » . هذا تسليم من المسيح بانه هو مسيا المنتظر ، ملك اليهود . نعم هو ملك ، ولكن على طراز جديد . فهو الوديع المتواضع القلب ، ورب السلام ، لذلك امتطى الأتان — لا العربات المطهّمة تجرّها الخيل الجياد

« كما هو مكتوب» — لم يكن اتمامُ المكتوب باعثاً للمسيح على اقدامه على هذا الأمر ، وانما أقدم عليه اجابةً لنداء « الساعة » ، فتمت بعمله هذا ، احدى النبوات الرئيسية التي اشارت منذ القديم الى « مسيا » (زكريا ٩:٩)

ان اتمام هذه النبوة الممتازة في هذا الظرف الخاص ، يلقي نوراً ساطعاً على : (١) *حقيقة ملك المسيح* . فهو ملك حقيقي ، لا بشهادة الجماهير المتحمسة التي قد تخطئ محمولة وراء ثورة عواطفها ، بل بشهادة نبي من خيرة الانبياء

ملكك يأتي جالساً على جحش اتان . ١٦ وهذه الامور لم يفهمها
تلاميذه اولاً . ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا ان هذه كانت
مكتوبة عنه وانهم صنعوا هذه له .

الاقدمين — زكريا . (ب) طبيعة ملكوت المسيح — فان ملكه مطبوع بطابع السلام . (ج) ميزة ملك المسيح — فهو ملك وديع ومتواضع القلب

عدد ١٦ . كلمة توضيحية : «وهذه الامور لم يفهمها تلاميذه اولاً . ولكن لما تمجد حينئذٍ تذكروا . .» . لا شك في ان هذه الذكرى ، كان يمتزج فيها الفرح ، والحزن ، والتعجب . اما الفرح ، فبالاعلانات الجديدة التي كشفت لهم . واما الحزن ، فعلى قصورهم — حتى هم — في الادراك . واما التعجب ، فمن حكمة العناية الالهية التي اتاحت لهم ان يكرموا سيدهم ، وهم لا يدرون

ان النور الذي كشف هذه الحقيقة للتلاميذ ، لم يكن قاصراً على نور التاريخ الذي يريقه المستقبل على الحاضر والماضي ، وانما هو نور الروح القدس الذي استقر في قلوب التلاميذ بعد صعود المسيح وارساله الروح القدس

كانت لهذه الحقيقة مكانة خاصة في قلب يوحنا البشير، لذلك كرّر كلمة : « هذه » ثلاث مرات في هذا العدد الواحد ، مشيراً بها الى المعنى الخفيّ الذي كان كامناً في هذا الحادث التاريخيّ . ولم ينسَ يوحنا انه كان واحداً منهم

ان ضمير الجماعة في قوله : «وانهم صنعوا هذه له»، يعود على التلاميذ. وخير تفسير لهذه العبارة، ما جاء في لوقا ١٩: ٢٩ — ٣٦ . هذا دليل جديد على اتفاق البشيرين ، وعلى ان يوحنا اغفل عمداً بعض ما كتبه سائر البشيرين

١٧ وكان الجمع الذي معه يشهد انه دعا لعازر من القبر واقامه من الاموات
١٨ لهذا ايضاً لاقاه الجمع لانهم سمعوا انه كان قد صنع هذه الآية .

عدد ١٧ — ١٩ . (٣) *تأثير هذا الحادث الجلل* . «وكان الجمع . . يشهد . . . . فقال الفريسيون» . لم يقصد يوحنا ان يرسم صورة تاريخية كاملة لدخول المسيح ظافراً الى اورشليم ، وانما اراد ان يبين (ا) *الصلة المزدوجة* التي بين هذا الحادث و بين قيامة لعازر (ب) *التأثير* الذي تركه هذا الحادث

عدد ١٧و١٨ . (ا) *الصلة المزدوجة التي بين هذا الحادث وبين قيامة لعازر* . ان «الجمع» المذكور في عدد١٧، يتألف غالباً من الذين كانوا مع المسيح حين اقام لعازر . وهم خليط من اليهود المذكورين في ١٢: ٩و ١١ ، ومن اولئك المذكورين في ١١: ٤٩ ، ومن بعض مستوطني بيت عنيا . ان شهادة هذا الجمع ، شهادة عيانية يقينية، لم تقتصر على ذكر المعجزة بكلمة مجملة ، بل وصفتها في درجتين متتابعتين — «دعا لعازر من القبر» و «اقامه من الاموات» من هذا يتضح لنا ان قيامة لعازر من الاموات ، كانت موضوع شهادة الجمع الذي كان مع المسيح حين اقام لعازر ، وظلّ في معيته حتى دخوله اورشليم

على ان لمعجزة قيامة لعازر ، صلة اخرى بهذا الحادث التاريخي . فهي ايضاً علة خروج الجمع من اورشليم لاستقبال المسيح عند دخوله اليها . وكان هذا الجمع ، قد جاء الى اورشليم ليعيّد (عدد ١٢) . وكانت قد اتصلت به اخبار هذه المعجزة من الحجاج الذين مرّوا ببيت عنيا في طريقهم الى اورشليم. فاذاً هذا «الجمع» المذكور في هذا العدد ، هو غير «الجمع» المذكور في عدد ١٧

١٩ فقال الفريسيون بعضهم لبعض انظروا. انكم لا تنفعون شيئاً.
هوذا العالم قد ذهب وراءه

عدد ١٩ . (ب) *تأثير هذا الحادث*: «فقال الفريسيون..» ان هذا الحادث المبهج الجلل ، قد لعب هو ايضاً دوره في انضاج عوامل البغضاء الكامنة في قلوب الفريسيين، حتى عملوا على صلب المسيح. فاذا كان عددا ١٧ و ١٨ يحدثاننا عن صلة معجزة اقامة لعازر، بحادثة دخول المسيح الى اورشليم، فان عدد ١٩ ينبئنا بالصلة الكائنة بين دخول المسيح ظافراً الى اورشليم ، و بين رفعه على الصليب

ان الفريسيين هم اللون القاتم، الذي يظلل به البشيرون كل صورة جميلة. واذا كان يوحنا قد حرص على وصف المرارة النفسية التي كان يعانيها هؤلاء المساكين ، والحسد يحزّ في رقابهم وقلوبهم من غير سكين ، فهو ايضاً لم ينسَ ان يذكرنا بغباوة هؤلاء الحكماء في اعين انفسهم . فانهم في كلامهم ضد المسيح ، صاروا احسن الشهود لنجاحه وانتصاراته : « انظروا . . هوذا العالم قد ذهب وراءه . . » . هذه احدى الآيات التي تتألف منها « بشارة الفريسيين » ! ما اشبهها بتلك التي فاه بها قيافا ! (١١:٥٠) . ان مؤامرة هؤلاء، كان القصد منها تنفيذ مشورة ذاك. والجالس في السموات يضحك!

تتضمن كلمتهم هذه : (١) *توميهاً لمولتفات*: «انظروا..» انهم يشيرون بهذا الى ما حدث عند دخول المسيح اورشليم. (ب) *تحريضاً*: «انكم لا تنفعون شيئاً». (ج) *اعترافاً* بفشلهم ونجاحه: «هوذا العالم قد ذهب وراءه» — يريدون بـ«العالم»، مستوطني اورشليم والغرباء. بهذا ابدوا اعتراف السامريين (٤:٤٢)

٢٠ وكان اناس يونانيون

ثالثاً : اقبال اليونانيين الى المسيح : (١٢:٢٠—٣٦)

من كل الحوادث التي وقعت بين يوم الاحد — الذي فيه دخل المسيح لورشليم ظافراً — المعروف عادة بـ « أحد السعف » ، وبين يوم الخميس المشهور بـ « خميس العهد » — الذي فيه أكل المسيح الفصح الجديد مع تلاميذه — ، تفرد يوحنا بذكر حادثة واحدة اغفلها سائر البشيرين — وهي التي نحن بصددها الآن . لانه رأى فيها صلة مكينة بآلام المسيح وامجاده ، ومنها تبيَّنت وجهة نظر المسيح الى الصليب . ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام :

(١) طلب اليونانيين وجواب المسيح (١٢:٢٠—٢٧) . (٢) الصوت السماوي وتأويله (٢٠:٢٨—٣٣) . (٣) تحذيرات ووعود (١٢:٣٤— ٣٦)

(١) طلب اليونانيين وجواب المسيح (١٢:٢٠—٢٧). (أ) طلب اليونانيين (١٢:٢٠—٢٢) . عند مذود بيت لحم، جاء الامم ممثَّلين في المجوس ، وقبيل الجلجثة نرى الامم ايضاً ، ممثَّلين في هؤلاء اليونانيين . ان قوله : «ليسجدوا في العيد» دليل على انهم كانوا يونانيين دخلاء . وقد جرت العادة ، ان يقضي مثل هؤلاء اليونانيين مدة العيد في دار الهيكل الخارجية،المعروفة بـ«دار الامم» (١ مل ٨:٤١—٤٣) . وفي الغالب وقع هذا الحادث في صباح الخميس ، بعد ان دخل المسيح ظلال الصليب.هذه آخر مرة نشهد فيها المسيح في الهيكل

عدد ٢٠ . لمحة عنهم . سمع هؤلاء اليونانيون بدخول المسيح اورشليم ظافراً — ان لم يكونوا قد شاهدوه بعيونهم—وغالباً رأوا المسيح وهو يطهر

من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد. ٢١ فتقدم هؤلاء الى فيلبس
الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه قائلين يا سيد

الهيكل ويطرد التجار اليهود من المكان المخصص اصلاً للامم — ومنهم هؤلاء اليونانيون. ولا شك في انهم سمعوا تلك الكلمة الخالدة التي وبّخ بها المسيح اولئك التجار قائلاً: «بيتي بيت الصلاة يُدعى لجميع الامم». فكانت هاتان الكلمتان برداً وسلاماً على قلوب اليونانيين، فقالوا في انفسهم من هو هذا اليهودي العجيب العامل على استرداد حقنا المهضوم؟ ومما لا جدال فيه، انهم سئموا الفتات اليابسة المتساقطة من مائدة اليهودية المتعالية، ولم يجدوا طعاماً في فلسفة الابيقوريين المادية، ولا لذة في حكمة الرواقيين الغبية، فتعطشت نفوسهم الى ما هو اعلى، وتاقت قلوبهم الى من هو اسمى. الان تهيّبهم وتغرّبهم الجنسي حالا دون تقدّمهم باشخاصهم الى هذا السيد اليهودي الجديد. لذلك وسّطوا احد تلاميذه: «فيلبس». والذي حدا بهم الى اختيار «فيلبس» دون سواه، هو انّ فيه عنصراً يونانياً، كما يستفاد من اسمه اليوناني، بخلاف سائر الرسل — ما عدا اندراوس — فان اسماءهم يهودية. وقد يُستفاد من ذكر وطن فيلبس: «من بيت صيدا الجليل» ان هؤلاء اليونانيين اتوا من مكان مجاور للجليل

عدد ٢١. امنيتهم. «يا سيد. نريد ان نرى يسوع». ان مجد السيد، يُكسِب التلميذ رفعة، لذلك قالوا لفيلبس: «يا سيد! نريد ان يسوع». لم يقصدوا مجرّد رؤية المسيح بالعين الجسدية، كما رآه زكا، لان مثل هذه

نريد ان نرى يسوع. ٢٢ فأتي فيلبس وقال لاندراوس ثم قال
اندراوس وفيلبس ليسوع . ٢٣ واما يسوع فأجابهما قائلاً

الرؤية كانت ميسورة لهم من غير وساطة ، ويكاد يكون من المحقق ، انهم الى الآن كانوا قد فازوا بهذه الرؤية ، وانما ارادوا ان يخلوا الى المسيح حيناً من الزمن ،فيه يبثونه اشواق قلوبهم ، و يمتعون بصائرهم بمرأى سناه ، و يلذذون اسماعهم بطيب حديثه ونجواه . ولعلهم ارادوا بأمنيتهم هذه ، وقد رأوا مقاومة اليهود للمسيح،ان ينتهزوا هذه الفرصة فيقدموا اليه الدعوة ليذهب اليهم[1] ، فينال منهم كل اجلال — بذلك كانت تتم كلمة اليهود التي القوها جزافاً في مناسبة سابقة : «العله مزمع ان يذهب الى شتات اليونانيين» (٧: ٣٥)

عدد ٢٢ . *تصرف فيلبس بطلبهم* : لم يأنس فيلبس في نفسه الشجاعة ليتقدم بهم الى المسيح ، من اجل ذلك استأنس برأي اندراوس — وهو ايضاً يوناني الاسم— فاستقرّ رأي اندراوس على ان يرافقهما مع فيلبس الى المسيح . في هذا العدد كما في ٦: ٧ ، يتمثل لنا فيلبس رجلاً شديد الحرص ، يحسب حساباً لكل خطوة يخطوها . وليس من المستبعد انه حسب حساباً لهذه الخطوة ، لانه ذكر كلام المسيح في مناسبة سابقة : متى ١٥: ٢٤

عدد ٢٣. (ب) *جواب المسيح* (١٢: ٢٣— ٢٧) . «واما يسوع فاجابهما» —أي اندراوس وفيلبس— «قائلاً . .» . رأى المسيح في طلب اليونانيين ،

(١) يقول يوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير ان ملك ادسا (Edessa) من اعمال سورية، ارسل وفداً الى المسيح طالباً اليه ان يقيم معه، واعداً اياه بحفاوة ملكية، تعوض عليه رفض اليهود اياه . (تاريخ يوسابيوس الجزء الاول صفحة ١٣)

قد اتت الساعة ليتمجد ابن

قطرة من مطر غزير سوف ينهمر ، وحبة من حصاد عظيم سيُضم من حقول الامم الى خزائن الملكوت ، لكنه علم ان العالم الاممي لن يُقبل اليه أفواجاً افواجاً ، الا بعد ان يخلع هو الرداء اليهودي المتسربل به ويُرفع على الصليب ، فيخرج من البيئة الضيقة المنظورة ويدخل الى المجد ، فيضحى شخصية عامة تبسط قوّة جاذبيتها على العالم اجمع . فالصليب اذاً هو باب النصرة ، والمجد والحريه . هذه هي الحقيقة الباهرة التي أعلنها المسيح ، وامام بهاء نورها لم نستطع ان نرى هؤلاء اليونانيين فيما بعد ، ولا علمنا ماذا تم بطلبهم . فامام شمس هذا الاعلان اختفت كواكب شخصياتهم . على اننا وان كنا لا نجد في كلام المسيح جواباً مباشراً لهذا الطلب ، الا اننا نرى فيه تصريحاً ضمنياً، بأن : (١) *وقت اقبال اليونان — والامم — اليه قد جاء* . (٢) *ان اقبالهم اليه لا يتم الا بعد صلبه ، وقيامته ، وصعوده*

«قد أتت الساعة» — التي جعلها الآب في سلطانه (انظر تفسير ١٣:١).
« ليتمجد ابن الانسان » . يستفاد من قرينة الكلام انه اراد بتمجيده أمرين — *أولهما*: اجتذاب الجميع اليه، بالصليب (عدد٣٢)، *وثانيهما* : ارتقاؤه فوق القيود البشرية ، وارتفاعه الى المجد ، عن طريق الصليب (عدد ٢٤)

ان قوله «ابن الانسان» في هذا العدد، يقابله قوله «ابن الله» في ١١:٤ . هنا تحدث عن نفسه باعتبار كونه حاملاً جسم بشريتنا معه الى المجد ، وهناك تكلم عن ذاته باعتبار كونه حاملاً طبيعة الله وممثلاً اياه على الارض

الانسان. ٢٤ الحق الحق اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتي

ان الحقيقة التي تنطوي عليها هذه العبارة: «قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان»، هي نواة لكل الحديث الذي فاه به المسيح (١٢: ٢٣—٣٦)، وقد اوضحها : (١) *تمثيل من الطبيعة* (عدد ٢٤). (٢) *مبدأ اولي تناول حياة تلاميذه* (عدد ٢٥و٢٦) . (٣) *تصريح عن الغاية المثلى من حياته* (عدد ٢٧و ٢٨)

عدد ٢٤ . *تمثيل من الطبيعة* : «الحق الحق» — اطلب تفسير ٦: ٥٣ — « اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض . . » — ما اعمق فلسفة المسيح وما ابسطها ! فهي عميقة لدرجة انها غابت عن «الحكماء والفهماء » . و بسيطة لدرجة ان حبة الحنطة تخبر بها. ثلاث حقائق تحدثنا عنها حبة الحنطة: (١) *الموت باب الحياة* لان حبة الحنطة ان بقيت مخبوءة في المخازن ، أكلها السوس . (٢) *التضحية باب الاثمار والانتاج* : « ان لم تقع في الارض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير ».(٣) *الصليب باب المجد.* لان حبة الحنطة المجرَّدة تكاد تكون خالية من كل اسباب الجمال. لكنها متى ماتت، نبتت، فازهرت، فاينعت، فلبست ثوباً اخضراً قشيباً، ثم تُوِّجت في النهاية بتاج السنبلة الذهبي . فما أقوى المسيح وما اقدره . لانه بحبة الحنطة هدم صرح الفلسفة اليونانية المؤسسة على سفسطة ديمتريوس القائلة : ان الحياة الطبيعية هي كل شيء ، ومتى ادركها الموت ، فلا مناص لها من الفناء والزوال. فأفهمهم المسيح ان فناء الحياة الطبيعية، هو بدء الحياة الابدية

بثمر كثير . ٢٥ من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حيوة ابدية

أوَ لا نجد في هذا الكلام خير جواب لطلب اليونانيين — اذا صح الفرض انهم طلبوه ليقدموا له في وطنهم كل اكرام وتمجيد — فصارحهم بان الصليب — لا مجد وطنهم — هو خير باب المجد ؟ !

عدد ٢٥ و ٢٦ . *مبدأ أولي يتناول حياة التلاميذ* : «من يحب نفسه... ومن يبغض نفسه . .» . كلمة : « نفس » ، تعني الحياة الطبيعية الحسية . اما الحياة الابدية فهي الحياة في كمال مظهرها : في *طولها* ، *وعرضها* ، *وعمقها* ، وعلوها . ان من يحرص على حياته الجسدية حرص الغني الغبي على حنطته في مخازنه ، لا يلبث ان يخسرها . لان الحياة الطبيعية تحمل في قلبها بزور الفناء ، ولكن من يضحي بهذه الحياة في سبيل الله والبشرية ، فانه يرفع حياته من المستوى الطبيعي الفاني ، الى المستوى الروحي الخالد . فالتضحية ، وانكار النفس ، والموت ، هي باب الحياة الفضلى . وحب الذات هو سمها القاتل ! ان من يلصق نفسه بالفانيات ، يحكم على نفسه بالفناء مثلها ، ومن يرفعها عن الماديات ، يمجدها . هذا اكبر معول ينقض الفلسفة اليونانية القائلة بان الحياة وهمية

مع ان هذا مبدأ عام (متى ١٠ :٣٩ و ١٦ :٢٥ ومرقس ٨ :٣٥ ولوقا ٩ :٢٤ و ١٧ :٣٣) ، إلا انه لا يوجد ما يحول دون انطباقه على المسيح . فانه ضحى بحياته الانسانية ، مختاراً ، فربحها حياة ممجدة وكسب نفوس جميع تابعيه

على ان صليب المسيح ، ليس فقط موضوع اتكالنا ، بل هو ايضاً

٢٦ان كان احد يخدمني فليتبعني . وحيث اكون انا هناك ايضاً يكون خادمي . وان كان احد يخدمني

مثالنا . هذه هي الحقيقة المبينة في عدد ٢٦ : «ان كان احد يخدمني فليتبعني» — الاتباع هنا منصبّ على ناحية خاصة — هي الصليب والتضحية . فقد نتبع المسيح الى بحر الجليل فنأكل الطعام الذي يقدمه لنا ، وقد نجلس تحت قدميه عند جبل الموعظة ، وقد نرتقي معه صاعدين الى جبل التجلّي فنتملّى من بهاء سناه ، وقد نتبعه حتى جثسيماني ، ودار الولاية ، والمحاكمة . ولكن ان لم نتبعه حتى الجلجثة — حتى الصليب — فان كل خطواتنا السابقة تذهب هباء . نعم ان كل حياة المسيح مليئة بالمجد لكن المجد كله قد تركز على قمة الجلجثة — في الصليب. فان لم نشاطره عاره ، فلا نصيب لنا في امجاده وفخاره

يحدثنا هذا العدد عن ثلاث حقائق مهمة تتعلق بالخدمة : (١) *شرط الخدمة* : « ان كان احد يخدمني فليتبعني » . (٢) *شرف الخدمة* : « حيث اكون انا هناك ايضاً يكون خادمي » — وهل من شرف معادل للوجود في معيَّة المسيح — في الألم والمجد ؟ ان كان تألمنا معه خيرَ مجد لنا ، فكم بالحري تمجيدنا معه ؟ ان افضل تفسير لهذه الكلمات ، هو تلك الطلبة التشفعية التي قدّمها المسيح لاجل تلاميذه : « ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني يكونون معي حيث اكون انا . لينظروا مجدي الذي اعطيتني» . (٣) *مكافأة الخدمة* : «ان كان احد يخدمني» — سواء اكان من اليهود أم من الامم —

يكرمه الآب . ٢٧ الآن نفسي قد اضطربت . وماذا اقول . ايها

«يكرمه الآب». للمسيح المجد (١٧ : ٥) ، ولخادمه الامين ، الكرامة . ان هذا العدد ، خير مفسر للشطر الثاني من العدد السابق ، واليك البيان :

«ان كان احد يخدمني» : { «فليتبعني» .. «من يبغض نفسه في هذا العالم» . } «حيث اكون انا هناك
{ «يكرمه الآب» .. «يحفظها الى حياة ابدية» . } ايضاً يكون خادمي»

عدد ٢٧ و ٢٨ (ا) (٤) . **الغاية المثلى من حياة المسيح** : «الآن نفسي قد اضطربت . وماذا اقول . . » نطق المسيح بالكلمات السابقة ، متمثلاً امامه شبح الصليب الذي تأباه النفس الانسانية بحكم طبيعتها . وكأنى بموجة من التأثر ، صدمت صخرة عزيمته ، وما هي الا لحظة حتى تكسرت هذه الموجة وزالت وبقيت عزيمته قوية كالصخرة — بل الصخرة قوية مثلها — فرحب بالصليب ، وقهر المنون قهر عزيز مقتدر

كلمة « نفس » المستعملة هنا ، هي بعينها التي وردت في عدد ٢٥ ، وهي «نفس» المسيح الانسانية التي تنفر بحكم طبيعتها من الموت ، نفور البرارة من الظلام ، سيما وان موت المسيح لم يكن بالموت العادي ، بل كان موتاً كفارياً ، حمل فيه كل خطايا البشرية في جسده على الصليب ، من غير ان تنقض ظهره . انه لم يمت موت شهيد ، بل موت المخلص الفادي المجيد

ويغلب على اعتقادنا ان هذين العددين يصوّران لنا صراعاً نفسياً اجتازه المسيح فخرج منه ظافراً . عند ما رأى الصليب ماثلاً امامه ، احست نفسه الانسانية بقشعريرة ، لكن روحه الالهية ظلت مثبتة وجهها شطر الصليب فكان الفادي بين عاملين . فهل يستسلم لهزة نفسه الانسانية ويقول « ايها

الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لاجل هذا أتيت الى هذه الساعة

الآب نجني من هذه الساعة» ؟ كلا . لانه انما لاجل هذه الساعة قد جاء — ساعة الصلب . أم يغضي عن احساس النفس البشرية ، ويصغي الى ايحاء روحه الالهية فيقول : «ايها الآب مجد اسمك» ! — وهذا ما فعله المسيح هنا وفيه كمال الظفر والفوز . لان اسم الآب لا يتمجد الا بالصليب الذي هو اعظم مترجم عن محبة الله المضحية ، الغافرة ، الجانية .

يميل بعض المفسرين الى الاعتقاد بان الكلمات : «نجني من هذه الساعة» هي صلاة رفعها المسيح الى الآب ، ويرون فيها « جثسيماني [1] بشارة يوحنا » . لكننا نعتقد مع جمهور المفسرين الموثوق بهم بأن هذه الكلمات ليست سوى خاطر [2] نفسي ، لم يلبث ان تبخر امام حرارة عزيمة المسيح الالهية القوية فحلت محله هذه الامنية الجليلة التي أفرغها في شكل طلب : «ايها الآب مجد اسمك» . ان الاشارة الى جثسيماني، في هذه البشارة، ليست في هذا العدد ، بل في ١:١٨ « حيث كان بستان »

(٢) الصوت السماوي وتأويله (١٢:٢٨ب—٣٣).(ا) الصوت السماوي (١٢:٢٨ب) . (ب) تأويله (١٢:٢٩—٣٣)

---

(١) لقد اجاد احد المصورين الايطاليين اذ رسم صورة الملاك الذي ظهر في جثسيماني حاملا صليباً في يده ليقوي المسيح به

(٢) يختلف هذا الخاطر عن صلاة جثسيماني في انه مجرد من القول : « ان امكن » و« لكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت» (متى ٢٦ : ٣٩) — انظر شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٧٦ — ٥٨٣

٢٨ ايها الآب مجد اسمك . فجاء صوت من السماء مجدت وامجد ايضاً

عدد ٢٨ ب . (ا) **الصوت السماوى** : « فجاء صوت من السماء . مجدت وامجد ايضاً » . كان هذا الصوت اجابة لامنية المسيح التي افرغها في شكل طلب . هذا مستفاد من حرف الفاء في كلمة « فجاء »

مثلما شهد الآب للمسيح شهادة مسموعة عند بدء خدمته وقت المعمودية (١ :٣٢) ، ومثلما شهد له أيضاً في قلب خدمته على جبل التجلي (متى ١٧) ، كذلك شهد له ايضاً عند خاتمة خدمته قبيل الصلب. وكان القصد من هذه الشهادة ، ختم عمل المسيح وشخصه ، بخاتم رضى الآب

ومن المحقق ان هذا الصوت لم يكن ظاهرة طبيعية اولها المسيح روحياً ، وانما كان علامة خارقة للطبيعة ، فأولها الغير المؤمنين الى ظاهرة طبيعية . ويختلف هذا الصوت عما يسميه اليهود الرابيون بـ «بَتّ قول» — اي «بنت الصوت» او «صوت الوجدان» ، في ان هذا الصوت كان مسموعاً، بخلاف صوت الوجدان الذيهو اشبه الاشياء بلسان الحال

ان الكلمات التي حملها هذا الصوت:(ا) **تتناول الماضى** : «مجدت» — يشير هذا القول الى خدمة المسيح بين اليهود وقد دنت الى النهاية. (ب) **تمتد الى المستقبل** : «وامجد ايضاً» — يشير هذا القول الى خدمة المسيح بين الامم وقد آذنت بالبداية . ان حلقة الاتصال بين الخدمتين هي «الصلب» . بهذا يتمجد اسم الآب بين اليهود ، و بين الامم ، فتتم بذلك نبوة سمعان — « نور اعلان للامم ومجداً لشعبك اسرائيل» ، (انظر ايضاً يوحنا ١٧ :١و٢و٤و٥)

٢٩ فالجمع الذي كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد. وآخرون قالوا
قد كلمه ملاك. ٣٠ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا

عدد ٢٩و٣٠. *تأويل هذا الصوت* (١٢: ٢٩ — ٣٣). اختلف السامعون في تأويل هذا الصوت، باختلاف استعدادهم. *فالفريق الاول*، وهم الغير المدرّبين على التمييز، قالوا: «قد حدث رعد». هؤلاء — لمزيد الاسف — كانوا الاغلبية. ومن المحزن، انّ أنسالهم لا يزالون يعيشون بين ظهرانينا الى اليوم، اذ يحاولون ان يفسروا كل معجزة كتابية، كأنها ظاهرة طبيعية. *والفريق الثاني* — وهم اكثر تمييزاً من الاوّلين، استطاعوا ان يميّزوا في الصوت بعض النبرات فسمعوا فيه كلمات، لكنهم جهلوا مصدرها، فقالوا: «قد كلمه ملاك». وكم من مرار يكلمنا فيها الله، فلا نفهم ولا نميز، لان اسماعنا غليظة، وقلوبنا اشد غلاظة. فالعبرة ليست بالصوت بل بالاذن السامعة، و بالعقل الذي يوحي الى الاذن، ويترجم لها المعاني التي تحملها الاصوات. فالوحوش الغير المدرّبة، قد تسمع كلاماً، فلا تجد فيه الا مجرد صوت. لكن الحيوانات الاليفة، تستطيع ان تميز في الصوت أمراً او زجراً. والببغاء الذي يفوق كل الحيوانات تهذيباً، يستطيع ان يميز الكلمات، لكن قوة المعاني تغيب عنه. لكن الانسان العاقل، يفهم الفكر الذي تحمله الكلمات الصادرة من انسان آخر

ان صوت الله لم يميزه سوى الاله المتجسد: «اجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم». لم يكن المسيح في حاجة الى الشهادة له بصدق رسالته، لان له الشهادة في نفسه. وانما جاءت هذه الشهادة

الصوت بل من اجلكم . ٣١ الآن دينونة هذا العالم .

ليسمعها كل من له اذنان ، وليميزها كل من لم يضع اصابعه في اذنيه . وكان القصد منها امتحان ايمان السامعين ، وتثبيت ايمان المؤمنين

اما رسالة هذا الصوت ، فهي مثلثة ، ولها صلة وثيقة بالعالم :

(١) *دنو ساعة دينونة هذا العالم* (عدد ٣١): «الآن دينونة هذا العالم». (٢) *حلول وقت انزال رئيس العالم عن عرشه الزائف* : «الآن يُطرح رئيس هذا خارجاً» .(٣) *مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرشه الصليب.* (عدد ٣٢) : «وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليّ الجميع»

عدد ٣١ . (١) *دنو ساعة دينونة هذا العالم* . يراد بدينونة العالم ، اماطة اللثام عن وجه العالم الغادر ، فيُرَى في صورته الحقيقية. و«العالم» المقصود هنا، ليس العالم الطبيعي الذي خلقه الله : كالبحار والجبال وما اليها ، ولا الناس العائشين على وجه هذه البسيطة ، فهؤلاء قد احبهم الله (٣: ١٦) . وانما يراد به الروح العالمية ، المادية ، الغارقة في الحاضر المنظور ، والمعادية لروح الله «لان كل ما في العالم شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة . ليس من الآب، بل من العالم. والعالم يمضي..» (١ يو ٢: ١٦) . هذا يوافقه قول بولس: «ديماس تركني اذ احبّ العالم الحاضر » (٢ تيموثاوس ٤: ١٠)

ان اداة الدينونة المقصودة هنا ، هي الصليب . لان في نور الصليب انكشفت نيّات العالم وخفاياه وتجسمت عداوته للمسيح في اشخاص الذين عملوا على صلبه. فالعالم ، حين صلب المسيح ، فضح نفسه وشهّر بذاته . فاذاً

الآن يُطرح رئيس

الصليب صَلَب العالم . فان العالم ، برفضه مسيح الله برهن على أن افكاره مضادة لافكار الله ، لان افكار العالم سطحية افقية ، لكن افكار الله علوية عمودية . وهل الصليب الا تقاطع خط افقي مع خط عمودي (†) ؟!

ان دينونة العالم ، التي ابتدأ اول فصل منها يوم «الجمعة الحزينة» ، وتمّ الفصل الثاني منها يوم « خراب اورشليم » ، وتُنجز بعض فصولها مع تعاقب الزمن ، سيتمّ آخر فصل منها يوم يقام العرش الابيض العظيم (عدد ٤٨) . وسيكون الصليب موضوع الدينونة ، فكلّ الخطايا المنصوص عنها في ناموس موسى ، تهون امام خطية صلب المسيح . « من خالف ناموس موسى ، فعلى شاهدين او ثلاثة شهود يموت بدون رأفة . فكم عقاباً اشرّ تظنون انه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحُسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً» (عبرانيين ١٠ : ٢٨ و ٢٩) . على ان خطية صلب المسيح ليست منحصرة في الذين قاموا بهذا الفعل الذميم في بدء القرن الاول للميلاد ، لكنها تتعداهم الى الذين يرفضون صليبه ، ويقيمون في قلوبهم كل يوم جلجثة جديدة يصلبونه عليها في القرن العشرين ويشهرونه . (عبرانيين ٦ : ٦)

(٢) *حلول ساعة ازال رئيس العالم عن عرشه الزائف* : « الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً » — اذا كان الصليب قد أماط اللثام عن حالة العالم الروحية المعادية لله ، فانه قد استنفد آخر سهم في جعبة الشيطان — رئيس العالم الزائف ، وإذ جرّده عن سلاحه ، طرحه خارجاً . في مناسبة سابقة (لوقا

هذا العالم خارجاً . ٣٢ وانا

١٨:١٠) ، سمعنا المسيح يقول انه : «رأى الشيطان ساقطاً» امام كلمة البشارة التي حملها تلاميذه . وهو الآن يراه وقد قوّض الصليب دعائم عرشه الزائف، وطرحه خارجاً. في الصليب ظهرت خطية الشيطان الخاطئة في اشنع مظاهرها . قديماً حرّض الشيطان حواء على الاكل من الثمرة المحرمة ، و بعدها بقليل سوّل لقايين ان يقتل اخاه هابيل ، لكن اشنع الخطايا التي ارتكبها ابليس هي تحريضه البشر على قتل المسيح البار الذي جاء ارضهم ليخلصهم .وبخطية الخطايا هذه، جُرّد الشيطان من رياسته للعالم ، و نُفي كما يُنفى اسرى الحروب. ان الصليب هو المعركة الفاصلة بين المسيح وابليس ، فيها استجمع ابليس كل قواه ، وضرب ضربة ، فكانت القاضية — ولكن عليه لا على المسيح

ومن المؤسف ان معلمي اليهود ، كانوا يقولون ان الله اسلم العالم كله — الا اليهود — ليد ابليس. فبرهنت الايام على ان ابليس استخدمهم هم — قبل سواهم — في صلب ملكهم ومسيحهم

ان قوله: «يُطرح خارجاً» يشار به الى تجريده من سلطته التي يسبي بها النفوس تحت سحر تأثيره (١ يو ٥ :١٩). فعند ما أُكمل الفداء على الصليب (١٩ :٣٠) ، تمّ الفصل الاول من هزيمة الشيطان ، وعند ما تتم عملية الفداء (رؤيا ٢١ :٦)، يُختتم الفصل الاخير من انهزامه.ان هذا اللقب «رئيس العالم» يقابله ذلك اللقب الجليل الذي وُصف به المسيح: «رئيس الحياة» (اعمال٣ :١٥)

عدد ٣٢. مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرشه الصليب . «وانا».ان ساعة

ان ارتفعت عن الارض اجذب

انكسار «رئيس العالم» ، هي ساعة انتصار « رئيس الحياة » . وان سقوط الملك الزائف ، هو قيام الملك الحقيقي . وما كان الصليب الذي رُفع المسيح عليه الا عرشاً جلس عليه ، وما كان الرداء الارجواني الذي البسه اياه البشر هزءاً وسخرية ، الا حلة ملكية البسه الله اياها حقاً ، وما كانت تلك القصبة سوى صولجان . اما اسلحته التي بها يتملك ، فهي سهام محبته . وجواهره التي يزين بها تاجه هي قطرات دمه الثمين . ليس في معدّاته شيءٌ من القوات الدافعة ، فكل قواته رافعة ، وليس بين جيوشه جنود غاصبة ، فكل قواته تأثيرات جاذبة : « وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليَّ الجميع »

كان الصليب ، رفعة للمسيح حساً ومعنى. اما حساً، فلأن صليب المسيح كان مرفوعاً عن الارض فوق اكمة . واما معنىً،فلأن صليب الفادي كان افصح ترجمان عن محبته المضحية ، فانتهى بالقيامة وتُوِّج بالصعود ، فالجلوس على العرش في الاعالي (٣:١٤و ٨:٢٨) . (اطلب تفسير هذين العددين في موضعيهما). ان مركز الجاذبية في المسيحية هو صليب المسيح

ومن المهم ان نذكر ان المسيح لم يجلس على عرش الارض ، الا بعد ارتفاعه عن الارض ، وفوقها . اما الغارقون في الارض و في مادتها ومجدها ، فليسوا ملوكها ، وانما هم عبيدها المتوَّجون : فلا عرش ارسخ اساساً واثبت على تقلبات الزمان من العرش المخضب — لا بدماء الرعية بل بدم الراعي

ان هذا العرش الصليبي او الصليب الملكي الذي رُفع عليه المسيح ، قد

اليَّ الجميع . ٣٣ قال هذا مشيراً الى اية ميتة كان مزمعاً ان يموت .
٣٤ فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

جرّده من القيود الجسدية التي قبِلها على نفسه بالتجسد ، ورفعه فوق الحدود الوطنية ، التي كان مرتبطاً به كيهودي ، فصار مسيحاً للعالم اجمع — ولليونانيين بنوع خاص : «أجذب اليَّ الجميع» — اي جميع الناس من كل امة ، ولغة ، وجنس. نعم ان «الجميع» لم يأتوا اليه بعد ، لان الكثيرين لا يزالون مقاومين سحر تأثيره الخفيّ ، لكن الغلبة في النهاية هي لمصلوب الجلجثة ، الذي اضحى وهو على الصليب اعز من الف ملاك ، على الف عرش ، في الف مملكة . وعما قريب « تصير جميع ممالك العالم للرب ولمسيحه » . « فيملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى اقاصي الارض » . (انظر رومية ٥: ١٨ و٢ كورنثوس ٥: ١٥ و١ تيموثاوس ٢: ٦ وعبرانيين ٢: ٩ و١ يوحنا ٢: ٢ وكولوسي ١: ٢٠)

عدد ٣٣ . *كلمة تفسيرية* : « قال هذا مشيراً الى اية ميتة كان مزمعاً ان يموت» . هذه كلمات يوحنا البشير — كعادته في تعليقه على بعض الحقائق. ليس كلام المسيح منحصراً في «الميتة التي كان مزمعاً ان يموت» ، بل يتناول ايضاً القيامة والصعود ، اللذين يتبعان موته ، وان تكن الاشارة في كلامه متجهة بنوع خاص الى الصليب قابل هذا بما جاء في ١٨: ٣٢و٢١: ١٩

(٣) *تحذيرات ووعود* (١٢: ٣٤—٣٦) . (ا) *اعتراض الجمع* (١٢: ٣٤).
(ب) *جواب المسيح* (١٢: ٣٥و٣٦)

عدد ٣٤ . (ا) *اعتراض الجمع* : « فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

ان المسيح يبقى الى الابد . فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان . مَن هو هذا ابن الانسان .

ان المسيح يبقى الى الابد . فكيف تقول أنت . . ». كان يفهم اليهود مما جاء في اشعياء ٩: ٦ ومزمور ١٠٠: ٢—٤ ودانيال ٧: ١٤ ، ان المسيح سيأتي ليقيم ملكوتاً ارضياً مستديماً، يظلّ هو عليه ملكاً الى الابد . فوجدوا في كلامه عن موته وارتفاعه عن الارض ، صعوبتين — احداهما : كيف يقول عن نفسه انه «ابن الانسان» — بوجه التعميم — حال كون مسيحهم المنتظر يلقب بـ «ابن داود» على وجه التخصيص. فمن هو «ابن الانسان» هذا ؟ أهو شخصية مستقلة عن المسيح ، ام هو مسيح على طراز جديد لم يسمعوا به من قبل ؟ والصعوبة الثانية : كيف يتأتى وجود ملك منفصل عن ملكوته ؟ فاذا كان يسوع هو المسيح باعتراف الجماهير يوم احد السعف ، وباقراره هو ، واذا كان سيقيم ملكوتاً ارضياً مستديماً، فما معنى انفصال هذا الملك عن ملكوته بارتفاعه عنه ؟ واي نوع من الملكوت هذا ؟ بل واي طراز من الملوك هذا ؟

ان في قولهم له : « أنت » ، نغمة استهانة بشخصه ، مقابل تكريمهم للناموس . (قد اوضحنا معنى كلمة «ناموس» في ١٠: ٣٤ فاطلبها هناك) . غير ان المسيح لم يذكر كلمة : «ابن انسان» في عرض كلامه عن ارتفاعه ، وانما ذكرها في عدد ٢٣ في كلامه عن تمجيده . ولعلّ اليهود ربطوا هاتين الآيتين معاً في احتجاجهم عليه . اما «ارتفاع ابن الانسان » بحصر اللفظ ، فقد تكلم عنه المسيح في ٣: ١٤ «هكذا ينبغي ان يُرفع ابن الانسان»

٣٥ فقال لهم يسوع النور معكم زمانا قليلاً بعد. فسيروا ما دام لكم
النور لئلا يدرككم الظلام . والذي يسير في الظلام لا يعلم الى

(ب) جواب المسيح : «فقال لهم يسوع . النور معكم زماناً قليلاً . . .» لم يشأ المسيح ان يدخل معهم في حوار جدلي، بل قدّم لهم مزيداً من حقه الايجابي. واذا كان قد تكلم عن صلة الصليب بشخصه و بتلاميذه في عدد ٢٣ — ٢٧، فقد تحدّث في عددي ٣١ و٣٢ عن صلة الصليب بالعالم، وفي عددي ٣٥ و٣٦، عن صلة الصليب بالمستمعين له من اليهود . ان الكلام المتضمن في هذين العددين، أشبه بكلمات وداع من المسيح لليهود كأمة. لانه بعد هذا، مضى واختفى عنهم ، فغابت شمس مجدهم وراء الافق. يتضمن كلامه في هذين العددين:—

عدد ٣٥ . (١) اعلاناً خطيراً بان شمس نعمتهم آذنت بالمغيب : «النور معكم زماناً قليلاً» . لعلّ المسيح ذكر هذه العبارة معارضة لقولهم له :« ان المسيح يبقى الى الابد» (عدد ٣٤) . ان الشمس التي ستغرب عنهم لا تزول ، لكنها تشرق في حيّ الامم . وسفر الاعمال ، خير موعظة على هذه العبارة

(٢) تحريضاً : « فسيروا ما دام لكم النور » في السير حياة ، ونفع ، وتقدّم. والويل كل الويل لمن يقف لان الوقت قصير ، والمسافة طويلة . كلمة: « ما دام » تتمشى مع كلمة « زماناً يسيراً بعد »

(٣) تحذيراً «لئلا يدرككم الظلام» — بعد غروب شمس النعمة عنهم ، فيكونون كبني اسرائيل في البرية من غير عمود النار . (قابل هذا بما جاء في ارميا ١٣: ١٦). «والذي يسير في الظلام لا يعلم الى اين يذهب» ، لان الظلمة

اين يذهب. ٣٦ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور.
تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم. ٣٧ ومع انه

اعمت عينيه. ومن المحزن جداً ان يغمض الانسان عينيه في الظلام والشمس لا تزال مشرقة — هكذا فعل اليهود

عدد ٣٦. (٤) وعد: «مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور». لم يشأ رب النعمة ان يختتم كلامه معهم بالتحذير، بل خاطبهم مشجعاً وواعداً، بل داعياً اياهم الى الايمان به، على اعتبار انه هو «النور». ان من يسير في الظلام، لا يقف عند حدّ صيرورته اعمى، بل يصير مظلماً، وفي النهاية يمسي ظلاماً مجسماً. وكذلك من يؤمن بالنور، ويقبل اليه، لا يكتفي بان يكون مبصراً، بل يصير منيراً لان طبيعته تستحيل الى نور — هذا معنى قوله «لتصيروا أبناء النور». قابل هذا بما جاء في لوقا ١٦: ٨ «ابناء النور في جيلهم»، وفي ١ تس ٥: ٥ «جميعكم ابناء نور وابناء نهار»، وفي افس ٥: ٨ «اسلكوا كاولاد نور». ان كل شخص يتأثر بالبيئة المحيطة به، فتصير هي فيه، وهو فيها

دينونة عدم الايمان (١٢: ٣٧—٥٠)

بهذا الفصل، يُختتم القسم الاول من هذه البشارة. في القسم الاول حدثنا البشير عن خدمة المسيح الجهرية في العالم، وسيحدثنا في القسم الثاني عن خدمة المسيح الخاصة بين خاصته. ثمرة القسم الاول — عدم الايمان. وثمرة القسم الثاني — الايمان. شعار القسم الاول: «خرجت من عند الآب وقد اتيت الى العالم». وشعار القسم الثاني: «اترك العالم واذهب الى الآب» (١٦: ٢٨).

كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به . ٣٨ ليتم قول
اشعياء النبي الذي قاله يا رب من صدّق

فما اشبه هذا الفصل ببرزخ يفصل بين بحر خدمة المسيح الجهرية، وبحر خدمته الخاصة . بل ما اشبهه باكمة وقف عليها البشير والقى نظرة استشفاف الى الماضي ، فحدثنا عن : (ا) **وصف عدم ايمانهم وعلته** (١٢: ٣٧—٤٣) . (ب) **كلمات ختامية عن مقام المؤمن ، ومقام غير المؤمن** (١٢: ٤٤—٥٠)

(ا) وصف عدم ايمانهم وتعليله (١٢: ٣٧—٤٣)

عدد ٣٧ . (١) **كان عدم ايمانهم عنادياً ، على رغم كثرة الوسائط** : «ومع انه» — اي المسيح — «كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به» . هذا اقرار من البشير ، بان المسيح صنع معجزات اكثر كثيراً من السبع المدوّنة في بشارته كعيّنات رمزية ، تحمل كل منها «آية» لقوم يعقلون . فهي «آيات» في السماء ، وفي الارض ، وفي البحر . منها «آيات» صُنعت في الاحياء ، واخرى تمت في الموتى . منها ما تمّ في بيت الوليمة ، وما أجري في بيت النوح . لكن اليهود ، على الرغم من ذلك ، لم يريدوا ان يؤمنوا ، لانهم اغمضوا عيونهم عن النور لئلا يروا !

عدد ٣٨ . (٢) **لم يكن عدم ايمانهم ، حادثاً جديداً** — فقد سبق وتنبأ عنه اشعياء: «ليتم قول اشعياء النبي الذي قاله يا رب من صدق خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب» . يراد بقوله «خبرنا» — تلك الرسالة التي حملها اشعياء وسائر الانبياء ، الى الناس . ان اشعياء ، في قوله : «من صدق» (٥٣: ١) ،

خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب. ٣٩ لهذا لم يقدروا ان يؤمنوا.
لان اشعياء قال ايضاً ٤٠ قد أعمى عيونهم واغلظ قلوبهم لئلا

يشكو قلة عدد المؤمنين لا عدم وجودهم على الاطلاق. وهو يشكو عدم ايمان الناس بأمرين — اولهما: الخبر الذي جاءهم من الله على يد انبيائه: «خبرنا». وثانيهما: القدرة الالهية التي استعلنت لهم: «ذراع الرب». ولا يبرح عن اذهاننا ان النبوة التي يستهلها اشعياء بهذا القول: «من صدق خبرنا»، خاصة بمسيا (المسيح) المتألم. واذا كان الشعب في ايام اشعياء لم يصدق هذه النبوة لغموضها وعدم وضوحها، فتمت فيه هذه النبوة مبدئياً، الا ان زعماء اليهود العائشين في وقت المسيح، لم يصدقوا تعاليم المسيح — المعبّر عنها بقوله: «خبرنا»، ولم يؤمنوا بمعجزاته وآياته المنوّه عنها بقوله: «ذراع الرب»، على رغم جلائها ووضوحها، فتمت فيهم نبوّة إشعياء كلياً. اذاً لم يكن عدم ايمان الشعب في ايام اشعياء، سوى رمز ونبوّة لعدم ايمان زعماء اليهود ايام المسيح

عدد ٣٩و٤٠. *عدم قدرتهم على الايمان كانت نتيجة طبيعية لعدم ارادتهم ان يؤمنوا*: «لهذا لم يقدروا ان يؤمنوا لان اشعياء قال ايضاً..». ليس معنى هذا، ان ما قاله اشعياء كان له تأثير عليهم، بل ان المبدأ الذي قاله اشعياء ينطبق عليهم: ان من يرفض الايمان في بادئ الامر، حراً مختاراً، يرفضه الايمان في نهاية الامر، قهراً واجباراً. وان من يغمض عينيه عن النور، يُرفع عنه النور، وتُسحب منه قوة الابصار. هذا مبدأ طبيعي بل حكم الهي لان الله يستخدم العوامل الطبيعية لاتمام مقاصده. ان من يكفّ عن تحريك

يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم . ٤١ قال
اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه . ٤٢ ولكن مع ذلك آمن
به كثيرون من الرؤساء ايضاً

ذراعه حيناً من الدهر ، لا يلبث ان يخسر هذه الذراع ، لأنها تصبح فريسة للجفاف والجمود . و يقول علماء الاحياء ، إن في كهف « ماموث » بامريكا الشمالية ، بركة مظلمة ، يعيش فيها نوع من السمك ، وان هذا السمك امسى بلا عيون ، لان عدم فتح العيون الى حين ، انتهى الى فقدها . فاما ان ننتفع بما عندنا فيُزاد لنا ، او ان نخسره فيزال عنا . وما ربك بظلامٍ للعبيد

عدد ٤١ . *كلمة تفسيرية*: «قال اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه» بهذه الكلمة قدّم يوحنا المفتاح الحقيقي لرؤيا اشعياء (اش ٦) ، ومَنْ غير يوحنا الرائي ، يستطيع ان يكشف اسرار رؤيا اشعياء ؟ هذا دليل من اقوى الادلة لاثبات لاهوت المسيح ، وحجة دامغة على ان المسيح كائن قبل التجسد ، فرأى ابرهيم يومه (٨:٥٦) ، ورأى اشعياء مجده ، حين «رأى السيد (أدوناي) جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع . واذياله تملأ الهيكل» (اش٦:١) . هنا يلتقي يوحنا ببولس في تفسير رموز العهد القديم (انظر ١ كورنثوس ١٠:٤) . ان ضمير « الهاء » في كلمة « عنه » يعود على المسيح

عدد ٤٢و٤٣ . *الايمان الذي يعجزه الخوف*: مع ان السواد الاعظم من اليهود لم يؤمن بالمسيح كمجموع ، كما يستفاد من عدد ٣٧ — ٤١ ، « ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء ايضاً» — وهم افراد مثل نيقوديموس ،

غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع.
٤٣ لانهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله. ٤٤ فنادى يسوع
وقال. الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي

ويوسف الرامي، اللذين تغلبا على ضعفهما فيما بعد (١٩: ٣٨ - ٤٢)، وغمالئيل الذي غالبه الضعف فغلبه. وقد دلنا يوحنا في هذين العددين على العلة التي كانت السبب في خنق ايمان امثال غمالئيل—وهي: الخوف على المركز الاجتماعي: «غير انهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع». اما علة هذا العلة فقد كشف عنها يوحنا بقوله: «لانهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله»! الا نجد في قوله «اكثر من مجد الله» مقابلة بين هؤلاء الرؤساء المستضعفين، هواة الصيت والمديح المستطاب، و بين اشعياء الذي شبع وارتوى من رؤية «مجد الرب» (عدد ٤٠)؟ ان قوله «مجد الرب» يعني المجد الذي أعدّه الله للمؤمنين به (انظر رومية ٣: ٢٣)

(ب) *كلمات ختامية عن مقام المؤمن، ومقام غير المؤمن ١٢: ٤٤-٥٠*

ليست هذه كلمات جديدة فاه بها المسيح في هذا الوقت الذي انتهت فيه خدمته الجهرية،وانما هي خلاصة استجمعها البشير، من اقوال المسيح، ليبين لنا منها: (١) *مقام المؤمن* (١٢: ٤٤—٤٦). (٢) *مقام الغير المؤمن* (١٢: ٤٧ - ٤٩). (٣) *مقام كلام المسيح* (١٢: ٥٠)

عدد ٤٤—٤٦. (١) *مقام المؤمن*: مراراً وتكراراً شهد المسيح بالصلة المكينة التي بينه و بين الآب—تلك الصلة التي اظهرت الآب بكمال تجلياته

بل بالذي ارسلني. ٤٥ والذي يراني يرى الذي ارسلني ٤٦ انا قد جئت
نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. ٤٧ وان سمع

في شخص المسيح. فكل من يؤمن بالمسيح لا يقف ايمانه عند شخص يسوع الانسان، بل يمتد الى الآب الذي ارسله. وكذلك كل من يرى المسيح، لا يقف نظره عند حجاب جسد المسيح، بل يتعداه الى شخص الآب الذي ارسله. هذه شهادة قوية، من فم المسيح، تدحض قول القائلين بان من يؤمن بالمسيح، يُعدّ كافراً بالله. لقد كذبوا في ما يدعون. لان من يؤمن بالله، يؤمن بالمسيح ومن يؤمن بالمسيح يؤمن بالله (١٤: ١)

ليس في هذا القول اية رائحة للادعاء، لكنه ينمّ عن تضحية تامة، واخلاء للذات: «انا قد جئت نوراً الى العالم، حتى كل من يؤمن بي، لا يمكث في الظلمة» — الطبيعية المولود فيها، بل يرى الله الذي جاء المسيح ليرينا اياه. (١٤: ٩). وكما ان النور لا يجذب الانظار الى ذاته، بل الى المرئيات التي يكشفها، كذلك جاء المسيح نوراً الى العالم، ليرينا الله ما هو ومن هو. ولا يبرح عن بالنا ان المسيح تكلم في هذا العدد الاخير، عن وظيفته، لا عن مقامه

عدد ٤٧ — ٤٩. (٢) مقام الغير المؤمن. اذا كان المجد من نصيب من يؤمن بالمسيح، فالدينونة واقعة على من لا يؤمن به. لانه كما ان شخص المسيح، هو مرآة تجليات شخص الآب، كذلك كلامه، مرآة فكر الآب. فهو المحكّ الذي يدان به الغير المؤمنين. وجدير بنا ان نلاحظ الاهمية الكبرى التي جعلها المسيح لكلامه، اذ جعله في مقام شخصه بالذات: «وان سمع

احد كلامي ولم يؤمن فأنا لا ادينه . لاني لم آت لادين العالم بل
لاخلص العالم . ٤٨ من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه . الكلام
الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير . ٤٩ لاني لم اتكلم
من نفسي لكن الآب الذي ارسلني هو اعطاني وصية ماذا اقول
وبماذا اتكلم . ٥٠ وانا اعلم ان وصيته هي حيوة ابدية . فما اتكلم انا
به فكما قال لي الآب هكذا اتكلم

احد كلامي ولم يؤمن» (عدد ٤٧)، «من رذلني ولم يقبل كلامي» (عدد ٤٨).
اما قول المسيح : «لاني لم آت لادين العالم . .» فارجع في تفسيره الى ٨: ١٥

من الكلام عن الدينونة الادبية، في هذه الحياة، انتقل المسيح الى الكلام عن الدينونة الابدية، في اليوم الاخير، وبما ان كلامه، هو مرآة فكر الله وارادته، فهذا الكلام هو خير شاهد في القضاء، بل اكمل مقياس للدينونة العتيدة . لانه وصية تسلمها المسيح من الله

عدد ٥٠ . *مقام كلام المسيح* . «وانا اعلم ان وصيته هي حياة ابدية..»
ان الوصية التي تسلمها المسيح من الآب، ليست مأمورية تلقاها منه دفعة واحدة قبل التجسد، وانما هي رسالة متواصلة كانت تُبلّغ اليه على التوالي حسب مقتضيات الاحوال . وقد تكلم بجزء منها للعالم الخارجي، واما جزؤها الباقي، فسيتحدّث به الى التلاميذ الاخصاء فيما يلي . يُراد بقوله : «هي حياة ابدية»، انها تبعث الحياة في القلوب الميتة، وتأتي بالناس الى معرفة الاله الحقيقي وحده، ويسوع المسيح الذي ارسله— هذه المعرفة هي الحياة الابدية

الاصحاح الثالث عشر

قدس الاقداس

بهذا الاصحاح ، يُستهل القسم الثاني الرئيسي في هذه البشارة الخالدة . في القسم الاول أظهر المسيح ذاته للعالم ، وفي القسم الثاني أعلن ذاته لخاصته . استغرقت حوادث القسم الاول ثلاثة وثلاثين عاماً ونيفاً من حياة المسيح ، اما حوادث القسم الثاني فلم تستغرق الا يوماً واحداً . في القسم الاول ، وردت كلمة : «آية» ١٦ مرّة ، ولم ترد سوى مرة واحدة في القسم الثاني (٣٠:٢٠) في القسم الاول ، أُجريت ٧ معجزات ، وفي الثاني تمت ٢٥ نبوّة

في درسنا هذا الاصحاح ، والاربعة الاصحاحات التي تليه ، نشعر اننا دخلنا «قدس الاقداس» في هيكل هذه البشارة ، بل « قُداس اقداس » للعلنات الالهية كلها. في هذه الاصحاحات الخمسة، بنوع خاص يلتقي جلال لاهوت المسيح وهيبته، بحنوّ ناسوته ورقّته. وتجتمع في اقواله ، بساطة الكلام ، بعمق المعاني

في هذه الاصحاحات ، وقد حان وقت افتراق المسيح عن تلاميذه ، ودنت ساعة ارتقائه الى الجلجثة ، كشف لتلاميذه القناع عن وجهه الوضيء ، وفتح لهم قلبه الرحيب ، ومن مكنوناته أخرج لهم لآلىء وجواهر ، قد يراها غيرهم فيجهل قدرها ، لان كنوز المحبة لا يقدّرها غير المحبّين

في «قدس الاقداس» هذا ، الذي لا يُسمَح بدخوله ، الا للذين جعلهم المسيح «ملوكاً وكهنة» ، استراحت نفوس متعبة ، واطمأنت قلوب مضطربة ، وتشدّدت ركب مخلّعة . اما جدرانه فكم سمعت من تأوهات استحالت الى

ترنيمات ، وكم شهدت من دموع حالت الى ابتسامات. وكم أصغت الى أنّات، آلت الى تشكرات . تنقسم هذه الاصحاحات الى ثلاثة أقسام رئيسية :—

اولاً : المسيح ينقي التلاميذ بفعلين (١٣ : ١ — ٣٠):(ا) بغسل ارجلهم (١٣ : ١ — ٢٠). (ب) باماطة اللثام عن يهوذا (٣٠ : ٢١ — ٣٠)

ثانياً: المسيح يرشد التلاميذ بسلسلة أحاديث (١٣ : ٣١ — ص١٦):(ا) احاديثه التي فاه بها في العلية (١٣ : ٣١ — ١٤ : ٣١).(ب) احاديثه في الطريق (١٥ و ١٦)

ثالثاً : صلاة كاهننا الاعظم (١٧) : (ا) المسيح والآب (١٧ : ١ — ٥) . (ب) المسيح والتلاميذ(١٧ : ٦ — ١٩).(ج) المسيح والكنيسة(١٧ : ٢٠ — ٢٦)

اولاً : المسيح ينقي التلاميذ بغسل ارجلهم (١٣ : ١ — ٢٠) . يقع هذا الفصل في ثلاثة ادوار : (١) تمهيد (١٣ : ١ — ٣) (٢) المسيح يغسل ارجل التلاميذ (١٣ : ٤ — ١١) . (٣) المسيح يوضح مغزى الحادث(١٣ : ١٢ — ٣٠)

(١) تمهيد (١٣ : ١ — ٣) . نحن الآن في العلية التي كلف المسيحُ اثنين من تلاميذه باعدادها ، وهناك اكل الفصح معهم ، « قبل ان يتألم » . ويقول سائر البشيرين ، ان خلافاً شجر بين التلاميذ عمن يكون الاعظم فيهم . من اجل هذا أراد السيد ان يطهرهم ويصهر ايمانهم

يستهل يوحنا البشير هذا الاصحاح بمقدّمتين — احداهما عامة (عدد ١) ، وهي تمهيد لما عمله المسيح وما قاله في الاصحاحات الخمسة (ص ١٣ — ١٧) . والثانية خاصة (عدد٢و٣)، وهي منصبة على العمل الخاص الذي أجراه المسيح بغسله ارجل تلاميذه . وكل مقدمة منهما تتضمن ثلاثة ظروف ملابسة للفعل

١ أما يسوع قبل

المتاز المهِّدة له. وكل ظرف من الثلاثة الظروف التي في المقدمة الاولى يتمشى مع الظرف الذي يقابله في المقدمة الثانية. واليك البيان :

	عدد ١	يقابله	عدد ٢و٣
الظرف الاول توقيت تاريخي	... «قبل عيد الفصح» (عدد ١ ا)		«.... «فحين كان العشاء» (عدد ١ ا)
الظرف الثاني شعور يقيني	«...وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب» (عدد ١ ب)		«يسوع وهو عالم ان الآب قد دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضي» (عدد ٣)
الظرف الثالث حالة نفسية	«... اذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم» (عدد ١ جـ)		«وقد القى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي ان يسلمه» (عدد ٢ ب)
العمل الممتاز الذى المهد له	«احبهم الى المنتهى» (عدد ١ د)		«قام عن العشاء . . .» (عدد ٤)

من مميزات قلم يوحنا البشير، انه يستهل اعمالاً واقوالاً للمسيح بمثل هذه المقدمة، التي تضمّ بين دفتيها، توقيتاً تاريخياً، وحالة نفسية. فمن مثيلاتها ٢: ٢٣—٢٥و٣: ٢٢—٢٤ . ان نسبة كل من هذه المقدمات الى الحادث الذي يليها، كنسبة المقدمة العامة، المتضمنة فى ١: ١—١٨ ، الى البشارة كلها

عد ١ . مصدرة عامة : «أما يسوع» —وهل يوجد اسم اعذب من هذا الاسم المقدس، ليكون براعة استهلال ل«قدس أقداس» هذه المعلنات الالهية؟!

الظرف الاول — توقيت تاريخي : «قبل عيد الفصح» . يذكرنا

عيد الفصح وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل

هذا الظرف التاريخي، بذاك الذي استهل به الاصحاح السابق : «قبل الفصح بستة ايام» (١:١٢) . على ان التعبير الذي استُهل به هذا الاصحاح ، يختلف نوعاً ما عن ذاك الذي أفتُتح به الاصحاح السابق. هناك قيل : «قبل الفصح» ، وهنا قيل «قبل عيد الفصح». يراد ب «الفصح» ،ذلك العشاء الذي كانوا يأكلون فيه الحمل التذكاري ، في المساء الواقع في تمام اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (مارس — ابريل) . (خروج ١٢: ٨ ولاويين ٢٣: ٥ وعدد ٢٨: ١٦)

اما كلمة : « عيد الفصح » التي يُبدأ بها هذا الاصحاح ، فهي أعم واوسع من كلمة : «الفصح» ، فهي تشمل اليوم الرابع عشر ، الذي كانوا ينزعون فيه الخمير من البيت ، ويحسبونه عادة ضمن ايام العيد (عدد ٣٣: ٣) . قابل هذا بما جاء في يشوع ٥: ١١ حيث يُعتبر اليوم الخامس عشر،ضمن ايام عيد الفصح. فاذاً قوله: «قبل عيد الفصح» يحملنا الى آواخر اليوم الثالث عشر من شهر نيسان، الذي صادف في تلك السنة يوم خميس. واما اليوم الرابع عشر الذي هو يوم نزع الخمير من البيت ، فقد وافق يوم جمعة ، وفيه رُفع المسيح على الصليب ، في نفس الوقت الذي ذُبح فيه حمل الفصح في الهيكل ، ليكون المسيح — حساً ومعنى — « فصحنا الاعظم » . على هذا الاعتبار ، يكون المسيح قد اكل الفصح مع تلاميذه قبل موعد الفصح المعتاد بيوم واحد

لمزيد الايضاح ، اطلب «شرح بشارة لوقا» للمؤلف، صحيفتي ٥٥٢و٥٥٣

الظرف الثاني — شعور يقيني : « وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل

من هذا العالم الى الآب

من هذا العالم الى الآب» هذا برهان ناسوته الكامل، وحجة لاهوته الشامل. بناسوته الكامل أحسّ بذلك الاحساس عينه، الذي يجيش في قلب كل انسان، عند دنوّ ساعة توديعه اصدقاءه . فمن منا لا يشعر عند اقتراب ساعة الوداع، ان القلب يكاد يضيق بما فيه من شعور فياض، فيحاول ان يعبّر عما يكنه بكلمة ملتهبة، او هدية ثمينة، او خدمة جليلة ممتازة ؟ اما لاهوته الشامل فقد ترجم عنه علمه اليقينيّ بمجيء «ساعته لينتقل من هذا العالم» — حيث التقلقل، والشقاء، والغدر، والخيانة، «الى الآب» — هناك البقاء، والراحة، والامن، والحب الخالص . اما «ساعته» ، فهي تلك التي قال عنها في مناسبات سابقة، انها لم تكن قد أتت بعد (٢:٤و٧:٦و١١:٩) — اعني بها ساعة صلبه الذي تُوّج بالقيامة والمجد

يكتم الله عن الناس ساعة موتهم، اشفاقاً عليهم من هولها، ورغبة منه في ان ينتفعوا من جهلهم بميعادها. فيكونوا مستعدين على الدوام للقائه. أما المسيح، المتحد بالآب، فقد كان عليماً بهذه «الساعة» ، وواثقاً من أنها ليست بساعة موت، بل ساعة «انتقال» من دائرة الى دائرة أرقى وأوسع . فهي اذاً ساعة ارتقائه، ومجده، ومآبه الى حيث اتى. اذاً لم يكن صلبه حكماً اجبارياً ، بل فعلاً اختيارياً . وما كان موته انحداراً الى القبر، بل ارتفاعاً الى الآب

ومما يلذ لنا ذكره، ان المسيح «وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب» ، وموقن ان هذه الساعة مريرة بآلامها ، لم يسمح

اذ كان قد احب خاصته الذين في العالم أحبهم الى

لآلامها بان تلهيه عن الاهتمام بتلاميذه ، بل انشغل بحبهم عن نفسه — هذا اقصى غاية الحبّ

الظرف الثالث — حالة نفسية : « اذ كان قد احبّ خاصته الذين في العالم » . ان محبة المسيح التي اظهرها لخاصته ، لم تكن عاطفة مرتجلة ، ولا هي بنت ساعتها ، كيقطينة يونان ، التي ترعرعت في يوم وذبلت في ليلة . بل كانت مبنية على تصميم أزليّ . وان ازليتها خير ضمان لابديتها . فكل مياه لا بدّ مرتفعة الى المستوى الذي منه نبعت . كلمة : « خاصته » ، تعني الذين اشتراهم بدمه ، واقتناهم بحبه (اعمال ٤: ٢٣و٢٤: ٢٣ و١ تي ٥: ٨) . ان «العالم» الذي كان المسيح مزمعاً ان ينتقل منه، هو نفس «العالم» الذي ترك فيه «خاصته» . وردت كلمة : «العالم»، في كتابات يوحنا، في ٨: ٢٣ و٩: ٣٩ و١١: ٩و١٢: ٢٥و٣١و١٦: ١١و١٨: ٣٦ ورسالته الاولى ٤: ١٧ . وهي كثيرة الورود في كتابات بولس الرسول

العمل الممتاز الذي اظهره : « أحبهم الى المنتهى » — اي اظهر لهم حبه الى الغاية . ان اقتراب ساعة افتراق المسيح عن تلاميذه ، لم يزد في حبه لهم . لان حبه ، نظير شخصه ، غير متغير . لكن المسيح اتخذ من هذه المناسبة الخاصة ، فرصة اظهر فيها اقصى حدود محبته ، كما لو اراد ان يستنفدها . ان قوله : «الى المنتهى» ، ليس قاصراً على وصف محبة المسيح في زمنها ومداها، بل يصفها أيضاً في نوعها، وقياسها ، وشدّتها— فقد احبهم

المنتهى. ٢ فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا

الى غاية الحبّ. هذه العبارة: «الى المنتهى»، يقابلها القول: «قد ادركهم الغضب الى النهاية» — اي الى نهاية حدود الغضب (١ تسالونيكي ٢: ١٦)، وقوله: «ولما انتهى يشوع من ضربهم ضربة عظيمة» (يشوع ١٠: ٢٠)، وقوله: «فلم يهلكه تماماً» (٢ ايام ١٢: ١٢)

عدد ٢و٣. *مقدمة خاصة*: «فحين كان العشاء...». اذا اعتبرنا العدد الاول، مقدّمة عامة لما عمله المسيح وما قاله في الخمسة الأصحاحات الآتية (ص ١٣—١٧)، فان عددي ٢و٣ يحسبان مقدمة خاصة لعمل المسيح الممتاز الذي اجراه بغسله ارجل تلاميذه. وهي نظير المقدمة العامة— تقع في *ثلاثة ادوار*:

(١) *الظرف الاول — توقيت تاريخي*: «فحين كان العشاء» — اي ولما اجتمعوا معاً للعشاء، الذي اكله المسيح مع تلاميذه، وفيه رسم فريضة العشاء الرباني (راجع تفسير العدد السابق). يغلب على اعتقادنا ان يوحنا البشير لم يذكر رسم فريضة العشاء الرباني، لان سائر البشيرين سبقوه الى ذلك. وكانت هذه الفريضة وقت كتابة بشارته أعرف من أن تعرّف

الظرف الثاني — حالة نفسية: «وقد القى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي». ما اعظم الفرق بين الموقف الروحي في هذا العدد، و بين ذلك الموقف الموصوف في العدد الاول: «اذ كان قد احبّ خاصته الذين في العالم»! ذاك وصف منير يكشف عن قلب المسيح الفياض بالمحبة الازلية لخاصته. وهذا وصف مظلم يلقي حجاباً كثيفاً على قلب يهوذا وقد

سمعان الاسخريوطي أن يسلمه. ٣ يسوع وهو عالم ان الآب قد

اختاره الشيطان حقلاً خصيباً التي فيه بزور مؤامراته وايحاآته . ان هذا التلميذ التعيس ، لم يحصّن قلبه بالسهر والصلاة ، فلما جال الشيطان مفتشاً عن قلب يلقي فيه بذاره السامة،وجد قلب يهوذا كمدينة بغير سور،فألقى فيه بذاره ومن المحزن، انها وجدت في هذا القلب التاعس تربة خصيبة ، فارتوت من مياه عدم اخلاصه ، واغتذت بعصارة حبه للمادة، فازهرت ، وأثمرت هلاكاً لنفسه . لم يكن حب المسيح لتلاميذه ، حباً ارتجالياً وكذلك بغض يهوذا لسيده لم يكن ايضاً ارتجالياً . وما كان كلام المسيح له (عدد ٢٦) ، الا نوراً كاشفاً القناع عن حقيقة نياته . ومن العجيب ان محبة المسيح لتلاميذه ، كانت بلا سبب ، وكذلك كانت كراهة يهوذا له . وخليق بنا ان نذكر ان يوحنا البشير ذكر هذا الخائن باسمه الخاص : «يهوذا» ، واسمه العام : «سمعان» ، ولقبه «الاسخريوطي» تمييزاً له عن «يهوذا ليس الاسخريوطي» (١٤: ٢٢)

عدد ٣. **الظرف الثالث—شعور يقيني** : «يسوع وهو عالم . .» . يدخلنا هذا الكلام الى اعماق قلب المسيح، ويكشف لنا عن المعنى الحقيقي لاتضاعه . يختلف موضوع علمه المذكور هنا،عن ذاك الوارد في العدد الأول في هذا: هناك رأيناه عالماً بدنوّ ساعة افتراقه عن خاصته ، وهنا نراه شاعراً بـ: (١) **مقامه الملكي وسلطانه المطلق** : «ان الآب قد دفع كل شيء الى يديه» — هذا علمه بحقيقة حاضره . (٢) **علو اصله وسمو رسالته** : «وانه من عند الله خرج» — هـذا علمه بحقيقة ماضيه . (٣) **مدلول مآبه** : «والى الله يمضي» — هذا علمه

دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضي .

بحقيقة مستقبله. بهذا الشعور المثلث الذي تناول حاضره ، وماضيه، ومستقبله، اتضع المسيح الى الحد الذي فيه غسل أرجل تلاميذه بما فيهم يهوذا الخائن . لم يكن اتضاع فادينا متنافياً مع شعوره بعظمته فان العظمة الحقيقية ليست عقبة في سبيل الاتضاع، وانما هي خير باعث له ، واقوى تحريض عليه . ومما يكسب عظمة المسيح ثوباً بهياً ، وضاعة مركز التلاميذ . ان الاستعباد لأجل العبيد هو العظمة مجسمة ، لكن الاسترقاق لاجل السادات ، هو العبودية بعينها . التواضع الاختياري ، عظمة مقنّعة ، والتواضع الالزامي ، مذلة سافرة .

(٢) العمل الممتاز الذي قام به المسيح — غسل ارجل التلاميذ ١٣: ٤—

١١ . اننا مدينون ليوحنا المؤرخ الباطني الذي عرفنا في الاعداد السابقة، بالحالة النفسية الداخلية التي كان عليها المسيح ، فكانت تحريضاً له على اتيان العمل الجليل الذي قام به، اذ غسل ارجل تلاميذه . وكذلك نحن مدينون ايضاً للوقا البشير المؤرخ، لأنه أعلمنا بالموقف التاريخي الذي كان محيطاً بالتلاميذ، فكان بمثابة فرصة خارجية ، هيأت للمسيح القيام بهذا العمل الفذّ (لوقا ٢٢: ٢٤—٢٧) : « وكانت بينهم أيضاً مشاجرة من منهم يُظنّ انه يكون اكبر » .

من هذا يتضح لنا ، ان المسيح وهو مشبّع بالحالة النفسية التي وصفها قلم التلميذ الذي كان يسوع يحبه ، قد وجد في مشاجرة التلاميذ مع بعضهم البعض، فرصة سانحة لينزع من قلوبهم بقايا خمير الطمع ، والكبرياء، والحسد، قبل ان يأكلوا فصحهم الجديد

٤ قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة

يقع هذا الفصل في دورين رئيسيين: الدور الاول — غسل ارجل التلاميذ (١٣: ٤ و ٥). الدور الثاني: حوار بين المسيح وبطرس (١٣: ٦ — ١٠). ثم ختمها يوحنا البشير بكلمة توضيحية (١٣: ١١)

الدور الاول — غسل ارجل التلاميذ (١٣: ٤ و٥)

عدد ٤ . (١) **المسيح يتهيأ لهذا العمل الجليل**: «قام ...» . وصف البشير استعداد المسيح لهذا العمل باربع خطوات متتابعة، متدرجة، مما يدلنا يقيناً على ان كاتب هذه الاوصاف الدقيقة كان شاهد عيان، فأُخذ بهذا المشهد العجيب، الذي ترك في ذاكرته أثراً لم يمحه كرّ الأيام ومرّ العشيّ. كان التلاميذ، في مسيس الحاجة الى من يقوم لهم بخدمة غسل الارجل من الأتربة والغبار، بعد المرحلة التي قطعوها من بيت عنيا الى أورشليم في حرّ النهار

ومن المرجح ان كلا منهم امتنع عن القيام بهذه الخدمة الوضيعة، فكان رب المجد اسبقهم اليها. اما الخطوات الاربع التي اتخذها المسيح في هذا العمل الاعدادي، فهي: (١) «قام عن العشاء» — ولا شك ان عيون الجميع شخصت اليه متفرسة، منتظرة ان ترى ماذا يبغي من قيامه هذا. (٢) «خلع ثيابه» الخارجية، وبينها ذلك الثوب المنسوج كله بغير خياطة. وغالباً هذه هي الثياب عينها التي اقتسمها الجنود عند الصليب (٣) «أخذ منشفة» — هذا هو المنديل الذي كان يلبسه العبيد عند قيامهم بخدمة أسيادهم. فيا له من تواضع عجيب! (٤) واتزر بها — كما يتمنطق العبد الواقف على

واتزر بها. ٥ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ

خدمة سيده. هل كنت مقدراً هذا الصنيع يا يهوذا؟ وهل أدركت قيمته يا بطرس؟ وهل تقدرينه انت يا نفسي؟ وجدير بالذكر انه لا يوجد عنصر ناقص في استعداد المسيح. لان كل عمل يقوم به، يتممه على اكمل صورة

عدد ٥. (ب) المسيح يغسل ارجل تلاميذه: «ثم صب ماء... وابتدأ يغسل... ويمسحها بالمنشفة». هذه ثلاث درجات متتابعة في هذه الخدمة الشريفة. ومع انه كان في امكان المسيح ان يكلف غيره بمعاونته في احد أركان هذه الخدمة او في بعضها،الا انه رضي أن يقوم هو وحده بكل أركانها. حتى متى حان الوقت الذي يقول فيه: «قد أكمل»، لا يبقى مجال لانسان ما، ان يدّعي ان كانت له يد في ما عمل المسيح

(١) «صب ماء في مغسل» — كان الماء موضوعاً عادة في ردهة الطعام، لمثل هذا الغرض (انظر ٢ ملوك ٣: ١١)

(٢) «ابتدأ يغسل ارجل التلاميذ» لو غسل المسيح عيون التلاميذ، لحسب هذا منةً منه وتكرّماً. ولو غسل أيديهم، لكان هذا منه منتهى التواضع. اما وقد تنازل وغسل ارجلهم القذرة، فان الملائكة وحدهم، قد يستطيعون ان يقدّروا هذا العمل الجليل. يقول اهل التلمود — في تفسيرهم ما جاء بحزقيال ١٦: ٩ — «عند البشر، يقوم العبيد بغسل اقدام اسيادهم. ولكن عند الله، الامر بالعكس». (انظر تكوين ١٨: ٤ و١٩: ٢ و٢٤: ٣٢ و٤٣: ٢٤ وقضاة ١٩: ٢١ و١ تيموثاوس ٥: ١٠). ان كلمة «ابتدأ» كثيرة الورود في

ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها.

كتابات سائر البشرين، لكنها لم ترد في يوحنا سوى هذه المرة. ويهمنا ان نلاحظ،ان «الغسيل»يعبرَّ عنه في اللغة اليونانية بثلاث كلمات وردت كلها في العهد الجديد، ولكل منها معنىً خاص. فالكلمة الاولى وردت في مرقس ٧:٣ وهي تعني غسل جزء من الجسد كاليدين والرجلين — هذه هي الكلمة المستعملة في هذا العدد. وقد وردت خمس مرات أُخر في الاعداد التالية عند الكلام عن غسل الرجلين. والكلمة الثانية تعني غسل الجسد كله (الاستحمام) — هذه هي الكلمة الواردة في عدد ١ من هذا الاصحاح. والكلمة الثالثة تفيد غسل الملابس وقد وردت في سفر الرؤيا ٧:١٤ و٢٢:١٤ وسنتبيّن ضرورة التمييز بين هذه الكلمات الثلاث لدى بلوغنا العدد العاشر.

(٣) «ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها» — لكي يكمل تعب محبته «قام عن العشاء» و «خلع ثيابه» و «أخذ منشفة» و «أتزر بها» ثم «صب ماء في مغسل» و «ابتدأ يغسل ارجل التلاميذ» و «يمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها» — هذه سبع خطوات تاريخية متتابعة، قد تحمل بين ثناياها رمزاً ضمنياً الى الخطوات التاريخية الخالدة التي اتخذها الفادي في تنفيذه تدبير الفداء العجيب. فقيامه عن العشاء، يرمز الى تركه أمجاد السماء. وخلعه ثيابه،يشير الى اخلائه نفسه. وأخذه المنشفة،يُكنى به عن لبسه جسم بشريتنا. وأتزاره بالمنشفة يرمز الى أخذه صورة العبد. وصبه الماء في المغسل، يشير الى بذله دمه الثمين لأجلنا. وغسله ارجل التلاميذ، يُكنّى به عن تطهيره اياهم. ومسحه ارجلهم، يرمز الى اتمامه عملية التقديس .

٦ فجاء الى سمعان بطرس فقال له ذاك يا سيد انت

حوار بين المسيح وبطرس (١٣: ٦ — ١٠). يقع هذا الحوار، في ثلاثة أدوار — وفي كل دور منها كان بطرس البادئ بالكلام. في الدور الاول (١٣: ٦ و٧)، نرى بطرس مستفهماً متعجباً. وفي الدور الثاني (١٣: ٨)، نجد بطرس محتجاً ممانعاً. وفي الدور الثالث (١٣: ٩ و١٠) نشاهد بطرس مندفعاً متطرفاً. وفي كل دور من هذه الثلاثة الادوار نرى الفادي المحب، معالجاً ضعفات بطرس بلطف حازم لا يأتيه الضعف من ناحية من نواحيه

عدد ٦. الدور الاول (١٣: ٦ و٧). (أ) بطرس مستفهماً متعجباً. «فجاء الى سمعان بطرس..». يقول تقليد قديم: «ان المسيح، عند ما شرع في غسل ارجل تلاميذه، ابتدأ بيهوذا الذي خانه، واختتم ببطرس الذي انكره، لكي يُفهم يهوذا أنه أحبه فضلاً، ولكي يقدّم لبطرس اطول وقت ممكن، ليعتبر فيه بتواضع سيده العجيب». ومهما يكن نصيب هذا التقليد من الصحة، فانه يكاد يكون من المحقق، ان بطرس لم يكن أول من غسل المسيحُ رجليه (عدد ٢٤). يؤيد هذا قول البشير: «فجاء الى بطرس». و يغلب على اعتقادنا، ان بطرس، بعد ان رأى ان من سبقوه من التلاميذ، سمحوا للمسيح بان يغسل ارجلهم، أراد أن يسبقهم هو الى فضيلة التواضع، ليبرهن على انه أعظم منهم في هذا الباب أيضاً. لذلك سأل متعجباً: «يا سيد أنت تغسل رجلي؟!» هذا تكبّر مقنّع يدل على محبة ذات كامنة في القلب. ان احترام بطرس لسيده، ظاهر من تنبيره على ضمير المخاطب: «أنت»، وعلى

تغسل رجلي. ٧ أجاب يسوع وقال له لست تعلم انت الآن ما انا
اصنع ولكنك ستفهم فيما بعد ٨ قال له بطرس لن تغسل رجليَّ
أبداً. أجابه يسوع

ضمير المتكلم في: «رجليَّ». غير انه احترام زائف. فهو وليد عدم الاحترام الحقيقي (انظر متى ١٦: ٢٢). لان أثبت علامة للاحترام، هي الطاعة

عدد ٧. جواب المسيح: «أجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» — كما نبَّر بطرس، في سؤاله، على ضميري المخاطب والمتكلم، كذلك وضع المسيح النبرة في جوابه، على كلمتي: «أنت» و «انا». ان في جواب المسيح شطريه متقابلين. فقوله في الشطر الاول: «لست تعلم»، يقابله قوله في الشطر الثاني: «لكنك ستفهم». وكلمة «الآن» تقابلها كلمة: «فيما بعد». غالباً فهم بطرس اول معنى من معاني اتضاع المسيح، عند ما أوضح المسيح له، ولسائر التلاميذ، مغزى هذا العمل الجليل الذي قام به (عدد ١٤). لكنَّ المعنى العميق، لم يفهمه بطرس الا «فيما بعد»، لما أُرسل الروح القدس بملئه الى الكنيسة. والمعنى الاكمل، لم يفهمه بطرس الا «فيما بعد» حينما رُفع هو على الصليب منكّس الرأس — كما يحدثنا التقليد

عدد ٨. الدور الثاني: بطرس محتجاً ممانعاً: «قال له بطرس لن تغسل رجليَّ أبداً». في عدد ٦، رأينا بطرس مستفهماً. وكأن لطف السيد قد شجعه على التمادي في موقفه، فأضحى الآن رافضاً، ومتصلباً في رفضه الى النهاية: «لن»

جواب المسيح «أجاب يسوع ان كنت لا أغسلك فليس لك معي

ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب.

نصيب» . إن تشدد بطرس في رفضه خدمة التواضع المقدمة له من المسيح ، جعل السيد يتشدد أيضاً في إفهام بطرس حقيقة موقفه . وما كان أشد وقع هذه الكلمات على أذني كليم الرسل : «ليس لك معي نصيب ! » وفي الغالب لم يكن بطرس منتظراً ان يسمع من فم المسيح مثل هذه الكلمات ،جواباً على ممانعته التي لم يقصد بها سوى مبالغته في التواضع.الا أنه اتضاع نمّ عن كبرياء وصلف . ولعل المسيح قصد بجوابه هذا ، أن يضع بطرس على المحك الحقيقي ، فيرى ما اذا كان يقدّر حرمانه من سيده ، فيعدل عن امتناعه ، أم يصر على موقفه مضحياً بهذه الصلة القدسية؟ يراد بـ «الغسل»،غفران الخطايا، في الولادة الجديدة . ويعبّر عنه أيضاً ، بـ«غسل الميلاد الثاني» (تيطس ٣:٥) و «غسل الماء بالكلمة» (أفسس ٥:٢٦) . و«الميلاد من الماء والروح» (رو ٣:٥)

أما «النصيب»الذي أراده المسيح ، فهو القسم الذي يصيب المرؤوس من غنيمة ظفر بها رئيسه (يشوع ٢٢:٢٥ و٢ صموئيل ٢٠:١ و ١ ملوك ١٢:١٦) وهو يشير: إما الى نصيب بطرس من المسيح في الحياة الحاضرة ، او نصيبه في الحياة العتيدة . على أن جواب المسيح ، لم يكن فيه شيء من الصرامة ، فهو نتيجة طبيعية لتطرف بطرس،لأنه برفضه خدمة التواضع التي قدمها له المسيح، برهن على انه كان بعيداً عن « روح المسيح » . «ومن ليس له روح المسيح فذلك ليس له» . هذا يؤيده قول المسيح «الحق الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل هؤلاء الاولاد، فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات » (متى ١٨:١—٤)

٩ قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط بل ايضاً يديّ
ورأسي. ١٠ قال له يسوع . الذي قد اغتسل ليس له حاجة الا الى

عدد ٩و١٠ . الدور الثالث — بطرس مندفعاً متطرفاً « قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجليّ فقط بل أيضاً يدي ورأسي » ان هذا القول يرسم أمامنا صورة وافية لبطرس كما عهدناه في اندفاعه ، وتطرفه . فمن الرفض بإباء في عدد ٨ ، الى رفض ذلك الرفض ، بنفس ذلك الاباء . قبلاً رفض رغبة المسيح ، والآن نراه طالباً اكثر مما رغب المسيح . لم يطلب المسيحُ منه سوى غسل رجليه ، لكنه بعد ان رفض بتطرف ، عاد فطلب غسل رجليه، وزاد عليهما يديه ، ورأسه . هذا هو بطرس بعينه الذي نراه في سائر البشائر . ففي لحظة يندفع ليمشي على الماء.و بعد لحظة أخرى يصرخ قائلاً :«اني هلكت» . بغير استئذان ، يقطع أذن عبد رئيس الكهنة ، وفي لمح البصر يهرب كالجبان. في برهة يندفع داخلاً بيت رئيس الكهنة ، و بعد هنيهة ، ينكر سيده أمام جارية . مثله مثل « رقاص الساعة » ، لا ينتقل من ابعد نقطة عن اليسار الا الى أبعد نقطه عن اليمين . واما الموقف الوسط فلا يعرفه .

عدد ١٠ جواب المسيح : « قال له يسوع الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا الى غسل رجليه » . كلمة : « اغتسل » ، تختلف في الاصل ، عن كلمة « غَسْل » . فالاولى تعني غسل كل الجسد بالاستحمام في الصباح ، وهي ترمز الى غسل الميلاد الثاني دفعة واحدة عند التجديد — هذا الفعل لا يتكرَّر في اختبار المؤمن . ولكن الثانية ، تعني تنظيف القدمين مما علق بهما من غبار

غسل رجليه بل هو طاهر كله . وانتم طاهرون ولكن ليس كلكم .
١١ لانه عرف مسلّمه . لذلك قال لستم كلكم طاهرين . ١٢ فلما
كان قد غسل ارجلهم واخذ ثيابه واتكأ ايضاً قال لهم

الطريق اليومي . وهي ترمز الى عملية التقديس التي تتكرر مراراً في اختبار المؤمن . من اجل هذا، قال المسيح لبطرس: «الذي قد اغتسل ليس له حاجة الا الى غسل رجليه» . اراد المسيح ان يعلم بطرس وسائر التلاميذ ، درساً في التواضع ، بغسل الرجلين . لان هذا العمل يتطلب انحناء . واما غسل اليدين او الرأس ، فلا شيء فيه من معنى التواضع . (راجع شرح عدد ٥)

ما اسرع انتقال المسيح من الماديات الى الروحيات (١٣:٤)! فمن الكلام عن الغسل المادي انتقل الى الكلام عن الطهارة الروحية «بل هو طاهر كله «وانتم طاهرون ولكن ليس كلكم» — لان بينهم واحداً لم يكن قد اغتسل بعد بغسل الميلاد الثاني . فلم يكن قد تطعم بعد ، في الكرمة الحقيقية . وهذا الواحد هو الذي كان أحوجهم الى ما طلبه بطرس — الى غسل الرجلين، وأيضاً اليدين والرأس . هذه اول اشارة خفية الى خيانة يهوذا الوشيكة الظهور ، بل ربما كانت هذه اول نبرة من ذلك الصوت العلوي ، الذي أريد به ردّ يهوذا عن ضلال طريقه.ولكن ما تنفع الأصوات ، لمن قد وضع اصابعه في اذنيه ! !

عدد ١١ . كلمة تفسيرية : « لانه عرف مسلمه . . » هذا دليل على ان المسيح لم يُؤخذ بخيانة يهوذا على غرّة

المسيح يوضح لتلاميذه مغزى هذا الحادث (١٣:١٢—٢٠) . تكلم

أتفهمون ما قد صنعت بكم . ١٣ انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً
تقولون لاني انا كذلك . ١٤ فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت
ارجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم ارجل بعض . ١٥لاني

المسيح في هذا الفصل عن امرين : (١) **عظيم القوم خادمهم** (١٣: ١٢— ١٧). (٢) **وجود الحصى بين الجواهر** (١٣: ١٨—٢٠)

عدد ١٢—١٧ . (١) **عظيم القوم خادمهم** (١٣: ١٢—١٧) . بعد ان أتمّ المسيح هذه الخدمة الجليلة ، لبس ثيابه التي كان قد خلعها ، وعاد فاتكأ . ثم فتح فاه قائلاً : « اتفهمون ما قد صنعت بكم . انتم تدعونني معلماً وسيداً . وحسناً تقولون. لاني انا كذلك » . من هذا نفهم ان التلاميذ كانوا يطلقون على السيد لقبين : **اولهما** « معلم » — وهو يصف المسيح في تنويره العقل والقلب . **وثانيهما** : «سيد» وهو يصف المسيح في تسلطه على الحياة ، وسيادته عليها ، وامتلاكه اياها . **اللقب الاول** تقابله في اللغة الارامية ، كلمة : « ربّاي » . **والثاني** تقابله كلمة « مار » . اللقب **الاول** يفترض ان تابع المسيح **تلميذ** له . واللقب الثاني يفترض انه **عبد** له . وقد ذُكر هذان اللقبان من الادنى الى الاعلى — « معلم » ، « سيد » ، على سبيل التدرّج

عدد ١٤ و١٥ . **مثلنا الاعلى** . « فان كنتُ . . . . لاني اعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً » — هذا هو مثلنا الاعلى. ظن فريق من المسيحيين ان المسيح اراد حرفية هذا الفعل بقوله : « فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض » . فاصدر مجمع توليدو قراراً

اعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً .
١٦ الحق الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول

سنة ٦٩٤ ميلادية ، يقضي بضرورة ممارسة هذا الفعل كفريضة ، في اسبانيا والغال ، مساء « خميس العهد » من كل سنة . والى يومنا الحاضر ، يمارسها رئيس الكنيسة الرومانية ، في حفل حافل ، تحف به مظاهر الابهة والجلال ، وتُرنَّم له اناشيد الاطراء والتمجيد . وكان ملوك انجلترا يمارسون هذه العادة كفريضة، حتى ايام حكم جيمس الثاني . على ان المسيح لم يقصد شكل ذلك الفعل ولا صورته، لان الشكل والصورة، أوحت بهما ظروف الحادثة المحلية . وهما عرضة للتقلب ، حسب مقتضيات الظروف الملابسة لهما . فقد تتخذ هذه الخدمة شكل التنازل عن حق ، أو «شكل» البدء بالاستغفار بين شخصين متنابذين ، أو «شكل» الصبر على الاذى ، بقلب صفوح غافر . «فالشكل» ليس بذي خطر ، ولكن «الموضوع» ذو خطر بعيد الأثر

ان المبدأ الذي قصده المسيح ، هو : ان العظمة الحقيقية ، هي العظمة متواضعة . وان التواضع الحقيقي هو التواضع خادماً ، وان الخدمة الحقيقية هي الخدمة مخلصة ومخلّصة . وان عظيم القوم خادمهم . ومما يجدر بنا ملاحظته ان المسيح ، وان يكن مثالاً لنا في كل شيء — في المحبة ، والطهارة ، والكمالات الاخلاقية ، الا انه بنوع خاص مثال لنا في التضحية (٢بطرس ٢: ٦)

عدد ١٦ . *السيد مثال للعبد* . من المحال ، ان يكون العبد احقر من ان يقوم بعمل قام به سيده من قبل . او ان يكون الرسول أشرف من ان

اعظم من مرسله . ١٧ ان علمتم هذا فطوبا كم ان عملتموه . ١٨ لست
اقول عن جميعكم .

يؤدي رساله ، قد سبقه سيده في تحمل اعبائها . ولقد ورد ذكر هذا المبدأ في مناسبات أخرى (لوقا ٦: ٤٠ ومتى ١٠: ٢٤و٢٥)

عدد ١٧ . *تطويب العالم العامل* . هنا اضاف المسيح تطويبة جديدة الى قائمة التطويبات التي استهلّ بها ،وعظته على الجبل (متى ٥) — اعني بها «الطوبى» التي ينالها العالم العامل : «ان علمتم هذا فطوبا كم ان عملتموه» . سهل على المرء ان يعرف لزوم خدمة الآخرين ، واسهل منه ان يتكلم عن اللذة الكامنة في القيام بخدمتهم ، لكن من الصعب جداً ان يطبّق الانسان العلم على العمل سيما في هذا الباب . وان من يقوى على هذا، هو السعيد حقاً

ان المسيحية الحقيقية ، هي المسيحية الخادمة — لا من المنبر ، «بالكلام واللسان» ، بل في سبل الحياة ، « بالعمل والحق »

(٢) *وجود الحصى بين الجواهر* (١٣: ١٨ ٢٠)

ان غبطة التلميذ الحقيقي ، المقدّم نفسه قرباناً على مذبح خدمة الآخرين، تقابلها شقاوة ذلك « التلميذ الزائف » الذي قدّم سيده على مذبح منفعته الذاتية . هذا هو الفكر الذي يربط هذا الفصل بسابقه. فبعد ان تكلم المسيح والسرور يطفح على محياه ، عن سعادة التلميذ الحقيقي ، تكلم والحزن يملأ قلبه ، عن شقاوة يهوذا الذي « اكل معه الخبز » مدة ثلاث سنوات — والثلاثة عدد كامل — وفي نهايتها «رفع عليه عقبه» . «لست اقول عن جميعكم

انا اعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب. الذي يأكل معي الخبز رفع
علي عقبه. ١٩ اقول لكم الآن قبل ان يكون

انا اعلم الذين اخترتهم» — ليس هذا اختيار التلاميذ للخلاص قبل تأسيس العالم ، وانما هو اختيارهم للتلمذة والرسولية منذ بدء خدمة المسيح الجهرية . ومع ان المسيح كان « يعلم الذين اختارهم ، لكن » — اختار يهوذا وهو عالم به هو ايضاً — «ليتم الكتاب» — القائل — «الذي يأكل معي الخبز رفع عليّ عقبه» . ورد هذا القول في مزمور ٤١: ٩ ومع انه ينطبق مبدئياً على اخيتوفل مشير داود وخائنه ، الا انه ينطبق كلياً على يهوذا الاسخريوطي تلميذ يسوع، ومسلمه. ان رفع العقب بعد الاكل هو من عمل الحيوان الناكر الجميل، الذي بعد ان يأكل العلف يرفس صاحبه . وقد استُعملت هنا مجازياً للتعبير عن جحود الانسان ، وتعمده الاذى ، والغدر . ومن المؤسف ان الانسان ، قد يهوى الى درك الحيوان ، وقد يمسي أحط واسفل : «الثور يعرف قانيه ، والحمارُ معلف صاحبه . اما شعبي فلا يعرف » (اشعياء ١: ٣)

يُستنتج من قوله « ليتم الكتاب » ، ان خيانة يهوذا ، لها مكانها في تدبير الله الازليّ . والظاهر ان يوحنا استعمل هذه العبارة « ليتم الكتاب » من قبيل القول : «مصداقاً لما جاء في الكتاب» (انظر ايضاً ١٨: ٩و١٧: ١٢)

عدد ١٩ . *حجر عثرة يستحيل الى حجر معونة* : « أقول لكم الآن قبل ان يكون» — أي قبل أن تظهر خيانة يهوذا — «حتى متى كان» — أي متى تمت هذه الخيانة وبانت لكم — «تؤمنون اني انا هو» لولا هذا التصريح

حتى متى كان تؤمنون اني انا هو . ٢٠ الحق الحق اقول لكم الذي
يقبل من أُرسله يقبلني . والذي يقبلني يقبل الذي ارساني

الذي افضى به المسيح الى تلاميذه عن خيانة يهوذا قبل ظهورها، لصارت لهم حجر عثرة . اما وقد نبههم القادي الى الخطر قبل وقوعه ، فمتى وقع بعد هذا التنبيه،أضحى وقوعه«حجر معونة» في صرح ايمانهم،اذ يتأكدون حينئذ ان فاديهم يعلم بالمستقبل ، علمه بالحاضر والماضي . و يعتقد المفسر وايس ،ان خيانة يهوذا صارت سبباً في ازدياد ايمان التلاميذ بالمسيح ، لانها عجلت بالصليب، والقيامة ، والصعود—و بهذه الخطوات ، أُعلن لهم سيدهم ، رباً ومسيحاً

عدد ٢٠ . *مجد الرسول مشتق من مجد مرسله* : «الحق. الحق. أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني» . بعد ان تكلم المسيح في عددي ١٨ و١٩ ، عن شقاوة يهوذا ، عاد الى كلامه الذي بدأه في عددي ١٦ و١٧ عن غبطة التلاميذ الحقيقين ، فأكد لتلاميذه في هذا العدد ان الرسول الأمين لاتفترق عنه شخصية مرسله : « الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرساني».في عدد ١٦ قرر المسيح أن الرسول ليس بأعظم من مرسله ، وفي هذا العدد أكد، ان الرسول ليس دون مرسله

اذا كانت هذه الكلمات تبين عظمة مكافأة خادم المسيح الامين ، فهي أيضاً تصف المكافأة العظمى التي يحظى بها من يرحبون بخُدَّام المسيح، كما انها تحدد المسئولية الخطيرة الواقع تحتها من يرفض خدَّام العلي

٢١ لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق
اقول لكم ان واحداً منكم سيسلمني . ٢٢ فكان التلاميذ

ثانياً . المسيح يميط اللثام عن يهوذا (١٣: ٢١ — ٣٠)

هذا هو العمل الثاني الذي به نقّى المسيحُ تلاميذه في تلك الليلة الوداعية إذ انتزع من بينهم ذلك العضو الدخيل — يهوذا الاسخريوطي — الذي تمثلت فيه الآمال العالمية التي كانت تنتظر مسيحاً سياسياً أرضياً غير المسيح المخلّص الروحي ، فاصطدمت بصخره وتحطمت

عدد ٢١ . شعور المسيح تجاه هذا الحادث المروع . يحدثنا هذا العدد عن أمرين — أولهما مبلغ احساس المسيح بهذا الحادث الجلل : «لما قال يسوع هـذا» — أي كلامه عن خيانة يهوذا —.«اضطرب بالروح» . ليس هـذا اضطراب الخوف أو الجزع، وانما هو شعور عميق روحي تولّد في روح الفادي الانسانية، تجاه أكبر خيانة في التاريخ، لان المخلص، رأى وراء هذه الخيانة، شبح يهوذا الذي كان واحداً من أتباعه ، ووراء يهوذا الخائن ، شبح ابليس الغادر الذي استجمع كل قواه لمحاربة قدوس الله (راجع شرح ١١: ٣٣)

الامر الثاني : تصريح المسيح من خلال هذا الشعور: «وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني»، لقد صرح المسيح في هذه العبارة، بما سبق فلمّح به في عددي ١٠ و١٨، كما تدل عليه كلمة : «شهد». ان قوله : «الحق الحق» ، يعطي لهذا التصريح يقينية اكيدة

عدد ٢٢ . حيرة التلاميذ الناشئة عن عدم تفهم بعضهم البعض ،

ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون في من قال عنه . ٢٣ وكان
متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه .

وعن شكهم في انفسهم : «فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون في من قال عنه». لم يكن شك التلاميذ متجهاً الى كلام الفادي ، بل كان منصباً على أشخاصهم . ويحدثنا متى البشير (متى ٢٦: ٢٢ و٢٥) أنهم «حزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل انا يا رب ؟» ومن العجيب أن يهوذا أيضاً سأل قائلاً: «هل أنا هو يا سيد» ؟. والظاهر أن المسيح أجاب على تساؤلهم جميعاً ، بذلك الجواب العملي الذي دونه يوحنا في عدد ٢٦

عدد ٢٣ — ٢٥ . بطرس ويوحنا يحاولان ان يتعرفا شخصية الخائن .
كان المسيح وتلاميذه متكئين حول مائدة العشاء ، فكان كل منهم متوكئاً بذراعه اليسرى على وسادة ، مسنداً رأسه ، وهو يأكل بذراعه اليمنى ، ومادّاً رجليه الى الخلف . وعلى هذا الوضع ، كان رأس كل منهم قريباً من صدر المتكىء عن يساره — هذا معنى القول «متكئاً في حضنه». لأن هذا هو المكان الذي كان يشغله يوحنا بالنسبة الى المسيح في هذا العشاء الاخير . لذلك قال البشير «وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه . كان يسوع يحبه» — قاصداً نفسه بهذا القول. فقد أجمع كل مؤرخي العصور الاولى على ان يوحنا البشير هو المعنيّ بالقول : «واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه» (عدد ٢٣)
راجع المقدمة العامة في صدر هذا التفسير ، تظهر لك هذه الحقيقة

٢٤ فأومأ اليه سمعان بطرس ان يسأل من عسى ان يكون الذي قال
عنه . ٢٥ فأتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيد من هو .
٢٦ اجاب يسوع هو ذاك الذي اغمس انا اللقمة واعطيه . فغمس

عدد ٢٤ . *بطرس يومئ الى يوحنا ليتعرف حقيقة الامر.* يستفاد من كلمة «أومأ» ، ان بطرس كان متكئاً قبالة يوحنا ، وغالباً كان بعيداً عنه حتى أنه استعمل الايماء دون الكلام، وأنه (بطرس)، لم يكن متكئاً في جوار المسيح، والا كان قد سأله هذا السؤال بنفسه، من غير أن يوسِّط يوحنا. فيا ترى ما هو قول الذين يحتكرون الزعامة لبطرس دون سواه من الرسل ؟!

عدد ٢٥ : *يوحنا يلبي نداء بطرس .* لبى يوحنا النداء ، الذي استوحاه اليه بطرس ، بايمائه فمال بذراعه اليسرى ولامس صدر يسوع . وقال له : «يا سيد من هو» ؟

عدد ٢٦ . *جواب المسيح .* قضت عادة اليهود، في ممارستهم الفصح ، أن يتصدَّر رب العائلة مائدة العشاء ، و يقدم لضيوفه قطعة من لحم، أو لقمة خبز ، مغموسة في خلاصة فاكهة ممزوجة بعصير العنب . فاتخذ المسيح من هذه العادة القديمة ، أداةً بها أجاب يوحنا ، جواباً عملياً ، على سؤاله الذي أوحى به بطرس اليه. وكان هذا الجواب العملي، متفقاً عليه بين المسيح و يوحنا وحدهما: «فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا الاسخريوطي» . لم يكن اذاً في إعطاء المسيح هذه اللقمة ليهوذا أي احراج لمركز يهوذا ولا ثمّت تحريض له على القيام بفعلته الشنعاء . فقد كان في امكان يهوذا أن يرى في اللقمة علامة جديدة من علائم

اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي . ٢٧ فبعد اللقمة دخله
الشيطان . فقال له يسوع ما انت تعمله

محبة المسيح له — تلك المحبة التي لا تعرف نهاية لانها ازلية لا بداية لها . لكنه بدلاً من أن يفتح قلبه لعوامل الخير، فتحه للشيطان، وأدخله اليه على الرحب والسعة، وبدلاً من أن يتشدد بالرب ، تقوّى بالشيطان

عدد ٢٧ (ا). *الشيطان يحتل قلب يهوذا احتلالا مؤبداً* . «فبعد اللقمة دخله الشيطان». كما أن دخول الروح القدس قلب انسان ما ، يتم تدريجياً ، وبارادة الانسان نفسه ، كذلك دخول الروح النجس ، يتم أيضاً تدريجياً (عدد ٢)، وبرضى الانسان نفسه

ظن بعضهم خطأً أن دخول الشيطان قلب يهوذا ، كان نتيجة تأثير سحريّ ، فعلته اللقمة في قلب يهوذا . لكن بطلان هـذا الظن ، يتضح لنا ، متى ذكرنا أن الشيطان لم يدخل قلب يهوذا مع اللقمة ، بل بعدها . فكأن هذه اللقمة كانت آخر شعاع من نور المحبة،وجهه المسيح الى قلب يهوذا . واذ رفضه يهوذا، أدخل نفسه الى ظلمة الليل الدامس طائعاً مختاراً

عدد ٢٧ . (ب) *رسالة المسيح الاخيرة الى يهوذا* : «فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله باكثر سرعة» . ليس في هذا القول، تصريح ولا تحريض من المسيح ليهوذا ، بان يشرع في أمر لم يكن قد بدأ به ، لكنه حثٌّ من المسيح ليهوذا ، لينجز ما سبق فشرع فيه بنيّته — والأعمال بالنيات . فلم يقل له المسيح : ما انت «ستعمله» بل : ما أنت «تعمله» — أي ما قد شرعت فيه

فاعمله بأكثر سرعة . ٢٨ واما هذا فلم يفهم احد من المتكئين لماذا كلمه به . ٢٩ لان

فعلاً ، أنجزه بسرعة . هنا ذكر المسيح تصريحاً ، ما فاه به في عدد ٢٤ تلميحاً

الآن ، وقد وطن يهوذا نفسه على فعل الشرّ ، وادخل نفسه ، باختياره ، في منطقة العدوّ ، رغم كل نداء ، معتقداً بأن السيد صار في قبضة يديه ، لم يجد المسيح بداً من أن يستحثه على اتمام مأموريته التي شرع فيها ، سيما وان الليل قد أرخى سدوله (عدد ٣٠) ، والفادي يريد وقتاً يخلو فيه الى خاصته ليبوح لهم بأسرار قلبه قبيل ساعة الوداع ، فلا مندوحة من أن يزيح هذا «الحاجز» الآدمي الكثيف الذي كان يحول دون كشفه مكنونات قلبه لتلاميذه . وفوق هذا ، فان المسيح أراد أن يعبّر بهذه الكلمات عن استعداده التام لمواجهة الصليب لان يهوذا وسيده الجديد ، عاجزان عن صلب المسيح لو لم يُرد هو

يعتقد الدكتور ادي ان هذا اذن من المسيح ليهوذا ، على قياس اذن الله لبلعام حينما كان مع رسل بالاق (عدد ٢٢: ٢٠) ، وعلى نمط قول المسيح للفريسيين «املأوا أنتم مكيال آبائكم» (متى ٢٣: ٣٢)

عدد ٢٨ . عدم فهم المتكئين مغزى هذه الرسالة . «وأما هذا» . ان إشارة البشير الى يهوذا بكلمة «هذا» بدلاً من ذكره اسمه — في هذا العدد وفي عدد ٣٠ — لدليل على ان يهوذا لم يعد محسوباً فيما بعد في عداد الرسل . «فلم يفهم أحد من المتكئين» — الا يوحنا البشير (عدد ٢٦) — «لماذا كلمه به»

عدد ٢٩ . تأويل بعضهم لهذه الرسالة ، وعلة هذا التأويل : «لان

قوماً اذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا ان يسوع قال له اشترِ ما
نحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء . ٣٠ فذاك لما اخذ اللقمة

قوماً» — اي بعضاً منهم — «اذ كان الصندوق مع يهوذا» — وهل كان هذا الصندوق علة انحدارك الى الهاوية يا يهوذا ؟! فياويلنا من الصناديق الخاوية التي تكسر القلب بخلوّها ، ويا ويحنا من الصناديق المليئة التي تحجّر قلوبنا بوفرتها — «ظنوا ان يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد» — من هذا يُستنتج ان الفصح اليهودي لم يكن قد ابتدأ بعد ، والا لما جاز الشراء فيه . لان كل يوم فيه ، سبت . فضلاً عن ذلك ، فان كل « لوازم » العيد كانت تُشترى قبيل العيد ، قبل اعداد حمل الفصح . اذاً قد مارس المسيح وتلاميذه فصحاً جديداً قبل الفصح اليهودي ، بيوم واحد (راجع عدد ١)

ألا تُلقي هذه الكلمات نوراً على اخلاق يهوذا الشاذة ؟ ان في تكتمه الشديد ، واخفائه نياته عن زملائه ، دليلاً على انه لم يكن منهم ، على رغم كونه معهم . لان له تدبيرات ومؤامرات لا يطلع عليها أحداً

عدد ٣٠ . *الليل المزدوج* : « فذاك لما اخذ اللقمة خرج للوقت . وكان ليلاً » . هذا ليل مزدوج — ليل طبيعي وليل معنوي . وكذلك حرَص البشير على ان يربط بعض الاعمال بما يناسبها من الملابسات الطبيعية المحيطة بها (انظر ١٠: ٣٠) . ان الوقت الذي ارتكب فيه بطرس خطيته ، غير الوقت الذي اقترف فيه يهوذا جريمته. فبطرس انكر السيد عند اقبال السَّحَر ، ويهوذا باع مولاه عند اقبال الليل الدامس. فخرج بطرس من خطيته الى فجر

خرج للوقت . وكان ليلاً . ٣١ فاما

التوبة ، الذي اعقبه صبح الغفران . وخرج يهوذا من خطيته الى ليل داجٍ ظلامه ، فالتقت ظلمة الليل الطبيعي ، بظلمة قلبه الطبيعي الغير المتجدّد

يحاول بعض المفسرين ان يعين الوقت الذي فيه رسم المسيح فريضة العشاء الربّاني في هذه البشارة . فيميل هنجستنبرج الى وضع هذه الفريضة مابين عددي٢٧و٣٠ . و يعتقد جودي ان توزيع الخبز حدث قبل الكلام الذي في عدد ١٨ ، وان توزيع الكاس حدث بعد الكلام المدون في عدد ٣٠ . ولكننا نعترف ان تقرير هذا الامر بالضبط ، ليس ميسوراً لنا

الخطاب الوداعي — (١) حديث العلية (١٣: ٣١ — ١٤: ٣١)

ينقسم هذا الفصل الى قسمين رئيسيين —

اولاً : افتراق المسيح عن تلاميذه: ماهيته ، وضرورته ، ونتيجته (١٣: ٣١ — ٣٥)

ثانياً: اربع محادثات دارت بين المسيح و بعض تلاميذه (١٣: ٣٦ — ١٤: ٣١)

المسيح والآب:

- المحادثة الاولى — بين بطرس والمسيح — (١٣: ٣٦ — ٣٨)
- كلمة تشجيع للتلاميذ — (١٤: ١ — ٤)
- المحادثة الثانية — بين توما والمسيح — (١٤: ٥ و ٦)
- كلمة ترغيب للتلاميذ — (١٤: ٧)
- المحادثة الثالثة — بين فيلبس والمسيح — (١٤: ٨ — ١١)

المسيح واتباعه الى تلاميذه — ثلاث مزايا (١٤: ١٢ — ٢١)

المحادثة الرابعة — بين المسيح ويهوذا ليس الاسخريوطي (١٤: ٢٢ — ٢٦)

كلمات ختامية للشطر الاول من الخطاب الوداعي (١٤: ٢٧ — ٣١)

خرج قال يسوع

(١) *افتراق المسيح عن تلاميذه — ماهيته، وضرورته ونتيجته* (١٣: ٣١—٣٥). الآن، قد انعزل من التلاميذ، ذلك العنصر الممثل للظلام، وكان خليقاً به حقاً ان «يخرج في الظلام»، فيتلاءم ظلام الطبيعة الخارجي، وظلام نفسه الباطني، ويكون الظرف الخارجي متناسباً مع الحالة الداخلية. وفي الوقت نفسه خلا الجوّ لربّ النور، فانفرد بأبناء النور، فاطمأن اليهم، وحدثهم بلغة المحبة التي تأبى ان يعكر صفاءها وجود عدوّ او رقيب، عن:

(أ) *مجد الصليب* — (١٣: ٣١ و٣٢) (ب) *دنو ساعة افتراقه عنهم* (١٣: ٣٣). (ج) *الشعار الذي تركه لهم في غيابه* (١٣: ٣٤ و ٣٥). (د) *التدريب اللازم لهم، قبل ان يشاطروه أمجاده* (١٣: ٣٦—٣٨)

عدد ٣١. *مجد الصليب*: «فلما خرج»—يهوذا من تلقاء ذاته — «قال يسوع: الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه» — ان حرف الفاء الذي به بُدىء هذا العدد، يدل على أنّ لكلمات المسيح المدونة في هذين العددين، صلة قوية بخروج يهوذا

تتبيَّن لنا هذه الصلة من ملاحظة *أمرين*. *اولهما* — ان خروج الخائن من مجلس المسيح وأحبائه يُعدّ بمثابة ازاحة حاجز كان عائقاً لحرية التعبير، بين قلب المسيح وقلوب أحبائه. لان زهرة المحبة لا تتفتح الا في جوّ يسوده الصفاء، والاخلاص، والمودّة. *وثانيهما* — ان خروج يهوذا كان اول خطوة تنفيذية في الاتيان بالصليب، مما جعل المسيح يرى الصليب ماثلاً

الآن تمجد

امامه كحقيقة قد تمت ، وقلبه عامر بالثقة والظفر ، فصرّح بهذه الكلمات بنغمة الهتف والتمجيد : «الآن تمجد ابن الانسان ...» . أراد بقوله : «الآن» ، ان وقت خدمته على الأرض ، على وشك الانتهاء بموته . وقد وردت كلمة «تمجد» بصيغة الماضي ، للتحقيق لان خروج يهوذا كان أول حلقة من سلسلة حلقات متصل بعضها ببعض تمام الاتصال ، فهي الخطوة العملية المؤدية للقبض عليه ، فمحاكمته ، فصلبه ، فقيامته ، فصعوده ، فجلوسه عن يمين العظمة في الاعالي . وان وقوع اول حلقة من هذه الحلقات المتماسكة كان بمثابة انفراط السلسلة كلها ، لذلك قال المسيح «الآن تمجد» مع ان هذه كانت بداية التمجيد . لان الماضي أُدخل في حكم الحاضر والماضي ، «باعتبار ما سيكون» . وقد اختار المسيح لنفسه ، في هذا الظرف ، لقب «ابن الانسان» ، بياناً انه لم يبلغ التمجيد المقصود هنا الا باتضاعه . ان اتضاع المسيح يسير جنباً الى جنب مع تمجيده — حتى في بشارة يوحنا التي عُرِف عنها انها «بشارة لاهوت المسيح»

أما التمجيد الذي ذكره المسيح في هذين العددين ، فهو تمجيد مثلث : (١) ابن الانسان تمجد بالصليب : « الآن تمجد ابن الانسان » . (٢) الله تمجد في ابن الانسان : « وتمجد الله فيه » (عدد ٣١) . (٣) ابن الانسان تمجد وسيتمجد في ذات الله : « فان الله سيمجده في ذاته » (عدد ٣٢)

(١) ابن الانسان تمجد بالصليب : « الآن تمجد ابن الانسان » . عجيب ان يكون الصليب اداة تمجيدٍ للمسيح . فالصليب رمز العار ، واللعنة . لان

«المعلق على الخشبة ملعون» (تثنية٢١: ٢٣). فكيف يتأتى لرمز اللعنة والعار، ان يصير اداة للمجد والفخار؟!

صار الصليب وسيلةً لتمجيد المسيح، من وجهين — *أولهما*: ان الصليب هو اكمل مظهر لاعظم نصرة أحرزها المسيح. فمع ان المسيح اظهر قوة فائقة في صنعه المعجزات، ومع انه رأى الشيطان نازلاً مثل البرق من السماء حين اذاع رسله كلمة بشارته، الا انه على الصليب، جلس على عرش الحياة والقوة، لان الصليب كان اكمل مظهر لأبهى انتصاراته. هنالك استجمع الشيطان كل قواته على امل ان يظفر بالمسيح في معركة فاصلة، فكان الصليب معركة فاصلة حقاً — ولكن في جانب المسيح. ففي الصليب كسر المسيح شوكة الخطية، «اذ محا الصكّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضداً لنا، وقد رفعه من الوسط مسمراً اياه بالصليب. اذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه» (كولوسي ٢: ١٤و١٥). *ثانيهما*: ان الصليب هو اعظم مظهر لتجلي محبته المضحية للبشر. وفي اعلان هذه المحبة للبشر، تمجيد للمسيح. نعم ظهرت محبة المسيح المضحية، في رضاه ان يتسربل لباس البشر، وفي ميلاده في المذود، وفي رضاه ان يعلّم الخطاة المحتقرين الاشقياء، وفي ابرائه العمي، والبرص، والجدع، الا ان محبته للبشر تجلت في اكمل مظاهرها على الصليب، لانه في تجسده تنازل عن مقامه. وفي تعاليمه جاد على البشر بكلامه. وفي معجزاته، منّ على البشر بقوة من قواته. لكنه

وتمجد الله فيه . ٣٢ ان كان الله

على الصليب ، جاد على البشر بنفسه وحياته ، اذ بذل دمه — والدم هو النفس — هذا اقصى غاية الجود . ان محبة المسيح المضحية ، منشورة باستمرار على البشر في كلام حكمته، واعمال قدرته . لكن على الصليب، قد تركزت اشعة انوارها في نقطة واحدة مضيئة ، لامعة ، ملتهبة ، ملهبة

(٢) *الله تمجد في ابن الانسان* : «وتمجد الله فيه» . ان اسرار المعلنات الالهية تزداد عمقاً ، كلما تقدّمنا في هذه البشارة . ليس بعجيب ان يتمجد الله في ابن الانسان ، ولكن وجه العجب ان يتمجد الله في موت ابن الانسان البري، موتَ مجرم اثيم ؟ فاين اذاً جزاء الفضيلة ؟ بل اين العدالة الالهية ؟ بل اين سلطان الله المسيطر على الكون ؟ ان الجواب على هذه الاسئلة ، وعلى سواها ، نجده متى ذكرنا ان ابن الانسان الذي رُفع على الصليب وهو بار ، قدّم للعالم صورة جلية واضحة لمحبة الله وعطفه على البشر « ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كورنثوس ٥: ١٩) فاذا كانت كلمات المسيح هي مجلى حكمة الله ، واذا كانت اعماله ، مظهرَ قدرته، فان صليبه هو مجلى محبة الله البار،للبشر الفجار. على الصليب تكلّمت محبة الله للناس بلغةٍ بليغة واضحة ، مؤثرة ، مفتتة للقلوب الحجرية

عدد ٣٢ . (٣) *ابن الانسان تمجد وسيتمجد في ذات الله* : «ان كان الله قد تمجد فيه» — في ابن الانسان — «فان الله سيمجده في ذاته» — أي في ذات الله — «ويمجده سريعاً» . ان خير تفسير لهذه الكلمات، نجده في قول المسيح

قد تمجد فيه فان الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً. ٣٣ يا اولادي
انا معكم زماناً قليلاً بعد. ستطلبونني

في١٧: ٤و٥ «انا مجدتك على الارض. العمل الذي اعطيتني لاعمل قد اكملته. والآن مجدني ايها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم». ان تمجيد ابن الانسان. المذكور في العدد السابق، هو تمجيد علني امام الناس، لكن تمجيده المذكور في هذا العدد، هو تمجيد سرّي خاص، فيه يُرفع ابن الانسان، ويُقبل الى المجد الذي يتمتع به الآب ذاته، فيكون الجوّ المحيط به مجداً في مجد (راجع ١: ١٨). ان كلمة: «في ذاته» تتمشّى مع كلمة: «فيه». فالجزاء من جنس العمل. والوقت المقصود في قوله: «سيمجده سريعاً»، هو وقت قيامته وصعوده بعد ان اكمل الفداء

عدد ٣٣. *افتراق المسيح عن تلاميذه*: «يا اولادي انا معكم زماناً قليلاً بعد..». من التفكر في الصليب وما يجلبه له من مجد، انتقل المسيح بفكره الى تلاميذه، وما يصيبهم بعد ان يُرفع هو عنهم، فالتفت اليهم بوجه يفيض عطفاً، وحنواً، ورقة، ووجّه اليهم الخطاب، قائلاً: «يا اولادي. انا معكم زماناً قليلاً بعد»، ان هذه الكلمة الرقيقة: «يا اولادي» لم ترد سوى هذه المرة وحدها في كل البشائر، وقد أوحى بها ذلك الظرف الخاص، الذي شعر فيه المسيح، بأن تلاميذه سيكونون يتامى، بعد افتراقه عنهم. ولقد عبّر الفادي أجمل تعبير عن شعورهم في وحشتهم، بقوله: «ستطلبونني». كان المسيح للتلاميذ خير عضد وسند، فهو لهم الأب، والمرشد، والمؤدب.

وكما قلت لليهود حيث اذهب انا لا تقدرون انتم ان تأتوا اقول لكم انتم الآن . ٣٤ وصية جديدة انا اعطيكم

لقد عرفهم وعرفوه ، فتركوا الاشتغال باعمالهم الاعتيادية ، وانصرفوا عن دينهم الاصلي — اليهودية ، واعتنقوا المسيح ديناً لهم . ومن المحقق ان غيبته عنهم ، في وقت قيام اليهود عليهم ، ستشعرهم بمسيس الحاجة اليه — وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر . عندئذ يتمنون اللحاق به ولكن هيهات ! «وكما قلت لليهود» — منذ ستة اشهر — « حيث اذهب انا لا تقدرون انتم ان تأتوا » — ٧ :٣٤ و٨ :٢١ ، «اقول لكم انتم الآن» — لانكم لستم مستعدين بعد للّحاق بي . على ان عجز التلاميذ عن اللحاق بالمسيح يختلف عن عدم قدرة اليهود على اللحاق به،في انه عجز التلاميذ، وقتيّ.فالنبرة في كلام المسيح لليهود واقعة على كلمة « لا تقدرون » ، وفي كلامه مع التلاميذ ، واقعة على كلمة : «الآن» . فمتى انقضت هذه الفترة الاعدادية التي سيكمل فيها التلاميذ سعيهم ، يأتي المسيح «ويأخذهم اليه» (١٤ :٣) . ولكن عجز اليهود كان حكماً عليهم ، قضت به طبائعهم العنيدة ، والبعيدة عن الايمان . وهو لمزيد الاسف حكم نهائي لا استئناف له ، ولا يقبل نقضاً ولا ابراماً

عدد ٣٤و٣٥ . **شعار التلاميذ في غيبة سيدهم — أو الوصية الجديدة :** « وصية جديدة انا اعطيكم . . . » . قد نعجب لقول المسيح عن المحبة انها : «وصية جديدة» ، لعلمنا ان هذه الوصية وردت في لاويين ١٩ :١٨ . فبأي معنى اذاً ، اعتبرها المسيح «وصية جديدة[١]» ؟ يقول ناپ ، ان هذه وصية

(١) اعتاد هليل،احد احبار اليهود،ان يقول : «لا تصنع بقريبك ما تكرهه لنفسك»

ان تحبوا بعضكم بعضاً . كما احببتكم انا تحبون انتم ايضاً بعضكم
بعضاً . ٣٥ بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب

جديدة في قياسها — لان قياسها كان قبل المسيح: «تحب قريبك كنفسك» . فأضحى ، منذ ان نطق بها المسيح : « تحب قريبك اكثر من نفسك » ، « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة » ، « حاسبين بعضكم البعض افضل من انفسهم» (رومية ١٢: ١٠وفيلبي٢: ٣) . ويقول اولزهوزن : انها «جديدة» بمعنى انها «متجددة على الدوام». ويقول اوغسطينوس انها «وصية مجدّدة». وفي اعتقادنا ان المحبة التي اوصى بها المسيح تلاميذه ، جديدة في نوعها ، وفي مثالها ، وفي الباعث لها ، وفي غايتها : «كما احببتكم» . «فانه بالجهد يموت أحد لاجل بار . ربما لاجل الصالح يجسر احد ايضاً ان يموت . ولكن الله بيّن محبته لنا ، لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا» (رو ٥: ٧و ٨). ان محبة اليهودي لليهودي ، مبعثها الاعتقاد بأن الله اختار اليهود ليكونوا له شعباً خاصاً . لكن محبة المسيحي للمسيحي، وللغير المسيحي ، مستمدة من الاعتقاد بان المسيح مات لاجل الاعداء،فهو يحبهم «في المسيح».ان قوله «كما احببتكم» لا يقتصر على وصف المحبة في قياسها، بل يصفها ايضاًفي طبيعتها،وفي مصدرها

علاوة على الباعث المذكور في عدد ٣٤ : « كما احببتكم » ، اضاف المسيح ، باعثاً آخر في عدد ٣٥ : «بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب» — اي ان محبتهم لبعضهم البعض ، هي الميزة الخاصة التي تميزهم عن سواهم، في غيبة سيدهم عنهم، فهي اذاً رمز حضوره معهم ، وشعاره الدائم

بعضاً لبعض. ٣٦ قال له سمعان بطرس يا سيد الى اين تذهب.

الذي خلعه عليهم. وقد تمّ هذا فعلاً. فقال فيهم مينوتيوس فيلكس: «لقد نجح سيدهم في اقناعهم بأنهم جميعاً اخوة». وقال طرطليانوس: «لقد دهش الوثنيون من محبة المسيحيين لبعضهم البعض حتى الموت»

منذ الآن حتى نهاية الاصحاح الرابع عشر سنستمع لاربع محادثات جرت بين المسيح و بعض تلاميذه

عدد ٣٦—٣٨. *المحادثة الاولى — بين بطرس والمسيح*

عدد ٣٦. (ا) *سؤال بطرس* «قال له سمعان بطرس يا سيد الى أين تذهب؟» [١] هذه اول حلقة من سلسلة أسئلة ألقاها التلاميذ على المسيح، بعد ان سمعوا كلامه عن مبارحته لهم. ومَن يكون البادىء بهذه الاسئلة، سوى بطرس كليمهم؟! ولا شك في ان بطرس كان مخلصاً في سؤاله هذا، لانه أراد أن يتحاشى به افتراق المسيح عنه وعن سائر التلاميذ، بعد ان سمع من فم المسيح هذه الكلمة الأليمة: «حيث أذهب أنا لا تقدرون انتم ان تأتوا (عدد ٣٣). على ان بطرس، في سؤاله هذا، كان مدفوعاً أيضاً برغبته في ان تكون له الاسبقية على سائر التلاميذ في التضحية والاقدام

(١) جاء في اسطورة قديمة، ان بطرس كان في سجنه الاخير في رومية، متوقعاً الحكم عليه بالصلب. ولما هاله توقع هذا الحكم، انسلّ من الحراس، وهرب من السجن، فانطلق في الطريق الموصل بين رومية وجانوبي ايطاليا، المعروف بـ«طريق ابيوس». وهنالك تمثل له المسيح حاملا صليبه، ومتوجهاً الى رومية. فابتدره بطرس بالقول: يا سيد. «الى أين أنت تذهب؟». فأجابه السيد: «أنا ذاهب الى رومية». فقال بطرس: «ولاي غرض؟» فكان جواب الفادي: «لكي اصلب ثانية». فصرخ بطرس قائلا: «ولكنك

اجابه يسوع حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني ولكنك

(ب) جواب المسيح: «أجابه يسوع. حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني. ولكنك ستتبعني اخيراً». لم يكن سؤال بطرس قاصراً على استعلامه عن المكان الذي يذهب اليه المسيح، بل كان منطوياً على رغبة منه في الذهاب معه. فهو شبيه بقول الولد لأبيه حينما يراه خارجاً: «الى أين أنت ذاهب» ولسان حاله يقول: «خذني معك يا أبي». لذلك لم يكتف المسيح بان يجيب عن سؤال بطرس، بل جاوبه أيضاً عن رغبته المستترة وراء سؤاله. فكأني به يقول له: «ليس المهم عندك يا بطرس ان تعرف الى أين انا اذهب، وانما يهمك ان تعلم انك لا تقدر أن تتبعني الآن، لكن لا تيأس ولا تقنط، فانك ستتبعني بعد حين». بهذا الجواب قرّر المسيح لبطرس: (١) *ان افتراقه عنه وعن سائر التلاميذ، امر لا بد منه.* (٢) *ان هذا الافتراق وقتي*: «الآن». (٣) *ان بطرس لا يقدر ان يتبع سيده الآن* لان عليه رسالة لم تكمل بعد، ولأنه للآن لم يفهم معنى الصليب. سواء أكان الصليب الذي سيحمله سيده من أجله، أم الصليب الذي سوف يحمله هو من أجل سيده. ولأن الفداء لم يكمل بعد (١٩: ٣٠)، و بالتالي فان مكان بطرس في المجد، غير مُعَدّ بعد (١٤: ٢ و٣)، و بطرس غير مُعَدّ

صلبت مرة يا سيد». فأجابه المسيح: «نعم صلبت مرة في أورشليم. وها انا ذاهب لاصلب مرة ثانية في رومية». «ولمَ يا سيد»؟. «عوضاً عنك يا بطرس. لانك هربت من صليبك هناك». فحزن بطرس وبكى بكاء مراً. ثم عاد الى رومية، قابلا حمل صليبه. ولما جاءت ساعة صلبه، قال للجلادين: «لا تصلبوني مرفوع الرأس كسيدي. بل اصلبوني منكساً»

ستتبعني اخيراً ٣٧ قال له بطرس يا سيد لماذا لا اقدر ان اتبعك
الآن . اني اضع نفسي عنك . ٣٨ اجابه يسوع اتضع نفسك عني.
الحق الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات

لهذا المكان . (٤) انه بطرس سيتبع سيده بعد وقت ، حين يكون قد امتلأ من روح المسيح في التضحية ، وانكار الذات، والشجاعة

عدد ٣٧ . (ج) اندفاع بطرس : «قال له بطرس يا سيد . لماذا» . عزَّ على بطرس ان يسمع هذا الجواب الصريح،فأخذته الحمية على كرامته الشخصية. لقد مشى على الماء ليكون مع سيده (مت١٤: ٢٩)،وارتقى معه على جبل التجلي (لوقا ٩: ٢٨)، ووقف معه في وجه الموت (لوقا ٨: ١٥) . فأي مكان اذاً يتعذر عليه ان يتبع سيده اليه؟ هل الى الموت ؟ . وهنا بلغ الغرور ببطرس مبلغاً عظيماً ، وفي ثورة اندفاعه ، توهم نفسه «فادياً للفادي» ، فقال— ولم يكن يدري ما يقول «اني اضع نفسي عنك» . (انظر لوقا ٩: ٣٣)

عدد ٣٨ . (د) الجواب المر : «أجابه يسوع اتضع نفسك عني ؟ » عرف المسيحُ بطرسَ اكثر مما عرف بطرس نفسه ، فصارحه بحقيقة حاله —والحق مرّ ،لكنه لازم— وخاطبه بنغمة يمازجها الحزن والاسى:«أأنت يابطرس تبذل نفسك عني » ؟ نعم سأمتّعك بهذا الشرف — ولكنّ فيما بعد. أما الآن ، «فالحق الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات»

وقعت هذه الكلمات على مسمع بطرس ، وقع الصاعقة . فحبست لسانه عن الكلام والاستفهام الى ما بعد نور القيامة (٢١: ٢١)

الاصحاح الرابع عشر

١ لا تضطرب

تشجيعات ووعود

ترتبط فاتحة هذا الاصحاح ، بخاتمة الاصحاح السابق ، ارتباطاً مكيناً ، لان الكلام لم ينقطع بين الاصحاحين ، لدرجة يخيل الينا فيها ، انهما اصحاح واحد ودّعنا الأصحاحُ السابق وداعنا لليل داجٍ ظلامه . فالعقول حائرة ، والعواطف ثائرة . العواصف عنيفة ، والسحب كثيفة ، والصواعق مخيفة . فقد أنبأ المسيحُ تلاميذه ، بأن ساعة افتراقه عنهم قد دنت ، وأن واحداً منهم سيخونه ، وبان بطرس سوف ينكره ثلاثاً . فخابت آمالهم الوطنية التي عقدوا لواءها على مسيا المنتظر.وملأ الاضطراب قلوبهم ، وما هي الا هنيهةً ، حتى طلع عليهم المسيح بنور الرجاء المتلألئ في غرّة هذا الاصحاح ، معزياً اياهم ومشجعاً، بالقول : « لا تضطرب قلوبكم »

في استهلال هذا الاصحاح ، تابع المسيحُ وعده الذي صرّح به لبطرس في خاتمة الاصحاح السابق : «ولكنك ستتبعني أخيراً» . فأبان له وللتلاميذ : انه وان كان افتراقه عنهم ، امراً لا مفرَّ منه ، فان لحاقهم به ، امرٌ لا بد منه. وانهم سيقيمون معه ، في بيت أبيه حيث المنازل الكثيرة (عدد ٢) . بذلك قدم المسيح خير جواب على سؤال بطرس:«ياسيد الى اين تذهب» (١٣: ٣٦)

عدد ١ . *تيار اضطراب القلوب* : في هذا العدد وضع طبيب القلوب ، يده على *موطن الداء* في التلاميذ ، فبيّن لهم ان الداء دفين في القلب :

قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله

« لا تضطرب قلوبكم » . ان مرض القلب من اخطر الادواء الجسدية التي يُمنى بها الانسان. فبعض القلوب الجسدية مصاب بخفقان، والبعض الآخر مبتلٍ بلغط في شريان القلب الرئيسي . فكم يكون حال من يُمنى بهذين المرضين او بما يماثلهما في قلبه المعنوي؟! على ان طبيب القلوب والارواح ، لم يكتف بان وضع مِبضعهُ على الداء ، بل تقدم فوصف الدواء : «انتم تؤمنون بالله . فآمنوا بي » . يجوز أن تُترجم هذه الكلمات ، كما وردت في الاصل — الى احدى هذه الاربع صيغ:

(١) «انتم تؤمنون بالله، فطبعاً انتم تؤمنون بي ايضاً» — فالجملتان خبريتان

(٢) «آمنوا بالله تؤمنوا بي أيضاً» — فالجملة الاولى أمرية والثانية خبرية

(٣) «انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي» — فالجملة الاولى خبرية، والثانية أمرية

(٤) «آمنوا بالله . وبي أيضاً آمنوا » — فالجملتان في صيغة الامر . هذا رأي احدث المفسرين . على هذا الاعتبار يكون الجزء الاول من العدد — حيث وُصف الداء — مفرغاً في صيغة نهي : «لا تضطرب قلوبكم» . والجزء الثاني منه — حيث وُصف الدواء — مفرغاً في صيغة امر : « آمنوا بالله . وبي ايضاً آمنوا » . من هذا نلاحظ : (١) ان الايمان بالله ، هو ترياق لغط القلوب واضطرابها . (٢) ان الايمان بالله يقود حتماً الى الايمان بالمسيح . (٣) ان الايمان بالمسيح يدعم الايمان بالله . هذه حجة لاهوت المسيح ، ووحدانيته مع الله. والا كان الايمان به شركاً بالله. (٤) مع ان التلاميذ كانوا

آمنوا بي . ٢ في بيت ابي منازل كثيرة .

ؤمنين بالله و بالمسيح، الا ان المسيح دعاهم الى ايمان أرقى نوعاً، واقوى فاعلية،
اوسع مدى من ايمانهم الذي كانوا عليه مرة، فقالوا فيه: «يا رب زد ايماننا».
وهل يقوى شخص غير المسيح ان يقول «آمنوا بالله في ايضاً آمنوا» ، مع
ن بينه و بين الموت يوماً واحداً ؟! فاذا لم يكن للمسيح الهاً تاماً ، فمن المحال ان
كون إنساناً كاملاً. لان صدور مثل هذا القول من مجرد انسان يُعتبر تجديفاً

لاحظ الالقاب التي وصف بها المسيح اسم الجلالة : « الله » (عدد ١) ،
«أبي» (عدد ٢) ، «الآب » (عدد ٦)

عدد ٢ . *ضمان ، وتطمين ، وتشجيع*

ضمان: «في بيت ابي منازل كثيرة». يراد بالمنازل، تلك المساكن الخالدة
لتي كان الهيكل الزائل رمزاً لها (٢: ١٦) . قابل هذا بما جاء في ٨: ٣٦ . ان
ي قوله « منازل » مجازاً مبنياً على ما في قصور ملوك الارض : من محال
كثيرة و «اجنحة» لهم، ولذريتهم ، وحاشيتهم ، وضيوفهم. و يقول وستكوت
ان هذا المجاز مبني على ما كان في الهيكل اليهودي من غرفات و «اروقة »
وطباق كثيرة (١ ملوك ٦: ٥و٦و١٠ وحزقيال ٤١: ٦). ومع ان السماء حالة
روحية ، الا انها ايضاً مكان علوي مُعدّ لاناس مُعدّين له . ويكفينا ان
نعرف عن موضع هذا المكان انه حيث يوجد المسيح . « اليوم تكون معي
في الفردوس » (لو ٢٣: ٤٣) ، « ان اكون مع المسيح ذاك افضل جداً »
(فيلبي ١: ٢٣)، «نستوطن عند الرب»، ٢ كو ٥: ٨ . وان المسيح موجود حيث

والا فاني كنت قد قلت لكم

الآب : «أبانا الذي في السموات» . اما عمل المؤمن هناك فقد عبر عنه يوحنا نفسه في رؤياه : «وعبيده يخدمونه ، وهم سينظرون وجهه» (رؤيا ٢٢: ٣و٤)

كلمة : « منازل » — كما جاءت في الاصل — لا تعني الدرجات التي يكون عليها المؤمنون ، لكنها تعني المساكن المستديمة . فهي جمع «منزل»، لا «منزلة». هذا المعنى يتفق تماماً وغرض المسيح في سياق كلامه. فان خوف التلاميذ لم يكن من عدم وجود درجات في السماء ، بل من عدم وجود امكنة كافية لهم جميعاً، مثلما كان يحدث عادة في فنادق اورشليم سيما في ايام الاعياد كما يدل عليه المكان الذي وضعت فيه امّ المخلّص ابنها البكر : « اذ لم يكن لهما موضع في المنزل» . ويقول وستكوت : ان كلمة : «منازل» كما وردت في الاصل ، قد تعني «المحطات» او «الابراج» التي عندها يستريح المسافرون، وفيها يجدون عزاء وغذاء — مما يدل على ان هذه الكلمة تنطوي على عنصرين: — الراحة ، والتقدم . ويقول لانجي ان المسيح فاه بهذه الكلمات وهو شاخص الى السماء المتلألئة بالنجوم

تطمين : «والا فاني كنت قد قلت لكم» — اي لو كنت سأفترق عنكم فراقاً لا لقاء من بعده في المساكن السماوية — حيث تكونون معي ، لكنت قد اعلمتكم بهذا من قبل ، لاني لا أرضى لنفسي بأن اتركم معلقين انفسكم الى الآن ، برجاء غير وطيد . ويعتقد داڤيد سمث ، وكايل ، بأن قول المسيح : « والا فاني كنت قد قلت لكم » ، راجع الى قوله : « في بيت ابي منازل

ا امضي لاعدّ لكم مكاناً. ٣ وان مضيت واعددت لكم مكاناً

نثيرة» . اي لو لم يكن للتلاميذ منازل كافية ، لكان المسيح قد سبق فانبأهم بهذا من قبل. على اننا نعتقد بالرأي الاول. لان التلاميذ لم يكونوا خائفين ن قلة المنازل ، وانما كانوا يخشون تعذُّر لحاقهم بسيدهم أنَّى ذهب

تشجيع : «أنا امضي لاعد لكم مكاناً» . يتضمن هذا الوعد جواباً صريحاً لى سؤال بطرس الذي عبّر به عن أشواقه واشواق سائر التلاميذ (١٣ : ٣٦) ان ايمانهم بالله يضمن لهم حقّ دخول المنازل السماوية ، وايمانهم بالمسيح فتح لهم الطريق الى تلك المنازل. لان المسيح بموته ، وقيامته ، وصعوده ، تتح طريق السماء ، ودخل كسابق لنا. وهل من كلمات ، تصف محبة المسيح تلاميذه ، ورغبته في خدمتهم واراحتهم ، ابلغ من قوله : «انا امضى لاعدّ كم مكاناً» ؟ عادة يمضي الخادم ليعدّ مكاناً للسيد. ولكن في هذه الحال ، ذهب السيد ليعدّ مكاناً للعبيد . ان القلب ليهتف من سويدائه قائلاً : ما أعجب الفادي ، وحبه الشديد * اذ بالرضى السامي ابتغى، ان يخدم العبيد

«انا امضي لأُعد لكم مكاناً» — تذكرنا هذه الكلمات بما جاء في سفر لعدد ١٠ : ٣٣ « فارتحلوا (بنو اسرائيل) من جبل الرب مسيرة ثلاثة ايام وتابوت عهد الربّ راحل امامهم مسيرة ثلاثة ايام ليلتمس لهم منزلاً »

عدد ٣. وعد ، فلقاء ، فبقاء. « وان مضيت . . »

وعد : « وان مضيت واعددت لكم مكاناً آتي أيضاً » . فهو اذاً وعد بعَود المسيح الى تلاميذه. وقد تمّ هذا الوعد تدريجياً على دفعات متتابعة.

آتي أيضاً وآخذكم اليّ حتى حيث أكون انا

تمّ في معناه الابتدائي للتلاميذ وقت ظهور المسيح لهم في الفترة التي بين القيامة والصعود. وتمّ لهم روحياً في مجيء المسيح اليهم في شخص الروح القدس يوم الخمسين، وتمّ لهم اختبارياً بمجيء المسيح لهم ساعة موت كل منهم، وسيتم لهم وللمؤمنين كالياً بمجيء المسيح ثانية ليملك، ويحكم، ويدين. وبنفس هذه الادوار المتعاقبة — الا أولها — يتمّ هذا الوعد لجميع المؤمنين. ان اظهر وجه في هذا الوعد، هو مجيء المسيح بشخصه الى التلاميذ والمؤمنين، وقد كان في امكانه ان يكل هذه المهمة الى ملاك أو رسول. ان قوله: « ان مضيت واعددت » يتمشى مع قوله في العدد السابق: «أنا امضي لأعد».

لقاء: «وآخذكم اليّ». لا يتم هذا اللقاء الا بعد اعداد المكان، كما ان ذهاب التلاميذ الى المساكن السماوية لا يتأتى لهم الا وشخص المسيح معهم، ليتقدم بهم الى الآب: « ها أنا والاولاد الذين اعطيتني ». وهذا تمّ اما عند موت كل منهم، أو يتمّ في مجيء المسيح الثاني. ان قوله «وآخذكم اليّ» يفيض رقة وحناناً، فيه تتمثل أباً محباً عائداً الى صغاره ليأخذهم معه حيث كان، فيضمهم الى صدره الحنون، ثم يتقدم حاملاً اياهم طيلة مدة السفر

بقاء: «حتى حيث أكون أنا، تكونون انتم ايضاً». هذه هي الشركة الدائمة بين المسيح وتلاميذه. اننا لا نعلم بالضبط موقع السماء، ولا نريد ان نعلم. ويكفينا ان نعرف أن السماء هي حيث يكون المسيح، فهو منبع الفرح والمجد. فوجهه نور السماء، وابتسامته بهجة السماء، وصوته موسيقى السماء، وشخصه سماء

تكونون انتم أيضاً. ٤ وتعلمون حيث انا أذهب وتعلمون الطريق.
٥ قال له توما يا سيد لسنا نعلم أين تذهب

السماء. « حيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً ». ألا يحمل هذا القول اشارة ضمنية الى مشاركة المؤمنين للمسيح في طبيعته الممجدة، على اعتبار انه صعد الى المجد حاملاً معه جسم بشريتنا؟ (انظر ١يو ٣: ٢ ويوحنا ٧: ٣٤و٣٦)

عدد ٤. التلاميذ يعلمون بالغاية وبالطريق، وهم لا يعلمون: «وتعلمون حيث انا اذهب. وتعلمون الطريق». وهل كان التلاميذ يعلمون حقاً؟ نعم. ولا. اما نعم، فلانهم كانوا يعرفون المسيح، الذي هو الطريق. واما لا، فلانهم ما كانوا يعلمون بَعْدُ ان المسيح هو الطريق. لان افكارهم عن المسيح، لم تزل ارضية كافكار سائر اليهود (١٢: ٣٤)، ولان آمالهم لم تنتقل بَعْدُ من الرجاء المنظور، الى الملكوت الغير المنظور. ومن الجائز، ان المسيح صرّح بهذا القول لكي يحرض شهية التلاميذ انتظاراً لاعلانات أجلّ

المحادثة الثانية: بين توما والمسيح: المسيح هو الطريق (١٤: ٥ و٦)

عدد ٥. التلاميذ يصرحون بلسان توما بانهم لا يعلمون انهم يعلمون « قال له توما يا سيد لسنا نعلم اين تذهب فكيف نقدر ان نعرف الطريق». ثلاث مرات نواجه توما في هذه البشارة. الاولى في ١١: ١٦، والثانية في هذا العدد، والثالثة في ٢٠: ٢٦. وفي هذه الثلاث المرات نرى فيه الرجل الصريح، المحكوم بحواسه، والمتحسس لما « يلمسه » من الحق. في خاتمة الاصحاح الثالث عشر، رأينا بطرس في اندفاعه وهو يريد ان يتبع

فكيف نقدر ان نعرف الطريق. ٦ قال له يسوع انا هو الطريق

المسيح حالاً ، فصبَّ المسيح مياهاً باردة اخمد بها حماسه غير المهذّب ، وافهمه انه سيتبعه — ولكن فيما بعد . فجاءت فرصة توما ليستعلم عن «المكان» الذي يذهب اليه المسيح ، والطريق الى هذا المكان ، فصاغ سؤاله في نفس الكلمة القصيرة البصر ، التي سمعناها من نيقوديموس (٣: ٤ و ١١) ، والسامرية (٤: ٩) ، واليهود (٦: ٥٢) — «كيف» ! ؟ كانت الغاية مجهولة من توما — حسب نظره القصير — فكيف يقدر ان يعرف الطريق ؟ على اننا مدينون لتوما بهذا السؤال الذي فاز من السيد بالجواب الخالد ، الذي حُفظ لنا في العدد التالي

عدد ٦ . جواب المسيح : «أنا هو . . .» . هذا جواب جامع : «أنا هو الطريق . .» . مانع : «ليس أحد . . الا بي» . في الشطر الاول منه ، أجاب المسيح صراحة على قول توما : «كيف نعرف الطريق» . وفي الشطر الثاني ، أجاب ضمناً على قوله : «لسنا نعلم اين تذهب»

«أنا هو الطريق . .» - ان الكلمة الرئيسية في جواب المسيح ، هي : «الطريق» . وقد ذكر «الحق» و«الحياة» توضيحاً لها . «فالحق» هو الله معلَناً في قداسته ومحبته (عدد ٩) ، و «الحياة» هي الله متصلاً بالنفس في قوته وغبطته . فالمسيح هو الطريق لانه هو الحق والحياة . يقول كالفن ولوثر ان هذه الثلاث الكلمات : «الطريق . والحق . والحياة» منسّقة تنسيقاً بديعاً . فالطريق هي البدء ، والحق هو الوسط ، والحياة هي الختام .

«أنا هو الطريق . والحق . والحياة» — هذا تصريح خطير لا يقوى

والحق والحيوة. ليس احد

على النطق به الا المسيح . فهو لم يقل انه يدلّ الى الطريق ، ويقول الحق ، ويهدي الى الحياة ، بل قال بصورة قاطعة: «أنا هو الطريق» — فلا طريق إلاّه . وانا هو « الحق » — فلا حق سواه . وانا هو « الحياة » — فلا حياة بغيره . أمام هذه الكلمات الجليلة يستد كل فم . قد يقول غير المسيح انه هو الطريق فتظهر الايام بطلان ادعائه . لكن المسيح هو الطريق والحق . وقد يقول غير المسيح انه هو الطريق وانه يأتي بالحق ، فيأتي الموت في نهاية الامر ويسحقه بين يديه . أما المسيح فهو وحده الطريق، والحق، والحياة. في هذه الثلاث الكلمات تجد البشرية ريًّا لعطشها في كل زمان ومكان. فالباطني المتصوف يجول هائماً في مجاهل فرائض العبادة قائلاً : « أين الطريق » ؟ والعالم المتفلسف يهيم باحثاً في فيافي الفلسفة العقلية قائلاً :«أين الحق»؟ وجميع الناس يصرخون سواء بسواء قائلين: «أين الحياة»؟فيقول المسيح للاول:«أنا هو الطريق» ، وللثاني : «انا هو الحق» ، وللآخرين: «انا هو الحياة»

المسيح هو الطريق لانه هو الوسيط الاوحد بين الله والناس. وهو الحق لانه هو كلمة الله . وهو الحياة لانه هو الفادي الذي مات وقام

النفس تائهة — فالمسيح طريقها . النفس في وادي البطل — فالمسيح حقها. النفس ميتة ، فالمسيح حياتها

المسيح هو «الطريق» الحي الحقيقي بين الناس والله

المسيح هو «الحق» لانه يعلن لنا كل ما يلزمنا معرفته عن نفوسنا، وعن الله

يأتي الى الآب الا بي . ٧لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي ايضاً .

المسيح هو « الحياة » لانه اشترى لنا الحياة بموته ، ووهبنا إياها بروحه (عب ١٠: ٢٠ واش ٣٥: ٨—١٠ و يو١١: ٢٥ و ٦: ٥٧ و ١٠: ١٠)

«انا هو الطريق»: هذا جواب المسيح على المتسائلين : «اين الطريق»؟

«انا هو الحق» : هذا جواب المسيح على القائلين « كيف نعرف» ؟

«انا هو الحياة» : هذا جواب المسيح على المتسائلين «الى اين تذهب»؟

« ليس أحد يأتي الى الآب الا بي » — هذا هو الجانب المانع في هذا الجواب الخالد. والكلام فيه منصرف الى العبارة الرئيسية : «انا هو الطريق». فكل طريق غيره ضلال. وكل حقّ عداه بُطل . وكل حياة سواه موت

« انا هو الطريق » — هذا موضوع كلام المسيح في عدد ٧—١٤ .
« انا هو الحق » — هذا موضوع الكلام في عددي ١٧و١٨—عن «روح الحق» . « انا هو الحياة». هذا موضوع الكلام في عدد ١٩—٢١ «اني انا حيّ . فأنتم ستحيون »

عدد ٧ . حث ، وتبليغ ، وتحقيق :

الحث : «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي ايضاً» — في هذا القول لاينكر المسيح على التلاميذ معرفتهم به، وانما اراد ان يستحثّهم لمعرفة ارق ، واعمق، وادقّ .هذا على مثال قوله لهم في عدد ٢٨ «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون»، وقوله لهم في لوقا ١٧: ٦ «لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل . .» ، جواباً على طلبهم منه ان يزيد ايمانهم

ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. ٨ قال له فيلبس

التبليغ: «ومن الآن تعرفونه» — يعتقد يوحنا الذهبي الفم ان كلمة «من الآن» تعني وقت حلول الروح القدس يوم الخمسين. ولكن هذا الرأي يطوّح بكلمة «الآن» اكثر مما تحتمل، فيجعلها في حكم «سوف»، ويعتقد ماير ان معناها «منذ تصريحي الذي افضيت به اليكم في عدد ٦». ولكننا نعتقد انها تعني «من الوقت الذي شرع فيه المسيح يخاطبهم بهذا الخطاب الوداعي»

التعليم: «وقد رأيتموه» — هذه هي الرؤية الروحية التي امتاز بها التلاميذ عن احبار اليهود الاقدمين. بما ان المسيح هو صورة الله غير المنظور، وطبيعته وطبيعة الآب كلتاهما شيء واحد، وليس الاثنان الا الهاً واحداً ولكن يتميّزان بالاقنوم، فينتج من هذا ان من رأى المسيح فقد رأى الآب. على ان التلاميذ لم يكونوا قد تحققوا هذا الامتياز بعد، لانهم لم يكونوا يعرفون ذلك معرفة جلية، لغلبة الحواس عليهم

«وقد رأيتموه» — كما ان قول المسيح للتلاميذ «وتعلمون حيث انا اذهب وتعلمون الطريق» (عدد٤)، قد استحثّ توما الى ان يسأل قائلاً: «كيف نقدر ان نعرف الطريق»؟ كذلك كان قول الفادي للتلاميذ: «وقد رأيتموه»، محرّضاً فيلبس على ان يطلب الطلبة المدونة في العدد التالي

المحادثة الثالثة: بين فيلبس والمسيح: المسيح في الآب، والآب فيه (١٤: ٨ - ١٠)

عدد ٨. طلبة فيلبس: «قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا».

يا سيد ارنا الآب وكفانا. ٩ قال له يسوع انا معكم زماناً هذه مدته

تعذَّر على بطرس ان يتبع المسيح حالاً، وعزّ على توما ان يعرف الطريق تماماً، فجاء دور فيلبس الرجل العملي الذي يكتني بعمل حساب للمنظور (٦:٧)، فعبّر عن امنية قلبه، التي هي امنية الاجيال بأسرها: «ارنا الآب وكفانا» — فان هذه الرؤية تكفينا مؤونة الاسئلة الكثيرة، وتمنع عنا اضطراب القلوب. قديماً كانت هذه امنية موسى، لكنها عزَّت عليه (خروج ١٨:٣٣ — ٢٣). وفيما بعد تغنى بها داود، ومات على رجاء توقعها: «اما انا فبالبرّ انظر وجهك» (مزمور ١٧:١٥). غالباً جداً كان فيلبس ينتظر استعلاناً لمجد الله مصحوباً بآيات وقوات وعلامات من السماء. فكانت طلبته هذه شبيهة بطلب اليهود آية من المسيح. وقد فاتهم ان الله محبة، وانه قدوس، ولذلك فان تجلياته لا تكون على اتمها: في مظاهر القوَّة الجامدة، بل في شخصية حية، ادبية، كاملة، تنطق بلغة الله وتعمل اعمال الله — هذه هي شخصية المسيح الحيّ، الكامل، الاوحد، الذي رآه التلاميذ

عدد ٩ — ١٤. **جواب المسيح**: «قال له يسوع انا معكم..». يعتقد بنجال ان جواب المسيح على قول فيلبس «ارنا الآب»، واقع في عدد ٩ — ١١، وان جوابه على قوله: «وكفانا» متضمن في عدد ١٢ — ١٤. ويلوح لنا ان جواب المسيح في الاعداد ٩ — ١٤ شبيه بكنانة ذات خمسة سهام: —

السهم الاول — عتب لطيف: «قال له يسوع انا معكم ... ولم تعرفني يا فيلبس»؟ في هذه الكلمات تذكير، يمازجه عتب لطيف، موجه الى فيلبس

ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول
انت ارنا الآب. ١٠ ألست تؤمن اني انا

باسمه — كنائب عن التلاميذ — ليرفعه واياهم الى الحالة الروحية الراقية التي يريدهم المسيح ان يكونوا عليها. ولا تخلو هذه الكلمات من رنة حزن، كأنَّ تعب السيد طوال هذه المدة قد ذهب ضياعاً، لان فيلبس بانكاره معرفته بالآب، انكر ضمناً معرفته بالمسيح. لان المسيح في الآب والآب فيه

السهم الثاني — تصريح خطير: «الذي رآني فقد رأى الآب». ان نفس الانسان تطبع تأثراتها، وصفاتها، وارادتها، على صحيفة جسده، كذلك صفات الله، وارادته، ومقاصده، تجلت في المسيح الذي هو «صورة الله غير المنظور». على ان جوهر الله لا يُرى

لو لم يكن المسيح الهاً، لما جاز له ان يفوه بهذا التصريح

السهم الثالث — توبيخ خاص: « فكيف تقول أنت ارنا الآب » ؟ النبرة في هذه الكلمات، واقعة على كلمة «أنت». كأني بالمسيح يقول لفيلبس: لو صدرت هذه الكلمة من غيرك، لكان وقعها هيناً، اما أن تصدر منك أنت يا من اطعت امري منذ بدء خدمتي (١: ٤٣و٤٤)، فوجدتَ في شخصي ملتقى نبوات الله ومواعيده (١: ٤٥)؟! فهذا لا يطاق. إذ كيف تلجأ انت، عند ختام خدمتي، الى طلب آية منظورة لتتحقق بها من صدق اقوالي (١: ٤٦) ؟

عدد ١٠. *السهم الرابع — توضيح صريح*: « ألست تؤمن اني انا في الآب، والآب فيَّ » ؟ ان في طلب فيلبس من المسيح، ان يريه الآب،

في الآب والآب فيَّ . الكلام الذي اكلمكم به لست اتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيَّ

اعترافاً ضمنياً من فيلبس بان المسيح في الآب ، والآب فيه . وان لم يكن المسيح ذلك ، فلن يبقى في طاقته ان يجيب فيلبس الى طلبه . هذا مفاد قول المسيح لفيلبس : « ألست تؤمن » ؟ بل هذا ما كان يجب ان يؤمن به فيلبس ، حتى ولو لم يطلب هذه الطلبة ، لان المسيح سبق فقرر هذه الحقيقة على مسمع من جميع تلاميذه ، بما فيهم فيلبس

«انا في الآب ، والآب فيَّ» . ان الآب والابن أقنومان متميّزان . وان الاتحاد الكائن بينهما ، تامٌ في القصد ، والعمل ، ولا يجوز فيه الانفصال ، لان لهما جوهراً واحداً . وان موضوع الايمان الذي توقعه المسيح من فيلبس ، له ركنان : أولهما : «انا في الآب» — اي ان المسيح أخلى نفسه ، ليحيا في الآب . ثانيهما : « الآب فيَّ » — اي ان الآب قد اودع كل ملء قدرته، وحكمته في المسيح الذي : «فيه يحل كل ملء اللاهوت» (كو ٢ : ٩)

وعلى كل من هذين الركنين تُبنى نتيجة مهمة، كما يظهر من باقي العدد ، فالركن الاول — أي اخلاء المسيح نفسه ليحيا في الآب ، تُبنى عليه النتيجة الاولى وهي : «الكلام الذي اكلمكم به لست اتكلم به من نفسي». والركن الثاني—اي ايداع كل قوات اللاهوت في المسيح ، تُبنى عليه النتيجة الثانية وهي : «الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الاعمال» . فالنتيجة الاولى خاصة باقوال المسيح كلها . والنتيجة الثانية تتعلق باعماله — وكل اعماله معجزات. النتيجة

هو يعمل الاعمال. ١١ صدقوني اني في الآب والآب فيّ. والا
فصدقوني لسبب الاعمال نفسها. ١٢ الحق

الاولى سلبية: مفادها ان كل كلماته ليست من عندياته. والثانية ايجابية: مؤداها ان كل معجزاته مصنوعة باصبع الله

عدد ١١. السهم الخامس — مطالبة مقة. «صدقوني..». بناء على الحجتين اللتين اوردهما المسيح في العدد السابق، تقدم مطالباً تلاميذه، بان يصدّقوه: (١) بحجة كلامه: «صدّقوني اني في الآب والآب فيّ». (٢) لسبب اعماله: «صدقوني لسبب الاعمال». ان كلامه يحمل في ذاته برهان صدقه. فكان من الواجب على التلاميذ ان لا يحتاجوا مع كلامه الى برهان آخر. ولكن اذا لم يقتنعوا بحجة كلامه، عليهم أن يقتنعوا بحجة اعماله، المنبئة بطبيعة اقواله، والمؤيدة لصدقها. فمن لا يقتنع بسمع اذنيه، عليه ان يقتنع بمرأى عينيه. لان جلال اعمال المسيح، يشهد لكمال اقواله، وكمال اقواله يشهد لسموّ طبيعته

عدد١٢—٢١. وعود للتلاميذ: ثلاث مزايا تعود عليهم (١٤:١٢—٢١)

بعد ان اجاب المسيح على سؤالي توما وفيلبس، عاد الى مواصلة كلامه الذي استهلّ به هذا الاصحاح، مشجعاً التلاميذ ومواسياً اياهم في اضطرابهم الذي اصابهم بسبب توقع افتراقه عنهم. فذكر لهم في هذه الاعداد ثلاث مزايا سيتمتعون بها متى غاب عنهم. الاولى — ان التلاميذ سيواصلون التقدم بالاعمال التي ابتدأها المسيح، ويقومون باعمال اعظم (١٤:١٢—١٤).

الحق اقول لكم

والثانية — انه المسيح سيرسل اليهم معزياً آخر يمكث معهم (١٤:١٥ - ١٧)
والثالثة — انه المسيح يأتي الى التلاميذ بذاته (١٤:١٨—٢١)

عدد ١٢ — ١٤. الميزة الاولى التي تعود على التلاميذ من افتراق المسيح عنهم — مواصلتهم اعماله وقيامهم باعمال اعظم (١٤:١٢ - ١٤). هذه الاعداد تصف: (١) طبيعة الاعمال التي تجري بعد صعود المسيح: «الحق. الحق» — فاه المسيح بهاتين الكلمتين تقريراً للتصريح الممتاز الذي يعقبهما (اطلب شرح ٣:٣ و٥) — «اقول لكم . . . الاعمال» — اي المعجزات — «التي أنا اعملها» — كانت هذه المعجزات ماثلة امام المسيح والتلاميذ، كما لو كانت في حكم الحاضر، لا الماضي. «يعملها هو أيضاً. ويعمل أعظم منها» ليست هذه الاعمال اعظم من اعمال المسيح في مظهرها ولا في فخامتها. — اذ لا تفاضل في المعجزات — بل في طبيعتها ومداها، لأنها في دائرة الروح: مثل تخليص ثلاثة آلاف نفس في يوم واحد على يدي بطرس يوم الخمسين، لان تخليص النفوس الهالكة، اعظم من ابراء الاجسام المريضة، واقامة الاجساد الميتة. ولان اعمال المسيح، كانت غالباً قاصرة على اليهود، لكن الاعمال التي أجريت على ايدي التلاميذ تمت في الامم أيضاً. ويعتقد بنجال انها اعمال اعظم في مظهرها امام عيون الناس، مشيراً بذلك الى المرضى الذين كانوا يستشفون بظلّ بطرس (اعمال ٥:١٥)، وبالمناديل التي كان يمسّها جسد بولس (اعمال ١٩:١٢)

من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لاني ماضٍ الى ابي.

---

(٢) *العامل الثانوى الظاهر المحرك فى هذه الاعمال الاعظم* — هو التلميذ المؤمن بالمسيح: «من يؤمن بي». هذا هو ايمان الثقة، والاتكال، والتسليم. وهو أرقى من ايمان التصديق الذي تحدَّث عنه المسيح في عدد ١١، بقوله: «صدقوني.. والا فصدقوني». وهل يكون التلميذ اعظم من معلمه، والعبد اكثر اقتداراً من سيده؟ ان الجواب على هذا السؤال نجده في الحقيقة التالية:

(٣) *العامل الاولى الخفى المحرك* — هو المسيح المجدَّد «لاني ماض الى أبي» (عدد ١٢). «فذلك أفعله» (عدد ١٣).... «فاني أفعله» (عدد١٤). فما نصيب أيدي التلاميذ في هذه المعجزات، باكبر من نصيب يد الصبيَّة الصغيرة التي تمسك بها يد أبيها فترسم بها أبدع الصور، أو توقع بها أجمل الالحان. لم يكن في الامكان القيام بهذه المعجزات الاعظم الا بعد ذهاب المسيح الى الآب. عندئذاك تكون ذبيحة المسيح الفدائية قد قُبلت بقبول السماء اياه، ويكون حائط السياج المتوسط بين الامم واليهود، قد أزيل. ويكون المسيح قد تمجد، فيرسل الروح القدس ليملأ التلاميذ والكنيسة فيتم اتحاد التلاميذ بالمسيح، ويكون في استطاعتهم حينئذ ان يواصلوا عمله الذي بدأه على الارض (اعمال١:١). (انظر أيضاً يوحنا ٧:٣٩) وكما ان اغصان الشجرة لا تقوى على الاتيان بثمار الا اذا اتحدت اتحاداً حيوياً بالكرمة، كذلك لا تجود الكرمة بثمرها الا عن طريق الاغصان الحية

١٣ ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. ١٤ ان
سألتم شيئاً باسمي

المتحدة بها. (٤) نصيب التلاميذ في القيام بهذه الاعمال الاعظم — الصلاة باسم المسيح: «مهما سألتم باسمي» (عدد ١٣)... «ان سألتم شيئاً باسمي» (عدد ١٤). هذه اداة الاتصال بين العامل الثانوي والعامل الاولي في هذه المعجزات. على ان الصلاة باسم المسيح، لا يراد بها مجرد ذكر اسم المسيح في نهاية الصلاة أو في بدايتها، وانما يراد بها الصلاة في روح المسيح، واستحقاقاته، بل في شخصه، كما لو كانوا هم هو — كل هذا في نور الاعلانات الجليلة التي أفضى بها اليهم عن شخصه وعمله، لان اسم شخص ما، لا يعبر عن الحروف التي يتركب منها هذا الاسم وكفى، بل يشتمل الذات، والصفات، والمقام، والمؤهلات، المعروفة عنه. في صلبه عنا، قام مقامنا، ليحق لنا ان نقوم مقامه متى طلبنا شيئاً لاجل ملكوته. (٥) الغاية القصوى من اتيانه هذه الاعمال الاعظم: «ليتمجد الآب بالابن». ذلك لان المسيح لم يؤسس ملكوتاً لذاته، بل لاجل مجد الآب. فالايمان به، يُدعم الايمان بالآب (١٤: ١)، وتمجيد اسمه، تمجيد للآب، فهو والآب واحد (١٠: ٣٠)

في عدد ١٤، قرّر المسيح مؤكداً ما سبق فقاله في عدد ١٣. ولعلّ النبرة واقعة على كلمة: «افعله». فمع ان الصلاة مقدمة الى الآب، الا ان المجيب عنها هو المسيح العامل باسمه وسلطانه. فالتلاميذ يصلون باسم المسيح، والمسيح يعمل باسم الآب

فاني افعله. ١٥ ان كنتم تحبونني فاحفظوا

كرّر المسيح هذا الوعد: (أ) للتوكيد. (ب) لبيان مدى اتساع الوعد. فان كلمة «مهما» لا حدّ لها. (ج) لبيان انه المجيب هو المسيح

عدد ١٥—١٧. *الميزة الثانية — المسيح يرسل معزياً آخر ليمكث معهم.* هذه هي ميزة المزايا، فهي اسّ كل المزايا التي يتمتع بها التلاميذ بعد صعود سيدهم عنهم. في هذه الاعداد أبان المسيح لتلاميذه:

(١) *الشرط الادبي لحظوتهم بهذا المعزى الآخر*: «ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب» (عدد ١٥). يتضمن هذا الشرط *بذرة وثمرها* أما *البذرة* فهي محبة التلاميذ للمسيح، وأما *الثمرة* فهي حفظهم وصاياه. أو قل ان هذا الشرط يتضمن أساساً و بناءه. فالأساس هو المحبة، والبناء هو الطاعة. وعلى هذا الاساس بُني الكلام في عدد١٧. ان الوصايا التي يطالبهم المسيح بحفظها هي التزامات المحبّة التي وضعها المسيح عليهم مدة اتباعهم اياه، و بخاصة في هذه الليلة الاخيرة. و بما انها التزامات، فلا يستطيعون القيام بها الا بقوة المحبة التي أفاضها السيد عليهم، فجاءت محبتهم له صدى صوت محبته لهم، ولا فضل لهم. لان الفضل للمتقدم. لقد أحبنا هو حتى الموت، أفكثير علينا اذا نحن أحببناه حتى الحياة؟!

ليس في قول المسيح لهم «ان كنتم تحبونني..» انكار لمحبتهم له، ولا اظهار لتشككه في هذه المحبة، بل حضٌّ على المزيد منها. وكما سبق لحضهم على المزيد من الايمان به (عدد ١)، استحثهم هنا على المزيد من المحبة له. وقد

وصاياي. ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر

كرّر المسيح هذا القول — ولكن بصورة أخرى — في عدد ٢١. فالكلام في عدد ١٥ يُبدأ بالبزرة ويصل منها الى الثمرة — فالبزرة الحية تجود بثمر حتماً. والكلام في عدد ٢١ يتناول الثمرة ويرجع بها الى البزرة — فالثمرة تنمّ عن طبيعة البزرة: «من ثمارهم تعرفونهم»

عدد ١٦. (٢) *العون الفعال لخطوة التلاميذ بالمعزى الآخر — شفاعة المسيح* «وأنا أطلب من الآب» — هذا ركنٌ من أركان شفاعة المسيح. وموضوع هذه الشفاعة: عطية الروح القدس للتلاميذ. على ان كلام المسيح في هذا العدد، لا يتعارض مع قوله في ١٦: ٢٦ «في ذلك اليوم تطلبون باسمي ولست اقول لكم اني أنا اسأل الآب من اجلكم». فالكلام هنا يشير الى ما قبل يوم الخمسين. لكن الكلام في ١٦: ٢٦ يشير الى ما بعد يوم الخمسين — حين يكون الروح القدس قد حلّ بملء في التلاميذ ليمكث فيهم الى الابد. فلا يبقى بعد مجال لأن يتشفع المسيح عن التلاميذ بشأن عطية الروح القدس لهم.

(٣) *اوصاف المعزى الآخر*. في عددي ١٦ و١٧ وصفه المسيح وصفاً سداسياً — ١ — *في عمله*: «معزياً» — الكلمة المترجمة «معزٍّ» وردت في الأنجيل خمس مرات — في اربع منها، قيلت عن الروح القدس (١٤: ١٦ و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ٧)، وفي الخامسة، عن المسيح (١ يوحنا ٢: ١). الكلمة الاصلية «باركليتوس» تتضمن ثلاثة معانٍ: «المستعان» و«المعزي» و«الوكيل» — في التقضا — او الافوكاتو. وليس فيها على الاطلاق شيء من معنى الحمد.

ليمكث معكم

نقول هذا بمناسبة زعم بعضهم ان المسيح انما انبأ في هذه الآية بمجيء نبي العرب ، مرتكنين فعلاً الى ما جاء في سورة الصف آية ٦ «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد». ورداً على هذا نكتفي بايراد حجتين - اولاهما : ان الاوصاف المنسوبة الى المعزّي في يوحنا ١٤:١٦و١٧ ، تتناقض تناقضاً كلياً والاوصاف المعروفة عن نبي العرب في:- (١) ان المعزي روح لا يراه العالم ولا يعرفه واما نبي العرب فهو انسان رآه العالم وعرفه . (٢) ان المعزّي يمكث بشخصه مع المؤمنين، الى الابد، واما نبي العرب فقد مات، وقبره معروف امره ، واليه يحج كثيرون من اتباعه في كل عام مرة . (٣) ان المعزي أُرسل الى تلاميذ المسيح وهم يهود جنساً ، واما نبي العرب فقد جاء الى العرب . (٤) ان الغاية القصوى من رسالة الروح هي تبكيت العالم على خطية عدم الايمان بالمسيح (يوحنا١٦:٩) والشهادة للاهوت المسيح (١ كورنثوس ١٢:٣) . واما نبي العرب فقد وقف رسالته على محاولة هدم لاهوت المسيح

والحجة الثانية هي: ان معنى الكلمة الاصلية المترجمة «المعزي» ينقض هذا الرأي من اساسه . ذلك لان معناها الاساسي: «الوكيل». وواضح من سورة الاسراء آية ٥٤ ، ان نبي العرب ليس بالوكيل: «وما ارسلناك عليهم وكيلاً» كما انه يتضح جلياً من سورة النساء آية ٨٠، ان الله وحده هو الوكيل: «وكفى بالله وكيلاً »، وبما ان كلمة «الوكيل» قد نسبت في الانجيل الى الروح القدس، والى المسيح (١ يوحنا ٢:١) ، فهذه شهادة ضمنية من القرآن للاهوت المسيح

الى الأبد. ١٧ روح الحق

وفوق هذا، فاننا نهمس في آذان اخوتنا الذين يزعمون هذا الزعم، مسرّين اليهم بان حسبانهم ما جاء في الانجيل عن «المعزي» منطبقاً على نبيهم، يُعتبر اعترافاً ضمنياً منهم بان نبيهم هو رسول المسيح. لان المسيح يقول فيه «ومتى جاء المعزي الذي سارسله انا اليكم» (يوحنا ١٥: ٢٦)، فينتج عن هذا ان المسيح هو الله، الذي يُرسل الانبياء والمرسلين

ولنعد الآن الى الوصف الثاني الذي به وصف المسيحُ المعزّيَ :— (ب) في اقنوميته : «آخر» — فالمسيح هو المعزّي الاول الذي مكث مع التلاميذ بالجسد مدة خدمته على الارض (لوقا ٢: ٢٥). هذا دليل على ان الروح القدس اقنوم[1] ذاتي لا مجرّد تأثير. فهو الاقنوم الثالث في اللاهوت القائم مقام المسيح في الكنيسة، بعد صعوده. (ج) في مدة عمله : «ليمكث معكم الى الأبد» — على خلاف مدة اقامة المسيح معهم بالجسد. فانها كانت قصيرة. واما اقامته معهم بالروح، فالى جيل الاجيال (متى ٢٨: ٢٠). هذه الاقامة الروحية، تمت للتلاميذ، وتتم للكنيسة بواسطة الروح القدس

عدد ١٧. (د) في لقبه، وطبيعته، ومصدره — «روح الحق» — اي الروح الذي يبلّغ الحق الى روح الانسان، ويرشد الى الحق (١٥: ٢٦ و١٦: ١٣ و١ يو ٤: ٦) — مقابل روح الضلال الذي يبثّ الضلال في الاذهان والقلوب. ويُراد أيضاً بـ «روح الحق»، روح المسيح الذي هو

(١) كلمة «اقنوم» سريانية الاصل : «قناما» ومعناها شخص او ذات

الذي لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه. واما انتم
فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم. ١٨ لا أترككم يتامى.

«الحق» (١٤:٦)، فكلمة: «الحق» تصف الروح في طبيعته، وفي مصدره
(هـ) فى موقف العالم ازاءه — الذين هم في الضلال: «الذي لا يستطيع العالم
ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه». بما ان العالم مشبع بروح الضلال فمن
الطبيعي أن لا يقبل روح «الحق». ولأنه مغلوب بالمادّة، فقد عميت عيناه
عن ان يرى «روح» الحق. ولأنه «قد وُضع في الشرير»، فلا يقدر ان
يعرف «روح الحق». يراد «بالعالم» الناس الذين باعوا انفسهم للعالم،
وتشبعوا من روحه، فصاروا ماديين او طبيعيين (١ كو ٢: ١٤ و١: ٢١ و٢
كو ٤:٤). من أجل ذلك «لا يستطيع العالم ان يقبل» الروح القدس —
قبول الايمان (٩: ١١و١٢) «لانه لا يراه» — لان البصيرة الروحية منعدمة
فيه. «ولا يعرفه» — معرفة التمييز، والتحقق، والاختبار. (و) فى موقف
التلاميذ تجاهه — الذين هم في النور: «واما أنتم فتعرفونه» — مذ ان عرفتموني
عرفتموه من كلامي، واعمالي، واختبرتموه يوم وُلدتم الولادة الجديدة (٣:
٥و٦). «لانه ماكث معكم» — الآن، للعون والتعضيد. «ويكون فيكم»
— بعد ان تمتلئوا به يوم الخمسين، للتقوية، والتعزية. قبل يوم الخمسين كان
الروح مع التلاميذ ليسندهم، وبعد يوم الخمسين صار فى التلاميذ نبع قوة فياض

الميزة الثالثة: المسيح يأتى الى التلاميذ بذاته (١٤: ١٨ — ٢١)

عدد ١٨. (ا) وعد جليل — اتيان المسيح الى تلاميذه — «لا اترككم..

اني آتي اليكم. ١٩ بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما انتم فترونني.

اني آتي» . ان لهذا الوعد جانبين — اولهما : سلبي : « لا اترككم يتامى» . هذه كلمة والد يفيض قلبه حنواً على اولاده ، قبيل تركه اياهم (١٣:٣٣) . ان كلمة : «يتامى» ، لها وجهان احدهما مظلم — يصف حالة التلاميذ التاعسة بعد مبارحة المسيح لهم . والآخر منير — يرفع التلاميذ الى مصاف الابناء . اما الجانب الثاني من هذا الوعد فهو ايجابي : « اني آتي اليكم » . في اعتقادنا ان هذا الوعد منصرف الى مجيء المسيح الى تلاميذه بالروح القدس يوم الخمسين على ان بعض المفسرين يميلون الى الاعتقاد بان هذا المجيء تمّ تدريجياً على دفعات ، كما في ١٤:٣ . فاطلب شرحه في موضعه . ومع ان الروح القدس معزٍّ آخر ، الا ان مجيئه الى التلاميذ ، يُعتبر مجيئاً روحياً للمسيح بذاته . هذا وان مجيء المسيح روحياً لا يمنع كونه مجيئاً ذاتياً أيضاً ، لان «الرب (المسيح) هو الروح» (٢ كورنثوس ٣:١٧) . وهذا لا يمنع كون المسيح اقنوماً ، والروح القدس اقنوماً آخر ، حال كونه ايضاً « روح المسيح »

عدد ١٩ . (ب) امتياز خاص — غروب شمس المسيح عن العالم ، وشروقها على التلاميذ : «بعد قليل» — هذا القليل ينقص عن يوم . لان المسيح قال هذا الكلام ليلة النهار الذي رُفع فيه على الصليب، ومن ثمّ رُفع الى المجد . « لا يراني العالم أيضاً وأما انتم فترونني» . ان هذا الوعد الجليل ، الذي حُرم منه العالم ، قد تمّ للتلاميذ ، على صورة جزئية ابتدائية يوم قيامة المسيح من الاموات ، حين ظهر لخاصته — دون العالم . وقد تمّ أيضاً

اني أنا حي فأنتم ستحيون. ٢٠ في ذلك اليوم تعلمون اني انا في ابي

على صورة أبقى واوفى ، يوم الخمسين ، حين رأى التلاميذُ سيدَهم بعيون الايمان. هذا اليوم الثاني هو المقصود بقوله : « في ذلك اليوم »

ان المسيح الممجد ، والآتي الى تلاميذه سيكون لهم ايضاً مصدر قوة وحياة : « اني انا حيّ فأنتم ستحيون » . من المهمّ ان نلاحظ الفرق بين الكلمة التي قالها المسيح عن نفسه: «انا حيّ»،وتلك التي عبّر بها عن اختبار التلاميذ: «ستحيون» . فالمسيح «حيّ» في الماضي ، والحال، و الاستقبال . فالموت الذي اعترى جسده،لم يجد الى اماتته سبيلا.ولكن التلاميذ سيتمتعون بفيض الحياة الروحية عند ما يمتلئون من روح المسيح. ان كون المسيح حياً، مكّن التلاميذ من رؤيته . ورؤية التلاميذ اياه ، بعثت في نفوسهم الحياة

ان حياة المسيح ضمان لحياة المؤمنين، فهي عربونها. وان حياة التلاميذ مستمدة من حياة المسيح ، فهي ثمرتها

عدد ٢٠ . (ج) علمٌ يقيني — النور الذي سيصيبهم من اشراق المسيح عليهم : « في ذلك اليوم » — يوم الخمسين حين يأتي اليهم المسيح بروحه الاقدس متمماً ما وعدهم به في عدد ١٨ ، «تعلمون» — علم اليقين والاختبار، لا بسمع الاذان (قابل هذا بما جاء في ١٦: ٢٥) . هذا العلم مثلث : (١) علمهم بأنه المسيح في الآب : «أني أنا في أبي» — أي ان المسيح يحيا في الآب، ويتكلم باسمه، ويعمل بسلطانة. فهو متحد واياه اتحاداً حيوياً (١٠: ٣٨). (٢) علمهم بأنهم هم في المسيح : «وأنتم فيّ » — أي انهم أحياء في المسيح ، ومتحدون

وانتم فيَّ وانا فيكم. ٢١ الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي

به، وثابتون فيه. هذا أكبر ضمان لأمنهم، ومصدر قداستهم، وأساس قبولهم لدى الآب. (٣) *علمهم بأنه المسيح فيهم*: «وأنا فيكم» — أي حي فيكم، ومتكلم بلسانكم، وعامل بأيديكم. هذا نبع حياتهم، ومورد شجاعتهم، وضمان نجاحهم. هذه بعض «عظائم الله» التي تكلم بها بطرس يوم الخمسين (اعمال ١١:٢). (قابل هذا بما جاء في يوحنا ١٧: ٢١ و٢٣ و١يو٣: ٢٤)

عدد ٢١. (د) *شرط تمتعهم باشراقه المسيح عليهم*: «الذي عنده وصاياي..». ان الكلمة المركزية في هذه الآية هي «يحبني». ومن هذه الكلمة يمتد الجزء الاول من هذه الآية، ويتفرع الجزء الثاني. فالجزء الاول خاص بعلامة المحبة أو برهانها: «الذي عنده وصاياي ويحفظها». والجزء الثاني متعلق بمكافأة المحبة المطيعة: «يحبه أبي. وأُحبه أنا. وأُظهر له ذاتي». اما الجزء الاول فقد سبق المسيح وصرح به في عدد ١٥ — ولكن بصيغة أخرى. في عدد ١٥، أبان لهم ان حفظهم وصاياه شرط لازم لطلبه الروح القدس ليمكث معهم؛ وفي عدد ٢١ أوضح لهم ان حفظهم وصاياه شرط لازم لاظهاره ذاته لهم. وكلاهما تعبير لحقيقة واحدة. فقد أظهر المسيح ذاته لهم، بارساله الروح القدس اليهم. «الذي عنده وصاياي» — كذخر في اعماق نفسه، «ويحفظها» — عملياً كنبراس لحياته، فقد برهن بذلك على انه يحبني. هذا برهان محبة التلميذ للمسيح

اما مكافأة محبة التلميذ للمسيح، فهي مثلثة: (١) *أنها تجعله موضوع محبة*

يحبني . والذي يحبني يحبه ابي وأنا احبه واظهر له ذاتي . ٢٢ قال له

الآب الخاصة : «يحبه أبي» . بما ان المسيح ، هو موضوع مسرة الآب ، فكل من يحفظ وصاياه، يصير موضوع محبة الاب الممتازة، وهي غير تلك المحبة العامة المذكورة في ٣: ١٦ «هكذا أحب الله العالم». تلك تُمثّل بمحبة جار لجاره الذي اعتدى عليه وأساءه. واما هذه فهي محبة الأب لأبناء بيته. تلك عامة. وهذه خاصة . (٢) انها تصيره موضوع محبة المسيح الممتازة : «وأحبه أنا» . ان المحبة الممتازة التي يختص الله بها حافظي وصايا المسيح ، تربط المسيح واياهم برابطة قوية متينة ، وتزيد حب المسيح لهم بعد اذ صاروا موضوع عناية الآب الخاصة

من النتيجتين السابقتين اللتين تكافأ بهما محبة التلميذ للمسيح ، تتفرع نتيجة ثالثة، وهي : (٣) اظهار المسيح ذاته لتلميذه . من أجل ذلك يستطيع التلميذ ان يرى المسيح ويعرفه ، في الوقت الذي لا يستطيع العالم ان يراه فيه. هذا هو التجلي الروحي الباطني الذي لم يفهمه «يهوذا ليس الاسخريوطي» فسأل وتساءل . وعلى الرغم من سؤال يهوذا وغيره ، لم يتحوّل المسيح عن قصده الذي رسمه في هذا الخطاب الوداعي ، بل اتخذ من كل سؤال اداة لمتابعة كلامه ، فكان كربان سفينة ماهر اقتاد سفينته من غير ان تؤثر في اتجاهها والتيارات المعاكسة ، بل استعان بهذه التيارات على بلوغ غرضه

المحادثة الرابعة — بين المسيح ويهوذا ليس الاسخريوطي : المعلنات المسيحية : شروطها ، وأستاذها ، واسلوب استاذها في التعليم (١٤: ٢٢ — ٢٦)

عدد ٢٢ . (١) سؤال يهوذا ليس الاسخريوطي : « قال له يهوذا ليس

يهوذا ليس الاسخريوطي يا سيد ماذا حدث حتى انك مزمع ان تظهر ذاتك لنا

الاسخريوطي». عُرف هذا التلميذ باسمه «يهوذا» في هذه البشارة وفي كتابات لوقا (لوقا٦:١٦ واعمال١:١٣). وعُرف بلقبيه: لباوس وتداوس— أي الشجاع والمعزّز — في كتابات متى (مت ١٠:٣) ومرقس (مر ٣:١٨). ولقد حرص يوحنا على أن يحفظ لهذا الاسم – ومعناه المحمود – نقاوته التي دنسها الأسخريوطي بفعلته الشنعاء، فقال البشير: «يهوذا ليس الاسخريوطي». ولعله ذكر هذه العبارة ليبعد عن فكر القارئ احتمال عودة الاسخريوطي الى زمرة التلاميذ بعد ان خرج «وكان ليلاً» (١٣:٣٠). وربما أورد البشير هذه العبارة، لأن يهوذا الأسخريوطي كان اكثر شهرة من يهوذا الآخر— للأسف! وهكذا يشتهر الناس بأعمالهم البارزة، ان في قائمة الخير او الشر. أما الذين لا يتحمسون لا لهذا ولا لذاك، فهؤلاء يصيرون نسياً منسياً

لقد دلّ سؤال هذا اليهوذا الغير الاسخريوطي على ما كان في قلبه من انتظارات خاطئة من جهة «مسيا المنتظر». فقد كان يتوقع مع كثيرين غيره من التلاميذ، ان المسيح سيظهر ذاته لخاصته وللعالم معاً، بان يقيم نفسه ملكاً أرضياً، سياسياً، مادياً. واذ سمع يهوذا قول المسيح: «بعد قليل لا يراني العالم. وأما أنتم فترونني»...«والذي يحبني أظهر له ذاتي» (١٤:١٩و٢١)، شعر كأن آماله وانتظاراته في المسيح قد خابت، وأحس ان برنامج المسيح قد تغيّر فجأة لسبب ما، فأراد ان يسأل عن هذا السبب قائلاً: «ماذا حدث حتى انك

وليس للعالم. ٢٣ أجاب يسوع وقال له ان احبني احد يحفظ كلامي
ويحبه ابي واليه نأتي

مزمع ان تظهر ذاتك لنا» – وحدنا – «وليس للعالم»؟ كان سؤال يهوذا مؤلفاً من شطرين: أحدهما اختصاص المسيح تلاميذه بهذا الاعلان الممتاز. وثانيهما حرمان العالم منه. على ان يهوذا، بدلاً من أن يشكر سيده على امتياز نعمته، لوى عنقه سائلاً: «ماذا حدث؟!» وكذلك الانسان بوجه عام!

عدد ٢٣ و٢٤. (ب) جواب المسيح «أجاب يسوع وقال له ...». في جواب المسيح على سؤال يهوذا، واصل كلامه الذي انتهى اليه قبل ان يسأل يهوذا سؤاله، فكرر في عدد ٢٣ الشرط الذي وضعه في عدد ٢١ — فكان هذا خير جواب على الشطر الاول من سؤال يهوذا «ماذا حدث حتى...تظهر ذاتك لنا؟». وفي عدد ٢٤ قرر بصيغة سلبية ما سبق فصرح به في عدد ٢٣ بصورة ايجابية — هذا جوابه على الشطر الثاني من سؤال يهوذا: «وليس للعالم؟»

عدد ٢٣. شرط التمتع بالمعلنات المسيحية: «ان احبني أحد يحفظ كلامي» هذا هو الشرط الذي تفرضه محبة التلميذ لسيده: حفظ كلام المسيح في اعماق القلب، لا في الذاكرة على ظهر القلب. على ان محبة التلميذ لسيده، وان كانت تفرض شيئاً على التلميذ، فانها تجلب له مكافآت وامتيازات. فمنها: (١) محبة الاب له: «يحبه أبي». راجع عدد ٢١. (٢) اتيان الابن والاب اليه: «واليه نأتي». ان في قول المسيح عن نفسه وعن الاب «نأتي» لأكبر دليل على لاهوت المسيح. (قابل هذا مع ١٠: ٣٠ و٢٠: ١٧) (٣) سكنى الابن

وعنده نصنع منزلاً. ٢٤ الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام
الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي ارسلني. ٢٥ بهذا كلمتكم

والآب مع التلميذ المحب المطيع، سكناً دائماً: «وعنده نصنع منزلاً». هذا يماثله كلام المسيح في لوقا ١٧: ٢١ «ها ملكوت الله داخلكم»، وعلى نسق قوله في رؤيا ٣: ٢٠ «ان سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي». ان قول المسيح «نصنع منزلاً»، يعيد الى ذاكرتنا كلامه في غرة هذا الاصحاح: «في بيت أبي منازل كثيرة» (١٤: ٢). هنا على هذه الأرض، يصنع الله «منزلاً» عند المؤمنين ويسكن معهم. وفي السماء، يسكن المؤمنون مع الله في «المنازل» السماوية. فالحال الاولى اعدادية للثانية، وفي كلتيهما تنازل من الله ومجد للمؤمنين. (لمزيد الايضاح، راجع تفسير ١٤: ١)

عدد ٢٤. علة حرمان العالم من المعلنات المسيحية، ومسئوليته: اما علة الحرمان فهي: «الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي». لانه لا يستطيع، ولا يريد. ذلك لأنه في وادٍ ووصايا المسيح في وادٍ آخر. اما مسئولية العالم في عدم حفظ كلام المسيح، فهي: ان كلام المسيح ليس من عندياته، وانما هو كلام الآب الذي أرسله. «والكلام الذي تسمعونه» — الآن وفي كل المناسبات السابقة — ليس لي» — أي لم ابتدعه انا من ذاتي — «بل للآب الذي أرسلني»

عدد ٢٥ و٢٦. المعلنات المسيحية — استاذها واسلوبه في التعليم: في عدد ٢٥، قرر المسيح لتلاميذه انه في الوقت الحاضر، كلمهم هو بشخصه: «بهذا كلمتكم وانا عندكم»، وفي عدد ٢٦، أبان لهم ان «المعزي» سيكون العامل في

وانا عندكم. ٢٦ وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب
باسمي فهو يعلمكم كل شيء

هذه المعلنات في المستقبل. فالمسيح تكلم في الحال، والمعزي سيعلّم ويذكّر في الاستقبال. المسيح تكلم «بهذا» أي بكلمات مركّزة قد لا تكون مفهومة تماماً، لكن الروح القدس سيعلمهم «كل شيء» ويذكرهم بكل ما قاله لهم

على ان المعزي ليس منفصلاً عن المسيح بل متحداً به اتحاداً وثيقاً:

(١) في شخصه لأنه سيأتيهم مرسلاً من الآب «باسم المسيح». فكما ان المسيح متحد اتحاداً تاماً بالآب، وجاء باسمه (٥: ٤٣ و ١٠: ٢٥)، هكذا المعزي متحد اتحاداً تاماً بالمسيح وسيأتي باسمه. ان مهمة المسيح هي اظهار الآب للناس. ومهمة المعزي هي اظهار المسيح للكنيسة والعالم. ويراد بـ«اسم» المسيح:— ذاته، ومقامه، وصفاته، وكل ما يتصل بهذا الاسم المبارك، من سلطان وأعمال. ويجوز ان يكون معنى كلمة بـ«اسمي»، ان الآب سيرسل الروح القدس اجابة لشفاعة المسيح (عدد ١٦)

اما اسم المعزي فقد ذكره المسيح كاملاً في هذه الآية: «الروح القدس». كلمة «القدس» تصف طبيعة الروح، وتعيّن نوع عمله — فهو مقدّس الكنيسة ومهيّء اياها للمسيح. هذه هي المرة الوحيدة التي ورد فيها هذا الاسم كاملاً في هذه البشارة. وقد ورد في مواضع عدة في سائر البشائر (مت١٢: ٣٢ ومر٣: ٢٩ ولوقا١٢: ١٠و١٢ ومر١٣: ١١ومت٢٨: ١٩)

(٢) في اسلوبه: «فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم». مع

ويذكركم بكل ما قلته لكم. ٢٧ سلاماً

انه يظهر كأن عمل الروح القدس أوسع من عمل المسيح، اذ قيل «يعلمكم كل شيء»، الا ان الروح، في الواقع، لا يأتيهم بشيء لم يكن موجوداً، بل يعلمهم كل شيء عن طريق تذكيره اياهم بكل ما قاله لهم المسيح. ان عماد أسلوبه، هو الاكتشاف، وليس الاختراع. فالتعليم والتذكير يسيران معاً ويغذي احدهما الآخر، لانه اذ يعلمهم يذكرهم، وكلما ذكروا، ازدادوا علماً

ان كلام المسيح لهم شبيه بالبذار، لكن تعليم الروح لهم، شبيه بتغذية هذه البذار، وانمائها حتى تستحيل الى ثمار

عدد ٢٧ — ٣١. كلمة ختامية للشطر الاول من الخطاب الوداعي — سلام المسيح في وجه العواصف والمهاجمات (١٤: ٢٧—٣١)

عدد ٢٧. سلاماً! — بهذه الكلمة تُستهل التحية، ويختم الوداع. على انها في فم المسيح أضحت اكثر من تحية وأجمل من وداع، فاستحالت الى بركة، وتركة، وعطية: «سلاماً اترك لكم. سلامي أعطيكم». في عددي ٢٥ و٢٦ قدم المسيح لتلاميذه نوراً جلا به ما غمض عليهم من كلامه، وفي الاعداد التي أمامنا أخلف لهم تركة مجيدة، ومنحهم منحة خالدة، لمواجهة العواصف التي تصادمهم، والصعاب التي تصادفهم في مستقبل الأيام

السلام خير ميثاق عقده الله قديماً مع فينحاس ونسله من بعده: «هأنذا أعطيه ميثاقي، ميثاق السلام» (عدد ٢٥: ١٢). وهو خير ما ترك المسيح لتلاميذه وكنيسته. قال ماثيو هنري: «قبل أن يغادر المسيح هذا العالم، رتب

اترك لكم. سلامي اعطيكم· ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا .

وصيته . فترك روحه للآب ، وجسده ليوسف الرامي ونيقوديموس . وثيابه للجنود الذين صلبوه . وأمه ليوحنا الحبيب، وأما التلاميذ ، فلم يترك لهم ذهباً ولا فضة ، وانما ترك لهم ما هو أثمن وأنقى وابقى — اذ ترك لهم سلامه»

السلام هو اطمئنان القلب ، على رغم ما يحيط به من عوامل القلق . أساس هذا السلام ، المصالحة مع الله . وشعاره التسامح مع الناس . ورمزه ، راحة الضمير . هذا هو السلام الذي اشتراه لنا المسيح بموته على الصليب ، اذ صالحنا مع الله ، ووضع لنا المثل الاعلى في التسامح ، ووهبنا راحة الضمير

«سلاماً اترك لكم» — هذا هو السلام العام الذي أنتجته كفارة المسيح. « سلامي أعطيكم» —هذا هو السلام الخاص المشتق من قلب المسيح المطمئن الهادئ ، وهو خير هدية منه للمؤمنين به . فهو هبة مستمدة من كنز قلبه الطاهر الصفوح . هنا أعطى المسيح سلامه لتلاميذه ، وفي لوقا ١٠:٥ و٦ قلد تلاميذه سلطان إعطاء السلام للناس

«سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم» —وهل في قلب الحزن المخيم ، وفي مواجهة الصليب ، وامام العواصف المقبلة ، يليق التحدث بالسلام ؟ أي نعم ! وان لم يكن السلام ذلك ، وجب ان يكون كذلك . هذا هو الفرق بين السلام الذي يهبه المسيح،والسلام الذي يعطيه العالم:«ليس كما يُعطي العالم أعطيكم انا» . ان العالم يكتفي بأن «يلقي» السلام بكلمة جوفاء لا شيء فيها من الاطمئنان أو السلام. لكن المسيح يعطي السلام حقاً . العالم يعطي السلام كمجرّد أمنية.

لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. ٢٨ سمعتم اني قلت لكم أنا
اذهب ثم آتي اليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون

لكن المسيح يهب سلامه لتلاميذه هبةً أكيدة. العالم يعطي سلاماً ظاهرياً، بمحاولته ان يحسن الظروف المحيطة بالانسان — وهيهات! لكن المسيح يعطي سلاماً عميقاً قلبياً وسط كل انزعاج واضطراب، كالواحة في قلب الصحراء القاحلة الجرداء. ومن المهم ان نذكر ان للمسيح سلاماً يعطيه — فهو اذاً يعطي مما يملك: «سلامي». واما العالم فلا سلام له. فهو يحاول ان يعطي مما لا يملك. فالسلام محذوف من عطية العالم: «سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم». فأي شيء يعطيه العالم؟ انه يعطي الصدفة من غير اللؤلؤة. والقشور مجرّدة من اللب. والمصباح خالياً من النور. أما المسيح، فانه يعطي النبع الفياض وسط الصخور والاحجار. لذلك أردف كلامه بالقول: «لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب». فردد النغمة التي بها استهل هذا الاصحاح، مؤكداً ومقرراً: «لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» فالرهبة وليدة الاضطراب. أما سبب عدم اضطرابهم وعدم رهبتهم، فقد أوضحه المسيح في العددين التاليين:

عدد ٢٨و٢٩. *انطلاق المسيح عن التلاميذ، ينبغي ان يكون موضوع فرحهم، وعزاء ايمانهم*: «... لكنتم تفرحون.. وتؤمنون». لم يكتف المسيح بان أوصى تلاميذه بعدم الاضطراب، وعدم الرهبة، بل انتظر منهم فرحاً ايجابياً، وايماناً قوياً: «لكنتم تفرحون.. حتى متى كان تؤمنون». «سمعتم اني قلت لكم انا أذهب ثم آتي اليكم» — (عدد ٢و١٢و١٨) — «لو كنتم

لاني قلت امضي الى الآب . لان ابي اعظم مني . ٢٩ وقلت لكم
الآن قبل ان يكون حتى متى كان تؤمنون . ٣٠ لا أتكلم أيضاً
معكم كثيراً لان رئيس هذا العالم يأتي

تحبونني » — محبة مجردة من حب ذواتكم ، على مثال محبتي لكم — «لكنتم تفرحون» — لاجلي ، ولاجل انفسكم بالتالي — «لاني قلت أمضي الى الآب . لان أبي أعظم مني » . ليست المقارنة هنا بين الآب والابن في الطبيعة ، فهما فيها متساويان ، ولا في الجوهر فان لهما جوهراً واحداً ، ولا في المقام فمقامهما واحد . لكنه قارن بين ذاته في حال الاتضاع والتجسد ، و بين الآب في مجده الاعلى . أو قل ان المقارنة قائمة بين المسيح في حال اتضاعه و بينه هو نفسه في حال الارتفاع والمجد . لان الابن ذاته سيعود الى الآب ليتمتّع بالمجد الذي أخلى نفسه منه عند التجسد ، ويسترد السلطان الذي تنحى عنه طوعاً واختياراً ، اثناء وجوده على الارض . من اجل ذلك رغب المسيح الى تلاميذه ان يجعلوا عودته الى المجد موضوع فرحهم ، وغذاء ايمانهم (١:١ — ١٨)

عدد ٣٠ و ٣١ . *نظرة الى قلب المسيح — برارته ، ومحبته ، وطاعته ، وشهامته* : «لا اتكلم أيضاً معكم كثيراً» — فالوقت ليس وقت الكلام ، بل وقت الصراع الذي ينتظرني . غير اني لا أخشى هذا الصراع فأنا واثق من النصرة قبل دخولي للمعمعة «لان رئيس هذا العالم» — اي الشيطان — « يأتي وليس له فيَّ شيء » . هذا دليل قويم على شعور المسيح ببرارته التامة وخلوه من كل شبه شر . وهل يجرؤ اقدس قديس على القول : « ليس له فيَّ

وليس له فيَّ شيءٌ. ٣١ ولكن ليفهم العالم اني احب الآب وكما
اوصاني الآب هكذا افعل . قوموا ننطلق من ههنا

شيء»؟اوهل يقوى المسيح نفسه على ان يقول هذا القول لو كان مجرد انسان؟! «ليس له فيَّ شيء» —اي ليس له سلطان، ولا رياسة، ولا ملكية، لاي شيء فيَّ . ولو كان للشيطان اي شيء في المسيح ، لكان له عليه حقّ الموت ، وبهذا الحق كان يذهب المسيح الى الصليب جبراً واضطراراً ، لا طوعاً واختياراً «لان أجرة الخطية هي موت» . اما وان المسيح ابرّ من البرّ نفسه، فِلمَ ذهب الى الصليب اذاً؟الجواب في هذه الكلمات: «لكن ليفهم العالم اني أحب الآب ، وكما أوصاني الآب هكذا افعل» . اذاً رغبة المسيح في تفهيم العالم مقدار كمال محبته وولائه للآب ، هي التي تقدّمت به الى الصليب. فليست حبال الجند الرومان ، هي التي اوثقت يدي المسيح ، بل هي حبال محبته للآب، وطاعته الكاملة له. اذ كان في امكانه ان لا يُصلب لو لم يرد!

اما شهامة المسيح فقد تجلت في قوله لتلاميذه «قوموا ننطلق من ههنا» وهو عالم انه منطلق لمواجهة يهوذا الخائن،ورؤساء الكهنة الاشرار،و بيلاطس المراوغ ، وهيرودس اللاهي ، والجنود القساة القلوب . على انه لم يذكر شيئاً عن هؤلاء ، وانما ذكر الشيطان . لانهم كانوا آلات يحركها الشيطان

«قوموا ننطلق من ههنا» —لم يترك المسيحُ تلاميذه وحدهم ، بل ذهب واياهم— ما خلا يهوذا — الى وادي قدرون — والى جثسيماني ، ومنها ذهب وحيداً الى الجلجثة — والى القبر – والى المجد !

الاصحاح الخامس عشر

حديث الطريق ص ١٥ و١٦

فاه المسيح بالكلمات التي بها اختتم الاصحاح السابق، وقام مع تلاميذه من العليَّة حيث اكل عشاء الفصح الأخير مع تلاميذه. وتحدث اليهم أحاديث أعذب وأحلى من لذيذ الأطايب، وشهي الطعام. فانطلق واياهم قاصداً جبل الزيتون، فاجتازوا شوارع أورشليم الضيقة في سكون الليل الرهيب، وبدر العيد في تمامه يحيّ «شمس البرّ» قبيل وقت غروبه، وغالباً عرجوا في طريقهم على الهيكل الذي كانت ابوابه مفتوحة طوال ليالي العيد، فلمحوا لآخر مرة، تلك الكرمة الذهبية التي كانت تزين باب الهيكل وترمز الى مجد اسرائيل (تاريخ يوسيفوس). ومن هنالك ساروا في الطريق المؤدي الى وادي قدرون وكانت أرضه يومئذ مزرعة بكثير من الكروم، فانتحى واياهم بقمة هادئة في ذلك المكان. وهنالك استأنف حديثه الوداعي الذي مررنا بالقسم الأول منه في ١٣:٣١—١٤:٣١، وكان تلاميذه في هذا القسم الثاني من الحديث، مستمعين في صمت رهيب، من غير أن يجرأ أحدهم على مقاطعته بسؤال أو استفهام، الا مرة واحدة أرادوا فيها أن يسألوه فملكتهم الرهبة، واكتفوا بأن يهمسوا الى بعضهم البعض بما كانوا يضمرون (١٦:١٧)، فتساءلوا من غير أن يسألوا (١٦:١٩). أما المسيح فقد استهل هذا الجزء من الحديث باستعارة مستمدة من البيئة المحيطة بالتلاميذ—سواء أكانت الكرمة التي على باب الهيكل، ام كروم وادي قدرون، فقال: «أنا الكرمة الحقيقية»

١ انا الكرمة

يتضمن هذا الجزء ثلاثة افكار رئيسية : أولاً . مقام التلاميذ فى المسيح (١:١٥ — ١٧) : ثانياً . موقف العالم تجاه التلاميذ (١٨:١٥ — ٤:١٦) . ثالثاً . النصرة التى سيظفر بها الروح القدس على العالم بواسطة التلاميذ (٥:١٦ — ١٥) . كلمات ختامية (١٦:١٦ — ٣٣)

ويجوز ان ننظر الى هذا الجزء نظرتنا الى جعبة فيها سبعة سهام نورانية (١) التلاميذ والمسيح (١:١٥ ١١). (٢) التلاميذ وبعضهم البعض (١٥: ١٢ — ١٧). (٣) التلاميذ والعالم (١٨:١٥ — ٤:١٦) . (٤) العالم والمعزى (٥:١٦ — ١١) . (٥) المعزى والتلاميذ (١٢:١٦ — ١٥) . حزنه يستحيل الى فرح (١٦:١٦ — ٢٤) . (٧) نصرة بعد كسرة (٢٥:١٦ — ٣٣)

السهم الاول — التلاميذ والمسيح (١:١٥ — ١١) . هذا سهم سباعى :

عدد ١ — ٣ .(١) الاتحاد الحى الذى بين التلاميذ والمسيح — التلاميذ في المسيح، والمسيح فيهم، كالاغصان في الكرمة والكرمة في الأغصان: «أنا الكرمة الحقيقية». هذا هو الاعلان السابع في هذه البشارة، وبه تختتم سباعية التصريحات المجيدة التي أفضى بها المسيح الى تلاميذه عن ذاته : « أنا الكرمة الحقيقية » . لقد تباينت أراء المفسرين في تعيين الكرمة الغير الحقيقية التي اتخذ منها المسيح مناسبة خارجية لقوله: «أنا الكرمة الحقيقية». فجمهور المفسرين الذين يعتقدون بأن المسيح لم ينتقل من العلية بعد قوله: «قوموا ننطلق من ههنا»، يظنون ان الفادي ، حين قال «أنا الكرمة الحقيقية» ، كان ناظراً الى كرمة طبيعية كانت

الحقيقية

أغصانها وثمارها على متدلية جوانب العلية. أو ان المسيح استعار هذا المجاز من نتاج الكرمة الذي استعمل في العشاء الأخير. ويعتقد هنجستنبرج ان المسيح قصد أن يقابل بين نفسه وكنيسته، وبين اسرائيل الذي كان يُرمز اليه بالكرمة في العهد القديم (اشعياء ١:٥ ومزمور ٨٠:٩). ونميل نحن الى الاعتقاد بأن المسيح كان يشير ضمناً الى الكرمة الذهبية التي كانت تزين باب الهيكل، أو الى كرمة كانت منزرعة في وادي قدرون (انظر مقدمة هذا الاصحاح). ان قوله: «الكرمة الحقيقية» معناه الكرمة الروحية، الحاملة في ذاتها نموذج الكمال

وقد اختار المسيحُ الكرمة[١] — دون غيرها من الأشجار — لأنها تفضل سواها في تأدية المعنى الذي أراده. فالكرمة غنية بعصارتها، سخية بثمارها التي هي خير غذاء، وبهجة، وعزاء. وفي الكرمة لا تجد حداً فاصلاً بين جذعها وأغصانها. ولا قيمة لأغصان الكرمة الاّ في ثمارها. بخلاف أغصان سائر الأشجار. وقد قال باسيلوس في عظته الشهيرة بـ«عظة للمستشفى»: «ان الكرمة وهي تمد اذرعها على خشب «كربال» العنب، تحمل صورة معنوية للمسيح وهو ممدود الذراعين على خشبة العار والهوان»

الكلمة: «الكرمة» تعني الجذع والأغصان معاً. مثل كلمة «الجسد» في ١ كو١٢:١٢ حيث تعني المسيح والكنيسة معاً. ووجه الشبه الرئيسي بين المسيح

(١) يقول مِلر انه رأى على زجاج احدى نوافذ كنيسة ارباخ من اعمال الـمانيا، صورة صليب منغرس في تربة فنبت وترعرع واستحال الى كرمة، فاضحى ذراعاه غصنين تتدلى منهما عناقيد فيها حياة وغذاء

وابي الكرَّام . ٢ كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه . وكل ما يأتي

والكرمة هو النظام الحيوي الذي به تصير حياة الجذع ، حياة للاغصان أيضاً

«وأبي الكرّام» — أشار المسيح بهذه العبارة الى أن الله الآب قد أرسله الى العالم، وجعله في تدبير الفداء مصدر حياة للعالمين، وبه أسس الكنيسة التي هو ملكها، ومالكها ، وحارسها ، ومتعهدها بأعمال العناية ، وبروح قدسه . وقد شُبه الله بالكرام في مزمور ٨٠:٩ ومتى ٢١:٣٣ ومرقس ١٢:١ ولوقا ٢٠:٩

عد٢. *الكرام يتعهد الكرمة* : «كل غصن في..». ان الكرام ينزع الغصن الميت ، الذي ليس في حقيقته غصناً ، بل له صورة الغصن واسمه . فهو مثبَّت في الكرمة تثبيتاً آلياً صورياً ، وليس ثابتاً فيها ثبوتاً حياً . وأما الغصن المثمر فان الكرام يتعهده بالتنقية ، ليحفظ عصارته من ان تتوزع عبثاً في أطارفه المترامية ، فتتركز في اللمة وهي في دور التكوين ، فتستحيل الى ثمر كثير . يستنتج هنجستنبرج ان الغصن الغير المثمر هو الأمة الاسرائيلية . على ان هذا بعيد الاحتمال . وفي اعتقادنا ان الغصن الغير المثمر هو يهوذا ، وأولئك «التلاميذ» الذين انصرفوا عن المسيح بعد حديثه عن الخبز الحيّ (٦:٦٦)

ان العضو الاشل، قد يُنتزع من كنيسة المسيح بسبب تجربة لا يقوى عليها ، او بسبب قصاص يوقعه الله عليه في هذه الحياة ، او بفأس الموت

وأما العضو الحي فهو موضوع تأديبات الله في هذه الحياة . والتأديب غير القصاص . فالنزع قصاص . لكن التنقية تأديب . وقد يكون المؤمن موضوع تأديبات الله في وقت فتور بعد نهضة ، أو تواكل بعد انتعاش ، أو

بثمر ينقيه ليأتي بثمر اكثر. ٣ انتم الآن انقياء لسبب الكلام الذي
كلمتكم به . ٤ اثبتوا فيّ وانا فيكم .

بسبب انصراف قواه الى اتجاهات جسدانية . فمن فرط حب الله له ، بل من علامات رضاه عنه ، انه ينقيه لتصير حياته الروحية منصرفة الى الثمر الروحي . وأدوات التنقية ، هي اعمال العناية ، والكلمة

عدد ٣. *المسيح يطبق الجانب المنير من هذا المبدأ على التلاميذ: «أنتم...»* لئلا يتبادر الى ذهن التلاميذ شك في ما اذا كانوا هم ، من الأغصان الغير المثمرة ام من الأغصان المثمرة ، تداركهم المسيح بلطفه ، فقال : «أنتم الآن أنقياء» . هذا دليل على انهم من الأغصان المثمرة لا الغير المثمرة . ومن فرط لطفه لم يشأ أن يتركهم تحت مرارة التخوّف من ألم التنقية، بل قرّر لهم مؤكداً انهم «الآن أنقياء» . فاذاً هم أغصان مثمرة منقاة. «لسبب الكلام الذي كلمهم به» . لان « كلام المسيح حيّ وفعال وأمضى من كل سيف ذي حدين ، وخارق الى مفرق النفس ، والروح ، والمفاصل ، والمخاخ ، مميزاً أفكار القلب ونياته» (عب ٤: ١٢) . (انظر يوحنا ٥: ٢٤ و٨: ٣١ و٣٢ و١٢: ٤٨)

عدد ٤. (٢) *الناموس الذي يفرضه هذا الاتحاد الحي — الثبوت المتبادل* « اثبتوا فيّ وانا فيكم » . ان الثبوت المتبادل بين الغصن والكرمة ، هو ناموس حياة الغصن ، وهو الشرط اللأزم لاتيانه بثمر . وقد افرغ المسيح هذا الناموس في صيغة واجب مفروض على التلاميذ القيام به ، باعتبار كونهم اغصاناً في المسيح الكرمة الحقيقية «أثبتوا فيّ ... كما ان الغصن لا يقدر ان يأتي

كما ان الغصن لا يقدر ان يأتي بثمر من ذاته ان لم يثبت في الكرمة

بثمر من ذاته ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم أيضاً ان لم تثبتوا فيّ» . يراد بثبوت المؤمن في المسيح ، مثابرته على الايمان به ، وتسليم حياته له ، مجردة عن كل حركة جسدية أو ارادة نفسانية أو برّ ذاتي . ويراد بثبوت المسيح في المؤمن امتلاك المسيح للمؤمن امتلاكاً تاماً ، وامتلاء المؤمن منه امتلاء لا يعرف نقصاناً. فيحيا المؤمن — ولكن بحياة المسيح ، ويفكر — ولكن بفكر المسيح، ويحب ويبغض — لا بقلبه هو، بل بقلب المسيح . كما قال بولس الرسول « فاحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ . فما أحياه الآن في الجسد فانما أحياه في الايمان ، ايمان ابن الله الذي أحبني واسلم نفسه لاجلي» (غلاطية ٢:٢٠) . ان ثبوت المؤمن في المسيح شرط لازم لثبوت المسيح في المؤمن . وان ثبوت المسيح في المؤمن ، نتيجة طبيعية لثبوت المؤمن في المسيح، وشرط لازم لحياة المؤمن واتيانه بثمر.فاذا ما وضعنا قطعة من الاسفنج في الماء ، قلنا ان الاسفنجة في الماء ، والماء في الاسفنجة . فوجود الاسفنجة في الماء شرط لازم لوجود الماء في الاسفنجة . وقس على ذلك

«اثبتوا فيّ» — عندما دعا المسيح تلاميذه في غرة خدمته الجهرية قال لهم: «هلموا ورائي» . وفي قلب خدمته ، دعا بعضاً منهم واخذهم معه الى جبل التجلي.وعند ختام خدمته، قال لهم جميعاً:«اثبتوا فيّ»—هذه ثلاث درجات متصاعدة . فالتلاميذ كانوا اولاً سائرين وراء المسيح ، ثم تقدموا درجة فصاروا في معيته ، ثم ارتقوا درجة اسمى فصاروا فيه . هاتان الكلمتان: « في

كذلك انتم ايضاً إن لم تثبتوا فيَّ . ٥ انا الكرمة وانتم الاغصان .
الذي يثبت فيَّ وانا فيه هذا يأتي بثمر كثير

المسيح » ، هما مفتاح كنوز المعلنات الالهية الجليلة في العهد الجديد ، وعلى نوع خاص في رسائل بولس الرسول ، التي كانت كثيرة الذيوع والانتشار قبل ان تُكتب هذه البشارة الرابعة . فقد وردت هاتان الكلمتان في العهد الجديد ١٣٠ مرة ، وفي رسائل بولس ٦٠ مرة

	الانسان الطبيعي	المؤمن، في المسيح		الانسان الطبيعي	المؤمن، في المسيح
[illegible]	تحت الناموس	حر من الناموس	[illegible]	عبد الخطية	قديس بلا دنس
	تحت غضب الله	مصالح مع الله		في المستنقعات	في السماويات
	تحت الدينونة	لا دينونة عليه		يخشى المنون	منتظر لقاء الحبيب
[illegible]	ناقص في كل شيء	مملوء في المسيح	[illegible]	في ظلمة القبر	في نور الفردوس
	ميت بالخطايا	مقام مع المسيح		بعيداً عن الله	مع الرب كل حين

عدد . (٥) **تطبيق هذا الناموس** «أنا الكرمة وانتم الاغصان». كرّر المسيح في هذا العدد تصريحه الذي فاه به في العدد الاول: «أنا الكرمة»، على سبيل التوكيد، مبيناً فيه صلة التلاميذ به كما بيَّن في العدد الاول صلة الآب به . فقال في العدد الاول : «أنا الكرمة وأبي الكرام» ، وقال في هذا العدد : «أنا الكرمة وانتم الاغصان» . وما قاله في العدد الرابع ، عن الاغصان ، خصصه في العدد الخامس للتلاميذ . فأفهمهم انهم ليسوا الا أغصاناً ، وحذرهم من ان يتوهموا يوماً انهم الكرمة ، فيستقلوا بأنفسهم عنه . لأنهم

لانكم بدوني لاتقدرون ان تفعلوا شيئاً. ٦ ان كان احد لا يثبت
فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في
النار فيحترق

«بدونه لا يقدرون ان يفعلوا شيئاً». فالمسيح هو الكل في الكل، والتلاميذ ليسوا شيئاً، الا فيه، وبه.

عدد ٦. (٤) عقاب التفريط في هذا الناموس «ان كان احد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه في النار فيحترق». ان الوقت الذي افضى فيه المسيح بهذا الحديث الى تلاميذه، يوافق وقت «تقليم» الكروم في فلسطين. وكان على مقربه من المسيح والتلاميذ وقتئذ؛ في وادي قدرون، كثير من الاغصان الجافة: مطروحة هناك والنيران تلتهمها. وغالباً، نطق المسيح بهذه الكلمات، وهو يوجه انظار التلاميذ الى هذا المشهد

في هذه الكلمات ذكر المسيح خمس درجات للقضاء على الغصن الغير المثمر: - أ — «يُطرح خارجاً». هذه الدرجة، يقابلها في الروحيات طرد الخوارج والغير المستعدّين (متى ٨: ١٢ و٢٢: ١٣). — ب — «فيجف». الجفاف يكنى به عن حالة الانسان بعد ان يفارقه روح الله (عب ٦: ٦). — ج — «ويجمعونه». هذا كناية عن عمل ملائكة الدينونة في اليوم الاخير (متى ١٣: ٤١). — د — «ويطرحونه في النار». هذا رمز الى عذابات الضمير والذاكرة وما اليها. — هـ — «فيحترق». بهذه الدرجة الختامية يُسدل الستار على اولئك الذين ادعوا الايمان بالمسيح من غير حق

٧ ان ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم.
٨ بهذا يتمجد ابي ان تأتوا بثمر كثير

عدد ٧ و ٨. (٥) *مكافأة الاحتفاظ بهذا الناموس*. «ان ثبتم فيَّ»: في هذين العددين ذكر المسيح مكافأتين للثبوت فيه: —

(١) *المكافأة الاولى: الصلاة حسب ارادة الله*: «ان ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ..». استعاض المسيح بقوله «كلامي» عن قوله «أنا» جاعلاً كلامه في مقام شخصه. «تطلبون ما تريدون فيكون لكم». ان ثبوت كلمة المسيح في قلب المؤمن، يعرّف المؤمن ارادة الله، ويجرّده عن ارادته الذاتية، فلا يطلب ما لنفسه بل ما لله. وان صلاة هذا وصفها، لهي محققة القبول. فهي عبارة عن مواعيد الله مفرغة في قالب طلب، وهي حاملة جوابها في ثنايا طلبها. ومن المهم ان نذكر ان المسيح أبان للتلاميذ ان اول خطوة في أثمارهم هي الصلاة — فهي اساس اعمالهم، وهي خير ضمان لنجاحهم

تعوّد اغسطينوس ان يقول: «اللهم هبني نعمة بها اجعل ارادتك ارادتي، فتعجل ارادتي ارادتك»

(٢) *المكافأة الثانية: الاتيان بثمر كثير*: «بهذا يتمجد ابي ان تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي» (عدد ٨). ان اتيان التلاميذ بثمر كثير له دلالة ونتيجة. اما دلالته فهي انه حجة تلمذتهم الحقة وشعارها. «فتكونون تلاميذي» اي فتكونون أهلاً للاسم الشريف الذي تحملونه. واما نتيجته فهي انه يؤول الى تمجيد الآب «بهذا يتمجد ابي». واي شيء يعود على الكرام بالمجد اكثر

فتكونون تلاميذي . ٩ كما احبني الآب كذلك احببتكم انا.
اثبتوا في محبتي . ١٠ ان حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي

من اتيان كرمه بثمر كثير ؟!

وكما ان الكرمة لازمة للاغصان، لان الاغصان تستمد منها عصارتها. كذلك الاغصان لازمة للكرمة لان الكرمة تقدم ثمارها للعالم بواسطتها وعن طريقها

عدد ٩و١٠ . (٦) *المثل الاعلى للثبوت في المحبة* . «كما احبني الآب كذلك احببتكم أنا . . .» . أمامنا في هذين العددين ستّ حقائق منقسمة الى صفين متوازين . وكل حقيقة في الصف الاول ، أساس للحقيقة التي تليها في صفها، ونموذج كامل للحقيقة التي تقابلها في الصف الثاني ، واليك البيان :

(١) *محبة الآب للمسيح*	(١) *محبة المسيح للتلاميذ*
(٢) *ثبوت المسيح في محبة الآب له*	(٢) *ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم*
(٣) *ثبوت المسيح في محبة الآب له يقوم بحفظ وصاياه*	(٣) *ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم يقوم بحفظهم وصاياه*

فمحبة الآب للمسيح ، مبنية على كمال الاتحاد بينهما ، وهي مثال لمحبة المسيح لتلاميذه في عمقها ، وسموها، وطهارتها ، وازليتها

وثبوت المسيح في محبة الآب نتيجة لمحبة الآب له ، ومثالٌ لثبوت التلاميذ في محبته . فكما ان المسيح فتح قلبه الرحب لمحبة الآب له ، وأفسح لها كل مجال لتتغلغل في كل جوانبه ، وثبت فيها ، كذلك على تلاميذ المسيح ان يفسحوا قلوبهم لمحبته لتدخل أنوارها وتنير كل زاوية فيها . ومتى

كما اني انا قد حفظت وصايا ابي واثبت في محبته . ١١ كلمتكم بهذا لكي يثبت

قبل التلاميذ محبة المسيح لهم ، واحلوها المكان الأول في قلوبهم ، فانها تولّد في قلوبهم محبة له من نوع محبته لهم، وعلى قياسها . لان محبتنا للمسيح ليست سوى قبول أنوار محبة المسيح الى قلوبنا

وكما ان ثبوت المسيح في محبة الآب يقوم بحفظه وصايا الاب ، باعتبار كون المسيح فادياً متجسداً ، كذلك ثبوت التلاميذ في محبة المسيح ينبغي أن يقوم أيضاً بحفظهم وصايا المسيح باعتبار كونهم تلاميذه

ومن الأهمية بمكان ، ألا ننسى ان المسيح تكلم عن حفظه وصايا الآب باستعماله الفعل الماضي : «حفظت» . لان حياته الأرضية كانت وقتئذ في دور الانقضاء. ولكنه في تكلمه عن ثبوته في محبة الاب ، استعمل الفعل الحاضر المستمر : «أثبت» فلا انقضاء لمحبة الآب له،ولا نهاية لثبوته هو في هذه المحبة

عدد ١١ . (٧) *الثبوت في المحبة، هو سر الفرح الكامل* : «كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم» . لئلا يتبادر الى ذهن التلاميذ ، ان في ثبوتهم في محبة المسيح ، ارهاقاً لهم ، وتثقيلاً عليهم ، قرّر لهم الفادي انه انما تحدث اليهم عن ثبوتهم في محبته ، لكي يشاطروه فرحه الذي يتمتع به هو ، نتيجة ثبوته في محبة الاب : «لكي يثبت فرحي فيكم ، ويكمل فرحكم» . وكما ان فرح المسيح كامل بسبب كمال طاعته للآب ، كذلك أراد هو ان يكون فرح التلاميذ كاملاً ، بسبب طاعتهم الكاملة لوصاياه . فالمحبة أساس الطاعة،

فرحي فيكم ويُكمل فرحكم . ١٢ هذه هي وصيتي

والطاعة سرّ الفرح المستديم ، الفياض . ان قول المسيح : «فرحي» ، يقابله قوله: «سلامي» في ١٤: ٢٧. وبما ان الشيء يلد نظيره ، فينتج من هذا ، ان الفرح الذي يتمتع به المسيح نتيجة ثبوته في محبة الآب ، متى دخل الى قلوب التلاميذ وثبت فيها ، ولّد فيها فرحاً من نوعه ، وان لم يكن بمقداره . هذا مراده من قوله . . . «فرحي» . . . «فرحكم»

السهم الثاني — التلاميذ وبعضهم البعض (١٥: ١٢ — ١٧)

ان الكلام المتضمن في السهم الاول (١٥: ١ — ١١) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الاول من الشريعة الادبية — واجبات الانسان نحو الله . والكلام المتضمن في هذا السهم الثاني (١٥: ١٢—١٧) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الثاني من الشريعة — واجبات الانسان نحو الانسان . ان الكلمة المركزية في هذه الاعداد ، هي قوله: «هذه وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضاً» ، إذ بها تُستهل هذه الاعداد ، وبها تُختتم (عدد ١٢ و١٧) . هذه هي الحقيقة المتضمنة في عدد ١٢ ، والموضحة في الاعداد التي تليه . لان ما قاله المسيح في عدد ١٣ — ١٦ ، يعتبر خير شرح لقوله : «كما أحببتكم» (عدد ١٢)

عدد ١٢ . المحبة — لزومها ومثالها : « هذه هي وصيتي ..» . يتضح لزومها من قول المسيح «هذه هي وصيتي» . كأن لا وصية له سواها . (اطلب تفسير ١٣: ٣٤) . ليس بعجيب أن المسيح لم يوصِ تلاميذه ، قبل تركه اياهم ، بأنظمة وترتيبات وعقائد — مع ان هذه كلها لها قيمتها في بابها . ولكنه

ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم. ١٣ ليس لاحد حب اعظم
من هذا ان يضع

أوصاهم بالمحبة. ومَن أوصى بالمحبة فقد أوصى وزاد. فهي أسّ الفضائل، وتاج الخصال، ورباط الكمال. اما مثال المحبة فقد بينه المسيح في قوله: «كما أحببتكم». هذا مثال المحبة في الباعث عليها، وفي ماهيتها، وقياسها، وغايتها. نعم ان محبتنا بعضنا لبعض، لا يمكن ان تكون من نوع محبة المسيح لنا في كفارتها، لكن في امكاننا ان نحب بعضنا بعضاً حباً، يهون علينا فيه البذل لأجل الآخرين. فإنْ تعذر على محبتنا أن تكون بحراً، فلا أقل من ان تكون قطراً. على انه لا فضل لنا في محبتنا بعضنا لبعض، فهي محبة مستمدة من طبيعة نسبتنا الى بعضنا البعض باعتبار كوننا أغصاناً حيةً في الكرمة الواحدة

اما قياس هذه المحبة التي علت فوق كل قياس، فظاهر من كونها: —

عدد ١٣. (١) محبة مضحية بنفسها: «ليس لأحد حب أعظم من هذا ان يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» — هذا أقصى ما تصل اليه محبة البشر، ولكن محبة المسيح قد ضربت الرقم القياسي المعروف في سجل التاريخ البشري، لان المسيح أحبنا «ونحن أعداء» (رومية ٥: ١٠). فواعجبي من هذه المحبة الشديدة التي سلّطت أشعتها على من كانوا بالطبيعة أعداء فصيّرتهم «أحباء!». ان الذين خلع عليهم المسيح لقب «أحباء»، هم بعينهم الذين وصفهم بولس الرسول بقوله: «أعداء» (رومية ٥: ١٠). وانما المسيح وصفهم من حيث شعوره هو نحوهم — فهم أحباؤه المحبوبون منه، ولكن بولس وصفهم في شعورهم نحو الله

احد نفسه لاجل احبائه . ١٤ انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم

— فهم أعداء الله في أفكارهم ، وتصوراتهم ، وأعمالهم : « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الاعمال الشريرة قد صالحكم الآن » (كولوسي ١ : ٢١) . لم يمضِ على قول المسيح: «يضع أحد نفسه لأجل احبائه» سوى يوم أو بعض يوم ، حتى صار هذا القول في حيز الفعل — على الصليب . ولقد أوضحنا كلمة «يضع نفسه» في شرح ١٠ : ١١ فاطلب تفسيرها هنا

الكلمة الاصلية المترجمة «أحباء» يجوز أن تترجَم الى: «أصدقاء وأصفياء» . ويقول ستراخان ان وظيفة رسمية كانت في وقت المسيح معروفة في البلاط الروماني ، يتقلدها شخص ممتاز يقال له « صفيّ الامبراطور » . ولعل أقرب الوظائف اليها ، وظيفة « كبير الامناء » في مصر

عدد ١٤ . برهان المحبة الصادقة : «أنتم أحبائي ان فعلتم ما أوصيكم به» هذا توكيد لقول المسيح في عدد ١٠ «ان حفظتم وصاياي . تثبتون في محبتي» . بما أن في المحبة طرفين — المحب والمحبوب ، فعلى كل فريق منهما أن يقوم بما تفرضه عليه المحبة من واجبات . اما المسيح فقد قام بما أوجبته المحبة وزاد « فوضع نفسه لاجل أحبائه » . وأما التلاميذ الذين هم الطرف الثاني ، فعليهم أن يظهروا محبتهم لسيدهم بحفظهم وصاياه . فطاعتهم له برهان حبهم له . على ان طاعتنا للمسيح ليست علة محبته لنا ، ولا هي أساسها — فقد أحبنا فضلاً اذ كنا بعد «ضعفاء» و «خطاة» (رومية ٥ : ٦ و ٨) ، لكنها برهان محبتنا له ، ووسيلة تمتعنا بمحبته لنا ، وشرط دوامها لنا ، وثبوتنا فيها ،

به. ١٥ لا اعود اسميكم عبيداً لان العبد لا يعلم ما يعمل سيده.
لكني قد سميتكم احباء لاني اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي. ١٦ ليس

وثبوتها فينا. وقد لاحظ مكلارن ان كلمة «أحباء» كما وردت في عدد ١٣، تعني «محبوبي المسيح» ولكنها في عدد ١٤ تعني «محبّي المسيح»

عدد ١٥. (٢) *محبة رافعة*: «لا أعود أسميكم عبيداً». مع اننا عبيد المسيح شرعاً وحقاً، لاننا صنعة يديه، ولاننا قد «اشترينا بدمه الكريم» (١ كورنثوس ٦: ٢٠ و٧: ٢٣ و١ بطرس ١: ١٩)، الا أن محبته العالية قد رفعتنا من درجة العبيد الى درجة الاصفياء. و برهان ذلك،ان المسيح لم يعاملنا معاملة السيد لعبيده الذين ينتظر منهم طاعة عمياء لأوامره من غير ان يفهموا مراميها ولا اتجاهاتها، بل عاملنا معاملة الصفيّ لاصفيائه «لاني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي». غير ان المسيح لم يفضِ الى تلاميذه بكل الاسرار التي عنده بتفصيلاتها (١٦: ١٢)، وانما قدمها لهم في البزرة. لان قابليتهم الروحية لم تقوَ على تحمّل أكثر من ذلك. واما ما بقي من التفصيلات الدقيقة فقد تركه للروح القدس «الذي يعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله لهم» (١٤: ٢٦)

ان كثيرين من المسيحيين كانوا في القرون المسيحية الاولى، عبيداً لسادة وثنيين. فما كان ألذ وقع كلمة المسيح هذه على مسمع هؤلاء العبيد وامثالهم «لا أعود أسميكم عبيداً»؟ على ان هذا لم يمنع رسل المسيح من أن يفخروا بكونهم عبيد المسيح: «بولس عبد يسوع المسيح» (رو ١: ١)

عدد ١٦. (٣) *محبة لها فضل الاسبقية*: «ليس انتم اخترتموني..». في

انتم اخترتموني بل انا اخترتكم واقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم

هذا العدد ، اپان المسيح لتلاميذه امرين مهمين : اولهما : العامل الاصلى فى صيرورتهم احباء له « ليس انتم . . بل انا » . وثانيهما : القصد الاساسى من جعله اياهم احباء له: «لتذهبوا ...» . اولا : العامل الاساسى فى صيرورتهم احباء له . أشار المسيح الى هذا العامل سلبياً : «ليس انتم اخترتموني»، وايجابياً « بل انا اخترتكم واقمتكم» . فقد احبهم فضلاً — والفضل للمتقدِّم. اراد بقوله «اخترتكم» ، انتخابهم لوظيفة الرسولية (٦:٧و١٣:٨ ولوقا ٦:١٢). وقصد بقوله «واقمتكم»، تثبيتهم وتنصيبهم في هذه الوظيفة ، وتزويدهم بثمين نصائحه . ثانياً : القصد الاساسى من جعلهم احباء له : « لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم . . . . لكي يعطيكم الآب» . هذا قصد مزدوج . الجانب الاول منه — الاتيان بثمر مستديم : (أ) «لتذهبوا» — الاشارة في هذه الكلمة منصرفة الى قيام الرسل بمهمة الكرازة التي وضعها المسيح على عاتقهم قبيل انطلاقه من العالم . ان كلمة «لتذهبوا» ، تحمل معنى من معاني الاستقلال الذاتي ، يمازجه الاعتماد التام على المسيح اثناء تأديتهم وظيفتهم باسمه . (ب) «وتأتوا بثمر» . ان اثمارهم المنوه عنها هنا ، هي ايصال الحياة الروحية التي حصلوا عليها ، للآخرين ليصيروا شركاءهم فيها، فضلاً عما تتطلبه خدمتهم من قداسة السيرة والسريرة (ج) «ويدوم ثمركم» — هذا امتياز ثمرهم على الثمر الطبيعي، لان الثمر الطبيعي يدركه الفساد عاجلاً . بل هذا امتيازهم عن الاشجار الطبيعية التي تجود بثمر في احد فصول السنة وتظل عقيمة جرداء فيما بقي من السنة . واما هم، والمؤمنون ،

ثمركم.لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي . ١٧ بهذا اوصيكم حتى

فعليهم ان يجودوا بثمار تغالب عوامل الفساد وتغلبها ، وعليهم ايضاً ان يكونوا دائمي الاثمار فيجودوا بثمار في « وقت مناسب وغير مناسب » . لان بستان الحياة الروحية لا يعرف وقتاً غير مناسب للاثمار

اما الجانب الثاني من هذا القصد فهو استجابة صلواتهم : «لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي» .لنا ان نعتبر هذه العبارة من الجهة الواحدة،مرتبطة بالعبارة السابقة ، وتابعة لها—اي ان الاتيان بثمر مستديم يزيد التلميذ ثبوتاً في المسيح و بالتالي تستجاب كل صلواته (عدد ٧) ، ولنا ان نعتبرها من الجهة الأخرى مستقلة عن العبارة السابقة وسائرة معها جنباً الى جنب — اي ان استجابة الصلاة ليست نتيجة الثمر المستديم، وانما هي والثمر المستديم ، نتيجتان متوازيتان ومتماثلتان لصيرورتنا احباء المسيح

عدد١٧ . غاية وصية المسيح لتلاميذه «بهذا اوصيتكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً » . كل شيء يلد شيئاً من جنسه . وكذلك المحبة تلد المحبة

الى الآن رُسم امامنا نهر المحبة بمياهه البلورية اللامعة . نبعه : محبة الآب للمسيح.ومجراه : محبة المسيح للتلاميذ . ومصبه : محبة التلاميذ لبعضهم البعض.وقد مثلت امامنا شجرة دانية القطوف.فبزرتها : محبة الآب للمسيح. وجذعها : محبة المسيح للتلاميذ . وثمرها : محبة التلاميذ لبعضهم البعض

السهم الثالث — التلاميذ والعالم (١٥:١٨—١٦:٤)

لكل نور ظل ، وكلما كان النور باهراً ، كان ظله قاتماً . ان حب المسيح

تحبوا بعضكم بعضاً. ١٨ ان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني
قبلكم . ١٩ لو كنتم

لتلاميذه، وحب تلاميذه له، وحبهم لبعضهم البعض، تنشأ عنها نتيجة عكسية — بغضاء العالم لهم . ومما يجمل بنا ذكره، ان المسيح، في كلامه عن محبته لتلاميذه، ومحبة تلاميذه له، ومحبتهم لبعضهم البعض، كرر كلمة «أحب» ومشتقاتها ١٢ مرة (١٥ : ٩ — ١٧)، وفي كلامه عن بغضاء العالم لتلاميذه وله كرر كلمة «أبغض» ومشتقاتها ٧ مرات (١٥ : ١٨ — ٢٥). وكلا العددين كامل

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام رئيسية : اولاً : بغض العالم للتلاميذ (١٥ : ١٨ — ٢٥) . ثانياً : شهادة المعزي والتلاميذ في وجه العالم (١٥ : ٢٦ و ٢٧) . ثالثاً : تطور بغض العالم لهم الى بغضاء واضطهاد (١٦ : ١ — ٤) .

اولاً : بغض العالم للتلاميذ (١٥ : ١٨ — ٢٥) . لم يقصد المسيح بكلامه في هذه الاعداد، مجرد احاطة التلاميذ علماً ببغض العالم لهم، وانما اراد ان يحصنهم ضد هذه البغضة لتكون نيرانها عليهم برداً وسلاماً، فحدثهم عن:

عدد ١٨ . (١) طبيعة بغضة العالم لهم — انها على مثال بغضة العالم للمسيح: «ان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم» . لقد اوضحنا المراد من كلمة «العالم» في شرح ٤ : ٢٢ . ان علم التلميذ بان الآلام الواقعة عليه، قد وقعت على سيده من قبل، يملأ قلبه عزاء كاملاً، ويحمله على ان يفتخر بالآلام التي ترفعه الى مستوى الشركة مع سيده

عدد ١٩ . (٢) العلة الثانوية لبغضة العالم لهم — انهم يختلفون عن العالم

من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لانكم لستم من العالم
بل انا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم . ٢٠ اذكروا
الكلام الذي قلته لكم ليس عبد اعظم من سيده . ان كانوا قد
اضطهدوني فسيضطهدونكم . وان كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون

طبعاً : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحبّ خاصته . ولكن لانكم لستم من العالم ، بل انا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » — وهذا أمر طبيعي لان شبيه الشيء منجذب اليه . و بالعكس . في هذا العدد وضع المسيح اختياره اياهم مقابل بغض العالم لهم . فوضَع العزاء مقابل العذاب

ان في قول المسيح عن العالم : «يحب خاصته» ، دليلاً على ان حب العالم مطبوع بطابع حب الذات . على خلاف محبة المسيح المضحية

وان « الاختيار » المقصود بقوله « اخترتكم من العالم » ، هو اختيارهم للايمان ، لا للرسولية . وهو يشير الى انتخاب المسيح اياهم ، وأفرازهم من العالم ، عند دعوته اياهم في بدء خدمته . وهو لا يحمل شيئاً من معاني « الاختيار السابق »

لقد كرر المسيح كلمة «العالم» ٥ مرات في هذا العدد الواحد للتوكيد

عدد ٢٠ . (٣) *تذكير مشجع على الاحتمال* : «اذكروا الكلام الذي قلته لكم » — غالباً يشير المسيح الى كلام سابق لِما قاله في ١٣ : ١٦ . ولعله يشير الى المناسبة التي سجلها متى البشير (متى ١٠ : ٢٤) . ان كلامه المذكور في يوحنا ١٣ : ١٦ يُعتبر تشجيعاً لهم على التواضع ، واما ما جاء في متى ١٠ : ٢٤ ،

كلامكم . ٢١ لكنهم انما يفعلون بكم هذا كله من اجل اسمي لأنهم
لا يعرفون الذي ارسلني . ٢٢ لو لم أكن

فهو تشجيع على الصبر والاحتمال . ان ما صادفه السيد من اغضاء موجه اليه من الجماهير ، واصغاء مقدَّم له من الافراد ، سيكون مثالاً لما سيلقاه التلاميذ .

عدد ٢١. (٤) *العلة الاساسية لبغض العالم لهم*: «لكنهم انما يفعلون..» ان العالم يبغض التلاميذ المرسلين باسم المسيح . لانه يبغض المسيح . وان العالم ابغض المسيح الذي جاءه مرسلاً من الآب ، لانه لا يعرف الآب الذي ارسله . فالعلة الدفينة لبغضة العالم للتلاميذ ، راجعة الى عدم معرفة العالم بالله ، معرفة روحية ، قلبية ، خلاصية (اش ١: ٣) . يراد بـ« اسم المسيح » ، خلاصة ما اعلنه المسيح عن ذاته لتلاميذه ، وما سيعلنه التلاميذ للعالم عن سيدهم. ومن المحزن ان جهل اليهود بالآب، جعلهم ينظرون الى المسيح كأنه جاءهم من تلقاء نفسه ، مع انهم رأوه . انها لا تعمى الابصار ولكنها تعمى القلوب التي في الصدور

عدد ٢٢—٢٥ . (٥) *مسئولية العالم في بغضة المسيح وتلاميذه* . ما أشدَّ خطورة مسئولية العالم في بغضته للمسيح وللتلاميذ أيضاً : (أ). لان العالم أبغض المسيح على رغم شهادة *كلامه* الذي أتى به من الآب (عدد ٢٢و٢٣) . (ب) لأنه أبغض المسيح على رغم شهادة *أعماله* الفريدة (عدد ٢٤)

ان الحقائق الرباعية المتضمنة في عددي ٢٢ و٢٣ تمشي جنباً الى جنب مع نظيراتها في عدد ٢٤ . واليك البيان:

قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. واما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم.

عدد ٢٤	عدد ٢٢ و٢٣
«لو لم اكن قد عملت بينهم أعمالاً»	(١) حالة فرضية: «لو لم اكن قد»
«لم يعملها أحد غيري»	«جئت وكلمتهم»
«لم تكن»	(٢) النتيجة المترتبة عليها: «لم تكن»
«لهم خطية»	«لهم خطية»
«وأما الآن»	(٣) حالة واقعية: «وأما الآن»
«فقد»	(٤) المسئولية المترتبة عليها: «فليس»
«رأوا»	«لهم عذر في خطيتهم»
«وأبغضوني أنا وأبي»	«الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً»

عدد ٢٢. (أ) رفضهم المسيح على رغم شهادة اقواله: ان كل امتياز يحمل معه مسئولية مكافئة له، ومترتبة عليه. فالمسيح بمجيئه الى العالم، أدخل معه مسئولية جديدة. وحمَّل العالم وزراً لم يكن في حيِّز الوجود، لو لم يكن قد جاء المسيح. وان هذا الوزر هو عدم الايمان به مسيحاً وفادياً. هذه هي خطيئة العالم، التي سيبكّته الروح عليها: «أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي» (٩:١٦) على ان اليهود، بعدم ايمانهم بالمسيح، قد ملأوا مكيال خطاياهم السالفة حتى الفيضان، فحُسب عليهم ما تقدم من خطاياهم وما تأخر، مع انهم لو كانوا قد قبلوا المسيح، لأذهبت هذه «الحسنة» كل سيئاتهم

٢٣ الذي يبغضني يبغض ابي ايضاً. ٢٤ لو لم اكن قد عملت بينهم
اعمالاً لم يعملها احد غيري لم تكن لهم خطية. واما الآن فقد رأوا
وابغضوني انا وابي. ٢٥ لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في

عدد ٢٣. *شناعة خطية بغضهم المسيح*. تظهر شناعة هذه الخطية في نور هذه الحقيقة الخطيرة: «الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً». يتميز الجهل (عدد ٢١) عن البغض (عدد ٢٣)، في ان اولهما خطية سلبية. والثاني خطية ايجابية. اولهما هو الخطية في البزرة. والثاني هو الخطية في النضوج

عدد ٢٤. (ب) *بغضهم المسيح على رغم شهادة اعماله الفريدة*. «لو لم أكن قد عملت بينهم اعمالاً لم يعملها أحد غيري». يشير المسيح بهذه الاعمال الفذة الى معجزاته التي لم يقوَ ولن يقوى سواه على ان يأتي بمثلها. فهي ممتازة في *مرماها الروحي الخيري*. وفي كونها *صدرت عنه وهو على بعد*، وفي توقفها *على محض ارادته هو واذنه الخاص*، بخلاف موسى وسائر الانبياء الذين صنعوا معجزاتهم باذن الله، وقدرته

عدد ٢٥. *خطيتهم لا تدعو الى العجب، فقد سبق ناموسهم وأنبأ بها*: «لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة». ليس المراد بهذا القول. ان الباعث لهم على خطيتهم هو اتمام المكتوب — والا أصبحوا خالين من المسئولية، وانما يُقصد بهذا القول ان ارتكابهم هذه الخطية—خطية بغضهم المسيح — جاء مصداقاً لنبوة قديمة، جرت بالوحي على لسان داود، وغايتها ترمي الى المسيح عن بُعد. وكذلك سائر النبوات المتضمنة في المزامير المصطبغة بصبغة مسيحية.

ناموسهم انهم ابغضوني بلا سبب. ٢٦ ومتى جاء المعزي الذي
سأرسله انا اليكم من الآب

وقد نسب المسيحُ الناموسَ الى اليهود، لانهم افتخروا به مدعين انهم قيّمون عليه، حال كونه شاهداً عليهم. ومع ان هذه النبوة وردت في سفر المزامير (من ٣٥: ١٩ و٦٩: ٤)، الا أن المسيح أطلق على هذا الجزء أيضاً كلمة «ناموس» (اطلب شرح ١٠: ٤٤). أما قوله «بلا سبب» فمعناه «بلا مسوِّغ». فالمسيح لم يرتكب ذنباً ولا جريرة، ولم يعمل سوى الاحسان والرحمة. وأما ذنبه الوحيد نحوهم، فهو انه نور، وانهم هم ظلام. والظلام يبغض النور. وكفى. هكذا أحب اللهُ العالمَ — «بلا سبب»، وهكذا أبغض العالمُ اللهَ — «بلا سبب»

ثانياً: شهادة المعزى وشهادة والتلاميذ فى وجه العالم (١٥: ٢٦ و٢٧)

عدد ٢٦. (١) شهادة المعزى: «ومتى جاء المعزّي..». في هذا العدد تحدث المسيح عن الروح القدس في: (ا) وظيفته: «المعزي». اطلب شرح ١٤: ١٦ (ب) مرسله: «الذي سأرسله من الآب». أراد المسيح بهذا، إرساله الروح القدس، يوم الخمسين، حين أكمل عمله الفدائي، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (١٤: ١٦). ان قوله «من الآب» معناه من حضرة الآب. (ج): اسمه «روح الحق». اطلب شرح ١٤: ١٧. (د) مصدره: «الذي من عند الآب ينبثق» الاشارة هنا الى انبثاق الروح القدس منذ الازل من عند الآب. ان قوله «أرسله من عند الآب» يختلف عن قوله «من عند الآب ينبثق». فأولهما يشير الى عمل تاريخي تمّ يوم الخمسين. وثانيهما يشير الى عمل أزلي تمّ قبل

روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي . ٢٧ وتشهدون انتم ايضاً لانكم معي من الابتداء

كون العالم . وقوله «من الآب» يختلف عن قوله «من عند الآب»، في أن اولهما يشير الى خروج الرسول من حضرة مرسله . وثانيهما يشير الى خروج النهر من منبعه، أو صدور أشعة الشمس من جرمها . ومن المحزن ان هذه الحقائق المعزية جعلها الناس علّة لشطر الكنيسة شطرين — غربية وشرقية !
(ﻫ) المرسل اليهم : «اليكم» — ان ضمير الجماعة في الكلمة «اليكم» يشمل الرسل، وجميع المؤمنين. (و) عمله الخاص : «فهو يشهد لي» — في قلب هذا العالم الممتلىء بالبغضاء من نحوي، ليعلن لهم حقيقة أمري . هذه هي الشهادة التي أداها الروح القدس بقوة ، يومَ الخمسين ، ولا يزال يؤديها بلسان خدامه الى يومنا

عدد ٢٧ .(ب) شهادة التلاميذ : «وتشهدون أنتم أيضاً ...: ان أساس شهادة التلاميذ للمسيح هو معرفتهم التاريخية بالمسيح مذ عرفوه عند «ا بتداء» خدمته الجهرية. فالتلاميذ يشهدون بما رأوا وسمعوا الا أن هذا وحده لا يكفي. لان معرفتهم التاريخية بالمسيح ، معرفة جافة جامدة لا حياة فيها ولا نور. لذلك أرسل المسيح روحه اليهم ليبعث في معرفتهم حياة، وينير لهم ما كمن فيها. بذلك تصبح المعرفة التاريخية معرفة نورانية ، روحية ، فتصير هذه المعرفة النورانية الروحية ، شهادة حية. فشهادة التلاميذ تسير جنباً الى جنب مع شهادة الروح : «ونحن شهود له بهذه الامور والروح القدس أيضاً» (أعمال ٥: ٣٢)

ان شهادة الروح هي روح الشهادة . وشهادة التلاميذ ، جسمها

الاصحاح السادس عشر

الروح المعزي

هذا أصحاح المعزّي . هذا فصلٌ مطلعه شقاء، وقلبه شفاء، وخاتمته عزاء. ما اشبهه بيوم الطبيعة ، يُبدأ بالليل ويختتم بالنهار

في هذا الاصحاح ، واصلَ المسيح كلامه الذي انتهينا اليه في الاصحاح السابق ، فاستهله بذكر الاضطهاد ، والتقتيل ، والبغضاء ، التي كان على التلاميذ ان يلاقوها في مقتبل الايام ، ليجعل من صفحة الألم ، لوحة سوداء ، يسطع عليها نور المعزّي ، بلمعان باهر

و بما ان هذا الاصحاح مرتبط ارتباطاً حيوياً بسابقه ، لذلك سنتابع فيه التفسير طبقاً للتقسيم الذي فصلناه في غرّة الاصحاح السابق صفحة ٦٣٢

عدد ١ — ٤ . *تتمة الكلام عن التلاميذ والعالم* . في ختام الاصحاح السابق ، وعد المسيح تلاميذه بمجيء المعزّي الذي سيقف معهم تجاه العالم المليء بالبغضاء نحوهم . وفي مقدمة هذا الاصحاح ، استأنف كلامه عن بغضة العالم لهم حينما تكون قد اشتدّت ، واحتدّت ، ونضجت ، فأثمرت طرداً ، واضطهاداً ، وتقتيلاً . في خاتمة الاصحاح السابق تحدّث اليهم عن شعور العالم نحوهم . وفي مطلع هذا الاصحاح تكلم عن أفعال العالم ، التي هي وليدة ذلك الشعور المرير . « سيخرجونكم ... كل من يقتلكم ... سيفعلون هذا بكم » .

١ قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. ٢ سيخرجونكم من
المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم

عدد ١. *غاية المسيح من تحدثه اليهم عن بغضة العالم لهم، ومجيء المعزي*
«قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا». في اعتقادنا ان كلمة: «هذا» تعني ما حدثهم به
عن بغضة العالم لهم ومجيء المعزي (١٥: ١٧ — ٢٧). ويعتقد الاسقف وستكوت
انها تعني كل كلام المسيح الذي افضى به الى تلاميذه عن اتحادهم به، وشركة
آلامهم معه، وشهاداتهم المتفقة وشهادة الروح. اما قصد المسيح من حديثه
معهم، فقد أبانه في هذه الكلمات: «لكي لا تعثروا». وردت كلمة «يعثر»
— في الاصل — مرتين في بشارة يوحنا — هنا وفي ٦: ٦١، وهي ترسم لنا
صورة شخص سائر في طريقه فتصطدم رجله بحجر او حاجز. وهي تحمل اشارة
معنوية الى احتمال تزعزع ثقة التلاميذ بسبب ما يلقونه من تعذيب واضطهاد

عدد ٢. *بعض الاضطهادات — والباعث للعالم عليها — تقديم «قربانه» لله*: «سيخرجونكم من المجامع .. يظن كل من يقتلكم..». ذكر
المسيح نوعين من الاضطهاد — أ — اضطهاداً منصباً على مقام التلاميذ الديني
والاجتماعي: «سيخرجونكم من المجامع» (اطلب تفسير ٩: ٢٢ و١٢: ٤٢).
هذه درجة اوليّة في برنامج اضطهاداتهم وسيأتي بعدها ما هو اشرّ وأمرّ.
— ب — اضطهاداً منصباً على حياتهم: «.. كل من يقتلكم». تدل كلمة
«ساعة» على ان هذه الاضطهادات داخلة ضمن تدبير الله الذي رتبه للرسل
بعد ان ذكر المسيح للتلاميذ عيّنتين من الاضطهادات الوشيكة الوقوع

انه يقدم خدمة لله. ٣ وسيفعلون هذا بكم لانهم لم يعرفوا الآب
ولا عرفوني. ٤ لكني قد كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون

عليهم، نبههم الى: (١) الباعث الظاهري الذي يحمل العالم على اضطهادهم: «يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله». وكذلك فعل شاول الطرسوسي (اعمال ٢٦: ٩). ويقول هنسيوس أحد المؤرخين العصريين: ان اليهود كانوا الى العصر الماضي، يحسبون قتل المسيحيين «قرباناً» يقربونه الى الله في عبادتهم

عدد ٣. (٢) العلة الدفينة لاضطهاد العالم لهم: «وسيفعلون هذا بكم لانهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني». هذا هو التعصب الديني الاعمى الذي لا يعرف الهاً ولا يحب انساناً، لكنه يحب نفسه وعقيدته. ان الله محبة، فلا يمكن ان تُخدَم المحبة بالبغضاء والتجريح والتقتيل. أليس من الامور المضحكة المبكية، ان الغيرة العمياء تبعد الانسان عن الغاية الاساسية التي يرمى اليها؟ فبينما يتوهم هؤلاء المضطهدون انهم بقتلهم المسيحيين، «يتقربون» الى الله، اذا بهم يسمعون من الله هذه الكلمة: «انكم بعملكم هذا قد برهنتم على انكم لا تعرفونني لانكم لو عرفتموني لعرفتم من ارسلته اليكم، ولو عرفتم من أرسلته انا اليكم، لعرفتم بالتالي من ارسلهم هو اليكم». فاذا ماجهل احدهم المسيح، كان جهله هذا دليلا على انه يجهل الله: «لم يعرفوا الآب ولا عرفوني»

عدد ٤. عود الى بدء: «لكني قد كلمتكم بهذا» — أي بما سيصيبكم في مستقبل الايام من اضطهاد وتعذيب — «حتى اذا جاءت الساعة» — التي انبأتكم بها في عدد ٢ — «تذكرون اني قلته لكم». ان المسيح اذ انبأ

إني انا قلته لكم . ولم اقل لكم من البداية لاني كنت معكم .

تلاميذه بما سيصيبهم في مستقبل الايام ، سبق فسلحهم بسلاح الصبر ، والرجاء ، والفخر بمشاركتهم اياه ، قبل ان تجيء ساعة النضال . حتى متى حانت ، يكونون قد تهيأوا لها . «ولم اقل لكم من البداية» — اي منذ بداية اتصالكم بي كأتباع ، وتلاميذ ، ورسل — «لاني كنت معكم» — فكان وجودي خير حصن لكم . لاني كنت اتلقى عنكم نبال الاعادي ، و بعد ليلة وضحاها ، سأتلقى عنكم الصدمة الأخيرة على الجلجثة

كيف نوفق اذاً بين قول المسيح : « لم أقل لكم من البداية» ، و بين كلماته المسجلة في متى ١٠:١٧ و ٢١ و ٢٨ ؟ . يقول يوحنا الذهبي الفم : ان الاضطهادات التي تحدث عنها المسيح الى تلاميذه في يو ١٦:١٤ أشد هولاً من تلك المذكورة في متى ١٠:١٧ و ٢١ و ٢٨ . ويقول بنغال : ان المسيح ، عند دنوّ نهاية خدمته ، كلم تلاميذه عن الاضطهادات باسهاب وافاضة (يو ١٦:٤) . لكنه في قلب خدمته ، تحدث اليهم عن الاضطهادات بكلام مجمل . ويظن وستكوت ان كلام المسيح في يوحنا ، ليس قاصراً على الاضطهادات بل يتناول أيضاً صلته بتلاميذه ، وصلة المعزّي والعالم بهم ، بخلاف كلامه في يوحنا ، فقد قصره على الاضطهادات . و يعتقد جودي ان الكلام الذي سجله متى ليس مقصوراً على مناسبة خاصة . بل يشمل كل الكلام الذي قاله المسيح عن الاضطهادات ، سواء ما قاله في بدء خدمته أم في قلبها ، أو عند نهايتها — بما في ذلك ، الكلام المدوّن في يوحنا ١٦ .. ونميل نحن الى الاخذ باحد الرأيين الاولين

٥ واما الآن فانا ماضٍ الى الذي ارسلني وليس احد منكم يسألني

السهم الرابع — العالم والمعزى (١٦:٥—١١)

تكلم المسيح في هذه الاعداد عن *أمرين — اولهما: شرط مجيء المعزى* (١٦:٥—٧). *ثانيهما: عمل المعزى فى العالم* (١٦:٨—١١)

عدد ٥ — ٧ (١) *شرط مجيء المعزى — انه مجيء المعزى متوقف على انطلاق المسيح*. لا شك في ان التلاميذ جزعوا من تحدث المسيح اليهم عن الاضطهادات، وازداد جزعهم عند سمعهم قول المسيح: «لاني كنتُ معكم» (عدد ٤). لذلك اراد الفادي المحبّ ان يعرّفهم الى اين هو ماضٍ عنهم، معنّفاً اياهم على عدم استفهامهم منه عن المكان والمقام اللذين سينطلق اليهما (عدد ٥ و٦)، ثم دلّهم على الخير الذي يعود عليهم من انطلاقه (عدد ٧)

عدد٥. *الى اين يمضي المسيح*: «وأما الآن» — هذه نقطة انتقال في الفكر، وفي نغمة الكلام. في الاعداد السابقة (عدد ١ — ٤)، وعد المسيح تلاميذه بضيق في العالم. وفي هذه الاعداد (عدد ٥ — ٧)، وعدهم بمجيء المعزي الذي ينتصر بهم على العالم. فمن ظلمة الضيق، انتقل بهم الى نور الوعد

ان في قول المسيح لهم: «وليس أحد منكم يسألني أين تمضي»، تعنيفاً خفيفاً لتلاميذه، الذين ألهاهم حزنهم على انطلاقه، عن ان يسألوه عن المكان المنطلق اليه، ولو كانوا قد سألوه لأحاطهم علماً بالمجد الذي سيتمتع هو به، وبالخير الذي سيعود عليهم هم، نتيجة هذا الانطلاق. عندئذ كانوا يفرحون لاجله ولاجلهم، لان محبتهم له تفرض عليهم ان يفرحوا لتمجيده (١٤:٢٨)،

اين تمضي. ٦ لكن لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم.
٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق.

ولان محبتهم لانفسهم ، توجب عليهم ان يفرحوا للخير الذي سيصيبهم. ولا يُعتبر سؤال بطرس (١٣: ٣٦) مستثنىً من قول المسيح «ليس احد منكم يسألني» ، لان بطرس كان يبغي من سؤاله ان يقنع المسيح بالعدول عن الانطلاق ،لا ان يعرف الى اين ينطلق المسيح

ان هذا التعنيف الخفيف ، يحمل معه تحريضاً من المسيح للتلاميذ ، على ان يفتحوا عقولهم وقلوبهم الى الجانب المنير من تصريحاته واعلاناته ، عندئذ يستطيعون ان يكتشفوا فيها كنوز خير، وخير كنوز

عدد٦. *انصراف التلاميذ الى الجانب المحزن من انطلاق المسيح*: «لكن لاني قلت لكم هذا» — أي اني سأنطلق عنكم — «قد ملأ الحزن قلوبكم» وكم من المرات يتبرع المرء لقلبه بالاحزان في وقت يكون فيه محاطاً بأجلّ النعم واكمل الخيرات ! فالعيب ليس في ما يحيط بنا ، بل في عيوننا التي تنظر الى بستان الحياة فتلهيها اوراقه القليلة الصفراء ، عن ثماره الكثيرة الناضجة

عدد ٧ . *الخير الذي سيصيبهم بعد انطلاق المسيح عنهم*: «لكني اقول لكم الحق» . في هذا استحثاث منه لهم ، على المزيد من الوثوق بكلامه (١٤: ٢) «انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي»

ان الخير المشار اليه ، هو ـ أ ـ تكميلهم في الايمان والمحبة. ـ ب ـ حملهم على اتمام وظيفتهم اذ كان المسيح هو العامل ، وكانوا هم يستريحون مدة

لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزّي . ولكن ان ذهبت ارسله اليكم.
٨ ومتى جاء

بقائه معهم — جـ — ان الخير الاعظم هو حلول الروح القدس فيهم وعليهم ، فهو موهبة قد استحقها المسيح لهم ولنا بموته . وكان ينبغي ان يملك بكمال المجد عن يمين الله الآب ، حتى يرسل هذه الموهبة التي هي ثمرة دمه الزكي . هذه الحقيقة يؤيدها قول البشير في مناسبة سابقة: «الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لان يسوع لم يكن قد مُجد بعد» (٧: ٣٩). اما ان الروح القدس هو « الخير الاعظم » ، فهذا واضح من مقابلة ما جاء في متى ٧: ١١ بما ورد في لوقا ١١: ١٣ . فمتّى يقول «فكم بالحري ابوكم الذي في السموات ، يهب *خيرات* للذين يسألونه » . ولوقا يقول «فكم بالحري الآب الذي من السماء، يُعطي *الروح القدس* للذين يسألونه» . فالذي قال فيه متى: « *خيرات* » ، قال فيه لوقا «*الروح القدس*» . *فالروح القدس هو الخير الاعظم*

عدد ٨—١١ . (٢) *عمل الروح المعزى فى العالم — التبكيت* : «ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى برّ، وعلى دينونة» . ان الروح الذي يبكت العالم، هو نفس الروح الذي يعزّي المؤمنين . وكذلك كان عمود النار في البرية قديماً — ظلاماً على المصريين ، ونوراً لبني اسرائيل

في عدد ٨ ، ذكر المسيح عمل الروح القدس بكلمات مجملة، وفي الاعداد ٩ — ١١ ، فصّل ما اجمله في عدد ٨ . والكلام في هذه الاربعة الاعداد (عدد ٨—١١) يتناول امربعه — اولها : ماهية التبكيت الذي يقوم به

ذاك يبكت العالم

الروح القدس : « يبكت العالم » . وثانيهما : موضوع هذا التبكيت : « على خطية . وعلى بر . وعلى دينونة»

أولاً : ماهية التبكيت الذي يقوم به الروح القدس : « ومتى جاء ذاك يبكت العالم » . ان كلمة : « يبكت » معناها ، يغلب بالحجة ، حتى يسكت . وهي تحمل معها شيئاً غير قليل ، من التعنيف، والتوبيخ، والتقريع . وهي كما استعملت في العهد الجديد ، بلغته الاصلية ، تعني : — أ — اعلانه النور واظهار الخطأ . « لا يأتي الى النور لئلا توبخ اعماله » (يو ٣: ٢٠ و٨: ٤٦) «الكل اذا توبخ يُظهَر بالنور» (أفسس ٥: ١٣). — ب — تطبيق الحق المعلن على الانسان المعتدي : « موبخين من الناموس كمتعدين » (يعقوب ٢: ٩) «ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم» (يهوذا ١٥). «وبخ. انتهر. عظ» (٢ تيمو ٤: ٢). — ج — التأديب العقابي : «قادراً ان يوبخ المناقضين» (تيطس ١: ٩) . «وبخ بكل سلطان» (تيطس ٢: ١٥) . — د — التعنيف بقصد الاصلاح والرد عن الخطأ : « اني كل من احبه أوبخه وأؤدبه . فكن غيوراً وتب» (رؤيا ٣: ١٩) ، «لا تخر اذا وبخك» (عب ١٢: ٥) ، «وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الايمان» (تيطس ١: ١٣)

قد يؤدي هذا التبكيت الى الحياة اذا اطاع الانسان ايحاآت الروح ، وقد يؤدي الى موت الدينونة ودينونة الموت اذا قاوم المرء تأثيرات الروح . « لهؤلاء رائحة موت لموت ولاولئك رائحة حياة لحياة» (٢ كو ٢: ١٦) . وقد

على خطية وعلى بر

تجلَّت هاتان النتيجتان — احداهما مقابل الاخرى — يوم الخمسين: «وكان آخرون يستهزئون قائلين انهم قد امتلأوا سلافة» . . «فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (اعمال ٢:١٣و١٤). والظاهر من قرائن الكلام في سفر الاعمال وفي بشارة يوحنا ، ان الروح القدس يؤدّي عمله التبكيتي في العالم بواسطة الرسل والكنيسة . هذا وان تبكيت الضمير يختلف عن تبكيت الروح القدس، في ان *اولهما* هو تبكيت الناموس، *وثانيهما* هو تبكيت النعمة. *اولهما* يؤدي الى اليأس فالموت — كما في امر يهوذا الاسخريوطي. *وثانيهما* يقود الى الرجاء والحياة — كما في امر بطرس. ويقول تقليد قديم ان اول شخص تمتع بنعمة الخلاص يوم الخمسين هو ذاك الذي طعن المسيح بحربة في جنبه على الصليب . فالضمير يبكت على برّ ضاع، والروح يبكت على برّ ظهر. الضمير يبكت على دينونة مسلّطة سيفها على الرقاب. والروح يبكت على دينونة تمت ، وانقضت، وزال اثرها .

ثانياً: *موضوع تبكيت الروح* : «يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة» . ان جلّ بشارة يوحنا شهادة ناطقة لعمل الروح القدس المبكت . فتبكيته العالم على خطية ، ظاهر في ١٩:٣ — ٢١ و٢٨:٥ و٣٨—٤٧ و٨: ٢١ و٣٤ — ٤٧ و٩:٤١ و١٤:٢٧ . وتبكيته العالم على بر ، مبيَّن في ٥:٣٠ و٧:١٨ و٢٤ و٨:٢٨ و٤٦ و٥٠ و٥٤ و١٢ : ٣٢ و١٤ : ٣١ و١٨ : ٣٧ وتبكيته العالم على دينونة موضَّح في ١٢:٣١ و١٤ :٣٠ و٧ :١٥ ويقول ا.ج

وعلى دينونة . ٩ اما على خطية

غوردون. ان عمل الروح في تبكيته الثلاثي ، تقابله وظيفة المسيح الثلاثية — كنبي، وكاهن، وملك

«خطية»، «بر»، «دينونة». هذه ثلاث كلمات — الاولى لاصقة بالانسان الساقط، والثانية متصلة بالمسيح المقام، والثالثة لاحقة بالرئيس المخلوع . الكلمة الاولى تصف داء البشرية — خطية العالم . والثانية تصف الدواء — بر المسيح. والثالثة تصف مصير من يرفض الدواء ويرضي بالداء. فعلى الانسان ان يختار بين الحالين — اما ان يقبل بر المسيح فيُرفع معه او ان ينحاز الى جانب ابليس فيُدان معه. وجدير بالملاحظة، ان هذه الثلاث الكلمات: «خطية، بر، دينونة» وردت نكرات ، من قبيل التعميم والاطلاق

عدد ٩ . حجة تبكيت العالم على خطية . «اما على خطية فلأنهم لايؤمنون بي» . يراد بهذا ، ان عدم ايمان العالم بالمسيح ، دليل قاطع على ان العالم واقع في الخطية . فكأنما الخطية كانت في حاجة الى البرّ مجسماً ، لكي تظهر خاطئة جداً. هذا يؤيده قول سمعان الشيخ في المسيح : «ها قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين، ولعلامة تُقاوم... لتعلَن افكار من قلوب كثيرة» (لوقا ٢ : ٣٤ و ٣٥) فمع ان الخطية اتخذت مظاهر شتى قبل مجيء المسيح الى العالم ، الا انها اتخذت اشنع مظهر عند ما صلبت رب المجد . هذا واضح جلياً من قول بطرس لليهود يوم الخمسين . «هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق . و بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» (اعمال ٢ : ٢٣)

اما غير المؤمنين، الذين لم يكن لهم نصيب فعليّ مع الذين صلبوا المسيح،

فلأنهم لا يؤمنون بي

فهؤلاء سيبكتهم الروح القدس، على خطية عدم نوالهم نصيباً فعالاً في المسيح المصلوب. هؤلاء هم الذين، بعدم ايمانهم، يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهّرونه

ان خطية عدم الايمان بالمسيح، ليست فقط دليلاً على اتجاه القلب الساقط المبتعد عن الله، بل هي ايضاً أسّ كل الخطايا، وهي خلاصتها مركّزة في نقطة واحدة. لان المسيح، بموته عنا، اخذ مقامنا امام الله، فاستحقت عليه كل دينونة الخطية التي كنا رازحين تحتها، ورضيت العزّة الالهية بهذه النيابة. فكل شخص يقبل المسيح فادياً، تُرفع عنه اثقال خطاياه بانتقالها الى المسيح. وكل شخص يرفضه ولا يؤمن به، يظل رازحاً تحت آثامه، مضافاً اليها اثم جديد، هو رَفضه مسيح الله

فضلاً عن ذلك، فان الروح القدس يبكت العالم على وجهة نظره في ماهية الخطية. فالعالم اليهودي كان يعتقد ان الخطية قاصرة على التعدي على الناموس الطقسي، وكسر السبت. لذلك قالوا في المسيح: «نحن نعلم ان هذا الانسان خاطيء» (٩:٢٤). فجاء الروح القدس مبكتاً العالم على نظرته الخاطئة في الخطية. مبيّناً له ان الخطية الحقيقيةً هي رفض ارادة الله الظاهرة في ارساله المسيح الى العالم (اعمال ٢:٢٢ و٢٣ و٣٦ و٣:١٤ و١٥). فعدم الايمان بالمسيح، هو صورة أخرى لرفض مشورة الله، واعتناق مشورة الذات الجسدانية، او هو بمثابة رفض النور واختيار الظلام. اذ لا يختار الظلام الا المظلم القلب، فالمسيح هو أصدق محكّ للاخلاق

١٠ واما على بر فلأني ذاهب الى ابي

عدد ١٠. *حجة تبكيته العالم على بر*: «أما على بر فلأني ذاهب الى أبي. ولا ترونني ايضاً». ذكر المسيح في هذه الكلمات حجة دامغة لبرّه — هي صعوده وجلوسه عن يمين العظمة: «لأني ذاهب الى أبي» — هذا ختم رضى الآب عن المسيح. اذ رفعه من القبر واجلسه عن يمين القوة. فعندما صُلب المسيح، هتفت قوات الظلمة قائلة: «لو كان هذا باراً لما صُلب. ولو كان هو ابن الله، لنزل عن الصليب!». ولكن برّه ظهر وبان، بعد ان كسر مصاريع القبر وارتقى صاعداً الى الآب في العلا. «فأُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لاجل تبريرنا» (رومية ٤:٢٥). فاذا كانت قيامة المسيح، حجةَ بره، فان ارتقاءه الى يمين العظمة هو ختم هذه الحجة. فكلّ ذبيحة مقبولة لدى الله، لم تكن الارض مقصدها النهائي، بل كانت السماء غايتها. لان الله كان يرسل ناراً لترفعها اليه، علامة قبوله اياها. لذلك صار صعود المسيح الى السماء، حجةَ بره الكامل. ان الحجر الذي رفضه البناؤون يوم الجمعة الحزينة، قد رفعه الله وجعله رأس الزاوية، في فجر الاحد التالي. وفي يوم الخمسين، نقض حكمُ الله أحكامَ البشر فالبر المقصود هنا، هو بر المسيح

ومثلما يبكت الروح القدسُ العالمَ على وجهة نظره في الخطية، كذلك أيضاً يبكته على وجهة نظره في البر. فكما ان الخطية ليست قاصرة على التعدي على الشريعة الطقسية، بل هي رفض المسيح المقدَّم من الله مخلصاً للعالم وفادياً، كذلك البر. فليس هو القيام بمطالب الناموس، وانما هو قبول برّ المسيح الذي يبرّر الفاجر (رومية ٣:٢١ و٣:١٠)

ولا تروني ايضاً . ١١ واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم

اما قوله: «ولا تروني أيضاً»،فانه يرينا ضرورة شهادة الروح القدس لبر المسيح بعد صعوده . فكما ان رئيس الكهنة كان يدخل قديماً الى قدس الاقداس مقدماً الكفارة عن الشعب الذي كان يظل واقفاً خارجاً منتظراً حكم الله في الكفارة المقدمة منه ، وما كان الشعب يطمئن ، الا بعد ان يرى رئيس الكهنة خارجاً من الهيكل وعلائم الظفر مرتسمة على محياه،دليلاً على ان الله قبل الكفارة المقدمة منه . كذلك بعد ان دخل كاهننا الاعظم الى ما وراء حجاب قدس الاقداس العلويّ،وغاب عن الابصار، لم يبقَ سبيل الى إقناع العالم بان ذبيحة المسيح الكفارية قد قُبلت ، الا بمجيء الروح القدس ، من قِبَل المسيح ، حاملاً بشرى قبول كفارته . عندئذٍ يتبكت العالم على بر المسيح : «فيسوع هذا اقامه الله . . . واذ ارتفع بيمين الله واخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا . . فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم رباً ومسيحاً» (اعمال ٢: ٣٣ — ٣٥)

عدد ١١ . *حجة تبكيت العالم على دينونة*: «اما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين» . ليست هذه دينونة العالم الاممي، التي كانت منتظرَة من الامم ، ولا هي دينونة اليهود التي اتخذت مظهراً قويًّا يوم خراب اورشليم بل هي دينونة «رئيس هذا العالم» ، وهي عربون واساس دينونة الامم واليهود. ومتى صُرع السلطان ولَّت جنوده (راجع شرح ١٢: ٣١ و٣٣) . هذه الدينونة تمت في الصليب والقيامة. وما ادانة الشيطان ، الا نتيجة ظهور

قد دين. ١٢ان لي اموراً كثيرة ايضاً لاقول لكم ولكن لا تستطيعون
ان تحتملوا الآن. ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق

بر المسيح لان تبرءة المتهم ظلماً ، هي ادانة للمشتكي بهتاناً . فالمبلّغ بلاغاً كاذباً ، يقع عليه عقاب من يقترف جريمة

السهم الخامس — الروح المعزي والتلاميذ (١٦: ١٢—١٥)

بعد ان تكلم المسيح عن عمل الروح في *تبكيت العالم* ، انتقل الى كلامه عن عمل الروح في *ارشاد التلاميذ وانارتهم*

عدد ١٢ . *قابلية التلاميذ المحدودة*: «ان لي اموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم» — علاوة على الامور الكثيرة التي حدّثتكم عنها الآن — «ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن» — وليس السبب في ذلك، عدم ثقتي بكم. كلا. فاني قد سبقت وأكدت لكم اني لا اعود اسميكم عبيداً . . لكني قد سميتكم احباء لاني اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي » (١٥:١٥) . وانما سببه ، علم اتساع قابليتكم الروحية في الوقت الحاضر — « فأنتم لا تستطيعون ان تحتملوا الآن».ان قابلية الانسان هي قياس تمتعه باي شيء، جسدياً كان ام روحياً

عدد ١٣—١٥ . *اتساع قابليتهم الروحية بعد مجيء الروح القدس* : «ومتى جاء ذاك..».ان عمل الروح القدس متمم لعمل المسيح، كما ان عمل المسيح ممهد لعمل الروح : «ان لي اموراً ... وأما متى جاء ذاك» . في كلام المسيح عن عمل الروح في قلوب التلاميذ ، حدثهم عن : — أ — *احد اسماء الروح الحسنى* : «روح الحق» . لقد سبقنا فاوضحنا المراد بهذا الاسم: «روح الحق»

فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه

في ١٤: ١٧ . — ب — ماهية عمل الروح « يرشدكم » ... « ويخبركم » ... «يأخذ مما لي ويخبركم».هذا عمل ثموني — (١) الانارة : «يرشدكم الى جميع الحق». كلمة « يرشد » تصور لنا سائحاً متجولاً في مملكة غريبة و « الدليل » يقوده «ويرشده» في ارض الغربة. فالروح القدس هو «دليل» التلاميذ في مملكة الحق . هذه هي انارة الروح ، وهي تتناول « جميع الحق » الذي سمعه التلاميذ من المسيح ، ولم يعرفوا كل محتوياته ومكنوناته الا بعد ان أنار لهم الروح جميع جوانب هذا الحق . فالمسيح أعطى التلاميذ الحق في البزرة، والروح القدس سينمي لهم هذا الحق ، وينميهم فيه (١٤: ٢٦).(٢) الالهام: «يخبركم بأمور آتية»،هذا هو الهام الروح، وهو امتياز خاص بالرسل،يتناول « أموراً آتية » لم يكن قد قالها المسيح للرسل بعد ، لانهم لم يستطيعوا احتمالها (عدد١٢) —مثل الملهمات الالهية التي وضعها الرسل في الرسائل وفي سفر الرؤيا— نظير قيام الكنيسة على انقاض المجمع اليهودي ، ومستقبل الكنيسة في مجاهدتها ونصرتها (رؤيا ١: ١ — ٣). (٣) الايهاب : « يأخذ مما لي ويخبركم » . بعد ان يكون الآب قد مجد المسيح برفعه اليه ، يأخذ الروحُ القدس من امجاد المسيح وكمالاته ، ويشعّ بها في قلوب التلاميذ ، وقلوب سائر المؤمنين. هذا هو ايهاب الروح — وموضوعه شخص المسيح، وكمالاته.

(ج) . المصدر الذى منه يستمد الروح عمله . ذكر المسيح هذا المصدر، في كلمتين — اولاهما سلبية : «لا يتكلم من نفسه» . فكما ان المسيح

بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية. ١٤ ذاك يمجدني لانه
يأخذ مما لي ويخبركم. ١٥ كل ما للآب هو لي. لهذا قلت انه يأخذ

لا يتكلم من عندياته، باعتبار كونه مرسَلاً من الاب (١٤: ١٠)، كذلك الروح القدس لا يتكلم من نفسه لكونه مرسَلاً من المسيح. والكلمة الثانية ايجابية. وقد ذُكر فيها مصدر مزدوج — جانبه الاول: ما يسمعه الروح من الآب والابن في ما يختص بتدبير الفداء. وجانبه الثاني: ما يقبله الروح مما للمسيح «لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»

عدد ١٤ و١٥. (د). غاية عمل الروح القدس: «ذاك يمجدني... كل ما للآب هولي. لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم». هذا دليل قاطع، على ان المسيح شاعر بمجده الممتاز، لان كل ما للآب هو له، وان السبيل الامثل، لتمجيد المسيح، هو فتح كنوز مجده، وكمالاته، وأسراره، وابلاغها الى المؤمنين به. فكما أنه لا شي يذل الفقير، نظير اشهار فقره وبؤسه امام الآخرين، كذلك لا شيء يمجد الغني نظير كشف كنوزه، واظهارها، لأتباعه ومريديه، واشراكهم فيها. لان اظهار ما للمسيح، هو اظهار كل ما للآب. وردت كلمة «يأخذ» في صيغة الحال لتفيد العمل المستمر على التوالي. ووردت كلمة: «يخبركم» في صيغة الاستقبال. هذا دليل آخر على ان الروح شخص ذاتي

في عدد ١٥ ذُكر الثلاثة الاقانيم — الآب، والابن، والروح القدس. فالابن يأخذ مما للاب، والروح القدس يأخذ مما للابن. الابن يمجد الآب،

مما لي ويخبركم. ١٦ بعد قليل لا تبصرونني. ثم بعد قليل ايضاً
ترونني لاني ذاهب الى الآب . ١٧ فقال قوم من تلاميذه

والروح القدس يمجد الابن . كل هذا قاصر على الوظيفة . واما في الجوهر ، والقدرة ، والمجد ، فالثلاثة الاقانيم متساوون ، لانهم اله واحد

السهم السادس — حزنه يستحيل الى فرح (١٦:١٦—٢٤)

عدد ١٦ . (١) . تصريح للمسيح — قليل وقليل . « بعد قليل لا تبصرونني . ثم بعد قليل ايضاً ترونني لاني ذاهب الى الآب». وردت كلمة «قليل» سبع مرات في الاعداد ١٦—١٩. وقد اراد بها المسيح وقتين مختلفين لهما نتيجتان متناقضتان : «بعد قليل لا تبصرونني» . و «بعد قليل ترونني» . فالـ «قليل» الاول مدته بضع ساعات،ابتدأت وقت تكلُّم المسيح معهم وانتهت بنزوله الى القبر واحتجابه عن أبصار التلاميذ. هذا هو «القليل» الذي أراده بقوله « بعد قليل لا تبصرونني».واما «القليل» الثاني الذي قصده بقوله : « بعد قليل ايضاً ترونني» فهو الوقت الذي ابتدأ بنزول المسيح الى القبر، الى اليوم الذي قام فيه وظهر لخاصته : «ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب»(٢٠:٢٠). على ان هذا «القليل» الثاني لم ينته بيوم قيامة المسيح ؛ لكنه امتدَّ الى يوم الخمسين حين اعلن المسيح ذاته لتلاميذه بالروح القدس (اعمال ٢). هذا المعنى الثاني يؤيده باقي العدد : «لأني ذاهب الى الآب» (عدد ١٦)، ويدعمه كلام المسيح عن «ذلك اليوم» في عددي ٢٣ و ٢٦

عدد ١٧ و ١٨ (٢) . تساؤل قوم من التلاميذ واعترافهم بجهلهم :

بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا بعد قليل لا تبصرونني
ثم بعد قليل أيضاً ترونني ولاني ذاهب الى الآب . ١٨ فقالوا ما
هو هذا القليل الذي يقول عنه . لسنا نعلم بماذا يتكلم . ١٩ فعلم
يسوع انهم كانوا يريدون ان يسألوه فقال لهم أعن هذا تتساءلون فيما
بينكم لاني قلت بعد قليل لا تبصرونني

«فقال قوم من تلاميذه ما هو هذا... لسنا نعلم». يستنتج بعض المفسرين — وفي مقدمتهم جودي — ان في تساؤل قوم من التلاميذ بعضهم مع بعض، دليلاً على ان المسيح أفضى الى تلاميذه بهذا الحديث في الطريق، لا في العليّة. لان مجال خلو بعضهم الى بعض للتساؤل، يكون في الطريق، أوسع منه في العلية. على انه من المحقق ان كاتب هذه الملاحظات الدقيقة، كان شاهد عيان. ويكاد يكون من المستحيل على كاتبٍ — مهما كان جريئاً — أن يتحدَّث عن الضعف، والجبن، والجهالة، التي أحاطت بالرسل في هذا الظرف الخاص، ما لم يكن واحداً منهم. سيما وانهم بعد هذا الوقت بمدَّة وجيزة — منذ يوم الخمسين فصاعداً - صاروا مضرب الأمثال في الشجاعة، والمعرفة، والإقدام، والالهام

عدد ١٩. (٣) *حكمة المعلم والطبيب* «فعلم يسوع» — بقوَّته الخارقة التي تقرأ صفحات القلوب، «انهم كانوا يريدون ان يسألوه. فقال لهم أعن هذا تتساءلان فيما بينكم.. الحق الحق اقول لكم» — هذا دليل آخر على حكمة المسيح المتناهية، التي ظهرت في علمه بذات الصدور، وفي معالجته ضعفات تلاميذه

ثم بعد قليل ايضاً ترونني . ٢٠ الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون
وتنوحون والعالم يفرح . انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى
فرح . ٢١ المرأة وهي تلد تحزن

باحسن الوسائل ، وأدقها . فمع ان المسيح لم يجبهم عن تساؤلهم عما «هو هذا القليل الذي يقول عنه» — إذ ترك معرفة هذا ، لاختباراتهم في ضوء الزمن ، بنور الروح القدس — الاَّ انه عالج ضعف قلوبهم، وسكب فيها عزاء مجيداً بنعمته، اذ عرفهم بالشعور الذي سيكونون عليه بعد كل من هاتين الفترتين المعبَّر عنهما بكلمة : «قليل» . انهم بعد «القليل» الاول سيبكون . و بعد «القليل» الثاني سيفرحون . ووجه العزاء ، ان حزنهم ذاهب ، وفرحهم مجيد خالد

عدد ٢٠ . (٤) مقابلة مزدوجة : «الحق الحق ..» . يقع هذا العدد في شطرين : في الشطر الاول نجد مقابلة بين حزن التلاميذ ونوحهم ، و بين فرح العالم اليهودي : «انكم ستبكون وتنوحون » . بهذه الكلمات وصف المسيح مبلغ تأثرهم في الفترة التي رقدها جسده في القبر . وفي الشطر الثاني ، نرى مقابلة بين حزن التلاميذ الوقتي ، و بين فرحهم الدائم الذي يعقب حزنهم . «انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح » . ان فرحهم هذا سيُكمل عند مجيء المسيح ثانية

عدد ٢١و٢٢ . مزايا فرح التلاميذ : « المرأة وهي تلد تحزن .. » . من مزايا هذا الفرح: (أ) انه وليد ساعة الشدة (عدد ٢١) . ما الذَّ الراحة تعقب التعب ، وما ابهج الفرح يعقب الشدَّة . فمن الامور المعزية والمشجّعة : (١) ان

لان ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لانه قد وُلد انسان في العالم. ٢٢ فانتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع

الشدة التي تعانيها المرأة، مهما تكن قوية بحدّتها، فهي قصيرة في مدّتها. لذلك وصفها المسيح بقوله: «ساعتها». (٢). انها شدّة تسفر عن «ولادة انسان في العالم»، فيُولَد معه فرح لا يعبَّر عنه ومجيد. وكذلك ساعة الشدة التي قاساها التلاميذ لم تطل كثيراً، اذ لم تزد عن ثلاثة ايام، لكنها تمخضت عن مولود جديد—اعني به كنيسة المسيح الحيّ، عمود الحق وقاعدته. فقد وُلدت الكنيسة الجديدة يوم الخمسين. فأُخلِق بها من شدّة مجيدة نحمد الله عليها

عدد ٢٢. (ب) *انه فرح ناشئ عن عودة المسيح لرؤية تلاميذه*: «فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم». في عدد١٦ تحدّث المسيح عن رؤية التلاميذ اياه، لكنه في هذا العدد تحدث اليهم عن رؤيته اياهم. حسن وجميل ان يُتاح لنا ان نرى المسيح فنستمد منه العون كما يستمد العبد عونه من سيده حين يرفع نظره اليه. ولكن أحسن منه وأجمل، ان يجود المسيح تكرماً فيُلقي نظرة علينا—هذه خير رعاية وعناية منه لنا. فما ابهى وأمجد ان تكون هذه الرؤية متبادلة بين المسيح وتلاميذه

(ج) *انه فرح قلبي لا ينزعه منهم أحد* «فتفرح قلوبكم ولا ينزع احد فرحكم منكم». هذا امتياز الفرح الذي يهبه الله، على الفرح الذي يمنحه العالم. ان الفرح الذي يهبه الله هو فرح قلوب. واما ذاك الذي يهبه العالم فهو فرح

احد فرحكم منكم. ٢٣ وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً. الحق
الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. ٢٤ الى
الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي

ناشيء عن امتلاء الجيوب. الفرح الالهي كنبع فياض في قلب الصخور والجبال، لا تستطيل اليه يد الحدثان، لكن الفرح العالمي دائم التقلب. فهو في هبوط وارتفاع، وارتفاع وهبوط — ما اكثر هبوطه وما اقل ارتفاعه

عدد ٢٣. (د) انه فرح مؤسس على معرفة وافية، وقوة كافية. فالمعرفة الوافية يدل عليها قوله: «في ذلك اليوم» — اي في يوم الخمسين — «لا تسألونني شيئاً». اي تكفون عن اسئلتكم (عدد ١٧ و١٨ و١٩) فلا تعودون تستفهمون مني عن شيء، لان الروح القدس سيأخذ مما لي ويعطيكم، فيملأ قلوبكم بما تحتاجون اليه من المعرفة. والقوة الكافية ظاهرة من قوله: «الحق الحق اقول لكم. ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم». ان كلمة «كل ما طلبتم» جامعة في مداها، وهي تشير الى صلوات التلاميذ باسم المسيح بعد امتلائهم من الروح القدس يوم الخمسين. هذا نبع قوة فياض للتلاميذ، لانه بمثابة «تحويل» على بنك السماء، بغير قيد ولا شرط — الا «اسم المسيح». ولقد اوضحنا المراد بهذه العبارة: «اسم المسيح» في ١٤: ١٣ و١٤. فاطلبها هناك

عدد ٢٤. (هـ) حث وانهاض. ونتيجتهما. اما الحث، ففي قوله: «الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي». ان معرفة التلاميذ بهذا «الاسم» الجليل، كانت لدى الآن ناقصة مبتورة، فلم تبلغ مدى ملئها الا بالاعلانات الجديدة التي اوحى

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً . ٢٥ قد كلمتكم بهذا بامثال
ولكن تأتي ساعة حين لا اكلمكم ايضاً بامثال بل اخبركم

بها اليهم الروح القدس يوم الخمسين، حين أفهمهم الغاية القصوى من تجسد المسيح ورسالته ، واحاطهم باسرار فدائه ، وأراق في قلوبهم نوراً سماوياً أبان لهم به حقيقة ذاته وصفاته . فما كانوا اذاً يستطيعون ان يصلّوا باسم المسيح ، الا منذ يوم الخمسين فصاعداً (١٤:١٧—٢٣) . هذا مراد المسيح من قوله : «الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي» . بل هذا هو ايضاً موقف كل انسان يعيش قبل يوم الخمسين اختبارياً . اما الانهاض، ففي قوله : «اطلبوا تأخذوا» — في هذه الكلمات ، انتقل المسيح بفكره تلاميذه ، الى يوم الخمسين ، حين يتاح لهم ان يصلوا باسمه — اي في مقامه وفي نور الاعلانات التي ستبلَّغ اليهم عنه

واما نتيجة الحث والانهاض ، ففي قوله : « ليكون فرحكم كاملاً » . ان الفرح الكامل هو الفرح الناضج ، الدائم الوجود ، والمالئ القلب

السهم السابع ، والاخير — نضرة بعد كسرة (١٦:٢٥—٣٣)

عدد ٢٥ . *الى الآن . . . وفي تلك الساعة* : «قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي ساعة حين اخبركم عن الآب علانية» . *الى الآن* كلّم المسيحُ تلاميذه «بأمثال» — مثل كلامه عن الكرمة والاغصان ، والطريق ، والمرأة في شدتها . على ان كلمة «امثال» ليست قاصرة على الالغاز ، والمجازات ، والاستعارات ، والكنايات المدونة في بشارة يوحنا ، لكنها تشمل ايضاً الامثال التي حفظها سائر البشيرين (انظر متى ١٣ ولوقا ١٥) . واما متى جاءت «الساعة» التي

عن الآب علانية . ٢٦ في ذلك اليوم تطلبون باسمي . ولست اقول
لكم اني انا اسأل الآب من اجلكم . ٢٧ لان الآب نفسه يحبكم
لانكم قد احببتموني

يمتلئون فيها من الروح القدس يوم الخمسين ، فحينئذ لا يكلمهم بالغاز غير مفهومة ، بل يخبرهم عن الآب علانية ، لان الروح القدس سيعلمهم كل شيء بوضوح ، وجلاء ، وعلانية

عدد ٢٦و٢٧ . *شدة محبة الآب للتلاميذ وماهيتها* : «في ذلك اليوم» —اي في يوم الخمسين— «تطلبون باسمي» . هذا وصف لما يجب ان تكون عليه الكنيسة في سهرها ، واستعدادها ، وصلاتها . «ولست اقول اني انا اسأل الآب من اجلكم لان الآب نفسه يحبكم» . اراد المسيح بهذه الكلمات ان يطبع على قلوب التلاميذ ، صورة واضحة ، جلية ، لشدة محبة الآب لهم فأفهمهم ان الآب يحبهم من تلقاء نفسه ، محبة قوية اختيارية . لا يحتاج معها الى استعطاف من جانب المسيح لاجلهم . ولم يقصد الفادي بهذا الكلام ان ينفي شفاعته . كلا . فان خلاصة الانجيل كله ، هي ان المسيح شفيعنا الأوحد (عب ٧: ٢٥) ، ولا يُعقل ان المسيح ينقض ما سبق فقرره في هذا الخطاب الوداعي (١٤: ١٦) . وانما اراد ان يحذر التلاميذ من ان ينظروا الى شفاعته كأنها وسيلة لاستعطاف الآب نحوهم ، لان الآب يحبهم من تلقاء نفسه، ومن فرط محبته لهم ، دبر لهم الفداء بما فيه شفاعة المسيح

ماهية محبة الآب لهم : «لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله

وآمنتم اني من عند الله خرجت . ٢٨ خرجت من عند الآب وقد

خرجت » . هذه محبة الآب الخاصة نحو المؤمنين الذين دخلوا عائلته المقدسة بحق انتسابهم الى ابنه الوحيد — اذ احبوه ، وآمنوا به . فبمحبتهم له ، صاروا أهلاً لان يكونوا موضوع محبة الآب (١٤: ٢١و٢٣) . وبايمانهم به ، أُعطوا سلطاناً ان يصيروا أولاد الله (١: ١٢) . ان الله يعتبر اصدقاء ابنه، اصدقاءه ؛ ويميل الى اجابة سؤلهم . وعلة ذلك — المسيح . لانه فيه اختارنا ، وفيه احبنا ، وفيه دعانا ، وفيه بررنا ، وفيه يقدسنا ، وفيه يمجدنا

«لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله خرجت» . يقول جودي: ما دام التلاميذ ثابتين في المركز الجليل الذي أهلتهم له محبة المسيح ، فليسوا في حاجة الى شفاعة المسيح . ولكن ان سقطوا عن هذا المقام ، واخطأوا ، عندئذ تلزمهم الشفاعة: «ان اخطأنا فلنا شفيع » (١يو ٢: ١)

«احببتموني وآمنتم» — من السهل على المرء ان يثق في من يحب. لان الثقة تاج المحبة ، وعدم الثقة وليد عدم المحبة

عدد ٢٨ . خلاصة مجيدة : « من عند الآب . . . الى الآب» . هذه خلاصة مركَّزة لتاريخ رسالة المسيح ، في اربع كلمات :

نبع رسالته :«خرجت من عند الآب». مهبط رسالته: «أتيت الى العالم»

انجاز رسالته: «وأيضاً اترك العالم». منتهى رسالته: «واذهب الى الآب»

ويجوز ان نحلل هذه الآية الخالدة تحليلاً آخر :

ازلية الكلمة:«خرجت من عند الآب». تجسد الكلمة:«وأتيت الى العالم»

اتيت الى العالم وايضاً اترك العالم واذهب الى الآب . ٢٩ قال له
تلاميذه هوذا الآن تتكلم علانية

اتمام رسالة الكلمة: «اترك العالم». *أبدية الكلمة*: «واذهب الى الآب» ومن الممكن ان ننظر الى هذه الآية كأنها ترجمة مختصرة لحياة المسيح: *من المجد*: «خرجت من عند الآب»، *الى المذود* «وأتيت الى العالم» *الى جبل الزيتون*: «وايضاً ترك العالم»، *الى المجد*: «واذهب الى الآب»

عدد ٢٩–٣٢. *اقرار مفرح وتحذير مؤلم*: «قال له تلاميذه..أجابهم يسوع»

عدد ٢٩و٣٠. (أ) *اقرار مفرح*: «قال له تلاميذه..». سمع التلاميذ من المسيح، تصريحه الجليل عن خلاصة ترجمة حياته: «من عند الآب... الى الآب»، فوجدوا انفسهم مغمورين بنور باهر، ما كانوا يتوقعونه. وشعروا كأنّ تصريح المسيح في عدد ٢٨، قد سابق وعده المتضمن في عدد ٢٥، فسبقه وغطّاه. فأمام هذا التصريح النيّر، فاضت قلوبهم باقرار، جاهروا فيه: — أ— *ادراكهم معنى كلامه بوضوح* (عدد ٢٩). —ب— *تحققهم من علمه الكلي* (عدد ٣٠أ). — ج— *ايمانهم به* (عدد ٣٠ب)

عدد ٢٩. — أ —*مجاهرة التلاميذ بادراكهم كلام المسيح بوضوح*: «قال له تلاميذه، هوذا الآن تتكلم علانية». كلمة: «هوذا»، كثيرة الورود في بشارة يوحنا. فقد وردت فيها وحدها اكثر مما في سائر اسفار العهد الجديد معاً (انظر ٣: ٢٦و٥: ١٤و١١: ٣٦و١٢: ١٩و٩: ٤ودو١٤). وكلمة: «علانية» تدلّ على انهم شعروا كأنهم في نور نهار العلم الكامل، الذي وعدهم به المخلص

ولست تقول مثلاً واحداً. ٣٠ الآن نعلم انك عالم بكل شيء ولست تحتاج ان يسألك احد. لهذا نؤمن انك من

في عدد ٢٥، فصاروا لا يحتاجون معه الى مزيد من النور. على ان «العلانية» كما قصدها المسيح، خاصة باعلاناته عن الآب (عدد ٢٥)، و «العلنية» كما قصدها التلاميذ، تصف كلام المسيح عن رسالته هو (عدد ٢٨). وهي في كلا الحالين تعني الوضوح من غير ألغاز، والجلاء من غير خفاء

عدد ٣٠ — ب — *اقرار التلاميذ بتحققهم من علم المسيح الكلي* : «الآن» — قبل ان تأتي تلك الساعة المذكورة في عدد ٢٥ — «نعلم» — علم اليقين والتحقق — «انك عالم بكل شيء ولست تحتاج ان يسألك أحد». ان علم المسيح بنيّات قلوبهم، وخواطر افكارهم، قبل ان يصرّحوا له بها، قد أنطق ألسنتهم بهذا الاعتراف الجميل، الذي يشبه اعتراف نثنائيل حين انبأه المسيح بأنه رآه تحت التينة قبل ان يدعوه فيلبس (١: ٤٨و٤٩). واما قولهم: «ولست تحتاج ان يسألك أحد»، فراجع الى اجابة المسيح على اسئلتهم قبل ان يسألوه اياها (عدد ١٩). عادةً لا يستطيع المعلم ان يفهّم التلاميذ درساً، الا متى فهم هو أفكارهم، ولا يستطيع ان يفهم افكارهم الا بالاسئلة التي يلقونها عليه. اما المسيح، معلمنا الاعظم، فقد اقرّ له التلاميذ بأنه «عالم بكل شيء وليس محتاجاً ان يسأله أحد». فقد أقرّوا اذاً بانه عليمٌ بذات الصدور

— ج — *اقرار التلاميذ بايمانهم بالمسيح ورسالته*: «لهذا نؤمن انك من الله خرجت». باقرارهم هذا، ردّدوا صدى صوت المسيح في عدد ٢٨: «خرجت

الله خرجت. ٣١ اجابهم يسوع ألآن تؤمنون. ٣٢ هوذا تأتي ساعة
وقد اتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته

من عند الآب» . ان هذا الاقرار — نظير اقرار نثنائيل — يتناول امرين :
أولهما ، سمو اصل المسيح . وثانيهما : مصدر رسالته

عدد ٣١ و ٣٢ (٢) *تحذير مؤلم* : «ألآن تؤمنون؟اهوذا تأتي ساعة..»
في هذه الكلمات يمتزج الاستفهام بالتعجب ؟! . وهي ترينا — أ — *انه المسيح
أقر التلاميذ على ايمانهم هذا، ورحب به* (١٧ : ٨) . — ب — *انه نبههم
الى عدم نضوج هذا الايمان*. وحذرهم من علم ثباتهم امام العاصفة: «هوذا
تأتي ساعة » — ساعة القبض عليه ، وتسليمه الى أيدي اعدائه ، ومحاكمته ،
وصلبه — «وقد أتت الآن » . بما ان اول حلقة من هذه السلسلة المحزنة
قد وقعت، بخروج يهوذا من صفوفهم، واتفاقه مع الاعداء، فقد انفرطت معها
سائر حلقات السلسلة، واعتبرت كلها في حكم الأحلال والوقوع . لذلك قال
المسيح: «وقد أتت الآن».فضلاً عن ذلك فان كلمة: « الآن» لا تعني مجرد
وقت في سجل الزمن ، لكنها تعين نقطة فاصلة في تدبير الفداء (٥ : ١٢
و١٣: ٧ و٣٣ ورؤيا ١٢: ١٠) . ومن المحزن ، ان يكون التلاميذ في هذه
«الساعة» الفاصلة ، غير خليقين بهذا الايمان الذي جاهروا به ، بل يرجعون
القهقرى ، و ينزلون عن هـذا المستوى الراقي الذي رفعهم اليه حديث المسيح
الوداعي . «تتفرقون فيها» — كما تتفرق الرعية بعد ان يُضرَب الراعي (انظر
١٠: ١٢ وزكريا ١١: ١٦ و١٣: ٧) — « كل واحد الى خاصته » . كلمة :

وتتركونني وحدي. وانا لست وحدي لان الآب معي. ٣٣ قد
كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق.

«خاصته» قد تعني — بيته (١٩: ٢٧)، أو مهنته (متى ٢٦: ٥٦)

— ج — المسيح ينبئهم بوحدته المأنوسة: «وتتركونني وحدي. وانا لست وحدي لأن الآب معي». ما اشبه هذا النبأ باليوم الطبيعي! شطره الاول حالك كالليل: «وتتركونني وحدي». وشطره الثاني مضيء كالنهار: «وانا لست وحدي لان الآب معي»

الوحدة نوعان: وحدة محلية مكانية — كوحدة السجين في سجنه الانفرادي. ووحدة معنوية نفسية، هي تلك التي يقاسيها المصلح حين يكون محاطاً بجمهور من قومه وذويه، الذين لا يشاطرونه افكاره، وآماله، وآلامه. هذا النوع الثاني من الوحدة هو الذي قاساه المسيح. فقد كان وحيداً في آماله، وآلامه، وافكاره، وشخصيته، وصفاته، وتضحيته. حتى أثناء وجود التلاميذ معه، كان وحيداً. فكيف به بعد تفرقهم عنه؟ غير ان وحدته التي قاساها بالنسبة للغير، كانت في الوقت نفسه وحدة مأنوسة: «وانا لست وحدي، لان الآب معي». هذه هي الوحدة التي لا تعرف الوحشة. ان الانصراف عن الناس هيأ له فرصة مناسبة للاختلاء بالآب: «لان الآب معي» — ليست هذه مجرّد معية — وان تكن ملكية — وانما هي وحدانية الروح، والالفة، والمحبة، والمساواة.

عدد ٣٣. مسك الختام: «لكم فيَّ سلام». «في العالم... لكم ضيق»

ولكن ثقوا. انا قد غلبت العالم

ولكن ثقوا أنا . . » . ما اجمل هذا الختام الذي فيه رسم المسيح للتلاميذ صورتين متناقضتين وختمهما بنتيجة مائدة . في الصورة الاولى رسم لهم البيئة الروحية الداخلية المحيطة بهم : «فيّ» . وفي الصورة الثانية وصف لهم البيئة المادية الخارجية المحدقة بهم: «في العالم»، ثم قارن بين هدوء البيئة الاولى : «فيّ سلام»، وهياج البيئة الثانية: «في العالم... ضيق». ومن فرط حب الفادي، أنه لم يتركهم في حيرة من جهة مصير كل من هاتين البيئتين، بل انبأهم بالصراع المنيف الذي حمي وطيسه بينهما ، فانتهى بانتصار المسيح على العالم

وردت استعارة «الغلبة» ، في كتابات يوحنا مراراً عدة ، ومرتين فقط في كتابات بولس (رو ٨:٣٧ و ١٢:٢١) . ولم ترد قط في كتابات غيرهما

ان نصرة التلميذ ، مستمدة من نصرة السيد ، وان حلقة الاتصال بينهما هي الثقة. فلن ينتفع التلميذ بنصرة سيده الا على قدر ما يثق بسيده: «ولكن ثقوا » . وان مجد نصرة الفادي هو انها تمت فعلاً . فاذا ما حاربنا العالم ، فلنذكر اننا نحارب عدواً مهزوماً ، واننا نجاهد جهاداً مضمونة نتيجته

الاصحاح السابع عشر

مطالب الشفيع الاعظم

بعد انْ فرغ المسيح من التحدث الى تلاميذه ، انصرف الى حديثه مع الآب . في تحدثه الى تلاميذه ، أحاطهم بحنوه ، وشملهم بنظره ، مخاطباً اياهم بالقول : « يا اولادي ! » (١٣: ٣٣) . وفي حديثه مع الآب ، رفع عينيه نحو السماء وقال : «ايها الآب » . ما أقرب التشابه الكائن بين الحديثين في براعة الاستهلال ! فقد استهل المسيح حديثه مع تلاميذه بالقول : «الآن تمجدّ» ، وافتتح كلامه مع الآب بالقول : «قد أتت الساعة . مجّد» . فالفاتحة في كليهما تشير الى الصليب الذي يكلله المجد

هذا الاصحاح، كما قال فيه بنغال «يُعتَبر في مقدمة فصول الكتاب من حيث بساطة التعبير وسهولة اللفظ . وفي طليعتها ، من حيث سموّ الفكر»

في هذا الفصل ، حُفظت خير صلاةٍ رُفعت بعد خير عظة في التاريخ

قدّم المسيح هذه الصلاة على مسمع من التلاميذ ، وعلى مقربة منهم ، في ذلك المكان عينه الذي ألقى فيه القسم الثاني من خطابه الوداعي . وقد أخذنا بالرأي القائل انه القاه في البقعة القريبة من وادي قدرون عند منحدر جبل الزيتون . قدّم المسيح هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ، ليقدم لهم مثالاً لصلاته على الارض، وصورة ضئيلة لشفاعته في السماء

في هذه الصلاة اجمل المسيح ما قاله في خطابه الوداعي . ووضع ختمه على كل اعماله الماضية ، ملقياً نظره على الماضي ، والحاضر ، والمستقبل

١ تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء

هذه صلاة التكريس التي رفعها الكاهن الاعظم ، وفيها قرّب ذاته قرباناً على مذبح التكريس في الهيكل السماوي ، قبل ان يقدمها ذبيحة على الصليب في هيكل الجلجثة . وفيها ايضاً رفع صلاة شفاعية ، ضمّنها ثلاثة مطالب :—

اولاً : طلبه المتعلق بشخصه في صلته بالآب — ليسترد مجده (١٧: ١ — ٥)

ثانياً : طلبه الخاص بعمله — لاجل حفظهم وتقديسهم (١٧: ٦ — ١٩)

ثالثاً : طلبه بشأن كنيسته — لاجل توحيد صفوفها (١٧: ٢٠ — ٢٦)

هذه المطالب الثلاثة مجتمعة كلها حول عبارةٍ واحدة : «مجد الله» الطلب الاول (١٧: ١ — ٥) — يتركّز في كلمة واحدة : «مجّد» (عدد ١ و٥) . والطلب الثاني يدور حول كلمتين : «احفظهم» (عدد ١١) و «قدّسهم» (عدد ١٧) . والطلب الثالث تجمعه ثلاث عبارات : «ليكون الجميع واحداً» ، «يكونون معي» ، «ليكون فيهم الحب» (عدد ٢١ و٢٤ و٢٦)

اولاً : الطلب الاول — متعلق بشخص المسيح في صلته بالآب (١٧: ١ — ٥)

تحدثنا هذه الاعداد ، عن ثلاثة امور خاصة بهذا الطلب المتعلق بالمسيح:

عدد ١ . (أ) جوهر هذا الطلب . ينبئنا هذا العدد بـ : (١) الظرف الذي قدم فيه هذا الطلب : « تكلم يسوع بهذا ورفع . . . » . بعد ان فرغ المسيح من مخاطبة الارض اتجه الى مخاطبة السماء . (٢) اتجاه هذا الطلب : « رفع عينيه نحو السماء » . هذه الكلمات تعيّن اتجاه افكار المسيح ، كما انها تعيّن ايضاً اتجاه الصلاة نفسها : « نحو السماء » . في هذا درس لمن يصلّون

وقال ايها الآب

وعيون اذهانهم شاخصة الى الناس ، منتظرين علامة استحسان او كلمة ثناء . هؤلاء ، صلاتهم أفقية ، لا عمودية ، فهي « حائمة » حول رؤوس الناس ، وليست « صاعدة » بثبات الى عرش الله . على ان هـذه الكلمات ليست قاصرة على تعيين اتجاه انظار المسيح وقت رفعه هذه الصلاة ، لكنها تصف ايضاً اتجاه حياة المسيح بأسرها ، فقد قضى كل حياته على الارض ، وهو على اتصال دائم وثيق بالآب الذي في السماء . (قابل هـذا بما جاء في ١١:٤١ و لوقا ١٨:١٣ و أعمال ٧:٥٥) . ومع ان الله موجود في كل مكان ، الا ان جلال السماء المنظورة ، هو خير رمز لمجد الله المتلالىء في السماء الغير المنظورة وكذلك رَفْع العينين الى السماء ، يحمل رمزاً ضمنياً الى تسامي النفس فوق القيود المادية المحيطة بها . (٣) *الشخص الذي قدم هذا الطلب* : « يسوع » . هذه صلاة الشفيع الاعظم حال وجوده بالجسد على الارض ، وهي ايضاً دليل على شفاعته في السماء ، حيث حمل معه بشريتنا في جسد مجده . (٤) *الشخص الذي اليه رفع هذا الطلب* : «وقال ايها الآب» . لما علَّم المسيح تلاميذه ان يصلوا ، قال لهم : متى صليتم فقولوا «ابانا .....» ، لانهم اخوة — مع سائر المؤمنين — للآب الواحد . لكنه لما صلى هو ، قال : «ايها الآب» غير حاسب معه شريكاً في هذه النسبة القدسية الفريدة . فهو «الابن الوحيد» بمعنى سامٍ يمتاز عن بنوة المؤمنين للآب . وقد استعمل المسيح في هذه الصلاة ، الكلمة الارامية : «الآب» ، للتعبير عن تلك الصلة الباطنية ، الروحية

قد اتت الساعة . مجد ابنك

السرية ، الغير المدركة ، الكائنة بين الاقنوم الاول ، والاقنوم الثاني في اللاهوت (قابل هذا بما جاء في شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٣١١)

ان الله اب لجميع الجنس البشري ، بوجه عام ، باعتبار كونه خالق الجميع وهو اب للمؤمنين بنوع خاص ، لانه تبنَّاهم لذاته ، واودع في قلوبهم حياة روحية مستمدَّة من روحه ، وهو فوق كل ذلك ، اب للمسيح بصفة ممتازة ، فريدة ، على اساس ما بين الاقنومين من وحدة في الجوهر ، وتشابه في الصفات ، ومحبة عميقة ، أزلية ، أبدية . فالمؤمنون هم ابناء الله بالتبني ، لكن المسيح هو « الابن » طبيعياً وحقاً . وغنيٌّ عن البيان ، ان هذه الصلة الكائنة بين الاقنومين تختلف اختلافاً بيِّناً ، عن الصلة الكائنة بين الوالد والمولود الارضيين فالاولى صلة روحية ، سماوية ، والثانية جسدية أرضية (لمزيد الايضاح راجع تفسير ١:١٨) . ومن الملاحَظ ، ان المسيح فاه بهذه الكلمة : «الآب» ، بنغمة الثقة ، التي هي وليدة الدالة البنوية الصادقة . (٥) جوهر هذا الطلب : « قد أتت الساعة » — يريد «الساعة» التي تُبدأ بالصلب ، وتُتوج بالقيامة ، والصعود والمجد . هذه هي «الساعة» التي سبق المسيح فقال عنها في مناسبات سابقة : انها لم تكن « قد أتت بعد » (٧:٣٠ و ٨:٢١) . «مجِّد ابنك» — ان تمجيد الابن هو اظهار جلال طبيعته ، وكمالات قوته ، وقوة كمالاته ، امام عيون الناس ، بنصرته على الصليب ، وكسره شوكة الموت ، واعادته الى المقام الجليل الذي كان متمتعاً به قبل اتضاعه بالتجسد . كما ان تمجيد الآب هو اظهار اسمه الكريم للناس ، بقدسيته ، وقوته ، وجلاله (عدد ٦)

ليمجدك ابنك ايضاً. ٢ اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد

(ب) غاية هذا الطلب (عدد ١ ب): «ليمجدك ابنك ايضاً» — باعلان اسمك واعلائه امام عيون المؤمنين، والعالم. لم يذكر المسيح كلمة: «الابن» في حالة الاطلاق، بل في نسبتها الى الآب: «ابنك». ان تمجيد الابن، شرط لازم لتمجيد ابيه، كما ان تمجيد الآب، نتيجة طبيعية لتمجيد ابنه (انظر ٨:٢). فالآب يمجد الابن، برضاه عنه، وتأييده له، وتعضيده اياه، ليكسر شوكة الموت. والابن يمجد الآب، بتعريف الناس به، واتمام الرسالة التي تسلمها منه، والطاعة حتى الموت، موت الصليب

عدد ٢. (ج) الاساس الاول لهذا الطلب — ايهاب حياة ابدية للمؤمنين «اذ اعطيته سلطاناً على كل جسدٍ ليعطي حياة ابدية لكل من اعطيته». إن المجد الذي طلبه المسيح، هو تاج رسالته على الارض، وهو مكافأتها. وان الحياة التي أُعطي المسيح سلطاناً ليهبها لخاصته، ليست قاصرةً على البقاء، ولا هي مجرد الشعور بالوجود، لكنها حياة صادرة من الآب، عن طريق المسيح الذي هو الطريق. اذ به وحده يستطيع البشر ان يعرفوا الآب. (ايوب ٢١:٢٢ ومتى ١١:٢٧)

الكلمة الاولى: «كل»، في قوله «كل جسد»، كما وردت في الاصل تعني الكتلة البشرية كافة، التي وُهب المسيح سلطاناً مطلقاً عليها، حين أُرسل الى الارض برسالة الخلاص (متى ٢٨:١٨). والكلمة الثانية: «كل» في قوله «لكل من اعطيته»، تعني كل فرد من المؤمنين الذين أُعطوا للمسيح

ليعطي حيوة ابدية لكل من اعطيته. ٣ وهذه هي الحيوة الابدية ان
يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك

ليكونوا خاصته في عهد الفداء. ف «كل» الاولى، تعميمية إجمالية، و «كل»
الثانية تخصيصية تفصيلية. وقد استعمل المسيح كلمة: «جسد» لتعني الانسان
كله في حال الضعف. هذا من قبيل إطلاق الجزء على الكل

ان العبارة الثانية في هذا العدد: «ليعطي حياة أبدية»، موازية للعبارة
الثانية في العدد الاول «ليمجدك ابنك ايضاً». فكأن المسيح طلب الصعود
الذي به يتمجد، ليكون تمهيداً ليوم الخمسين الذي فيه سيُودِع «روح» حياته
في قلوب المؤمنين. وان قوله «كل من اعطيته» يذكرنا باقواله التي مررنا بها
في ٦: ٣٧و٤٤و٦٥ — «كل ما يعطيني الآب فاليَّ يُقبل ... لا يقدر احد ان
يُقبل اليَّ ان لم يجتذبه الآب... لا يقدر احد ان يأتي اليَّ ان لم يُعطَ من أبي»

عدد ٣. (د) *الصلة الأكيدة بين تمجيد الله وإيهاب الحياة للمؤمنين —*
ما هية هذه الحياة الابدية: «وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك انت الاله
الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته». فالحياة الابدية تقوم بمعرفة
الآب والمسيح الذي ارسله. ومن المهم ان نلاحظ الوصف الذي وصف به
المسيحُ الآبَ، فهو وصف مثلث: (١) «الاله» — فهو إله ذاتي — هذا أكبر
معول يهدم الاعتقاد بألوهية الكون. (٢) «الحقيقي» — ضد الوهمي، والخيالي،
والنظري — هذا اقوى معول هادم لكل فلسفة طبيعية وهمية. (٣) «وحدك» —
أي المتفرد بالالوهية — هذا اعظم معول يهدم الاعتقاد بتعدد الآلهة. وجدير

ويسوع المسيح الذي ارسلته.

بالذكر، ان هذا هو الموضع الوحيد، في كل الكتاب المقدس، الذي فيه نطق المسيح بلقبه كاملاً مردفاً إياه برسالته ، فقال عن نفسه : «يسوع المسيح الذي ارسلته» . ولعلّ السبب في ذلك ، ان الفادي كان الى الآن متجنباً استعمال كلمة « المسيح » عن نفسه امام الشعب — إلا في مرة واحدة امام السامريين (٤:٢٦). يؤيد هذا وصيته لتلاميذه بعد اعتراف بطرس «ان لايقولوا لأحد انه يسوع المسيح » (متى ١٦:٢٠) . أما الآن ، وقد حان الوقت الذي فيه يُعدّ التلاميذ للكرازة بشخصه فادياً ومسيحاً،فلم يكن هنالك بُدّ من ان يُسمع تلاميذه هذا اللقب كاملاً ولو مرة واحدة ، قبيل انقضاء حياته على الارض . فبقوله : «يسوع» ، اراد اسمه الانساني — ومعناه مخلص ، وهو من مصدر عبري ، أصله «وَسع» اي أفرج وخلّص (متى ١:٢١) . و بقوله : «المسيح» اراد وظيفته الفدائية باعتبار كونه المسوح من الله بمسحة الروح القدس ليكون ملكاً روحياً على شعبه . وقوله : « الذي ارسلته » ، يفيد سلطانه المطلق ، الذي جاء ارضنا متقلداً إياه حاملاً اسم الآب وقوّته . ومن الأهمية بمكان ، ان نلاحظ انّ في وضع اسم « يسوع المسيح » جنباً الى جنب مع اسم «الاله الحقيقي وحده» ، برهاناً ضمنياً على لاهوت المسيح، لان هذا معناه ان معرفة المسيح موازية لمعرفة الاله الحقيقي وحده . وان هذه المعرفة المزدوجة هي اساس الحياة الابدية، وقوامها، وتاجها .اذ ليس المسيح مجرد أداة للمعرفة ، بل هو موضوع هذه المعرفة بمقدار كون الآب نفسه موضوع هذه المعرفة عينها

٤ انا مجدتك على الارض. العمل الذي اعطيتني لاعمل قد اكملته.
٥ والآن مجدني انت ايها الآب

عدد ٤. الاساس الثاني لهذا الطلب: اتمام المسيح العمل الذي تسلم من الآب: «انا مجدتك على الارض. العمل الذي اعطيتني لأعمل قد أكملته». ان الأساس الاول الذي ذكره المسيح في عدد ٣، كائن في بطن المستقبل: «ليعطي حياة أبدية». لكن الأساس الثاني المذكور في هذا العدد مرتكز الى حقيقة تمت فعلياً في الماضي: «انا قد مجدتك على الارض، العمل الذي اعطيتني لأعمل قد أكملته»

يتألف هذا العدد من مقطعين، اولهما ممهد للثاني، وثانيهما مفسر ومكمل للاول. وكلا المقطعين يكوّن انشودة جميلة صادرة عن نفس مطمئنة، وضمير مستريح، وحياة ظافرة، خالية من خطايا الفعل وخطايا الترك. لان المسيح كامل كمالاً ايجابياً لا سلبياً. فهو لم يعمل شراً ولم يُغفِل خيراً

عدد ٥. عود الى بدء — المسيح يسترد مجده الازلي للذي اخلى نفسه منه عند التجسد: «والآن مجدني انت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم». ان قول المسيح: «عند ذاتك»، يقابله المكان الوضيع الذي كان فيه المسيح « على الارض » وقت رفعه هذه الصلاة. وان قوله: «المجد الذي كان لي عندك»، يقابله اتضاع المسيح وتتلمذه. نعم كان المسيح حال وجوده على الارض، متمتعاً بمجد « كما لوحيد من الآب » (١: ١٤). لكنّ مجده في حال اتضاعه ليس سوى شعاعة من شمس مجده الذي كان له

عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك

عند الآب «قبل كون العالم». وان قوله: «عند ذاتك» يفسره قول البشير في مقدمة هذه البشارة: «والكلمة كان عند الله»، «الابن الوحيد . . في حضن الآب» (١: ١و ١٨) . هذا برهان جليّ، على ان المسيح ذاتٌ، أزليّ، لان الكائن عند ذات الله، ذاتٌ مثله. ومتى كان المجد أزلياً، فالممجَّد، ازليٌّ بالأَوْلى

كان المسيح اثناء وجوده على الارض، متسربلاً ثوب بشريّتنا، الذي حجب عن البشر لمعان مجده الاسنى، لدرجة جهله فيها الاكثرون، حتى الأهل والاقرباء. ولو كان قد كشف القناع عن هذا المجد، لعرفه كل من نظر اليه وصاح قائلاً: «هذا هو». لكنه، بارادته «اخلى نفسه» من ذلك المجد «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس» — بل في أوضع حال للناس — «فلا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس.. وكمستَّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به». على ان المسيح لم يفقد ذلك المجد الازلي، بتجسده. وانما تخلى عنه باختياره — الى حين — وكان دواماً حاملاً اياه بصورة محجوبة عن العيون المادية، فكان كجندي حامل سيفه معه أنَّى سار، وهو يحجب حدّ ذلك السيف في الغمد ليجرده أنَّى شاء. فلما «اتت الساعة» استرد المسيح ذلك المجد. ومن الامور التي تستحق منا شكر الله، ان المسيح استردّ ذلك المجد وهو حامل معه بشريتنا في جسد مجده، ولسوف «يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فيلبي ٣: ٢١)

ثانياً — طلبه الخاص بهم: لاجل تكريسهم وتقديسهم: (١٧: ٦ — ١٩).

قبل كون العالم . ٦ انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم

يتركز هذا الطلب في طلبتين اولاهما « احفظهم » (عدد ١١) ، وثانيتهما « قدّسهم » (عدد١٧). وقد مهّد المسيح للطلبة الاولى، وأردفها بذكر نسبة التلاميذ اليه ، ونسبتهم الى العالم على اعتبار ان هذه النسبة المزدوجة ، أساس مزدوج لهذه الطلبة . فالاساس الاول — اعني به نسبة التلاميذ الى المسيح ، مبيّنٌ في الاعداد ٦ — ١٠ . والاساس الثاني — أي وحشة التلاميذ في العالم ، واقع في الاعداد ١١ — ١٥

جميل ان نرى حسن ظن الفادي بتلاميذه الضعفاء ، لدرجة تغاضى فيها عن جهالتهم (١٩:١٤) ، وجبنهم (٣٢:١٦) ، حاسباً لهم ايمانهم به ، وحفظهم كلامه، وعلمهم بمصدر رسالته. لان عينيه الطاهرتين، لمحتا وراء نَبْتة ايمانهم الغضة ثماراً ناضجة ، ورأتا من خلال تقصيراتهم وضعفاتهم ، قلوباً مخلصةً ، ونفوساً واثقة . هذا أجمل تفسير لتلك النبوة القديمة التي قيلت عنه : «قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء» . فمن هذه القصبات المرضوضة، أقام اعمدةً راسخة في هيكل المسيحية ، ومن هـذه الفتائل المدخنة ، أقام منائر مضيئة

عدد٦ — ١٠ . (أ) الاساس الاول لهذه الطلبة: انتساب التلاميذ للمسيح

عدد ٦ : (١) وصف متقن للتلمذة الحقة في بنودها : «انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم. كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك».
في هذا العدد وضع المسيح ثمانية جوانب للتلمذة الحقة:— (١) التلمذة الحقة من جانب المسيح : « انا اظهرت اسمك للناس » . ان قوله : «انا اظهرت

كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك . ٧ والآن علموا ان

اسمك» ، يوازي قوله في عدد ٤ « انا مجدتك على الارض » ، وكلا القولين مفسر للآخر . اما « الناس » الذين قصدهم المسيح بقوله : «اظهرت اسمك للناس»، فهُم تلاميذه. (٢) *التلمذة الحقة من جانب الآب* : «الذين اعطيتني من العالم كانوا لك واعطيتهم لي»،فالتلاميذ هم عطية الآب (*) للمسيح (٦: ٤٤و٦٥) . (٣) *التلمذة الحقة من جانب التلاميذ* : « وقد حفظوا كلامك » . فمن هذه الثلاثة الجوانب نرى ان المسيح عرّف ، والآب أعطى ، والتلاميذ حفظوا . وكل هذه الثلاثة الجوانب مرتبطة ببعضها تمام الارتباط ، ومكونة حجة قوية رفعها المسيح الى الآب بقوله : «احفظهم في اسمك» (عدد ١١) . هذا بمثابة القول : «لا تتخلَّ عن عمل يديك» . ولا شك في ان هذه الطلبة تحمل معها إجابتها ، لانه لا يُعقل ان الآب يجعل خدمة المسيح عبثاً ، ولا ان يجعل عطيته هو تذهب هباء ، كما انه لن ينسى تعب محبة التلاميذ ، وعمل ايمانهم ، وصبر رجائهم ، في حفظهم كلام الله ، وقبولهم الفادي رباً ومسيحاً

عدد ٧و ٨ . *وصف مثلث للتلمذة الحقة في نموها وكمالها* : «علموا».... «قبلوا»....«آمنوا» . هذه ثلاث كلمات ، بمثابة ثلاث درجات في سلم الايمان الراقي . فالدرجة الاولى : « علموا » ، تعني التمييز . اي ان التلاميذ عند ما

(*) جاء في بعض المواضع في هذه البشارة: ان الآب يجتذب الناس الى المسيح ويعطيه اياهم (١٧: ٢٤، ٦: ٣٧ و ٤٤و٦٥ ، ١٠: ٢٩، ١٨: ٩) ، وورد في مواضع اخرى، ان المسيح «يختار» الناس و «يجتذبهم» الى نفسه (٦: ٧٠ و ١٥: ١٦ و ١٢: ٣٢) وفي كلا الحالين أعطي للبشر ان يختاروا او يرفضوا (١: ١١و١٢، ٣: ١٨ و١٩، ١٢: ٤٧و٤٨)

كل ما اعطيتني هو من عندك. ٨ لان الكلام الذي اعطيتني قد
اعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً اني خرجت من عندك وآمنوا انك
انت ارسلتني. ٩ من اجلهم انا اسأل. لست اسأل من اجل العالم

سمعوا رسالة المسيح، ميزوها وحكموا بأنها رسالة سماوية من عند الآب: «علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك». هذا نصيب العقل في الايمان. والدرجة الثانية: «قبلوا»، تفيد ترحيب التلاميذ بالمسيح ترحيباً قلبياً، وادخالهم اياه الى اعماق نفوسهم، نتيجة علمهم اليقيني الاختباري بمصدر رسالته وصدق مسيحيته. هذا نصيب القلب في الايمان. والدرجة الثالثة: «آمنوا»، تشير الى العزيمة الثابتة الملهمة بنور العقل والملتهبة بنار القلب. هذا نصيب الارادة في الايمان. فالايمان ينشأ بالمعرفة، ويستضيء بالتمييز، ويتغذى بالمحبة، ويتشدد بالعزيمة، ويُتوَّج بالثقة

ان المسيح يتكلم عن نفسه في هذه الاعداد باعتبار كونه فادياً ووسيطاً

عدد ٩. (١) مدى شفاعة المسيح: «من أجلهم انا اسأل. لست اسأل من اجل العالم بل من اجل الذين اعطيتني». يحدثنا هذا العدد، عن مدى تشفع المسيح، في كلمتين — الاولى: ايجابية جامعة، وبها يُستهل العدد ويُختتم «من اجلهم انا اسأل . . . . . . من اجل الذين اعطيتني لانهم لك». والكلمة الثانية: سلبية، مانعة، وهي واقعة في قلب هذا العدد: «لست اسأل من اجل العالم». على ان امتناع المسيح عن ان يتشفع في العالم، ليس امتناعاً مطلقاً بل محدوداً بهذا الظرف الخاص، لانه واضح من قول المسيح: «يا ابتاه اغفر لهم

بل من اجل الذين اعطيتني لأنهم لك . ١٠ وكل ما هو لي فهو لك ·

لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤) ، انه كان مصلياً من اجل العالم. ولكنه امتنع هنا عن ان يطلب للعالم حفظاً ، لان العالم لا يحتاج الى الحفظ ، ولا الى التقديس ، لكنه يحتاج اولاً الى التجديد ، والتغيير ، والايمان (١٧: ٢١).ولان حفظ العالم في حاله، نقمة لا نعمة.ولان اساس هذا التشفع لا ينطبق على العالم، الذي لم يحفظ كلام الله (عدد ٦) ، ولان العالم ليس من خاصة الله

ويعتقد رايل وبعض المفسرين ، ان المعنى في هذه العبارة ، منصرف الى شفاعة المسيح بوجه عام ، فهو لا يشفع في العالم المتمرد « الذي لا يقبل روح الحق» (١٤: ٢٧).لان الصلاة من أجل عالم هذا وصفه، تُحسب عبثاً . ونميل نحن الى الاخذ بالرأي الاول. ولعلّ كثيرين من الذين آمنوا بالمسيح يوم الخمسين ، كانت لهم شركة فعلية في صلب المسيح يوم الجمعة الحزينة

(٢) *الحجة الاولى لشفاعة المسيح في هذا الظرف*: «لأنهم لك» — فمع ان المؤمنين أُعطوا للمسيح، ليُقيتهم ويَقيهم ، الا انهم لا يزالون ملكاً للآب ، فالمسيح مكلف بحراستهم كراعٍ مؤتمن، وفادٍ أمين

عدد ١٠ — *الملكية المتبادلة* : «كل ما هو لي ، فهو لك . وما هو لك فهو لي» — هذا دليل على تكريس المسيح التام ، وعلى شعوره اليقيني بعظمة لاهوته ، واتحاده الكامل بالآب . فهل يقوى مجرد انسان ، على ان يخاطب الله بمثل هذه اللغة : « كل ما هو لك فهو لي » ؟ في امكان أي انسان مؤمن ، ان يشارك المسيح في العبارة الاولى : «كل ما هو لي فهو لك» ،

وما هو لك فهو لي وانا ممجَّد فيهم ١١ ولست انا بعد في العالم واما
هؤلاء فهُم في العالم وانا آتي اليك . ايها الآب القدوس

ولكن لا يجسر احد غير المسيح ان يشاركه في العبارة الثانية: «وما هو لك فهو لي» . ان قوله: «كل ما هو لي»، ليس قاصراً على الاشخاص، بل يشمل ايضاً كل الحقوق والممتلكات

(٣) الحجة الثانية لشفاعة المسيح في هذا الظرف — التلاميذ المحفوظون هم اداة لتمجيد المسيح : «وانا ممجَّد فيهم» — أي تمجدت في الماضي ولا زلت ممجداً فيهم بايمانهم وطاعتهم ومحبتهم وولائهم، فكما ان الكرمة تتمجد في أغصانها المثمرة كذلك تمجد المسيح التلاميذ في . قابل افسس ٢: ٢٠

(ب) الاساس الثاني لطلبة المسيح : وحشة التلاميذ في العالم (١٧ : ١١ — ١٥). في هذه الاعداد، بسط المسيح هذا الاساس بكل بساطة ووضوح ثم ردده بين حين وآخر، نظراً لشعوره بوحشتهم الاليمة التي سيتجرعون غصصها بعد ارتفاعه عنهم: «ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم وانا آتي اليك» . في هذه العبارة، رأى المسيح نفسه وقد فرغ من الصلب، وأتم عملية الفداء، ولفرط حبه لتلاميذه انشغل بهم عن ذاته، مع انه كان محاطاً بظل الصليب، فذكرهم في وحدتهم، وهو عالم انهم سيتركونه في وحدته

(١) النداء الخاص الذي تستهل به هذه الطلبة : «أيها الآب القدوس» — هذه هي المرة الثانية التي فيها يتوجه المسيح الى الآب بنداء خاص، أثناء هذه الصلاة الشفاعية — المرة الاولى في عدد ١ . على انه في هذه المرة الثانية

احفظهم في اسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً

قد وجّه الخطاب الى الآب، بكلمات لم ترد إلا في هذا المكان وحده، فقال: «أيها الآب القدوس». فما أكثر ملاءمة هذا النداء الى طبيعة هذه الطلبة! إذ أنّ «الآب القدوس» وحده هو الكفيل بحفظ التلاميذ في اسمه، مقدّسين من كل دنس في العالم. فقداسة الآب، هي الضمان الاوحد لقداسة المؤمنين

(٢) *جوهر هذه الطلبة*: «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني» — يراد بـ«اسم الآب»، كل الحق الذي اظهره المسيح، وأعلنه للتلاميذ عن ذات الله وصفاته، بما فيها القدرة، والمحبة، والحكمة، والقداسة (عدد ٦). فحفظ التلاميذ في «اسم الآب»، يراد به حفظهم ثابتين في دائرة هذا الحق المعلن، ومتحصّنين في ذات الله، وفي شخصه. لان «اسم الرب» برج حصين يركض اليه الصديق ويتمنّع. وقد أراد المسيح ان يُحفظ تلاميذه باستمرار داخل هذا «الحصن المنيع» فترتد عنهم سهام الشرير. ان العالم بيئة خارجية محيطة بالتلاميذ، مليئة بالبغضاء والتجارب المصوّبة اليهم، لكن اسم الله بيئة داخلية قدسية، تحيطهم بغلاف من المناعة الروحية التي تطفىء جميع سهام الشرير الملتهبة

(٣) *الغاية الاولى من هذه الطلبة*: «ليكونوا واحداً كما نحن» — هذا هو المثل الاعلى للوحدانية التي يجب ان تتوفر في المؤمنين، بالنسبة لبعضهم البعض، فهي ليست وحدانية في العقيدة، ولا هي وحدانية في النظام، ولا هي وحدانية جغرافية، لكنها وحدانية روحية، باطنية، مؤسسة على شركة في الجوهر الواحد، والروح الواحد، والرأي الواحد، والارادة الواحدة. على ان

كما نحن. ١٢ حين كنت معهم في العالم كنتُ احفظهم في اسمك

الاتحاد الذي يمكن ان يوجد بين المؤمنين ، وان تعذر بلوغه الى الاتحاد الذي بين الآب والابن في نوعه وكميته ، فمن المستطاع ان يكون على مثاله

عدد ١٢. (٤). «أبناء العناية، وابن الهلاك»: «حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك» — اي كنت احرسهم، واسهر عليهم — «الذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب». هذه حقيقة لها جانبان. جانبها الاول مشرق بنور دونه نور النهار، يبعث في نفس المؤمن عزاء: «الذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد». وجانبها الثاني، مفعم ناراً لاذعة تصلي الاشرار عذاباً: «...ابن الهلاك». وقد نعجب اذ نسمع كلمة «ابن الهلاك» صادرة عن لسان المسيح ، الذي يفيض دوماً رقة وعذوبة، لكن عجبنا يزول متى ذكرنا ان المسيح المحبّ هو المسيح «الحق». فمع ان «الحق» مرّ، إلا انه من الواجب ان يقال. كلمة «ابن الهلاك» وردت مرتين في العهد الجديد — هنا وفي ٢ تس ٢: ٣، وهي عبرية في تركيبها ومعناها — على مثال قوله «أولاد نور» (افسس ٥: ٨) و «أولاد المعصية» (اش ٥٧: ٤) و «ابناء الموت» (١ صم ٢٦: ١٦). ويراد بها ان يهوذا مستحق الهلاك، لانه حامل في طبيعته عوامل الهلاك وأسبابه

وهنا يعترضنا سؤال: هل كان يهوذا ضمن الذين أُعطيهم المسيح من الآب، فصار فيما بعد من ابناء الهلاك؟ وجوابنا على ذلك: «كلا». فان يهوذا كان منذ البداءة «ابن الهلاك»، ولم ينتفع شيئاً من وجوده مع المسيح.

الذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك ليتم
الكتاب . ١٣ اما الآن فاني آتي اليك . واتكلم بهذا في العالم

وقد استُعملت كلمة : «الا» في هذه القرينة بمعنى : «أما» او «إلاّ أن» كما في متى١٢: ٤ . فالاستثناء الواقع بعدها في قوله: «لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك»، هو استثناء منقطع، لان يهوذا لم يكن من الذين أعطاهم الآب للمسيح. فكأني بالمسيح يقول : « اما الواحد الذي هلك وهو يهوذا «ابن الهلاك» ، فلم يكن من الذين أعطيتني اياهم ، لذلك هلك ، وانا لم احفظه . إلاّ ان هلاكه لم يكن حادثاً غريباً . لان الكتاب سبق فأنبأ عنه»

«ليتم الكتاب» — الاشارة هنا الى ما جاء في مزمور ٤١: ٩، وليس المراد بها ان يهوذا هلك لكي يتم الكتاب — كأن اتمام الكتاب كان احد البواعث العاملة على هلاك يهوذا ، بل ان هلاك يهوذا جاء متفقاً مع ما سبق فأنبأ عنه الكتاب . وهذا لا يخلي يهوذا من المسئولية ، لانه لم يكن عالماً بان ما في الكتاب ينطبق عليه . ولأنه لم يُقدِم على فعلته الشنعاء ليتمم ما في الكتاب، بل ليتمم شهواته الساقطة . وان أكبر حجة على ذلك ، هي شهادة ضميره الذي ثار عليه فتخلص من تأنيباته ، بأن مضى وشنق نفسه

عدد ١٣ . (٥) . **الغاية الثانية من هذه الطلبة — ليكون فرح المسيح كاملاً في التلاميذ** : «اما الآن فاني آتي اليـك» . مع ان المسيح سبق ففاه بهذه الحقيقة في عدد ١١، الا انه وجد لذة خاصة في تكرارها في هذا العدد . فليس أحبّ الى النور من أن يلتقي بالنور . « واتكلم بهذا في العالم» — اي

ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم. ١٤ انا قد اعطيتهم كلامك والعالم
ابغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما اني

وارفع هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ وانا معهم في العالم — «ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم». ان الفرح المعبر عنه هنا، هو الفرح المالئ قلب المسيح، نتيجة علمه بسرعة انطلاقه الى الآب، و يقينه بأن تلاميذه الذين سيتركهم من بعده، سيكونون في حراسة الآب وحفظه. وجدير بالملاحظة، ان المسيح أراد ان يكون فرحه: (١) ملكاً للتلاميذ، بدليل قوله: «ليكون لهم» (ب) كاملاً: «كاملاً» — غير مشوب بخوف او ضعف ثقة، او شعور بوحشة وانفراد. (ج) في اعماق نفوسهم: «فيهم». ان ممتلكاتنا التي حولنا ليست لنا. لانها معرضة للزوال. فلا يبقى لنا إلا ما نملكه في اعماق نفوسنا

عدد ١٤. (٦) التلاميذ بين المسيح وبين العالم: «وانا قد اعطيتهم كلامك». يراد بـ«كلام الله» خلاصة ما اعلنه المسيح للتلاميذ عن ذاته وعن الآب. فالمسيح اذ اعطاهم كلام الآب، وضع في قلوبهم طبيعة جديدة مستمدة من طبيعته، ومن نوعها، لكنها منافية لطبيعة العالم. فالنتيجة الطبيعية لذلك، ان العالم ابغضهم لان طبيعتهم الجديدة رفعتهم فوق مستوى العالم فاصبحوا من طبيعة مغايرة لطينة العالم، مع انهم كانوا في العالم: «لانهم ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم». فامامنا الآن عزاء التلمذة وعذابها. اما عزاؤها فهو ان تلميذ المسيح موضوع حراسته (عدد ١٢) وممتلىء بفرحه (عدد ١٣) ومتشبع بكلامه

انا لست من العالم. ١٥ لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان

(عدد ١٤). واما عذابها فهو ان التلميذ موضوع بغضة العالم. وهل يخشى عويّ الذئاب من يشرق على وجهه رضى الله ؟

عدد ١٥ . (٧) **ماهية هذه الطلبة**: « لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير » . في ختام هذه الطلبة عبَّر المسيح عن **ماهيتها** بكلمات **مانعة جامعة** . اما كلماته المانعة، فهي قوله: «لست اسأل ان تأخذهم من العالم» . لحكمة ممتازة ، لم يسأل المسيح من الآب ان يأخذ التلاميذ من العالم لان وجودهم في العالم نافع للعالم، فهم ملح الارض، وهم نور العالم. وما نفع الطعام بغير ملح ، وما قيمة المدينة بغير نور؟ فضلاً عن ذلك فان وجودهم في العالم نافع لهم. فالعالم مدرسة يتلقى فيها التلاميذ دروساً ثمينة في الصبر والاحتمال وطول الأناة ، وفوق ذلك فان عليهم رسالة لم يكملوها بعد . فمن يحمل رسالة المسيح بعد صعوده اذا رُفع تلاميذه معه من العالم ؟ واما كلماته **الجامعة** فهي قوله: «بل ان تحفظهم من الشرير» — كالزنبقة البيضاء تكون محافظة على جمالها وهي في وسط الاوحال، او كرأس الابرة المغنطيسية يكون على الدوام مثبَّتاً الى الشمال ، مهما هبت العواصف وتقلبت الاجواء، او كنبع مياه في قلب صحراء قاحلة . ان القداسة التي طلبها المسيح لتلاميذه ليست سلبية قائمة بالمنع والهرب وانما هي ايجابية تقوم بالمنح والحرب الظافرة المنتصرة . فمجرد الانفصال المادي عن العالم لا ينفع. وانما الذي ينفع هو الاتصال التام بالله. ان القداسة القائمة على ما حولنا لا تغني فتيلاً . وانما القداسة الحقة هي القائمة على ما فينا

تحفظهم من الشرير. ١٦ ليسوا من العالم

ان النيران التي كانت محيطة بالثلاثة الفتية، لم تقوَ على احراقهم، لانهم كانوا محاطين بابن الله، فالبيئة الداخلية الروحية تحطم سهام البيئة المادية الخارجية (١ يو ٥: ١٨و ١٩، ٢ تس ٣: ٣، ١ يو ٢: ١٣و ١٤، ٣: ١٢)

كلمة: «الشرير»، قد تعني الشر مجسماً في شخص ابليس، كما في الطلبة المتضمنة في الصلاة الربانية: «نجنا من الشرير» (متى ٦: ١٣)، وقد تعني الشر كمبدأ عام، أو «المحيط الشرير» – اي «العالم الذي وُضع كله في الشرير» (١ يو ٥: ١٩). ان هذه الطلبة وسائر طلبات المسيح، تحمل معها جوابها فهي وعد، ونبوة بأن الله، لن يحفظ الا الذين يريدون أن يحفظوا انفسهم

طلبة المسيح الثانية لاجل رسله – ان يتقدسوا في الحق (١٧: ١٦ – ١٩)

مررنا في الاعداد السابقة، بالطلبة الاولى التي رفعها المسيح لاجل رسله «ان يُحفظوا من الشرير»، وها نحن نواجه طلبته *الثانية* لاجلهم (عدد ١٧). استهل الفادي هذه الطلبة *الثانية* بحجة *ممهدة* لها (عدد ١٦)، وعقّب عليها بحجة اخرى *مؤيدة* لها (عدد ١٨و ١٩)

عدد ١٦. (١) *الحجة الممهدة لهذه الطلبة: انعزال التلاميذ عن العالم:*

«ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم» — سبق الفادي فنطق بهذه الكلمات عند ختام الطلبة السابقة (عدد ١٤)، وقد أوردها هنا ايضاً مكرراً ومقرراً. فهي، والحالة هذه، حلقة اتصال بين الطلبتين، بها تُختتم الطلبة الاولى، وتُستهل الطلبة الثانية

«ليسوا من العالم» — في طبيعتهم، واميالهم، وآمالهم، وآلامهم.

كما اني انا لست من العالم ١٧ قدسهم في حقك .

ليس هذا انعزالاً مادياً جغرافياً ، لكنه انعزال روحي على مثال انعزال المسيح عن العالم . فمع ان التلاميذ كانوا عائشين في العالم ، الا انهم ليسوا من العالم. وان مغايرتهم للعالم ، نتيجة طبيعية لمشابهتهم للمسيح . فالعبرة ليست بالظرفية المكانية ، بل بالحالة الروحية

عدد ١٧ . (ب) جوهر الطلبة : «قدسهم في حقك . كلامك هو حق».
كان من الطبيعي ، ان تأتي هذه الطلبة بعد الطلبة السابقة ، لانهما مرتبطتان معاً ارتباطاً منطقياً . فمن الطبيعي ان الحفظ يسبق التقديس ، لان الحفظ اعدادي للتقديس ، والتقديس متمم للحفظ . الحفظ سلبي : «من الشرير» ، والتقديس ايجابي : « في الحق » . فالتلاميذ « ينقلون » من منطقة الشرير الموبوءة ، ليوجدوا في منطقة الحق النقية ، فيتشبعوا من جوها المقدس والمقدِّس. اساس الطلبة الاولى ، هو انفراد التلاميذ في العالم . لكن اساس الطلبة الثانية هو عمل التلاميذ في العالم ، باعتبار كونهم رسل المسيح

اراد المسيح بـ : «تقديس» التلاميذ ، معنيين : المعنى الاول داخلي ، وهو انتزاع كل ميل نفساني ، جسداني ، مادي ، من قلوبهم . او بعبارة اخرى تطهيرهم من كل ما هو مغاير لروح الله وارادته . فمع ان التلاميذ تبرروا دفعة واحدة ، الا انهم يحتاجون الى التقديس يوماً فيوماً . والمعنى الثاني خارجي ، وهو تكريسهم وتخصيصهم نهائياً وكلياً للخدمة الرسولية التي تسلموا مقاليدها من المسيح ، وسيتحمَّلون مسئولياتها بعد انطلاقه عنهم ، مثلما كان يتخصص

كلامك هو حق. ١٨ كما ارسلتني الى العالم

الكاهن قديماً لخدمة الكهنوت. قابل هذا بما جاء في رومية ١٢: ١ — «قدموا اجسادكم» — على اعتبار ان الجسد ممثل للانسان كله — «ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله». فالتقديس في معناه الاول، مركزه القلب، وفي معناه الثاني مركزه الارادة والنية. اما «الحق» فهو أداة تقديسهم، وهو ايضاً الجو الذي فيه يتقدسون. فلا يكفي ان يكون «الحق» في التلاميذ، بل يجب ان يكون التلاميذ ايضاً في الحق، فيكون لهم الحق جواً روحياً يتنشقون منه عبير القداسة والحرية. ويراد بـ «الحق»، خلاصة المعلنات التي أتى بها المسيح عن الآب وعن نفسه (عب ١: ١)، او قُل: ان «الحق» هو المسيح نفسه. فاذا ما قلنا ان «الشرير» هو الشر مجسماً، جاز لنا ان نقول ايضاً ان المسيح هو الحق متأنساً. اما الجزء الثاني من هذه الآية: «كلامك هو حق» — أو: «هو الحق»، فهو مفسر، ومكمل لقوله: «حقك». والترجمة الحرفية لقوله: «كلامك»، هي: «الكلام الذي لك»، على اعتبار ان المسيح لم يتكلم بشيء من عندياته، اذ انه هو نفسه «كلمة الله المتجسد»

عدد ١٨ و ١٩. (ج) الحجة المؤيدة لهذه الطلبة. تتضمن هذه الحجة باعثين — اولهما: عمل الرسل لاجل المسيح، في العالم (عدد ١٨). وثانيهما: عمل المسيح لاجل الرسل (عدد ١٩)

عدد ١٨. الباعث الاول — عمل الرسل لاجل المسيح، في العالم: «وكما ارسلتني الى العالم أرسلتهم انا الى العالم». كان على التلاميذ ان يؤدوا الرسالة

ارسلتهم انا الى العالم . ١٩ ولاجلهم اقدس انا ذاتي

التي حمّلهم المسيح اعباءها ، فيقوموا بها نيابة عنه بعد انطلاقه الى السماء ، وهي الى حد ما، مشابهة للرسالة التي تسلمها المسيح من الآب ، وان كانت ليست من نوعها ولا في درجتها . فالمسيح أُرسل من *السماء الى العالم*، لكن التلاميذ أُرسلوا من *العالم الى العالم* . رسالة المسيح *فدائية*، لكن رسالة التلاميذ *تبشيرية*. غير ان رسالة التلاميذ تُحسب على نوعٍ ما، امتداداً لرسالة المسيح . فمع ان الرسل لا يتألمون مثلما تألم المسيح ، الا انهم «سيكملون نقائص شدائد المسيح في اجسامهم» (كو ١: ٤)

ان وجه الشبه الرئيسي — ان جاز ان يكون هنالك تشبيه— بين رسالة المسيح ورسالة التلاميذ، هو تقديس المرسَل. فكما ان الآب « قد قدّس المسيح» — اي كرّسه ، وخصصه ، وهيأ له جسداً مقدساً — «قبل ان يرسله الى العالم» (١٠: ٣٦) ، كذلك أراد المسيح ان « يقدّس » رسله ، بحقه ، و بشفاعته فيهم ، وبتقديسه ذاته لاجلهم — قبل ان يرسلهم الى العالم . غير ان تقديس المسيح ، يختلف عن تقديس الرسل ، كما يتبين مما يلي :

عدد ١٩. (٥) *الباعث الثاني — ما يعمل المسيح لاجل الرسل* :«ولاجلهم اقدس انا ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق» . ان «تقديس» التلاميذ، هو تطهيرهم *داخلياً* ، ثم تكريسهم *خارجياً* . لكن « تقديس » المسيح ، عمل *خارجي* ، يقوم بتكريسه ذاته ، وتقديمها لله ذبيحة حية مقدسة . فضلاً عن ذلك ، فان التلاميذ عاجزون كل العجز ، عن ان يقدسوا ذواتهم . اذ لا يمكن

ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق. ٢٠ ولست

للفساد ان يقدس الفساد. لكن «تقديس» المسيح، يقوم به هو ذاته: «اقدِّس انا ذاتي» — اي يقدم ذاته بمشيئته الحرة المختارة، على مذبح الصليب، إذ «بروح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب» (عب ٩: ١٤). فبهذه المشيئة صار الرسل والمؤمنون «مقدسين بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ١٠)

ولا يغرب عن بالنا، ان المسيح فاه بهذه الكلمات، باعتبار كونه رئيس كهنتنا الاعظم، وهو متهيّء لتقديم ذاته على الصليب. ويقول جودي: ان المسيح بعمله هذا، قد هيأ طبيعة انسانية مقدسة، حاملاً ايها الى المجد، ليودعها في قلوب الرسل وسائر المؤمنين، بروح قدسه. «لانه ان كنا قد صرنا متحدين مع المسيح بشبه موته، نصير ايضاً بقيامته. عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صُلب معه ليبطَل جسد الخطية» (رو ٦: ٥ و٦). «لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو ٨: ٢)

ان تقديس المسيح ذاته، عمل تكريسي فدائي، لم يكن هو في حاجة اليه، بل قام به لأجل الرسل ولاجلنا. أما قوله في نهاية هذا العدد: «في الحق»، فمعناه: «لكي يكونوا مقدسين فعلاً، وحقاً» لا اسماً، وطقساً، وصورةً. ويجوز ان تترجَم هذه العبارة الى: «مقدَّسين بالحق»

ثالثاً. طلب المسيح لاجل كنيسته (١٧: ٢٠—٢٦)

ان فوائد هذا الطلب الثالث تمتد الى جميع المؤمنين بالمسيح. وهو يتألف من طلبتين — كل منهما تحمل معها نتيجتها، والباعث عليها. فالطلبة

اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي

الاولى هي: افصاح المسيح للآب عن رغبته في اتحاد المؤمنين معاً: «ليكون الجميع واحداً» (٢٠—٢٣). ويلوح لنا، ان هذه هي الطلبة الرئيسية في هذا الطلب، لان المسيح رددها اربع مرات في ثلاثة أعداد (عدد ٢١—٢٣).
والطلبة الثانية هي: افصاح المسيح الى الآب عن ارادته ان يكون المؤمنون به موجودين معه حيث يكون هو (عدد ٢٤). وقد مهد المسيح لهاتين الطلبتين بكلمة تمهيد في عدد ٢٠، ثم عقب عليهما بخلاصة، تعتبر خاتمة لهذا الفصل

عدد ٢٠. كلمة تمهيد عن الذين يصلي المسيح لاجلهم في هذا القسم الاخير من صلاته الشفاعية: «لست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم». يراد بـ «كلامهم»، البشارة التي تكلم بها الرسل شفاهاً، وكتبوها في الرسائل، فصارت واسطة لايمان الناس بالمسيح (رو ١٠: ١٤). وقد نُسبت كلمة البشارة اليهم، فقيل فيها: «كلامهم» مع انها «كلمة المسيح»، لان الرسل بعد ان علموها، وعلّموا بها، وسجلوها، امتزجت بحياتهم، فصاروا هم لها، وصارت هي لهم. كما قال بولس عن الانجيل الذي بشر به: «انجيلي»، مع علمه بانه «انجيل المسيح» (رومية ٢: ١٦ و ١٦: ١)

في عدد ٩، عيّن المسيح الذين رفع من أجلهم طلبه الثاني، فحصره في الرسل: «من أجلهم انا اسأل». وفي عدد ٢٠، رفع هذ الحصار، وجعل طلبه يشمل كنيسته التي لم تكن قد اتخذت بعد مظهراً حياً قوياً، الا منذ يوم الخمسين، فرآها في المستقبل، كخيمة ممتدة الجوانب، مترامية الاطراف، لكنها

بكلامهم . ٢١ ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ

لمزيد الأسف منقسمة الى شقق صغيرة ، كثيرة العدد . فرأى بعينيه اللتين تخترقان حُجُب المستقبل ، الخطر المحدق بكنيسته ، قبل وقوعه

الطلبة الاولى التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به - ان يكونوا جميع المؤمنين واحداً (١٧: ٢١—٢٣)

عدد ٢١. *اتحاد المؤمنين: ماهيته، ومثله الاعلى، واساسه، وغايته الاولية:* « ليكون الجميع واحداً. كما انك أنت أيها الآب فيّ وانا فيك. ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم انك أرسلتني». ذكر المسيح في هذا العدد، *ثلاث* مراتب للاتحاد. (ا) المرتبة *الاولى* في المقام — وهي *الثانية* في ترتيب *الكلام* ، هي *الوحدانية القائمة بين الآب والابن* : « كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك». هذا هو المثل الأعلى للاتحاد، الذي يجب ان يكون متوفراً بين المؤمنين و بين بعضهم البعض — فهو اتحاد في الفكر، والارادة، والشعور، والقصد، والتدبير، والعمل، والملكية. بل هذا مدى الاتحاد المنشود بين المؤمنين و بين بعضهم البعض. (ب) المرتبة *الثانية في المقام*، وهي *الثالثة* في ترتيب *الكلام* — هي *الوحدانية التي يكون فيها المؤمنون واحداً مع الآب والابن* : «ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا» — هذا *اساس* اتحاد المؤمنين مع بعضهم البعض. فلا رجاء في اتحادهم فيما بينهم، ما لم يكونوا متحدين *اولاً* في الآب والابن. لا بل هذا منبع اتحادهم، وجذعه، وغذاؤه، وقوام حيـاته، وقوّته. (ج) المرتبة *الثالثة* في *المقام* — وهي *الاولى* في ترتيب

وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا ليؤمن العالم

الكلام — هي وحدانية المؤمنين بعضهم مع بعض — هذه ثمرة اتحادهم معاً في الآب والابن. فكأننا الآن امام ثلاث دوائر ذات مركز واحد، متداخلة في بعضها البعض. في الدائرة *الداخلية* نرى الآب والابن متحدين معاً اتحاداً حيوياً كاملاً. فالآب في الابن والابن في الآب. وفي الدائرة *الوسطى* نرى المؤمنين يُضمّون الى هذه الدائرة القدسية، ليصبحوا متحدين معاً في الآب والابن: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا». وفي الدائرة *الخارجية* نرى المؤمنين وقد صاروا واحداً فيما بينهم، نتيجة صيرورتهم واحداً في الآب والابن:



«ليكون الجميع واحداً». هذه ماهية اتحادهم. فهو ليس اتحاداً ميكانيكياً، ولا مكانياً، ولا نظامياً، ولا تعليمياً. بل هو اتحاد روحي، حيوي، إلهي. لا يدغم فيه احدهم في الآخر. ولا تتلاشى شخصيته، بل يحتفظ فيه كل منهم بشخصيته، كما تتحد النبرات معاً لتكوّن صوتاً موسيقياً واحداً. وكما تأتلف كل «نقط» الموسيقى لتكوّن لحناً واحداً. (د) *الغاية الاولية من اتحادهم*: «ليؤمن العالم انك أرسلتني». ما أبهج منظر المؤمنين الذين يجمعهم الروح الواحد، والرب الواحد، والرجاء الواحد، من كل قبيلة وشعب ولسان وامة، فتختفي بينهم الفوارق الجنسية، والاجتماعية، والعلمية! ان روعة هذا المنظر المبهج، تبعث في العالم

انك ارسلتني. ٢٢ وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني

الخارجي ايماناً يقينياً بان يسوع هو المسيح المرسَل مَن الآب: «ليؤمن العالم انك ارسلتني». ولقد تمَّ هذا القول فعلاً في القرن الاول للميلاد، حين أُخِذَ الوثنيون بروعة اتحاد للسيحيين معاً فكانوا يتهامسون فيا بينهم قائلين: «انظروا. ما أعجب حبهم لبعضهم البعض»! ومن المؤسف، انه بقدر ما يكون اتحاد المؤمنين معاً، محرضاً العالم على الايمان بالمسيح، يكون عدم اتحادهم حجة في فم العالم ضد المسيح!

عدد ٢٢. (هـ) اداة هذا الاتحاد: «وانا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد». ذهب المفسرون في تأويل المراد بقوله: «أعطيتهم المجد»، مذاهب شتى. فقال بعضهم: ان المسيح تكلم عن «مجده» العتيد كأنه حاضر، وانه أعطى تلاميذه حق امتلاك هذا «المجد» مع انهم لم يكونوا قد تمتعوا به بعد، كما يُرى من عدد ٢٤. فيكون اذاً قد أعطاهم هذا «المجد» في البزرة، ولو أنهم سيتمتعون به كاملاً في عالم الخلود. ويقولَ البعض الآخر: ان «المجد» الذي أعطاه المسيح لتلاميذه، هو «مجد» الحلول الالهي في الجسم البشري، فكما ان «مجد» المسيح هو حلول الآب فيه، كذلك «مجد» التلاميذ هو حلول المسيح فيهم — بدليل قول بولس الرسول: «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسي ١: ٢٧). ويقول آخرون: ان هذا «المجد» هو مجد البنوة لله، وان المسيح أعطى تلاميذه «مجده»، بمعنى انه جعلهم اخوة له، وصار هو أخاهم البكر «ليكونوا واحداً». ويعتقد آخرون: ان هذا «المجد» هو حلول الروح القدس في التلاميذ، على اعتبار ان حلول

ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد. ٢٣ انا فيهم

الروح القدس فيهم ، هو العامل الفعال في صيرورتهم واحداً ، بدليل قوله : «أعطيتهم المجد... ليكونوا واحداً». ونعتقد نحن ان هذا «المجد» ليس قاصراً على أمر واحد ، لكنه يتناول كل ما أخذه المسيح من الآب ، باعتبار كونه الفادي المتجسد ورئيس العائلة المفدية — ويدخل ضمن ذلك : مجد البنوة للآب ، وحق القبول لديه ، ومجد الامتلاء من روحه ، ومجد الانتصار على الخطية ، والمجد الاكمل الذي يناله المؤمنون في قيامة الابرار

«ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد» — هذه هي المرة الثالثة التي فيها كرر المسيح هذه العبارة في هذا الدور الاخير من صلاته الخالدة . وفي هذه المرة أظهر الفادي ان هذه هي الغاية التي لأجلها «أعطى مجده لتلاميذه»

ألا يليق بنا ان نستوقف انفسنا قليلاً لنفكر في تضحيات هذا الفادي الجليل الذي لم يرغب في ان يحتفظ بأي شيء لنفسه ، بل جعل كل ما عنده — حتى مجده — وقفاً على تلاميذه وعلينا ؟!

عدد ٢٣ . (و) — *كمال هذا الاتحاد — دائرتان متراكزتان* : «انا فيهم وانت فيّ ليكونوا مكملين الى واحد». امامنا الآن *دائرتان متراكزتان* — الدائرة الاولى ، *داخلية* ، هي : *حلول الآب في المسيح* ، والدائرة الثانية *خارجية* وهي : *حلول المسيح في التلاميذ* — هذه أسرار عميقة ليس لنا ان ندخل الى بواطنها . ويكفينا ان نقف منها موقف المتملكين إياها ، المتمتعين بها . فمع اننا لا نعلم دقائق الخواص التي تتألف منها ذرات الهواء المحيط بنا ، الا اننا

وانت فيّ ليكونوا مكملين الى واحد وليعلم العالم انك ارسلتني

تتشبع من هذا الهواء، ونتغذي به. ومما يجب ملاحظته، ان المسيح لم يقل «انت فيهم وانت فيّ»، لان حلول الآب في المسيح يختلف عن حلوله في المؤمنين — درجة ونوعاً. ولم يقل «هم فيك وانا فيك»؛ لان ثبوت المسيح في الآب غير ثبوت المؤمنين فيه، بل قال: «أنا فيهم وانت فيّ»، ولعل هذا ما أراده بقوله: «وانا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (عدد ٢٢)

ان النتيجة المترتبة على هذا الحلول المجيد، هي: تكميل المؤمنين في الاتحاد: «ليكونوا مكملين الى واحد» — هذه هي المرة الرابعة والاخيرة التي كرر فيها المسيح كلامه عن اتحاد المؤمنين به، وفيها ذكر وحدانيتهم في كمالها. هذه هي قمة الوحدانية، وتمامها، وكمالها. ان خير تفسير لقوله: «مكملين»، هو ما جاء في فيلبي ٣: ١٢ وعب ٢: ١٠ و٥: ٩ و٧: ٢٨ و٩: ٩ و ١: ١ و١٤ و١١: ٤ و١٢: ٢٣ و١يو ٢: ٥ و٤: ١٢و١٧و١٨. ولا شك في ان الله الذي يبدأ عمل الاتحاد في المؤمنين، سيصل بهم الى كمال هذا الاتحاد

ان تكميل المؤمنين الى واحد، هو تعبير آخر لقوله: «ليكونوا مكملين في الواحد» — أي في المسيح رأسهم، ورئيسهم، ومثلهم الاعلى (فيلبي ٢: ١٠)

(ز) الغاية النهائية من هذا الاتحاد: «ليعلم العالم انك أرسلتني واحببتهم كما أحببتني». في عدد ٢١، ذكر المسيح الغاية الاولية من اتحاد المؤمنين: «ان يؤمن العالم انه مرسل من الآب»، لكنه في هذا العدد، ذكر الغاية النهائية من هذا الاتحاد: «ليعلم العالم انك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني».

واحببتهم كما احببتني. ٢٤ ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني

ان ايمان العالم يختلف عن علمه. فايمان العالم يراد به قبول المسيح مخلصاً، لكن علم العالم يفيد الافحام الذي قد يقود صاحبه الى الايمان أو الى تقسية القلب على رغم هذا الاقتناع. ويقول رينولدز: ان العلم درجة أرقى في الايمان، أعني هو الايمان اليقيني المؤسس على الاختبار. وقد ذكر المسيح في هذا العدد امرين، يقتنع بهما العالم نتيجة رؤيته التلاميذ متحدين: — اولهما: علم العالم بانه المسيح مرسل من الآب، أو بعبارة أخرى — علمه بأن يسوع هو المسيح منتهى رجاء اليهود، و«مشتهى الامم». والامر الثاني هو اقتناع العالم بانه الآب احب المؤمنين مثلما احب المسيح، لان وجود المسيح وسط عائلة واحدة، مجتمع افرادها في كنف أخيهم الاكبر، يجعل المحبة القدسية التي وجهها الآب الى المسيح، تعمّ هؤلاء المؤمنين وتضمهم تحت جناحيها، وتُشعِر العالم بحرارة المحبة الالهية. وجدير بالملاحظة ان المحبة التي يتحدث عنها المسيح هنا، ليست محبة الاقنوم الاول للاقنوم الثاني في اللاهوت، وانما هي محبة الله للمسيح باعتبار كونه الفادي المتجسد ورأس العائلة المفدية

عدد ٢٤. الطلبة الثانية التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به — انه يكونوا معه لينظروا مجده الازلي: «ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث اكون أنا لينظروا مجدي». مع ان التلاميذ كانوا قد رأوا مجد المسيح «مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً»، إلا انهم رأوا مجده من خلال حجاب الجسد الذي حجب عنهم الشيء الكثير من هذا المجد

يكونون معي حيث اكون انا لينظروا مجدي الذي اعطيتني لانك
احببتني قبل انشاء العالم . ٢٥ ايها الآب البار

الامين، لذلك طلب المسيح ان تتهيأ للتلاميذ فرصة، فيها يكونون معه بعد ان يكون قد استرد مجده الازلي ، ليشاطروه ذلك المجد . في بدء هذه الصلاة الشفاعية،طلب المسيح ان يعاد اليه مجده الازلي (عدد ٥)،والآن عند ختام هذه الصلاة ، وقد صار متيقناً من ان هذا المجد قد رُد اليه، لم يبقَ أمامه ، إلا ان يطلب اشراك خاصته معه في مجده. هذا معنى قوله : «لينظاروا مجدي» . لان هذا النظر يشمل التمتع أيضاً

واذا كان المسيح قد قال في عدد ٢٢، انه «أعطى تلاميذه هذا المجد» ، فهو الآن يريد ان المؤمنين به ، يتمتعون فعلاً بهذا المجد، لا أن يكتفوا بامتلاكهم اياه كمجرد وعد أو حق

ولا يفوتنا ان نلاحظ الكلمة الخاصة التي استهل بها المسيح هذه الطلبة: «اريد» ! فقد افتتح الطلبات الماضية بقوله: «أسأل» (عدد ٩ و٢٠) ، لكنه استهل هذه الطلبة بقوله: «اريد». والارادة أقوى من الرغبة ، وأكثر اقتداراً من السؤال . والظاهر ان المسيح قد بلغ الآن درجة اصبح فيها قريباً من الموت ، لذلك صار في موقف من يملي وصيته النهائية ، فقال : «أريد» . ولا حاجة بنا الى القول:ان المجد الذي أراد المسيح ان تشاركه فيه خاصته،هو مجده الازلي الذي ناله من الآب ، برهاناً على محبته الازلية له : « قبل انشاء العالم» عدد ٢٥ و ٢٦ . *خصوصية مجيدة، وخاتمة جليلة*: «أيها الاب البار» — هذه

أن العالم لم يعرفك . اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك

هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه العبارة على لسان المسيح . بل هذا هو اللقب الثاني الذي نسبه المسيح الى الآب في هذه الصلاة . فاللقب الاول مررنا به في عدد ١١ ، حين قال : «ايها الآب القدوس » — اذ كان المسيح طالباً وقتئذ تقديس تلاميذه . لكنه استعمل هنا كلمة : «البار» ، لانه كان متوجهاً بهذه الكلمات الاخيرة ، الى عدالة الآب وبره

تحدثنا هذه الخاتمة الجليلة عن معرفة الآب . فقد وردت كلمة «معرفة» خمس مرات فيها . وهي تتألف من شطرين — في اولهما — مقابلة بين العالم من جهة ، و بين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى ، بالنسبة لهذه المعرفة (عدد ٢٥) . والشطر الثاني يعرّفنا عن غاية المسيح من تعريفه تلاميذه باسم الآب . ويُخيَّل الينا . ان المسيح واقف كمن يلقي نظرة الى الماضي ، وأخرى الى المستقبل :

فنظرته الى الماضي ، تتناول الشطر الاول من هذه الخاتمة — وفيها مقابلة بين العالم من جهة ، و بين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى بالنسبة الى معرفة الآب : « ان العالم لم يعرفك اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك أنت أرسلتني» . فالعالم لم يعرف الله . اما المسيح «فقد عرفه» . والتلاميذ «قد عرفوا ان يسوع هو المسيح المرسل من الله» . يراد بـ «معرفة» الآب ، قبول الحق المعلن عنه في المسيح ، واختبار قوة روحه في القلب . و« علم معرفة» الآب ، هي رفض هذه المعلنات . فالعالم الذي لم يعرف الله ، محروم بحق

انت ارسلتني . ٢٦ وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم ليكون فيهم الحب

من مجد المسيح . والتلاميذ الذين عرفوا الله يتمتمون عن حقٍ ، بتجد المسيح

ونظرة الفادي الى المستقبل ، ينم عنها الشطر الثاني من هذه الخاتمة (عدد ٢٦): «وساعرّفهم ليكون فيهم الحب الذي احببتني به وا كون انا فيهم». في هذه الكلمات تنبأ الفادي: (١) *عما ينوي في قلبه من مهتهم*: «وسأعرّفهم» — وهو بريد «المعرفة» التي سيوحي بها اليهم، بواسطة روحه الاقدس الذي سيملأ قلوبهم يوم الخمسين

ما اعظم شجاعة المسيح ، وما أقوى ثقته ! لانه وهو عالم انه صاعد الى الجلجثة ليُصلَب، تكلم عن المستقبل وقال : «وسأعرّ فهم» . هذا دليل على انه كان ممسكاً بناصية المجد، وهو منطلق الى الصليب. (ب) *عما تمناه لهم* «ليكون فيهم الحب الذي احببتني به وا كون انا فيهم» . أوَ ليست قلو بنا نجسة؟ فكيف اذاً تليق بحلول هذين الضيفين ؟ على انهما ليسا ضيفين مقدّسين وكفى ، لكنهما ضيفان مقدِّسان. فالحب الالهي نار تصهر كل شرّ فينا، وتطهرنا — والمسيح هو الطهر مجسماً .فما ابهج هذين الضيفين الجليلين المقدسين اللذين يحلان في قلب كل مؤمن — «الحب الالهي والمسيح» !على انهما ليسا ضيفين ، وانما هما ضيف واحد . لان المسيح هو الحب مجسماً ، والحب الالهي هو المسيح متأنساً . ومتى كان المسيح في المؤمن ، اضحى المؤمن محبو باً من الله ، لكون المسيح في قلبه

«ليكون فيهم الحب الذي احببتني به وا كون انا فيهم» — قصد المسيح

الذي احببتني به واكون انا فيهم

بقوله هذا ، ان المؤمنين به ، اذ يعرفون اسم الآب ، يفتحون قلوبهم ليدخل اليها الحب القدسي الجليل،الذي في قلب الآب نحو شخص المسيح. وطبيعي ان المؤمن متى أدخل هذا الحب الى قلبه ، صيَّره مِلكاً له ، و بذلك يصبح متمتعاً بنفس الحب الذي به أحب الآبُ المسيحَ. و بالتالي يصير المؤمن محباً للآب ، حباً من نوع حبه ، وان يكن من درجة محدودة نظير الانسان المحدود ، لان محبتنا لله ليست سوى ادخال اشعة محبة الله النورانية الى قلوبنا

جميل ان المسيح الذي هو موضوع محبة الآب ، يجعل المؤمنين موضوع حبه هو. فهو موضوع الحب الالهي وهو العامل فيه

ما اعظم الفرق بين ختام صلاة المسيح الشفاعية ، و بين بدء خطابه الوداعي ! في بدء خطابه الوداعي ، حدَّث تلاميذه عن انطلاقه عنهم . وفي ختام صلاته الشفاعية ، عاهد الآب على ان يظل معرِّفاً اسمه للتلاميذ ، ليكون هو فيهم. بهذا وجد التلاميذ في هذا العهد، اكثر مما تمنوا أو انتظروا. هذا هو الترياق الشافي لاضطراب القلوب

واذا كانت الاشياء تتبين باضدادها ، فان هذه الخاتمة النيرة تذكرنا بتلك الخاتمة القاتمة ، التي مررنا بها في نهاية الاصحاح الثاني عشر من هذه البشارة. تلك اختتمت فصلاً عن نمو عدم الايمان في قلوب اعداء المسيح ومضطهديه . وهذه تتوج فصلاً عن نمو الايمان في قلوب اخصاء المسيح ومريديه !

الاصحاح الثامن عشر

وادي الآلام

يتقدم بنا هـذا الاصحاح ، الى مرحلة جديدة في حياة سيدنا وفادينا ، فنجتاز معه وادي الآلام والتضحية ، ونرتقي معه الى عرش المجد والخلود. ولقد كتب البشير في هذا الفصل الختامي من حياة المسيح ، حوادث مررنا بها في كتابات سائر البشيرين او بعضهم ، وأغفل عمداً اشياء ذكروها هم ، وحدثنا عن تفصيلات لم يسجلها سواه . ولله در هذا البشير ، فلا يوازي اجادته فيما كتب ، سوى اجادته فيما أغفل . وما من شك في انه كان عالماً بما كتب سائر البشيرين من قبل . وفي الوقت نفسه احتفظ لنا بالتفصيلات الدقيقة التي تظهر جلال « الكلمة المتجسد » . على ان هذا لم ينسه ان يصور لنا اتضاع المسيح ، المتغلغل في مجده ، واضعاً نصب عينيه هاتين الحقيقتين : تباين وضوح عدم الايمان في قلوب اعداء المسيح، واكتمال الايمان في قلوب أحبائه.

فمن الحوادث التي تفرّد يوحنا بذكرها : كلمات المسيح التي خاطب بها الذين ألقوا القبض عليه (١٨: ٤ — ٩)، وفحصه امام حنّان (١٨: ١٣ — ٢٤)، وخروج بيلاطس الى اليهود للتشاور معهم في بدء المحاكمة السياسية (١٨: ١٨ — ٣٢)، وخلو بيلاطس الى المسيح ليفحصه على انفراد (١٨: ٣٣ — ٣٧ و ١٩: ٩ — ١١)، واستهزاء الجند الرومان به كملك (١٩: ٢ و ٣) ، وخروجه حاملاً اكليل الشوك ولابساً ثوب الارجوان مما دعى بيلاطس الى ان يشير اليه قائلاً : «هوذا الانسان !» ! (١٩: ٤ و٥)، وتمسك بيلاطس بما

كتب (١٩: ٢١و٢٢) ، ووصية المسيح الاخيرة بشأن امه (١٩: ٢٥ — ٢٧) ، وافصاحه عن عطشه (١٩: ٢٨ — ٣٠) ، والحربة التي طُعِن بها في جنبه (١٩: ٣١ — ٣٧)، والخدمة الاخيرة التي قام بها نيقوديموس لسيده (١٩: ٣٩)

ومن الحوادث التي اغفلها يوحنا عمداً ، نظراً لسبق تدوينها في كتابات سائر البشيرين او بعضهم :— مجاهدة المسيح في جثسيماني (متى ومرقس ولوقا)، القبلة الغادرة (متى ومرقس ولوقا) ، فحص المسيح امام السنهدريم في جلسة الظلام، والشهود الزور، والاقرار العظيم (متى ومرقس) . الاستهزاء به كنبي ، جلسة السنهدريم الصباحية (متى ومرقس ولوقا) . الاستهزاء به بعد المحاكمة (متى ومرقس) ، تسخير سمعان ليحمل الصليب ، هزء الناظرين ، تعييرات اللصين (متى ومرقس ولوقا) ، صراخه قائلاً : « الهي الهي لماذا تركتني » ، انشقاق حجاب الهيكل (متى ومرقس)،اعتراف قائد المئة (متى ومرقس ولوقا)

وهنالك تفصيلات اخرى ، انفرد بذكرها واحد من البشيرين ، فاغفلها يوحنا قصداً. فمنها : رسالة زوجة بيلاطس،غسل بيلاطس يديه ، قضاء اليهود على انفسهم (متى) . وهروب الشاب الذي تخلى عن إزاره ، سؤال بيلاطس الخاص بموت المسيح (مرقس) . وفحص المسيح امام هيرودس،عويل بنات اورشليم ، ثلاث من كلمات الصليب ، توبة احد اللصين (لوقا)

ومن الامور التي امتازت بها آلام المسيح في هذه البشارة : (١) انها آلام اختيارية (١٨: ٤ و ٨ و ١١ و ٣٦ و ١٩: ٢٨ — ٣٠) . (٢) انها جاءت متممة لتدبير أزلي (١٨: ٤و ٩و ١١و ٢٤و ٢٨) . (٣) انها آلام تشفّ عن المجد الذي يشعّ منها (١٨: ٦ و ٢٠ و ٣٧ و ١٩: ١١ و ٢٦ و ٣٧)

ومع اننا لا نعلم بالضبط ، الاوقات التي تمت فيها حوادث الآلام ، الا انه في امكاننا ان نعيّن لها وقتاً تقريبياً ، استناداً الى ما كتبه سائر البشيرين ، والى ما جاء في التلمود اليهودي ، وكتابات الثقات المسيحيين

الساعة ١ صباحاً ... مجاهدة المسيح في جثسيماني ، والقاء القبض عليه ،
(بعد منتصف الليل) والذهاب به الى دار رئيس الكهنة

الساعة ٢ صباحاً ... المحاكمة الابتدائية امام حنَّان

» ٣ » ... فحص المسيح امام قيافا والسنهدريم في التئام فوق العادة

» ٥ » ... الحكم الرسمي الذي اصدره السنهدريم في مكان التئامه الرسمي (لو ٢٢:٢٦ ومتى ٢٧:١)

» ٥ ١/٢ » ... فحص المسيح امام بيلاطس ، وجلده ، واستهزاء الجند به لاول مرة

» ٦ » ... فحص المسيح امام هيرودس

» ٦ ١/٢ » ... حكم بيلاطس عليه (يو ١٩:١٤)

» ٧ » ... استهزاء الجند به للمرة الثانية

» ٩ » ... بدء الصلب ورفض المسيح ان يشرب من الخل الممزوج بمرارة الذي قُدم له كمخدِّر (مر ١٥:٢٥)

» ١٢ ظهراً ... وصيته الاخيرة بشأن امه

» ١٢ — ٣مساء ... الظلام (مت ٢٧:٤٥ ومر ١٥:٣٣ ولو ٢٣:٤٤)

» ٣ » ... نهاية الصلب

١ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون

ينقسم هذا الاصحاح والاصحاحات التي تليه الى ستة اقسام رئيسية:

اولاً: الاسير المتطوع (١٨: ١ - ١١). ثانياً: المحاكمة الدينية (١٨: ١٢ — ٢٧). ثالثاً. المحاكمة السياسية (١٨: ٢٨ — ١٩: ١٦(أ)). رابعاً: الصلب (١٩: ١٦ (ب) — ٤٢). خامساً: القيامة (٢٠: ١ — ٣١). سادساً: تتمة البشارة (٢١: ١ — ٢٥)

اولاً: الاسير المتطوع (١٨: ١ — ١١)

عدد ١ — ٣. فرقتان متناقضتان، تتقيان في البستان: من المكان الذي التى فيه المسيح الجزء الثاني من خطابه الوداعي، وشفعه بصلاته الشفاعية خرج ومعه تلاميذه الى عبر وادي قدرون (*)، الواقع عند منحدر وادي يهوشافاط — بين جبل الهيكل وجبل الزيتون

يمتد وادي قدرون مبتدئاً من نقطة تبعد نحو ميلين شمالي اورشليم، ويسير الى الجنوب عشرين ميلاً، ثم ينتهي بالبحر الميت. وهو على الغالب جاف مدة تسعة شهور في السنة، وفي الثلاثة الأشهر الباقية، يكون منهلاً صغيراً عليه جسر صغير يؤدي الى بستان على الضفة اليمنى، حافل بأشجار زيتون عتيقة. هذا هو بستان جثسيماني الذي تعوَّد المسيح ان «يجتمع فيه مع تلاميذه» بما فيهم يهوذا. قديماً قصد هذه البقعة عينها، أبٌ هارب من

(*) كلمة قدرون ارامية، معناها الأسوَد. وربما سمي كذلك نسبة الى ظلال الاشجار الكثيفة التي تكتنفه

حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه. ٢ وكان يهوذا مسلمه يعرف
الموضع. لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه. ٣ فأخذ يهوذا

وجه ابنه المتمرد، وصديقه الخائن (٢ صم ١٥: ٢٣). والآن قصدها «الأبن الوحيد» الذي سرّ به الآب، وخانه أحد أصدقائه

ان يوحنا هو البشير الوحيد، الذي اعلمنا ان في هذا المكان «بستاناً». قديماً، خُذل آدم الاول في بستان، فصار خذلانه وبالاً وعاراً عليه وعلى ابنائه. وفي بستان ايضاً، انتصر آدم الثاني، فأضحت نصرته مجداً وفخاراً له ولأتباعه فمحت حسنات جثسياني سيئات عدن!

يُستفاد من قول البشير: «وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع»، ان علم يهوذا بهذا المكان، كان من الاسباب التي حدت بالمسيح ان يختار هذا المكان في هذا الظرف الخاص. لانه بعد ان اكل الفصح المشتهى مع تلاميذه، وشجعهم بكلماته المعزية، وسندهم بشفاعته المقتدرة، لم يجد بُداً من ان يمهد الطريق امام مسلّميه. لان «الساعة» دقت ليرتفع على الصليب

في تلك الليلة الموعودة، وقمر الفصح يسطع بجماله وكماله، صار هذا البستان التاريخي، ملتقى فرقتين على طرفي نقيض — *احداهما*: جماعة خرجت من نور الى نور، وعلى رأسها الفادي الامين. *والثانية*: عصابة خرجت من ظلام الى ظلام بزعامة يهوذا الغادر الخؤون. كانت عصبة الظلام حاملة «مشاعل ومصابيح وسلاحاً» — كما في حرب رسمية، حامية الوطيس. ولعلهم حملوا المشاعل والمصابيح مخافة ان يكون المسيح مختبئاً تحت ظلال احدى اشجار الزيتون

الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك
بمشاعل ومصابيح وسلاح. ٤ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي

الكثيفة . وتسلحوا بالسلاح مخافة ان تبدو من الفادي ، او من احد تلاميذه ، أية مقاومة. *اما فرقة النور*، فلم تحمل معها مشاعل أو مصابيح، لان « نور العالم» كان يتقدمها . ولم تتسلح الا «بالحق» الذي معها . كانت عصابة الظلام مؤلفة من جند الحامية الرومانية التي كانت محتلة قلعة انطونيا ، في زاوية الهيكل الشمالية الغربية ، وعلى رأسها قائدها (عدد ١٢) ، ومن «خدام» السنهدريم الذين أخذهم يهوذا «من عند رؤساء الكهنة والفريسيين» . ومن فرط عداء رؤساء الكهنة والفريسيين ليسوع ، نسوا احقادهم القديمة امام هذا «الخصم» المشترك ، وتبرع رؤساء الكهنة بخدامهم الخصوصيين (عدد ١٠و١٢) ، لتنفيذ فكرتهم الاثيمة . أما فرقة النور ، فلم يكن فيها سوى الصيادين المساكين ، وعلى رأسهم «حمل الله الوديع» . ففي هذا البستان التاريخي ، التقت المحبة المتجسدة ، بالعداوة مجسمة . وتقابل « الحقّ » مجرداً ، بالباطل مسلحاً . فانكسرت العداوة امام المحبة ، وصُرع الباطل امام «الحق»

عدد ٤—٩ (٢). *الجنود الساقطون عند قدمي الاسير المتطوع* —

عدد ٤ .(١). السؤال الهادي: «فخرج يسوع وهو عالم...وقال لهم مَن تطلبون» ؟ يذكرنا هذا القول بفاتحة الاصحاح الثالث عشر : «وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب ..... قام عن العشاء» . اننا مدينون ليوحنا البشير ، بوصف المهابة السماوية التي كانت تحف بالمسيح ، في

عليه وقال لهم من تطلبون. ٥ أجابوه يسوع الناصري.

موقفه هذا. ولا شك في ان المسيح الذي جاهد في جثسيماني وغلب، قد حمل معه نتائج هذه الغلبة، فخرج من صفوف التلاميذ، وانبرى لعصابة الظلام بثقة الظافر المنتصر «وقال لهم من تطلبون»؟ الآن جاء وقت «قبلة» يهوذا التي حدثنا عنها سائر البشيرين. والظاهر ان يهوذا قبّل سيده حالما التقى به — ولكن في انزعاج وارتباك، وفي ضوء أنوار المشاعل الخادعة، فلم يلحظه فيها أغلبُ الذين كانوا معه، ثم تراجع مندمجاً في العصابة التي كانت معه. عندئذٍ، سألهم المسيح قائلاً: «من تطلبون»؟

ان فادينا الشجاع، لم يرغب في ان يبقى منتظراً حتى يُمسَك من اعدائه وربما سأل هذا السؤال، ليمنع اي اعتداء كان يمكن ان يوجَّه من الجنود الى تلاميذه. ولعله قصد ان يجعل من سؤاله هذا، آخر سهم يصوّبه نحو قلب يهوذا وعصابته: «من تطلبون»؟ — هذا عين السؤال الذي وجهه المسيح الى تلميذيه الاولين — وكان يوحنا البشير احدهما (١: ٣٨)، فكان سؤاله لهما، سبباً في اتباعهما اياه، وكان نفس هذا السؤال ممهداً لاعدائه سبيل القبض عليه. وكذلك النار، تذيب الشمع، وتقسي الطين!

عدد ٥. (ب). الجواب الجريء: «أجابوه يسوع الناصري». لو كان في قلوب اولئك الناس أثر من الانسانية التي تعرف الحياء، أو بقية من النور الالهي الذي يُرجع الانسان عن غوايته، لتراجعوا عن تصدهم. لكنهم قوم عميان — يفكّرون بعقول غيرهم، و يعيشون بقلوب رؤسائهم، لا بقلوبهم هم.

قال لهم يسوع انا هو. وكان يهوذا مسلمه ايضاً واقفاً معهم
٦ فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا

فأجابوه: «يسوع الناصري»! هذا جواب ينمّ عن شيء من التحقير والازدراء. وقد غاب عنهم ان الذي يكلمهم، هو الذي كانوا يطلبون. وياليتهم طلبوه ليتعلموا منه فكانوا إذاً به يخلصون!

(ج) *الرد القاطع*: «قال لهم يسوع أنا هو». هذا جواب مرهف كالسيف، شديد كالصاعقة، خاطف كالبرق. مرهب بحدته، مفحم بصراحته. ولكم من المرات نطق المسيح بهذه العبارة مشجعاً تلاميذه--ويهوذا بينهم— في اوقات عصيبة (٦: ٢٠ و٨: ٢٤ و٢٨ و٥٨ و١٣: ١٩). ولكنه في هـذه المرة قال نفس هذه العبارة، لرجال الظلام — ويهوذا بينهم: «وكان يهوذا مسلمه ايضاً واقفاً معهم» — مذهولاً من هول هذا الجواب، الذي وقع عليه وقع الصاعقة. قال المسيح «انا هو»، لكي يميزوه من تلاميذه. فكان في قوله هذا مقداماً، سخياً بحياته، ضنيناً بحياة تلاميذه من ان تذهب ضياعاً

عدد ٦ (د) *تأثير هذا الرد القاطع*: «فلما قال لهم اني أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض». ان المجد الالهي الممتاز الذي احاط بالمسيح، وشعت انواره منه على جبل التجلي، كان يحفّ به في هذا الظرف أيضاً، فملأ قلوب هذه العصابة فزعاً ورعباً. ومن تأثير هـذا المجد عينه، سقط على الارض شاول الطرسوسي، وكلّ من كانوا معه (اعمال ٢٦: ١٤)

يقول اغسطينوس: «إذا كان هذا مقدار تأثر الاشرار من رؤيتهم وجه

على الارض . ٧ فسألهم ايضاً من تطلبون . فقالوا يسوع الناصري .
٨ أجاب يسوع قد قلت لكم اني انا هو. فان كنتم تطلبوني فدعوا

المسيح ، وسمعهم صوته ، وهو يقدّم نفسه بين ايديهم أسيراً ، فكم يكون مبلغ تأثرهم من رؤيتهم وجهه الوضاح ، وسمعهم صوته الرهيب ، حين يجلس على عرش الدينونة والقضاء ! ؟ »

عدد ٧ . (ه) السؤال المكرر : «فسألهم ايضاً من تطلبون» ؟ لو لم يكن المسيح متقدماً الى الصليب طائعاً مختاراً، لكانت هذه أنسب فرصة يهرب فيها. وهل مثله يهرب ، وهو الذي قال : «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (١٠: ١٨) ؟ يُستنتج من سياق الكلام هنا كما ورد في الاصل — انه بعد ان سقط طالبو المسيح على وجوههم الى الارض ، تقدم المسيح ، واقامهم ، وأعاد عليهم نفس السؤال ، ولكن بنغمة اقوى . فكان كلامه لهم على مثال قوله ليهوذا : « يا صاحب لماذا جئت» (متى ٢٦: ٥٠) ؟

(و) الجواب المكرر : «أجابوه يسوع الناصري» ! مع ان المجد الذي كان يحفّ بالمسيح ، اقنعهم بانه هو مسيح الله ، إلا انهم لم يتزحزحوا عن اللقب الوضيع الذي تلقنوه من رؤسائهم ، ولم يتحولوا عن قصدهم ، فقالوا : «يسوع الناصري» . ولعلهم أجابوا هذا الجواب ، تهيّباً ، بعد أن أُخذوا بجلاله

عدد ٨ و ٩. (ز) المخلص المفتدي : «أجاب يسوع، قد قلت لكم اني انا هو فان كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون» . الى الآن لم يكن التلاميذ مستعدين للموت — لامع فاديهم ولا من أجله ، ولكنّ بعضاً منهم صاروا

هؤلاء يذهبون. ٩ ليتم القول الذي قاله ان الذين اعطيتني لم اهلك
منهم احداً. ١٠ ثم ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب
عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى

اهلاً لهذا الشرف فيما بعد. ولو قُدِّر لهم ان يموتوا في هذا الوقت، لذهبت دماؤهم هباء. لان لا قيمة لذبيحتهم، إلا بعد ذبيحتنا الأعظم. وما دام دم المسيح وحده كافياً للتكفير عن خطايا البشر، فلم يكن ما يدعو الى اضافة دماء التلاميذ عليه،ليكون مجد الفداء له هو وحده.ألا ان كفارته عنا، كافية شافية

رأى يوحنا ان هذه الكلمات، التي نطق بها المسيح، متممة لقوله في صلاته الشفاعية: «ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد»(١٧: ١٢). و يمكننا ان نرى فيها ايضاً مثالاً لما عمله المسيح في كفارته العظمى. حين ذاق كأس الموت ليرو ينا نحن بكأس الحياة. وقدم ذاته للأسر، ليحررنا نحن

عدد ١٠. (ح) المدافع المقدام: «ثم ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد ملخُس». علمنا من لوقا ٢٢: ٣٨، ان الرسل حملوا معهم سيفين قبل ذهابهم مع سيدهم الى جبل الزيتون، وهنا يقول يوحنا: «ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستلَّه». هذا دليل غير مقصود على صدق رواية البشيرين. وعلى ان رواية احدهم مكملة لرواية الآخر، ومفسرة لها ومؤيدة. فقد اتفقت كلمة يوحنا ولوقا على ان سيف بطرس اصاب العبد في «أذنه اليمنى» (لوقا ٢٢: ٥٠ ويو ١٨: ١٠)،غير ان يوحنا،لكونه معروفاً عند رئيس الكهنة اكثر من

وكان اسم العبد ملخس. ١١ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك

رفاقه، قد أعلمنا باسم عبد رئيس الكهنة: «مَلْخُس»(*). كما ان لوقا، لكونه طبيباً، اهتمّ بذكر معجزة الشفاء التي اجراها المسيح في أذن هذا العبد

كان بطرس في عمله هذا، مدافعاً عن سيده دفاعاً ينمّ عن حبه الخالص له. ولعله قصد بدفاعه هذا، ان يؤيد وعده بان يموت من أجل سيده (١٣: ٣٧). فكان بطرس في كلا دفاعه ووعده مقتحماً جباناً. وربما لاجل هذا السبب، ذكره يوحنا هنا باسمه القديم: «سمعان»، لا باسمه الجديد: «بطرس»

لماذا يا بطرس أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، ولم تبقه لرئيس الكهنة نفسه؟ أليس هذا جبناً منك؟ ولما أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، لماذا نبا بك فأصاب الأذن اليمنى، بدلاً من أن يصيب الرأس؟ أليست هذه ضربة طائشة؟ أوليس هذا كله نتيجة نومك العميق أثناء جهاد سيدك في جثسيماني، فصدرت عنك ضربتك وانت بين نائم ومستيقظ؟

عدد ١١. (ط) الصبور المسلم: «فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي اعطاني الآب ألا أشربها»؟ يتألف هذا العدد من شطريه: الشطر الاول، أظهر فيه المسيح عدم رضاه عن دفاع بطرس: «اجعل سيفك في الغمد». لان بطرس بدفاعه عن سيده على هذه الصورة، كاد ينتزع من فم المسيح حجته التي فاه بها امام بيلاطس: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون» (١٨: ٣٦)

(*) ربما كان هذا الرجل المسمى «ملخس»، ناقل الثلاثين من الفضة — أجرة الاسخريوطي، وانه قد ناوله هذه الاجرة على حدة لما تمّ التسليم، وان بطرس لاحظ ذلك

في الغمد . الكأس التي اعطاني الآب ألا اشربها

ان عدم رضى المسيح عن دفاع بطرس الغشوم ، يماثله عدم رضاه عن وعده المقحام (١٣ : ٣٨) . فكلاهما صدر عن بطرس في وقت كانت فيه العوامل الجسدانية متسلطة عليه . والشطر الثاني ، عبَّر به المسيح عن رضاه التام بارادة الآب : «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» . ترمز «الكأس» الى النصيب الذي عينه الله لكل واحد . وهي في هذه القرينة ترمز الى ارادة الآب من جهة المسيح . وقد يعبَّر «بالكاس» عن السرور (مز ٢٣ : ٥)، او عن الألم (متى ٢٦ : ٣٨). ان قول المسيح هذا يذكرنا بصلاته في جتسيماني (متى ٢٦ : ٣٩و٤٢). فيوحنا ذكر جتسيماني تلميحاً ، ولولم يذكرها تصريحاً (انظر ايضاً يو ١٢ : ٢٧ و ٢٨)

جميل ان المسيح قال انه أُعطي هذا الكأس «من الآب» لا من يهوذا، ولا من رؤساء الكهنة ، ولا من الرومان . فلا شيء يحزّ في قلوبنا حزّ السكين، نظير الاعتقاد بان الناس يستطيعون ان يؤذونا . ولا شيء يملأ القلب عزاءً ونعيماً ، مثل الاعتقاد بان يد الله وراء كل يد ، وفوق كل يد . هذا هو المثل الاعلى ، الذي ضربه المسيح للكنيسة في وقت الألم والاضطهاد، بل هذا ما يصفه يوحنا في رؤياه بـ«صبر القديسين» . فالمحبة المجاهدة عظيمة حقاً . لكن المحبة المحتملة أقوى وأعظم . كان الصليبيون القدماء شجعاناً . ولكنّ صليبيي القرن العشرين، الذين ينكرون ذواتهم ويضحون بالمال والولد والنفس لأجل المسيح ، هم أرفع شأناً ، وأوفر شجاعة ، وأحق منهم بتاج الخلود

١٢ ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود

ثانياً : المحاكمة الدينية : (١٨: ١٢—٢٧)

قال المسيح ليهوذا : «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» — وفعلاً تمم يهوذا عمله بسرعة وافرة. و بسرعة اوفر منها ، أُجريت محاكمة المسيح الدينية، ومحاكمته السياسية. فحوكم المسيح دينياً ثلاث مرات . المرة الاولى : امام حنان وفي بيته — وغالباً هو نفس البيت الذي أقام فيه قيافا . والمرة الثانية : حوكم فيها امام مجمع السنهدريم برئاسة قيافا ، في جلسة غير اعتيادية انعقدت تحت جنح الظلام . والمرة الثالثة : امام السنهدريم نفسه في جلسة انعقدت نحو الساعة السادسة صباحاً ، في البهو الواقع جنوبي الهيكل ، أو في «بيت المدراش» . وقد أُوقف المسيح امام السلطات السياسية ، ثلاث مرات أيضاً . المرة الاولى : امام بيلاطس، والثانية : امام هيرودس، والثالثة : امام بيلاطس ايضاً . ومن الغريب ان هذه المراحل الست ، تمّت بغاية السرعة ، قبل ان تخرج الشمس من حجلتها ، لتملأ ارجاء هذا الكون بأشعة أنوارها الذهبية . ما أشبه رؤساء اليهود ، بحشرات الظلام ، التي تجدّ وتسعى طوال الليل . ثم تختفي عند طلوع الشمس، لانها لا تقوى على مواجهة النور ! ولقد كان اليهود في سرعتهم هذه ، مدفوعين بعاملين : احدهما داخلي : وهو ان قلوبهم الوحشية التي كانت متعطشة الى دماء الفادي ، رغبت في أن ترتوي بدماه بغاية السرعة. والعامل الثاني خارجي: وهو انهم خافوا من أن يتأخروا الى الصباح، فيستيقظ الشعب اليهودي ، ويثور في وجههم ، فيضيع عليهم قصدهم

قبضوا على يسوع واوثقوه. ١٣ ومضوا به الى حنان اولاً

١٨: ١٢—١٤. المسيح امام حنان — المحاكمة الدينية الاولى

عدد ١٢. (١) القاء القبض على يسوع: بعد ان افهم المسيح اعداءه، ان لا سلطان لهم عليه، تقدَّم متطوعاً مختاراً، مسلماً نفسه الى أيديهم، ليلقوا القبض عليه. فجاء عمله هذا متمماً لنبوة قديمة: «ظُلِم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق الى الذبح» (اش ٥٣: ٧). وكما كانت تُوثَق الذبيحة قبل التقدم بها الى المذبح، كذلك رضى المسيح لأعدائه بان يوثقوه، متقدمين به الى الصليب. وقد شاءت الاقدار، ان يشترك الامم واليهود في التقدم بالمسيح الى الصليب. فالامم كانوا ممثَّلين في «الجند والقائد». وكان اليهود ممثلين في «خدام اليهود». على ان هؤلاء لم يزيدوا عن كونهم مسخَّرين من رؤسائهم. فنصيبهم في صلب المسيح، كنصيب السكين التي يسفك بها الانسان دم أخيه الانسان. تقدم هؤلاء بيسوع قاصدين بيت حنان، فارتقوا المنحدر الذي يوصل بين وادي قدرون والمدينة اورشليم، فدخلوا أبوابها، واجتازوا شوارعها الضيقة المظلمة، وأضواء قمر العيد تسطع فوق سقوفها. ما اشبهها بقلوب الفريسيين التي كانت مرتعاً للظلام، ونور «شمس البر» يشرق حولها!

عدد ١٣. (٢) المسيح امام حنان. كان حنان هذا صدوقيا، وقد أتى به هيرودس الكبير الشرير، من الاسكندرية ليقلده وظيفة رئاسة الكهنوت، وها قد بلغ الآن السبعين من عمره. وهو أيضاً صاحب الحق في رئاسة الكهنوت، مع انه كان متقاعداً عن عمله، لان الوالي الروماني عزله منذ عشرين سنة، بعد

لانه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . ١٤ وكان
قيافا هو الذي اشار على اليهود

ان قلده هذا المنصب مدة سبع سنين . وكان اعتباره ونفوذه بين قومه اكثر كثيراً من صهره قيافا الذي «كان رئيساً للكهنة في تلك السنة»، اذ قلده الوالي هـذا المنصب، بعد ان عزل على التوالي أربعة من أبناء حنان حميه. ولقد كان كل هذا داعياً الى تعزيز نفوذ حنان الذي كان يعدّ هؤلاء الرؤساء الصغار بمشورته. ما اشبهه بحية قديمة تنفث سمومها في أفراخها. فيه يقول التلمود: «ويل لبيت حنان، ويل لأصواتهـم التي هي كفحيح الحيات، هم رؤساء الكهنة، ابناؤهم حفظة الخزانة، وأصهارهم ولاة الهيكل وخدامهم يضربون الشعب بالعصي»

قد اهتمّ يوحنا البشير بأن يخبرنا «ان الجند والقائد وخدام اليهود مضوا بالمسيح الى حنان اولاً»، قبل ان يذهبوا به الى قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة،لان حنان كان لا يزال رئيس الكهنة الحقيقي، على رغم كون صهره قيافا رئيس كهنة بحكم القوة السياسية، فكان ثانيهما يتقلد هذه الوظيفة اسمياً وصورياً. لذلك كان من الضروري ان يفوز اليهود برأي حنان، في قضية المسيح، قبل ان يعرضوها على قيافا رئيس الكهنة الاسمى، لان كل عمل يحكم فيه قيافا، من غير ان يأخذ فيه رأي حنان، كان مصيره عدم التنفيذ

عدد ١٤. (٣) عدم صلاحية قيافا للحكم في قضية المسيح: «وكان قيافا هو..». من المسلم به شرعاً، في كل القوانين الوضعية، ان القاضي لا يصلح

انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب. ١٥ وكان سمعان بطرس
والتلميذ الآخر يتبعان يسوع. وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس
الكهنة فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة. ١٦ واما بطرس
فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر

للحكم في قضية ما، متى كان قد سبق فأبدى رأياً فيها: «وقيافا هذا هو الذي أشار على اليهود انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب» (١١: ٤٩ و٥٠)

١٨: ١٥ — ١٨. (١) *بطرس ينكر سيده للمرة الاولى* — حالما تقدم الجند، والقائد، وخدام اليهود، وقبضوا على يسوع وأوثقوه، «تركه تلاميذه وهربوا» (مر ١٤: ٥٠). على رغم ما شاهدوه من جلال مجده في البستان، وما قطعوه على انفسهم من عهود ومواثيق بان يظلوا أمناء له حتى الموت (مرقس ١٤: ٢١). والظاهر انهم لاحظوا، بعد ان دافع عنهم سيدهم (١٨: ٨)، أن بقاءهم معه لا ينفعه، وقد يضرهم. ولكنه جبنٌ منهم على كل حال! أما يوحنا الحبيب، فقد رجع وانضم الى الجمهور الماشي من البستان الى دار رئيس الكهنة. ولانه كان معروفاً عند رئيس الكهنة، ومقبولاً في داره — ربما لمعاملات مادية بين رئيس الكهنة و بينه بحكم صناعته كصياد — دخل مع الداخلين الى دار رئيس الكهنة

«اما بطرس» الذي كان تابعاً موكب سيده «من بعيد» (متى ٢٦: ٥٨)، فقد وصل الى الدار، بعد ان كانت الجارية قد أغلقت الباب، فبقي «واقفاً عند الباب خارجاً»، «فخرج التلميذ الآخر» — الذي هو يوحنا غالباً،

الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس .
١٧ فقالت الجارية البوابة لبطرس ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا
الانسان . قال ذاك لست انا . ١٨ وكان العبيد والخدام واقفين وهم

و يعتقد جودي ان هـذا هو يعقوب اخو يوحنا — «الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلّم البوابة فأدخل بطرس» . ان وقوف بطرس عند الباب خارجاً ، برهةً من الزمن ، أعطى الجارية البوّابة فرصة لتثبّت نظرها فيه «فقالت هذه الجارية لبطرس : ألستَ انت ايضاً» — أي مع يوحنا التلميذ المعروف لديها — «من تلاميذ هذا الانسان»؟ مسكينة تلك الجارية المستعبَدة! فلعلها ظنت ان اسم يسوع أحقر من ان تتلفظ به ، فقالت عنه : « هـذا الانسان» ! وربما كانت سليمة النية في سؤالها هذا ، ولم تقصد من ورائه ، سوى مجرد الاستنصاء ، الذي هو غريزة طبيعية في كل إنسان . ولو كان بطرس قد اجابها بالايجاب ، لما أصابه حيف أو ضرر ، فقد كان معروفاً عن يوحنا زميله ، انه تلميذ المسـيح ، ولم يوقع به احد أي أذى . لكن ما الحيلة وقد استرسل بطرس في تخيلاته،فرأى نفسه واقعاً في الخطر،من غير ان يكون هنالك خطر، أوَليس من طبيعة الجبان ، انه متى رأى خيالاً ظنه رجلاً ؟ امام هذه المخاوف ، تحطمت شجاعة بطرس ، فقال للجارية «لست انا» !

عدد ١٨ . *حلقة الاتصال بين المرة الاولى التي فيها أنكر بطرس سيده، وبين المرتين التاليتين* : «وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد اضرموا جمراً ، لانه كان برد ، وكانوا يصطلون ، وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي» . حدث

قد أضرموا جمراً. لانه كان برد. وكانوا يصطلون وكان بطرس واقفاً
معهم يصطلي. ١٩ فسأل رئيس الكهنة يسوع

هذا، في منتصف شهر نيسان (مارس—ابريل)، والبرد يكون وقتئذٍ شديداً في اورشليم، لان هواءها جبلي، فهي مبنية على لسانٍ من الارض، تفصلها عن بقية البلاد أودية عميقة، تحيط بها من جميع الجهات — الاَّ جهة واحدة. وهي على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم تقريباً، فوق سطح البحر

ذكر البشيرون الاولون، المرات *الثلاث*، التي فيها أنكر بطرس سيده تباعاً — المرة تلو الاخرى، بصرف النظر عن الوضع التاريخي لكل منها، ليظل الكلام في المحاكمة متصلاً. لكن يوحنا رتَّب كلاًّ من هذه المرات *الثلاث*، في وضعها التاريخي، مع ذكر الملابسات الخاصة التي احاطت بكلٍّ. وهذا مما زاد بشارته جمالاً وجلالاً، سيما في عيني رينان، أحد الناقدين الملحدين

عدد ١٩. (٤) *رئيس الكهنة يستجوب المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه:* « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ». في هذا العدد، واصلَ البشيرُ كلامه الذي قطعه في عدد ١٥، بمناسبة ما كتبه عن انكار بطرس لسيده. فالكلام فيه، متصل بالكلام الذي مررنا به في عدد ١٤

يظن بعض المفسرين، ان «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو قيافا — اعتقاداً منهم أنه لا يجوز اطلاق لقب « رئيس الكهنة »، إلا على من يتقلد هذه الوظيفة بالفعل، مستندين في ذلك الى ما جاء في عدد ٢٤. ونميل نحن الى الاعتقاد بأن «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو حنَّان، لانه كان لا يزال

عن تلاميذه وعن تعليمه. ٢٠ اجابه يسوع انا كلمت العالم علانية.

حاملاً هذا اللقب على رغم كونه متقاعداً وقتئذ، بدليل ما جاء عنه في اعمال ٤: ٦، حيث ذُكر اسم حنَّان مشفوعاً بلقب «رئيس كهنة»، بينما ذُكر اسم قيافا مجرداً عن هذا اللقب. وكذلك يقول يوسيفوس في تاريخه، عن يوناثان ابن حنَّان: «رئيس الكهنة». (انظر ايضاً لو ٣: ٢). ومهما يكن من امر شخصية «رئيس الكهنة» هـذا، فهو على كل حال «رئيس كهنة» زائف، شاءت الاقدار ان يقف امامه «رئيس كهنتنا الاعظم» — وهو موثق

أليس من نكد الدنيا ان نجد العبد حراً، والحر مقيداً؟!

كان قصد حنَّان باستجوابه المسيح، ان يوقعه في ورطة كلامية، تكون اساساً لاتهامه رسمياً امام السنهدريم، وبذا يكون هذا «الحية القديمة» قد كافأ انتظارات اليهود فيه. لذلك ألقى سؤالاً ينمُّ عن اتهام دنيء ليسوع المسيح بان له تلاميذ معروفين في ضوء النهار، واتباعاً مستورين في الخفاء، ومشتركين معه في الذنب. وان له تعاليم صالحة ينادي بها في وضح النهار، وتعاليم اخرى غير قويمة يوسوس بها تحت جنح الظلام

عدد ٢٠ و٢١. (٥) *جواب المسيح على سؤال رئيس الكهنة*: «أجاب يسوع انا كلمت العالم علانية». أنكر المسيح بشمم واباء، ما عزاه اليه «رئيس الكهنة» الزائف، وأعلن بكلمات واضحة كالنهار، مرهفة كالسيف، قوية كالنور: ان تعاليمه نور، ولا يتسع لها المجال إلا في النور. واما الظلام، فليُسأل عنه أهل الظلام، وعلى رأسهم حنَّان وصهره قيافا وأعضاء السنهدريم،

انا علَّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً.
وفي الخفاء لم اتكلم بشيء. ٢١ لماذا تسألني انا. اسأل الذين قد سمعوا
ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا. ٢٢ ولما قال هذا لطم
يسوعَ واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً اهكذا تجاوب رئيس الكهنة

الذين عقدوا مجلسهم تحت جنح الظلام، غير مكترثين لقانون ولا نظام: «انا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً. وفي الخفاء لم أتكلم بشيء» — الآن أصبح المستجوَب مستجوِباً، وأضحى القاضي متَّهماً بعدم التبصر والروية، إذ سأله المسيح قائلاً: «لماذا تسألني انا. إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا». ولعلَّ المسيح أراد بقوله هذا، ان يبيّن لرئيس الكهنة، ان القوانين تقضي بان لا يقدَّم احد للمحاكمة، إلا من قدّم في حقه اتهام. أما ان يتبرع هو لنفسه بالاتهام، فهذا أمر لا يعرفه سوى قضاة الظلم والظلام!

عدد ٢٢. (٦) *اعتداء احد الخدم على يسوع*: «ولما قال هذا لطم يسوعَ واحدٌ من الخدام كان وقفاً». كان وقع جواب المسيح أليماً على رئيس الكهنة، فظهرت عليه سيماء الخجل والامتعاض. فقصد خادمه الذليل، ان يترضى وجه سيده. وفي ساحة القضاء داس العدالة بقدميه القذرتين، ولطم بيده الدنسه وجه المسيح الوضيء. يا ليت هذه اليد قد شُلَّت، قبل ان تمدَّ الى وجه المسيح الذي هو ابرع جمالاً من بني البشر! ولكن ذلك البائس التعيس، قد اراد ان يشتري رضى سيده بهذا الثمن. وما أغلاه من ثمن!

٢٣ اجابه يسوع ان كنتُ قد تكلمت رديّاً فاشهد على الردي وان
حسناً فلماذا تضربني . ٢٤ وكان حنان قد ارسله موثقاً الى قيافا

عدد ٢٣ . (٧) *جواب المسيح على هذا الاعتداء* : يذكرنا تصرف هذا الخادم، بتصرف خادم آخر، اثناء محاكمة بولس الرسول (اعمال ٢٣:٣). أما هذا الخادم، فقد تطوّع بهذه اللطمة. وأما ذاك، فضرب بولس بأمر رئيس الكهنة. ولكن بولس لم يستطع ان يكبح جماح نفسه، وفي ثورة غضبه، تفوّه بكلماتٍ اضطر ان يقدم عنها اعتذاراً (اعمال ٢٣:٥). أما المسيح، رب بولس فلم يقل كلمة في غير محلها، واذ وجد نفسه في ساحة العدالة، ورأى العدل مذبوحاً امام عينيه، والحق مدوساً تحت أقدام البشر، فاه بكلمة حق، مدافعاً بها عن «الحق». ولا عجب. فهو «الحق» مجسماً : «أجاب يسوع ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وان حسناً فلماذا تضربني» : وجدير بالذكر، ان تصرف المسيح في هذا الظرف، لا ينافي قوله في متى ٥:٣٩، فلم يكن عمله هذا سوى تفسير معنوي لما قال هنالك

عدد ٢٤ . *من حنان الى قيافا — المحاكمة الدينية الثانية* : «وكان حنّان قد ارسله موثقاً الى قيافا». ذكر يوحنا هذه العبارة، دفعاً لتصور القارئ، ان يسوع لم يحاكم دينياً إلا امام حنّان. فأشار الى المحاكمة الثانية التي سبق فكتب عنها متى ومرقس بافاضة (متى ٢٦:٥٩—٦٦ ومرقس ١٤:٥٥—٦٤). ان الترجمة الصحيحة للعبارة الاولى من هذا العدد، هي : «وأرسله حنان موثقاً الى قيافا». (انظر هامش الترجمة العربية المعروفة بترجمة بيروت). والظاهر ان

رئيس الكهنة ٢٥ وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي . فقالوا له

المسيح ، اذ أُوقف امام حنَّان ، حلّوه من وثقه ، و بعد استجوابه ، أمر حنَّان بأن يوثقوه ايضاً ، على اعتبار انه أصبح متهماً شرعاً ، وان يرسلوه الى قيافا

عدد ٢٥ . (ب) بطرس ينكر سيده للمرة الثانية . من الكلام عن موقف المسيح امام « رئيس الكهنة » ، عاد يوحنا البشير فحدّثنا عن سمعان بطرس.وكأن البشير أراد ان يحدثنا في الفصول التي يتألف منها الاصحاح الثامن عشر ، عن يسوع وعن سمعان ، بالتبادل : في الفصل الاول المبتدئ بالعدد الاول ، أخبرنا عن يسوع . وفي الفصل الثاني المبتدئ بعدد ١٠ ، كلمنا عن سمعان بطرس. في الفصل الثالث المبتدئ بعدد ١٢، عاد فحدّثنا عن يسوع. وفي الفصل الرابع المبتدئ بعدد ١٥ ، عاد الى سمعان . في الفصل الخامس المبتدئ بعدد ١٩ ، استأنف الكلام عن يسوع . وفي الفصل السادس الذي نحن بصدده الآن ، عاد ايضاً الى الكلام عن سمعان بطرس

ان المرة الاولى التي فيها أنكر بطرس سيده ، وقعت في بيت حنَّان ، وكذلك المرة الثانية والمرة الثالثة ، لأن عدد ٢٥ يرجع بنا الى ذات الموقف الذي تركناه في عدد ١٨ : «وكان بطرس واقفاً يصطلي» . والظاهر ان حنان وقيافا كانا يسكنان داراً واحدة ، في محلين تفصل بينهما باحة فسيحة، وان بطرس انكر سيده في هذه الثلاث المرات ، امام ذات الاشخاص ، وتقريباً في نفس المكان الواحد . ولكن في اوقات مختلفة ، ومناسبات متباينة

في المرة الاولى، انكر بطرس سيده، نتيجة سؤال الجارية اياه : «ألست

ألست أنت ايضاً من تلاميذه . فانكر ذاك وقال لست انا . ٢٦ قال

أنت أيضاً من تلاميذ هذا الانسان؟» (عدد ١٧). ثمَّ خرج خارجاً الى الدهليز ليتحاشى الاستجواب مرة أخرى . لكنه في هذه المرة الثانية ، أنكر سيده نتيجة سؤال وُجه اليه من الخدم. وفي الغالب علم هؤلاء الخدم بصلة بطرس بيسوع، من جارية أخرى كانت واقفة على الباب الخارجي المؤدي الى الدهليز (متى) . ولعلها تلك التي قامت بدورها في حراسة الباب بدلاً من الجارية الأولى. على انه لم يكن هنالك ما يدعو إلى وقوع بطرس مرة ثانية في خطيئته الأولى ، لأن الذين سألوه هذا السؤال، لم يقصدوا من ورائه ايقاع الأذى به، ولكن بطرس كان مدفوعاً الى تكرار خطيته الاولى بعاملين : اولهما — ان الوقوع في خطية لاول مرة، يمهد السبيل للوقوع فيها مرة ثانية، فكأنما كل خطية يرتكبها الانسان، تخبّيء في قلبها مغناطيسية كبرى ، تجتذب بها الانسان اليها . والعامل الثاني : ان بطرس ورَّط نفسه بوجوده في زمرة الخدم ، الذين كانوا جاعلين المسيح البريء موضوعَ تسليتهم ومزاحهم ، وهم حول النار يستدفئون . وفي الغالب جداً ، جاراهم بطرس في محادثاتهم هذه ، ولم يبدِ استنكاراً ولا احتجاجاً . من أجل ذلك كان من الصعب عليه، ان يعلن فيما بعد ، انه من تلاميذ «ذاك» الذي جعله الخدَم موضوع مزاحهم

عدد ٢٦ و٢٧ . (ج) *بطرس ينكر سيده للمرة الثالثة* : انكر بطرس سيده في المرتين السابقتين، من غير ان يكون مهدَّداً بشيء ما. ولكن موقفه في هذه المرة الثالثة كان حرجاً جداً ، لان لغته التي بها انكر سيده في المرة الثانية،

واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس
اذنه اما رأيتك انا معه في البستان . ٢٧ فانكر بطرس ايضاً .

أظهرته انه جليلي — فالجليلي يتميز عن سواه من سكان فلسطين ، بلفظه حرف «الشين» كأنه «ثاء» او «سين» وهذا دفع «واحداً من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه» الى ان يواجه بطرس بهذا السؤال: «اما رأيتك انا معه في البستان»؟ الآن رأى بطرس نفسه محاطاً بمخاطر عدة، وأدرك انه لا محالة واقع تحت المحاكمة نتيجة تعديه على العبد ، فاستسلم لقياد المجرب العظيم . ولكي يقدّم برهاناً عملياً ، على ان مشربه لا يتفق ومشرب ذلك المعلم الجليلي ، اندفع — وعادته دائماً الاندفاع — وتمادى في الحلف واللعن ، مؤكداً انه «لا يعرف ذاك» . «وللوقت صاح الديك» !

ان انكار بطرس لسيده في المرتين الثانية والثالثة ، حدث أثناء محاكمة المسيح أمام حنان . ومن الغريب انه حالما انتهت هذه المحاكمة ، كان بطرس قد انتهى ايضاً من انكار سيده مثنى وثلاث . وفي خروج المسيح من مسكن حنان الى مسكن قيافا، كان الديك قد صاح. فحانت من المسيح التفاتة[1] الى

(١) الارجح ان بيت رئيس الكهنة كان مبنياً ، كأكثر البيوت في الشرق، حول دار مربعة الشكل ، غير مسقوفة، متصلة بدهليز يدخلون اليه من بوابة كبرى على الشارع. وفي هذه الدار اضرم العبيد والخدام النار. وفي الغالب وقف يسوع امام «عظيم الكهنة» في حجرة بجانبها ، فكان يسمع كل ما قيل حول النار ، وكان بطرس في الدار يشاهد كل ما جرى للمسيح . وفي خروج المسيح من حجرة حنان الى حجرة قيافا ، اجتاز الدار التي كان بطرس فيها ، فالتفت اليه . فخرج بطرس الى خارج وبكى بكاء مراً

وللوقت صاح الديك . ٢٨ ثم

بطرس «فتذكر كلام الرب يسوع كيف قال له انك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . فلما تفكر به خرج الى خارج و بكى بكاء مراً»

ثالثاً : المحاكمة السياسية : (١٨: ٢٨—١٩: ١٦ (١))

انتهت الادوار الثلاثة، التي تألفت منها محاكمة يسوع الدينية. ففي الدور الاول ، حوكم أمام حنان «رئيس الكهنة» الحقيقي المحترم من الشعب . وفي الدور الثاني حوكم امام مجلس السنهدريم — مجلس السبعين — برئاسة قيافا «رئيس الكهنة» الرسمي في تلك السنة، في جلسة انعقدت خصيصاً تحت جنح الظلام . وفي هذا الالتئام ، حُكم على المسيح بالاعدام . وفي الدور الثالث حوكم امام مجلس السنهدريم برئاسة قيافا ايضاً، في جلسة انعقدت عند الساعة السادسة صباحاً، وفيها ايدوا ما قرروه في الجلسة السابقة. على ان اليهود لم يستطيعوا ان ينفّذوا في المسيح حكم الاعدام، لانهم كانوا وقتئذٍ مستعبدين للدولة الرومانية، التي سلبت منهم هذا الحق (عدد٣٨)، مع انها أوهمتهم انهم مستقلون استقلالاً ذاتياً . اذ صرَّحت لهم بان يحاكموا مذنبيهم الدينيين ، وان ينفذوا فيهم ما يصدرون عليهم من احكام — الاّ حكم الموت ، فكان عليهم ان يرجعوا في تنفيذ هذا الحكم الاخير الى رأي الدولة الرومانية. ويقول التلمود: «قبل خراب الهيكل باربعين عاماً ، انتُزع من اسرائيل حق الحكم بالاعدام»

ولئن أُتيح لليهود مرة ، ان يحكموا على استفانوس بالاعدام ، وأن ينفذوا فيه هذا الحكم رجماً بالاحجار، اثناء غياب الحاكم الروماني عن اورشليم

جاءوا بيسوع

وقتئذ، الا انهم لم يستطيعوا ان يوقعوا هذه العقوبة على المسيح — لسببين: أولهما — سبب ارضى، ثانوى. وهو: ان الحاكم الروماني — « بيلاطس »، كان موجوداً في أوروشليم آنئذ، لمراقبة اليهود اثناء عيد الفصح. والسبب الثاني — سماوى رئيسى، وهو: ان الله كان قد قضى منذ القديم، بأن يموت المسيح مصلوباً، لتحقّ عليه اللعنة التي بها يرفع عن العالم لعنة الخطية. فكان من الضروري اذاً، ان يتداخل الرومان في الأمر، ليموت المسيح مصلوباً — حسب احكام الرومان، لا رجماً بالاحجار — حسب عوائد اليهود (عدد ٣٢)

وكان بيلاطس ممثل الدولة الرومانيـة في اورشليم وقتئذ. وهو للأسف مجموعة من الاخلاق المتناقضة. فيه اجتمع الجبن بالعنفوان، والغباوة بالحكمة، والعدل بالظلم والعدوان، فكان حاكماً محكوماً، بريئاً مذنباً. ولقد أفاض يوحنا البشير في وصف محاكمة المسيح امام بيلاطس، اكثر من سائر البشيرين. ومن المحقق انه كان شاهد عيان. لان الذي دخل دار رئيس الكهنة مخاطراً بحياته، لم يتردد عن ان يرافق المسيح الى دار الولاية، والى الجلجثة (١٩: ٢٦)

تقع هذه المحاكمة، كما وصفها البشير، في سبع مراحل:

المرحلة الاولى — خارج دار الولاية (١٨: ٢٨ — ٣٢). المرحلة الثانية — داخل دار الولاية (١٨: ٣٣ — ٣٨ (أ)). المرحلة الثالثة — خارج دار الولاية (١٨: ٣٨ (ب) — ٤٠). المرحلة الرابعة — داخل دار الولاية (١٩: ١ — ٣). المرحلة الخامسة — خارج دار الولاية (١٩: ٤ — ٨). المرحلة

من عند قيافا الى دار الولاية .

السادسة — داخل دار الولاية (١٩: ٩ — ١١) . المرحلة السابعة — خارج دار الولاية (١٩: ١٢ — ١٦)

فما أمرّ ذلك السبيل، الذي سلكه المسيح الفادي — من خارج دار الولاية — الى داخلها، ومن داخلها الى خارجها. فكأنّ خالق هذه الكرة الأرضية، صار كالكرة بين أيدي البشر، يتقاذفونها هنا وهنالك ! كل هذا لأجلنا، وحباً بنا . هذه خطوات *ممهدة* للصليب، بل هي *عربون* الصليب

المرحلة الاولى في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — اليهود يطلبون تنفيذ حكمهم على المسيح من غير ان يوجّهوا اليه تهمة معيّنة

عدد ٢٨ . (١) . *زمان ومكان المحاكمة* — انتهى اليهود من محاكمة المسيح . عند الساعة السادسة صباحاً، «فقام كل جمهورهم» — مبكرين — «وجاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية» ، التي كان يقيم فيها بيلاطس ، ليتفرغوا فيما بعد لأكل الفصح ، الذي صار موعده على الأبواب . وكأنهم وطنوا نفوسهم ، على ان يترنحوا اولاً بكأس دم حمل الله الوديع ، قبل ان يشربوا كأس الفصح ! أمّا الدار التي أقام فيها بيلاطس ، فقد كانت قصراً ملكياً بناه هيرودس الأكبر — الذي كان له ولع خاص بالبناء — على تل واقع جنوبي غربي جبل المريا الذي أقيم عليه الهيكل ، ليضارعه في فخامة البناء وجلال المنظر

(٢) *التصميم الرائع* : كانت هذه الدار مؤلفة من بناء فخم ، يتصل به جناحان عظيمان . وامام هذا البناء المتوسط ، يمتد بهوٌ غير مسقوف ، أُقيمت

وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون
الفصح. ٢٩ فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا
الانسان. ٣٠ اجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا

فيه منصة للقضاء، فصعد عليها بيلاطس، واعوانه، ويسوع. وحضر ايضاً المشتكون عليه بزعامة قيافا. ولقد تمّ هذا الدور الاول من المحاكمة في هذا القضاء، لأن اليهود امتنعوا عن ان«يدخلوا الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح». يا لشقاوة هؤلاء القوم! فقد قبلوا عن طيب خاطر، ان يلطخوا ايديهم بدم المسيح البار، لكنهم امتنعوا عن ان يدخلوا تحت سقف بيت روماني، مخافة ان يكون فيه شيءٌ من الخمير، فيتنجسوا، ويحرَّم عليهم أكل الفصح. هذا كل ما وصل اليه تدينهم: «قبور مبيضة من الخارج، وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة»

عدد ٢٩. (٣) *المتمرد الجبان*: اما بيلاطس الجبان،فقد انصاع لارادتهم، وخرج اليهم، وقال «أية شكاية تقدمون على هـذا الانسان». لم يرغب بيلاطس في ان يسلم لهم بالموقف المزري الذي ارادوه له، بجعلهم اياه مجرد قوة منفذة لأحكامهم فافهمهم، انه هو صاحب الحق، في التحقيق والقضاء

عدد ٣٠. (٤) *كبرياء ممتزجة بدهاء*: «أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك». هذا جواب صادر عن قلوب مشحونة ظلماً ورياء، ودهاء وكبرياء. كأنهم ارادوا ان يحملوا بيلاطس على ان يضع «بصمته» على حكمهم. ولعلهم عزموا على ان لا يتكلموا امام بيلاطس الحاكم

قد سلمناه اليك . ٣١ فقال لهم بيلاطس خذوه انتم واحكموا عليه
حسب ناموسكم. فقال له اليهود لا يجوز لنا ان نقتل احداً . ٣٢ ليتم
قول يسوع الذي قاله مشيراً الى اية ميتة كان مزمعاً ان يموت

السياسي ، بامور دينية خاصة بهم . وقد فاتهم ان الحكم الروماني كان مطبوعاً بطابع خاص — *العدالة فوق كل شيء*

عدد ٣١ . (٥) *دهاء يفوق دهاء* . ان بيـلاطس العنيد ، المتكبر ، الخبيث ، لم تفته حيلة اليهود ، فأجابهم على حيلتهم . بحيلة أدهى منها ، ولطم كبرياءهم بلطمة أشد منها واقوى ، فأصابتهم هذه اللطمة الشديدة في صميم عزتهم القومية ، حين قال لهم : «خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم» . ولعلّ بيلاطس قصد في الوقت نفسه ان يوجد لنفسه منفذاً ، يساعده على الخروج من هذا المأزق الذي اوجدوه فيه ، فأحالهم الى «ناموسهم»

(٦) *الحقيقة المرة* — خرّ اليهود امام لطمة بيلاطس صاغرين ، لانها ذكّرتهم بوقوعهم في مخالب النسر الروماني . فاعترفوا له بعجزهم وعجز ناموسهم معهم ، عن «ان يقتلوا احداً» ، وقالوا بنغمةٍ يمازجها التحسر والخجل : «لا يجوز لنا ان نقتل احداً»

عدد ٣٢ . (٧) *نبوة قديمة تمت* : « ليتمّ قول يسوع الذي قاله مشيراً الى أية ميتة كان مزمعاً ان يموت» (٣: ١٤ ، ٨: ٢٨ ، ١٢: ٣٢) . ولولا هذا العجز ، الذي اوقعهم فيه الحكم الروماني ، لأماتوا المسيح رجماً بالاحجار — لا مصلوباً . راجع تفسير عدد ٢٨

٣٣ ثم دخل بيلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع

المرحلة الثانية في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية «الاعتراف الحسن» — المسيح ملك (١٨: ٣٣—٣٨ (أ))

ينبئنا لوقا البشير، بأن اعداء المسيح، ابتدأوا حينئذ يشتكون عليه قائلين: «إننا وجدنا هذا» — ما أمرّ التحقير الذي لفظوا به كلمة «هذا»! «يفسد الامة ويمنع ان تُعطى جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك». هذه هي التهم الثلاث، التي قدموا بها المسيح الى بيلاطس. فالتهمة الاولى جوفاء: «هذا يفسد الأمة»، لأنها قد تُطلق على اي انسان — ومن باب أولى عليهم هم. أليسوا هم الذين افسدوا ضمير هذا الشعب الساذج؟ والتهمة الثانية: «ويمنع ان تعطى جزية لقيصر» — هذه تهمة باطلة بطلاناً اصلياً. ألا يذكرون قوله في مناسبة سابقة: «اعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر؟» (لو ٢٠: ٢٥) أما التهمة الثالثة: «انه مسيح ملك»، فقد اجادوا تلفيقها وحبكها، واحكموا صوغها في قالب يسترعي التفات بيلاطس الروماني

عدد ٣٣. (١) **بيلاطس يستجوب المسيح على انفراد**. من أجل ذلك أراد بيلاطس، ان يحقق هذه التهمة الاخيرة، لأنها تهمة سياسية، تتصل بوظيفته كمندوب قيصر امام اليهود. فأي تهاون يبدو منه في تحقيق هذه التهمة، كان كافياً لأن يجعله مضغة في افواه اليهود الذين لا يترددون عن ان يشوا به الى قيصر، لذلك «دخل بيلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع» وحده اليه. الآن قد تحوّل وجه المسيح عن اليهود، واتجه الى بيلاطس

وقال له انت ملك اليهود . ٣٤ اجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا
ام آخرون قالوا لك عني . ٣٥ اجابه بيلاطس ألعلّي انا يهودي .

الامي ! ألا يُعتبر عمله هذا ، رمزاً الى تحوّل انجيله في المستقبل ، عن اليهود ، واتجاهه الى الأمم ؟ أوَ ليس هذا عقاباً عادلاً لليهود ، الذين أسلموا ملكهم ، باختيارهم ، الى القوة الرومانية ، التي داست رقابهم بقدميها ! ؟

هناك في تلك القاعة الرومانية الجميلة ، جلس بيلاطس الوالي الزائف ، واوقف امامه «والي الولاة» . فالتقى في تلك الغرفة ، قلب الليل بصدر النهار وتفرس الحق مجسماً في وجه الظلم متأنساً . ومن الغريب ان يقف «الحق» في هذه الدنيا ليحاكم امام الظلم . لكنّ دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة

سأل بيلاطسُ يسوعَ قائلاً : « أأنت ملك اليهود » ؟ وكأني بذلك الفم الروماني الأجوف ، يلفظ كلمة «انت» بأنفاس التحقير والازدراء !

عدد ٣٤ . (٢) المسيح يجاوب بيلاطس : «أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني» ؟ اي — أتقصد بكلمة: «ملك»، ما تفهمه انت منها، او ما يفهمه اليهود منها ؟ نعم ان المسيح « ملك » ، ولكن ليس بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس . ولقد اصاب المسيح كبد بيلاطس بهذا السؤال الذي بدأ فيه المتهَم يقف موقف المستجوِب ، والوالي موقف المستجوَب

عدد ٣٥ . (٣) بيلاطس يتبرم ، ويعيد استجواب المسيح : « أجابه بيلاطس ألعلي انا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ » . تبرَّم بيلاطس من السؤال الذي وجهه اليه المسيح ، وقال غاضباً : « ألعلي انا

أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك الي . ماذا فعلت . ٣٦ اجاب يسوع
مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان
خدامي يجاهدون لكي لا اسلّم الى اليهود . ولكن الآن

يهودي » ؟! قصد بيلاطس ان يعبّر بهذا الجواب ، عن ترفعه وعدم مبالاته، وان يجعل منه طعنةً نجلاء يوجهها الى المسيح والى اليهود في وقت واحد ، فقال : «أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ». وكأني به يقول للمسيح : «ان بليّتك جاءتك من أمتك» . هذا مصداق لقول الكتاب : «الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله».وفي الوقت نفسه قال بيلاطس لليهود ضمناً:«انكم قد غدرتم بملككم»! ثم شرع يسترد مركزه كوالٍ محقق،فقال للمسيح: «ماذا فعلت»؟

عدد ٣٦. (٤) *الجانب السلبي من اعتراف المسيح الحسن* . ان لاعتراف المسيح الحسن جانبين : *اولهما سلبي ، وثانيهما ايجابي* . في الجانب السلبي ، «اجابه المسيحُ» انه ليس ملكاً بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس، ثم أقام *الحجة* على هذه الحقيقة : « مملكتي ليست من هذا العالم » . أي انها لا تستمد أساسها ، ولا شرائعها ، ولا اسلحتها ، ولا سلطانها ، ولا طبيعتها من هذا العالم. فطبيعتها منافية لطبيعة العالم،لانها هي من **فوق** والعالم من **اسفل** (٨: ٢٣) . أما *الحجة* التي ذكرها تأييداً لهذه الحقيقة فهي : «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون لكي لا أسلَّم الى اليهود » . والدليل على ذلك ، انه واقفٌ امام بيلاطس موثقاً ، وانه عندما تطوّع احد جنوده للدفاع عنه ، زجره قائلاً : « اجعل سيفك في الغمد » (١٨: ١١) . «ولكن الآن»—اي

ليست مملكتي من هنا . ٣٧ فقال له بيلاطس أفأنت اذاً ملك .
اجاب يسوع انت تقول اني ملك . لهذا قد وُلدت انا ولهذا قد
اتيت الى العالم لاشهد للحق

ها قد وضح امامك جلياً ، ان « مملكتي ليست من هنا » . ومن المحقق ان بيلاطس كان قد أُبلغ هذا الخبر من الجنود الذين ألقوا القبض على يسوع

عدد ٣٧ . (٥) بيلاطس يستجوب المسيح للمرة الثالثة عما اذا كان ملكاً: سمع بيلاطس كلمة: «مملكتي» من المسيح ، ثلاث مرات ، في جوابه . فقال فزعاً : «أفأنت اذاً ملك ؟» ولعله قصد في الوقت نفسه ، ان يحبك من خيوط سؤاله هذا،شبكة يمسك بها المسيح متلبساً بالجريمة التي اشتكى بها عليه اليهود

(٦) الجانب الايجابي من اعتراف المسيح الحسن . ان رب المجد ، قطع بسيف «الحق» ، هذه الخيوط الواهية الوهمية التي حبكها بيلاطس ، فقال : «أنت تقول اني ملك». فنسب هذا القول الى بيلاطس لا الى شخصه ، وفي الوقت نفسه اقرَّ به ولم ينكره . ثم أبان لبيلاطس ، نوعَ السلاح الذي به يؤيد المسيحُ ملكه، فقال : «لهذا قد وُلدت أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم . لأشهد للحق» . فالحق سلاح هذا الملك ، وهو اساس ملكوته وعماده . فهو اذناً ملك ، وهو أيضاً نبي حامل رسالة «الحق» . وبهذا الحق يؤسس ملكه، ويرفع لواءه ، ويدعمه . في هذا تختلف مملكة المسيح عن مملكة قيصر . فالاولى تجمع قلوب البشر ، والثانية تسحق اجسامهم . قوة الاولى في الحق وقوة الثانية في الحديد والنار . الاولى داخلية ، دائمة . والثانية خارجية ، زائلة

كل من هو من الحق يسمع صوتي. ٣٨ قال له بيلاطس ما هو الحق
ولما قال هذا خرج ايضاً الى اليهود وقال لهم

الآن، رأى المسيح ان الوقت قد حان ليصيب كبد بيلاطس مرة أخرى، فسلط عليه نور «الحق»، قائلاً: «كل من هو من الحق يسمع صوتي» كأنه قال ضمناً لبيلاطس: «أأنت من الحق؟ ان كنت تسمع صوتي فأنت من الحق، لان الحق يتبرر دائماً من بنيه. والا. فلا»

عدد ٣٨. (٧) بيلاطس يسأل عن الحق من غير ان ينتظر جواباً — سمع بيلاطس من المسيح قوله: «كل من هو من الحق يسمع صوتي»، فأحس مرة أخرى بأن كرسيه يرتج من تحته، وان المحاكمة عادت فانقلبت عليه، وان ذلك «المتهم» العجيب—المسيح— قد وقف منه موقف القاضي، وأوقفه هو موقف المتهم. واذ أدرك ان اطالة مدة الانفراد بهذا «المتهم» العجيب، لا تزيده الا تورطاً، قصد ان يصرف الموضوع، بسؤال ألقاه على المسيح، بين هازل وعابث، وهو لا ينتظر عنه جواباً: «ما هو الحق»؟[١]

المرحلة الثالثة في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — بيلاطس يقر ببراءة المسيح لاول مرة — باراباس أم المسيح؟ (٣٨ (ب)— ٤٠). لم يكن بيلاطس في سؤاله عن «الحق» جاداً، بل كان عابثاً هازلاً. فسؤاله عن «الحق»، كسؤال الظالم عن العدالة، والمستبد عن الرحمة. لان الذي يعرف شخصية بيلاطس، يؤكد ان بينه و بين الحق مراحل. لذلك لم يستطع ان

(١) لو كان بيلاطس جاداً في سؤاله، وغير كلمة «ما» بكلمة «من»، لوجد خير جواب على سؤاله، في المسيح الواقف امامه (١٤: ٦)

انا لست اجد فيه علة واحدة. ٣٩ ولكم عادة ان اطلق لكم
واحداً في الفصح. افتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود.

ينتظر جواباً عن سؤاله. وهل تقوى حشرات الظلام على انتظار بزوغ نور الشمس ؟ من أجل ذلك فر بيلاطس هارباً، وخرج الى اليهود مرة أخرى وقال لهم: «انا لست أجد فيه علة واحدة»

عرَّفنا البشيرون الاولون، ان رؤساء الكهنة والشيوخ، حالما سمعوا تصريح بيلاطس، لأول مرة، ببراءة المسيح، «كانوا يشددون قائلين انه يهيج الشعب. وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الى هنا». أما بيلاطس، فقد كان يحاول ان يجد وسيلة يتذرّع بها للخروج من هذا المأزق الحرج، الذي أوجده فيه وقوف المسيح امامه، أو بالحري وقوفه هو امام المسيح. فلما سمع عرَضاً، ذكر «الجليل»، وجد ان اول وسيلة يمكن ان يتذرّع بها للهرب من المسئولية، هي ان يرسل المسيح الى هيرودس والي الجليل، الذي كان حينئذ في أورشليم — على اعتبار ان يسوع جليلي تابع لسلطنة هيرودس. أما هيرودس، فقبِل المخلص بكل فرح، لانه كان مشتاقاً من زمان طويل ان يراه، وترجى ان يصنع الآن آية امامه. غير ان المسيح لم يجبه بشيء عن جميع سؤالاته، ولا أجاب عن شكاوي الكهنة والرؤساء الذين صحبوه الى ذلك الوالي. فاحتقره هيرودس مع عسكره، واستهزأ به، وألبسه لباساً لامعاً، ورده الى بيلاطس. وفي الوقت نفسه اعتبر ارسال بيلاطس، ليسوع اليه، علامة محبة ووداد من جانب بيلاطس، فكان هذا

٤٠ فصرخوا ايضاً جميعهم قائلين ليس هٰذا بل باراباس. وكان باراباس لصاً

باعثاً على ارجاع الصداقة التي كانت قد تقطعت اوصالها بينهما. فما اعجب فادينا! فهو صانع سلام حتى في محاكمته الاخيرة! حقاً هذا هو ابن الله!

اما بيلاطس، فكان لم يزل مُصراً على اطلاق يسوع، فجلس في هذه المرة رسمياً على كرسي الولاية كقاضٍ (متى ٢٧: ١٩)، واعلن انه هو وهيرودس قد فحصا يسوع، ولم يجدا فيه علة. فكان الواجب حينئذ على بيلاطس القاضي الروماني — والقضاء الروماني متصف عادةً بالعدالة — ان يطلق المسيح، بعد ان ثبتت له براءته. ولكن هذا الرجل الضعيف، قد لانت قناته امام تشدد اليهود، فتذرع بوسيلة ثانية للخروج من هذا المأزق، محاولاً ان يستفيد من عادة قديمة، كان قد عوَّد اليهود عليها — وهي ان يُطلق لهم كل عيد فصح مجرماً — كأنه قد ثبت لديه ان المسيح مجرم. فالتجأ الى عواطف الشعب اليهودي، علَّه يفوز منهم بكلمة عن اطلاق المسيح. وعرض عليهم ان يختاروا: بين ان يطلق لهم **المسيح ملكهم** او **باراباس القاتل المجرم**. وفيما كان بيلاطس منتظراً الشعب، ليختاروا من يُطلق لهم، وصلته رسالة من امرأته التي يُظن ان اسمها «كلافديه بركيولا». عجيب ان الشخص الوحيد الذي تطوَّع للدفاع عن مخلصنا في هذه الساعة الدقيقة، ليس رجلاً من اتباعه. بل امرأة وثنية! وفي هذه الاثناء كان رؤساء الكهنة يحرضون الشعب على ان يختاروا «باراباس» — ومعناه: «ابن ابيه، او ابن العباس، او ابن المعلم». فصرخ الشعب اليهودي بجملته قائلاً: «ليس هذا بل باراباس». هذه لطخة سوداء على جبين الشعب اليهودي، الذي فضل **اللص القاتل على المسيح الملك**

الاصحاح التاسع عشر

تتمة المحاكمة، والصلب

جئنا الآن، الى هذا الفصل التاريخي، الذي يتقدم بنا الى قدمي الصليب وان فصلاً كهذا، ينبغي ان ندرسه ونحن على ركبنا جاثين خاشعين

«هو أعلى من السموات فماذا عساك ان تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري. اطول من الارض طوله، وأعرض من البحر.» — هذا هو الصليب بل هذا هو المسيح المرفوع على الصليب

إننا واقفون الآن على ارض مقدسة، فيها انوار، وفيها ظلال. وعلى قدر ما يكون النور ساطعاً، يكون ظلال الاشباح الساقط عليها هذا النور قاتماً

اعتاد المصورون قديماً، ان يرسموا وجه المسيح الظهور، وحوله هالة من النور. وسواء أكان هذا النور منظوراً للعيان أم غير منظور، فهو نور فاحص انعكس على قلوب كثيرة فكشف خباياها وخفاياها. فكل شخص اشترك في الحكم على المسيح وصلبه، قد حكم على نفسه، وصلب نفسه، وهو لا يدري. وفي مقدمة هؤلاء: بيلاطس الذي سمح بصلب المسيح، حرصاً منه على مركزه السياسي. ولفرط خيبته، خسر هذا المركز الذي قدم المسيح ثمناً للحرص عليه. وما أغلى هذا الثمن! فقد حكم عليه الامبراطور الروماني بالطرد من كرسي الولاية. ولشدة يأسه مضى وانتحر

لنعد الآن الى درس تتمة محاكمة المسيح السياسية:

١ فحينئذ اخذ بيلاطسُ يسوعَ وجلده. ٢ وضفر العسكر
اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب ارجوان.

المرحلة الرابعة في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية — الجَلدُ والسخرية (١٩: ١—٣). لما فشلت الوسيلة الثانية، التي تذرع بها بيلاطس للخروج من المأزق الحرج الذي اوجده فيه وقوف المسيح امامه، التجأ الى وسيلة ثالثة. فاقترح على اليهود، ان يجلد المسيح ويطلقه: «ها لا شيءَ يستحق الموت صُنع منه. فانا أؤدبه واطلقه» (لو ٢٣: ١٦). ان قول بيلاطس هـذا، لهو بمثابة القول عن الشيء الواحد: انه ابيض واسود في آن واحد. لان الجلد يفترض ثبوت الجريمة. وهو اول جرعة في كأس الصليب. ولكنَّ قولاً كهذا خليقٌ بأمثال بيلاطس الجبان والمتغطرس في آن وحد. وفعلاً نفذ قوله هذا. «فاخذ يسوع وجلده» —على الطريقة الرومانية التي هي اقسى بكثير من الطريقة اليهودية (يو ١٩: ١). لان عدد الجلدات عند اليهود كان محدوداً — فلا يزيد عن الاربعين. واما الرومان، فكانوا يجلدون مجرميهم جلدات بلا عدد، و بكل عنف، حتى ان كثيرين كانوا يموتون تحت الجلد. ثم أسلم بيلاطسُ يسوعَ الى العسكر «فضفر هؤلاء إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه. وألبسوه ثوب ارجوان» — على مثال الثوب الذي كان يلبسه رؤساء الجيش. وقد البسوا يسوع اياه، تحقيراً منهم له، لانه قال عن نفسه: «انه ملك». وهكذا تضحك الاقدار من الناس، فان هؤلاء الجنود العميان، كانوا أحكم من انفسهم. فما صنعوه بالمسيح تحقيراً وازدراءً، أمرت به

٣ وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه. ٤ فخرج
بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم

العناية تعظيماً واكباراً. فقد أُلبس الثوب الارجواني — باعتبار كونه غالباً. وكُلّل بالشوك — على اعتبار انه ملك العالم. بل ملك آلام العالم وآماله. و يقول متى البشير «انهم وضعوا قصبة في يمينه» (متى ٢٧ : ٢٩) — لانه في الواقع قابض على صولجان الملك، فهو «ملك الملوك ورب الارباب». ولكي يكملوا معيار آثامهم، كانوا يقولون «السلام يا ملك اليهود. وكانوا يلطمونه». هل كان الجنود الرومان، بقولهم هذا، يسخرون من الشعب اليهودي، أم كانوا يسخرون من انفسهم، أم كانت العناية هازئة باليهود والرومان معاً؟

المرحلة الخامسة في المحاكمة السياسية: خارج دار الولاية: بيلاطس يعترف ببراءة المسيح، للمرتين الثانية والثالثة: «هوذا الانسان»! (١٩ : ٤ — ٧).

تمنى بيلاطس ان يتأثر اليهود من رؤيتهم المسيح المتألم، فيظهروا عطفهم عليه، ويسمحوا باطلاقه. لكن تمنيه قد خاب. ويظهر ان الشعب اليهودي، كان يرى في كل اقتراح جديد يقدمه بيلاطس، انهزاماً جديداً منه امامهم، فاستسلموا للعناد، كحيوان جموح استهوته الريح. لكن بيلاطس لم ييأس من التوسل اليهم — كدت اقول التسول منهم — ان يسمحوا باطلاق سراح المسيح. لذلك شرع يناشدهم ببراءة المسيح، و برارته، وضعفه الانساني علّه يحوّل حقدهم عليه الى حنو، وقسوتهم الى عطف

عـدد ٤. (٤). *بيلاطس يجاهر ببراءة المسيح للمرة الثانية:* «فخرج

ها انا اخرجه اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة . ٥ فخرج
يسوع خارجاً وهو حامل اكليل الشوك وثوب الارجوان . فقال
لهم بيلاطس هوذا الانسان . ٦ فلما رآه

بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم ها انا أخرجه اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة» . بهذه الكلمات الاخيرة ، ناشدهم بيلاطس الانسانية والعدالة . ولكن لا حياة لمن تنادي

عدد ٥ . (٢) . **المسيح خارج حاملا اكليله** : «فخرج يسوع خارجاً» — وراء بيلاطس — « وهو حامل اكليل الشوك » — ولابس — « ثوب الارجوان » . ارجع في تفسير هذا العدد الى ما اسلفنا في عدد ٢

(٣) **بيلاطس يستدر عطف اليهود** : «هوذا الانسان» ! فاه بيلاطس بهاتين الكلمتين الأخيرتين، بنغمة استعطافٍ واسترحام. وكأني به يقول لهم: « أعلى هذا الانسان البائس المتألم تحقدون يا أيها اليهود ؟ ومثله تحسدون ؟ » هذه نغمة بيلاطس . أمّا العناية الالهية ، فقد سترت تحت نغمة بيلاطس ، نغمةً أخرى أثبت منها على ممرّ الايام — هي نغمة الاعجاب بهذا الذي اجتمعت فيه كل كمالات البشرية ، والتقت فيه كل آمال الناس في كل ادوار التاريخ ، فهو منتهى آمال اليهود وهو «مشتهى الامم». ولقد فات بيلاطس ان يعرف انه بنطقه بهاتين الكلمتين ، كان مقدِّماً أبلغ جواب على سؤاله الذي لفظَه منذ مدة وجيزة : «ما هو الحق »(١٨:٣٨) ؟

عدد ٦ . (٤) **رؤساء الكهنة والخدام يطلبون صلب المسيح** . حالما

رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه. قال لهم بيلاطس خذوه انتم واصلبوه

رأى رؤساء الكهنة والخدّام، دماء المسيح التي اسالتها الجلدات من جسمه الطهور، وأراقها اكليل الشوك على جبينه الوضاء، استساغوها واستعذبوا طعمها، فطلبوا منها المزيد. وصمموا على ان يُرووا غلّهم منها حتى آخر قطرة، فصرخوا قائلين: «اصلبه اصلبه» — وفي الاصل «اصلب اصلب»! هذه اول مرة عيّنوا فيها نوع الموت الذي سيذوقه المسيح — الصلب. هل كان بين هذا الشعب، بعضٌ من اولئك الذين هتفوا للمسيح يوم دخوله اورشليم: «اوصنا. اوصنا»؟ أم كان ذاك شعب الجليل، وهذا شعب اورشليم؟ أوَليست كل الشعوب من طينة واحدة؟ غير ان اللوم في هذا، لا يقع عليهم وحدهم، بل على بيلاطس ايضاً. لانه هو الذي اقترح عليهم «الجلد» الذي هو مقدمة للصلب عادة. فهل يُعابون هم، اذا اختاروا الخاتمة الملائمة لتلك المقدمة؟ هذه هاوية سحيقة هوى اليها بيلاطس امام الشعب اليهودي. بل هذا احط درك هبط اليه اليهود، اذ طلبوا الى الحاكم الروماني ان يصلب «ملكهم». لان الرومان لم يصدروا مثل هذا الحكم الاّ على عبيدهم وإمائهم

(٥). *بيلاطس يجاهر ببراءة المسيح للمرة الثالثة*. الآن أخذ الضجر من بيلاطس كل مأخذ، وكأنه عوّل على ان لا يكون فيما بعد لعبة في ايدي اليهود، لذلك اراد ان يلقي عليهم وحدهم كل التبعة في صلب المسيح: فقال لهم «خذوه انتم واصلبوه لاني لست أجد فيه علة». هذه هي المرة الثالثة التي

لاني لست اجد فيه علة. ٧ اجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا
يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله . ٨ فلما سمع بيلاطس هذا

أقرَّ فيها بيلاطس ببراءة المسيح، بل هذه هي *اللطمة الثالثة* التي لطمهم بها

ان هذه الكلمات مفرغة في قالب تهكمي لاذع ، لان بيلاطس كان يعلم انهم لا يستطيعون ان يصلبوا المسيح، بعد ان سلبت منهم القوة الرومانية هذا الحق . فكأنه في هذه الكلمة قد ذكَّرهم: *بظلمهم*—لانهم طلبوا ان يصلبوا شخصاً بريئاً ، *وبعجزهم* — لان القوة السياسية شلّت ايديهم

عدد ٧. (٦) *اليهود يصارحون بيلاطس بتهمة المسيح المخبوءة في قلوبهم.* امام هذه اللطمة القوية ، اهتزت قلوب اليهود وارتجفت ، وأسقط في ايديهم، ولم يتمالكوا انفسهم من ان يبوحوا لبيلاطس بالعلة الاساسية التي كانوا الى الآن يضمرونها في احشائهم، مخافة ان يسخر منهم بيلاطس. فاجابوه: «لنا ناموس . وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله»

عدد ٨.(٧) *التأثير الذي تركه تصريحهم هذا في نفس بيلاطس.* عجيب ان اليهود يحتكمون في مسائلهم اللاهوتية الى والٍ وثني . وكأنهم ظنوا ان إفضاءهم اليه بهذه العلة الدفينة ، يحمله على صلب المسيح . ولكن خاب فألهم، وفشل انتظارهم ، فان هذا التصريح الاخير الذي افضوا به الى بيلاطس، قد أثر فيه تأثيراً على عكس ما كانوا ينتظرون . لانه بعد ان سمع هذا القول «ازداد خوفاً» . والسبب في ذلك ، ان افكاراً وخواطر كانت تجيش وقتئذ في نفس بيلاطس من جهة هذا الشخص «العجيب» ، وأثر الرسالة التي بعثت

القول ازداد خوفاً . ٩ فدخل ايضاً الى دار الولاية وقال ليسوع
من اين أنت

بها زوجته اليه لم يبرح من باله بعد . فكان يقول في نفسه : « يا ترى مَن هو هذا الشخص العجيب الممتاز ، الذي صمدت براءته امام كل هجمات اليهود» ؟ فلما سمع منهم ان للمسيح «جعل نفسه ابن الله» استرجع الى ذاكرته بعض ما كان يطالعه من اساطير اليونان عن ظهور الآلهة في شكل بشر ، فثارت في نفسه غريزة الاستقصاء والبحث، يحدوها شيء غير قليل من الوَجل والتهيُّب والفزع من صوت الضمير المبكت

المرحلة السادسة في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية — المسيح الصامت — المسئولية العظمى (١٩ :٩— ١١)

عـدد ٩ . (١) . *بيلاطس يخلو الى المسيح ويستجوبه عن مصدره* . تأثر بيلاطس تأثراً عميقاً من علمه بان للمسيح يقول عن نفسه انه ابن الله . فادخل يسوعَ معه الى دار الولاية ، واستجوبه عن مصدره، بنغمةٍ يمتزج فيها التهيُّب بحب الاستطلاع : «من اين انت» ؟ ولعله قصد، ان يفوز من المسيح بجواب يروِّح به عن نفسه ، في وسط هذه المسالك الخشنة ، التي ادخل نفسه فيها باستضعافه امام اليهود،وان يتحرر من الارتباك،الذي اوقعته فيه رسالة زوجته

(٢) **الفادي الصامت** : «اما يسوع فلم يعطه جواباً» . اننا نلمح في سكوت مخلصنا ، ذات الحكمة التي نراها في كلامه ، فهو عظيم في صمته ، عظيم ايضاً في كلامه . فلقد كان في صمته هذا ، مقدِّماً ابلغ جواب على سؤال بيلاطس

واما يسوع فلم يعطه جواباً . ١٠ فقال له بيلاطس اما تكلمني.

ومعترفاً بالتهمة التي الصقها به اليهود، بل مرحباً بها، فهو ابن الله بالحقيقة . ولكن أليس بغريب ان يصمت المسيح امام بيلاطس ، وهو عالم ان في امكانه ان يطلقه ؟ كلا . كنا نحسب صمته عجيباً ، لو كنا نعلم انه يريد ان يُطلَق سراحه لينجو من موت الصليب ، اما وقد جاء ليُصلَب ، فلا مفرّ من صمته حتى يتمّ القضاء المبرم . وهل كان بيلاطس في حاجة الى مزيد من النور ، ليتساعد به على اطلاق سراح المسيح ؟ كلا . لانه لم يعمل بالنور الذي عنده ، بعد ان أقرّ ثلاث مرات ، ان المسيح بارّ . فزيادة النور في هذه الحال ، تكون بمثابة وضع جمر نار على رأسه. ويقول بعض المفسرين: ان المسيح صمت امام بيلاطس، لانه لم يرد ان يفهمه أنه ابن الله بالمعنى الخرافيّ الناقص الذي كان يفهمه بيلاطس من اساطير اليونان . اوَ لم يصمت المسيح فداء عنا ، نحن المقضيّ علينا بانْ تُستَدّ افواهنا امام دينونة الله العادلة ؟ (رو ٣: ١٩). اذاً لقد صمت «الكلمة» المتجسد ، لكي نتكلم نحن الخطاة . فجاء صمته هذا ، متمماً لنبوة قديمة : «فلم يفتح فاه» (اش ٥٣: ١١)

ورد ذكر سكوت المسيح اربع مرات في قصة الآلام — مرة امام قيافا (مت ٢٦: ٢٣) ، ومرتين امام بيلاطس (مت ٢٧: ١٢ و يو ١٩: ٩) ، ومرة امام هيرودس (لو ٢٣: ٩)

عدد ١٠ . (٣). بيلاطس يدعي لنفسه سلطاناً لا يملكه: «فقال له بيلاطس أما تكلمني ؟ ألست تعلم ان لي سلطاناً ان أصلبك وسلطاناً ان أطلقك» ؟

ألست تعلم ان لي سلطاناً ان اصلبك وسلطاناً ان اطلقك ١١ اجاب
يسوع لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق.

مسكين بيلاطس ! لأنه بمحاولته ان يدّعي لنفسه سلطاناً مطلقاً ، اوقع نفسه في مسئولية عظمى وهو لا يدري ! فاذا كان يملك حقاً سلطان اطلاق المسيح فماذا منعه من اطلاقه ، بعد ان اعترف *ثلاثاً* بانه بريء ؟ ولماذا اذاً غسل يديه على تلك الصورة التمثيلية الجوفاء ايهاماً للناس بأن لا يد له في صلبه؟ وهكذا يحاول المرء ان يدّعي لنفسه حقاً لا يملكه ، فيخسر حقاً يملكه

عدد ١١ . (٤) . *السلطان والمسئولية* : «أجاب يسوع ....» . في هذه المرة ، تكلم يسوع بعد ان صمت في المرة الاولى (عدد ٩) . وفي كلامه استرد سلطانه الذاتي ، واتخذ موقف قاضي القضاة ، فحكم على بيلاطس وعلى السنهدريم ، مقدِّماً في حكمه *اربع* حقائق رئيسية : كل حقيقة منها *اساس* لما قبلها ، *ونتيجة* لما بعدها . الحقيقة *الاولى* : ان السلطان الذي يدّعيه بيلاطس لنفسه على المسيح ، ليس له ، ولا هو منه ، ولكنه مُعطًى اياه من الله « لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق » . الحقيقة *الثانية* : ان بيلاطس القاضي الزمني ، ليس سوى اداة في يد القضاء الأزلي . الحقيقة *الثالثة* : ان مسئولية بيلاطس محدودة في هذا الباب ، باعتبار كونه وثنياً جاهلاً المقاصد الالهية ، وغافلاً عن حقيقة المسيح ومصدره (عدد ٩) . الحقيقة *الرابعة* : ان قيافا «رئيس الكهنة» ، ورئيس السنهدريم ، وممثل السلطة اليهودية ، الذي أسلم المسيح الى بيلاطس ، عليه مسئولية اعظم — باعتبار كونه

لذلك الذي أسلمني اليك له خطية اعظم . ١٢ من هذا الوقت كان
بيلاطس يطلب ان يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان

«رئيس الكهنة في تلك السنة، الذي سبق فتنبأ» بالمقاصد الإلهية (يو ١١: ٥٠و٥١)، فكان متقلداً بنفسه سلطاناً خاصاً، و به أسلم المسيح الى بيلاطس. ان نصيب بيلاطس في صلب المسيح هو نصيب المستضعف. لكن نصيب قيافا «رئيس الكهنة»، هو نصيب المدبّر المستبدّ. فاذا كنا نرى المسيح في كلامه هذا، ملتمساً بعض العذر لبيلاطس في جريمته، فما ذلك الا من قبيل طلبه المغفرة لقاتليه: «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤)

المرحلة السابعة والاخيرة فى المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — في «البلاط» — رؤساء اليهود يتنازلون عن حقهم في الملك — الوالي المستضعف يستسلم لعنادهم (١٩: ١٢ — ١٦)

عدد ١٢ . (١) *آخر سهم فى كنانة اليهود*: «من هـذا الوقت كان بيلاطس يطلب» — بكل وسيلة ممكنة — «ان يطلقه» — بعد ان سمع من فم المسيح تلك الكلمات الهادئة (عدد ١١)، التي زادت مخاوفه واضطرابه (عدد ٨) . ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: «ان أطلقت هـذا فلست محباً لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» . هذا هو *السهم الاخير* الذي احتفظ به اليهود في كنانتهم، فلم يصوبوه الى صدر بيلاطس، إلا بعد ان أعيتهم كل الحيل . وهنا في هذه المرة فقط صدق ظنهم في بيلاطس. لان هذا السهم الأخير اصاب من بيلاطس مقتلاً . وهنا ما كان يخشاه على

اطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم
قيصر . ١٣ فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على

الدوام — ان يدسّ له اليهود عند رئيسه الامبراطور طيباريوس قيصر، الذي كان بلاطه مرتعاً للدسائس ، وكان هو لمزيد الأسف كثير الوساوس ، يرحب بكل وشاية تصله عن أي واحد من مرؤوسيه. ولقد كان شغوفاً بمركزه ، شديد الحرص عليه ، لدرجة ان اقلّ وشاية تتصل به عن تهاون احد مرؤوسيه في المحافظة على عرشه ، كانت تكفي لأن تطوّح بهذا المرؤوس ، الى مهاوي التهلكة ، من غير تحقيق، وتقذف به الى طبقة «المنبوذين». كما ان أقل اشارة كانت تتصل به عن حرص احد مرؤوسيه على تثبيت عرشه ، كانت تكفي لرفع ذلك المرؤوس الى أعلى مستوى ، وتغدق له لقب : «محب قيصر»

ويحدثنا فيلو المؤرخ : ان تهديداً من هذا النوع ، كان قد وُجّه الى بيلاطس في مناسبة سابقة . يضاف الى هذا ، ان حياة بيلاطس الشخصية كانت ملوّثة . فهذا الوالي الذي سكن بيتاً من زجاج ، كان يخشى رجم اليهود اياه بالاحجار . وهكذا يصيّرنا الضمير جبناء . فلا شيء يشل يد الجبان عن عمل ما يراه خيراً ، نظير فزعه من خطاياه السالفة

عدد ١٣ . (٢) *بيلاطس يشعر بطعنتهم فيخرج ويجلس على كرسي الولاية:*

« فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط ، وبالعبرانية : جباثا» . كانت طعنة نجلاء، تلك التي صوّبها اليهود أخيراً الى قلب بيلاطس . لانه كان مستعداً ان

كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا . ١٤ وكان

يضحي بكل شيء ، وبكل شخص ، استرضاء لرئيسه طيباريوس . وها نحن نرى من هذا الوالي المبتئس ، الذي حاول منذ البداءة ان يترضّى الشعب اليهودي باطلاقه المسيح،والكهنةَ والشيوخَ بتأديب الفادي،ونفسَه بانقاذه اياه من الموت، قد أدرك في النهاية ، انه لم يُرض احداً . لانه جعل نصب عينيه ارضاء الناس لا ارضاء الله. فقد وقع لبيلاطس عند نهاية حياته ما كان يخشاه الآن. ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي : ان وشاية قوية بلغت طيباريوس عنه ، فعزله من الولاية في ذات السنة التي عزل فيها قيافا من الكهنوت ، بعد موت مخلصنا بثلاث سنين . ومن فرط الأسه مضى وانتحر

لما سمع بيلاطس قول اليهود الاخير ، بلغ الخوفُ منه أشدَّه ، «فأخرج يسوعَ» اذ كان وقتئذ داخل دار الولاية . وكانت الشريعة الرومانية تقضي على الحاكم بان لا يحكم على المتهم ، الا وهو ماثل امامه ، لذلك «جلس بيلاطس على كرسي الولاية» — والظاهر ان هذا الكرسي كان كمنبرٍ قليل الارتفاع . ومن المرجح انه كان مصنوعاً من المرمر ، ليكون لائقاً لجلوس الحاكم عليه أثناء المحاكمة . وكان موضعه في الباحة الفسيحة الواقعة قدام دار الولاية «في موضع يقال له البلاط» — ولعله سمي كذلك ، لان ارضه كانت مرصوفة بالبلاط المرمر المعروف «بالموزايكو» — وبالعبرانية « جبَّاثة » اي أكمة مرتفعة

عدد ١٤ .(٣) آخر سهم في كنانة بيلاطس — بيلاطس يحاربهم بسلاح التهكم : « وكان استعداد الفصح » — اي اليوم الذي يهيء فيه اليهود ما

استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة .

يلزمهم للفصح ، وعند غروب شمسه يأكلون الفصح . هذا يؤيد النظرية القائلة بان المسيح فصحنا الجديد قد رُفع على الصليب في الوقت الذي قُدِّم فيه حمل الفصح على مذبح الهيكل (انظر ١ كو ٥:٧) . «نحو الساعة السادسة» — اي في الصباح ، لان يوحنا جرى غالباً على التوقيت الروماني — الغربي (*) الذي كان سارياً في آسيا الصغرى ، لدى اواخر القرن الاول للميلاد . وبه يُحسب اليوم من نصف الليل الى نصف الليل ، بخلاف البشيرين الاولين ، الذين حسبوا الساعات طبق التوقيت اليهودي الشرقي ، الذي به يُبدأ اليوم من الصباح الى الصباح . وفي هذا تتفق رواية يوحنا ورواية مرقس ، فان مرقس يقول: ان الصلب «بُدىء به في الساعة الثالثة» (مر ١٥: ٢٥) — اي نحو الساعة التاسعة صباحاً — ويقول يوحنا ان بيلاطس «أسلم المسيح نحو الساعة السادسة صباحاً» — وهذا تم قبل الصلب بوقت ما . فقول يوحنا : «نحو الساعة السادسة» ، يفسح المجال للاعتقاد بان هذه الخطوة الممهدة للصلب ، حدثت بعد الساعة السادسة وقبل التاسعة ، وربما حوالي ٨ صباحاً . ويظن بعض المفسرين ان يوحنا استعمل التوقيت اليهودي الشرقي ، كسائر البشيرين . وعلى هذا الاعتبار ، يوفّق هؤلاء المفسرون بين رواية يوحنا ورواية

(*) ومما يدل على ان جهات آسيا الصغرى ، كانت تسير على التوقيت الروماني الغربي وقتئذ ، ما يقوله المؤرخ فيلو : ان بوليكاربوس أُعدم في الساعة الثامنة ، وبايونيوس ، في الساعة العاشرة . وكلاهما أُعدم في ازمير . ولا مشاحة في ان المقصود بهاتين الساعتين هو: الساعة الثامنة ، والساعة العاشرة صباحاً — على الترتيب

فقال لليهود هوذا ملككم. ١٥ فصرخوا خذه خذه اصلبه . قال لهم

البشيرين الاولين ، بقولهم : اولاً — ان يوحنا ميَّز بين وقت جلد بيلاطس ليسوع ، ووقت صلبه ، بان ذكر كل حادث منهما كأنه مستقل عن الآخر اما متى ومرقس ، فذكرا الحادثين كأنهما واحد . ولذلك حسبا وقت الجلد مع وقت الصلب . فاذا كان الجلد في الساعة الثالثة ، كما قال مرقس ، فمن المحتمل ، ان يكون الصلب قد بقي الى نحو الساعة التاسعة . ثانياً — ان يوحنا لم يعيّن وقت الصلب انه كان الساعة السادسة ، بل قال انه « نحوها » . ثالثاً — ان اليهود قسموا الوقت الى هُزُع — كل هزيع ثلاث ساعات — ولم يذكروا سوى الساعة الثالثة ، والسادسة ، والتاسعة (متى ٢٠: ٣ و ٥) ، وضموا ما بين كل من تلك الساعات — إما الى ما قبلها ، و إما الى ما بعدها . وان الصلب حدث ما بين الساعة السادسة والتاسعة ، فنسبه متى ومرقس الى الوقت الاول منهما ، ونسبه يوحنا الى الوقت الثاني

عدد ١٥ . (٤) *اليهود يحكمون على انفسهم بالاعدام كأمة* : «فصرخوا خذه ، خذه ، اصلبه » . ان اليهود بتسليمهم ملكهم الشرعي ، «ومسيحهم المنتظر» ، الى يد الحاكم الوثني ، بهذه النغمة الجافة المزرية ، يُعتبر بمثابة كتابتهم بأصابعهم ، صكّ إعدامهم كأمة . انهم بعملهم هـذا ، قد تركوا لأنفسهم ، ولأولادهم ، تركة مخضّبة بدماء هذا البار — تركة ما اثقلها ! ان حمل الجبال اخف منها واسهل

(٥) *بيلاطس يعيد الكرة ويناشدهم الوطنية*: «قال لهم بيلاطس أأصلب

بيلاطس أأصلب ملككم . اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا
قيصر . ١٦ فحينئذ اسلمه

ملككم ؟» . قال بيلاطس هذه الكلمات ، بنغمة تهكمية ، تمازجها مرارة لاذعة مما يدلنا على ان العقيدة التي سادت عليه ، منذ بدء هذه المحاكمة (٨:٣٣) ، حتى ختامها (١٩:١٥) ، هي : ملك المسيح

(٦) *رؤساء الكهنة يتطوعون لاعناقهم ، واعناق امتهم ، بالنير الروماني* « أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر » . يا للعار ! أهكذا تفعل الضغينة في القلوب ، فتعمي بصائر هؤلاء القادة عن عهودهم ، ومواعيدهم القديمة ، حتى يحولوا وجوههم عن الرجاء المبارك ، الذي كانوا ينتظرون به مسيحاً ملكاً يكسر نير الرومان ؟ ! هذا هو الانتحار الادبي ، والديني ، والسياسي والابدي . ومن دواعي نكد تلك الأمة اليهودية ، ان رؤساء كهنتها الذين كان عليهم ان يقدموا الذبائح الدينية ، فدية عن خطايا امتهم ، قدّموا امتهم ذبيحة على مذبح مآربهم الذاتية

عدد ١٦ (أ) — (٧) *انهزام بيلاطس امامهم على طول الخط* : «فحينئذ أسلمه اليهم ليُصلَب» . هذه هي النقطة الفاصلة في تاريخ الأمة اليهودية ، وفي تاريخ العالم اجمع . بل هذه جمرة نار محرقة ، وقعت على بيلاطس وعلى رؤساء اليهود ، وعلى رأس الأمة اليهودية . لكنها في الوقت نفسه ، أضحت للمؤمنين من اليهود والأمم ، منبت انوار ساطعة ومطلع حكمة . ومن الملاحظ ان بيلاطس كان عادلاً لدرجة انه لم يصدر على المسيح حكماً ايجابياً . وفي

اليهم ليصلب

الوقت نفسه كان جباناً لدرجة انه لم يستطع ان يطلق سراحه. فما اضعفه وما أقدره. ما أعدله وما أكفره. ولعله قصد ان يريح ضميره امام جمهورهم، وامام نفسه، حين غسل يديه — وهيهات ان تبيضَّ يداه. انه لم يكن في عمله هذا الا ممثلاً فصلاً هزلياً ومبكياً في آن واحد— وشرّ البلية ما يضحك

رابعاً: الصلب (١٩:١٦ (ب) — ٤٢)

لقد ارغمَنا بيلاطس على ان نطيل الوقوف بالمراحل السبع التي قطعتها محاكمة المسيح السياسية. وها نحن اولاء، نتقدم سائرين وراء المسيح، في طريق الآلام، مخففين الوطء، لان الطريق وعرٌ، وحمل الصليب ثقيل. ولكن لنا العزاء، في ان المسيح يحمل الجانب الاثقل من هذا الصليب، بل يحمل الصليب كله، لا بل حمل الصليب وايّانا

بكلمات قليلة، سجل يوحنا البشير حادثة الصلب، لان البشيرين الاولين سبقوه الى الكتابة بافاضة في هذا الموضوع. وربما لم يرغب يوحنا الحبيب في اطالة الكلام عن وصف آلام المسيح الجسدية، لان هذه مهمة شاقة على قلب الحبيب. مثله في هذا، مثل مصوّر مبدع، اراد ان يرسم صورة عزيز له وهو في غمرة الالم، فما كان منه الا ان رسم وجه ذلك الحبيب، وغطاه بحجاب كثيف، تعبيراً عن «الآلام الغير المدركة» التي عجزت ريشته المبدعة عن تصويرها

ينقسم هذا الفصل الى سبعة أقسام رئيسية: (١) الصلب (١٩:١٦ب—١٨)

فأخذوا يسوع

(٢) عنوان الصليب (١٩:١٩—٢٢). (٣) أربعة رجال من صفوف المعادين للمسيح (١٩:٢٣و٢٤). (٤) أربع نساء من صفوف الموالين للمسيح، ووصيته بأمه (١٩:٢٥—٢٧). (٥) انتقاء من الكلمات التي فاه بها المسيح، وبعدها أسلم الروح (١٩:٢٨—٣٠). (٦) المسيح فصحنا الاكمل (١٩:٣١—٣٧). (٧) الدفن (١٩:٣٨—٤٢)

(١) الصلب (١٩:١٦ب—١٨): «فأخذوا يسوع ومضوا به!» — بهذه الكلمات، استهل يوحنا حادث الصلب الرهيب. فما كان اجزل سرورهم، حين ظفروا من بيلاطس بهذه «الهبة» المجانية، وما كان اكثر جهلهم اذ غفلوا عن قيمة هذه «العطية العظمى، التي لا يعبر عنها» (٢كو ٩:١٥)

«فأخذوا يسوع» — وردت كلمة «أخذ» — في الاصل — ثلاث مرات في هذه البشارة. في المرة الاولى (١:١١)، نرى الابن الازلي، مقدماً من الآب الى خاصته، واما خاصته فلم تقبله. وفي المرة الثانية (١٤:٣)، نعاين الابن الممجد، آتياً ثانية الى شعبه ليأخذهم الى نفسه. وفي المرة الثالثة (١٩:١٦ب) نشاهد الابن المتجسد، وقد اسلمه بيلاطس الى خاصته فأخذته خاصته وقبلته — ولكن لتصلبه. «ومضوا به» — جاء في كتاب «المشنا» اليهودي — تعليقاً على ما ورد في اللاويين ٢٤:١٤، وعدد ١٥:٣٥ «ان الصلب ينبغي ان يتم خارج المدينة»، لذلك عمل اليهود باحكام شريعتهم (١مل ٢١:١٣ واع ٧:٥٨) «فمضوا بالمسيح» من اورشليم الى مكان خارج عنها — وفي هذا

ومضوا به. ١٧ فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال
له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة ١٨ حيث صلبوه

يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين: « فان الذبائح التي يُدخل بدمها عن الخطية، الى الاقداس، بيد رئيس الكهنة، تُحرق اجسامها خارج المحلة، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدّس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب. فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣: ١٣و١٤).

يقول بلوطارخوس — حجة التاريخ الروماني القديم: « كانت قوانين الرومان تفرض على المحكوم عليه بالصلب، ان يحمل صليبه بنفسه، مسوقاً باربعة حرّاس ». وكذلك «خرج المسيح وهو حامل صليبه» بنفسه. غير ان الآلام النفسية والجسدية التي تكبدها منذ القبض عليه، حتى ادوار المحاكمة الدينية، ومراحل المحاكمة السياسية، قد انهكت جسمه الرقيق، واضعفته حتى رزح تحت الصليب. وكان من الضروري ان لا يَسندَ لاهوتُه ناسوتَه في الآلام، لكي يتجرّع غصص الصليب بكامل مرارتها، من غير تلطيف ولا تخفيف. ويقول لوقا البشير، انهم «أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل، فوضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع» (لو ٢٣: ٢٦و٢٧). « ولما مضوا به الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة » — وهو تل مرتفع، مستدير الرأس، يُرى من بعيد، كأنه جمجمة بشرية — «ويقال له بالعبرانية: جلجثة» — وهي من اصل أرامي «جُلجُلتة»، ومعناها: «رأس». ويعتقد بعض المحققين، ان هذا المكان هو الاكمة الصخرية الواقعة عند «باب دمشق»، على بعد نحو

وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هناك ويسوع في الوسط .
١٩ وكتب بيلاطس عنوانا

مثني يارده عن السور القديم المعروف بـ«سور اغريباس» . هناك « صلبوا المسيح ، وصلبوا اثنين آخرين معه، من هنا ومن هناك ، و يسوع في الوسط»

«ويسوع في الوسط» — حتى في الآلام يسوع في الوسط ! فهل أعطى الرومان هذا المكان ليسوع ، على سبيل الاكرام التهكمي — باعتبار كونه ملكاً — كما قضت العوائد القديمة بأن يكون الملك محاطاً دائماً بواحد عن يمينه، وآخر عن يساره ، وهو في الوسط ؟ ام هذا مكان وضعته فيه العناية ، اتماماً لنبوة قديمة: «وأحصي مع أثمة؟» (اش٥٣: ١٢)— هذا هو الرأي الأصح

(٢) عنوان الصليب (١٩: ١٩— ٢٢)

عدد ١٩ . — أ — كلمات العنوان — قضت عادات الرومان ، بان يكتبوا عنواناً على الصليب الذي يحمله المحكوم عليه ، اشهاراً للذنب الذي سيُصلب من أجله ، ثم يرفعون الصليب ، و يحملون المجرم و يسمرونه عليه— وكانوا احياناً يسمرون المحكوم عليه ، والصليب ملقىً على الارض. غير ان الطريقة الاولى كانت اكثر شيوعاً . فكانوا اولاً يمدّون يدي المذنب ، ويسمرونهما على الخشبة الافقية . واما الجسم فيرتكز على خشبة ناتئة لئلا تتمزق الكفّان من ثقل الجسم ، فيقع المصلوب على الارض. وكانوا يسمرون القدمين أيضاً كاليدين، كما فعلوا بمخلصنا (لو ٢٤: ٣٩). وكان المصلوب يوضع على كيفية ، بحيث ان ادنى حركة تسبب له آلاماً مبرّحة. لان المسامير كانت

ووضعه على الصليب . وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود.
٢٠ فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لان المكان الذي صلب
فيه يسوع كان قريباً من المدينة . وكان مكتوباً بالعبرانية

تسبب ألماً متزايداً في كل الجسم ، وكذلك الدم الذي يتجمع في الرئتين ويضغط على القلب ، كان يضيف عطشاً الى تلك الآلام المبرحة. على ان جميع آلام الصليب الجسدية، لا تقاس بالنسبة الى آلام المسيح النفسية، التي عاناها وهو معلق على الخشبة الملعونة — هذه هي الآلام الغير المعروفة

يقول يوحنا : ان «بيلاطس كتب عنواناً» — سواء بخط يده أو بأمر منه — «ووضعه على الصليب» . فكانت هذه آخر طعنه منه في صميم الامة اليهودية. وكان مكتوباً على ذلك العنوان : «يسوع الناصري ملك اليهود». وبما ان هذا العنوان قد كتب بثلاث لغات — «العبرانية ، واليونانية ، واللاتينية» ، فمن المحتمل جداً ، ان متىّ اورد العنوان كما هو باللغة العبرانية . ويوحنا، باليونانية. ومرقس، باللاتينية. والى هذا يُعزى ما يُرى من فرق طفيف

عدد ٢٠ — ب — **شهادة لغات الارض للصليب:** « فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود ، لان المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة». الى يوحنا وحده يُعزى هذا التعيين الجغرافي لمكان الصليب، بالنسبة الى اورشليم . «وكان مكتوباً بالعبرانية ، واليونانية، واللاتينية» — هذه هي اللغات الثلاث الرئيسية في ذلك العصر . فالعبرانية لغة الدين ، واللاتينية لغة السياسة، واليونانية لغة العلوم والآداب والفلسفة. فلغة الدين شهدت، من غير

واليونانية واللاتينية. ٢١ فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس لا
تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال انا ملك اليهود. ٢٢ اجاب
بيلاطس ما كتبتُ قد كتبت.

قصد منها، بان يسوع المصلوب هو المسيح الموعود، ابن داود، وابن الله. ولغة السياسة شهدت بان يسوع المصلوب، هو المسيح ملك اسرائيل، وملك المؤمنين، بل ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٢). ولغة العلوم والفلسفة والاداب، شهدت بان يسوع المصلوب هو المسيح كنز الحكمة، ورب الحق (كو ٢: ٣). هذه نبوءة غير مقصودة من هذه اللغات، بأن الممالك الممثلة فيها، ستخرّ ساجدة عند قدمي المسيح على ممرّ الاجيال

عدد ٢١. (ج) *اعتراض اليهود على كلمات العنوان*. «. . . . . رؤساء كهنة اليهود» — هذه هي المرة الوحيدة، التي وردت فيها هذه الثلاث الكلمات مرتبطة معاً في العهد الجديد. ولعلها ذكرت هنا مقابل العبارة: «يسوع الناصري ملك اليهود». ان بيلاطس، اذ كتب كلمة: «ملك اليهود» على الصليب، قصد ان يعرّض باليهود ويسخر منهم كأمة، لذلك احتجوا لديه قائلين: «لا تكتب ملك اليهود. بل ان ذاك قال انه ملك اليهود»

عدد ٢٢. (د) *عناد بيلاطس*: «أجاب بيلاطس. ما كتبت قد كتبت» هنا ظهرت شخصية بيلاطس، كما وصفها المؤرخ فيلو: «ان بيلاطس، رجل صلب، لا تلين قناته». لكن عيبه انه لانَ حين وجبت الشدة (١٩: ١٦) وتشدد حين كان يغني اللين

٢٣ ثم ان العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسماً . واخذوا القميص ايضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . ٢٤ فقال بعضهم لبعض لا نشقّه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل

(٣) *اربعة رجال من صفوف المعاديه للمسيح* (١٩: ٢٣و٢٤) — بعد ان اتم الجنود الرومان عملهم الوحشي ، انصرفوا الى تقسيم «الغنيمة» التي ظفروا بها من هذا المصلوب : «فأخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً ، وأخذوا القميص أيضاً.وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . فقال بعضهم لبعض:لا نشقه، بل نقترع عليه لمن يكون» — وهكذا عميت بصائر أولئك الجنود المساكين عن كنز الخلاص الثمين ، المذخّر في المسيح المصلوب ، لانهم لم ينظروا الى المسيح ببصائرهم بل بابصارهم ، فغاب عنهم صوابهم ، وقنعوا بثوبه الزائل عن ثوابه الازلي ، ورضوا بقميصه المادّي عن رداء برّه . انهم عينة لكثيرين من المسيحيين بالاسم ، الذين لا يصيبهم من المسيح وكنيسته إلا المظاهر الخارجية والانصبة الذاهبة . أما قميص المسيح الذي «كان منسوجاً كله بغير خياطة» ،فقد قرّ قرار الجنود على ان «يقترعوا عليه لمن يكون» — حسماً للنزاع،وهكذا بلغت بهم قسوة القلب،الى هذا الحد الذي صارت تحلو لهم فيه المقامرة في ظل الصليب . هذا سهم آخر من الآلام النفسية ، كان يخترق قلب المسيح على الصليب ، وهو يعامَل هذه المعاملة [illegible] من [illegible] سرية التي لاجلها و بسببها يتألم !

اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة . هذا فعله العسكر
٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع امه واخت امه

يقول يوسيفوس حجة التاريخ اليهودي : «ان القميص المنسوج كله بغير خياطة» لم يحل لبسه الا لرؤساء الكهنة فقط ، وبذا شهد هذا المؤرخ اليهودي ، على غير قصد منه ، لكهنوت المسيح المصلوب ، مثلما شهد قبله بيلاطس الوثني ، لملك المسيح (عدد ١٩) — والفضل ما شهدت به الأعداء . وكذلك شهد الجنود الرومان لصدق الكتاب ، باقتراعهم على ثوب المسيح . لانهم بعملهم هذا ، تمموا تلك النبوة القديمة القائلة : «اقتسموا ثيابي بينهم . وعلى لباسي ألقوا قرعة» (مز ٢٢: ١٩)

(٤) اربع نساء مواليات للمسيح . ووصية بأمه (١٩: ٢٥ – ٢٧)

عدد ٢٥ . (ا) اربع نساء مواليات للمسيح . عوّدنا يوحنا فيما سلف من بشارته ، أن يرسم صورتين متقابلتين — احداهما : لأعداء المسيح ، والثانية : للموالين له . ولقد مررنا بالصورة الاولى في العددين السابقين (عدد ٢٣ و٢٤) وها نحن الآن امام الصورة الثانية ، وفيها نرى اربع نساء من صفوف الموالين

اين أنت يا بطرس؟ بل أين عهودك الجبارة ، حتى تترك مكانك ، عند صليب سيدك ، لاربع نساء ضعيفات؟ هـذا دليل على أمانة المرأة ، التي كانت آخر من ودّع المسيح عنـد صليبه ، وأوّل من رحّب به بعد قيامته (٢٠: ١) . فليس في الدنيا ما يوازي شجاعة المرأة ، متى امتلأ قلبها الضعيف من العزيمة . اما النساء اللواتي وقفن عند صليب المسيح ، فهن : (١) مريم ام

مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية. ٢٦ فلما رأى يسوع امه والتلميذ
الذي كان يحبه واقفاً قال لامه

المسيح . (٢) اخت امه التي هي في الغالب سالومة—أم يعقوب و يوحنا ابني زبدي (متى ٢٧: ٥٦) ، وقد تحاشى يوحنا ابنها، ذكر اسمها ، تواضعاً منه ، مثلما تحاشى ذكر اسمه هو . (٣) [1] مريم زوجة كلوبا — ويسمى أيضاً زوجها : «حلفا» (مت ١٠: ٣). (٤) مريم المجدلية — هذه أول من رحّب بالمسيح المقام

عدد ٢٦ . (ب) *كلمة المسيح لامه* . فهمنا من العدد السابق ، ان امّ يعقوب ويوحنا ، هي أخت أم المسيح . فمن هـذا يتبين لنا ، ان يوحنا كان مرتبطاً بيسوع بصلة قرابة جسدية ، فهو ابن خالته حسب الجسد . و بما ان المسيح ، قد جرِّد من كل شيء حتى ثيابه ، ولم يبق له شيء مادي يتركه لأمه، كان من الطبيعي ان يستودع أمه ليوحنا ابن أختها . هـذا هو «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (انظر المقدمة العامة في صدر هذا الكتاب)

كان فادينا وقتئذٍ مغموراً بلجة من الآم، لكنه نسي نفسه ليفكر في غيره، فأوصى لمعذّبيه بالغفران،(لوقا ٢٣: ٣٤) وللّص التائب بالفردوس (لو ٢٣: ٤٢)،

(١) في النسخة السريانية المعروفة بـ«البشتو» والفارسية والحبشية ورد حرف «الواو» قبل قوله: «مريم زوجة كلوبا».ومن هذا يتبين ان مريم زوجة كلوبا ليست هي أخت المسيح. لانه من الصعب ان نعتقد ان أختين سميتا باسم واحد: «مريم» . وينجلى لنا نفس هذا المعنى متى فرضنا ان البشير ذكر اسماء النساء—اسمين اسمين مع وقف في الوسط: «امه واخت امه. مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» . كقول لوقا في ذكر اسماء المسيح : «بطرس واندراوس اخاه . يعقوب ويوحنا . فيلبس وبرثولماوس» (لو ٦: ١٤) .

يا امرأة هوذا ابنك. ٢٧ ثم قال للتلميذ هوذا امك . ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته

ولأمه برعاية يوحنا ، فألقى عليها من عرش صليبه نظرة كلها حنوّ ، وقال لها، موجهاً نظرها الى يوحنا : «يا امرأة هوذا ابنك» . ليس في كلمة «يا امرأة» — كما وردت في الأصل — ما يفيد عدم الاحترام، لان معناها الحرفي: «يا سيدة» . (راجع تفسير ٢: ٤). والظاهر ان المسيح لم يخاطبها بقوله : «يا أمي»، لانه أراد أن يوجه نظرها ، الى ان صلته بها كمخلّص، ارفع من صلتها به كأمّ . وهي بسبب هاتين الصلتين ، كانت تختبر قوة تلك الكلمات التي سبق فأنبأها عنها سمعان الشيخ : «وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف» (لو ٢: ٣٥)

عدد ٢٧ . (ج) *كلمة المسيح ليوحنا* : «ثم قال للتلميذ» — الذي هو يوحنا الحبيب — كاتب هذه البشارة — «هوذا امك» . أكان المسيح بهذه الكلمة ، موصياً أمه بيوحنا ، أم كان موصياً يوحنا بأمه ؟ لانه اذا كان يوحنا قد قدّم فيما بعد،خدمة مادية لأم المسيح ، فان الخدمات الروحية التي قدمتها ام المسيح ليوحنا، أثمن وأوفر. لأن يوحنا مدين لها بشيء غير قليل من المعلومات التي أفضت بها اليه عن ابنها العجيب

«من تلك الساعة» — أي من ذلك الوقت الى يوم وفاتها — «أخذها التلميذ الى خاصته» — أي الى بيته . ويظهر مما جاء في عدد ١٥، ومن مرقس ١: ٢٠ ، ان أسباب المعيشة كانت متوفرة لدى يوحنا

٢٨ بعد هذا رأى يسوع ان كل شيء قد كمل فلكي يتم الكتاب

(٥) اثنتان من كلمات المسيح على الصليب، وتسليم الروح (١٩ : ٢٨ — ٣٠)

عدد ٢٨ . (أ) آلام الصليب الجسدية : «انا عطشان»[1]

«بعد هذا» — اي بعد ثلاث ساعات الظلمة ، وقد فرغ المسيح من اتمام وصيته بشأن امه ، رأى انه اكمل كل ما كان عليه ان يعمل ، فلم يبقَ امامه إلاّ ان يتجرع كأس الموت. وهنا تنسّم نسيم الرضا نتيجة شعوره باتمام كل ما كان عليه ان يعمل . وفي هذه الاثناء ، سمح لنفسه بان ينتبه لحظة الى آلامه الجسدية ، التي كان قد أنساه اياها اهتمامه بغيره ، فقال : «انا عطشان»! فجاء قوله هذا ، موافقاً لما ورد عنه في الكتاب (مز ٦٩ : ٢١) . فهو لم يقل «انا عطشان» بقصد ان يتمّ الكتاب ، بل لانه كان عطشان فعلاً . لان آلام

---

(١) هذه هي الكلمة الختامية في ترتيب الكلمات التي فاه بها المسيح على الصليب . وفي الغالب جداً قيلت هذه الكلمات على النسق الآتي :

قبل الظلمة:
(١) طلبة المسيح لاجل أعدائه : «يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٢٤) — هذا هو غفران المصلوب
(٢) قول المسيح للص : «الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣ : ٤٣) — هذا هو وعد المصلوب
(٣) قول المسيح لأمه : «يا امرأة هوذا ابنك» — ثم ليوحنا : «هوذا امك» (يو ١٩ : ٢٦) — هذه هي وصية المصلوب

اثناء الظلمة:
(٤) صرخة المسيح الى الآب: «الهي الهي لماذا تركتني» (متى ٢٧ : ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤) — هذه هي وحشة المصلوب

بعد الظلمة:
(٥) قوله : «انا عطشان» (يو ١٩ : ٢٨) — هذا هو شوق المصلوب
(٦) قوله : «قد اكمل» (يو ١٩ : ٣٠) — هذا هو اطمئنان المصلوب
(٧) قوله : «في يديك استودع روحي» (لوقا ٢٣ : ٤٦) — هذا هو الموت الاختياري الذي ذاقه المصلوب

قال انا عطشان. ٢٩ وكان اناء موضوعاً مملوءًا خلاً. فملأُوا اسفنجة
من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه

الصليب المحرقة، كانت على جسمه الرقيق احرّ من الجمر، فيبِّست لسانه من فرط العطش، لان اربع ساعات مضت مذ أن علقوه على الصليب. ويهمنا ان نذكر انه بين السبع الكلمات، التي نطق بها المسيح على الصليب، لم يفه إلاّ بهذه الكلمة الواحدة عن آلامه الجسدية. هذا عطش فدائي اختبره المسيح، ليرفع به عن المؤمنين، ذلك العطش المحرق، الذي كان عليهم ان يختبروه في لهيب الجحيم الابدي (لو ١٦: ٢٤)

قال المسيح المصلوب: «انا عطشان» ليستطيع المسيح الحي ان يقول بحق: «ان عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب» (يو ٧: ٣٧)

عدد ٢٩ — ب — *الخل المقدم له على زوفا*: «وكان اناء موضوعاً مملوًّا خلاً. فملأُوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا» — اي على ساق نبات من الزوفا، في شكل قصبة. من اجل ذلك سماها كل من متى ومرقس «قصبة» — «وقدموها الى فمه». والارجح ان ذلك الاناء، كان ملكاً للعسكر

في هذه المرة، لم يرفض المسيح ان يشرب من هذا الخلّ، مع انه في آونة سابقة، رفض ذلك الخل الذي قُدم اليه في بدء الصلب (متى ٢٧: ٣٤) لان ذاك كان ممزوجاً بمرارة وكان يُستعمل عادة كمخدر لتسكين الالم، لذلك رفض المسيح ان يشرب منه، لكي يكون على أشد ما يمكن من التنبّه، فيتجرّع كأس الالم حتى آخر قطرة. فهو عدوّ المخدرات حتى الممات

٣٠ فلما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل . ونكس رأسه

عدد ٣٠ — ج — *الكلمة السادسة التي فاه بها المسيح على الصليب* — « فلما أخذ يسوع الخل قال قد أُكمل». كما ان عطش المسيح كان موجوداً قبل ان يعبر عنه ، كذلك كان عمله قد أُكمل (عدد ٢٨)، قبل ان يعبر عن اكتماله بهذا الكلام. فكل النبوات القديمة ، الخاصة بمسيا المنتظر ، قد أُكملت (اع ١٣: ٢٩) . وكل الآلام التي كان على المسيح ان يتحملها نتيجة خطايا البشر ، قد اكملت . وكل حرف في وصية الآب للمسيح، قد أُكمل . وكل رمز في العهد القديم قد أُكمل . وكل ما كلفته به محبته للبشر ، قد أُكمل . وكل انتظارات البشر فيه ، قد أُكملت . وكل البرنامج الذي وُضع امامه قد اكمل . ان قول الفادي ، بعد اتمام الفداء : « قد اكمل » ، يذكرنا بما رآه الخالق، بعد اتمام الخلق : «ان كل ما عمله حسن جداً» (تك ١: ٣١)

بين قول المسيح هنا « قد أكمل » و بين قول ملاك الرؤيا « قد تم » (رؤ ٢١: ٦) ، تمتدُّ اجيال طويلة . فعلى المؤمنين ان يملأوها بخدمات التضحية ،وتضحيات الخدمة ، «ليتمّ» اختيارياً، هذا البرنامج الذي«أكمله» المسيح على الصليب شرعاً وحقاً

— د — *المسيح يسلم الروح* : « ونكَّس رأسه واسلم الروح » — هذه هي المرة الوحيدة التي نقرأ فيها ان المسيح نكس رأسه — ولكن امام ارادته هو لا امام الموت . فلم يكن في موته مجبَراً ، بل طائعاً مختاراً ، لذلك «اسلم» روحه الى الآب ، كمن يسلم وديعة وعلى فمه ابتسامة الرضى. كان المسيح قبل ان

واسلم الروح. ٣١ ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على
الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهودُ

ينكس رأسه، وسط لجّ الموت واقفاً بثبات عجيب، فلما رأى ان كل شيء قد كمل، احنى رأسه باختياره: وسمح لامواج الموت ان تعج فوق رأسه — ولكن الى حين. فقد مات البار وفي قلب موته وعد بقيامته، اذ ليس للموت سلطان عليه. هنا تمت كلمته الخالدة، التي فاه بها في مناسبة سابقة: «لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس احد يأخذها مني، بل اضعها أنا من ذاتي» (١٠: ١٧ و١٨).

(٦) *المسيح فصحنا الاكمل* (١٩: ٣١—٣٧). نحن مدينون ليوحنا البشير بملاحظاته الدقيقة، التي اراق بها نوراً ساطعاً على حوادث الصلب، التي مرَّ بها البشيرون الأولون مرَّ الكرام، فأقام منها هو حججاً دامغة، على ان يسوع المتألم هو المسيح الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣١. (ا). *طلب حافظي شريعة الطقوس، وكاسري شريعة الحق والرحمة*: «ثم اذ كان استعداد، فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت، لان يوم ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سيقانهم ويُرفعوا». قضت عادة الرومان قديماً، بأن يتركوا المصلوبين معلقين على الصليب، ليموتوا على مهل، فتنتن جثثهم، وتصير مطعماً لطيور السماء، ووحوش البر. لكن الشريعة اليهودية، قضت من جانبها، بأن تُرفع اجساد المصلوبين عن الصليب، قبل حلول السبت «المقدس»، لكي لا تحل بارضهم

بيلاطسَ ان تُكسر سيقانهم ويُرفعوا. ٣٢ فأتى العسكر وكسروا

«المقدسة» لعنة الجثث المصلوبة، متى بقيت على الصليب الى السبت (تث ٢١: ٣ ويشوع ٨: ٢٩ و١٠: ٢٦). كذلك ايضاً، يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي

وما كان للرومان ان يبالوا كثيراً أو قليلاً بتنفيذ أحكام الشريعة اليهودية، لولا ان اليهود ألحوا على بيلاطس في الطلب، بأن تُكسر سيقان المصلوبين، لكي يعجلوا بمماتهم، ويجعلوا موتهم محقّق الوقوع، فترفع أجسادهم عن الصليب حالاً، لان شمس يوم الجمعة قد آذنت بالغروب، فصاروا على أبواب السبت: «وكان يوم ذلك السبت عظيماً» — اي انه كان سبتاً مضاعفاً. لانه فضلاً عن كونه سبتاً اسبوعياً، فقد كان ايضاً اول يوم في الفصح الواقع في ١٥ نيسان. فهو بذلك يوم سبت، اي يوم «راحة» مقدسة

وبما ان حمل الفصح، كان يُقدم على مذبح الهيكل عند غروب شمس الجمعة، ليؤكل بين العشاءين، ومن حيث ان المسيح مات على الصليب عند هذا الوقت عينه(*)، فان في هذا حجة وثيقة على أن المسيح هو «فصحنا الجديد الذي قد ذُبح لأجلنا» (١ كو ٥: ٧)

عدد ٣٢. (ب). بيلاطس يجيبهم الى طلبهم، فيأمر العسكر بكسر ساقي الاول والآخر: «فأتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر المصلوب معه».

(*) اطلب شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٥٣، يتضح لك ان رواية يوحنا تتفق ورواية البشيرين الاولين في ان المسيح صُلب يوم الجمعة في الوقت الذي كان فيه حمل الفصح مقدماً على المذبح في الهيكل

ساقَي الاول والآخر المصلوب معه. ٣٣ واما يسوع فلما جاءوا اليه
لم يكسروا ساقَيه لانهم رأوه قد مات. ٣٤ لكن واحداً من

ان بيلاطس الذي سبق فأجاب اليهود الى طلبتهم العظمى، وأسلم المسيح اليهم (عدد ١٦)، لم يجد بُداً من اجابتهم الى ملتمسهم الهيّن في نظره

وهكذا كان اليهود يدوسون ناموس الرحمة، ويقدسون ناموس الطقوس

عدد ٣٣ و٣٤. (ج) الطعنة المجهولة: «واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه. لانهم رأوه قد مات. لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء». ان خروج الدم والماء، من جنب المسيح بعد موته، يُحسب ظاهرة غريبة. لكنها حقيقة واقعة على الرغم من ذلك. لان المسيح «عجيب». فلا عجيب اذا كان موته كذلك عجيباً. وها نحن اولاء نورد تعليلاً طبياً، دبجته يراعة الدكتور درموند روبنسون(*)، أحد الأطباء الذين يشار اليهم بالبنان في عالم الطب في وقتنا الحاضر: «يموت المصلوب عادة في مدة تتراوح بين ٢٤ - ٢٨ ساعة. لكن موت المسيح كان غير اعتيادي، لانه أسلم الروح بعد ان قضى ست ساعات على الصليب – من الساعة ٩ صباحاً الى ٣ بعد الظهر. ومن المعلوم. ان المصلوبين يموتون عادة نتيجة هبوط تدريجي في الجسم، لكن موت المسيح لم يكن كذلك. لان فادينا «نادى بصوت عظيم» قبيل تسليمه الروح (لو ٢٣: ٤٦). فمن المحقق اذاً، انه مات متأثراً بانفجار فجائي في جدران القلب، نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه. هذا

* G.H. Drummond Robinson M.D. F.R.C.P.—See the "DAWN" —May 16, 1927.

العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء. ٣٥ والذي عاين
شهد وشهادته حق

مصدِّق لما جاء عنه في النبوة: «العار كسر قلبي» (مزمور ٦٩: ٢٠). ومن المسلَّم به طبياً، انه عند ما تنفجر جدران القلب، ينساب الدم من تجويف القلب الى غاشيته المحيطة به، المعروفة في عالم التشريح ب « التامور »، فينتج عن هذا عادة، سكتة قلبية، تنتهي بالموت العاجل. من ثمَّ ينفصل هذا الدم المنساب، الى قسمين: اولهما — مكوَّن من خثارة حمراء دموية. والثاني: عبارة عن مصل مائي. هذان هما « الدم والماء » (*) اللذان خرجا من جنب المسيح، حالما طعنه الجندي، تلك الطعنة القاسية، التي فتحت في جنبه ثغرة واسعة تكفي لوضع الكف البشرية فيها (٢٠: ٢٧)»

يقول الكتاب: «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة». ولا مشاحة في ان الدم الذي يُسفك من يدي المصلوب ورجليه، لا يقاس بالنسبة الى الدم الذي يُسفك نتيجة حدوث انفجار في جدران القلب. لذلك، قال يوحنا: «هذا هو الذي أتى بماء ودم. يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم» (١ يو ٥: ٦)

يعتقد بلومر — من غير ان يذكر اساساً قوياً لاعتقاده — ان الدم والماء، يرمزان الى فريضتي العشاء الرباني، والمعمودية!

عدد ٣٥. (د) يوحنا البشير يختم رواية العيانية بختم شهادته: «والذي عاين» — اي يوحنا نفسه كاتب هذه البشارة — « شهد وشهادته حق ».

(*) جاء في التلمود اليهودي « فصل شيموت » تعليقاً على ما جاء في مز ٧٨: ٢٠ انه عندما ضُرب الصخر مرتين بعصا موسى، خرج منه دم اولا ثم ماء

وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم . ٣٦ لان هذا كان ليتم
الكتاب القائل عظم لا يُكسر منه . ٣٧ وايضاً يقول كتاب آخر

لم يكتف البشير بان يقول ان شهادته *حقيقية*، بل قال انها «*حق*» .فهي اذاً شهادة *شافية*، و*معتمدة*، و*كافية*. «وهو يعلم» —علم اليقين— «انه يقول الحق، لتؤمنوا انتم» (١:١٩ و٣٢ و٣٤ و ١٣:٨ و١٤ و١٢ :٧)

لقد وضع يوحنا ختم شهادته على هذه الرواية : (١) لكي يقرر، انه وان يكن خروج الدم من الجسم بعد الموت أمراً غريباً ، الا انه على رغم ذلك، قد وقع بالفعل . (٢) ليدحض الافتراءآت اليهودية — وما اليها — التي حاولت ان تلقي سحابة من الشك على موت المسيح وقيامته (متى ٢٨ :١٣—١٥) . (٣) لكي يؤيد حقيقة لاهوت المسيح، وحقيقة ناسوته — بخلاف ما نادى به الابيونيون والغنوسسيون . (٤) لكي يقرر من غير ما لبس ولا ابهام ، ان يسوع المصلوب ، هو «مسيا» المنتظر، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣٦ . (ه) *المسيح فصحنا الكامل* : «لان هذا كان ، ليتم الكتاب القائل: «عظمٌ لا يُكسر منه» —الاشارة هنا ، الى ما جاء في خروج ١٢ :٤٦ وعدد ٩ :١٢ . هـذه هي الحقيقة التي نادى بها بولس الرسول ايضاً : «لان فصحنا المسيح قد ذُبح لاجلنا» (١ كو٥ :٧) . لذلك كان من المحتم ، ان عظام المسيح الكامل، «تحفظ جميعها، وان واحداً منها لا ينكسر» (مزمور ٣٤ :٢٠)

عدد ٣٧ . (و) *المسيح المصلوب هو مسيا رجاء اليهود، ومشتهى الامم* «وايضاً يقول كتاب آخر: سينظرون الى الذي طعنوه». وردت هذه النبوة

سينظرون الى الذي طعنوه . ٣٨ ثم ان يوسف

في زكريا ١٢: ١٠ ، لتصف آلام المسيح قبل مجيئه الاول . وقد عرّفنا يوحنا البشير ، في سفر الرؤيا (رؤ ١: ٧) ، انهما تنطبق أيضاً على المسيح في مجيئه الثاني . فهي اذاً منطبقة على المسيح رجاء اليهود، ومشتهى الامم

(٧) *الدفن — ظهور التلميذين اللذين طالت مدة تخفيهما* (١٩: ٣٨–٤٢)

انسانان ممتازان ، ظلا مدةً غير قصيرة من الزمان ، تلميذين للمسيح اثناء وجوده بالجسد على الارض . لكنهما كانا تلميذين متخفيين ، لسبب الخوف من اليهود . فلا شك انهما كانا يحرصان شديد الحرص على عضويتهما في مجمع السنهدريم،وكانا يخشيان من ان يفقدا مكانتهما الاجتماعية بين قومهما. ومن المحقق ، انهما كانا يضنّان باموالهما الطائلة من ان تعبث بها عواصف الاضطهادات الدينية . لذلك ظلا متخفيين طوال هذه المدة . ولعلّهما كانا يطمعان في ان تُتاح لهما فرصة ، فيها يخدمان سيدهما مدة تخفّيهما . وفعلاً استطاع احدهما — نيقوديموس — أن يدافع عن المسيح في احدى جلسات السنهدريم — دفاعاً ما أضعفه (٧: ٥٠) !

لكن بعد ان صُلب المسيح ، صهرت نيران صليبه ذلك الخوف،الذي كان مستولياً على نفسيهما ، واحرقت الربط الاجتماعية التي كانت تغل ايديهما وارجلهما ، وسُلطت عليهما قوة المصلوب ، فاجتذبتهما وانتزعتهما من مخبئيهما وصبت في دمائهما ناراً وحديداً . وها نحن نراهما الآن على احسن ما يكون عليه المرء من شجاعة ، و بطولة ، وولاء

عدد ٣٨ . (أ) *ولاء اولهما — يوسف الرامي* : «ثم ان يوسف، الذي

الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من
اليهود سأل بيلاطس ان يأخذ جسد يسوع . فأذن بيلاطس فجاء
واخذ جسد يسوع . ٣٩ وجاء ايضاً نيقوديموس الذي اتى اولاً

من الرامة» — ومعناها « المرتفعة » او « الصعيد » — « وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود ، سأل بيلاطس ان يأخذ جسد يسوع » . شتّان بين هذا الطلب الذي تقدّم به هذا التلميذ الامين الى بيلاطس، و بين ذاك الذي سأله اليهود من بيلاطس عينه . هذا طلب جسد يسوع ، ليقدم له كل اكرام . واولئك سألوا بيلاطس ان تُكسر سيقان المصلوبين الثلاثة ، تقديساً لطقوسهم النافلة ، وتدنيساً لقلوبهم ، باضافة آلام جديدة على آلام المصلوبين . اما بيلاطس ، ذلك القويّ الجبان ، والعنيد المطواع ، فقد اجاب طلب رؤساء اليهود ، مثلما اجاب ملتمس يوسف الرامي : «فأذِن . فجاء واخذ جسد يسوع » . ولا يفوتنا ان نذكر الشجاعة العظمى ، التي تسلح بها يوسف الرامي ، قبل ان يذهب الى بيلاطس ، ليطلب منه جسد يسوع . لان مثل هذا الطلب يحمل معه تهديداً لمركزه الاجتماعي والديني بين اليهود ، و ينطوي على تعريض ضمني بسمعته الادبية ، في نظر بيلاطس نفسه

عدد ٣٩ . (ب) *ولاء تابعها — نيقوديموس* : «وجاء ايضاً نيقوديموس، الذي اتى اولاً الى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود ، نحو مئة منا» . ان هذا اللقب :- « الذي اتى الى يسوع ليلاً » ، لم يفارق نيقوديموس مطلقاً (١:٣ و٧: ٤٩ و١٩: ٣٩). قد يُشفى المرء من ضعفاته الادبية والروحية، لكن

الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا . ٤٠ فأخذا
جسد يسوع ولفّاه بأكفان

اثرها يظل عالقاً به . كمريض يُشفى من مرض الجدري مثلاً ، لكن آثار هذا المرض الخبيث ، لا تبرح جسمه مهما طال المدى . على ان رحمة الله ، غافرة ومغيّرة ، ومجدّدة وممجلة . فهي تخلق من ضعفاتنا قوة (٢ كو ١٢: ١٠)

يستفاد من قول البشير : «وجاء أيضاً نيقوديموس» ، ان ليوسف الرامي فضل الاسبقية على نيقوديموس ، فربما كان ذهابه الى بيلاطس ، خير مشجع لنيقوديموس . لكن هذا الاخير ، استطاع ان يعوّض عن بعض تقصيراته ، بسخاء تقدماته : « فجاء حاملاً مزيج مرّ وعود نحو مئة منا » — والمنا رطل مصري ، فالمئة منا ، تساوي قنطاراً مصرياً . هذا يدل على ان نيقوديموس كان غنياً جداً ، ولعله بالغ في هذه التقدمات ، لكي يغمر بها جسد ذاك ، الذي سبق فغمره من على الصليب بفيض غفرانه . وجدير بالذكر ، ان مثل هذه التقدمات ، لا تقدم الا للملوك ! هذه شهادة ضمنية لملك المسيح

مسكين انت يا نيقوديموس ! فلو كنت قد قدمت بعض هذه التقدمات للمسيح ، وهو حيّ بجسده على الارض ، لتمتعت بابتسامة الرضى من شفتيه الطاهرتين . لكنّ عزاءك الآن ، هو ان المسيح حيّ لن يموت ، وهو لن ينسى « تعب محبتك ، وعمل ايمانك ، وصبر رجائك » (١ تس ١: ٣)

عدد ٤٠ . (ج) **ولاؤهما المشترك** : «فأخذا جسد يسوع ولفاه باكفان مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا» — على خلاف عادة المصريين في

مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا . ٤١ وكان في الموضع الذي
صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط .
٤٢ فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لان القبر كان قريباً

تكفين اجساد موتاهم ، اذ كانوا ينزعون الامعاء من الجسد قبل تحنيطه على ما عرّفنا هيرودت المؤرخ الشهير ، وكما نشاهد في المتحف المصري العظيم

عدد ٤١ . (د) *وصف موضع القبر* : «وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان . وفي البستان قبر جديد» —لكي « لا يرى » جسدُ المسيح الطهور اي فساد— حتى فساد عظام القبور— «فهناك وضعا» —جسد — «يسوع». يُفهم مما جاء في اعمال ١٣: ٢٩ ، ان اليهود اشتركوا مع نيقوديموس و يوسف الرامي ، في دفن جسد يسوع. اما اليهود، فعن حسد ، وحقد ، و بغضاء . واما نيقوديموس و يوسف الرامي ، فعن محبة ، وولاء

عدد ٤٢ . (د) *وضع الجثمان في القبر* : كان اليهود آنئذٍ يستعدون لذبح حمل الفصح ، بعد ان فرغوا من ذبح حمل الله . من اجل ذلك ، أُجريت عملية الدفن بغاية العجلة ، لان السبت كان على الابواب. ومما ساعد على انجاز الدفن بسرعة ، ان القبر كان « قريباً من اورشليم »

غالباً جداً، كان هذا البستان والقبر، ملكاً ليوسف الرامي. لكن لافضل ليوسف في تقديمه بستانه للمسيح لان المسيح سبق فجاد على يوسف وامثاله، بفردوس الخلود (رؤيا ٢: ٧) . ولا فضل للرامي في تقديم قبره ليسوع ، لان المسيح سبق فاعدّ له ان « يجلس معه في عرشه » (رؤ ٣: ٢١)

الاصحاح العشرين

القبر الخالي

المسيح ينتقل من القبر الى المجد . والتلاميذ ينتقلون من العيان الى الايمان

في الاصحاح السابق ، تركنا المسيحَ في ذلك القبر الجديد الذي لم يوضع فيه احد من قبل ، وتركنا تلاميذَه في قبر من اليأس والاحزان . فما اشد الخوف الذي كان مستولياً على قلوبهم طوال يوم السبت ، الذي اعقب يوم الصلب ، بل ما ارهب السكون الذي خيم على قلوب رؤساء الكهنة بعد انقضاء تلك العاصفة الهوجاء التي اثاروها ، فاختُتمت بالصلب . ومن المحقق انهم شعروا بدهشة مرهبة ، ورهبة مدهشة ، حينما ذهبوا الى الهيكل في صباح سبتهم «المقدَّس» ، ورأوا «حجاب» الهيكل السميك ، وقد «انشقّ من فوق الى اسفل» (متى ٢٧:٥١) . ولعل ذلك اليوم ، كان ارهب الايام عليهم ، واشقاها على التلاميذ ، الذين قد تشتت شملهم بعد ان ضُرب راعيهم ، وهُدم صرح آمالهم في « مسيا المنتظر » ، فقد كانوا هم ايضاً « يرجون انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل » (لوقا ٢٤:٢١)

غير ان هذه المخاوف التي خيَّمت على قلوب التلاميذ منذ غروب شمس الجمعة ، لم تكن سوى سحابة صيف ، بدَّدتها شمس صباح الاحد ، فتبدلت اتراحهم افراحاً ، واستحالت مخاوفهم يقيناً ، واهتزت قلوبهم بنشوة الظفر ، عند ما سرت بينهم هذه البشرى : «الرب قام بالحقيقة» ! (لوقا ٢٤:٣٤)

كل قبر محفور في الارض ، يُعتبر موقعة ظفرٍ للموت ملك الاهوال ،

لكن قبر المسيح صار مدفناً للموت، ومقبرة لاعوان الشر، ومطلع حكمة، وكنز عزاء، ومنبت انوار للمؤمنين. ولا عجب فهو القبر المثمر « في بستان »

واذا حق للانسان ان يعجب من قيامة الموتى، فمن حقه ان يعجب اذا لم يكن المسيح قد قام. لانه « كان ينبغي ان يقوم المسيح من الاموات » (٢٠:٩). فالقيامة هي الختم الالهي، الذي كان ينبغي ان تتوَّج به حياة هذا الكامل الاوحد. لاننا نحن البشر الفاسدين نولد في الارض، وعوامل الفساد تعمل فينا. فكأن حياتنا منسوجة بخيوط العدم. لأنها في اتم مظاهرها موت بطيء. لكن المسيح « قدوس الله »، قد جاء ارضنا، وعاش بيننا، ولم «يكن لرئيس العالم فيه شيء» — بشهادة الاعداء والاصدقاء — فكان من المحتم، ان الذي تنزه جسده عن فساد الحياة، لا يرى ايضاً فساد القبر

ان قيامة المسيح، هي طابع رضى الآب عن ذبيحته الكفارية التي قدمها على الصليب. لان كل ذبيحة مقبولة لدى الله، كانت ترتفع الى السماء على نسمات رضى الله. فكان من المحتم اذاً، ان يرتفع المسيح بجسده الى السماء، علامة رضى الآب عن ذبيحته. ولا شك في ان الذي فاز برضى الآب عنه عند نهر المعمودية (لو ٣:٢٣)، وكسب مسرة الآب به على جبل التجلي (مت ١٧:٥)، وظفر بتمجيد الآب له عند تل الجلجثة (يو ٣:٢٨)، يكون ايضاً حقيقاً برضى الآب عنه، بعد ان «اكمل» تدبير الفداء (يو ١٩: ٣٠)

ان قيامة المسيح، هي حصن ايماننا، وحجة قيامتنا العتيدة (١ كو ١٥: ١٣و ١٤)، وهي خير باعث لنا على السلوك في جدة الحياة (كو ٣:١—٣). هي ختم بنوة المسيح الازلية (رو ١:٤)، وهي باب دخوله الى المجد الذي كسبه

لنفسه بآلامه وموته (في ٢: ٩ وعب ٢: ٩)، وهي تاج عمل الفداء الذي قام به عنا ، اذ «أسلم من اجل خطايانا وأقيم لاجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥)

بعد ان أدخل جسد المسيح الى القبر ، وُضع على باب القبر حجر كبير ، ثم « مضى رؤساء الكهنة والفريسيون وضبطوا القبر بحرّاس من قِبَل بيلاطس . وختموا الحجر » (مت ٢٧: ٦٢—٦٦) . فكان القبر اذاً ، في قبضة اعداء المسيح، الذين افرغوا جعبتهم في ابتكار أبرع الوسائل لحبس هذا الجسد المقدّس داخل القبر . وكأنهم عقدوا مؤآمرة مع الموت لابقاء «قدوس الله» في ظلمة القبر . وفي الوقت نفسه ، كان تلاميذ المسيح المساكين محاطين بجوّ تسوده عوامل ثلاثة : اولها — يأسهم من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم، بعد ان وُضع الحجر الكبير على قبر سيدهم. والعامل الثاني — خوفهم من ماضيهم ، اذ صاروا محاطين باليهود الذين سطوا على الراعي ، فلا يتورعون من ان يبسطوا ايديهم على الرعية ايضاً . والعامل الثالث — اسفهم على ماضيه تركوا فيه اشغالهم ، وودعوا اهلهم وذويهم ، ليتبعوا انساناً صار القبر غاية مصيره ، فلو لم يكن المسيح قد قام ، لما قامت لتلاميذه قائمة . ولو لم يمتلىء تلاميذه بيقين القيامة في انفسهم ، لصار مهدُ الكنيسة لحدَها

من اجل هذا ، اهتم كل البشيرين بتسجيل حادثة قيامة الفادي . الا ان كلاً منهم حدثنا عن الحوادث المتعلقة بالقيامة من وجهة نظره الخاصة . ولا يبرح عن بالنا ، ان يوحنا كاتب هـذه البشارة ، لم يقصد ان يقدم لنا تاريخاً وافياً للحوادث التي وقعت بين قيامة المسيح وصعوده — فان بشارته كتبت في وقت كانت فيه الكنيسة المسيحية ملمة غاية الالمام بالحوادث المتعلقة

بالقيامة — ولكنه اختار من جعبة اختباراته الخاصة، بعض الحوادث، كنماذج تحمل بين طياتها رمزاً معنوياً لحقائق روحية ، اراد ان يجعلها نصب اعيننا . فجاءت روايته، بحكم طبيعتها، متممة ومؤيدة لروايات من سبقوه من البشيرين

وجدير بالذكر، ان ما كتبه يوحنا في الاصحاحين التاليين ، عن الحوادث المتعلقة بالقيامة، يقابل ما كتبه في الاصحاحين السابقين عن حوادث الصلب . في حوادث الصلب ، ارانا بغضة اليهود للمسيح ، وقد هوت الى حضيض البغضاء والانتقام والاجرام. وفي حوادث القيامة ، ارانا محبة التلاميذ للمسيح، وقد ارتقت من مستوى العيان المنخفض الى اوج الايمان الراقي . فاذا كان ظل الموت منعكساً على الاصحاحين السابقين ، فان نور الحياة الجديدة يسطع في ارجاء الاصحاحين التاليين

ولقد اهتم أيضاً يوحنا البشير بتدوين حوادث معينة،انتقاها لتكون صوراً حية تمثل شخصيات بارزة ، بكل وضوح وجلاء — كشخصية بطرس ، ويوحنا نفسه ، وتوما، ومريم المجدلية

فمن الحوادث التي تفرد يوحنا بذكرها : اعطاء المسيح تلاميذه سلطاناً لاعلان الحل والعقد (يو ٢٠:٢٣) ، وظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم في الاحد الثاني للقيامة (٢٠:٢٦) . هذا فضلاً عن حوادث الاصحاح الختامي

ومما يسترعي الالتفات ، في الحوادث التي دوّنها يوحنا : درجات الايمان، الممثلة في الاشخاص الذين آمنوا بحقيقة القيامة : (١) فالتلميذ « الذي كان يسوع يحبه » آمن نتيجة تموث علامات تجلت له ، من غير ان يرى المسيح بالذات (٢٠:٨) . (٢) و«مريم المجدلية» آمنت بعد ان سمعت المسيح منادياً

اياها باسمها (٢٠: ١٤—١٦) . (٣) و«التلاميذ» آمنوا اذ رأوا جروح الرب (٢٠: ٢٠). (٤) و«توما» آمن بعد ان عرضه عليه المسيح انه يضع يده في جنبه كما طلب (٢٠: ٢٧) . اما ارقى درجة في الايمان ، فقد جعلها المسيح من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (٢٠: ٢٩)

ومع انه من الصعوبة بمكان ، ان نعيّن بالضبط ، الوقت الذي وقعت فيه الحوادث المتعلقة بالقيامة ، الا اننا نستطيع ان نقدّر وقتاً تقريبياً ، لبعض تلك الحوادث ، استناداً الى اوثق المصادر :—

السبت الساعة ٦ مساء	مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب تعاينان القبر (مت ٢٨: ١)
حوالي ٦ ١/٢ مساء	مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة تشترين حنوطاً (مر ١٦: ١)
الأحد باكراً جداً	القيامة ، فالزلزلة ، فنزول الملاك ، وفتح القبر (مت ٢٨: ٢—٤)
الساعة ٥ صباح الاحد (وقت السحَر)	مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة ، وبعض النساء ، يذهبن الى القبر ، فتسبقهن مريم المجدلية ، ثم ترجع توّاً لتخبر بطرس ويوحنا بما رأت (يو ٢٠: ١—١٠)
الساعة ٥ ١/٢ صباحاً	رفيقات مريم يصلن الى القبر (مر ١٦: ٢)

	فيتراءى لهن الملاك ، ويوصيهن برسالة الى التلاميذ (مت ٢٨:٥ ، ومر ١٦:٥)
قبيل ٦ صباحاً	جماعة اخرى من النساء ، يأتين الى القبر (لو ٢٤:١)
الساعة ٦ صباحاً	ظهور ملاكين ، لهذا الفريق الثاني من النساء ، وافضاؤهما اليهن بكلمات معزية (لو ٢٤:٤)
« ٦½ صباحاً	ذهاب بطرس ويوحنا الى القبر ، وظهور الملاكين لمريم المجدلية (يو ٢٠:٣—١٣) وفي نحو هذا الوقت ، ذهبت النساء ليبلغن التلاميذ خبر القيامة (لو ٢٤:١٠)
الساعة ٧ صباحاً	المسيح يظهر نفسه لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١٤—١٨ ومر ١٦:٩) ، و بعد وقت قصير ، يظهر ذاته لجماعة من النساء ، كنّ راجعات الى القبر ، (مت ٢٨:٩)
حوالي ٤ بعد الظهر	ظهوره لبطرس (لو ٢٤:٣٤ و ١ كو ١٥:٥)
بين ٤ و ٦ بعد الظهر (على وجه التقريب)	ظهوره لتلميذي عمواس (لو ٢٤ : ١٣ ومر ١٦:١٢)
الساعة ٨ مساء	ظهوره لجماعة الرسل وآخرين (لو ٢٤:٣٤ ومر ١٦ ١٤ و يو ٢٠:١٩)

اما المرات التي ظهر فيها المسيح مدة الاربعين يوماً التي توسطت بين قيامته وصعوده ، فقد استطعنا ان نرتبها في الجدول الآتي — على قدر ما وصل اليه علمنا ، بعد البحث والاستقراء :

ترتيب الظهور	الذين ظهر لهم	مكان الظهور	زمان الظهور	الكاتب الذي أنبأنا بالظهور
الاول	لمريم المجدلية	عند القبر	الساعة ٧ صباحاً	يوحنا ٢٠ : ١٤ — ١٧ ومرقس ١٦ : ٩ — ١١
الثاني	للنساء وهن راجعات من القبر	في الطريق بين القبر واورشليم	بعد الساعة ٧ « بقليل	مت ٢٨ : ٨ و٩
الثالث	لبطرس	في اورشليم	حوالي الساعة ٤ بعد الظهر	لو ٢٤ : ٣٤ وبولس في ١ كو ١٥ : ٥
الرابع	لاثنين من غير الرسل	على طريق عمواس	بين الساعة ٤ و ٦ بعد الظهر	لو ٢٤ : ١٣ ومر ١٦ : ١٢
الخامس	للرسل في غياب توما	في العلية في أورشليم	الساعة ٨ مساء	لو ٢٤ : ٣٦ ومر ١٦ : ١٤ ويو ٢٠ : ١٩ وبولس في ١ كو ١٥ : ٥
السادس	للاحدعشر رسولا وتوما معهم	في العلية في أورشليم	بعد القيامة بثمانية أيام	يو ٢٠ : ٢٦
السابع	لسبعة من الرسل	على شاطىء بحر طبرية	في شهر مايو	يو ٢١ : ١ — ٢٤ (مت ٢٨ : ١٦)
الثامن	للاحدعشر رسولا ولـ ٥٠٠ أخ	على جبل في الجليل	في شهر مايو	مت ٢٨ : ١٦ — ٢٠ و ١ كو ١٥ : ٦
التاسع	ليعقوب	في أورشليم (غالباً)	في شهر مايو	بولس في ١ كو ١٥ : ٧
العاشر	للاحد عشر رسولا	في أورشليم	قبيل صعوده	لوقا في اع ١ : ٣ - ٨ و ١ كو ١٥ : ٧

١ وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً

خامساً : *الحياة* (٢٠: ١—٣)

هذا اصحاح الحياة الجديدة . فلا غرو اذا كان قلبه نابضاً بحياة الايمان وايمان الحياة : «فرأى وآمن» (٢٠: ٨). ينقسم هذا الفصل الى *ثلاثة* اقسام: (١) *العلامات الثلاث المثبتة لحقيقة القيامة*(٢٠: ١—١٠).(٢) *الظهور المثلث* (٢٠: ١١—٢٩) . (٣) *غاية يوحنا من كتابة بشارته* (٢٠: ٣٠و٣١)

(١) *العلامات الثلاث المثبتة لحقيقة القيامة* : ا — العلامة الاولى : *القبر المفتوح* (٢٠: ١و٢) — هذه العلامة رأتها مريم وخبَّرت بها —ب — العلامة *الثانية : القبر الخالي*—اكفان ولا جسد (٢٠: ٣ – ٦) : هذه العلامة تحققها بطرس ويوحنا — ج – العلامة *الثالثة : المنديل الملفوف* على حدة (٢٠: ٧—١٠) . هذه العلامة وسابقتها كانتا سبباً في ايمان بطرس و يوحنا

(ا) *العلامة الاولى — القبر المفتوح* (٢٠: ١و٢)

عدد ١ — (١) *مريم المجدلية ترى القبر المفتوح* : « في اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باقٍ . فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » . ينتهي الاصحاح السابق ببدء آخرِ « سبت يهودي » في العهد القديم. ويُستهل هذا بغرَّة اول «سبت مسيحي» في العهد الجديد. وما كاد يحل آخر سبت يهودي على العالم حتى كان ظلام البشرية على اشدّه . لان جسد مخلص الانام كان قد أُودع في القبر ووضع على القبر حجر ، ولكن ما كاد يبزغ فجر السبت المسيحي الاول،حتى كانت انوار الفداء قد عمت الارجاء

والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر . ٢ فركضت وجاءت
الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت

لان « شمس البر » قام من قبره قبل ان تقوم شمس الطبيعة من خدرها فكان خليقاً بالذي بدّد ظلمة القبر، ان يقوم والظلام مخيم على الارض . من اجل ذلك لم يستطع احد ان يرى « كيف» قام المسيح ، ومع اننا نؤمن ايماناً وطيداً ان المسيح قام «حقاً» . فديانته ليست ديانة «الكيف» بل ديانة «الحق»

يُستهل هذا الاصحاح بآية تنبئنا بـ «الآية» الاولى المثبتة لحقيقة القيامة وهي — القبر المفتوح . ومن العجيب ان اول من شهد هذه « الآية » ، امرأة لم تكن في حياتها السابقة ذات مركز اجتماعي سام — مريم المجدلية (١) التي يقول عنها لوقا ان الرب « اخرج منها سبعة شياطين » (لو ٨: ٢) . فلا عجب اذا رأيناها مبكرة وذاهبة الى القبر في مقدمة الجميع،لانها كانت في مقدمة من غمرتهم افضال المسيح . فثقل الدين يقابله ثقل في المسئولية

عدد ٢ . (٢) *المجدلية تخبر بطرس ويوحنا بما رأت* : « فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه » . يُستنتج من تكلم مريم بصيغة الجماعة : «لسنا نعلم اين وضعوه»، انها كانت تتكلم عن نفسها وعن

---

(١) لقبت مريم بـ «المجدلية»، نسبة الى بلدها «مجدل» وهي المدينة التي اتى الى تخومها المسيح بعد ما اشبع الاربعة الآلاف ، في الجنوب الشرقي من بحر الجليل (متى ١٥: ٣٩) ويعتقد الاكثرون انها «المجدل» الحالية ، التي تبعد نحو ساعة الى شمالي طبرية

لهما اخذوا السيد من القبر

النساء اللواتي ذهبن الى القبر بزعامتها ، ومعهن حنوط لتعطير جسد المسيح (مت ٢٨:١-٢١ ومر ١٦:١-٢ ولو ٢٤:١-١٠)

ويستفاد مما كتبه البشيرون الاولون ، ان مريم والنساء اللواتي كنَّ معها ، كن يقلن فيما بينهن ، في طريقهن الى القبر : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ولما وصلن الى القبر وجدن الحجر قد دُحرج عنه ، واذ لم يعرفن شيئاً عن كل ما حدث اندهشن . وحالما دخلن القبر ، ولم يجدن جسد الرب تحيَّرن جداً . اما مريم المجدلية فظنت ان جسد الرب قد سُرق . ويُفهم من قولها : «اخذوا السيد» ، انها ربما ظنت ان اليهود قد سرقوا جسد الفادي ، او ان يوسف الرامي ونيقوديموس قد نقلا الجسد من القبر الى مرقد آخر . فاختلجت في قلبها لوعة يمازجها الحزن والدهشة ، فلم تتمالك نفسها من ان تترك القبر وسائر النساء هناك ، وتهرول راكضة الى بيت بطرس الذي لم يزل بعد محسوباً من زعماء الرسل — على رغم انتشار خبر انكاره لسيده ، والى بيت يوحنا «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» . وهو الذي ظلّ ملازماً سيده حتى آخر لحظة ، «وقالت لهما اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه» !

حسن ان مريم وهي تتكلم عن « الجسد » الذي في القبر ، قالت : «السيد» . فهي اذاً كانت احكم من نفسها وهي لا تدري ، لان الرب كان قد قام وقتئذ . فهو اذاً حي . غير ان مريم ، وقعت في سلسلة اغلاط بسبب ضعفها البشريّ . فقد ذهبت الى القبر لتعطر جسد يسوع الانسان ، وغاب عنها ان هذا

ولسنا نعلم اين وضعوه. ٣ فخرج بطرس والتلميذ الآخر واتيا الى

الجسد قد ارتقى الى العلاء، فتعطرت برائحته كل اجواء السماء. جاءت الى القبر علها ترى جسد المصلوب ممسكاً بسلاسل القبر. وقد فاتها ان يد الظلام لا تقوى على ملامسة اهداب «نور العالم». جاءت لتقدم فروض ولائها لانسان ذهب ضحية ظلم الناس. وقد نسيت ان من اوجب واجباتها ان تقدم عبادتها لهذا المخلص العجيب، الذي التقت فيه رحمة الله بعدالته. مسكينة هذه المجدلية اذ توهمت ان «السيد» امسى جثماناً هامداً، يستطيع اعداؤه ان «يأخذوه»، وقد سهي عليها، ان السيد هو العزيز المقتدر، رب الموت والحياة. ظنّت مريم ان كل هذا حدث بفعل ايدي الناس، فتعذبت. مع انها لو ادركت ان يد الرب، هي التي فعلت كل هذا، لتعزّت. اننا في نفس الوقت مدينون لمريم المجدلية بجهالتها وغفلتها. فلو كانت مريم متوقعة قيامة الرب من الاموات، لوُجد امام المعترضين مجال متسع للقول: ان حادثة القيامة تكوّنت في فكر مريم، نتيجة وساوس، واختلاط عقلي في ذهنها

وهل من ريشة تستطيع ان ترسم لنا مبلغ تأثر مريم امّ المخلص بهذا الخبر، حين بلغها وهي مقيمة مع يوحنا في بيته؟ (١٩: ٢٧)

(ب) العلامة الثانية: القبر الخالي. اكفانه ولا جسد (٢٠: ٣—٦)

عدد ٣ و٤. (١) *بطرس ويوحنا يذهبان الى القبر مسرعين*. سمع الرسولان هذا الخبر الغريب، فخرجا مسرعين الى القبر. اما بطرس فكان — على ما نعهده فيه من الاندفاع — اسبقَ الاثنين الى الانطلاق. وربما وصلت

القبر. ٤وكان الاثنان يركضان معاً. فسبق التلميذُ الآخر بطرس وجاء
اولاً الى القبر ٥ وانحنى فنظر الاكفان موضوعة ولكنه لم يدخل

المجدلية الى بيته قبل ان تصل الى بيت يوحنا (عدد ٢). اما يوحنا، فلكونه اصغر الاثنين سناً، فقد استطاع ان يلحق ببطرس «وكان الاثنان يركضان معاً». ومن ثم سبق يوحنا بطرسَ وجاء اولاً الى القبر. فالغيرة قد تكون أسبق من المحبة في بدء الطريق، لكن المحبة تسابق الغيرة وتسبقها في النهاية

عدد ٥. (٢) **يوحنا ينحني على باب القبر، فيجد العلامة الثانية** «وانحنى» — اي يوحنا. وعلة انحنائه ان باب القبر كان منخفضاً — «فنظر الاكفان موضوعة»، فحقق ما قالته مريم ان «الجسد ليس في القبر». ولعله تعجب من ان الذين اخذوا الجسد، لم يأخذوا الاكفان ايضاً، اقتصاداً في الوقت والتعب. هذا اذا كان الذين اخذوا الجسد، من اعداء المسيح. اما اذا كانوا من احبائه، فلا يُعقل انهم يأخذون الجسد ويتركون الاكفان. فمن المحقق اذاً، ان اليد التي رفعت الجسد من القبر، ليست يد انسان — عدواً كان ام صديقاً. ما هذه الا يد الله

وقد يلذ لنا ان نذكر ان الكلمتين: «انحنى ونظر»، مترجمتان الى العربية عن كلمة واحدة في اللغة الاصلية — وردت ايضاً في عدد ١١ — وهي عين الكلمة التي بها وصف بطرس الرسول موقف الملائكة تجاه «امور» الفداء: «تشتهي . . . . ان تطلع عليها» (١بط ١: ١٢). ولكون يوحنا متهيباً بطبيعته، لم يدخل القبر، وربما وقف واجماً لشدة حزنه على سيده

٦ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة.
٧والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل
ملفوفاً في موضع وحده . ٨فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر

عدد ٦ . (٣) . *سمعان بطرس يصل بعد يوحنا ، ويدخل القبر ، فيرى العلامة الثانية* : «ثم جاء سمعان بطرس يتبعه» — لانه كان اكبر من يوحنا سناً ، ونظراً لكونه عملياً في محبته وجسوراً ، لم يقف عند حد النظر الى القبر ، بل اندفع كعادته « ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة » . الكلمة المترجمة « نظر » ، معناها الحرفي « نظر بامعان وتدقيق» ، فأبصر ما لم يستطع ان يراه يوحنا في لمحته العاجلة

(ج) *العلامة الثالثة . المنديل الملفوف على حدة* (٢٠:٧—١٠)

عدد ٧ . (١) . *بطرس يرى هذه العلامة اولا*: «والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل ملفوفاً في موضع وحده » . هذا مفاده ان المنديل كان ملفوفاً بكل عناية، وموضوعاً من غير عجلة، في مكان على حدة. وردت هذه الكلمة«منديل»مرة اخرى في هذه البشارة (١١:١٤)

عدد٨. (٢) . *يوحنا يقتدي ببطرس ويدخل القبر فيرى هذه العلامة* : «فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر» — اي يوحنا البشير — «الذي جاء اولاً الى القبر ورأى فآمن» . ما اقوى تأثير الانسان على غيره ، وما اشدّ تأثره من الآخرين ! فقد كان لشجاعة بطرس واقدامه في هذا الظرف الخاص، اجمل تأثير في يوحنا وهو لا يدري . فأمام شجاعة بطرس واقدامه ، اختفى تهيب

الذي جاء اولاً الى القبر

يوحنا واحجامه ، لذلك يقول يوحنا—وهو خير من يحدثنا عن نفسه ، وان يكن آخر من يذكر لنا اسمه : «فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر الذي جاء اولاً الى القبر» . والظاهر ان يوحنا لم يستطع ان يرى المنديل الملفوف ، وهو منحنٍ على باب القبر (عدد ٥) ، لان المنديل كان موضوعاً في مكان داخليّ ، ولان يوحنا كان قد القى لمحة عاجلة على محتويات القبر ، ففاته ان يرى ما رآه بعد ان دخل

(٣) *تأثير هذه العلامة في يوحنا* : « ورأى فآمن » . بأي شيء آمن يوحنا ؟ أبمجرد الخبر المبهم المزعج، الذي انبأته به مريم المجدلية ؟ كلا . لكنه آمن ان الرب قد قام،لانه بعد ان رأى الاكفان موضوعة، والمنديل ملفوفاً بكل عناية ، وموضوعاً على حدة ، اقتنع ، وآمن بان المسيح قد قام . لان في لف المنديل بهذه العنايه،ووضعه على هذا النظام،دليلاً على ان اليد التي مدّت الى القبر ، ليست يد لص سارق . لان السارق بعد ان ينهب ما يريد بكل عجلة ، يترك الباقي مبعثراً مشتتاً . هذه اذاً يد عزيز مقتدر يجري اعماله بتأنٍ ، ودقة ، وعناية ، ونظام . بل هذه يد المسيح نفسه اله القدرة والتأني ، الذي في ايام جسده ، كان ذاهباً ليقيم فتاة ميتة ، فتمهل في طريقه ، و بكل عناية شفى امرأة مريضة (لوقا ٨:٤١ – ٥٥) . بل هذه يد المسيح ، اله الترتيب والنظام ، الذي يهتم بعظائم المخلوقات ، اهتمامه بأصاغرها. فهو يكسو البلوطة الضخمة ، مهابة وجلالاً ، ويفيض على البنفسجة الصغيرة بهاء وجمالاً

ورأى فآمن . ٩ لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب

ان القول بان يوحنا « آمن ان المسيح قام من الاموات » ، هو تعبير آخر للقول ، بان يوحنا آمن ان يسوع هو المسيح . واذا ما اضفنا هذه الكلمة: « آمن » ، الى درجات السلم التي ارتقى اليها ايمان التلاميذ في ما مرّ بنا من هذه البشارة (١:٣٨ و٢:١١ و١١:١٥و١٤:١١) ، اتضح لنا ، ان هذه ارقى درجة بلغها ايمان يوحنا ، في سجل بشارته

عدد ٩ . (٤) . *علة تباطوء ايمان الرسل–بما فيهم يوحنا* . لم يقل يوحنا عن نفسه انه « رأى وآمن » ، بنغمة الفخور المعجب بذاته ، كأنه كان اسبق الرسل الى هذا الايمان الذي هو وليد العيان . كلاّ . وانما قالها بروح التواضع ، الذي يمازجه شيء من الخجل ، لانه لم يستطع ان يؤمن الا بعد ان رأى . من اجل ذلك ، نراه يدمج نفسه مع سائر الرسل ، في الكلام عن تباطؤ ايمانهم : «لانهم» — اي الرسل بما فيهم يوحنا — «لم يكونوا بعد» — اي الى الآن — « يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من الاموات » فاذاً جهل الرسل بما في الكتب ، هو علة تباطئهم في الايمان بقيامة المسيح . الا تحمل هذه الكلمات بين جنباتها ، اعترافاً ضمنياً ، بان رسل المسيح كانوا اقل من اليهود انتباهاً لكلام السيد ؟ لان متى يخبرنا في بشارته : ان «رؤساء الكهنة والفريسيين اجتمعوا الى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حي اني بعد ثلاثة ايام اقوم» (متى ٢٧:٦٢و٦٣) . فكأن اعداء المسيح ، كانوا اسرع من احبائه الى فهم كلامه . وما اكثر

انه ينبغي ان يقوم

الاوقات التي يكون فيها «ابناء هذا الدهر، احكم من ابناء النور في جيلهم» (لو ١٦:٨) ! اما «الكتاب» التي يقول يوحنا، انه هو وسائر الرسل «لم يعرفوه»، فهو ما كُتب عن المسيح في ناموس موسى، والانبياء، والمزامير — سيما هذا السفر الاخير (مز ١٦:١٠). (قابل هذا بما جاء في لوقا ٢٤:٢٥ و٤٤). من هذا يُستنتَج: (ا) ان حوادث كثيرة، تظل امامنا كسفر مختوم، حتى يفيض عليها الزمان نوراً ساطعاً، فتتلألأ امامنا في ضوء الاختبار، وفي نور روح ارشاد المسيح (لوقا ٢٤:٤٥). (ب) ان في قيامة المسيح مفتاحاً لاسرار الكتاب. و بغيرها يظل «الكتاب» سفراً مختوماً. (ج) لو لم يكن المسيح قد قام، لكان من المحتم ان يقوم. لان قيامته ليست «فرض كفاية» بل هي «فرض عين»: «ينبغي ان يقوم من الاموات»

هذه مرة أخرى، قال فيها البشير كلمة: «ينبغي» في عرض كلامه عن شخص المسيح. وقد يكون من المفيد لنا، ان نستعرض في لمحة موجزة، المواضع التي ارتبطت فيها هذه الكلمة الحتمية: «ينبغي» بحياة السيد

«ينبغي ان يُرفع ابن الانسان» (يوحنا ٣:١٤و١٢:٣٤) — هذا فرض الفداء الاختياري. «ينبغي ان يذهب الى اورشليم» (متى ١٦:٢١) — هذا فرض الوصية التي قبلها المسيح من الآب. «فكيف تكمّل الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون» (متى ٢٦: ٥٤، لوقا ٩:٢٢، ٢٤:٧، ٢٦:٤٤) — هذا فرض المكتوب. «ينبغي ان اكون في ما لأبي» (لوقا ٢:٤٩) — هذا فرض

ن الاموات . ١٠ فمضى التلميذان ايضاً الى موضعهما

ر المسيح ببنوته الازلية للآب . « ينبغي ان امكث اليوم في بيتك »
قا ١٩: ٥) — هذا فرض المحبة الغافرة المتنازلة . « ولي خراف أخر . . .
ني ان آتي بتلك أيضاً» (يو ١٠: ١٦) — هذا فرض النصرة النهائية ،
ستبلغها كنيسة المسيح عند كمالها . «ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني
دام نهار» (يو ٩: ٤) — هذا فرض المهمة المعينة التي تقلدها المسيح من
ب . « ان ابن الانسان ينبغي ان يتألم كثيراً » (مرقس ٨: ٣١) — هذا
ض المحبة الالهية الفدائية . «ينبغي ان يسلم ابن الانسان في ايدي اناس
طاة» (لوقا ٢٤: ٧) — هذا فرض الخيانة البشرية

عدد ١٠ (٥) . رجوع بطرس ويوحنا الى موضعهما: «فمضى التلميذان
ضاً الى موضعهما». مضى كل من هذين التلميذين الى محل اقامته في اورشليم،
د ان شرفتهما العناية برؤية ذلك القبر الخالي . اما يوحنا ، فسار في طريقه
لايمان يملأ قلبه . واما بطرس، فمضى في سبيله ، متفكراً في العلامات التي
اينها بنفسه في القبر . وفي الغالب ، لم يبلغ درجة الايمان اليقيني بالقيامة ،
بعد ان افتقده الرب برحمته، وظهر له بنفسه، حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر
ذا اليوم عينه (لو ٢٤: ٣٤ و١ كو ١٥: ٥).

ومع اننا لا ندري شيئاً عن الحديث الذي دار بين بطرس وسيده في
ـه المقابلة ، الا انه من السهل علينا ان نتصور ، ان انكار بطرس لسيده لم
ن خارجاً عن موضوع حديثهما في هذه المرة، التي هي أول مرة التقيا فيها
ـ تلك النظرة الفاحصة المذيبة (لوقا ٢٢: ٦٢)

١١ اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي
تبكي انحنت الى القبر ١٢ فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين

(٢) الظهور المثلث (٢٠:١١ ـ ٢٩)

ينبئنا هذا الفصل، بثلاث مرات اظهر فيها المسيح ذاته . ـ أ ـ لمريم المجدلية (٢٠ : ١١ ــ ١٨) ــ ب ــ لتلاميذه في غياب توما عنهم (٢٠:١٩ــ٢٥)ــجــ لتلاميذه وتوما معهم (٢٠:٢٦ - ٢٩)

ـ أ ـ ظهور المسيح لمريم المجدلية (٢٠:١١ ـ ١٨) .

(١) مريم متحيرة باكية : (٢٠:١١ ـ ١٣)

عدد ١١ . ـ أ ـ حزن مريم المجدلية وولاؤها : «اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي» . بعد ان أتمت مريم مأموريتها التي قامت بها خير قيام ، بابلاغها خبر القبر الخالي الى بطرس و يوحنا ، عادت الى القبر من طريق غير الطريق الذي رجع منه بطرس و يوحنا. ومن شدة ولائها لسيدها ظلت واقفة عند القبر تبكي . لكن عين المحبة المخلصة المتألمة ، الطهورة ، لا تكتفي بذرف الدموع ، بل تريد دائماً ان تتطلع ، علها ترى من خلال الدموع، ما يعيد اليها اطمئنانها، و يرد لها ما غاب عنها ، ومَن فقدت : « وفيما هي تبكي انحنت الى القبر »

عدد ١٢ . ـ ب ـ مريم ترى ملاكين حيث كان جسد يسوع موضوعاً « فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين، واحداً عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعاً » . ما أبهى هذا المنظر العجيب،

واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً . ١٣ فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قالت لهما انهم اخذوا

الذي رأته مريم ! انه شبيه بمنظر الكروبين اللذين كانا « مظللين الغطاء حيث حل مجد رب الجنود قديماً » (خر ٢٥ ٢٢ ، ١صم ٤:٤، ٢صم ٦:٢ ، مز ٨٠:١ ، ٩٩:١). ولكن على رغم ما في هذا المنظر من جمال وبهاء ، فان مريم لم ترضَ به بديلاً عن سيدها . ومن العجيب ، انها لم تستغرب رؤية الملاكين ، ولم تخف منهما . لان حزنها العميق وانشغالها الشديد بالعثور على جسد سيدها، ملكا عليها كل مشاعرها ، فتغافلت عن كل شيء عداه

ان قول يوحنا ، بان ملاكين ظهرا لمريم ، لا يتنافى ورواية متى ، بان ملاكاً واحداً ظهر لسواها من النساء (متى ٢٨:٥) . لان ذلك الملاك الواحد ظهر للنساء ، في الفترة التي تركتهن فيها مريم وانطلقت لتخبر الرسولين بما رأت . واما الملاكان فقد ظهرا لمريم بعد انصراف سائر النساء

عدد ١٣ – ج – *سؤال الملاكين وجواب مريم*: « فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين»؟ لقد اوضحنا معنى كلمة «امرأة» – كما وردت في الاصل – في ٢:٤، فاطلبها هناك . «قالت لهما انهم اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه» . مع ان جواب مريم عن سؤال الملاكين، يتفق في جوهره وقولها الذي خبَّرت به بطرس ويوحنا(عدد ٢)، الا انهما يختلفان في كلمتين : *اولاهما* – انها في كلامها مع بطرس ويوحنا، قالت «*السيد*» بصيغة *التعميم* . ولكن في جوابها للملاكين قالت « *سيدي* » – بصيغة *التخصيص* . *وثانيهما* : انها في حديثها مع

سيدي ولست اعلم اين وضعوه. ١٤ ولما قالت هذا التفتت الى
الوراء فنظرت يسوع واقفاً

الرسولين تكلمت بصيغة الجماعة: « نعلم » . ولكنها في كلامها مع الملاكين، تكلمت بصيغة المفرد: « أعلم » . فكأنها في كلامها الاخير، عبّرت عن خسارتها الشخصية وحيرتها الفردية، اللتين اصابتاها، بفقدانها جسد سيدها

(٢) مريم غافلة (٢٠: ١٤ و١٥)

عدد ١٤ - أ - *مريم ترى يسوع ولا تميزه*: ما كادت مريم تفرغ من اجابتها الملاكين عن سؤالهما، حتى حانت منها التفاتة الى الوراء. ولعلها لم ترغب في مواصلة الحديث مع الملاكين، لانها لم ترَ في نغمة كلامهما بارقة أمل بازالة سبب حيرتها. او ربما لانها احسّت بطريقة ما، ان شخصاً آخر قد حضر. أو كما يقول يوحنا الذهبي الفم: انها لمحت على وجهي الملاكين امارات جديدة - ولعلها امارات تهيب واعجاب، مما دلها على انهما يرحبّان بقدوم شخص عجيب! «فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع» . ولكم من المرات يتراءى لنا يسوع في سبل حياتنا اليومية، ونحن عن قدومه غافلون! فقد يتراءى لنا في صورة فقير بائس ينتظر عوناً، او في شكل ضيف يجلس على موائدنا ينتظر سخاءنا، او في هيئة جليس يستمع لاحاديثنا

يُعزَى جهل مريم بحقيقة يسوع الى: (١) عدم توقعها ان تراه. (٢) التغير الذي طرأ على جسده بعد القيامة. لان جسده القدوس، استمر الى ساعة موته خاضعاً لنواميس طبيعتنا البشرية المحدودة. لكنه بعد القيامة كان يدخل،

ولم تعلم انه يسوع . ١٥ قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين . مَن
تطلبين . فظنت تلك انه البستاني فقالت له يا سيد ان كنت انت

ويخرج ، ويظهر ، ويغيب ، على اسلوب خفي لا يُستقصى (٢٠:١٩) .
(٣) ربما لان عيني مريم أُمسكتا عن معرفة شخص المسيح ، مثلما أُمسكت اعين تلميذي عمواس عن مرأى سناه (لوقا ٢٤:١٦)

عدد ١٥ ـ ب ـ سؤال المسيح وجواب مريم : «.. يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟» . هذه هي اولى الكلمات التي نسمعها من المسيح بعد قيامته

سؤالاه عجيبان ـ أوَّلها ممهد لثانيهما ، وثانيهما مؤيد ومفسر لأولهما. «لماذا تبكين ؟ من تطلبين ؟» بهذه الكلمات ، سأل المسيح مريم عن علة بكائها ، وسبب عذابها ، الذي هو ايضاً مصدر عزائها : «لماذا تبكين ؟ من تطلبين ؟ » ـ وهل تخلو هذه الكلمات من تنبيه ضمني من المسيح لمريم ، على خطأها ببكائها؟فكأني به يقول لها: «اخطأتِ بطلبك الحي بين الاموات»!

اما مريم، فظنت ان الذي يكلمها هو «البستاني». لان قبر المسيح كان في بستان فكان من الطبيعي ان تتوقع مريم وجود البستاني هناك. فقالت له « يا سيد ان كنت انت » ـ انت لا اي واحد من الاعداء ـ «قد حملته، فقل لي اين وضعته وانا آخذه» . من العجيب ، ان مريم في حزنها لم تحسب حساباً لضعف قوتها ، فتوهمت ان في امكانها ـ وهي امرأة ضعيفة ـ ان ترفع جثة من موضعها . لكنها، في كل كلامها — سواء مع بطرس ويوحنا ، أو مع الملاكين ، او مع يسوع الذي ظنته البستاني — كانت تتكلم عن المسيح كأنه

قد حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه . ١٦ قال لها يسوع يا مريم.
فالتفتت تلك وقالت له

شخص حي، ماثل امامها . فلم تقل مرة واحدة : «جسد» ، ولا «جثة»، بل قالت : «السيد» (عدد ٢) و «سيدي» (عدد ١٣) . ولكون المسيح حاضراً في ذهنها هي ، ظنت انه حاضر ايضاً في ذهن غيرها ، فقالت عنه في عدد ١٥، «حملتَه» . . . «وضعتَه» . . . آخذه» ، من غير ان تذكر اسمه بالذات

عدد ١٦ . (٣) مريم مؤمنة : «قال لها يسوع يا مريم» !ان مخاطبة المسيح اياها في العدد السابق بالقول : «يا امرأة» لم يقابل منها باي اهتمام ، لان الملاكين سبقا فخاطباها بنفس هذه الكلمة (عدد ١٣) فلم ترَ فيهـا شيئاً جديداً . لكنها عند ما سمعت هذا الشخص العجيب يناديها باسمها، تأكدت انه هو راعيها الصالح ، الذي يناديها باسمها الخاص

ومن أسباب عزائنا، ان نذكر ان راعينا الصالح ، هو ايضاً طبيبنا الحكيم، فهو لا يسلط نوره دفعة واحدة على العيون المغمورة بظلال الفجر، بل يقدم لها النور تدريجياً. في بادىء الامر خاطب المسيح المجدلية بقوله لها: «يا امرأة»، وعنـد ما وجدها على استعداد لقبول مزيد من النور ، قال لها : «يا مريم» . وربما لو ابتدرها بالقول : «يا مريم» لصُعقت من شدة الفرح ، وفرط العجب. وكأن مريم كانت ضالة في برية احزانها، تائهة عن حقيقة ذاتها ، غافلة عن شخصية راعيها ، فلما سمعت الراعي الصالح يناديها باسمها ، رُدت نفسها اليها ، والى راعيها . عندئذ «التفتت» — كأنها كانت الى الآن مطرقة بوجهها

رَبُّوني الذي تفسيره يا معلم. ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم

الى الارض حياء، وهي تخاطبه، او ربما كانت ناظرة هنا وهنالك، من فرط حيرتها، ولعلها كانت قد اتجهت ببصرها مرة أخرى الى القبر (عدد ١٤) وهنا استجمعت كل ما عندها من قوة الرجاء، واليقين، والاعجاب، والتعبد، وارتمت عند قدميه محاولة ان تمسك بهما، او بهدب ثوبه (قابل هذا بما جاء في متى ٢٨: ٩ و١٠)، وعبرت عن شعورها بكلمة واحدة، لفظتها بلغتها العبرية: «ربوني»! الذي تفسيره «يا معلم». ان كلمة «ربوني» أقوى وأرفع من كلمتي «رابّ» و«ربّاي». ومعناها «المعلم الاعظم». وقد قالتها مريم معبرة بها عن يقين معرفتها بشخص المسيح، وعظم ابتهاجاً برؤيته حيًّا مقاماً، وشدة تكريمها له بعد قيامه من الاموات

(٤) مريم مبشرة: (٢٠: ١٧ و١٨)

عدد ١٧. (١) مريم تتسلم البشرى: «قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم أصعد بعد الى أبي. ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم: اني اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم». تتضمن هذه الكلمة: تنبيهاً لمريم على خطأها، وعلة هذا التنبيه: «لا تلمسيني لاني...». الكلمة المترجمة «تلمسيني»، معناها الحرفي: «لا تمسكيني وتتعلقي بي». ولو كانت هذه لمسة من يريد ان يتحقق أن للمسيح جسداً حقيقيًّا بعد القيامة «لسمح لها المسيح بها، ودعاها اليها، لانه واضح من لوقا ٢٤: ٣٨، ان المسيح لم يكتف بأن سمح للتلاميذ بأن يلمسوه، بل دعاهم وامرهم أن «يجسُّوه»، في نفس هذا اليوم. وظاهر أيضاً

اصعد بعد الى ابي . ولكن اذهبي الى اخوتي

من يوحنا ٢٠:٢٧، ان المسيح قال لتوما، بعد أسبوع من هذا التاريخ: «هات يدك وضعها في جنبي» . ولكن هذه لمسة من ظنت أن صلة المسيح بتلاميذه بعد قيامته، ستعود مثلما كانت قبل القيامة، عن طريق الحواس الطبيعية، كالنظر واللمس والسمع . من أجل ذلك نبهها المسيح الى ان مدة معاشرته الجسدية لتلاميذه وأتباعه، قد انقضت، وان لا سبيل الى شركتهم معه بعد القيامة، الا عن طريق روحه الاقدس (١٤:١٨ و١٩ و٢٠ و١٦:٢٠ - ٢٨) . و بما ان الروح القدس، لم يكن قد أعطي بعد، لان يسوع لم يكن قد مُجد بعد ٧:٣٩)، لذلك افهمها الفادي، ان موعد هذه الشركة الروحية لم يأت بعد . اذ قال لها: «لاني لم أصعد بعد . . .» . فقبل القيامة، كان المسيح عائشاً بالجسد مع تلاميذه، ولكن بعد الصعود، عاش فيهم بروحه . هذا يوافقه قول بولس الرسول: «وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه ايضاً» (٢كو ٥:١٦)

(٢) *مهمة مجيدة*: «ولكن اذهبي الى اخوتي ...» . كأنه أراد ان يقول لها: «بدلاً من أن تصرفي وقتك وجهودك في ما لا طائل تحته، لان أوانه لم يأت بعد، «اذهبي الى اخوتي ...» . هذه مهمة جليلة، أبان فيها السيد:

(أ) . الشرف الممتاز الذي وهبه السيد لمريم المجدلية، بأن جعلها «رسولة» الرسل: «اذهبي...» . ألا نلاحظ ان المسيح، اذ اوصى مريم بهذه الوصية، متّعها بأعظم مما كانت تطلب او تتمنى؟ تمنت هي ان تمسك بقدميه،

وقولي لهم اني اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم

فشرفها هو بان جعلها تبلّغ اول رسالة عن قيامته المجيدة. وهل من فرصة يتمتع فيها الانسان بمعاشرة المسيح، نظير المجال الذي يظفر به من يكون خادماً له: «حيث اكون انا هناك ايضاً يكون خادمي»؟

(ب). اخوة التلاميذ للمسيح: «الى اخوتي». قبلاً سماهم «عبيداً»، ثم دعاهم «أحباء»، وكأنه رأى ان هذين اللقبين غير كافيين، فجاد عليهم بلقب جديد ممتاز: «اخوة» — دلالة على متانة الاتحاد الروحي الكائن بينه و بينهم

(ج). امتياز بنوة المسيح عن بنوة التلاميذ: «وقولي لهم: اني أصعد». لم يقل المسيح في رسالته لمريم: «قولي لاخوتي اني قمت»، بل «اني اصعد». كأن القيامة كانت عربون الصعود، أو هي الخطوة التمهيدية التي تكملت بالصعود. هذا دليل على ان الصعود عمليته تمّت تدريجياً في خطوات متتابعة، فكانت القيامة اولى هذه الخطوات. وكان انطلاق المسيح الى السماء خاتمة هذه الخطوات. ومن الامور التي تستدعي دقة الملاحظة، ان المسيح لم يشرك التلاميذ معه في صلته بالآب، بل جعل بنوته للآب، متميزة وممتازة عن بنوتهم هم، فقال: «الى ابي وأبيكم»، لا «الى أبينا». لان بنوته للآب، تمتاز عن بنوة المؤمنين: في النوع، والرتبة، والطبيعة. فالمسيح هو الابن، بحق طبيعي، لكن التلاميذ وسائر المؤمنين هم ابناء بالتبني

قال المسيح: «إلهي»، باعتبار كونه «ابن الانسان المتجسد» لاجل خلاص البشر — حتى في هذه النسبة ايضاً يمتاز الفادي عن البشر

١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال
لها هذا . ١٩ ولما كانت

عدد ١٨.(ب) *مريم تبلغ البشرى الى التلاميذ*: «فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا» . هذه اول بشرى في تاريخ كنيسة العهد الجديد، بل هذه هي البشارة الدائمة التي ينبغي ان ينادي بها كل فرد، بناء على اختباره الخاص: «رأيتُ الرب»

ان قول البشير: «فجاءت مريم واخبرت» — كما ورد في الاصل — يفيد ان مريم حالما رجعت من عند القبر، بدأت تلهج بخبر القيامة. وهكذا يكافىء الربُّ منتظريه. فقد بقيت مريم عند الصليب، وبكّرت عند القبر، فتمتعت ببركة الوعد القائل: «الذين يبكرون اليّ يجدونني»

ان في هذا برهاناً ضمنياً على صدق البشيرين، والا لقالوا ان اول من رأى الرب، هو بطرس «الصخر»، أو مريم العذراء «ام المخلص»، لا مريم المجدلية «التي اخرج منها الرب سبعة شياطين»

ب — *ظهور المسيح للتلاميذ في غياب توما* (٢٠: ١٩—٢٣).

في هذه المرة عالج المسيح خوف تلاميذه، مثلما كافأ في ظهوره السابق ايمان مريم (٢٠: ١١—١٨) . في تلك المرة ظهر المسيح لتلاميذه في *الصباح*. وفي هذه المرة، في *المساء* . الظهور السابق كان *لفرد* . وهذا، *لجماعة* . ذلك الظهور كان في *الخلوة* عند القبر، وهذا في *المدينة* اورشليم، وفي غرفة خاصة

عشية ذلك اليوم وهو اول الاسبوع وكانت الابواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود

ينقسم هذا الفصل الى قسمين : (١) خوف التلاميذ (٢٠:١٩ (أ)) . (٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (٢٠:١٩ (ب) — ٢٣)

عدد ١٩ (أ) . (١) خوف التلاميذ: «ولما كانت عشية ذلك اليوم» — وهو اول الاسبوع — «وكانت الابواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود» . يضع البشير اهمية خاصة على «ذلك اليوم» لانه صار يوم الرجاء للرسل وللكنيسة . فكان من المناسب جداً ان يقع في اول الاسبوع ، لينشر نور رجائه المقدس ، في ارجاء سائر ايام الاسبوع . فاذا كانت الباكورة مقدسة، تقدست كل الأثمار .

«ذلك اليوم» ، هو يوم الايام ! فيه تحررت قلوب مستعبدة . لان فيه استقرّت حمامة الرجاء في القلوب التي طار منها عصفور الامل يوم الجمعة الحزينة. ان «ذلك اليوم» شمس بالنسبة لسائر الايام ، وما هي الا كواكب ، لان كل انوارها مستمدة من نور «يوم الايام» . فلا عجب اذا صار هو سبتَ المسيحية الجديد . فيه قام المسيح . وفي مثله ظهر لتلاميذه في علية اورشليم . وفي مثله ظهر أيضاً لتلاميذه على شاطىء بحر طبرية ، كما يعتقد معظم المفسرين

«ولما كانت عشية ذلك اليوم» — نحو الساعة الثامنة مساء — «وهو اول الاسبوع» — وكان تلميذا عمواس قد رجعا الى اورشليم ، واخبار القيامة قد انتشرت في المدينة،خاف التلاميذ من ان يلحقهم اذى من رؤساء اليهود،

جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم

الذين تبرعوا لهم بتهمة سرقة جسد المسيح، قبل قيامته بثلاثة ايام (متى٢٧:٦٣ و ٦٤). ومن يدري ماذا يفعلون بهم الآن؟ لذا خلوا الى بعضهم البعض في عليـة اورشليم، واغلقوا غرفتهم. خطأ ما اكبره! فانهم خافوا في الوقت الذي كان ينبغي ان يتذرعوا فيه بشجاعة دونهـا شجاعة الاسود

(٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (١٩:٢٠ ب — ٢٣)

١٩ (ب). ظهور المسيح في الوسط: «جاء يسوع ووقف في الوسط». اننا لا نشاطر كالفن رأيه القائل ان المسيح فتح الابواب من غير ان يدري به التلاميذ. لان الابواب كانت مغلقة بغاية الاحكام بسبب خوف التلاميـذ من اليهود. فمع ان جسد المسيح، بعد القيامة، كان جسداً حقيقياً، الا انه يختلف في اشياء كثيرة عن جسده قبل القيامة. والظاهر ان المخلّص كان يجتاز في لحظة واحدة من مكان الى آخر، وان تلاميذه كانوا مراراً يرونه، ويتحادثون معه، ولا يميزونه، الا متى اراد هو ان يظهر ذاته لهم. فالمسيح كان قبل موته، ظاهراً بجسده الا في الاوقات التي اراد ان يختفي به فيها. لكنه بعد القيامة كان مختفياً بجسده، الا في الاوقات التي اراد ان يظهر به فيها

١٩ (ج) — ٢١ (أ). الهبة الاولى — السلام. حالما ظهر المسيح لتلاميذه، أعطاهم سلاماً فياضاً — سلام الماضي والحاضر — سلام الغفران واليقين: «وقال لهم سلام لكم» (١٩ ج). لم تكن تحية جوفاء، هذه التي حيا بها المسيح المقام تلاميذه. لكنها لتحية غنية، محمّلة بسلامه العميق القلبي،

سلام لكم . ٢٠ ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ اذ رأوا
الرب . ٢١ فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم . كما ارسلني الآب

الذي يبدد مخاوف الماضي، وشكوك الحاضر . هذا هو سلام الغفران ، الذي ستر به المسيح تقصيرات التلاميذ وجبنهم (راجع تفسير ١٤:٢٧)

عدد ٢٠ . (أ) ضمان السلام وحجة دوامه :

«سلام لكم . . ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه» . بذلك تأكد التلاميذ ان المسيح قام حقاً . لانهم اذ رأوا يديه وجنبه تبينوا فيها آثار المسامير والحربة «ففرحوا اذ رأوا الرب» ، لانهم تحققوا انه «هو الرب» . ان السلام الذي قدمه المسيح لتلاميذه قد اشتراه لهم بصليبه ، فاليدان المثقوبتان ، والجنب المطعون ، هي الوثيقة الحية التي خطها المسيح بدمائه ، وقدمها للتلاميذ كحجة خالدة، وضمان يقيني لسلامه . قال ستيوبتز للوثر: «تأمل باستمرار في جروح المسيح ، فهي ختم الفداء ، وهي ضمان السلام الذي هو وليد الفداء»

عدد ٢١ . (ب) . سلام المستقبل — سلام الخدمة : « فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . بعد ان طمأن المسيح تلاميذه بسلام الماضي ، وملأ قلبهم يقيناً بسلام الحاضر ، اراد ان يعدهم لمسئوليات المستقبل ، باعتبار كونهم رسله في العالم، فوهبهم ايضاً سلام المستقبل . لان السلام هو ترياق الماضي ، وعلاج الحاضر ، وقوة المستقبل

الهبة الثانية : شرف السفارة باسم المسيح : «كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . مع ان رسالة الرسل ليست على طراز رسالة المسيح — لا : (١) من

ارسلكم انا . ٢٢ ولما قال هذا نفخ وقال لهم

حيث الزمن — لان المسيح أُرسل منذ الازل ، لكن التلاميذ أُرسلوا في وقت معين . ولا : (٢) من حيث الرتبة ، لان المسيح رسول الآب الاوحد ، على رتبة لا يدانيه فيها الرسل . الا ان التشابه الذي بين الرسالتين ، كائن في الاسم ، والسلطان . فكما ان المسيح جاء الى العالم حاملاً اسم الآب ، ومتقلداً سلطانه ، كذلك انتشر الرسل في العالم حاملين اسم المسيح ، ومتقلدين سلطانه

عدد ٢٢ . الهبة الثالثة — عطية الروح القدس : « ولما قال هذا ، نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس » — هذا هو «رأسمال» التلاميذ في الخدمة — بل هذا هو ضمان نجاحهم فيها — الروح القدس . فكما ان قيامة المسيح تُعتبر عربوناً لصعوده ، كذلك يُعتبر قبول التلاميذ عطيـة الروح القدس من المسيح المقام، عربوناً لنوالهم ملء الروح القدس من المسيح الممجد يوم الخمسين

«قال لهم سلام لكم ... ولما قال هذا اراهم يديه . . . »

« قال لهم ارسلكم انا ... ولما قال هذا نفخ ، وقال لهم اقبلوا الروح »

تقع هذه العبارات في اربعة مقاطع — تسير في صفين متوازيين . فالمقطع الاول ، يتمشى مع المقطع الثالث ، مثلما يسير المقطع الثاني جنباً الى جنب مع الرابع . وكما ان المقطع الثاني هو ضمان الاول وحجته ، كذلك الرابع ، ضمان الثالث وحجته

هبة السلام : « . . . قال لهم سـلام لكم . . . »

ضمانها وحجة دوامها : « ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه »

اقبلوا الروح القدس . ٢٣ من غفرتم خطاياه

مهمة الكرازة : «. . . . كما ارسلني الآب ارسلكم انا »

ضمانها وصحة نجاحها: «ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح»

« نفخ وقال لهم[1] اقبلوا[2] الروح القدس». يذكرنا هذا القول، بذاك الذي ورد في غرة سفر التكوين : «وجبل الرب الاله آدم تراباً من الارض ونفخ في انفه نسمة حياة» (تك ٢: ٧). هذه مرة أخرى يلتقي فيها يوحنا البشير ، كاتب بشارة الخليقة الجديدة ، بموسى كاتب سفر تكوين الخليقة الاولى (راجع يوحنا ١: ١) . فعندما هيأ الله هيكل الانسان الاول ، نفخ فى انفه نسمة الحياة الطبيعية . وكذلك عندما هيأ المسيحُ قادة كنيسته الجديدة ، نفخ فيهم نسمة روحه الاقدس . قال اغسطينوس : « ان المسيح اذ نفخ فيهم وقال «اقبلوا الروح القدس» برهن على ان الروح القدس ، ليس روح الآب فقط ، بل روحه هو أيضاً »

عدد ٢٣ . الهبة الرابعة : السلطان المترتب على نوال الروح القدس

«من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن امسكتم خطاياه أُمسكت». ان كل هبة من الهبات الاربع التي منحها المسيح المقام لتلاميذه ، مترتبة على الهبة

---

(١) جاء في المدراش اليهودي، انه عندما وضع موسى يده على يشوع، قال الله: في هذا الدهر فقط ـ اي في العصر اليهودي ـ ينال الانبياء فقط موهبة النبوءة، ولكن في الدهر الآتي — اي في العصر المسيحي — يكون كل بني اسرائيل انبياء

(٢) الكلمة التي ترجمت «اقبلوا» هي نفس الكلمة التي استعملها المسيح في العشاء الرباني حين قال «خذوا» (متى ٢٦: ٢٦) . وكما ان الخبز يرمز الى جسد المسيح ، كذلك ترمز هذه النفخة الى الروح القدس

تُغفر له . ومن امسكتم

السابقة لها، وممهدة للهبة اللاحقة بها . ومن الاهمية بمكان عظيم ، ان نذكر :

(١) انه واضح من لوقا ٢٤:٣٣ ، ان هذه الجماعة الملتئمة ، لم تكن قاصرة على الرسل ، بل كانت تضم معهم قوماً آخرين من المؤمنين بما فيهم تلميذي عمواس (لوقا ٢٤:٣٤) . فهبات المسيح المتضمنة في هذا الفصل المجيد ، ليست محتكرة للرسل، لكنها تشمل ايضاً كل الجماعة التي تتألف منها كنيسة المسيح على الارض. (٢) ان هذا السلطان ليس وقفاً على فرد من الافراد،مهما سمت رتبته ، لكنه من حق كل الجماعة . (٣) ان الحل والعقد المذكورين في هذه الآية ، ليسا من الاحكام التعسفية التي يصدرها من يشاء ، حسبما يشاء ، بل هما من النتائج المترتبة على الكرازة بكلمة البشارة . فالكلمة نفسها هي خير حكم لمن يقبلونها، وعلى من يرفضونها. او بعبارة اخرى:ان خير حكم للانسان، او عليه، هو الانسان نفسه — فان قَبِل كلمة البشارة تمتع بنعمة الغفران ، وان رفضها صار هو الحاكم على نفسه بأنه ليس اهلاً لهذه النعمة . وخير مثال لذلك ، ما جاهر به بولس و برنابا لليهود الذين لم يقبلوا كلمة الانجيل : «كان يجب ان تكلموا انتم اولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الابدية ، هوذا نتوجه الى الامم » (اعمال ١٣:٤٦) . وما امساك الخطايا الا نتيجة طبيعية لعدم غفرانها

(٢) ان هــذا السلطان المسلّم للرسل وللجماعة المؤمنين ، هو سلطان الاعلان ، والتصريح. لا سلطان الحكم والقضاء . فالمسيح وحده يغفر الخطايا

خطاياه أُمسكت . ٢٤ اما توما

لكن خدامه يصرحون بان هـذا الغفران قد تمّ او لم يتم — بناء على قبول الانسان كلمة الخلاص ، او رفضه اياها . فسلطان الكنيسة في الروحيات، يماثل لسلطان كهنة اليهود في أمر المصاب بالبرص قديماً ، حين كانوا يحكمون بطهارة من شفي من دائه، و بنجاسة من لم يُشفَ منه بعد. ولكن لم يكن في سلطانهم ان يشفوا احداً من البرص ولا ان يضربوا به أحداً. وهو ايضاً على مثال السلطان الذي وهبـه الله لأرميا (ارميا ١ :١٠) . فهو إذاً سلطان متعلق باعلان الغفران لا بالغفران ذاته . (٥) واذا سلمنا جدلاً ، مع القائلين بان هذا السلطان محتكر للرسل ، فما هذا الا السلطان الذي خوله المسيح اياهم ، حين اوحى اليهم بروحه الأقدس ا ن يضعوا دستور الايمان في رسائلهم . فكل ما قالوه في هذا الباب صار حكماً لا يُنقض ولا يُبرم

(ج) ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم (٢٤:٣٠—٢٩)

«فتيلة مدخنة لا يطفىء ، وقصبة مرضوضة لا يقصف ، حتى يخرج الحق الى النصرة» — هذا هو الوصف البليغ الذي خلعه زعيم انبياء العهد القديم على المسيح . وهو نفس الوصف الذي يلابس المسيح في هذا الظرف الذي نحن بصدده الآن . فقد حدثنا يوحنا في الاعداد السابقة، عن ظهور المسيح لتلاميذه في غيبة اثنين منهم — احدهما : يهوذا الذي ذهب قتيل اليأس ، بعد ان ذهبت فيه كل وسائل الاسعاف ادراج الرياح . وثانيهما : توما الذي « يقال له التوأم » الذي كان على شفير جرف عدم الايمان، فأدركه الراعي

الصالح ، وانتشله قبل ان يهوي به الجرف الى حضيض عدم الايمان، والهلاك

في هذا الفصل ، نرى ثلاث صور لتوما : (١) توما مصاباً بداء الشك (٢٠:٢٤ و٢٥) . (٢) توما بين يدي طبيب الارواح يستأصل منه داء الشك (٢٠:٢٦ و٢٧) . (٣) توما يبرأ من الشك ويجاهر بايمانه (٢٠:٢٨) . وفي ختام هذا الفصل نرى ارقى ذروة في درجات الايمان (٢٠:٢٩)

(١) الصورة الاولى : توما مصاباً بداء الشك (٢٠:٢٤و٢٥)

عدد ٢٤ . (١) توما المتخلف عن جماعة الرسل : « اما توما واحد من الاثني عشر ، الذي يقال له التوأم ، فلم يكن معهم حين جاء يسوع » . لسنا ندري هل نلوم توما ، او نحمده على شكه ، الذي صار في ترتيب العناية سبباً في تثبيت حقيقة القيامة في اذهان الاكثرين على مر الدهور . لان هذا الشك اضحى سبباً في اضافة براهين جديدة الى قائمة البراهين المؤيدة لحقيقة القيامة . اننا نشكر رب توما ، الذي اخرج لنا من شك توما الجافي ، حلاوةً لحلقنا

مع ان التلاميذ صار عددهم الآن احد عشر — بعد وفاة يهوذا — الا ان يوحنا لا يزال يذكرهم بعددهم الذي ذكرهم به في ٦:٦٧ ، على اعتبار ان مكان يهوذا لم يخلُ الا الى حين . فكأن يوحنا رأى في عددهم الكامل ، معنىً رمزياً الى أسباط كنيسة العهد الجديد المكملين

«اما توما الذي يُقال له التوأم» - سبقنا فأوضحنا المراد بكلمة: «توأم» في شرح ١١:١٦، فاطلبه هناك — «فلم يكن معهم حين جاء يسوع». ما اعظم

فلم يكن معهم

الخير الذي يحرم الانسان نفسه منه ، بتخلفه عن اجتماع القديسين . فمهما يكن محضر القديسين حقيراً في مظهره، الا ان المرء يعجز عن ان يقدر مبلغ الخسارة التي تلحق بمن «يتركون اجتماعهم كما لقوم عادة» ، لانه في ساعة لا تخطر على بال احد ، يُظهر المخلص ذاته لجماعة المؤمنين . فبسبب تخلف توما عن اجتماع الرسل في احد القيامة ، حرم نفسه من التملي من وجه مخلصه ، ورؤية يديه وجنبه . و بسبب هـذا الحرمان ، اوقع نفسه في لج الشك اسبوعاً او بعض اسبوع ، واعطى داء الشك فرصة ، حتى تغلغل في دمه ، وكاد يودي بحياته الروحية . ولئن سكت البشير عن ان يذكر صراحةً علة تخلف توما عن اجتماع الرسل الا اننا نستطيع ان نستنتج ضمناً ، ان توما كان عصبيّ المزاج يعيش بعواطفه ، وينظر دائماً الى الجانب المظلم في الحياة . فعند ما كان سيده ذاهباً الى بيت عنيا ، ليقيم لعازر من الاموات ، لم يستطع توما ان يفكر في القيامة ، بل فكر في الموت. وقال للتلاميذ رفقائه «لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه» (١١:١٦) . وفي مناسبة أخرى ، ما كاد يستمع لحديث المسيح مع تلاميذه عن علمهم « بالطريق » حتى قال ضجراً متبرماً : «لسنا نعلم اين تذهب ، فكيف نقدر أن نعرف الطريق» (١٤:٥)

الى هذا الحد ، كانت نظرة توما الى الحياة قاتمة سوداء — هذا بينما كان المسيح معه بالجسد . فكم أمست نظرته الى الحياة أشد سواداً بعد موت فاديه . ويكاد يكون من المحقق ، ان موت المسيح كان صدمة قوية أصابت ايمان

حين جاء يسوع . ٢٥ فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب .
فقال لهم ان لم ابصر في يديه أثر المسامير واضع اصبعي في أثر المسامير

توما ورجاءه. ولعله كان يقول في نفسه، بعد موت المسيح مباشرة : «ألم اقل له مراراً وتكراراً ان لا يقف في طريق رؤساء اليهود؟ ولكن هذا ما حصل فالذي تحذرين يا نفس قد وقع» . امام هذه الافكار المظلمة القاتمة، شعر توما بمرارة في نفسه و بسببها اقصى نفسه عن حظيرة الرسل — ولو الى حين . فلما ظهر لهم المخلص في اول احد للقيامة : « لم يكن توما معهم » . في هذه الآونة ، كان توما « واحداً من الرسل » ، مع انه لم يكن معهم . بخلاف يهوذا الذي كان مع الرسل لكنه لم يكن منهم . ولو كان منهم لبقي معهم (١ يو ٢:١٩)

عدد ٢٥ . (ب) *التلاميذ يخبرون توما بأنهم رأوا الرب* : « فقال له التلاميذ قد رأينا الرب» . لا شكَّ في ان التلاميذ اخبروه بتشككهم هم ايضاً في بداية الامر، وكيف ان الرب دعاهم الى ان يجسوه ، وينظروا ليحققوا ان له جسداً حقيقياً (لو ٢٤:٣٩ و ٤٠)

(ج) *توما يتسلح بنية عدم الايمان* : «فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع اصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا اؤمن» . كان من الممكن ان يصدق توما زملاءه الرسل ، وهو يعهد فيهم الصدق . لكن ما سمعه منهم عن رؤيتهم جسد الرب ، ولمسهم اياه ، كان محرضاً له على ان يطلب هو الآخر نفس هذه العلامة . وزاد فأمعن في طلب ثلاث علامات — كل منها اقوى من سابقتها ، و بدونها يأبى الا ان يكون غير مؤمن : «ان لم

واضع يدي في جنبه لا أومن . ٢٦ وبعد ثمانية ايام

ابصر» .... «ان لم اضع اصبعي» .... «ان لم اضع يدي ...». ليس عيب توما ، انه طلب هذه العلامات التي أتيح لغيره من الرسل ان يتمتع بها او ببعضها ، لكن عيبه في تسلحه بنية عدم الايمان . لان النبرة في كلامه واقعة على عدم الايمان لا على الايمان. فبدلاً من ان يقول: «ان رأيت ولمست، آمنت» ، قال : «ان لم أرَ .. وان لم أجس .. لا أومن» . فكأنه كان الى عدم الايمان اقرب منه الى الايمان

كان الظلام يحيط بكلمات توما من جميع الجهات الا من جهة واحدة منيرة — هي تفكيره المتواصل في آلآم سيده . وان تلميذاً هذه حاله ، لا بد وان يرسو على مرفأ الايمان بأمان

(٢) الصورة الثانية. توما بين يدي طبيب الارواح يستأصل منه داء الشك (٢٠: ٢٦ و٢٧) . لقد عالج طبيب الارواح داء توما بوسيلتين : اولاهما — عامة : وهي ظهوره للرسل وتوما معهم . (عدد ٢٦) . والثانية — خاصة : وهي طلبه الى توما ان يختبره بنفسه اختباراً حسياً، حسبما طلب (عدد ٢٧)

عدد ٢٦ . (١) . ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم : «وبعد ثمانية ايام» — اي في الاحد التالي لاحد القيامة . قال البشير : «ثمانية ايام» — كعادة اليهود ، في حسبان اول يوم وآخر يوم ضمن المدة التي يقصدونها

قضى التلاميذ السبعة الايام التي بعد اول يوم في الفصح ، في اورشليم ، كعادة اليهود ، فصاروا في نهاية هذه المدة على وشك ان يتركوا اورشليم ،

كان تلاميذه ايضاً داخلاً وتوما معهم. فجاء يسوع والابواب مغلقة ووقف في الوسط وقال

ليرجعوا الى محال اقامتهم في الجليل . ولكن كيف يمكنهم ان يغادروا عليتهم المعهودة ، في هذا اليوم التاريخي ، المقدس ، المعهود — يوم الاحد — الذي في غرة مثله من الاسبوع الماضي ، قام سيدهم ، وفي مسائه اظهر لهم ذاته. لذلك لم يبرحوا اورشليم في ذلك اليوم ، توقعاً منهم ان يمن عليهم سيدهم باظهاره ذاته لهم مرة اخرى . ولعل نفوسهم الشريفة ، أبت عليهم ان يتركوا اورشليم في هذه الآونة وواحد منهم — توما — متخلف عن جماعتهم . وفي الغالب جداً ، دعوا هذا الرسول ليجتمع بهم في هذا اليوم علهم يفوزون واياه ، في هذه المرة ايضاً ، بمثل ما فازوا به في الاحد الماضي . اما « راعي النفوس » الاعظم ، فقد كان عند حسن ظن رسله به ، فكافأ كل انتظاراتهم فيه ، وظهر لهم في هذه المرة ايضاً ، ليزيدهم يقيناً على يقين ، وليرد هذا الحمل الظالع الى الحظيرة . هذه هي المرة الثالثة ، التي اظهر فيها المسيح ذاته بعد القيامة ، في سجل هذا الاصحاح . وهي السادسة بين جميع المرات التي في كل البشائر

يُستفاد من قول البشير : « كان التلاميذ ايضاً داخلاً » ، انهم كانوا مجتمعين في ذات المكان الذي اجتمعوا فيه في الاحد الماضي . الا ان «خوفهم من اليهود» ، قد انتفى منهم في هذه المرة الثانية ، لان تيقنهم من قيامة سيدهم ، انتزع من بين ضلوعهم قلوب الغزلان ، ووضع مكانها قلوب الاسود «فجاء يسوع والابواب مغلقة» . ذكر البشير هذه العبارة ، ليقرر لنا ان

سلام لكم . ٢٧ ثم قال لتوما هات اصبعك الى هنا وابصر يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي

المسيح دخل الى مكان اجتماعهم بطريقة معجزيَّة — «ووقف في الوسط وقال سلام لكم» — اطلب تفسير ٢٠: ١٩ ، حيث وردت هذه الكلمات بالذات

عدد ٢٧ . (ب) . *المسيح يدعو توما الى ان يختبره بنفسه اختباراً حسياً* : «ثم قال لتوما» — في هذه الأثناء ، حانت من المسيح التفاتة الى توما ، بها مزَّق حجب الشكوك التي كان مدثراً بها هذا الرسول المستضعف ، فانتشله الفادي من وهدة *عدم الايمان* ، مثلما انتشل بطرس من هاوية اليأس ، بتلك النظرة التي ادمت قلبه واستدرَّت الدموع من عينيه (لوقا ٢٢: ٦٢) ، ثم مدَّ يده المثقوبة الى توما ، وقال «هات اصبعك الى هنا وابصر يديّ» — ثم كشف له عن جنبه المطعون ، وقال : «وهات يدك وضعها في جنبي» — وهنا شعر توما المسكين ، كأن طبيب الارواح قد وضعه « على المشرحة » ، وسلّط عليه انواراً كشافة من علمه الكلي ، فكانت هذه الانوار اقوى من الراديوم ،وانفذ فعلاً من اشعة رنتجن . وما كان اشد غرابة توما ، عند ما سمع فاديه يردد على مسمعه تلك الكلمات عينها ، التي سبق توما فأفضى بها الى التلاميذ رفقائه . لا شك انه احس وقتئذ بمثل ذلك الاحساس ، الذي ملأ قلب نثنائيل ، حين ادرك ان المسيح عالم بماضيه وحاضره (١: ٤٨و ٤٩)

غير ان كلمات المسيح لتوما ، لم تكن مجرد دعوة منه لذلك التلميذ ، بان يفحصه فحصاً حسياً ، لكنها تحمل بين طياتها تعنيفاً وتلويماً ، كما يظهر من

ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. ٢٨ اجاب توما وقال له ربي والهي.

قوله له : « ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » ، لانه علم بالنية التي كان قد بيتها توما في قلبه ، وتسلح بها — نية التشكك. ولو بقي هذا المسكين على هذه الحال ، لقاده التشكك الى عدم الايمان . فكأنه كان على مفرق طريقين ، بل كان الى عدم الايمان اقرب منه الى الايمان . هذه ، ولا شك ، حالة شاذة. لانه من الطبيعي ان يؤمن الانسان، الى ان يتبين سبباً لعدم الايمان ، لكن توما صمم على عدم الايمان ، ما لم يجد سبباً للايمان . هذا انسان سلبي

عدد ٢٨ . (٣) الصورة الثالثة : توما يبرأ من الشك . ويجاهر بايمان غالباً جداً، لم يجد توما داعياً الى ان يلمس يدي المسيح ولا ان يضع يده في جنبه، بعد ان تحقق من كلامه له، انه علام الغيوب. عندئذ لم يقتنع فقط بان المسيح قام ، بل أيقن ايضاً ان المسيح المقام هو « الرب الاله » . هاتان الكلمتان ، تقابلهما في العهد القديم كلمتا «يهوه الوهيم» — «السيد الرب» (اشعياء ٦١:١) . على ان توما لم يكتف بالقول ان المسيح رب واله ، بل أدخل نفسه في نسبة جديدة معه ، فقال — موجهاً الكلام الى المسيح بالذات : «ربي والهي» ! هذه درجة ممتازة في الايمان ، تفوق كل الدرجات التي مررنا بها في هذه البشارة

فكأنَّ يوحنا البشير قد بلغ مدى بشارته عند هذا العدد. ومن العجيب ان الذي صرَّح بهذا الايمان الممتاز ، هو توما الذي طُبع بطابع الشك — وهكذا يصير الآخرون اولين ! !

٢٩ قال له يسوع لانك رأيتني يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا

عدد ٢٩ . ارقى ذرى الايمان : «قال له يسوع : لانك رأيتني يا توما ، آمنت ؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . في هذا العدد يتجلى امامنا امران : اولهما - استفهام ممتزج بتعجب : « لانك رأيتني يا توما آمنت » ؟ ! جميل ان المسيح لم يعنف توما على كلمات التعبد التي وجهها اليه ، كما انه لم ينفر منها - هذا دليل على ان المسيح اعظم من ملاك ، والا لاقتدى بملاك الرؤيا الذي عنف الرائي على عبادته له وقاله له: «لا تفعل.. اسجد لله» (رؤ ١٩:١٠)

فضلاً عن هذا ، فان المسيح رحب بهذه العبادة التي قدمها له توما ، وقبلها كحق له ، لا ينازعه فيه احد - هذا دليل قاطع على ان المسيح اله تام . وان لم يكن الهاً تاماً ، فمن المحال ان يكون انساناً كاملاً ، لان الانسان الكامل لا يقبل العبادة التي لا يليق تقديمها الا لله وحده !

والامر الثاني - هو الغبطة المذخرة لجميع المؤمنين على مر الاجيال: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» -- هذا نصيب ممتاز، يفوق النصيب الذي تمتع به البشير نفسه لانه آمن بعد ان رأى (٢٠:٨). تذكرنا هذه الغبطة التي ميز بها المسيح المؤمنين من الرسل ، بتلك الغبطة التي سبق فميز بها المؤمنين عمن تربطهم به صلة جسدية (لوقا ١١:٢٧و٢٨) . ان توما هو الشخص الوحيد — في الرسل - الذي قُدمت له فرصة التمتع بهذه الغبطة ، لكنه تركها تمر من بين يديه ، فأضحت من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور

وهكذا يلتقي آخر هذه البشارة باولها . في مقدمتها أسمعنا يوحنا كلمة

ولم يروا . ٣٠ وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب
في هذا الكتاب . ٣١ واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع
هو المسيح ابن الله

المؤمن الواثق : « كان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً » (١: ١ و ١٤)، وعند ختامها اسمعنا هتاف من كان شاكاً فآمن : « ربي والهي » !

غاية يوحنا من كتابة بشارته ، وغاية غايته (٢٠: ٣٠ و ٣١)

في هذين العددين، ابان يوحنا البشير غايته من كتابة بشارته ، بكلمتين — اولاهما : سلبية (عدد ٣٠) ، والثانية : ايجابية (عدد ٣١)

عدد ٣٠ . (ا) **غاية يوحنا من كتابة بشارته — الجانب السلبي**: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » — لم يقصد يوحنا ان يلم في بشارته بكل المعجزات التي صنعها المسيح قدام تلاميذه ، ولكنه تخير منها سبع معجزات — والسبعة عدد كامل — كنموذج يساعده على الوصول الى غرضه. ولقد اجاد في ترتيب هذه المعجزات ترتيباً تدريجياً منطقياً، ثم ختمها بمعجزة المعجزات — قيامة المسيح من الاموات

عدد ٣١ . (ب) **غاية يوحنا من كتابة بشارته — الجانب الايجابي** : «واما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا»: (١) «ان يسوع هو المسيح» رجاء اليهود، ومشتهى الأمم، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم وتكملت فيه رموزه : (٢) ان يسوع المسيح هو «ابن الله» ، و « كلمة الله» المتجسد . فهو ليس نبياً على طراز جديد

ولكي تكون لكم اذا آمنتم حيوة باسمه

نظير موسى ، وايليا ، وداود . بل هو «الله الذي ظهر في الجسد» . ولو لم يكن المسيح ابن الله لما امكن ان يكون هو مسيح اسرائيل او مسيح الله، فمسيحيته قائمة على بنوته، و بنوته تدعم مسيحيته . هو الانسان الكامل لانه هو الاله الحق — «هذا هو الاله الحق والحياة الابدية» (١ يو ٥: ٢٠)

ان لهذه الغاية التعليمية ، غاية عملية — هي : «لكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه» . فمع انه يكفي ان يكون الايمان غاية في ذاته ، الا ان يوحنا جعله ايضاً وسيلة لغاية عملية — نوال «الحياة الابدية». فليست غاية يوحنا عقائدية ، فحسب ، بل هي ايضاً اخلاقية عملية

ان هذه الحياة الابدية مرتبطة ارتباطاً حياً «باسمه»

وهكذا نسمع في خاتمة هذه البشارة صدى صوت بدايتها

«فيه كانت الحياة . . . باسمه» (١: ٤و١٢) — هذا هو الصوت

«لكي تكون لكم حياة باسمه» (٢٠: ٣١) — هذا هو الصدى



الاصحاح الحادي والعشرون

تتمة البشارة — على شاطىء بحيرة الجليل

في قلب فلسطين، تلك الارض المقدسة، حيث تحل الطبيعة سافرةً بمجدها وجلالها، تقع بحيرة طبرية، التي صارت الآن محط رحال الطيارات التي تجتاز الأجواء من الغرب الى الشرق، ومن الشرق الى الغرب، مثلما كانت شواطئها قديماً مدرسة خالدة تعلم فيها رسل المسيح، الذين وصلوا الشرق بالغرب، والغرب بالشرق بكلمة بشارتهم. هذه هي البحيرة الهادئة الجميلة، ذات الماء الازرق الصافي، التي أصغت امواجها الى الاحاديث العذبة التي سمعها التلاميذ من فم ذاك «الذي صوته كصوت مياه كثيرة» (رؤ ١:١٥)

ان اجتماع المسيح بتلاميذه في تلك البقعة الجميلة، لم يأت عرضاً. فلقد سبق وانبأ تلاميذه بهذا اللقاء: «كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة ..... ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل» (متى ٣٢:٢٦)

على احدى ضفاف هذه البحيرة، تقع المدينة «كفرناحوم»، التي اختارها المسيح وطناً ثانياً له، فشهدت هذه البحيرة آيات كثيرة صنعها مخلصنا في ايام جسده على الارض. فكان من الطبيعي ان تشهد ايضاً هذه البحيرة عينها، فصلاً مجيداً من حياة فادينا قبيل صعوده الى المجد

ان نسبة هذا الفصل الختامي، الى الاصحاحات السابقة في هذه البشارة، كنسبة المقدمة الافتتاحية (١:١ —١٨) الى الاصحاحات التي تليها. في المقدمة الافتتاحية، رأينا المسيح «كلمة الله المتجسد» كائناً، حياً، عاملاً منذ الازل،

قبل التجسد. وفي هذه الخاتمة، نرى المسيح المقام عاملاً في كنيسته، ومرتقياً الى العرش، صائراً ملكاً متوّجاً الى الابد، ومرتباً مستقبل خدامه

ان هذا الفصل الذي اختتم به يوحنا بشارته، مطبوع بذات الطابع الذي طُبعت به سائر اجزاء البشارة. ومكتوبٌ بنفس الأسلوب الذي كتبت به، يتضمن عدداً وفيراً من ذات العبارات، التي يتميز بها قلم يوحنا البشير

فمن هذه العبارات الممتازة: (١) كلمة «أظهر» — هذه لم ترد بصيغة المبني للمعلوم — في كل الأناجيل — إلا في كتابات يوحنا البشير وحده. (قابل هذا بما جاء في ١:٣١ و٣:٢١ و٩:٣ و١٤:٢١ و١يو ١:٢ و٢:١٩ و٢٨ و٣:٢و٥و٨ و٤:٩). (٢) «بحيرة طبرية» — هذا هو الاسم الخاص الذي أطلقه يوحنا البشير وحده على هذه البحيرة (انظر ايضاً ٦:١)، مع العلم ان متى يسميها «بحر الجليل» (متى ٤:١٨)، ولوقا يدعوها: «بحيرة جنيسارت» (لو٥:١).(٣) كلمة: «هكذا» (٢١:١).(٤) وصف توما الرسول (قابل ١١:١٦ و١٤:٥ و٢٠:٢٤ بما جاء في ٢١:٤). (٥) ذكر اسم نثنائيل (قابل ١:٤٥ بما جاء في ٢١:٢). (٦) حذف اسمي ابني زبدي—على اعتبار ان يوحنا البشير احدهما (٢١:٢). (٧) كلمة: «أتصيد» (قابل ٢١:٣و١٠ بما جاء في ٧:٣٠و٣٢ و٤٤ و٨:٢٠ و١٠:٣٩ و١١:٥٧ ورؤ ١٩:٢٠). (٨) كلمة: «جمراً» (قابل ٢١:٩ بما جاء في ١٨:١٨). (٩) تلقيب سمعان بطرس بـ «ابن يونا» (قابل ٢١:١٥و١٦و١٧ بما جاء في ١:٤٢). (١٠) كلمتا: «الحق الحق» (قابل ٢١: ١٨ بما جاء في ١:٥١د). (١١) العبارة: «قال هذا مشيراً» (قابل ٢١:١٩ بما

١ بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية .

جاء في ١٢:٣٢و ١٨:٣٢) . (١٢) كلمة : «يبقى» (قابل ٢١:٢٢ بما جاء في ١:٣٢و٣٣و ٣٩و٤٠ و٢:١٢ و٣:٣٦ و٤:٤٠)

ينقسم هذا الفصل الى قسمين رئيسيين ، اولهما : *المسيح وتلاميذه كمجموع* (٢١:١—١٤) . ثانيهما : *المسيح واتباعه من تلاميذه* (٢١:١٥-٢٣) *خاتمة تاريخية* (٢١:٢٤و٢٥).في القسم الاول نرى صورة رمزية لبرنامج عمل *الكنيسة كمجموع*،وفي الثاني نرى صورة لبرنامج اثنين من افراد خدام الكنيسة

اولاً : *المسيح وسبعة من تلاميذه* (٢١:١—١٤) . في هذا القسم نرى التلاميذ في ثلاث حالات : (أ) *الفشل الذي حل بهم وهم يعملون من تلقاء ذواتهم*(٢١:١—٢).(ب) *النجاح الذي اصابهم وهم يعملون طبق ارشاد المخلص*(٢١:٤-١١).(ج)*الشبع الذي نالوه من المسيح المقام*(٢١:١٢-١٤)

(أ) *الفشل الذي حل بالتلاميذ وهم يعملون من تلقاء ذواتهم* (٢١:١-٣) انقضت ايام الفصح، فاقفل التلاميذ راجعين الى الجليل،فاجتمع سبعة منهم على بحر طبرية . وان في اجتماعهم معاً على هذه الصورة ، لأكبر دليل على ان قيامة المسيح قد وحدت صفوفهم ، بعد ان شتت الصلب شملهم

عدد ١ . (١) *ظهور المسيح للتلاميذ على بحر طبرية* : «بعد هذا أظهر ايضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية . ظهر هكذا» . ما أشبه هذه العبارة بحلقة اتصال بين ظهور المسيح لتلاميذه في اورشليم ، وظهوره لهم في الجليل . في هذا تعتبر رواية يوحنا جامعة لما بين طرفي رواية متى — عن ظهور المسيح في

ظهر هكذا. ٢ كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل
الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم

الجليل، ورواية لوقا — عن ظهوره للتلاميذ في اليهودية. فنحن مدينون ليوحنا بهذه الحقيقة – وهي: ان المسيح ظهر لتلاميذه في كلا اليهودية والجليل

عدد ٢. (٢) **السبعة الذين ظهر لهم يسوع**: «كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم، ونثنائيل الذي من قانا الجليل، وابنا زبدي. واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم». هؤلاء **سبعة** تلاميذ — والسبعة عدد كامل — وقد ذكر منهم البشير، **اسماء ثلاثة تصريحاً** — وهم: «سمعان وتوما، ونثنائيل». **واثنين تلميحاً** — وهما: «ابنا زبدي»، اللذان تحاشى البشير ذكر اسميهما، تواضعاً منه، لانه احدهما. **واثنين**، وصفهما بالقول «من تلاميذه» — ومن المعقول انهما كانا (*) اندراوس وفيلبس، — لان قائمة الاسماء التي في غرة هذا الاصحاح، تذكرنا بتلك القائمة التي وردت عند ختام الاصحاح الاول، فهي تتضمن ذات الاسماء التي في تلك، مع اضافة اسمي توما ويعقوب مما جعل عدد الرسل رمزاً الى كمال الخدمة في الكنيسة المسيحية

أوَ لا نجد في وضع البشير، اسم «سمعان بطرس» واسم «توما» جنباً الى جنب، مغزى خاصاً — وهو ان هذا المشهد جمع التلميذ الذي انكر سيده، بذاك الذي شك فيه، وضمهما، على رغم ضعفهما، الى صفوف الرسل؟

(*) يعتقد جودي ان هذين التلميذين اللذين لم يذكر يوحنا اسميهما ليسا من الرسل وانما هما من صفوف التلاميذ المؤمنين. ويظن ان احدهما: هو ارستيون، وثانيهما يوحنا، لذي كان يشغل وظيفة شيخ في الكنيسة الاولى، ولقبه بابياس بـ «تلميذ قديم للرب»

٣ قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد . قالوا له نذهب نحن أيضاً معك . فخرجوا ودخلوا

عدد ٣ . (٣) التلاميذ يقضون ليلتهم في الصيد بغير جدوى :

«قال لهم سمعان...» . في هذا العدد تتجلى امامنا ثلاث حقائق رئيسية

(أ) اقتراح بطرس : «قال لهم سمعان بطرس انا اذهب لأتصيد» . فمثلما قضى التلاميذ الفترة التي بين دعوتهم الاولى ، و بين بدء خدمتهم الجهرية ، في الصيد ، كذلك ارادوا ان يقضوا الفترة التي بين رجوعهم الى الجليل ، وتسلمهم مهام خدمتهم ، في نفس ذلك العمل — « الصيد ». فليس في قول بطرس «انا اذهب لأتصيد» ما يفيد انه انحرف عن جادة الخدمة ، وانما قصد ان يملأ يده بعمل شريف ليقتات منه — والمسيح يظهر نفسه دائماً للعاملين الشرفاء— حتى تحين ساعة تسلمه مقاليد اشرف الاعمال . ومن العجيب ، ان بطرس، على رغم انكاره لسيده ، لم يزل محتفظاً بمقام الزعامة بين الرسل، لانه كان غالباً اكبرهم سناً ، واكثرهم اقداماً ، واسبقهم الى الكلام

(ب) الرسل يقتدون ببطرس : «قالوا له نذهب نحن ايضاً معك». مثلما اقتدى يوحنا ببطرس في الدخول الى القبر(٢٠ : ١٨)، كذلك ايضاً ، اقتدى سائر الرسل ببطرس في الانصراف الى الصيد : «نذهب نحن ايضاً معك»

(ج) فشل بطرس والتلاميذ في تلك الليلة : « فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت . وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً » . غالباً جداً انتظر التلاميذ ، حتى انقضى السبت اليهودي ، وما ان غربت شمسه ، حتى «خرجوا» من بيوتهم

السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ٤ ولما كان الصبح

ليتصيدوا في تلك البحيرة — «ودخلوا السفينة» — والظاهر انها هي سفينة بطرس ، التي كان قد تركها منذ ان تبع المسيح (لو ٥: ١١) ، ولما دعته الحاجة اليها ، استردها ممن باعها له او استودعها عنده — « وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً» — لمزيد الأسف. هل ذكرهم فشلهم هذا ، بذلك الفشل الذي صادفهم قبل ان يتبعوا المسيح ؟ (لو ٥: ٥). او انهم كانوا متعبين لدرجة لم يستطيعوا فيها ان يفكروا في شيء ، سوى شباكهم الخاوية؟ يلاحظ — في اللغة الاصلية - ان يوحنا وضع تنبيراً خاصاً على قوله: « تلك الليلة»، على اعتبار انها كانت ليلة خاصة، فتميزت بهذا الفشل الغير العادي . وكأنه اراد ان يقول : « تلك الليلة الموعودة» . هذا فشل هو نعم النجاح . فلو كان التلاميذ قد نجحوا في تلك الليلة ، لوجدوا من تشجيعهم، تحريضاً لهم على التمادي في الصيد . لكن العناية الالهية جعلت فشلهم في صيد الاسماك من بحيرة طبرية ، توطئة وعربوناً لنجاحهم المقبل في صيد نفوس من بحر الحياة . وان فشلاً يرتبه لنا الله ، خير من نجاح ندبره نحن لأنفسنا

(ب) النجاح الذى اصابهم وهم يعملون بارشاد المخلص (٢١: ٣ — ١١)

عدد ٤ . (١) الضيف المجهول : «لما كان الصبح ...» . ظل التلاميذ معذبين في تلك الليلة ، على رغم كون الليل بطبيعته من انسب الاوقات للصيد (لو ٥: ٦) . ولعلهم ظنوا أن مهنة الصيد تركتهم ، بعد ان تركوها هم . وفيما هم على هذه الحال ، واذا بالفجر يطوي رداءه الأغبر ليفر من وجه

وقف يسوع على الشاطىء . ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه
يسوع . ٥ فقال لهم يسوع يا غلمان ألعل عندكم إداماً

النهار. فما كادت تشرق شمس الطبيعة من وراء الافق، حتى اشرق «شمس البر» من فوق الشاطئ، واشرف عليهم: فالتلاميذ في السفينة . . . . والمسيح على الشاطىء! شتان ما بين موقفهم وموقفه — هم في سفينتهم الصغيرة، تتقاذفها وايام الامواج، وتعبث بهم المخاوف طوال الليل وهو على الشاطىء عند اشراق الصباح، حيث الثبات، والاطمئنان، والنور. ألا نجد في موقفهم هم، رمزاً للمتاعب التي تحل بخدام الكنيسة وهم يعملون في بحر هـذا الوجود اثناء ليل الحياة ؟ أوليس موقفه هو، رمزاً لمقام الثقة، والاطمئنان، والمجد، الذي يتمتع به بعد ان أكمل عمل الفداء؟ أولا يذكرنا موقفه هنا وهو على الشاطئ منتظراً ان يعزي تلاميذه و يشجعهم بذاك الموقف العجيب، الذي رآه فيه استفانوس قائماً لنجدته واستقباله قبل موته؟ «ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع» . وكم من المرات يقف المسيح على شاطئ بحر حياتنا، ونحن عن معرفته غافلون

عدد ٥ . (٢) السائل المعطى: «فقال لهم يسوع يا غلمان». ناداهم الفادي بقوله لهم: « يا غلمان » تحبباً منه وتودداً . وغالباً كان النداء على هذه الصيغة مألوفاً في ذلك الوقت — « ألعلَّ عندكم اداماً » . هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة: «ادام» في العهد الجديد. ويراد بها اصلاً ما يؤكل مع الخبز وقد أُطلقت من قبيل التخصيص، على « السمك » . ان السؤال الذي ألقاه

أجابوه لا . ٦ فقال لهم ألقوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك.

المسيح على تلاميذه بهذه الصيغة ، يحمل معه جوابه السلبي . فهو عالم بكل شيء وكان منتظر هـذا الجواب ، وانما سألهم اياه ليحملهم على الاعتراف بفشلهم . لان النجاح الذي يرتبه الله لخدامه لا يبتدىء الا بعد ان يصلوا الى منتهى فشلهم

«اجابوه لا» . ان كلمة : «لا» قبيحة في حد ذاتها ، لكن ما اجملها متى كانت ممهدة السبيل لعمل القدرة الالهية في حياتنا! وبما ان نور الشمس لم يكن قد انتشر بعد في الارجاء ، لذلك لم يستطع التلاميذ ان يميزوا الرب ، بل ظنوه رجلاً جليلياً جاء ليبتاع منهم سمكاً

عدد ٦ . (٣) **السائل المجهول يقدم لهم ارشاداً فيتلقون الأمر ويلقون الشبكة** : «فقال لهم القوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا» . سرعان ما سمع التلاميذ من هذا الزائر الغريب ، هذه النصيحة التي عيّن لهم فيها الجهة المناسبة للصيد ، حتى صدعوا بأمره ، ظناً منهم انه لمح — وهو على الشاطئ — تموجات في الماء ، أو علامات اخرى ، دلّته على وجود سمك في ذلك الموضع المعين ، من غير ان يعلموا انهم منفذون أمر سيدهم وفاديهم . «فألقوا شباكهم ولم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك» . فقد يكون النجاح دليلاً على حضور الله في وسط شعبه ، ورضاه عنهم ، الا ان هذه قاعدة لها شواذها ، فقد تأتينا بركات من الله مبرقعة بحجاب الفشل .

٧ فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب فلما سمع

عدد ٧. (٤) *اسبق التلاميذ الى تمييز هذا الزائر الكريم*: «فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه» — أي يوحنا — «لبطرس: هو الرب». ان عيني المحبة كعيني النسر، تريان ما لا تراه أعين اخرى، فلا عجب اذا كانت عينا يوحنا اسبق العيون الى تمييز شخصية المسيح، فهو التلميذ المحب. على ان المحبة لا تكتفي بان تسبق غيرها في ميدان المعرفة، لكنها ايضاً تسبق سواها في اشراك الآخرين معها في ما تكتشفه من كنوز. لذلك قال يوحنا لبطرس:

«هو الرب» — هاتان *الكلمتان*، شبيهتان *بمنارتين* مضيئتين، اذا حملهما الانسان معه انى سار، بددت انوارهما كل ظلام ويأس في سبيل حياته. لكن احباء الله، هم وحدهم الذين يستطيعون ان يروا الرب في كل شيء. فاذا ما حلت بهم اوقات ضيقات ومسرات، وافراح واتراح، وفشل ونجاح، وخسائر وارباح، رأوا في هذه كلها يد الرب، وقالوا: «هو الرب». ولكن لا فضل ليوحنا في حبه للفادي، لان محبته للمسيح لم تكن سوى صدى صوت محبة المسيح له: «نحن نحبه لانه هو احبنا اولاً». ومما ساعد يوحنا على تمييز شخصية الفادي، ان النجاح الذي صادفهم في هذه المرة ذكره بذلك النجاح الذي كان قد صادفهم في مناسبة سابقة، عند بدء تعرفهم بالرب (لو ٥: ٦ و٧)

(٥) *بطرس ايضاً يميز هذا الزائر الكريم فيسرع الى لقائه*: «فلما سمع سمعان بطرس انه الرب اتزر بثوبه» — هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها الكلمة: «ثوب» في اللغة الاصلية في العهد الجديد — «لانه كان عرياناً

سمعان بطرس انه الرب اتزر بثوبه لانه كان عرياناً وألقى نفسه في البحر . ٨ وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لانهم لم يكونوا

والقى نفسه في البحر » . كان يوحنا محباً لسيده ، وكذلك كان بطرس . لكن كلاً منهما عبَّر عن محبته لفاديه ، بالطريقة التي تتفق ومزاجه الخاص ، فيوحنا المحب ، الساكن الهادىء ، عرف شخصية الرب ، لكنه ظلَّ في مكانه ساكناً ، متأملاً ، منتظراً حتى ترسو السفينة في وقتها المناسب . اما بطرس الغيور المندفع ، فحالما عرف شخصية السيد ، لم يتمهل حتى ترسو السفينة ، بل اندفع — وعادته الاندفاع — والقى بنفسه في البحر ، بعد ان «اتزر بثوبه لانه كان عرياناً» ، مع انه لو ظل في مكانه في السفينة ، لرست السفينة على الشاطىء قبله ، اذ لم يكن بينه و بين الشاطىء «الا نحو مئتي ذراع» . ولكن أنى لبطرس ان يتمهل في مكانه منتظراً وهو الذي يريد ان يبالغ في اظهار ولائه لسيده ، بطريقة تمحو نكرانه له (١٨: ٢٨) ؟

يذكرنا موقف بطرس هنا ، بموقف آخر له عند بدء تعرّفه بالمسيح (لو ٥: ٨) . هناك رأينا بطرس شاعراً بخطاياه ، وفاراً من وجه مولاه قائلاً : «اخرج من سفينتي يا رب» . وهنا نراه شاعراً ايضاً بخطيته ، وفاراً الى وجه السيد . فشعور المرء بخطيته يبعده عن الله في بادىء الامر ، لان الله نور لا يدنو منه ظلام . ونفس هذا الشعور يدفع الانسان ايضاً الى الالتجاء الى الله ، مستنجداً به ومستغيثاً . لان الله ليس قاضينا فقط ، بل هو ايضاً ولينا

عدد ٨ . (٦) موقف التلاميذ الآخرين تجاه هذا الضيف الكريم :

بعيدين عن الارض الا نحو مئتي ذراع وهم يجرُّون شبكة السمك .
٩ فلما خرجوا الى الارض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً
عليه وخبزاً . ١٠ قال لهم يسوع قدموا من السمك

«اما التلاميذ الآخرون ، فجاءوا بالسفينة ، لانهم لم يكونوا بعيدين عن الارض الا نحو مئتي ذراع» — المئتا ذراع هذه، تساوي نحو خمسة وتسعين متراً

عدد ٩ . (٧) **الضيف المضيف** : « فلما خرجوا الى الارض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً عليه وخبزاً » . ما اكرم هذا المضيف الذي اتى الى تلاميذه على الشاطئ ، ضيفاً سائلاً اياهم عما عندهم من ادام ، كما لو كان هو محتاجاً الى ادامهم، مع انه سبق فأعد لهم على الشاطئ إداماً وخبزاً من لدنه. لم يقل لنا الكتاب، من اين اتى المسيح بهذا السمك وهذا الخبز . ويكفينا ان نذكر انه هو رب البحر والبرّ ، وان كل ما فيهما ، في قبضة يديه . وفي اعتقادنا ان ما اعده المسيح على الشاطئ لتلاميذه،ليس سوى رمز لما اعده لجميع خدامه، ليتمتعوا به ، متى فرغوا من اعمالهم في بحر الحياة ، ووصلوا الى شاطئ الابد

عدد ١٠ . (٨) **المضيف الكريم يطلب اليهم ان يقدموا من السمك الذي امسكوه** . « قال لهم يسوع قدموا من السمك الذي امسكتم الآن » . يحدثنا هذا العدد عن ثمرة امور : اولها — علم المسيح بكل شيء . لانه واضح ان التلاميذ لم يكونوا قد جذبوا بعد شبكتهم من البحر (عدد ١١) . فأمرُه لهم بان يقدموا من السمك الذي امسكوه، دليل على انه يحيط علماً بكل شيء . وثانيها — ان المسيح بطلبه الى تلاميذه ان يقدموا له ما سبق فقدمه لهم،

الذي أمسكتم الآن . ١١ فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً

ارادهم ان يعترفوا بعطاياه لهم ، وان يدركوا ان هذه العطايا ليست للحفظ ، بل للاستعمال . وثالثها — ان في مطالبة المسيح تلاميذه ، بان يقدموا من السمك الذي امسكوه ، رمزاً الى انه سيطعم المؤمنين الامناء من تعب ايديهم متى بلغوا شاطئ الابد . فمع ان الحياة الابدية تُعطىَ للانسان هبة مجانية ، الا ان جانباً غير يسير من مسراتها ، يعود على الانسان نتيجة امانته فيما سُلم اليه من وزنات

عدد ١١ . (٩) العدد الكامل : « فصعد سمعان بطرس » — هذه مرة أخرى نرى فيها بطرس اسبق زملائه الى العمل — « وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين ومع هذه الكثرة ، لم تتخرق الشبكة » . اهتم المفسرون — من متقدمين ومتأخرين — بعدد الاسماك التي اصطادها الرسل ، وعلقوا عليه تعليقات شتى : فكيرلس الاسكندري ، حسب العدد ١٥٣ مؤلفاً من ١٠٠ + ٥٠ + ٣ . فالعدد ١٠٠ يرمز الى ملء الامم ، والعدد ٥٠ يرمز الى البقية المختارة من اسرائيل ، والعدد ٣ الى الثالوث الاقدس . وقال اغسطينوس : ان العدد ١٠ يرمز الى الناموس ، ولكن بما ان الناموس يقتل ، لذلك اضاف رقم ٧ الى العدد ١٠ الذي يمثل حسب رأيه ملء هبات الروح ، ثم جمع الاعداد من ١ الى ١٧ فصار المجموع ١٥٣ . من اجل ذلك ارتأى ان هذا العدد الاخير ، يرمز الى كل الداخلين تحت لواء المسيح الذي التقت فيه النعمة بالناموس . وقال كستلين ان ١٥٣ هو عدد

كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين.ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة .

انواع الاسماك التي كانت معروفة وقتئذ ، دلالة على ان المختارين سيكونون من كل قبيلة ، وشعب ، وامة . وقال هنجستنبرج : ان عدد الاسماك يرمز الى ال ٦٠٠ و١٥٣ دخيلاً ، الذين كانوا قد دخلوا حظيرة اسرائيل حتى عهد سليمان (٢ اي ٢:١٧) . ومهما يكن من امر هذه التأويلات ، التي لا تخلو من طرافة ممتزجة بغرابة ، فاننا نعتقد ان المستفاد من هذا العدد هو : (ا) ان السمك الذي اصطاده الرسل كان كثيراً جداً . (ب) ان هذا السمك بلغ كثرة الى حد ان الرسل اهتموا باحصاء عدده فوجدوه ١٥٣ . (ج) ان كل السمك الذي اصطاده الرسل ، وصل الى الشاطئ ، من غير ان يسقط منه شيء ، بدليل قوله ان « الشبكة لم تتخرق » ، دلالة على ان كل المختارين سيصلون الى موطن السلام من غير ان يفقد منهم احد

وقد اهتم يلومر احد المفسرين العصريين ، بوضع مقابلة بين الاسماك التي اصطادها التلاميذ في هذه المرة ، و بين تلك التي اصطادوها عند بدء خدمتهم (لو ٥:٦) ، فقال ان تلك الاسماك ترمز الى الكنيسة **المجاهدة** ، وهذه ترمز الى الكنيسة **الظافرة** . تلك ضمت عدداً كبيراً من اسماك مختلفة — بعضها حسن و بعضها رديء ، مما دعى الى تمزيق الشبكة — شأن الكنيسة المجاهدة التي مزقتها الانقسامات والاهواء . واما هذه ، فانها ترمز الى الكنيسة المنتصرة ، التي لا تجمع الا المختارين وحدهم ، الذين لا يهلك منهم احد

١٢قال لهم يسوع هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ ان يسأله
من أنت إذ كانوا يعلمون انه الرب. ١٣ ثم جاء يسوع وأخذ الخبز
واعطاهم وكذلك السمك

(ج) الشبع الذي ناله التلاميذ من المسيح المقام (٢١: ١٢ — ١٤)

عدد ١٢. (١) المضيف الكريم يدعو ضيوفه الى طعام الافطار الذي اعده لهم: «قال لهم يسوع هلموا تغدوا». في بدء تعرفهم به، قال لهم: «هلموا ورائي»! والآن قبيل افتراقه عنهم، قال لهم «تعالوا تغدّوا»! تلك دعوة للتلمذة، وهذه دعوة لملء الشركة والشبع. ولقد لبى التلاميذ هذه الدعوة الاخيرة، مثلما لبوا دعوته الاولى. لكن التهيب، والفرح، والاقتناع، قد ملكت عليهم مشاعرهم في هذه المرة. «فلم يجسر أحد منهم ان يسأله من انت اذ كانوا يعلمون انه الرب» — على رغم التغير الذي لاحظوه على هيئته بعد القيامة. هذا دليل آخر، على ان كاتب هذه البشارة شاهد عيان. لانه لم يكتف بان ينقل الينا اقوال التلاميذ، بل صوّر لنا ايضاً مشاعرهم، بدقة فائقة

عدد ١٣. (٢) المضيف الكريم يطعم ضيوفه مما اعد لهم: «ثم جاء يسوع» — لما رآهم محجمين عن الدنو منه، بسبب خوفهم وتهيبهم، تقدم هو اليهم — «واخذ الخبز واعطاهم». وردت كلمتا: «خبز» و «سمك» بالمفرد، دليلاً على انهما هما الخبز والسمك اللذان كان قد اعدّهما المسيح على الشاطئ، قبل ان يجذب التلاميذ شبكتهم من البحر. فما اكرم هذا المضيف الذي لا يقدم لضيوفه الا مما اعده شخصياً من عنده!!

١٤ هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الاموات
١٥ فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس

عدد ١٤ . (٣) كلمة تاريخية تفسيرية : « هـذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الاموات » . اما المرة الاولى التي سجلها يوحنا ، فقد مررنا بها في ٢٠: ٢٣ ، والثانية في ٢٠: ٢٦ — ٢٩

ثانياً : المسيح واثنان من تلاميذه (٢١: ١٥ — ٢٣) . هذا الفصل فيه مشهدان : (١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (٢١: ١٥ — ١٩) . (ب) المشهد الثاني : المسيح ويوحنا (٢١: ٢٠ — ٢٣)

(١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (٢١: ١٥ — ١٩) . في هذا المشهد اكد المسيح لبطرس غفرانه التام ، وثبّته في وظيفة الرسولية ، وسلمه مقاليدها من جديد ، في حديث يتألف من خمسة اعداد . الثلاثة الاولى منها (عدد ١٥ — ١٧) ، تتضمن سؤالا مثلثاً ، وجواباً مثلثا ، ومهمة مثلثة . وفي العددين الباقيين (عدد ١٨ و ١٩) ، انبأ بطرس بما سيصيبه في مستقبل الايام

السؤال المثلث ، والجواب المثلث ، والمهمة المثلثة : (٢١: ١٥ — ١٧) . من الملاحظ ان كل عدد من هذه الثلاثة الاعداد ، يتضمن سؤالا في غرّته ، وجوابا في وسطه ، ومهمة في خاتمته

توطئة تاريخية : « فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان . . . » . على شاطىء بحر طبرية تسلم بطرس مهام وظيفته لاول مرة ، وهو يصطاد سمكاً (لو ٥: ١٠) ، وعلى شاطىء هذه البحيرة عينها ، استرد بطرس مقاليد وظيفته وهو

يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء . قال له نعم يا رب انت تعلم أني احبك . قال له ارعَ خرافي

يتصيد ايضاً (٢١:١٥) . على مقربة من جمر متقد ، انكر بطرس سيده امام جارية (يو ١٨:١٨) وبجانب جمر متقد ايضاً ، نال بطرس الضمان التام لمغفرة خطاياه (٢١:٩و١٥) . فما اقرب التشابه بين هذه المناسبات المتباينة

السؤال المثلث: «يا سمعان ابن يونا اتحبني اكثر من هؤلاء» (عدد ١٥) « قال له ايضاً ثانية يا سمعان ابن يونا اتحبني » (عدد ١٦) . . . « قال له ثالثة يا سمعان ابن يونا اتحبني » (عدد ١٧) ....» . القى المسيح هذا السؤال على بطرس ثلاث مرات ، وفي كل مرة منها ، لم يخاطبه باسمه الجديد الذي خلعه عليه : « بطرس » — ومعناه « الصخرة » ، بل باسمه ولقبه اللذين كان معروفاً بهما من قبل: « سمعان ابن يونا» — ومعناهما «المطواع ابن اليمامة». بهذا اللقب وهذا الاسم خاطب المسيح بطرس، يوم ان اتى به اليه اخوه اندراوس (١:٤٢) و بهما ايضاً خاطبه في احسن اوقاته يوم أن اقرّ له باعترافه الحسن (متى ١٦:١٧).فكأن المسيح قصد من مخاطبة بطرس بهذا الاسم وهذا اللقب، ان يقلّب سفر ماضي بطرس امام عينيه ، بما فيه من صفحات سود و بيض

«اتحبني؟» — ثلاث مرّات انكر بطرس سيده، وثلاث مرات ايضاً وجه المسيح هذا السؤال الى بطرس ، ليفوز منه باقرار ايجابي مثلث ينفي به نكرانه المثلث . فقول بطرس : «انت تعرف» نسخ قوله للجارية «يا امرأة لست اعلم»

كنا ننتظر ان يسأل المسيحُ بطرس عن حزنه العميق على خطيئته

١٦ قال له أيضاً ثانية يا سمعان بن يونا اتحبني . قال له نعم يا رب انت

السابقة، او عن عزمه الاكيد على ان لا يعود الى مثلها مرة أخرى، او عن كبار الاعمال التي ينوي ان يقوم بها في مستقبل الايام ، او عن ايمانه وما سيجود به من ثمار طيبة ، لكن المسيح لم يسأل بطرس لا عن هذا ، ولا عن ذاك ، وانما سأله عن شيء واحد — *المحبة* . ولا عجب. فالمحبة هي رباط الكمال . او كما قال اغسطينوس «أحب من كل القلب ثم افعل ما بدا لك» . في هذا يمتاز بطرس عن يهوذا — ليس لان خطيته اصغر من خطية ذاك ، بل لان ولاءه لمولاه ، اجلّ واكبر . فالحب كان مالئاً قلب بطرس . والسمّ ، قلب يهوذا

ومن الملاحظ ان كلمة: «محبة» التي استعملها المسيح في سؤاليه — *الاول والثاني* — لبطرس (عدد ١٥ و ١٦)، هي غير كلمة: «محبة» التي استعملها بطرس في جوابيه *الاول والثاني* . فالمسيح استعمل فيهما كلمة « اجاپان » وهي تعني المحبة في اجل مظاهرها واقوى مشاعرها واسمى درجاتها . مع ان الكلمة التي استعملها بطرس في اجوبته *الثلاثة* هي «فيلين» وهي نفس الكلمة التي استعملها المسيح في سؤاله الثالث (عدد ١٧) ، وهي تعني المحبة في مظاهرها الاعتيادية الطبيعية ، وهي اقرب الكلمات الى المودّة . هذا دليل آخر على ان البشير كان شاهد عيان، وانه اهتم بأن يصور لنا هذا الموقف الاخير، بين المسيح و بطرس، بغاية الدقة ، فحرص على ان يحفظ لكل كلمة قوتها ودلالتها . هذا وان في استبدال المسيح في سؤاله الثالث ، كلمة «اجاپان» الممتازة ، بكلمة «فيلين» المتواضعة ، تعليلاً آخر لحزن بطرس ، الذي استولى عليه ، عند سمعه هذا

تعلم أني احبك . قال له ارعَ غنمي . ١٧ قال له ثالثة يا سمعان بن يونا

السؤال الثالث من سيده . فمع انه من المسلم به ، ان تكرار المسيح لسؤاله لبطرس ، ثلاث مرات ، كان سبباً رئيسياً في احزان قلب بطرس — لان السؤال الذي أعيد عليه ثلاثاً ذكره بخطيته التي ارتكبها ثلاثاً ، الا ان بطرس حزن ايضاً لانه كلمة ، «فيلين» التي ذكرها المسيح في سؤاله الثالث ، اشعرته بان المسيح لم يحسبه اهلاً لتلك المحبة الرفيعة الممتازة ، الذي سأله عنها في المرتين الاولى والثانية

وجدير بالملاحظة ان المسيح ذكر في سؤاله الاول لبطرس ، عبارة اغفلها عمداً في سؤاليه الثاني والثالث ، وهي قوله : «اكثر من هؤلاء» (عدد ١٥) . فقد اتخذ المسيح هذه العبارة ، اداة لتذكير بطرس بعهوده التي قطعها على نفسه ، متفاخراً بها على زملائه : « اني اضع نفسي عنك » . . . . « ان شك فيك الجميع فانا لا اشك » (يو ١٣: ٣٧ ومتى ٢٦: ٣٣) . اما وقد رأى المسيح من جواب بطرس المثلث ، انه اقلع عن عادة التفاخر على اترابه ، فلم يجد داعياً لتكرار هذه العبارة . لانه لا يلقي علينا درساً مرتين متى فهمناه لاول مرة

الجواب المثلث : « . . . نعم يارب انت تعلم اني احبك» (عدد ١٥) « . . . نعم يا رب انت تعلم اني احبك» (عدد ١٦) . « . . . انت تعلم كل شيء انت تعرف اني احبك » (عدد ١٧) — هذه كلها اجوبة مفعمة بروح التواضع ، ومشبعة بالشعور بالضعف . فقد زال منها كل أثر للزهو والخيلاء ، بل قد انعدم منها كل أثر للاعتداد بالذات . لان في استشهاد بطرس بعلم المسيح ، ومعرفته — مع

أتحبني . فحزن بطرس لانه قال له ثالثة أتحبني فقال له يا رب انت

علم ذكره شيئاً عن تفضيله نفسه على الآخرين — لأكبر دليل على ان بطرس فقد كل ثقة بنفسه، وانه وضع ثقته التامة في المسيح. لان النبرة في كلامه واقعة على كلمة « أنت » . في هذا ايضاً دليل ، على ان بطرس كان مخلصاً في حبه لمولاه، والا لما تجاسر ان يستشهد بعلم المسيح، وهو موقن ان سيده عليم بذات الصدور. كذلك ايضاً لم يذكر بطرس في جوابه كلمة واحدة عن المستقبل ، بل اكتفى بالكلام عن الحاضر . الآن فقط ادرك ان المستقبل بين يدي الله ، وان ليس له ، الا اللحظة التي هو فيها

ولقد استعمل بطرس في جوابه المثلث ، كلمتين مختلفتين بمعنى «عرف» فالكلمة الاولى «أويداس» — وقد اوردها في جوابيه الاول والثاني (عدد ١٥ و١٦)، تعني علم المسيح الالهي الخارق الطبيعة . والكلمة الثانية «جينوسكياس» — وهذه استعملها في جوابه الثالث (عدد ١٧) — تعني علم المسيح الاختباري نتيجة الفحص الذاتي . الكلمة الاولى تُرجمت الى العربية «تعلم » ، والكلمة الثانية ترجمت «تعرف»

المهمة المثلثة : « ... ارعَ خرافي » (عدد ١٥) «... ارعَ غنمي» (عدد ١٦) «... ارعَ غنمي» (عدد ١٧)

ما اعجب حب فادينا ، وما اوسع رحمته الغافرة . فهو لم يكتفِ بان يغفر لبطرس خطاياه ، بل شرّفه بوكالة سامية ، وائتمنه على قطيعه المختار . فغيرُ المسيح يذكر الخطايا ولا يغفر ، وان غفر ذكر، وان غفر ونسي تعذّر عليه ان

تعلم كل شيء. أنت تعرف اني احبك . قال له يسوع ارعَ غنمي

يأتمن من سبق ان أئتمنه فخان . لكن المسيح يغفر ، ولا يذكر ، ويأتمن

«ارع خرافي» .. «ارع غنمي».. «ارع غنمي» — الآن انتقل بطرس من عمل الصيَّاد ، الى خدمة الراعي . لان النفوس بعد ان تُنقذ من مخاطر العالم ، تحتاج الى طعام وغذاء . هذا امتياز الخراف على السمك . فالسمك يصطادونه ليأكلوه ، والخراف ينقذونها ليطعموها . فالصيد عمل المبشر ، والرعاية عمل الراعي

الكلمة المترجمة «ارعَ» في عددي ١٥ و١٧ ، تعني تغذية الخراف بالطعام والكلمة المترجمة « ارعَ » في عدد ١٦ ، تعني الرعاية المستمرة — بما فيها الحرص والعناية والسياسة (لو ١٧: ٧ و١ كو ٩: ٧) . وكذلك الكلمة التي تُرجمت الى «خرافي» في عدد ١٥ ، هي غير الكلمة التي ترجمت الى «غنمي» في عددي ١٦ و١٧ . فالاولى تعني «الحملان» الصغيرة التي تلازم الحظيرة — هذه تلزمها التغذية بالطعام داخل الحظيرة . لكن الثانية المستعملة في عددي ١٦ و١٧ ، تعني « الخراف الكبيرة » ، التي تسرح طوال اليوم بين المراعي والحقول — هذه تلزمها الرعاية والحفظ والسياسة

فمن هذا نرى ان السؤال المثلث ، يتضمن كلمتين مختلفتين عن المحبة . والجواب المثلث يتضمن كلمتين مختلفتين عن المعرفة . وفي المهمة المثلثة نجد: كلمتين مختلفتين عن الرعاية ، وضربين متميزتين للخراف

١٨ الحق الحق أقول لك لما كنتَ اكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك
وتمشي حيث تشاء . ولكن متى شخت فانك تمد يديك وآخر
يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء . ١٩ قال هذا مشيراً الى أية ميتة

المسيح ينبىء بطرس عن مستقبله — اتباعه حتى الصلب (٢١: ١٨ و١٩)

«الحق الحق» — انظر شرح ١: ٥٥ — «اقول لك لما كنتَ اكثر حداثة» — مما انت عليه الآن — «كنتَ تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء ولكن متى شخت . .» . ان في هذا الكلام مقابلة بين بطرس في شبابه ، و بطرس في شيخوخته . فبطرس في شبابه كان ينعم بالحرية ـ يسرح ويمرح في الحياة انّى شاء ، لكنه في شيخوخته سيُحمل الى حيث لا يشاء . ف «مدّ يديه» يشير الى تسميرهما في الصليب الذي كان مزمعاً ان يُرفع عليه . اما ذلك «الآخَر» الذي سيمنطقه ، فهو الجلاّد الذي سيسمّر جسد بطرس في الصليب ، ثم يحمله هو وصليبه ، مثبتاً اياهما في مكان مرتفع كالمعتاد (انظر صفحة ٧٧٣) . ولا يستنتج بالضرورة من قول المسيح لبطرس : «حيث لا تشاء» ، ان بطرس سيكون هارباً من الموت ـ مع ان هذا قد يكون في حيز الاحتمال [١] ـ وانما يستفاد منه : ان الطبيعة البشرية تنفر بطبعها من الموت ، مثلما ينفر الطفل من مواجهة الظلام

«ولما قال هذا قال له اتبعني» ـ في مناسبة سابقة قال المسيح لبطرس : «حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني» (١٣: ٣٧) . اما الآن ، فقد حان

(١) انظر الهامش على صفحة ٥٩٢

كان مزمعاً ان يمجد الله بها. ولما قال هذا قال له اتبعني. ٢٠ فالتفت
بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه وهو ايضاً الذي
اتكأ على صدره وقت العشاء وقال ياسيد من هو الذي يسلمك

الوقت الذي فيه قال له المسيح، «اتبعني» مشيراً بذلك الى الصليب، الذي كان معدّاً ليُرفع عليه بطرس في مستقبل الايام، مثلما رُفع مولاه من قبل

في بدء تعرّف بطرس بالمسيح، سمع منه مثل هذه الكلمة (١: ٤٣، متى ٨: ٢٢، ٩: ٩). والآن، عند توديع سيده اياه، سمع منه هذا النداء. قبلاً ناداه سيده ليتبعه في حياة الخدمة، والآن دعاه ليتبعه الى موت الصليب

ب ـ المشهد الثاني ـ المسيح ويوحنا ـ هل من نصيب يوحنا انه «يبقى» منتظراً (٢١: ٢٠ ـ ٢٣)

سمع بطرس من المسيح كلمة: «اتبعني» — ولعله لمح معها اشارة من مولاه، فتبعه للوقت. وما هي الا لحيظة حتى حانت منه التفاتة الى الوراء، تجاه التلاميذ الذين كانوا جالسين حول الموقد، فرأى يوحنا ايضاً آتياً. فثارت في نفسه غريزة حب الاستطلاع، وقصد ان يستفهم عن النصيب المذخر لزميله يوحنا، ولكن بلهجة فيها شيء غير يسير من الاستقصاء الفضولي. وقد لا تخلو من شيء من الحسد. فكان جواب المسيح له: انه ليس عن حكمة يسأل عن هذا. فاذا ما رغب هو في ان يجعل نصيب يوحنا «البقاء» على قيد الحياة حتى يجيء ثانية، وان يجعل نصيب بطرس الموت العاجل، فهو حرّ. يرتب لكل انسان مصيره وعمله حسبما يشاء. فما على بطرس الا ان يتنبه الى

٢١ فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع يا رب وهذا ما له . ٢٢ قال له
يسوع إن كنت اشاء انه يبقى حتى أجيء فماذا لك . اتبعني انت

المسئوليات التى عليه ، وان يقلع عن البقية الباقية من الانسان العتيق الذي في نفسه ، الذي كان يدفعه بين حين وآخر الى ان ينشغل بالآخرين عن نفسه. ولا يستفاد من هذا ، ان السيد يمنعنا عن ان نطمئن على مستقبل من نحب ، بل انه ينصح لنا ان لا نكون فضوليين ، وان نرضى بما يرضاه هو لنا. لانه « لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً، ان لم يكن قد أُعطي من السماء»(٢٧:٣)

تقول الامثال: ان الله فرّق العقول في الظلام ، فكل انسان يفضل عقله على كل عقل سواه . لكنه فرّق الانصبة في النور ، فالانسان معرّض لأن لا يرضى بنصيبه ، مفضلاً عليه نصيب سواه

على ان المسيح الذي عيّن نصيب كل من بطرس ويوحنا ، قد راعى الاستعداد الطبيعي الذي لكل منهما . فبطرس ذو الطبيعة الحماسية الثائرة المندفعة، قد عين له ان يخدم مجاهراً حتى يُرفع على صليب عاجل . ويوحنا ذو الطبيعة الهادئة الساكنة ، الذي يلذّ له الانتظار بصبر وسكون ، قد قال عنه المسيح «ان كنت اشاء انه يبقى حتى اجيء فماذا لك»؟ ان كلمة « يبقى » من مميزات اسلوب يوحنا ، وقد وردت كثيراً في الاصحاح الخامس عشر ، بمعنى «يثبت» . فلا فضل لبطرس في جهاده الذي يُتوّج بالصبر ، على يوحنا الذي «يبقى» بهدوء وسكون. لان الجندي الذي يلازم المرقب ، خليق بمكافأة نظير الجندي الذي يخرّ صريعاً في حومة الوغى . فكلاهما أمين لوطنه

٢٣ فذاع هذا القول بين الاخوة إن ذلك التلميذ لا يموت . ولكن
لم يقل له يسوع إنه لا يموت. بل ان كنت اشاء أنه يبقى حتى أجيء
فماذا لك . ٢٤ هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا

قد أساء بعضهم فهم هذه الكلمة التى فاه بها المسيح عن يوحنا، فظنوا ان المخلّص وعد يوحنا بالبقاء حتى يجيء ثانية. من اجل ذلك كان كثيرون منهم ينتظرون ان يوحنا الحبيب سينال ما ناله « اخنوخ » و « ايليا » في العهد القديم. فلم يجد يوحنا بُداً من تصحيح هذه الفكرة ، فعمد الى ترديد كلمات المسيح كما هي، من غير شرح ولا تعليق: «ولكن لم يقل له يسوع انه لا يموت. بل ان كنت اشاء انه يبقى حتى اجيء فماذا لك »

ولا يغرب عن بالنا، ان مجيء المسيح عملية تتم تدريجياً على فترات متتابعة فقد يشار به الى مجيئه روحياً يوم الخمسين — للعزاء . أو الى مجيئه يوم خراب اورشليم — للقضاء . او الى مجيئه عند منتهى حياة كل مؤمن — ليأخذه اليه . أو الى ذلك الحادث المجيد المبتغى — مجيئه نهائياً عند انقضاء الدهور — للملك والقضاء . والمعنى الاخير هو المقصود في هذه القرينة

الخاتمة النهائية :(٢١:٢٤ و٢٥) . « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذ وكتب هذا . . . » . أريد بهذه الخاتمة، تبيان ثلاث حقائق — الاولى ان كاتب هـذه البشارة، شاهد عيان : «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا» . والثانية : ان شهادته حق : «ونعلم ان شهادته حق» . فهي حق لانها تحمل في قلبها برهان صدقها، وهي حق بحكم الاخلاق النبيلة المتصف بها كاتبها

ونعلم ان شهادته حق . ٢٥ واشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع ان
كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه

بشهادة الجميع . **والثالثة**: ان ما كتب عن المسيح لا يوازي الاَّ قطرة أُخذت من بحر خضم . فلو كتبت كل اعمال المسيح وكلماته ، واحدة واحدة ، فان « العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة» — الاشارة هنا الى سعة العالم **الفكرية والمعنوية** ، اكثر منها الى سعته **المادية الجغرافية**. لان بين ايدينا اليوم ، كتباً لا تحصى عن حياة المسيح ، وعددهـا يربي على عدد اي كتب أُلفت في موضوع واحد . ومتى ذكرنا ان كل هذه الكتب مستقاة من قطرة المعلومات التي وصلت الينا من البشيرين، فما اكثر الكتب التي كان يمكن ان تكتَب عن حياة المسيح،لو أُتيح للكتَّاب ان يرتشفوا من بحر المعلومات الزاخرة الفيَّاضة . ولكننا نحمد الله لان ما كتب فيه الكفاية لقوم يعقلون

هذه خاتمة هذه البشارة الخالدة التي فيها رأينا « كلمة الله» الازلي ، وقد تجسد، «وحلَّ بيننا فرأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقاً». هذا هو «حمل الله» الذي رفع خطية العالم ، وهو هيكلنا الازلي، الذي لم يكن هيكل سليمان سوى رمز له . هو ترياقنا الشافي من كل لدغات الخطية ولسعاتها. هو ماء الحياة المروي ، وخبز الحياة المشبع ، ونور العالم الساطع . هو راعي الخراف المضحي بالنفس والنفيس ، وهو القيامة والحياة ، للراقدين في قبور الخطية — من احياء واموات . هو غالب رئيس هذا العالم ، وهو خير جاذب القلوب المتباعدة . هو الطريق ، والحق ، والحيـاة . هو الكرمة

يسع الكتب المكتوبة . آمين .

الحقيقية التي صارت عصارتها للبشرية خير عزاء ، وبهجة ، وشفاء . هو الذي اذ رُفع على صليب العار ، جعل من الصليب عرشاً ، وخلق من عاره فخاراً ، وصير كسرته غلبة وانتصاراً ، فاضحى وهو على الصليب متوجاً بتيجان كثيرة فجاءت مملكة العلم ، ومملكة الرحمة ، ومملكة الحق ، ومملكة المحبة ، ومملكة القوة ، فطرحت تيجانها عند قدميه ساجدة صاغرة .

هو الذي قبرَ الموت في قبره فقام ظافراً بتاج الخلود ،

وصعد مرتفعاً الى عرش السماء . وسيأتي

ثانية ليملك بمجده

آمين . فآمين

فرغ المؤلف من كتابة هذا التفسير في ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٢

يرى المؤلف لزاماً عليه ان يذكر اسماء الـكتب التى استعان بها في تفسيره، إقراراً منه بفضل مؤلفيها : —

Commentary on the Gospel of John	—	*F. Godet.*
The Speaker's Commentary ; St. John	—	*B. F. Westcott.*
The Pulpit Commentary, St. John	—	*H. R. Reynolds.*
Expository Thoughts on the Gospels	—	*J. C. Ryle.*
The Greek Testament	—	*Henry Alford.*
The Gospel According to John ...	—	*J. P. Lange.*
Gnomon of the New Testament ...	—	*J. A. Bengel.*
The Gospel of St. John	—	*F. D. Maurice.*
Exposition of Holy Scriptures ...	—	*A. Maclaren.*
The Cambridge Bible—St. John ...	—	*A. Plummer.*
The Analysed Bible — „ ...	—	*Campbell Morgan.*
The Bible Commentary...	—	*C. J. Ellicott.*
Matthew Henry's Commentary ...	—	*Matthew Henry.*
Critical and Experimental Commentary	—	*D. Brown.*
The Expositor's Bible ; St. John ...	—	*Marcus Dodds.*
The Fourth Gospel	—	*R H. Strachan.*
Studies in John's Gospel	—	*W. W. White.*

الكنز الجليل	للدكتور ادي وجماعة من اللاهوتيين في سوريا
سيرة يسوع المسيح	للدكتور فورد
شرح انجيل يوحنا	لبنكرتن
اتفاق البشيرين	للدكتور سمعان كلهون

